I

د. حسن حنفي

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

الجزء الأول **الوعي الموضوعي**



المدار الإسلامي



د. حسن حنفي

المؤهلات العلميّة

دكتوراه الدولة في الفلسفة، جامعة باريس، السوربون، 1966.

يتقن العربية، الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية.

التدرُّج الوظيفي:

عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة القاهرة منذ 1967.

رئيس قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988 - 1994.

أستاذ متفرغ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995 حتى اليوم.

المهمات العلمية:

أستاذ زائر، جامعة تمبل فيلادلفيا، أميركا، 1971 - 1975.

أستاذ زائر، جامعة فاس، المغرب، 1982 - 1984.

أستاذ زائر، جامعة طوكيو، 1984 - 1985.

مستشار علمي للبرامج، جامعة الأمم المتحدة، طوكيو، 1985 - 1987.

أستاذ زائر، جامعة UCLA، ربيع 1995.

أستاذ زائر، جامعة بريمن، ربيع 1998.

عضو في العديد من الجمعيّات العلميّة.

الأعمال العلميّة، بالعربية:

- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحُسين البَصْري، (جزءان)، دمشق، 1964. (تحقيق).
- نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، الإسكندرية، 1968. (ترجمة).
- رسالة في اللاهوت والسياسة لاسبينوزا، القاهرة، 1973. (ترجمة).
- لسنج: تربية الجنس البشري، القاهرة، 1977. (ترجمة).
- سارتر: تعالي الأنا موجود، القاهرة، 1977. (ترجمة).
- التراث والتجديد، القاهرة، 1980.
- دراسات إسلامية، القاهرة، 1982.
- دراسات فلسفية، القاهرة، 1987.
- من العقيدة إلى الثورة، (خمسة أجزاء)، القاهرة، 1988.
- الدين والثورة في مصر، (ثمانية أجزاء)، القاهرة، 1989.

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

(الوعي الموضوعي)

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

1

الوعي الموضوعي

الدكتور حسن حنفي

دار المدار الإسلامي

من الفناء إلى البقاء: محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

الجزء الأول: الوعي الموضوعي

الدكتور حسن حنفي

الطبعة الأولى
حزيران/يونيو/الصيف 2009 إفرنجي

موضوع الكتاب في التصوف الإسلامي
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي مع جاكيت

ردمك **ISBN** 978-9959-29-449-1
ردمك **ISBN** 978-9959-29-448-7 للمجموعة
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2008/763

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 39 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

الإهــداء

إلى كل مشايخ الطرق الصوفية

كي يعودوا إلى العالم من جديد.

حسن حنفي

المقدمة

1 ـ «من النص إلى الواقع» إلى «الفناء والبقاء»

جرت العادة على النقد الذاتي المستمر، من عمل إلى عمل، ومن محاولة إلى محاولة، بغية لمزيد من الكمال والإحكام، أخذاً بعين الاعتبار ما وُجه من نقد رصين. فالإنسان ما زال يطلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل[1]. لم يكن النقد الموجه إلى «من النص إلى الواقع» كبيراً نظراً لإحكام الموضوع ولأن علم أصول الفقه بذاته أكثر العلوم إحكاماً، وأقلها عرضة للنقد، وربما ما زال مبكراً. فلم تعقد عليه إلا ندوة واحدة بالرغم من الاعتزاز به وتقديره. فلم يُقرأ بعد من الأصوليين والعلماء بالرغم من إعجابهم به وتقديرهم لصاحبه. وربما لأنه لم يظهر من خلال أجهزة الإعلام، موطن الشهرة الزائفة والمزايدة والتضحية بالموضوع وصاحبه من أجل الإثارة والسبق الصحفي. وربما خوف العلماء منه والذين تعودوا على التجريح والاستبعاد لعلميته ورصانته. وربما لحرج المسؤولين الرسميين حتى لا يوافقوا على ما لا توافق عليه المؤسسات الدينية التابعة للدولة ونظامها السياسي. وربما خوفاً من النقاش العلمي الجاد بعد أن تعودوا على عموميات الإعلام وادعاءات التجديد والأفكار النمطية السابقة[2].

---

(1) «من العقيدة والثورة» إلى «النقل والإبداع»، «من النقل والإبداع» إلى «النص والواقع»، من النقل إلى الإبداع مج1، ج1 ص 7-20 «من النص إلى الواقع» ج1 تكوين النص ص 5-17.

(2) عقدت هذه الندوة بالمجلس الأعلى للثقافة بعد أن تأجلت من يونيو 2006 إلى سبتمبر وغاب عنها الكثير من العلماء المرموقين، وحضر القليل من الزملاء خاصة من كلية دار العلوم وحقوق الإسكندرية. فلهم منا خالص التقدير.

ومع ذلك يمكن ممارسة النقد الذاتي على «من النص إلى الواقع». فالعيب لا يظهر إلا بعد الاكتمال. والجنين لا يبدو إلا بعد الولادة. والممكن أكثر غنى من الواقع. وما بالقوة أكثر اتساعاً مما بالفعل. والمؤلف هو الناقد بالأصالة. والمبدع هو الذي يعلم حدود الإبداع. والأم أقدر على وصف معاناة الولادة من المولَّد.

أ ـ كان الهدف من الجزء الأول «تكوين النص» تفكيك النص الأصولي القديم، وبيان أنه لا يوجد نص ثابت خالد أبدي واحد عبر كل العصور. تتعدد قواعده وأصوله. بنيته متحركة داخل النص الأصولي السني والشيعي على حد سواء. كان القصد «تحريك النص» من جديد وهو عنوان الفصل عن النص الأصولي الشيعي[3]. لذلك كثر حضور النص بعد ترتيبه زمانياً لبيان تغير القواعد والأصول التي يبنى عليها العلم عبر الزمان مما يسمح بتطويره مرة أخرى طبقاً لهذا العصر. فيتحرك النص من جديد عبر التاريخ. كان الهدف هو القضاء على تكلس النص وثباته بل وقدسيته، والعودة إلى الاجتهاد البشري في إبداع النصوص. كان الهدف هو هز سلطة القدماء التي ما زالت أحد أسباب توقف حركة العلم، بالإضافة إلى إحساس المحدثين بالدونية أمامهم، فلم يترك السلف للخلف شيئاً. كان الهدف إثبات أن النص الأصولي ليس نصاً ثابتاً أبدياً أزلياً إلى آخر الزمان، بل هو نص تاريخي حتمته ظروف كل عصر ومستواه الثقافي. فقد خرج التراث كله من حيز التاريخ إلى الإطلاق. وتحول من اجتهادات الأجيال المتتالية إلى مقدس خارج الزمان نظراً لعجز الأجيال المتأخرة عن التواصل معه واستئنافه وكتابة نصوص جديدة دون الاكتفاء بدراسة النصوص القديمة وعرضها وتكرارها بعد أن انفصل الذات الدارس عن الموضوع المدروس، وتحول إلى مستشرق ينظر إلى موضوع مغاير له وليس مسؤولاً عنه. تمايز بينه وبين تراثه ولم يتوحد معه. فتكلس التراث وتشيأ وتحجر، وأصبح قديماً يدرسه المحدثون. ومع ذلك جاء الجزء الأول «تكوين النص» علمي للغاية، تاريخي صرف. لا يظهر فيه التجديد بوضوح. أقرب إلى القدماء منه إلى المحدثين. ثقيل في القراءة، ممل الاستيعاب. يُظهر صاحبه عالماً لا مجدداً، مؤرخاً لا أصولياً، يعرض القدماء ولا يخاطب المحدثين. كان السبب هو الرغبة في تسوية الأرض أولاً قبل الزرع، وحفر التربة وتقليبها قبل

(3) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، الفصل الرابع: تحريك البنية ص 245-343.

البذر فما جدوى بناء جديد على أرض لم تسوى؟ وقد قامت محاولات قبل ذلك لإعادة البناء دون تسوية من القدماء المتأخرين ومن المحدثين المعاصرين فسرعان ما انهار البناء[4].

ب ـ كان مفهوم البنية وتعدد قواعدها هو المفهوم السائد الذي على أساسه تم تقسيم الأصول، غياب البنية أو حضورها احتجابها أو ظهورها، أحادية أو ثنائية أو ثلاثية أو رباعية... الخ. لم يستعمل لفظ البنية بمعنى المحدثين عند البنيويين[5]. كان له معني عام وشائع في اللغة المتداولة[6]. كان يعني فقط الأصول أو القواعد التي يبنى عليها العلم. هي البنية الظاهرية وليست البنية الباطنية، بنية النص وليست بنية الفكر، بنية القول وليست بنية الرؤية، بنية التعبير وليست بنية المعنى، فتعددت البنيات بين الكثير والقليل، بين الدال على الفكر وغير الدال الذي يكتفي برصد الموضوعات في أبواب وفصول وأقسام وأجزاء. غابت أولاً ثم حضرت ثانياً ثم غابت ثالثاً. منها ما كان تقليداً وإتباعاً مثل كثير من النصوص التي تتكاثر فيها الأقسام والأجزاء ومنها ما كان اجتهاداً واتباعاً مثل البنية الرباعية في «الموافقات». منها ما كان لا شعورياً ودون قصد بل مجرد إحصاء لترتيب الأبواب، ومنها ما كان شعورياً عن قصد ولو عن طريق الصورة الفنية مثل «المستصفى»، عن صورة الثمرة والمستثمر، والمستثمِر وطرق الاستثمار. تكاثرت فصول البنيان بعد أن تعددت وأصبح من الصعب فهم دلالاتها. كان المقصود هو بيان عدم وجود بنية واحدة ثابتة للعلم مما يسمح بإدخال البنية الثلاثية.

وقد تم اختيار البنية الثلاثية التي قام عليها الجزء الثاني «بنية النص»، وليس الرباعية في «المستصفى». وهي البنية التي قامت عليها متون أصولية أخرى عديدة ابتداء من «الرسالة» وانتهاء إليها[7]. وهي بنية تكشف عن التطابق بين بنية النص

---

(4) على سبيل المثال «مقاصد الشريعة ومكارمها» لعلال الفاسي، و «تفعيل مقاصد الشريعة» لجمال الدين عطية.

(5) وهو المعنى الذي يناقشه محمد عابد الجابري في مقدمة «بنية العقل العربي»، محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت ص19.

(6) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، رابعاً: البنية الثلاثية ص54-68.

(7) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 ص 40-54 التدوين، مقدمة، رابعاً، مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، 1- المنهج التاريخي والمنهج البنيوي. 2- منهج التحليل المضمون.

(المصادر الشرعية الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام الشرعية) وبنية الوعي التاريخي والوعي النظري والوعي العملي .

جـ ـ كان الجزء الأول «تكوين النص» بمثابة التمهيد للجزء الثاني «بنية النص». كان هو «البولدوزر» الذي يسوي الأرض بدلاً من إقامة الجزء الثاني على نتوءات أو منخفضات لم يتم تسويتها من قبل وإلا انهار البناء الجديد. كان الهدف من الجزء الأول هو تحرير الوعي الأصولي من ثقل التاريخ حتى يستطيع أن يقبل النص الأصولي الجديد ويتفهمه بعقل حر دون خوف من القدماء المجتهدين أو قهر من المحدثين المقلدين

ومع ذلك كان «البولدوزر» بطيء الحركة، ضعيف الصوت، هادئ المعول، لا يجرف الكثير. كان مجرد تحريك للتربة دون دكها. كان يعمل دون صخب ودوي ربما لعزوف صاحبه عن الفرقعات، الرصاص الفارغ «الفشنك»، وصخب الإعلام. لم يؤد غرضه على نحو مباشر. يحتاج إلى وقود ليدور محركه بدلاً من دفعه باليد. يحتاج إلى وقت حتى يدرك أهميته طلاب العلم في الجامعات الدينية والمدنية بعيداً عن الاستقطاب الحالي بين سلفيين وعلمانيين، قدماء ومحدثين، محافظين ومجددين.

كان الركام الناشئ منها كثيراً مبعثراً. غطى على الحفر والأسس الفارغة التي في حاجة إلى صب جديد. كان أشبه بوقوع البناء بطريقة التفجير أو الزلزال حتى غطى الركام على الأساس المطلوب دون إعادة حفره وصبه من جديد وظهرت على المشاهد علامات الحزن على المنزل المهدم أكثر من علامات الفرح لمشروع البناء الجديد الذي لم يره بعد في الجزء الثاني «بنية النص».

د ـ ثم أتى الجزء الثاني «بنية النص» واضحاً مرتباً، ولكنه غرق في تحليل اللغة كما قام به القدماء. ولم يكتف بالاشتباه اللغوي الذي يبدأ منه التجديد. ربما كان القصد اللاشعوري هو إمكانية تحويل التحليلات اللغوية عند الأصوليين إلى علم اللغة العام ليخفف ثقل الأحكام الشرعية خاصة أحكام التكليف، وبوجه أخص الحلال والحرام بعد أن اختزل العلم فيها في أذهان العامة الذين يخشون من السلوك التلقائي وأنصاف العلماء الذين يودون إبقاء العلم أداة للسيطرة على الناس والمؤسسات الدينية التابعة للنظم السياسية التي تستعمل الدين كأداة للضبط الاجتماعي.

تضخم الوعي التاريخي خاصة في مسائل الرواية. وكانت أقرب إلى هم القدماء في نقد السند من هم المحدثين في نقد المتن[8]. كما غرق في تحليل أنواع العلل بحيث تاهت دلالة التحليل وسط هذا الكم الهائل من التفصيلات. كان المبرر هو عدم ترك تحليلات القدماء دون إشارة حتى يعيش المحدثون معهم، ويشعرون بهم إيجاباً أم سلباً. فيتضخم الحجم بلا داع إلا استهلاك مادة القدماء، وإعادة عرضها. وما كان يتطلب التطوير والتفصيل هو الوعي العملي، المقاصد والأحكام، جاء على قدر ما ترك القدماء. ومقاصد الشريعة، وأحكام الوضع هي زُبدة العلم. خشي من التطوير الزائد حتى لا ينفصل العلم عما تركه القدماء، لحظة «الموافقات» وحتى يتم التغير من خلال التواصل، ولا تكون المسافة شاسعة بين إبداع القدماء وتطوير المحدثين. ويمكن لجيل آخر أن يطور الوعي العملي ويقلّصَ الوعي النظري. ويعيد التوازن إلى أبعاد العلم الثلاثة: الوعي التاريخي، والوعي النظري، والوعي العملي[9].

هـ ـ وبالرغم من أن العنوان يتضمن لفظين: «النص» و«الواقع» إلا أن العمل كله أتى أقرب إلى النص منه إلى الواقع. طغت النصوص، وتوارى الواقع مشرئباً برأسه من الانهيار، يطلب الخروج. قد يكون السبب في ذلك أيضاً إبقاء الطابع المنطقي الخالص لعلم الأصول، وما يتميز به من إحكام نظري. وعلم الفقه هو العلم الذي يتم فيه التحول من فقه العبادات إلى فقه المعاملات، ومن فقه الحلال والحرام إلى فقه المجتمع. ربما كان السبب هو كثرة تحليل الواقع ووصف تحديات العصر في المؤلفات الثقافية مثل «هموم الفكر والوطن»، «حصار الزمن». وربما كانت هناك خشية من الخطابة والحديث العام عن مآسي العصر وأحزانه، وعلم أصول الفقه علم محكم ودقيق. والقراءة المتأنية قادرة على تلمس الواقع والإحساس أو الإمساك به من خلال خيوط قائدة قصيرة أو حبال طويلة. فمن الأفضل ظهور الواقع على نحو غير مباشر حتى يبقي العلم في الأصول وليس في

(8) من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن جـ3 ص 53-165.

(9) كانت ملاحظة جيتون على «ظاهريات التأويل» تضخم الوعي التاريخي على حساب الوعي العملي، والتناقص الكمّي التدريجي، من الوعي التاريخي وهو الأضخم إلى الوعي النظري وهو المتوسط إلى الوعي العملي الذي هو الأصغر.

الفروع. وكثيراً ما تتحدث النصوص القديمة عن «زماننا» و«عصرنا» دون تفصيل أحوال الزمان وظروف العصر.

و ـ كانت مشكلة إعادة بناء العلوم القديمة كبر الحجم. «من العقيدة إلى الثورة» (خمسة مجلدات) ومن النقل إلى الإبداع (ثلاثة مجلدات كل منها ثلاثة أجزاء، وفي مجموعها تسعة). وجاء «من النص إلى الواقع» مجلدين. أصغر من حيث الكم. ومن في هذا العصر قادر على قراءة مجلد واحد؟ التحدي الآن هو إخراج «من الفناء إلى البقاء» في مجلد واحد. اللهم إلا إذا كبرت الأبواب الثلاثة الرئيسية: التصوف الأخلاقي، التصوف النفسي، التصوف الفلسفي. وتحول كل منها إلى فصول. واستحال ضمها في مجلد واحد. فأصبحت ثلاثة مجلدات. وبعد وضع المقدمة عن «الوعي الصوفي» لوصف تطور النص الصوفي كما هو الحال في الجزء الأول «تكوين النص» و«من النص إلى الواقع» تضخمت كما تضخم وأصبح باباً مستقلاً هو الباب الأول من الجزء الأول عن التصوف الخلقي. ثم تضخم هذا الباب الأول إلى ثلاثة فصول: الوعي التاريخي، الوعي الموضوعي، الوعي النظري. ثم تغيرت الفكرة الشائعة أن ابن عربي آخر الصوفية وما بعده شراح له مثل النابلسي والشعراني، وهو ما قيل أيضاً عن ابن رشد أنه أخر الفلاسفة وما بعده شراح، عندما اتضح قدر التصوف العملي بعد «الفتوحات» على مدى خمسة قرون فأصبح فصلاً رابعاً. ولما كثرت النصوص وتعددت وتضخّم هذا الباب الأول بفصوله الأربعة ولم تنته بعد المقدمة، أضيف إليها فصل خامس عن التصوف وموضوعه داخل منظومة العلوم قبل أن تبدأ فصول التصوف الخلقي: الشريعة والأخلاق، والرذائل والفضائل، والتوحيد الخلقي. فانفصلت المقدمة وأصبحت هي الجزء الأول «تكوين النص» وهو عنوان الجزء الأول من المادة بناء علم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع»[10].

(10) أصبح الآن الجزء الأول: التصوف تاريخ وعلم ينقسم إلى قسمين. الأول التصوف كتاريخ ويشمل ستة فصول: تشكل الوعي التاريخي، الوعي التاريخي الخالص، الوعي التاريخي الموضوعي، الوعي الموضوعي الوعي النظري، الوعي العملي، والثاني التصوف كعلم ويشمل أربعة فصول: تعريف التصوف. تصنيف العلوم، العلم الشعوري، العلم والعمل. (وقد يحدث تعديل في اللحظة الأخيرة). وقد حدث التعديل بالفعل وأصبح عنوان الجزء الأول «الوعي الموضوعي» بدلاً من التصوف كتاريخ أو تاريخ التصوف، وعنوان =

وضمت الأجزاء الثلاثة الأولى: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف النظري ثم زيد عليها التصوف العملي في جزء ثان «بنية النص» وهو نفس عنوان الجزء الثاني «من النص إلى الواقع»[11]. هذا هو الوضع وهو أفضل من حيث الكم. جزءان: الأول عن تطور النص الصوفي، والثاني عن «بنية النص الصوفي» أفضل من مقدمة طويلة وثلاثة أجزاء من حيث الكم[12]. والأعمال التكوينية بطبيعتها ضخمة الحجم. والأعمال التأسيسية مشاريع كبرى. «الشفاء» عدة مجلدات اختصرها صاحبها في «النجاة»، ثم شرح الملخص في «الإشارات والتنبيهات». وأعمال ابن رشد الشارحة لأرسطو أكبر وأوسط وأصغر، تفاسير وتلخيصات وجوامع. و«المغني» للقاضي عبد الجبار عشرون مجلداً في علم أصول الدين. وشروح علم أصول الفقه عدة مجلدات مثل «البحر المحيط» للزركشي. وفي التصوف «الإحياء» و«الفتوحات» كل منها أربعة مجلدات. يبدو أن مشروع «التراث والتجديد» خارج من بين القبور. به روح القدماء من حيث الإسهاب والتطويل. قد يأتي جيل جديد يلخص كل ما فعل القدماء حتى تسهل قراءة المحدثين[13].

2 ـ الموضوع، المنهج، المادة العلمية، الأسلوب

أ ـ الموضوع: هي المحاولة الرابعة والأخيرة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، علم أصول الدين في «من العقيدة إلى الثورة»، وعلوم الحكمة في

= الجزء الثاني «الوعي الذاتي» عن التصوف كعلم أو التجربة الصوفية. الأول في التاريخ، والثاني في البنية. ويشمل الجزء الأول أربعة أبواب: الوعي التاريخي، الوعي النظري، الوعي العملي، الوعي العلمي. ويضم الجزء الثاني أربعة أبواب: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف الفلسفي، التصوف الطرقي.

(11) هذا أيضاً هو ما حدث في رسالتي الثانية لدكتوراه الدولة عندما وضعت مقدمة عن المنهج الظاهري لتطبيقه في تأويل العهد الجديد فأصبحت جزءاً بمفرده «تأويل الظاهريات»، والتطبيق «ظاهريات التأويل».

(12) حدث هذا التطور وأنا في الرباط بالمغرب في الأيام الثقافية المصرية بالمغرب يوم 2/2/2007 كما جاءني حدس لبنية الوعي الثلاثية في «مناهج التأويل» في علم أصول الفقه في الرسالة الأولي في أكتوبر 1956 وأنا في باريس.

(13) وهذا ما فعله أحد تلاميذ توينبي في تلخيص «دراسات في التاريخ» للأستاذ سومرفيل (تسعة أجزاء) في مجلد واحد.

«من النقل إلى الإبداع»، وعلم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع». وبعد اكتمال إعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، يتضح أن أبعد العلوم عن اللحظة الراهنة وأشدها حاجة إلى إعادة البناء هو علم أصول الدين ثم علوم الحكمة. ثم علوم التصوف ثم علم أصول الفقه. وأكثرها اقتراباً من تحليل التجارب الشعورية هي علوم التصوف ثم علم أصول الفقه ثم علم أصول الدين ثم علوم الحكمة التي غلب عليها التحليل النظري المجرد خاصة في أجزائها الثلاثة المنطق والطبيعيات والإلهيات قبل إضافة «إخوان الصفا» العلوم الناموسية والشرعية وتحليلات النفس والأخلاق والاجتماع عند الفلاسفة خاصة الفارابي.

بقي من الجبهة الأولى «الموقف من التراث القديم» إعادة بناء العلوم النقلية الخمسة «من النقل إلى العقل»، القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. بعدها يتم التوجه إلى الجبهة الثالثة الموقف من الواقع أو «نظرية التفسير» خشية من قصر العمر. بعدها تتم العودة إلى الجبهة الثانية «الموقف من التراث الغربي» لترصيع العقد «مقدمة في علم الاستغراب» بالأحجار الكريمة مثل فشته فيلسوف المقاومة، وظاهريات هوسرل، وبرجسون فيلسوف الحياة، ثم استئنافها عند ماكس شيلر وظاهريات الحياة الوجدانية، ونيتشه فيلسوف العدمية، ومونييه فيلسوف الشخص ثم العودة من بداية النهاية إلى الذروة في الوعي الأوروبي هيجل الفيلسوف الشامل، واليسار الهيجلي: فيورباخ، وباور، وشترنر، وشتراوس، وماركس الشاب، ثم شلنج فيلسوف الوحدة. كل ذلك لو كانت هناك نسيئة في العمر بتعبير ابن سينا. وبالتالي يصبح مشروع «التراث والتجديد» أهم وأكبر مشروع يعبر عن الوضع الحضاري في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجريين، ونهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين الميلاديين، وليعبر عن مرحلة جديدة من تطور الحضارات ودورانها في العالم، وإغلاق الفترة العثمانية واستئناف الإصلاح الديني وتحويله إلى نهضة شاملة في مرحلة ثالثة للحضارة الإسلامية تلحق بالمرحلة الأولى في القرون السبعة الأولى من الأول حتى السابع، مرحلة الازدهار التي أرخ لها ابن خلدون، و تغلق المرحلة الثانية في القرون السبعة التالية من الثامن حتى الرابع عشر لتبدأ المرحلة الثالثة، قرون سبعة ثالثة، من الخامس عشر حتى الواحد والعشرين الهجريين. «التراث والتجديد» إذن مشروع مفصلي كما حدث في الحضارة الغربية عند ديكارت (1650) «أنا أفكر فأنا

إذن موجود» ومشروع بيكون (1626) «الآلة الجديدة». كان العنوان في وصف المشروع في «التراث والتجديد» المنهج الصوفي[14]. ثم برز شيئاً فشيئاً هذا العنوان «من الفناء إلى البقاء» بنفس طريقة «من... إلى...» للدلالة على نقل العلوم القديمة كلها من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة القدماء إلى مرحلة المحدثين، من التأسيس الأول إلى التأسيس الثاني[15]. وهما مصطلحان في علوم التصوف، حالان أو مقامان. يذكرهما إقبال ويجعلهما رؤية له مطالباً أيضاً التحول من الفناء إلى البقاء[16]. وهو لا يبعد أيضاً عن موقف الحركة السلفية عند ابن تيمية الذي يجعل البقاء هو نهاية المقامات وليس الفناء.

والتصوف بالجمع «علوم التصوف» مثل علوم الحكمة في حين أن «علم أصول الدين» و «علم أصول الفقه» بالمفرد. وهو يدل على أن التصوف يجمع عدة علوم: علم الأخلاق، وعلم النفس، والفلسفة، وليس علماً واحداً. فالتصوف مجموعة من العلوم تعتمد على الفقه والحديث والتفسير والسيرة خاصة في التصوف العملي.

وقد عُرض التصوف نفسه بطريقتين. الأولى تاريخية، تطور التصوف ومراحله عبر التاريخ، خاصة القرون السبعة الأولى حيث تكتمل الحضارة الإسلامية في دورتها الأولى قبل أن يؤرخ لها ابن خلدون. وفي هذه الحالة يتضح أن التصوف مر بأربع مراحل: المرحلة الأخلاقية عندما كان التصوف علماً للأخلاق الإسلامية، في القرنين الثاني والثالث، نموذج رابعة العدوية والحسن البصري، والمرحلة النفسية عندما تحول التصوف إلى علم لبواطن القلوب في القرنين الرابع والخامس

(14) وقد كان العنوان الأول لمحاولة إعادة علم الكلام «من العقيدة إلى الثورة»، علم الإنسان المحاولة الثانية لإعادة بناء علوم الحكمة «من النقل إلى الإبداع» والعنوان الثاني فلسفة الحضارة، والعنوان الأول للمحاولة الثالثة لإعادة بناء علوم أصول الفقه «من النص إلى الواقع»، «المنهج الأصولي»، التراث والتجديد ص 206، 209.

(15) وهو الشعار الذي تصدّر كتاب «إقبال فيلسوف الذاتية» والصادر في دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.

بروحي للحياة مع الفناء صراع، لا أري غير البقاء

(16) وقد استعمل الوعي الأوروبي لفظ «جديد» مثل «الآلة الجديدة» لـ فرنسيس بيكون و«العلوم الجديدة» لـ نيوتن وفيكو. واستعمل هوسرل نفس الأسلوب في المنطق «من المنطق الصوري إلى المنطق الترنسندنتالي».

نماذج ذي النون المصري، والبسطامي والحلاج وأصحاب الشطحات، والمرحلة الثالثة مرحلة الفلسفة الإلهية في القرنين السادس والسابع، نماذج السهروردي وابن الفارض، وابن عربي وعبد الحق بن سبعين في القرنين السادس والسابع. أما الغزالي الذي جعل التصوف أيديولوجية الطاعة للناس كما جعل الكلام أيدلوجية القوة للسلطان فإنه يمثل حلقة الوصل بين المرحلة الخلقية والمرحلة النفسية وبين المرحلة الفلسفية(17). كما يمثل ابن عربي حلقة الاتصال بين المرحلة النفسية والمرحلة الفلسفية، ومن ثم يكون أهم عملين نظريين في التصوف كعلم هما «إحياء علوم الدين» و«الفتوحات المكية». والمرحلة النفسية والمرحلة الميتافيزيقية. والمرحلة الرابعة هي المرحلة الطرقية التي تحول فيها التصوف النظري في الفلسفة الإلهية إلى التصوف العملي كما بدأ في المرحلة الأولى ولكنه في هذه المرة تصوف جماعي طرقي في العصر العثماني. وإذا كانت كل مرحلة قد دامت قرنين من الزمان، الخلقية في القرنين الثاني والثالث، والنفسية في الرابع والخامس، والفلسفية في السادس والسابع فإن المرحلة الطرقية قد استمرت سبعة قرون من الثامن حتى الرابع عشر، ومازالت مستمرة حتى الآن. طالت أكثر من اللازم. وآن الأوان لانتهائها بعد محاولات حركات الإصلاح الديني تغييرها عند الأفغاني وإقبال إلى المرحلة الخامسة المرحلة «الثورية» التي يمثلها «من الفناء إلى البقاء». وقد استعملت الدراسات الثانوية هذه الطريقة المدرسية التاريخية لأنها أقرب إلى الاستيعاب والحفظ وتقديم العلوم الإسلامية القديمة كتاريخ وليس كعلوم عقلية نقلية.

ولا يوجد فصل حاد بين هذه المراحل الأربع. قد تستمر المرحلة الأخلاقية بعد القرنين الثاني والثالث. بل إن كبار الصوفية الأخلاقيين في القرنين الثالث مثل المحاسبي (ت243هـ)، والحكيم الترمذي (ت270 هـ)، والخراز (ت299 هـ)، والتستري (319هـ)، والمرحلة الثورية الخامسة لها جذورها عند الحلاج واشتراكه في ثورة القرامطة ونجم الدين كبري في حروبه ضد التتار في الشام، وفي المرحلة

---

(17) وقد أدرك هذه المراحل من قبل مصطفى حلمي في «الحياة الروحية في الإسلام» وسار على أثره أبو الوفا التفتازاني في «المدخل إلى التصوف الإسلامي». وأصبحت حقيقة تاريخية مسلّماً بها عند دارسي التصوف ومؤرخيه.

الطرقية عند المهدية في السودان في نضالها ضد الاستعمار البريطاني، والسنوسية في صراعها ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وعند محمد إقبال في نهضة الأمة في نضالها ضد الاستعمار في الخارج والتخلف في الداخل[18]. وهذا هو مضمون الجزء الأول التصوف كتاريخ. ولا يوجد صوفي في المرحلة النفسية أو في المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه جانب أخلاقي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه تحليلات نفسية مثل المحبة عند رابعة، والخوف عند الحسن البصري، والمحبة عند ابن الفارض وابن عربي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة النفسية إلا ولديه بعض الجوانب الفلسفية مثل نظريات الحلول والاتحاد والحقيقة المحمدية في المرحلة النفسية. والغزالي نفسه يجمع بين كل المراحل. الأخلاقية والنفسية والميتافيزيقية. والمرحلة الرابعة، المرحلة الطرقية مرتبطة بكبار الصوفية السابقين: الأكبرية لمحيي الدين بن عربي (ت 638)، والمولوية لجلال الدين الرومي (ت 672هـ)، والجيلانية لعبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، والرفاعية لأحمد الرفاعي (ت678هـ).

والثانية عرض التصوف نفسه كطريق أو طريقة أو فهم عملي مستقل عن التاريخ، طريق صاعد من أسفل إلى أعلى، من الإنسان إلى الله. يبدأ بالتوبة، وينتهي بالفناء. وبين البداية والنهاية المقامات والأحوال. المقامات سبعة أو تسعة طبقاً لعدد فردي يحصل عليها الصوفي بجهده وبقدرته على الرياضات والمجاهدات. والأحوال مزدوجة. حالتان سلبية وايجابية في الانتقال من مقام إلى مقام، هبة أو إشارة أو علامة على اجتياز مرحلة في الطريق مثل علامات المرور. المقامات مثل التوبة، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا. .. الخ. والأحوال مثل: الخوف والرجاء، الصحو والسكر، المحو والإثبات، الغيبة والحضور، الفقد والوجد، الفناء والبقاء. ..الخ.

التصوف كطريق يبدأ من الخارج إلى الداخل ثم من الداخل إلى أعلى، من العالم إلى النفس، ثم من النفس إلى الله، من أفعال الجوارح إلى أفعال القلوب، ومن أفعال القلوب إلى الأفعال الإلهية.

(18) انظر كتابنا: محمد إقبال: فيلسوف الذاتية، دار المدر الإسلامي بيروت، 2009.

وهنا يتداخل التصوف الخلقي مع التصوف النفسي. فالفضائل عند الصوفية مثل الصدق والورع والإخلاص لا تختلف في أهدافها عن المقامات الصوفية. وقد ميز الصوفية في مصطلحاتهم بين الاثنين. وهناك تماثل بين المراحل الأربع في التصوف كتاريخ والتصوف كطريق، التصوف الأفقي والتصوف الرأسي. المرحلة الأولى في الطريقتين هي المرحلة الأخلاقية عند رابعة في التاريخ وفي التوبة كطريق. والمرحلة الثانية هي المرحلة النفسية لدى الحلاج في التاريخ وفي الأحوال والمقامات كطريق. والمرحلة الثالثة في التاريخ تعادل المرحلة الثالثة كطريق مرحلة الفلسفة الإلهية عند السهروردي وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين. الأفقي مثل الرأسي ومسار التاريخ مثل مسار الروح. والمرحلة الرابعة الحالية وهي المرحلة الطرقية تقابل علاقة الشيخ بالمريد. والمرحلة الخامسة القادمة، المرحلة الثورية، هي مرحلة تنوير الثقافة الشعبية وحركة الجماهير لتجاوز الاستكانة والهوان لدي جيل ما بعد التحرر من الاستعمار، وانهيار الدول الوطنية الحديثة.

وهي من جديد قضية التاريخ والبنية في «من العقيدة إلى الثورة» وتفضيل البنية أي النسق العقائدي على التاريخ أي الفرق الكلامية[19]. وهي قضية «من النقل إلى الإبداع» وتفضيل الأشكال الأدبية على التاريخ طبقاً للفلاسفة أو العصور أو المذاهب[20]. وهي قضية «من النص إلى الواقع»، وتخصيص الجزء الأول «تكوين النص» لتاريخ البنية، والجزء الثاني «بنية النص»، لبنية التاريخ[21]. فقد عرض علم الكلام نفسه كتاريخ للفرق وكنسق للعقائد. هكذا فعل الأشعري والباقلاني والشهرستاني وابن حزم. كما عرضت الفلسفة نفسها كبنية في موسوعات ابن سينا الأربع وكتاريخ في الدراسات الثانوية. وعرض التصوف نفسه كتاريخ في كتب الطبقات بداية بالسلمي حتى الشعراني وكبنية في «الإحياء» و«الفتوحات».

و«من الفناء إلى البقاء» أيضاً دراسة في الطريق أي في البنية وليس في التاريخ. يعرض التاريخ من خلال البنية، ولا تعرض البنية من خلال التاريخ أسوة

(19) «من العقيدة إلى الثورة»، جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم ص141-227.

(20) «من النقل إلى الإبداع»، مجـ1 النقل جـ1 التدوين، رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، ص40-54.

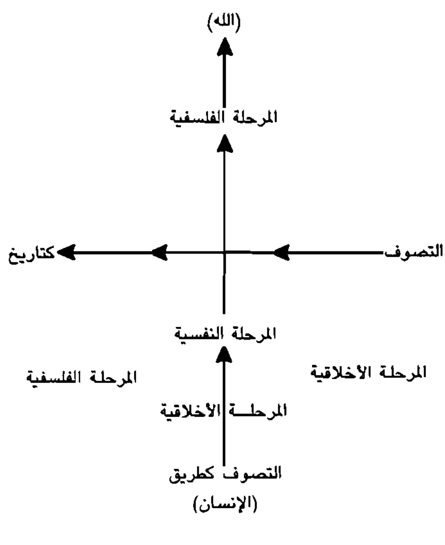
(21) «من النص إلى الواقع»، المقدمة، ثانياً: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ ص24-29.

بالمحاولات الثلاث السابقة، «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع». ومع ذلك يخرج في جزءين. الأول التصوف كتاريخ وعلم. ويضم فصولاً ستة: تشكل الوعي التاريخي، والوعي التاريخي الخالص، والوعي التاريخي الموضوعي، والوعي الموضوعي، والوعي النظري، والوعي العملي، والتصوف كعلم يضم تعريفات التصوف وتصنيفه في تقسيم العلوم وعلوم الذوق، والعلم والعمل. ويضم المراحل السابقة، ويمزجها من التاريخ إلى الموضوع.

والثاني التصوف كطريق وطريقة. ويضم الأول التصوف الخلقي. ويشمل أربعة أبواب. الشريعة إلى الأخلاق، والظاهر إلى الباطن، والأوامر والنواهي إلى الفضائل والرذائل حتى التوحيد الخلقي. والثاني التصوف النفسي الذي يضم المقامات والأحوال ووصف الطريق في الرياضة والمجاهدة ووحدة الشهود. والباب الثالث التصوف النظري الذي يضم المسائل الإلهية مثل الله والإنسان الكامل ووحدة الوجود. والباب الرابع التصوف العملي الذي يتحول فيه التصوف النظري إلى ممارسات عملية وينتقل من الطريق إلى الطريقة إلى آداب الشيخ والمريد. وبالتالي يتطابق التصوف كتاريخ مع التصوف كطريق. التقابل بين التصوف كتاريخ والتصوف كطريق[22]. ويمكن تقسيم مراحل التصوف إلى خمس،

---

(22)



بزيادة المرحلة الطرقية بعد المرحلة الفلسفية، والمرحلة الثورية بعد المرحلة الطرقية. وعيب هذا التقسيم أن الطريقة موجودة منذ البداية في المراحل الثلاث الأولى خاصة المرحلة النفسية الثانية. كما أن المرحلة الإصلاحية بدأت منذ ثورة الفقهاء على الصوفية في الصراع بين التنزيل والتأويل، وعودة الصوفية إلى المشاركة في الحياة العملية، ومناهضة الفساد والتسلط الخارجي والداخلي(23).

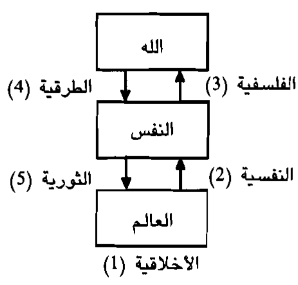
ب ـ **المنهج**: والمنهج المتبع هو تحليل الخبرات الشعورية لمعرفة مدى صدق التجارب التي يحللها الصوفية ومدى تطابقها مع التجارب الإنسانية العامة. فمنهج البحث متفق مع منهج الموضوع المبحوث، تحليل التجارب الحية للباحث وللصوفي. وهو نفس المنهج المتبع من قبل في «من العقيدة إلى الثورة» و«من النص إلى الواقع» و«من النقل إلى الإبداع»(24).

وتنقسم التجارب الإنسانية إلى نوعين: الأول تجارب إنسانية عامة، الإنسان من حيث هو إنسان، لا يتغير بتغير الزمان والمكان، الإنسان الوجودي الذي تصفه فلسفات الوجود. والثاني تجارب إنسانية خاصة مرتبطة بعصر دون عصر تتحكم فيها الظروف السياسية والاجتماعية في كل عصر، وتختلف باختلافها. هي التجارب التي تعبر عن أحوال الأمة ومسارها في التاريخ.

وهو منهج مزدوج يقوم على تحليل النص القرآني وعلى وصف مصالح الأمة حالياً. فالتجربة لها أساس نصي من أعلى، وهو ما تتعامل معه علوم التأويل. ولها

---

(23)



(24) «من العقيدة إلى الثورة» جـ1 المقدمات، النظرية خامساً منهجه ص100-113، «من النقل إلى الإبداع» جـ1 النقل. رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة ص40-54، «من النص إلى الواقع» جـ1 تكوين النص، ثانياً: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ ص24-27.

أساس واقعي حياتي من أسفل، وهو موضوع العلوم الاجتماعية، الاجتماع والسياسة والاقتصاد. وهما الأساسان في إعادة بناء التصوف ونقله من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة، من عصر النشأة الأولى إلى عصر النشأة الثانية.

يعتمد الصوفية على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كمصدر لتحليلاتهم مع تنميط معانيها في اتجاه خاص دون الاتجاه العام، واختيار جزئي لآيات وأحاديث دون أخرى. ويمكن لمجموع الآيات والأحاديث توجيه الموضوع في اتجاه آخر. لذلك تعددت مذاهب التصوف وطرقه. فإذا كان التصوف قد خرج من الكتاب والسنة فإن إرجاع الموضوع اليهما يساعد على إعادة تشكيل الموضوع. تهدف العودة إلى النص الأصلي تخليص ما وقع في النص الصوفي من شوائب وأعلاق تاريخية تحيد بالموضوع الصوفي وتميله إلى جانب دون آخر كما هو الحال في موضوع «الزهد» الذي لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي غير راغبين في شرائه فخفضوا ثمنه. فالذي يحدد السعر هو مدى الحاجة إلى السلعة. وهذه أهمية منهج تحليل المضمون الذي تم الإيغال في استعماله في «من النقل إلى الإبداع»[25].

كما يعتمد الصوفية على تقديرهم لمصالح الأمة في عصرهم. فالعلوم ليست فقط أبنية نظرية بل تهدف إلى تحقيق مصالح عملية. فالكلام دفاع عن التوحيد ضد الثنوية والتثليث والتجسيم والتشبيه. والحكمة دفاع عن وحدة الثقافة، والتعبير عن الموروث بلغة الوافد ضد ازدواجية الثقافة بين متكلمين ومترجمين. وأصول الفقه وضع منهج لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة. وعلم التصوف دفاع عن سلامة القلب ونقاء الضمير، ونوع من المقاومة السلبية ضد تيار البذخ والترف والتكالب على الدنيا والسعي وراء السلطة والثروة. فإذا كان التصوف في نشأته تعبيراً عن نوع من المقاومة السلبية لمظاهر السقوط والانحطاط في الأمة فإنه اليوم يُعاد بناؤه كمقاومة إيجابية بعد أن انتشرت أساليب المقاومة منذ حركات التحرر الوطني في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي حتى حركات المقاومة الآن في أوائل هذا القرن في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير.

---

(25) من النقل إلى الإبداع، مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، رابعاً مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، منهج تحليل المضمون ص45-54.

ومقياس المنفعة والضرر وارد أيضاً عند الصوفية في البحث عن أنفع التواضع، وأنفع الإخلاص، وأنفع الفقر، وأنفع الأعمال، وأنفع الخوف، وأنفع الرجاء، وأنفع العبادات، وأضر المعاصي(26).

ومن ثم، يقرأ النص الصوفي القديم بطريقتين: الأولى عرض النص القديم ثم التساؤل حوله من أجل إعادة النظر في الموقف، والتشكك في حكم القدماء. والثاني الاستدراك بعدة حروف مثل «ومع ذلك»، «إلا أن» أو «واو» العطف. دون استعمال «لكن» لأنها ليست جملة رئيسية.

والنصوص موضوعة في الهوامش حتى لا تكسر اتساق الخطاب وهي نوعان. نوع يؤيد التحليل والثاني منفر حتى يشارك القارئ في النفور منه(27) فهي نصوص موجهة وليست محايدة. تخضع لجدل الإيجاب والسلب.

جـ ـ المادة العلمية: والمادة العلمية هي معظم ما كتبه الصوفية أنفسهم كنصوص مثل الحسن البصري والمحاسبي والترمذي والخراز والحلاج والتستري وابن مسرّة والقشيري والغزالي والسهروردي وابن الفارض وابن عربي وابن سبعين والجيلاني والجيلي والشعراني والرفاعي نثراً أو شعراً وكذلك ما كتبه الصوفية المؤرخون مثل «اللمع» للطوسي (ت378هـ) و «التعرف» للكلاباذي (ت380هـ)، و«قوت القلوب»، لأبي طالب المكي (ت386)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (ت412هـ)، «وحلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ)، و«الرسالة القشيرية» للقشيري (ت465هـ) و«كشف المحجوب» للهجويري (ت465)، و«التشوف إلى رجال التصوف» للتادلي (ت617هـ) حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني (930هـ)، و«طبقات الصوفية» للمناوي (1031هـ)

في التصوف كتاريخ أي في الوعي الموضوعي الأعمال مرتبة ترتيباً زمنياً لمعرفة تطور الوعي الصوفي. وفي التصوف كطريق مرتبة ترتيباً موضوعياً طبقاً

---

(26) أحمد ابن عاصم الأنطاكي، طبقات الصوفية ص138/ 145، أبو تراب النخشبي السابق ص149.

(27) وهو المنهج الذي سميناه في رسالتنا الأولى «مناهج التأويل»، النقل الحضاري La Transposition، انظر Les méthodes d' Exégèse, pp- LXXIX- CLXXIX.

لبنيته لمعرفة ما هو الطريق، بدايته ونهايته، منطلقه وغايته. وقد يكون تعريف متقدم لموضوع ما في المرحلة الخلقية أو النفسية أو الميتافيزيقية أنفع في المرحلة الثورية. وقد يبدو تماهياً باطنياً بين التاريخ والبنية لأن البنية تتكشف في التاريخ، والتاريخ يفرز البنية.

والمادة العلمية المحللة هي أقوال الصوفية المباشرة وليست الحكايات المروية عنهم كما هو الحال في علم الحديث أقوال الرسول وليس الأفعال المروية عنه، ومثل أقوال المتكلمين والفلاسفة. فالمهم النص وليس صاحبه. فما يترسب في الذهن وما يبقى في الموروث الشعبي هو المثل العامي وإن لم يعرف مؤلفه. ولا يهم نسبة القول إلى صاحبه إلا في الهوامش إذا دعت الضرورة وكان مشهوراً وإلا تحولت الدراسة إلى استشراق والتحقق من العمل لمعرفة الصحيح من المنتحل. هناك صوفية لم يتركوا مؤلفات ورائهم بل جُمعت أقوالهم ورويت عنهم أو عن رواتهم مثل رابعة العدوية والبسطامي وذي النون المصري والشبلي ومعظم صوفية القرنين الثاني والثالث الهجري الذين يذكرهم مؤرخو التصوف كالسلمي في «الطبقات» والقشيري في «الرسالة». فقد انشغلوا بالتصوف العملي وهي مرحلة التصوف الخلقي قبل أن يتحول إلى تصوف نظري في القرنين السادس والسابع، مرحلة التصوف الفلسفي.

والمادة العلمية كما هو الحال في باقي العلوم الإسلامية متوافرة وغزيرة. والموجود منها يغني عن المفقود. والمطبوع من كتب التصوف يكفي لإصدار أحكام عليه، والدخول في حوار معه لإعادة بنائه. والمتاح منه أكثر مما نفذ. والمطبوع منه أكثر من المخطوط. والتكرار فيه يغني عما لم يمكن الإطلاع عليه. والتعبير الكمي غير الدال لا يغني عن التحليل الكيفي الدال. ونقل الصوفية عن بعضهم البعض يغني عن المفقود.

وبطبيعة الحال لا يمكن استيعاب كل شيء، وتحليل كل نص. أما النقلات الإبداعية فلا يمكن الاستغناء عنها مثل «الرسالة القشيرية»، «الإحياء» و«الفتوحات»[28]. ومع ذلك تأتي مرحلة يتوقف فيه الكم أن يصبح دالاً على

(28) بدأت الكتاب بحوالي مائتي نص ووصلت حالياً إلى ثلاثمائة. ويمكن أن تزيد بمزيد من تحليل ما تبقى من أعمال.

الكيف. وما هو متوافر حالياً من الأعمال الصوفية يكفي للحكم على التصوف وإلا ظل الباحث إذا ما انتظر اكتمال الكم غير قادر على إصدار أي حكم. فالمتوافر عينة ممثلة. والاستقراء الناقص قادر على إصدار حكم لاستحالة الاستقراء الكامل. وهو ما سماه الشاطبي في «الموافقات» الاستقراء المعنوي[29].

وتستعمل بعض الدراسات الثانوية الأخرى التي جمعت نصوصاً وأقوالاً للصوفية عن بطون الكتب والمراجع بعد أن تناثرت أو ضاعت أو أن الصوفي لم يترك عملاً مدوناً له إلا بعض الأقوال الشفاهية المروية عنه[30].

وكالعادة تم استبعاد الدراسات الثانوية لأنها موضوع دراسة وليست دراسة لموضوع، سواء من المستشرقين أو من الباحثين العرب[31]. ويستثنى ما كان منها قراءة إبداعية كنص صوفي وليس تكراراً له بعبارات شارحة[32]. وكما تم استبعاد الدراسات الاستشراقية في المحاولات السابقة لإعادة بناء العلوم القديمة «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع» فإنه تم استبعادها أيضاً في هذه المحاولة الرابعة «من الفناء إلى البقاء» لأن الاستشراق ليس دراسة لموضوع بل هو موضوع لدراسة. يحتاج إلى مراجعات طويلة للأحكام والتصورات والمناهج المستعملة فيه مما يحتاج إلى جهد شاق ومسح كامل[33]. ويمكن أن يكون ذلك موضوعاً لعديد من الرسائل الجامعية في الجامعات العربية.

---

(29) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص ص 391- 401.

(30) مثال ذلك «رابعة العدوية»، «شطحات الصوفية» لعبد الرحمن بدوي.

(31) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة ص203-227، من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع.

(32) مثال هذه الدراسة: التأويل عند ابن عربي، لنصر حامد أبو زيد، الخيال الخلاق لكوربان، الخيال الخلاق لأوزتسو. من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة ص203-227، من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع

(33) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: خاتمة، المصنفات القديمة ص203-227. من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة سادساً: المصادر والمراجع ص63-76. من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، المقدمة، ثالثاً: أنواع المصنفات 3- الدراسات الثانوية ص36-37.

قد تفيد في القراءة الأولية للإحاطة بالموضوع ولكن لا يمكن الاعتماد على أحكامها ونتائجها. وهي في النهاية نوع من الدراسات الثانوية التي تسودها النزعة العلمية كما تسود الدراسات العربية النزعة الخطابية[34].

د ـ **الأسلوب**: والأسلوب المتبع هو الأسلوب الإنساني المباشر خارج المصطلحات والتحليلات النظرية المعقدة. فالتصوف تجربة إنسانية تعبر عن نفسها ببساطة ووضوح قبل أن تكون تحليلات نظرية خالصة أو شطحات أو إشارات أو رموز. وإذا كانت الغاية إعادة بناء التصوف كثقافة شعبية موروثة من خلال الأفعال العامية من أجل إعادة بناء الثقافة الوطنية فإن ذلك يتحقق بالأسلوب المباشر بعيداً عن الإغراق في التنظير حتى لو تعلق الأمر بالتصوف الفلسفي. فليس العلم هو شكل الخطاب بل مضمون الخطاب.

وقد استعمل الصوفية أنفسهم النثر والشعر للتعبير عن مواجيدهم. كما استعملوا كل فنون الكلام من تصريح وكناية وإشارة ورمز وإيماء وإيحاء خاصة في التصوف النفسي. وكبار الصوفية هم كبار الشعراء، وكبار الشعراء هم كبار الصوفية مثل ابن الفارض.

وهذا لا يعني أي تنازل عن الأسلوب العلمي الدقيق، بل هو السهل الممتنع الذي يجمع بين الدقة والتوجيه، بين التحليل النظري والتوجه العملي. يخاطب الخاصة والعامة في آن واحد. هو نوع من الدراسات الوطنية التي تجمع في نفس الوقت بين هموم العلم والوطن، وهو ما اتبع من قبل في أجزاء مشروع «التراث والتجديد» الثلاثة السابقة.

3 ـ السمات العامة للتصوف

وكما أن لكل علم سماته العامة كذلك للتصوف سماته العامة[35]. قد يشارك في بعضها علم أصول الفقه.

---

(34) التراث والتجديد. ثالثاً: أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية ص75-121.

(35) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، المقدمة. ثانياً السمات والمنهج 1- السمات العامة لعلم أصول الفقه ص18-23.

أ ـ التصوف علم عملي مثل علم أصول الفقه: غايته تحويل الناس من النظر إلى العمل عن طريق الرياضة والمجاهدة. ليس علماً تأملياً أو منطقياً بل هو علم يهدف إلى تغيير سلوك الناس. فالعلوم العقلية النقلية نوعان: علوم نظرية كأصول الدين وعلوم الحكمة، بالرغم من وجود الحكمة العملية ولكنها حكمة عملية نظرية، وعلوم عملية وهي علم أصول الفقه وعلوم التصوف. وهو يعبر عن الموقف القرآني والكوجيتو العملي ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾، ﴿يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

ب ـ وهو علم منهجي مثل علم أصول الفقه: يتحول فيه المنهج إلى منهج حياة. وليس منهجاً عقلياً للاستدلال. وهو منهج صاعد يقوم على التأويل من «أول» أي رجع إلى المصدر الأول، وليس منهجاً نازلاً يقوم على التنزيل كما هو الحال في علم أصول الفقه، استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية. لهذا السبب نشأ صراع بين الفقهاء أنصار التنزيل والصوفية أنصار التأويل. في التصوف الحقيقة في السماء وفي أصول الفقه الحقيقة في الأرض. والطريق إلى الله طريق أفقي صاعد، من الأخلاق إلى النفس إلى الميتافيزيقا، من علم الجوارح إلى علم القلوب إلى علم العقول، من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود.

جـ ـ وهو علم ذوقي: يعتمد على التجربة والمشاهدة العيانية وليس علماً نظرياً استدلالياً كما هو الحال في علوم الحكمة أو علماً استنباطياً استقرائياً كما هو الحال في علم أصول الفقه. الصوفية أهل ذوق في مقابل المتكلمين والحكماء والأصوليين أهل النظر. ويتجلى الذوق في الحدس المباشر، في الكشف والمكاشفة، في العلم اللدني الذي يقذفه الله تعالى في القلب بلا تعب ولا نصب. في حين أن باقي العلوم الإسلامية علوم برهان واستدلال، مقدمات ونتائج. الذوق يقين والنظر شك. هو علم يقيني في مقابل العلوم الإسلامية الظنية حتى ولو كانت علوماً برهانية. الجدل هو علم اليقين. والحكمة عين اليقين. أما التصوف فهو حق اليقين. هو العلم الذي فتح آفاق الشعور والوجدان وتحليل الخبرات الحية وعالم الباطن، الذوق، والقلب، والروح، والخاطر. فالعالم شعوري، والعلم شعوري. الموضوع والمنهج شعوريان. لذلك ارتبط بالأدب خاصة التجربة الشعرية.

د ـ وهو علم باطني يذهب إلى ما وراء الظاهر: الظاهر مجرد علامات أو إشارات على معاني باطنية. لذلك ارتبط التصوف بالنزعات الباطنية كما فعل الغزالي في «المستظهري» أو «فضائح الباطنية» لذلك نقده الفقهاء وأهل الظاهر. دوَّن بعض الصوفية تفاسير صوفية مثل الحلاج والتستري والقشيري وابن عربي وغيرهم. وبجانب التفاسير اللغوية والفقهية والفلسفية والكلامية والتاريخية هناك التفسير الصوفي. فالحقيقة لها ظاهر وباطن. المتكلمون والأصوليون والفقهاء يتعاملون مع الظاهر. والصوفية وحدهم يعكفون على الباطن. وقد أنزل القرآن بنص حديث الرسول على سبعة أحرف. وقد حول الصوفية منطق الاشتباه عند الأصوليين: الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المجمل والمبين، المطلق والمقيد، العام والخاص، للآيات المتشابهة إلى منطق محكم للغة على الإطلاق ثم التحول من اللغة إلى الوجود، من الاشتباه اللغوي إلى الاشتباه الوجودي.

هـ ـ وهو علم حركي لا ثبات له: النفس متحركة، والعالم متحرك، والله كل يوم هو في شأن. ينتقل الصوفي من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال، ومن وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، ومن حرف إلى حرف، من الحرف الأول إلى الحرف السابع. ينتقل من التنزيل إلى التأويل، ومن التأويل إلى التنزيل، من الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج، من الأنا إلى الآخر، ومن الآخر إلى الأنا، من الله إلى العالم في الحلول، ومن العالم إلى الله في الاتحاد. والتوحيد حركة من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، رد فعل على التصور الثابت لله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء عند المتكلمين. والمقامات والأحوال في ارتقاء مستمر، من التوبة إلى الفناء.

و ـ ويبدع التصوف عالماً من صنع الخيال الخلاق بديلاً عن عالم الواقع الذي تم نفيه واستبعاده والتراجع عنه بعد أن أصبح عصياً على الطاعة، لا يمكن تغييره: عالم الخيال ميسور خلقه، يسهل اتّباعه. وهو ليس من صنع الوهم بل هو حقيقة بديلة تصنعها الروح، وينسجها الخيال. هو عالم الأقطاب والأبدال، عالم الأرواح المتألفة، عالم الملأ الأعلى. فالحقائق ليست في عالم الأعيان بل في عالم الأذهان بتعبير الفلاسفة. والحقائق العلوية من وضع الخيال. لذلك امتزجت

التجربة الصوفية بالتجربة الأدبية الإبداعية لفنون القول خاصة الشعر ثم النثر ثم القصة. وقد يكون عالم الخيال أكثر واقعية من عالم الواقع. وقد يكون أكثر تأثيراً من علم الأخلاق.

ز ـ وهو علم إنساني يبدأ من «الإنسان الكامل» الإنسان الأخلاقي، وهو الإنسان المتعين: وينتهي أيضاً «بالإنسان الكامل» وهو الله كما هو الحال عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي الذي طالما غاب في علم أصول الدين لصالح الإنسان الكامل وحده كما تجلى في نظرية الذات والصفات والأفعال والذي انقسم في علوم الحكمة إلى بدن ونفس، بدن في الطبيعيات، ونفس في الإلهيات. فإذا سئل: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ كانت الإجابة بل حضر بوضوح في التصوف[36]. ومن ثم لا تدعي حضارة واحدة فقط مثل الحضارة الأوروبية إنها هي الوحيدة صاحبة النزعة الإنسانية. في حين مثلها التصوف منذ إخوان الصفا حتى ابن عربي: وقد تكون أحد أسباب أزمة حقوق الإنسان في وجداننا المعاصر هو غيابه في التراث القديم وحضوره في التصوف كإنسان إلهي، وفي الأصول عليه واجبات أكثر مما عليه حقوق[37].

4 ـ نشأة التصوف

أ ـ لم ينشأ التصوف من مصدر فارسي أو هندي شرقاً أو يوناني أو مسيحي غرباً نظراً لعيوب منهج الأثر والتأثر[38]. فالثنائيات الفارسية طبيعة بشرية توجد في كل حضارة، في الأخلاق والتصوف. وإذا كان بعض الصوفية من أصل مجوسي فإن غيرهم ليسوا كذلك في مصر والشام والمغرب[39].

---

(36) أبو بكر عبد الله بن شاهاور الرازي: منارات السائرين ومقامات الطائرين، الباب الخامس: في مقام الإنسان. الباب السادس: في مقام الخلافة المختصة بالإنسان، المقام السابع: في مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه ص 229-292.

(37) انظر بحثنا: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ دراسات إسلامية، ص393-415.

(38) التراث والتجديد ص102-110.

(39) هذا هو رأيي تولك Thoulk لأن بعض الصوفية كانوا من المجوس، ويشاركه دوزي Douzy الرأي..

والفقر الهندي والحلول والاتحاد أيضاً في كل حضارة مستقلة عن الأخري. ولا يعني أن بعض الصوفية من أصول هندية أن التصوف هندي. ولا يعني انتشاره في خراسان وتركستان أنه أسيوي، ودراسة البيروني عن الهند دراسة علمية تاريخية حضارية لا تعني تأثر التصوف الإسلامي بالهند. وإبراهيم بن أدهم هذا الأمير الذي تحول إلى صوفي في كل حضارة وليس متأثراً بحياة بوذا. والفناء الصوفي حالة نفسية لا أثر فيها للنرفانا. ورسالة ابن سبعين «الرسالة النورية» التي بها ما يشبه الأذكار الهندية متأخرة للغاية. وما أبعد المغرب عن المشرق(40). والنحل الصوفية مثل نحلة أورفيوس وفيثاغورث موجودة في كل حضارة «واَعرف نفسك بنفسك» لدى كل حكماء الشرق والغرب مع تغيير اتجاهها إلى أعلى مثل «من عرف نفسه فقد عرف ربه». والأفلاطونية المحدثة بها من تصوف الشرق وليست مصدر التصوف. هي معلولة وليست علة(41). والتصوف الفلسفي نهاية التصوف متأخر عن التصوف الأخلاقي بداية التصوف. والتصوف المسيحي يتبع طبيعة النفس البشرية والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية للجماعة المسيحية مثل التصوف الإسلامي تماماً دون أثر أو تأثر. وكان للعرب قبل الإسلام صلات مع كل الديانات والطوائف وليس فقط مع النصارى، والزهد في كل حضارة(42). قد ينجح المستشرق في التعرف على العوامل المادية للظاهرة ولكنه لا يعرف المحمول أي دلالة للظاهرة وما تمثله من قصد حضاري.

ب ـ لم ينشأ التصوف نشأة داخلية من الكتاب والسنة باجتزاء بعض الآيات والأحاديث دون غيرها. وإلا أصبح الكتاب والسنة يمثلان نزعة دنيوية بآيات وأحاديث أخرى مجتزأة من سياقها. وفي كلتا الحالتين يرد الجزء إلى الكل. والتصوف رد فعل على الكلام والفلسفة وأصول الفقه والفقه وليس نابعا منها. والطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية في مجتمعات الفقر والوفرة على حد سواء،

(40) هذا هو رأي هورتن وهارتمان.

(41) هذا هو رأي نيكلسون.

(42) هذا هو رأي فون كريمر Von Krämer وجولد زيهر Goldizieher ونيكلسون Nicholson، وآسين بلاثيوس Asin Palacios وأوليري س leary. وأبو الوفا التفتازاني: المدخل إلى التصوف الإسلامي ص29-40، مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام ص 13-18.

تعويضاً عن الفقر وإشباعاً للروح. وفي القرآن مجاهدة النفس وجهاد العدو على حد سواء، ومقامات مثل الصبر ورفض الصبر ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ على حد سواء، والتوكل والاعتماد على النفس، والرضا والغضب، وأحوال مثل الخوف والحزن ورفضها ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾. والرضا بالتخلف والقعود مذموم ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾. وحياة الرسول بها تأمل وحرب، تهجد ويقظة، روح وجنس، عزلة وصحبة، عبادة ومعاملة، قوة وضعف، كمال إلهي ونقص بشري، حلم وغضب، تسامح وانتقام، رحمة وعدل، شفقة وعداوة، معاشرة واعتكاف، تواضع واعتزاز بالنفس، حياء وصراحة، فلا حياء في الدين، عطاء و تقتير على النفس، ولاية ومسكنة «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، وأحشرني في زمرة المساكين**»، دعاء وفعل.

والصحابة مثله عاشوا حياة الإسلام في كليتها دون إيثار جانب على جانب. وكان الاقتداء في كل شيء في الزواج والحرب، وليس فقط في الحياة الروحية. والحياة الخلقية القائمة على التقوى واليقين والتواضع والمحبة والطهارة والزهد هي حياة خلقية وليست صوفية بالضرورة. ورؤية عمر عن بعد سارية في الشام معروف في علم النفس في تحليل قوى الإدراك. والتمكن قوة ذاتية وليس تدخل إرادة خارجية. ويتفاضل الصحابة في ميزان التعادل بين الحياة الروحية والحياة العملية. والصحابة في عصر ونحن في عصر آخر. والتاريخ يتغير. والتقليد ليس مصدراً من مصادر العلم.

جـ ـ لم ينشأ التصوف نشأة شيعية. فلا فرق بين التصوف السني والتصوف الشيعي. والتميز بينهما ينم عن بقايا طائفية وغربية أو استشراق من آثار التاريخ. كما أنه يهدف إلى رفض التصوف الشيعي الذي تغلب عليه نظريات الاتحاد والحلول دفاعاً عن التصوف السني عند الغزالي من أجل تحرير التصوف خاصة الغزالي للإبقاء على سلطته إبقاء على الوضع القائم، إيديولوجية السلطة للحاكم في «الاقتصاد في الاعتقاد»، وإيديولوجية الطاعة للمحكوم في «إحياء علوم الدين»، وتكفير فرق المعارضة في «المستظهري» أو «فضائح الباطنية»، وأخذ الحكم بالشوكة دون البيعة تبريراً للانقلاب العسكري. ومن الطبيعي أن تكون هناك علاقة بين التصوف والتشيع. فقد نشأ كلاهما كحركة معارضة للحاكم الظالم. التصوف

باسم أهل السنة، والتشيع باسم الإمام الغائب، الأول حركة علنية سنية، والثاني حركة سرية باطنية. وكلاهما حركة صامتة. الأولى في العاجل، والثانية في الآجل. الأولى في الحاضر، والثانية في المستقبل، الأولى في النفس، وهو الجهاد الأكبر، والثانية في الواقع والسياسة والدولة.

د ـ إنما نشأ التصوف كتوجه نحو الآخرة كرد فعل على التكالب على الدنيا، والتقاتل على السلطة، وإراقة الدماء في الصراع السياسي على الخلافة في عصر الفتنة الكبرى. اغتصب الأمويون السلطة. وبايع الناس خوفاً وطمعاً. واستشهد الأئمة من آل البيت وفي مقدمتهم الحسين. واستحالت المقاومة. فآثر فريق العزلة والانشغال بالتجارة الحلال لأنه إذا اقتتل المسلمان فالقاتل والمقتول في النار. القاتل لأنه قاتل، والمقتول لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه، والأعمال بالنيات. وآثر فريق ثالث اعتزال الدنيا برمتها، السياسة والتجارة، السلطة والثروة، والانشغال بإصلاح النفس بعد أن استعصى عليهم تغيير العالم. وحاولوا تطهير النفس من الرغبات والأهواء والدوافع والميول، والشهوات وحب الدنيا. وخلقوا بالخيال عالماً بديلاً من الأقطاب والأبدال يعيشون فيه، مدينة روحية سماوية بدلاً من المدينة المادية الأرضية، مدينة يعيش فيها أهلها في محبة وألفة وسلام، وليست مدن الخلافة والإمارة التي يتقاتل عليها طلاب الدنيا وحب الجاه والمال والثروة. فالتصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج. وهذا الداخل ليس الكتاب والسنة أي النص بل من الواقع الاجتماعي السياسي ورد الفعل عليه.

هـ ـ كما نشأ التصوف كمنهج ذوقي وكرد فعل على العلوم العقلية التي جعلت العقل أساس النقل كالمعتزلة والفلاسفة. صحيح أن الوحي والعقل شيء واحد ولكن بإضافة الحدس والواقع. فالتصوف يعتمد على الكشف والحدس والرؤية المباشرة. ولا يكتفي بعلم اليقين عند المتكلمين، ولا بعين اليقين عند الفلاسفة، بل يذهب إلى حق اليقين. وفي كل حضارة الرومانسية رد فعل طبيعي على «الكلاسيكية». أو الوجدانية و العاطفية رد طبيعي على العقلانية أو الصورية.

ز ـ نشأ التصوف أيضاً كرد فعل على ثنائيات المتكلمين والفلاسفة وتقسيمات الأصوليين وتفريعاتهم. فقد وقع المتكلمون والفلاسفة باسم الدفاع عن التوحيد في ثنائية حادة: الخالق والمخلوق، الواحد والكثير، العلة والمعلول، الجوهر

والعرض، القديم والحديث، الواجب والممكن التي تفصل بين الله والعالم. فحدث رد فعل عند الصوفية لرد الاعتبار للتوحيد في الحلول أو الاتحاد، وحدة الشهود أو وحدة الوجود بين الله والعالم، وبين الله والإنسان. الثنائية الأولى ظاهر، والتوحيد الثاني باطن.

الباب الأول

الوعي التاريخي

أولاً: تشكل الوعي التاريخي:

التصوف كتاريخ هو تاريخ الوعي الصوفي. ليس المقصود بالتصوف كتاريخ تاريخ التصوف، بل وصف الوعي الصوفي الذي يبدو من خلال تاريخ التصوف[1]. ويتم ذلك عن طريق رصد الأعمال الصوفية تاريخياً، مرتبة ترتيباً زمانياً حتى يظهر من خلالها مسار الوعي الصوفي. وهو البديل عن الأبواب والفصول الأولى المعتادة في كتب الفكر عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظهر فيها. وقد تكررت هذه العادة بحيث أصبحت مجرد مادة تاريخية لا صلة لها بالفكر موضوع البحث، مجرد استيفاء لشروط البحث العلمي. فالنص مكتف بذاته، تاريخاً وبنية، واقعاً وفكراً. النص يحمل التاريخ في ثناياه، بعباراته الدالة على العصر مثل «زماننا»، «عصرنا». التاريخ داخل النص وليس خارجه. والنص عاكس للتاريخ وليس منفصلاً عنه. النص ذات وموضوع، من المؤلف ومن عصره. النص حامل للتاريخ لأن المؤلف في التاريخ. فلا إبداع إلا في زمان ومكان. ولا تأليف إلا في عصر. وهذا هو الذي يبرر استعمال لفظ «الوعي» بدلاً من التصوف في «الوعي التاريخي» و«الوعي التاريخي الموضوعي» و«الوعي الموضوعي» و«الوعي النظري» و«الوعي العملي». أما «الوعي العلمي» فيعني حصيلة تطور الوعي الصوفي في وضع التصوف كعلم داخل نسق العلوم، علوم الذوق في مقابل علوم النظر، علم الكشف في مقابل علوم الاستدلال.

---

(1) وهذا ما فعل هيجل في «ظاهريات الروح» عندما وصف تطور الوعي الأوروبي من خلال حقبات تاريخه اليوناني والوسيط والحديث.

هناك أعمال صوفية سابقة على تجلي الوعي التاريخي. وتعتبر من عناصره أو مكوناته التي بلغ تراكمها حداً يسمح بظهور الوعي التاريخي وتسمى أيضاً ما قبل الوعي التاريخي أي أعمال الصوفية الأوائل التي ساهمت في ظهور الوعي التاريخي. وقد ظهرت هذه الأعمال في القرون الثلاثة الهجرية الأولى. ومن الصوفية الذين ساهموا في بلورة الوعي التاريخي من القرن الثاني حتى القرن الرابع ولم يتركوا أعمالاً رابعة العدوية (185هـ). ومن أبرزهم وأقلهم إنتاجاً الحسن البصري (110هـ)، جعفر الصادق (148هـ). ونموذجها في التصوف الخلقي وغزارة الإنتاج المحاسبي (243هـ)[1]. ولم يترك الجنيد (277هـ) إلا أعمالاً صغيرة متناثرة، وأبو سعيد الخراز (286هـ) في كتاب الصدق أو الطريق السالم (الطريق إلى الله). ثم يأتي الترمذي (270هـ) بغزارة مؤلفاته مثل المحاسبي[2]. ثم يأتي الصقلي المالكي(380هـ) في «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار».

وقد ساهم فيه الفقهاء أيضاً مثل أحمد بن حنبل (240هـ) في «كتاب الزهد»، وابن أبي الدنيا (281هـ) في «كتاب الشكر» و«الصمت وحفظ اللسان» وأبي عاصم (282هـ) في «كتاب الزهد».

1 ـ الوعي التاريخي الغيبي (التنبؤ بالمستقبل وتفسير الأحلام)

هو أول مكوّن للوعي الصوفي بكتابات خيالية منتحلة أو غيبية أو باطنية. أصحابها من أوائل الصوفية. ولهم عدة كتب أهمها:

أ ـ كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3]

وهو من المنتحلات المنسوبة إلى علي بن أبي طالب لا يتفق مع وصاياه ومواعظه في كتاب «الحجة البالغة» المنسوب إليه أيضاً. وعلم الجفر هو علم قراءة

---

(1) وله «مبدأ من أناب إلى الله» (التوبة)، «التوهم»، «البعث والنشور»، «رسالة في التصوف»، «رسالة المسترشدين»، «شرف العقل وماهيتة»، «الوصايا» (النصائح الدينية والنفحات القدسية)، «القصد والرجوع إلى الله»، «فهم الصلاة»، «المسائل في أعمال القلوب والجوارح» «الرعاية لحقوق الله».

(2) أهم مؤلفات الترمذي: كتاب الرياضة، أدب النفس، غور الأمور، ختم الأولياء.

(3) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1971م-1391هـ.

المستقبل، ورؤية الطالع عن طريق الحروف[1]. ويمكن الاستدلال على الحاضر بالماضي، وعلى المستقبل بالحاضر، والتبشير بوقوع الحوادث[2]. فهو على جريان الحوادث في التاريخ. ويمكن معرفة مساره من التقابل بينها وبين عالم الحروف والأفلاك. وهو أحد أشكال الوعي التاريخي. ومؤسسه علي وبنوه تقديراً لعلي مما يدل على ارتباط تشكل الوعي التاريخي وعلم الجفر والحدثان بالشيعة من علي حتى جعفر الصادق. والبعض يرجعه إلى الوافد اليوناني أفلاطون. وعلي هو مؤسس علم الكلام في جدله مع الخصوم، وعلم أصول الفقه في قدرته على التشريع واستنباط الأحكام، وعلوم الحكمة التي فيها فلسفة التاريخ وقراءة المستقبل وعلم الحروف وعلم الطوالع وعلم النجوم. وهو أيضاً موضوع التصوف النظري.

والجفر جلد البعير المرقوم بالحروف المكنوز فيها حوادث المتقدمين والمتأخرين. وقد يعني مفتاح الروح والقلم والحكمة. وقد يعني في علم الحروف القضاء والقدر، وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أهل الملاحم سر حوادث الدهور[3]. ويعتمد الكتاب على مقتطفات تدل عليها العلامة «أهـ»[4]. وهو في الحقيقة منتحل على «علي» بالرغم مما يوحى به من حادثة وقعت بين علي بن موسى والمأمون والعهد الذي أعطاه له[5]. وهو أقرب إلى التأليف المتأخر عندما تحول التصوف إلى علم البروج عند البوني (622هـ) في «منبع أصول الحكمة» و «شمس المعارف»[6].

---

(1) «علم الجفر علم بقوانين حرفية يصل بها إلى استنباط المجهولات من الحوادث الكونية موضوعة الحروف المنجمة في صحائف الجفر الجامع والنور اللامع ليعسوب المؤمنين وما لهم من الحوض المعين علي بن أبي طالب... قد ذكر فيه على طريقة علم الحروف والحوادث، تحدث إلى انقراض العالم. وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونه ويحكمون به. . .»، الجفر الجامع ص3.

(2) «اعلم أن الجفر الجامع يمكن أن يفهم منه أحوال الإنسان الماضي والحال والمستقبل أو كيفية الحادثة بهذه الطريقة»، السابق ص3.

(3) السابق ص4.

(4) السابق ص5.

(5) السابق ص3/ 26.

(6) انظر فيما بعد الباب الثاني: الوعي النظري سادساً: تناثر البنية.

وهو مقسم إلى خمس «جواهر» وخاتمة. واللفظ نفسه «جوهرة» إشراقي. الأولى تصف الكتاب على نحو سحري: عدد أبوابه وفصوله وصفحاته وسطوره وأبياته وحروفه وجداوله الهندسية ورسومه التوضيحية الأبجدية والقدرة على قراءتها والاستنباط منها. وهو ترتيب وضعه آدم[1]. والجوهرة الثانية كيفية تعليم الرسوم. والثالثة طريقة استخراج أي سؤال منها في أي وقت وفي أي مكان. والرابعة الطريق الثاني وهي المداخل المختلفة للكتاب، المدخل الكبير ومدخل النقط ومدخل الحروف (الأهطمي والأبجدي). والخامسة التنبؤ بوقوع الحوادث وأحوال الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل عن طريق الحروف «الملفوظية» و«المكتوبية» و«السردرية». وينتهي الوصف بآية قرآنية واحدة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. وفي الخاتمة جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى أيام ومنازل في خمسة جداول مع البروج والكواكب والأعداد والأيام. وآخر فقرة عن كشف الغطاء عن هذا العلم السري حتى لا يعرفه أهل الكفر. ولمزيد من إخفائه حرمه أهله[2].

والسؤال هو : كيف يمكن الانتقال من المجرد إلى العياني، من الحروف والأعداد والرسوم إلى الوقائع والحوادث والأحوال؟ أين إرادة الله أو إرادة الإنسان بصرف النظر عن التوحيد أو التميز بينهما؟ أين اللاحتمية في الطبيعة إذا كان كل شيء مقرراً سلفاً ويمكن للإنسان معرفته وليس تغييره؟ والإيمان بالقضاء والقدر أحد عقائد الكلام والتصوف والحكمة والثقافة الشعبية. والعلم نفسه «علم الجفر والحدثان» له رصيده في تاريخ الأديان في كل الملل[3].

والدليل على انتحالها في عصر متأخر ثم نسبها إلى علي أنها من نفس نوع الرسالة الثانية المجهولة المؤلف، تنتسب إلى الحكمة اليمنية[4]. وقد كتبت بعد

(1) الجفر الجامع ص5-13.

(2) «فقد كشفت لك الغطاء. وإن زدنا على ذلك فربما يقف على هذا العلم أراذيل القوم. وقد قرر علماء هذا الفن عدم الجواز في كشفه بل قالوا إنه حرام. وساحة هذا العلم واسعة الفضا لا يسلك فيها إلا بالأخماس والأسداس. إنما الفوز فيه بالمطالب بنجائب الأنس والاستئناس»، السابق ص 13.

(3) ويسمى علم الأعداد La Numerique في اليهودية والمسيحية.

(4) «وهذه رسالة من الشعرة اليمانية»، الجفر الجامع ص14-35.

القرن التاسع الهجري لأنها تشير إلى فائدة عن الشيخ زروق الذي توفي عام 899هـ. وموضوعها علوم النجوم والطوالع والبروج والطبائع مجموعة من أقوال هرمس الحكيم. فهي إلى الوافد أقرب. كما أن الرسالة المنسوبة إلى علي مجموعة من أقوال أفلاطون جمعا بين الوافد والموروث لجمع الحكمتين، أمل الفلاسفة مثل ناصر خسرو. ومادتها نفس الرسالة الأولى مع مزيد من التفصيل والتقسيم إلى فصول، فيما يتعلق بالسنة العربية في دخولها بأول الأسبوع أو دخول السنين بالأيام، وكسوف الشمس وخسوف القمر في الأشهر الرومية. وتدخل الأنواء أو بتعبير القدماء الآثار العلوية مثل ظهور البرق والرعد والمطر في نيسان. ومن البروج يمكن استنباط الحوادث ومن دلائل الأسبوع في السادس من طوبة يمكن معرفة الحوادث في العالم في مستقبل الزمان. ويساعد هذا العلم على معرفة الأيام المنحوسة في السنة وساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر، ومعرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، ومعرفة الأيام وخدامها والمدبرون أمرها[(1)]. ويساعد أيضاً على معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، وعلامات الحياة والممات، وسعة الرزق والبيع والشراء، وكيفية استحضار المندل والتوافق بين الزوجين، ورؤية الأهلة. ويُرسم خاتم يوضع في وسطه قطرة حبر أو زيت![(2)].

وقد وقع الانتحال في التصوف كما وقع في الفلسفة والكلام وأقله في أصول الفقه. ويتميز الانتحال بالخرافات والأوهام والخزعبلات مثل كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» المنسوب إلى علي بن أبي طالب[(3)]. وعلى هو باب العلم. تنتسب إليه الأخلاق والكلام والفقه والتصوف كما نسب إليه «نهج البلاغة». وعلم الجفر هو العلم بالقوانين التي يستنبط منها المجهول من الحوادث الكونية الموضوعة في الحروف. وهو أقرب إلى التعرف على قوانين التاريخ «علم الجفر والحدثان».

---

(1) وهم الملائكة حندس و نيكل و برقيل و نهش و سحردل و تنهش و حنكوش و حراش و شمهورش و ميمون و طمطمان و قرياش وطقطوش وصلصائيل... إلخ، الجفر الجامع ص30-31.

(2) السابق ص 34.

(3) السابق ص3-13.

تفهم منه أحوال الإنسان، الماضي والحاضر والمستقبل وكيفية وقوع الحوادث[1]. والجفر لغوياً هو جلد البعير ويقرأ بكسر الجيم وهي قراءة جعفر الصادق. وبه مفتاح العلوم. ويعني اصطلاحاً القضاء والقدر. وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أصحاب الملاحم سر حوادث الدهور.

ويجمع بين الموروث والوافد، الموروث من علي بن أبي طالب وجعفر الصادق، والوافد من أفلاطون. يجمع بين الحروف من الموروث والأعداد من الوافد[2]. ينتقل من المجرد إلى العياني، ومن الحرف إلى الشيء، في حرية مطلقة دون تدخل الإرادة الإلهية أو الإرادة الإنسانية[3]. تقسم الحروف الأبجدية والهجائية إلى الأيام والمنازل أي إلى قسمة زمان الأفلاك. وهو علم سري لا يجوز البوح به لمن ليس أهله.

ومن نفس النوع «رسالة من الشعرة اليمانية»، إحالة إلى شعرة الرسول وموطنه[4]. وهي رسالة في علوم النجوم والطوالع والبروج والطبائع[5]. والغرض التأثير في الأحداث بالوسائل السحرية تعبيرا عن العجز عن الفعل. ويختلط بالطب الشعبي في البيئة الزراعية مع الاستعانة بالكواكب.

ومن نفس النوع «رسالة لطيفة في معرفة الحوادث في مستقبل الزمان» تدخل فيها الأحجبة للشيخ زروق. وكلها فوائد عملية لجلب الخير ودفع الشر. «فالحذر ثم الحذر من تعاطي شيئاً من الأمور». وهي مجموعة من أقوال هرمس الحكيم يختلط فيها الوافد الأسطوري بالموروث الخرافي[6]. فالخير والشر لم يعد في

(1) تعريف الجفر الجامع والنور اللامع، وضع كتاب الجفر الجامع، طريقاً لاستخراج من علم الجفر أي سؤال كان في أي وقت كان في أي مكان كان، في الطريق الثاني، جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى الأيام والمنازل، السابق ص5-12.

(2) السابق ص5. تذكر آية قرآنية واحدة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأفلاطون مرة واحدة.

(3) السابق ص7-13.

(4) السابق ص14-23.

(5) وتتضمن: السنة العربية في دخولها بأيام الأسبوع، معرفة دخول السنين والأيام، كسوف الشمس في الأشهر الرومية، خسوف القمر في السنة الرومية، ظهور البرق، ظهور الرعد والمطر في نيسان، دلائل الأسبوع في سادس طوبة على الحوادث في العالم.

(6) السابق ص23-35. فائدة من الشيخ زروق، فائدة في معرفة الأيام المنحوسة في السنة، =

قدرة الإنسان ولا مرهوناً بإرادة الله بل بأيام الأسبوع ولياليها. ولم يعد الإنسان قادراً على التأثير في الحوادث والسيطرة عليها أو التنبؤ بها في المستقبل إلا من خلال الأحجبة التي يكتبها المشايخ والاستعانة بالأفلاك والطوالع والبروج. وهو ما ترسب في الثقافة الشعبية[1]. وقد تدخل فيها الإسرائيليات نظرا لظهور بعض شخصيات صوتية عبرية صلصائيل، وسمسمائيل، وعنيائيل، وكسفائيل. وتذكر بعض الآيات القرآنية لكتابة الحجاب للتأييد مع بعض الدعوات[2].

والسؤال هو: هل العجز عن الفعل في الدنيا دافع إلى الهروب منها إلى عالم آخر هو عالم السحر والخرافة؟ هل البعد عن الأرض قرب من السماء؟ هل العجز عن التأثير في الأحداث يستدعي التأثير عليها بالحروف والأعداد والبروج والطوالع؟

ب ـ مؤلفات ابن سيرين (110هـ)

1 ـ «منتخب الكلام في تفسير الأحلام»، (تفسير الأحلام الكبير)[3]: وكما تشكل الوعي التاريخي خارج الزمان في الأعداد والحروف والبروج والطوالع فإنه

= في معرفة ساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر يوم الأحد وليلة الخميس، يوم الاثنين وليلة الجمعة، يوم الثلاثاء وليلة السبت، يوم الأربعاء وليلة الأحد، يوم الخميس وليلة الاثنين، يوم الجمعة وليلة الثلاثاء، يوم السبت وليلة الأربعاء، في معرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، في معرفة الأيام، وخدامها والمدبرون أمرها، في معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، علامات الحياة والممات. فالأول يرجى وإن عاش كان ملكاً أو أميراً كبير القوم، فائدة أو قياس الأثر، فائدة لسعة الرزق والبيع والشراء، في معرفة استحضار المندل وخدامها الروحانية، معرفة موافقة الزوجين، معرفة ما ينظر إليه عند رؤية الأهلة..

(1) أعوان في العلاج والمندل (الملك حندس) و(نيكل)، في الأعمال الملك (برقيل) الطواف و(دنهش) وسمردل الطيار و(تنهش)...، وأعوان الملك حنكوش وحراش ومجملس ومدحرج الطويل... وخادمه شمهورش وأعوانه ميمون الحرناوي وطمطمان الهادي وقرياش...، وأعوان بليس ودرويس... وخادمه ميمون أبا نوج وأعوانه الأدهم وذوبعة وطقطوش والقبرسم...، السابق ص30-31.

(2) وذلك مثل ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ والمعوذتان والفاتحة والتكوير والحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ للشفاء، السابق ص32-33.

(3) مكتبة صبيح، القاهرة 1963م-1382هـ.

تشكل أيضاً في الأحلام أي القدرة على معرفة المستقبل بقراءة الرؤيا وتفسيرها. وهو ما فعله التابعي محمد بن سيرين في «تفسير الأحلام الكبير» ثم لخصه في «تعبير الرؤيا». فالتلخيص سابق على الشرح تاريخياً.

والحقيقة أن الكتاب منسوب إلى ابن سيرين. كتب في فترة متأخرة بعد الشافعي (204هـ) لأنه يشير إليه وابن سيرين توفي في 110هـ. جمعه أبو سعيد ووضع مادته في صيغة سؤال وجواب(1). ولا يعقل أن يشير ابن سيرين إلى نفسه. وتروى عنه حكايات لا يرويها هو عن نفسه(2).

والمقدمة نظرية خالصة تفرق بين الرؤيا والحلم. الأولى من الله، والثانية من الشيطان. وكلاهما من الواقع وحمل همومه والانشغال بها. وهو موضوع موجود في كل الثقافات(3). وهي حكايات أقرب إلى «ألف ليلة وليلة» وما بها من عجائب ويرتبط بالطب النبوي وبعلم النجوم. ولا يُحال إلى الوافد ويبدو أنه تم تأليفه قبل ترجمة كتاب تعبير الرؤيا لأرطيمدروس. ومع ذلك يُشار إلى الاسكندر(4).

يتكون من تسع وخمسين باباً بعد مقدمة نظرية. ويمكن تجميعها في عشرة مجموعات. الأولى تأويل رؤيا الإنسان بين يدي ربه ورؤيا الأنبياء والمرسلين، والرسول والملائكة والصحابة والتابعين، وهي الرؤيا الدينية. والثانية رؤيا التأويل. تأويل القرآن والإسلام والسلام والمصافحة والطهارة والآذان والصلاة والمسجد والزكاة والصوم والحج والجهاد وهي تأويل شعائر الدين، والذهاب من الظاهر إلى الباطن. والثالثة تضم الأخرويات رؤيا الموت والقيامة والحساب وجهنم والجنة والجن والشياطين وكل ما يتعلق بالحياة بعد الموت. والرابعة رؤيا الإنسان، الشيخ والشاب والعجوز والأطفال والنساء، والإنسان وأعضائه، وما يخرج من الإنسان،

---

(1) تفسير الأحلام ص 18/ 115/ 372.

(2) السابق ص 3-17.

(3) لأرطيمدروس «كتاب تفسير الرؤيا»، ولشيشرون «التنبؤ بالغيب». وقد أخذه توفيق الطويل موضوعاً لرسالة الماجستير «التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام».

(4) تفسير الأحلام ص 147.

والأمراض والأطعمة والأشربة، والملابس والفرش والأثاث، والنوم والبلايا والنكاح والسفر وأنواع المعاملات، والمنازعات والمخاصمات. والخامسة رؤيا الحيوان والخيل والدواب والوحش والسباع والطيور الوحشية والهوام وأدوات الصيد ودلالاتها الإنسانية. والسادسة رؤيا السلاطين والملوك، والحرب والصناع والركاب والفرسان وكل ما يتعلق بمظاهر الدولة. وهو موضوع السياسة. والسابعة رؤيا الأرض والسماء والبحر والذهب والفضة والنار والأشجار والحبوب والزرع وهي الرؤيا الطبيعية. والثامنة رؤيا القلم والدواة والمداد والنقش، وهي رؤيا العلماء. والتاسعة رؤيا الأضداد كالصعود والهبوط والبخل والإنفاق والحركة والسكون، وأشياء لا يُشاكل بعضها بعضاً وهي رؤيا الحركة. والعاشرة حكايات عن رؤى بعض الصالحين، وهنا يرتبط الموضوع بالصوفية وبذكر أعلام الصوفية[1]. والكرامة جزء من التأويل إذا كان الحلم من معجزات وخوارق للعادات. ويظل يغلب على الموضوعات الدين والجنس والسياسة وهي المحرمات أو المقدسات الثلاثة في الذهن الشعبي.

والرسول هو مؤسس علم الرؤيا بتأويل رؤيا أبي بكر وتأويل جبريل رؤياه[2]. ويُستعمل القرآن كأحجبة وتعاويذ[3]. تكثر في البداية وتقل في النهاية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. وهل يمكن الاستشهاد بالآيات والأحاديث على تفسير الأحلام؟. التجربة الشعرية مصداق للتجربة القرآنية والنبوية. ويذكر السند مع المتن نظراً لأن العصر سابق على تدوين الحديث، وقريب عهد بعلم الرجال. ويُرى النبي في المنام كعادة المتصوفة[5].

ويقوم التأويل على المطابقة والمشابهة. كل ما يُرى في الحلم له شيء مطابق في الواقع سيحدث في المستقبل. والمشابهة رمزية مثل الحديد للبأس والقوة، والشجرة أو الخنجر لعضو الذكر، والتفاحة لعضو الأنثى... الخ. ولا

(1) السابق ص67.
(2) السابق ص 38-41/ 304.
(3) السابق ص 131.
(4) الآيات(265)، الأحاديث(51)، الأشعار(32)، القدسية(1).
(5) السابق ص 410.

يعبر عن مكبوت نفسي كما هو الحال في التحليل النفسي الغربي الحديث. ويذكر امرؤ القيس[1].

وتكشف معظمها عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبيئة العربية. وكثير منها يشير إلى أحداث سياسية كالسلاطين والخوارج. ومنها أحداث مأساوية مثل مقتل الحسين، ومذابح الحجاج ومظاهر القهر السياسي. ويحال إلى اللغة الفارسية مما يدل على المكون الفارسي في تفسير الأحلام[2].

ويعتمد على أقوال بعض الصوفية مما يدل على بداية التراكم التاريخي[3]. كما يتناول بعض تعريفات التصوف مثل التوكل وقصر الأمل[4]. كما يعتمد على الإسرائيليات وقصص الانبياء، سليمان ومريم[5]. وهناك إحالات مستمرة إلى اليهود والنصارى وأهل الذمة[6]. وتقتبس بعض الآيات من الكتب المقدسة.

2 ـ **كتاب تعبير الرؤيا:**[7] وهو اختصار لتفسير الأحلام الكبير. ولا يُعرف ما الدافع إلى الاختصار وكيف تم ومن الذي قام به؟ فقد انخفض عدد الأبواب من تسع وخمسين إلى خمس وعشرين أي أقل من النصف. قلت فيه الأدلة النقلية والأمثلة وتفصيلات الموضوعات.

وكما لم يكتب ابن سيرين «تفسير الأحلام الكبير» لم يكتب ملخصه «تعبير الرؤيا» لأنه يشير إلى نفسه كموضوع، ويذكر صوفية عاشوا بعده مثل سعيد بن المسيب وجعفر الصادق والشافعي وأبو حنيفة. كما يشير إلى بعض الطرق الصوفية

(1) مثل: بشر بن الحارث، الطرطوسي، الحسن البصري، سفيان الثوري، الكرماني، السهروردي، التستري، جعفر الصادق، الحسن بن علي، الباهلي.
(2) السابق ص25/ 311.
(3) السابق ص26/ 280.
(4) السابق ص 411.
(5) السابق ص 2/ 49/ 179.
(6) السابق ص 187/ 330/ 382/ 384.
(7) الشيخ محمد بن سيرين (رحمه الله ونفعنا بعلومه. آمين): كتاب تعبير الرؤيا، مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت) وهي طبعة مختصرة لكتاب «تفسير الأحلام الكبير»، (الإمام الهمام محمد بن سيرين نفعنا الله به. آمين)، صبيح القاهرة 1382هـ-1963م.

المتأخرة مثل القادرية. ويشير إلى بعض الأمراء مثل المنصور، وعبد الملك بن مروان، ومروان ابن عبد الملك. ويظهر أعلام الصوفية مما يدل على تشكل الوعي التاريخي[1].

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويتحول القرآن إلى أحجبة وتعاويذ. وهي نفس الموضوعات العشر في «تفسير الأحلام الكبير»: الطبيعيات مثل الملائكة والأنبياء السابقين والجنة والنار والموت. والموضوعات الطبيعية مثل السماء والشمس والقمر والنجوم والرعد والبرق والأمطار والمياه والبحار، والجبال والأبنية والأشجار والثمار والحبوب. والموضوعات الإنسانية مثل الشراب والنساء والنكاح واللباس والجواهر والحلي والأواني والحرف والصناعات والملاهي. وتبرز موضوعات الحيوان كالإبل والبقر والغنم والماعز والخيل والفيل والسبع، مع موضوعات الهوام والحياة والعقارب وحيوان الماء والسمك والطيور. ثم يظهر تأويل بعض سور القرآن التي تتحول إلى أدعية وأحجبة لقضاء الحاجات[3]. وكل ذلك يتم في إطار نسبية المعرفة «الله أعلم».

ويمكن اعتبار كتاب «تعبير الرؤيا» أول كتاب في التأويل ولكن تأويل الأحلام، وقد يحتار مصنفو النصوص أين يصنفونه وفي أي علم؟ في علم النفس وهو جزء من علوم الحكمة أم علوم التصوف في الرؤيا أو في الكلام في النبوة أو في علوم التفسير؟ والحقيقة أنه أدخل في التصوف باب التأويل في الفلسفة الإلهية في المرحلة الثالثة بالرغم من امتداد جذوره في المرحلة الثانية، المرحلة النفسية، في تأويل الشطحات. وهي مجموعة من الروايات المنقولة وليست الموضوعات المدروسة. وقد تدخل فيها الإسرائيليات. يعتمد على الموروث وحده، القرآن والحديث[4]. ويضاف الشعر إلى القرآن[5]. تغلب عليه السطحية والمباشرة في

(1) مثل: جعفر الصادق، سعيد بن المسيب. ومن الفقهاء الشافعي، أبو حنيفة. ومن الطرق الصوفية القادرية.

(2) الآيات (23)، الأحاديث(4)، الشعر(1).

(3) تعبير الرؤيا ص 58-62.

(4) يشمل المختصر 22 آية.

(5) كتاب تعبير الرؤيا ص58.

الرمزية ولكنه أصيل خاصة في هذا العصر المبكر[1]. وتنقسم الرؤيا طبقاً لعدة مجالات[2].

2 ـ الوعي التاريخي التفسيري

ويعني مساهمة اللغة في تشكل الوعي التاريخي عن طريق علم التفسير. فالتفسير التقليدي هو معرفة بالواقع التاريخي، وعلم بأخبار السابقين. وقد بدأ التفسير الصوفي مبكراً مثل «تفسير جعفر الصادق وتفسير القرآن العظيم» للتستري(293هـ)».

أ ـ «تفسير جعفر الصادق» (148هـ)[3]: شارك التفسير مثل الفقه في تشكيل الوعي التاريخي الصوفي. وهو ليس تفسيراً طولياً، سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة حتى الناس بل هو تفسير عرضي. وهو التفسير الموضوعي الذي تعطى فيه الأولوية للبنية على التاريخ، وللموضوع الكلي في كل الآيات على تناوله الجزئي المقتطع في عديد من الآيات. تقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، والألفاظ إلى حروف، ثم من الحرف إلى النبي، ومن اللغة إلى الله. فاللغة إشارة إلى مشار إليه. بل إن سورة الفاتحة التي تفسر كلية تقطع آياتها إلى ألف بل وإلى حروف كما يفعل الصوفية المتأخرون خاصة ابن عربي[4]. والآيات منتقاة مما يسمح بالتأويل الباطني مثل القصص إبراهيم وموسى ويوسف. وهي ليست مرتبة ترتيباً تاريخياً بل هي منتقاة طبقاً للموضوع والقرآن نفسه ليس مرتباً ترتيباً تاريخياً.

هو تفسير إشاري رمزي تأويلي. يترك الظاهر إلى الباطن، وينتقل من التنزيل

---

(1) أ- رؤية الجنة، والملائكة والأنبياء والصالحين والعلماء والكعبة والآذان والصلاة والحج.
ب- رؤية السماء والشمس والقمر والنجوم والقيامة والجنة والنار، والأمطار والرعد والبرق ومياه الآبار والبحار والسواقي والطين والوصل وأنهار السفن.

(2) أ- رؤية الموضوعات الدينية، ب- رؤية الموضوعات الطبيعية، جـ- رؤية الأشجار والحيوان والأشربة والخيل والبغال والوحوش والهوام، د- تأويل النساء والرجال والنكاح والحمل والولادة، هـ- رؤية الرقي، و- الكسوة واللباس، الجواهر والحلي والأواني، ز- رؤيا السلاح، ح- تأويل الحرف والصناعات والملاهي.

(3) Beyrouth, Imprémerie Catholique,1968.

(4) السابق ص 188-190.

إلى التأويل، ومن الخارج إلى الداخل، ومن النظر إلى الذوق، ومن الشيء إلى الوجدان، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الكون إلى الإنسان. الغاية عملية وليست نظرية، وهي طهارة القلب. يستعمل لغة النور. وتظهر موضوعات التصوف مثل المقامات والأحوال، وبداية الانعراج كرد فعل على السقوط، والصعود إلى أعلى كرد فعل على الانحدار إلى أسفل. وتبدأ القبة السماوية في الظهور، الوجود الواحد، غطاء كل شيء، وحدة كل شيء في كل شيء، في تفسير الصفات الإلهية. وهو منقول عن «حقائق التفسير» للسلمي الذي يشهد له بأنه أول من عبر عن خطابه بلسان أهل الحقيقة مع أبي العباس بن عطاء[1]. يقوم التفسير على نظرية في المطابقة أي إيجاد الموضوع الذي تشير إليه الآية. وهو موضوع شعوري، وتجربة حياتية أي تاريخ ذاتي. كان الصوفية من أوائل الذين وضعوا قواعد التفسير الباطني عند جعفر الصادق (148هـ)، والتستري(319هـ) في «تفسير القرآن العظيم»، والقشيري (465هـ) في «لطائف الإشارات» قبل كبار المفسرين المؤرخين كالطبري وابن كثير. فكانوا من أوائل الذين أحالوا النص القرآني ليس إلى حوادث التاريخ بل إلى التجارب الشعورية والمواقف الإنسانية.

ومع ذلك، هو تفسير بالمأثور، تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث[2]. وفي الحديث يقترن السند بالمتن، فجمعه وتدوينه لم يكن قد بدأ بعد. ويغيب الشعر. فقد ورثه القرآن واستولى على الوجدان العربي قبل أن يعود الشعر من جديد ليعبر عن الوجدان العربي في القرون المتأخرة، ويصبح أداة لتدوين العلوم التي وقعت في الصورية والتجريد.

والمقدمة النظرية تضع بذور منهج للتفسير الباطني. إذ يقوم الكتاب على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. لذلك سمى القشيري تفسيره فيما بعد «لطائف الإشارات». العبارة للعوام، والإشارة للخواص،

---

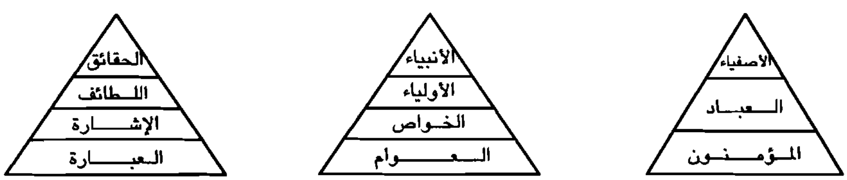
(1) «ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة نسبت إلى أبي العباس بن عطاء وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما على غير ترتيب»، السابق ص 188.

(2) الآيات (415)، الأحاديث (3).

واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء[1].

كما تظهر القسمة والعدد والإحصاء طبقاً للمستويات. فالشهادة تقوم على أربعة أركان: اتباع الأمر، واجتناب النهي، والقناعة، والرضا[2]. وقد تحول الرابع فيما بعد إلى مقام. والنداء أي الإيمان له أربع خصال: نداء، وكتابة، إشارة، وشهادة. ويستحيل على الإنسان بالنسبة لله ثلاثة أشياء: التجلي، والوصلة، والمعرفة. وقد تتكاثر المستويات وتتراتب إلى اثني عشر مقاماً لتفسير ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾، وهي مقامات المعرفة[3]. وقد تتراتب في سبع فقط تفسيراً لآية ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾، سبع كرامات[4]. وقد تتعدد الأنواع بالعشرات بحيث تفقد القسمة غايتها وهو الحصر مثل قسمة النور إلى سبع وثلاثين نوعاً[5]. يتكرر بعضها مثل الجلال. ثم يُعاد جمعها في أربع فقط في السماء[6]. وأربع في الأرض[7]. والحرمات أربع[8]. والمؤمنون ثلاثة[9]. وتحيل حروف

(1) تفسير جعفر الصادق ص 188.



(2) السابق ص 191/ 194/ 196-197/ 205/ 211-212/ 217/ 230.

(3) وهي: التوحيد، العبودية، الإخلاص، الصدق، التواضع، الرضا والتفويض، السكينة والوقار، السخاء والثقة بالله، اليقين، العقل، المحبة، الأنس والخلوة.

(4) وهي: الهدي، والنبوة، والرحمة، والشفقة، والمودة والألفة، والنعيم، والسكينة.

(5) وهي: حفظ القلب، الخوف، الرجاء، التذكر، النظر، العلم، الحياء، حلاوة الإيمان، الإسلام، الإحسان، النعمة، الفضل، الآلاء، الكرم، العطف، القلب، الإحاطة، الهيبة، الحيرة، الحياة، الأنس، الاستقامة، الاستكانة، الطمأنينة، العظمة، الجلال، القدرة، الألوهية، الوجدانية، الفردانية، الأبدية، السرمدية، الديمومة، الأزلية، البقاء، الكلية، الهوية.

(6) أنوار السماء: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

(7) أنوار الأرض: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

(8) وهي: حرمة الخلق، حرمة المؤمنين، حرمة الرسول، حرمة الله.

(9) وهم: المؤمنون، العباد، الأصفياء.

الكلمات إلى الألوهية وتجلياتها. فلفظ (الصمد) خمسة أحرف. الألف الأحدية، واللام الألوهية، لا ينطقان باللسان لخفائهما. والصاد الصدق، والميم الملك، والدال الدوام .

ب ـ **تفسير الحلاج (309هـ)**[1]: وهو تفسير منتقى من بعض السور وبعض الآيات منها للتحول من الخارج إلى الداخل، ومن الظاهر إلى الباطن[2]. ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر. والحلاج شاعر وصاحب ديوان. ويظهر تأويل الحروف والانتقال من الحروف إلى الوجود. فالاسم هو أمر الكينونة. والنتيجة هي الكشف والعلم اللدني ومعرفة التوحيد.

وتظهر موضوعات التصوف من خلال التفسير، الأخلاق أو المقامات والأحوال أو التوحيد أو علامات الطريق. فالتصوف ظاهر وباطن، عبادة وطاعة، جوارح وقلوب. ومن الفضائل التقوى والصدق والإخلاص. ومن الرذائل الظلم والمكر والتلبيس وزينة الدنيا. وتظهر بعض المقامات مثل المحبة وهو معنى الطريق المستقيم في الفاتحة والتوكل والصبر والتوبة والشكر والرضا بالقضاء والقدر. كما تظهر بعض الأحوال مثل الخوف. والطريق ذكر ضد الغفلة والغور في النفوس ونزول البلاء والامتحان والفقر. والله هو الحق، والشهادة عليه منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، شهادة الخلق كله على التوحيد، شهادة الفطرة وحمل الأمانة.

ويخصص الحلاج جزءاً من أعماله لموضوع التفسير داخل أعماله الصغرى دون أبواب أو فصول مع انتقاء لبعض الآيات المتناثرة. هو أقرب إلى التفسير

---

(1) الأعمال الكاملة، رياض الريس، بيروت 2002م، ص109-158.

(2) تذكر 69 سورة من مجموع 114 سورة. والآيات المنتقاة 225 آية. الأنعام(10). الأعراف(9). الكهف(7). البقرة، آل عمران، يونس، النور(6). النساء، المائدة، الفرقان، الزمر (5). التوبة، يوسف، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، القصص، يس، ق، المجادلة (4). الفاتحة، هود، الرعد، الإسراء، الأحزاب، الصافات، الحديد، النجم، المدثر (3). إبراهيم، النحل، الروم، فاطر، الفتح، الحجرات، الطور، الرحمن، التكوير، الغاشية، البينة، التكاثر (2). الحجر، النمل، السجدة، ص، غافر، الدخان، الأحقاف، محمد، القمر، الواقعة، الحشر، الجمعة، التغابن، الطلاق، القلم، الحاقة، الجن، الانفطار، البروج، الفجر، القدر، الزلزلة، الكافرون، الإخلاص، الفلق (1).

الجزئي وليس الموضوعي[1]. ويدخل في موضوع التأويل لأنه ليس مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري الأدخل في علوم التفسير.

ففي تفسير الفاتحة الصراط هو المحبة. والهداية علم التوحيد. والنور والظلام العلم والجهل. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ التوبة محو البشرية بإثبات الإلهية وفناء النفوس عما دون الله رجوعاً إلى أصل العدم حتى يبقي الحق وحده. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي التحول عن القصد. ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ تقتضي إزالة العلة عن الربوبية وتنزيه الحق عن الدرك وإتيان الملك وانتزاعه ممن يشاء أي الاصطفاء.

ولا يقدم الحلاج في «التفسير» تفسيراً كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم للتستري» ولا أجزاء أو سور مختارة بل بعض آيات منتقاة تسمح بالتأويل الباطني[2]. بل إن سورة الفاتحة يختار منها بعض الآيات دون غيرها[3]. وتُعطى الآية مرة واحدة. ثم تفصل جزءاً جزءاً وأحياناً كلمة كلمة لاكتشاف معانيها الباطنية. ويختلف التأويل من حيث الكم بين لفظ وعبارة وفقرة وعدة فقرات. فالمهم هو تحول الخارج إلى الداخل، والنص إلى تجربة، واللغة إلى روح. وقد تضم أكثر من آية لمعني باطني واحد خاصة في قصص الأنبياء لاستكمال القصة.

ولا يستعمل الحديث لتدعيم تفسير القرآن أو يكون موضوعا خاصا للتفسير إلا مرة واحدة[4]. ومنهج التأويل ليس اللغة أو السياق أو أسباب النزول بل التجربة الصوفية. ولا يوجد نسق يجمع هذه الآيات المنتقاة أو منهج عام. ويمكن تجميعها طبقا لمنهج في التأويل أو طبقاً لمجموعات التأويل. والموضوعات أفضل حتى يتكشف المنهج حتى لو بدت متناثرة مثلاً، التكليف نوعان، تكليف عن وسائط، وتكليف بحقائق. الأول تبدو معارفه عمن دونه ولا يرقى إلا بعد التخلي عنها، وذلك مثل إظهار البيت والكعبة. والثاني تبدو معارفه منه وتعود إليه. الأول فصل،

(1) الحلاج، الأعمال الكاملة ص109-160.

(2) السابق ص109-158. ومجموع الآيات المنتقاة 225 آية من أول القرآن إلى آخره.

(3) اقتبس الحلاج آيات من 72 سورة وترك42.

(4) وهو حديث **«تعرف إلى الله في الرضا يعرفك في الشدة»** تفسير لآية ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، الحلاج، الأعمال الكاملة ص141-142.

والثاني وصل[1]. الصلاة في الشريعة والرسول إمامها. أما الله فليس له مقام ولا شهود في نار، ولا استهلاك في حيرة، ولا ذهول في عظمة تخل بآداب الشريعة. ولا أوقف الموحدين[2]. والحق هي العبادات دليلاً على الطاعات والشهادة عليه وحده[3]. فالعبادة ظاهر والطاعة باطن، والشهادة باطن الباطن. والحق لا يستحسن حسناً، ولا يستقبح قبحاً. وهذه أشعرية من جديد تنكر الحسن والقبح العقليين. فالحق هو معلى الأنام ولا يعقل كما هو الحال عند الأشاعرة في إنكار التعليل. العبودية كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة[4]. والتصوف هو تحرر الإنسان من عبودية الشريعة إلى ربوبية الحقيقة. والإسلام إما طوعاً بمشاهدة الربوبية والإطلاع على الذات وإما كرهاً من الهيبة[5]. والتكليف للمؤمنين دون الكافرين. للمؤمنين استعباد بخصائص العبودية حتى يأتيهم اليقين وهو استحقاق بالجهد[6]. وطاعة الرسول بها صلاح الكل. وهي المواظبة على الأوامر والفرائض. يعمل الأنبياء في الفرائض، والمؤمنون في الفضائل، والصديقون في ترك النواهي، والعارفون نسيان كل شيء غير الله[7]. والخبيث هو الناظر إلى الخبائث بعين الطهارة[8]. فإدراك الشيء بضدّه.

(1) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، التفسير ص112، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، السابق ص119.

(2) ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾، السابق ص113.

(3) ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾، السابق ص122.

(4) السابق ص125.

(5) ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، التستري ص112.

(6) ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون﴾، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، السابق ص156–157.

(7) ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾، التفسير ص135

الذات	الموضوع
العارفون	الله
الصديقون	ترك النواهي
المؤمنون	الفضائل
الأنبياء	الفرائض

(8) ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾، التفسير ص133.

والقرآن الكريم به محكم ومتشابه. المحكم الأمر والنهي. وتفصيله في ﴿فُصِّلَتْ﴾ في الوعد والوعيد. والله «حكيم» فيما نزل و «خبير» بمن يقوم بأمره أو يعرض عنه[1]. والاستنباط من القرآن على قدر تقوى الإنسان في الظاهر والباطن وفي تمام المعرفة. وهو أعظم مقامات الإيمان[2]. فهو ليس عملاً عقلياً منطقياً استدلالياً بل هو عمل أخلاقي إيماني باطني. وأمر الإنسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والخاطر من الكتاب طاعة الله ثم من السنة ثم من السلف الصالحين[3]. فأولوا الأمر ليسوا هم الحكام بل السلف.

جـ ـ تفسير القرآن العظيم للتستري (319هـ)[4]: وبالرغم من أن التفسير الصوفي يدخل في علم التفسير، أحد العلوم النقلية الخمسة، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، إلا أنه ساهم في بلورة الوعي التاريخي عن طريق العثور على المقابل للنص في التجربة الشعورية في العالم. وهو تفسير طولي من الفاتحة إلى الناس. تتجزأ فيه الموضوعات حتى لو تكررت. ولا تفسر كل آية داخل كل سورة وإن توالت السور كلها بل تنتقى بعض الآيات الأكثر دلالة على الجانب الأخلاقي الشعوري. ويبرز الموضوع في عناوين السور. فلا يقال سورة البقرة بل السورة التي تذكر فيها البقرة. فالبقرة ليست اسماً بل موضوعاً. وهي تفسيرات قصيرة قصر الآيات دون استفاضة. ولا توجد أبواب أو فصول بل هي مادة مجمعة طبقاً لطريقة السؤال والجواب.

وهو تفسير القرآن بالقرآن أولاً، والقرآن بالحديث ثانياً، والقرآن بالشعر ثالثاً. القرآن بالقرآن بالآلاف، والقرآن بالحديث بالعشرات، والقرآن بالشعر هو الأقل[5]. والأحاديث متون بلا أسانيد. كما يتم الاعتماد على بعض الأمثال العامية عند العرب[6].

(1) ﴿الٓر * كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾، التفسير ص123.
(2) ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، التفسير ص113.
(3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، التفسير ص113.
(4) دار الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت). يختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته بين 283، 287، 293، 319هـ.
(5) القرآن بالآلاف، والأحاديث (30)، والأشعار (7).
(6) السابق ص 49/ 53/ 69.

وتظهر الإسرائيليات بوضوح عشرات المرات في حوارات الأنبياء السابقين وأحاديثهم وأقوالهم.

ويظهر الوعي التاريخي في الإحالة إلى الصوفية السابقين. فقد أتى تراكمهم إلى إحداث وعي تاريخي بالتصوف[1]. كما يعتمد على ابن عباس حبر الأمة. وتظهر بعض المقامات والأحوال مثل الصبر والرضا والتوكل[2]. وتظهر القسمة العقلية عدة مرات، مما يؤذن ببداية التحليل النظري[3]. ويبدأ التفسير بمقدمة نظرية مثل تفسير جعفر الصادق بعنوان صفات طلاب فهم القرآن[4]. التفسير موقف ذاتي. بقدر ما يعي المفسر ذاته يعي موضوعه. وهو معنى أن القرآن نزل على سبعة أحرف. وهذه المراتب ليست في الحرف بل في الشعور، ليست في الموضوع بل في الذات. وطبقاً لعمق الذات يتم فهم الحرف.

ومع ذلك، للنص خمسة أنواع: المحكم والمتشابه والحلال والحرام والأمثال. العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه وإحلال الحلال وتحريم الحرام وعقل الأمثال. وهي مبادئ لغوية من علم أصول الفقه مع بعض الأحكام الشرعية. وشرط فهم القرآن العمل به. فالعمل أساس النظر. والفعل شرط الفهم. فعلم التفسير مثل علوم التصوف علوم عملية.

---

(1) مثل: أبو سعيد الخراز، عربان، الحسن البصري، السجزي، الجنيد.

(2) تفسير القرآن العظيم ص 22.

(3) فالعلماء ثلاثة: ربانيون، ونورانيون وذاتيون. وفي قسمة أخرى العلماء ثلاثة: عالم بالله لا بأمره ولا بأيامه وهم العامة، وعالم بالله وبأمره لا بأيامه وهم العلماء، وعالم بالله وبأمره وبأيامه وهم النبيون والصدّيقون، والعلم بأيام الله هو العلم بالتاريخ. والعلوم أربعة: الوحي والتجلي العندي واللدني. والإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والاستسلام لأمره، والرضا بقضائه، والشكر لنعمائه. وللقلب ثلاثة مقامات: مجهر القلب، ومقام اللسان من القلب، ومقام الجوارح من القلب. وأولياء الله ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه مدخل كل شيء. والعبادة الكاملة لا تغرر من أربعة أشياء: الجوع والعري والفقر والذلة. والتوقي في الكتاب بثلاث طرق: الموت والنوم والرفع، تفسير القرآن العظيم ص 24/ 29/ 63/ 73/ 77-78/ 80.

(4) السابق ص 4-7.

3 ـ الوعي التاريخي الأخلاقي

والوعي الفقهي هو أحد مكونات الوعي التاريخي الصوفي. فالفقه بتعبير المغاربة «علم النوازل». ولا فرق بين مقامات الزهد والشكر والصمت في التصوف وبين كتب الزهد والشكر والصمت في الحديث. هو الحديث الصوفي أو تصوف الحديث النبوي. فالصراع المتأخر بين علماء الحديث والصوفية صراع مفتعل، ربما على السلطة الدينية والسياسية. فعلماء الحديث هم أهل السنة والجماعة في العقيدة والشريعة، الفرقة الناجية في الدين، وفرقة الحكم في السياسة. خرج التصوف من علم الحديث ثم عاد إليه.

وكبار صوفية المرحلة الخلقية تركوا أعمالاً مدونة قليلة مثل الحسن البصري (ت110هـ)، والمحاسبي (ت243هـ)، والحكيم الترمذي (ت230هـ)، وأبو سعيد الخراز (ت277هـ)، وسهل التستري (ت319هـ)، وواضح أن المرحلة الخلقية تمتد حتى قبيل نهاية القرن الثالث حيث تبدأ المرحلة النفسية عند البسطامي (261هـ)، والحلاج (309هـ).

لم تترك رابعة العدوية (185هـ) أعمالا صوفية بل تناقلت الروايات أقوالها وأخبارها في كتب المؤرخين والطبقات[1]. والخلط بين رابعة الشامية ورابعة البصرية أو التمييز بينهما قضية استشراقية خالصة. ما يهم أقوالها ودلالتها على التصوف كتاريخ وطريق[2]. وتتكرر بعض الأقوال طبقاً لتعدد المصادر. وهناك أخبار وروايات كثيرة عنها وعن كراماتها، ولكنها ليست أقوالاً. ويخشى من تدخل الخيال الشعبي في صياغتها. فالرواية بطبيعتها تتضخّم وتتمدد. ورواية عنها تروى حلماً مملوءاً بالكرامات، مرفوعة إلى روضة خضراء ذات قصور، وطائر أخضر وجارية تطارده، ويُفتح باب يشع منه شعاع ينير كل شيء، ويرفع باب، ويظهر بستان، وصفاء وجوههم كاللؤلؤ، وكذلك رواية كرامات الميلاد[3]. وبعض أقوالها مروية في صيغة سؤال وجواب. ولقاءاتها مع حسن البصري مشكوكة فيها نظراً لأن الحسن توفي

(1) عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948. أخبار رابعة ص108-182.

(2) السابق ص46-50.

(3) السابق ص133-134/ 143/ 149.

110هـ، ورابعة 185هـ. فبينهما أكثر من جيل. وقد صاغ الخيال الشعري كل ذلك.

وبعض أقوالها مروية في المنام مثل «رؤيا يوحنا»[1]. وتنتحل بعض الأقوال مدعمة بالآيات القرآنية أو الحديث النبوي ليس كاستشهاد بل كجزء من الخطاب. فالدليل تجريبي حسي وليس نقلياً نصياً وينطبق ذلك أيضاً على روايات الكرامة دون الأقوال[2].

وتعتمد الأخلاق على الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، أكثر من التحليل النظري أو التأسيس في التجربة الحسية[3]. التأليف هو تجميع آيات وأحاديث حول موضوعات معينة. كان العهد قريباً من الرسالة. ولا يهم صحة الأحاديث وضعفها من حيث السند بل ما يهم هو دلالتها من حيث المتن. وتختلط بالأقوال المأثورة. وتكثر الأحاديث القدسية الإشراقية. وفي معظمها ضعيفة ولكن دلالتها الصوفية واضحة وهي طويلة للغاية عكس الأحاديث الصحيحة العملية. وتتجه الآيات والأحاديث نحو العمل المباشر. فهي نداء للعمل، ودعوة للتحقق كما هو الحال في الحركة الوهابية. ويتم تجميع أقوال الصحابة أيضاً. ويتم الاستشهاد بأقوال الأنبياء السابقين مثل عيسى[4] كما يستشهد بالشعر العربي[5].

أ ـ في عمل اليوم والليلة (فرائض الإسلام) للحسن البصري (110هـ)[6]:

ويستعمل نفس أسلوب الرواية في علم الحديث دون أي عرض نظري أو تحليل نفسي، مجرد تجميع أحاديث وآيات وقليل من الشعر[7]. والحديث القدسي مفعم بالإشراقيات. ويستمد معلوماته عن الأنبياء السابقين من الإسرائيليات والكتب المقدسة وأقوال الأنبياء منها[8]. كما يعتمد على أقوال الصحابة.

(1) مثل: «هدايات تأتينا على أطباق من نور، محمرة بمناديل من نور»، رابعة ص170.
(2) السابق ص138/ 142/ 147/ 162/ 173.
(3) الحسن البصري: في عمل اليوم والليلة آية (69)، حديث (99).
(4) السابق ص105.
(5) السابق ص80/ 83 (مرتان، كل مرة بيتان).
(6) دار الأرقم، الزقازيق 1991م-1412هـ.
(7) الأحاديث (99)، الآيات (69)، القدسية (2)، الأشعار (2).
(8) في عمل اليوم والليلة ص 84/ 97.

والأهم هو وضع أربع وخمسين فريضة[1]. تجمع بين الفقه والتصوف، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين العبادات والمعاملات[2]. تظهر المقامات مثل التوكل والرضا والشكر والصبر والتوبة، والأحوال مثل الخوف. كما تظهر بعض الفضائل مثل القناعة والإخلاص والصدق، وتجنب الرذائل مثل: الهوى، العلو، الفرح، سوء الظن، السخرية، القنوط، الشرك. كما تظهر بعض متطلبات الطريق مثل الذكر والإيمان والعبرة والتفكر. ويظهر وضع الإنسان في العالم، مع الآخرين، وبين الأشياء ومع الله[3].

ب ـ «كتاب الزهد» لأحمد بن حنبل (240هـ)[4]:

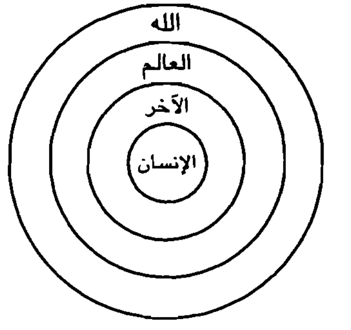
وهو نموذج التأليف المشترك بين الحديث والتصوف. فالزهد أحد

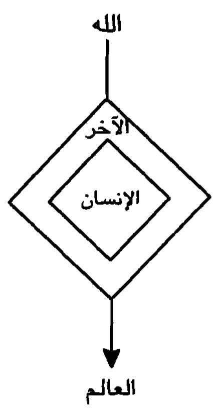
---

(1) وهو ما حدث أيضاً في علم قواعد العقائد في العصور المتأخرة في حصر العقائد في اثنين وخمسين عقيدة، من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية ص 194-202.

(2) الفقه مثل: الوضوء، الاغتسال، لبس الثياب، الصلاة، المحافظة عليها. ومن العبادات: اعتزال النساء، عدم الزنا، عدم شرب الخمر، عدم الحلف بالله كذباً. ومن المعاملات: بر الوالدين، صلة الرحم، أداء الأمانة، الوفاء بالكيل، عدم رد المسكين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النفقة، النفقة على المقدار، حفظ المال، حفظ مال اليتيم، عدم أخذ مال اليتيم، الأكل الحلال. ومن أعمال القلوب: الذكر، الإيمان، القناعة، العبرة، التفكر، التوكل، الرضا بالقضاء، الشكر، الصبر، التوبة، الإخلاص، العداوة مع الشيطان، العمل بالحجة، الاستعداد للموت، عدم العمل بالهوى، صفوة القلب، ترك الغلو، ترك الفرح، طاعة الله، الخوف من الله، حفظ اللسان، اجتناب سوء الظن، اجتناب السخرية، غض البصر، الصدق، حرس السمع والبصر والفؤاد، الأمان من مكر الله، ترك القنوط من رحمة الله، عدم الشرك بالله.

(3)





(4) دار الدعوة، الإسكندرية 1987-1407هـ.

المقامات. وهو أحد موضوعات الحديث. ويسبق الاستشهاد بالحديث الاستشهاد بالقرآن وبالشعر[1]. ويذكر السند مع المتن مع حضور طاغ للسند. وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات. وتتوالى في زخات متعاقبة. وتستعمل بعض الأحاديث الآيات. وإثبات زهد الرسول بأقواله ليس دليلاً وتتكرر بعض الأحاديث في صياغات مختلفة مثل الأحاديث المروية عن أويس القرني[2]، ويرى الرسول في منامات بعض الزهاد لمدى القرابة بينهم. ويستكمل الحديث بالشعر.

وتظهر الإسرائيليات بطبيعة الحال كمصدر لزهد الأنبياء وأخبارهم بالرغم من حديث القرآن والحديث عنهم دون تفصيل في الروايات. وربما زادت معارف الرسول عن الأنبياء السابقين من رحلاته إلى الشام ومن المرويات في الثقافة العربية قبل الإسلام. وتزيد عليه مشافهته لهم ليلة الإسراء والمعراج. والمعجزات مقرونة بزهد الأنبياء. وفي الأحاديث القدسية يتكلم الرسول باسم الله ويصلي ويسلم مع الله على نفسه[3].

ويتجلى الوعي التاريخي في ذكر أسماء الزهاد ابتداء من الرسول ثم الصحابة ثم التابعين. دون ترتيب أبجدي أو زماني. وهي بداية كتب الطبقات مرتبة أبجدياً أو زمانياً. والأنبياء كلهم قبل الرسول زهاد[4]. وتذكر امرأة واحدة زاهدة هي عائشة دون رابعة. ويتكرر لفظ «زاهد» أمام معظم الأسماء فالمطلوب هو الزهد وليس الزاهد. وعند نصفهم تقريباً لفظ «أخبار» الذي يدل على بروز الوعي التاريخي الإخباري. والأقل استعمال ألفاظ «حديث»، «فضل»، «بلاء»، «مواعظ»، «حكمة». وقد تستعمل أكثر من كلمة لنبي أو زاهد واحد مثل مواعظ عيسى وحكمة عيسى وزهد عيسى، وزهد داود وحديث داود، وأخبار موسى وزهد موسى. وأكبرهم من حيث الكم زهد محمد بن سيرين ثم الحسن وعبد الله بن عمر، ثم الرسول وعيسى ثم عائشة ثم عمر ثم عمر بن عبد العزيز. وقد يسبق مثل هؤلاء الزهاد بعض الأنبياء مثل موسى وداود ونوح وإبراهيم وآدم وأيوب

(1) الأحاديث (235)، الآيات (171)، الأشعار (8)، القدسية (3).
(2) كتاب الزهد ص 323-328.
(3) السابق ص 22.
(4) يذكر ابن حنبل 55 زاهد، 4 أنبياء، 41 من الصحابة والتابعين.

ولقمان. ومن المشاهير أويس القرني. ويغيب الحسن البصري إمام الزاهدين مما يدل على بداية تشكل الوعي التاريخي دون وعي تاريخي.

جـ ـ رسائل المحاسبي (243هـ):

يتشكل الوعي التاريخي من ظهور التصوف الخلقي عند المحاسبي والترمذي والخراز والتستري، وهو ما يعادل المرحلة الخلقية في التصوف كتاريخ والتصوف الخلقي في التصوف كطريق. والمحاسبي في التصوف الأخلاقي يعادل الشافعي في علم أصول الفقه فيما يتعلق بالتدوين. ويقوم المنهج على انتقاء النصوص الأخلاقية التي تدعو إلى ترك العالم، وليس النصوص السياسية التي تختارها الفرق الكلامية في صراعها السياسي.

1 ـ المسائل في الزهد[1]: تحول الزهد إلى موضوع في التصوف الخلقي مثل الشكر. ويتناوله الصوفية بأسلوب الفقه، السؤال والجواب. هل الزهد فرض أم نفل كما أجاب ابن رشد فيما بعد سؤال عن حكم النظر هل هو فرض أم مندوب أم مكروه أم محرم أو مباح طبقاً لأحكام التكليف الخمسة؟. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويقرن بالأدلة النقلية بعض التحليل العقلي في البداية. ويتفرع من الزهد موضوعات التصوف الأخرى مثل الصمت والفكرة كعلامات الطريق، والغنى والشكر والفقر من الفضائل والمقامات، ودفع الوسواس، والكبر والحسد والغش من الرذائل، والرياء والوسوسة. والرياضات والمجاهدات مثل مكابدة الهوى، وأفضل العبادات، وتجسيد الشر في الشيطان بل ومسائل الأوراد والأوقات في حلقات الذكر وآداب الشيخ والمريد. تتخلق موضوعات التصوف وتتفرع من الزهد[3]. وكل ذلك في إطار من التخويف والتحذير والتنبيه[4].

---

(1) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، عالم الكتب، القاهرة 1969.

(2) الآيات (11)، الأحاديث (7)، الأشعار (1).

(3) الصمت والفكرة، السائل ص 48-50، الغنى والشكر والفقر ص 51-54، دفع الوسواس ص 55-57، الكبر والحسد والغش ص 58-63، الرياء والوسوسة ص 64-68، مكابدة الهوى ص 69-272، أفضل عبارة ص73-80، الشيطان ص 81-283، الأوراد والأوقات ص 84-88.

(4) «فانظر ما أنت صائر إليه، واحذره أن يصيرك إلى ما صار إليه»، السابق ص57.

والفتن والشكر والفقر تأليف بطريقة السائل، السؤال والجواب بطريقة «قلت... قال». وهو على درجة عالية من التنظير العقلي والتحليل النفسي دون الاعتماد على الحجج النقلية من القرآن أو الحديث بل الاعتماد فقط على أقوال الحكماء[1]. تخلق مقام الزهد في «المسائل في الزهد للمحاسبي» كما تخلق مقام التوبة في «التوبة» لأبي الحسن البصري[2]. وقد ارتبط بمسائل أخرى مما يدل على أن تخلق المقام مازال عسير المخاض[3]. والتأليف رواية، إجابة على سؤال يتكرر بأسلوب «قلت... قال» مثل أسئلة الفقه والفتوى. فقد سئل المحاسبي عن الزهد، فرض أم [نفل]، كما سئل ابن رشد فيما بعد عن حكم النظر هل هو واجب بالشروع أو مندوب أو مكروه أو مباح أو حرام هي أحكام الشرع الخمسة في «فصل المقال». وواضح تخلق مقام الزهد من الفقه والأحكام الشرعية. ولا يعتمد على الحجج النقلية بل على التحليل العقلي الخالص. ولا يضار الاستشهاد بأقوال عيسى نظراً لوحدة الأديان[4].

2 ـ **«فهم الصلاة»**[5]: والرسالة مؤشر على التحول من الفقه إلى التصوف، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الظاهر إلى الباطن. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[6]. ويظهر التراكم التاريخي بذكر بعض أعلام الصوفية مثل إبراهيم النخعي وإبراهيم بن أدهم وأبي سعيد الخدري[7]. ومن حفاظ الحديث حماد وعطاء. ويقوم على فهم الصلاة على إيقاع خماسي تدريجي، من الوضوء إلى المشي إلى الصلاة إلى الدخول في الصلاة إلى الفراغ من الصلاة إلى الوصايا الختامية. وأكبرها الدخول في الصلاة[8].

---

(1) المحاسبي: المسائل ص51-54.

(2) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل ص43-47.

(3) هي مسائل: الصمت والفكرة، الغنى والشكر والفقر، دفع الوسواس، الكبر والحسد والغش، الرياء والوسوسة، مكابدة الهوى، أفضل العبادة، الشيطان، الأوراد والأوقات، السابق ص48-88.

(4) المسائل.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ، ص225-240.

(6) الآيات (20)، الحديث (17).

(7) إبراهيم النخعي (2)، إبراهيم بن أدهم، أبو سعيد الخدري، حماد، عطاء (1).

(8) الدخول في الصلاة (9)، الوضوء (4)، الوصايا (3)، المشي (2)، الفراغ (1).

3 ـ **«المسائل في أعمال القلوب والجوارح»**[1]: هو انتقال من المرحلة الخلقية وأعمال الجوارح، إلى المرحلة النفسية أعمال القلوب[2]. يعتمد على كثير من الحجج النقلية والأحاديث أكثر من الآيات[3]. والشعر أقلها. ويتبع أيضاً أسلوب السؤال والجواب بالرغم من كبر العمل. ويتضمن خمسة عشر موضوعاً[4]. معظمها في أعمال القلوب وأقلها في أعمال الجوارح. وهي موضوعات متفرقة لا روابط بينها إلا العنوان. ويروي على لسان حكيم نص أقرب إلى حديث الرسول عن البر بالأم ثلاث مرات ثم بالأب في المرة الرابعة، ثم الأدنى فالأدنى، الأخت والأخ، ومن يعول المرء. وكذلك حديث الإنفاق على النفس أولاً ثم على الأهل. وهذا هو معنى الأثرة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، وإيثار الآخر على النفس عمل مجاني دون مقابل ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾. و«كل ما وقى به الإنسان عرضه فهو صدقة»، و «ما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة».

وهي نموذج للتحول من الفقه إلى الأخلاق، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب. وهو اسم على مسمى، المحاسبي في محاسبة النفس يعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر[5]. ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. ويظهر القليل من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين مثل لقمان[6]. ويقل التحليل العقلي لصالح الدليل النقلي. ويبدأ الوعي التاريخي بالتصوف في الازدهار. يتقدمه الحسن البصري ثم ابن المبارك، ثم إبراهيم النخعي، والفزاري، ومالك بن دينار وسعيد بن المسيب[7].

---

(1) عالم الكتب، القاهرة 1969.

(2) المسائل ص91-170.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (69)، الشعر (3).

(4) وهي: الحسبة في إدخال السرور على المؤمن، الإسرار بالعمل، الشهوة، من أم قوماً فالزم قلبه الحذر، إزالة الخوف، النوافل، من أعمال القلوب، الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة، الجدال في أسباب الدنيا، التفويض، معرفة النفس، الغفلة والنسيان، ما يحل من النظر، نظر الفجأة، النذور.

(5) الأحاديث (69)، الآيات (43)، القدسي (2).

(6) المسائل في أعمال الجوارح ص120.

(7) الحسن البصري (9)، ابن المبارك (2)، إبراهيم النخعي، الفزاري، مالك بن دينار، سعيد بن المسيب (1).

والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في علم أصول الفقه. ويستشهد أحياناً بالحكماء الذين يشاركون الصوفية في الرؤية الباطنية. ويتضح ذلك في التأويل[1].

تتحول الحسبة من الخارج إلى الداخل، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إدخال السرور على النفس، ومن العمل في العلن إلى العمل في الخفاء. ولما كان الصوفي إماماً يلزم قلبه الحذر. وإذا كان الوعي الصوفي عند البصري يقوم على التخويف في «التوهم» فإنه يقوم عند المحاسبي على إزالة الخوف. والنوافل لتكفير الذنوب وشكر المنعم وتجريد القلوب، والجزع من فقدان الطاعات ومن الغفلة، والقرب من الله. ومن أعمال القلوب اعتقاد الإيمان ومجانبة الكفر، واعتقاد السنة ومجانبة البدعة، واعتقاد الطاعة ومجانبة المعصية، واعتقاد التواضع ونفي الكبر، واعتقاد الجنة ونفي العجب. ولا تتناهى أفعال القلوب وأضدادها مثل المحبة والكراهية والخوف والأمن، والحذر والثقة، والغرة والسلامة. . .الخ. والصمت أفضل من الكلام كما هو الحال عند ابن أبي الدنيا. والجدال في أسباب الدنيا من تبعات الكلام. والتفويض تسليم لله. ومعرفة النفس طريق إليه والحذر من الغفلة والنسيان. ولا يحل النظر إلا إلى الحلال. وهو النظر المقصود. والوفاء بالنذور تمسك بالعهد.

وقد يكون الحوار هو الشكل الأدبي في التأليف، السؤال والجواب، سؤال المريد وجواب الشيخ كما هو الحال في «التوبة». ويستمر الحوار للاستيضاح والإيضاح. وهو نوع من الاستدلال وترتيب المقدمات على النتائج[2]. ومسائل «الكبر والحسد والغش» أيضاً سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي وحده دون الاستعانة بأية حجج نقلية باستثناء واحدة بيت واحد من الشعر[3]. ويعتمد «الرياء والوسوسة» على التحليل النفسي للتجارب الحية دون الاعتماد على الحجج النقلية من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة باستثناء أقوال بعض الحكماء. وهو أيضاً سؤال وجواب يعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء آية واحدة[4]. ومسائل

(1) المسائل في أعمال الجوارح ص 115-117.
(2) المحاسبي: التوبة ص17-48.
(3) المحاسبي: المسائل ص58-63.
(4) السابق، ص64-68.

«دفع الوسواس» سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي الصرف دون الاستعانة بالأدلة النقلية باستثناء آية قرآنية واحدة[1]. ومسألة أفضل العبادة «سؤال وجواب. مازالت تعتمد على الأدلة النقلية، أربعة أحاديث»[2]. و «مكابدة الهوى» تنظير مباشر وتحليل نفسي دون الاعتماد على أي من الأدلة النقلية، قرآناً أو حديثاً باستثناء حديث واحد وبعض أقوال الصوفية والحكماء التي حللت هذه الانفعالات النفسية من قبل ووضعت لها صياغات عقلية[3].

وتقوم الأخلاق الصوفية على التخويف، التخويف من الآخرة، وتوهم الوقوف بين يدي الله عز وجل والارتعاد أمامه. وهذا هو مضمون كتاب «التوهم»[4]. يعتمد على الحجج النقلية قدر التحليل للتجارب الحية[5]. والأسلوب خطابي. يتوجه إلى المخاطب لدعوته لمعايشة التجربة، وهي تجربة وهمية تستبق الأحداث، وهي تجربة الموت والبعث والوقوف أمام الله عز وجل للحساب والعقاب. لا تنقسم إلى أبواب وفصول بل هو نداء حاد متواصل لتوهم الموت بدلاً من عشق الحياة. ويتكرر أمر «توهم» عشرات المرات للتنكير بالموت[6]. والموت ليس تجربة تستدعى من المستقبل إلى الحاضر. هي التجربة الوحيدة التي لا تُنتظر[7].

الرعاية لحقوق الله والقيام بها «موضوع السؤال عن أمر عظيم»، موضوع حديث موسى[8]. كما أنه حديث نبوي يظهر فيه لفظ الرعاية[9]. ولفهمه يتحول النص إلى القلب إلى تجربة روحية بدلاً من الجدل الكلامي وفقه السلطان دون الوقوع في الرهبانية. ولفظ الرعاية أيضاً لفظ قرآني إشارة إلى الرهبانية ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

ويغلب عليها تحليل أهواء النفس قبل أن تظهر المقامات والأحوال باعتبارها

---

(1) السابق ص55-57.
(2) السابق ص73-80.
(3) السابق ص69-72.
(4) المحاسبي: التوهم ص29-73.
(5) الآيات (15)، الأحاديث (9)، الأحاديث القدسية (1).
(6) عدد مرات فعل أمر «توهم» (22)، للعذاب (15)، وللنعيم (7).
(7) الرعاية لحقوق الله عز وجل ص37-39.
(8) «مرحبا بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي، وخافوني بالغيب، السابق ص37».
(9) «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، السابق ص37.

فضائل النفس. فالرياء والكبر والغرّة والحسد ومعرفة سوء أحوال النفس ودعائها إلى هواها انفعالات سلبية. كما يظهر التصوف كطريق في «تأديب المريد» ويتضح التراكم الفلسفي بذكر الصوفية السابقين. لذلك يروي عن الصوفية. وأول العلم حسن الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر[1]. ويستعين بعلم التفسير لشرح بعض الآيات مما يدل على اعتماد التصوف على غيره من علوم الكلام والفلسفة وأصول الفقه من العلوم العقلية النقلية والفقه والتفسير من العلوم النقلية. المقدمة فلسفية دينية تبدأ بشرح البسملة وتعتمد على آراء الحكماء دون تعيينهم مما يدل على أن التصوف أصبح هو المصب للحكمة الخالدة[2]. كما يعتمد على بعض الحكايات المروية عن الأولياء. فالتصوف ليس تحليلات نظرية أو نفسية بل حوادث واقعية وسلوك يومي، فردي وجماعي. ولا يهم السند في الحديث بل المتن مشجب لتعليق تحليلات الصوفية عليه. لذلك نادرا ما تسند الأحاديث.

4 ـ «المكاسب»[3]: والمقصود التفويض. وهو الذي تحول بعد ذلك إلى التوكل والرضا وعدم الأخذ بالأسباب، وما يتبقى من إيمان بالقضاء وتسليم بالقدر. وفرض التوكل يجمع الخواص والعوام في حبس الرزق وإطلاقه. والحركة في الكسب لطلب الرزق به محمود ومذموم. والأفضل ترك الحركة في الكسب كلية والحرص على الورع. وتتفق عليه مذاهب السلف. فالتصوف بهذا المعنى نزعة سلفية. ومن التقشف في المطاعم والملابس واتقاء الشبهات، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، يمتد الورع إلى جوائز السلطان. ويتبعه الجوع دون سؤال وتحري. ويعتمد على القرآن قدر الاعتماد على الحديث دون الشعر[4]. ويغيب السند لصالح المتن. ويزداد التحليل النظري. ويظهر التراكم التاريخي على استحياء في الإحالة إلى شقيق البلخي.

5 ـ «الرعاية لحقوق الله»[5]: «والرعاية لحقوق الله» وكما يدل العنوان يتضمن

---

(1) السابق ص34.

(2) السابق ص31-36، الحكمة الخالدة Philosophia Perennis.

(3) عالم الكتب، القاهرة 1969 ص171-234.

(4) الأحاديث (46)، الآيات (45)، القدسية (1).

(5) دار الكتب الحديثة، القاهرة 1970م-1390هـ.

واجبات الإنسان. والسؤال هو أين حقوق الإنسان والواجبات العقلية، كالصلاح والأصلح والتعويض عن الآلام كما قرر المعتزلة؟ عدم التوازن هذا بين حضور حقوق الله وغياب حقوق الإنسان هو أحد أسباب ضياع حقوق الإنسان في هذا الزمن. والكتاب مؤلف بطريقة السؤال والجواب وهي أقرب إلى رواية الحديث الشفاهي المدون. تبدأ بفعل و«حدثني». ويعتمد على الحجج النقلية قدر الاعتماد على التنظير العقلي والتحليل النفسي وتعتمد على علم التفسير لشرح الآيات. ولا يعتمد على الوافد باستثناء بعض الحكماء[1]. وهو أكبر مؤلفات المحاسبي من حيث الكم بعدها أعمال القلوب والجوارح، كتاب المسترشدين، الوصايا، المكاسب، العقل، آداب النفوس، بدأ من أناب إلى الله، المعرفة، القصد والرجوع. وهو أقرب النصوص التكوينية في التصوف الخلقي والمقامات والأحوال قبل «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و «كشف المحجوب» لعلى الهجويري و«الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري والتي صبت كلها في «إحياء علوم الدين» للغزالي.

ويشمل بعد المقدمة سبعة موضوعات: الرياء، الإخوان ومعرفة النفس، التنبيه، العجب، الكبر، الغرّة، الحسد، تأديب المريد. وأكبرها الرياء، ثم المقدمة، ثم العزة، ثم الكبر، ثم العجب، ثم الحسد، ثم الإخوان ومعرفة النفس، ثم التنبيه[2]. لذلك أتى طويلاً مسهباً بلا تركيز. وينقسم كل موضوع إلى عدة أبواب صغيرة.

وهو ربما أضخم كتاب في التصوف قبل «الإحياء». يعتمد على القرآن ثم الحديث. ويخلو من الشعر[3]. ولا يظهر أعلام الصوفية إلا نادراً مثل وهب بن منبه[4]. ولا فرق بين الصوفية والحكماء[5].

ويضم الكتاب بعد المقدمة سبعة كتب عن الرياء، والإخوان، ومعرفة

---

(1) الآيات (310)، الأحاديث (207)، الحديث القدسي (1).

(2) الرياء (183ص)، المقدمة (146)، الغرّة (62)، الكبر (52)، العجب (48)، الحسد (38)، الإخوان ومعرفة النفس (24)، التنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها ودعائها إلى هواها (14).

(3) الآيات (310)، الأحاديث (207)، القدسية (1).

(4) الرعاية لحقوق الله ص 33.

(5) السابق ص34.

النفس، والتنبيه، والعجب، والكبر، والغرة، والحسد، ثم تأديب المريد. أكبرها الرياء وأصغرها التنبيه[1]. ومعظمها عن الرذائل. والمقدمة تحديد معنى رعاية حقوق الله وهي أقرب إلى واجبات الإنسان[2]. وتتناول موضوعات الفضائل مثل التقوى والورع والحذر، وبعض الأحوال مثل الخوف، وبعض خوالج النفس كالهم والتذكر والمعرفة، وبعض المقامات مثل التوكل، وبعض مسائل الفقه مثل أداء الفرائض والنوافل، وبعض أمور المعاد مثل كراهة الموت.

والرياء أسوأ الآفات. وهو ازدواجية القول والسلوك، وعدم صفاء النية، والفصل بين النية والعمل. والدافع عليه الحرص على ما في أيدي الناس، والخوف من فقده. رمزه إبليس أي الإدعاء والفصل بين الظاهر والباطن[3]. وقد يكون العجب بالدين أو بإضافة العمل إلى النفس أو بالرأي الخاطئ أو بأعمال الطاعة أو بالدنيا والنفس وكثرة المال والبنين[4]. ويرتبط به الكبر والكبرياء. وقد يكون الكبر أيضاً بالدنيا والعلم والعمل والبدعة ونقيضه الصدق والتواضع[5]. والغرة أصل الغرور. وقد تكون بالله. وبالفقه وبالعلم وبحفظ الكلام وبالجدل وبالعبادة وبالورع وبالغزو وبالحج وبالإخلاص وبطول الستر[6]. وقد تكون من عوام المسلمين وعصاهم ومن أهل النسك والتقوى والفقه. أما الحسد فقد يكون على الرياسة وحب المنزلة وظاهر الدنيا والعجب. ويشمل الحقد والعداوة[7]. لذلك يجب التنبيه على سوء أفعال النفس وإتباعها هواها[8]. وهو ما يستلزم صحبة الإخوان والابتعاد عن الشبهة ومعرفة النفس والتوبة[9]. لذلك لزم تأديب المريد

(1) الرياء (83)، الغرة (62)، الكبر (52)، العجب (48)، الحسد (38)، الإخوان ومعرفة النفس (24)، التنبيه (14).

(2) الرعاية لحقوق الله31-173.

(3) السابق ص 177-357.

(4) السابق ص 398-443.

(5) السابق ص 446-506.

(6) *السابق ص508-567.*

(7) السابق ص570-605.

(8) السابق ص 384-395.

(9) السابق ص360-381.

ورعاية سيرته وتحذيره من الفتنة وهدايته[1].

6 ـ **«الوصايا (النصائح الدينية والنفحات القدسية)»**[2]: وهي رسالة في التصوف العملي. تخاطب القارئ بنداء «إخواني»، وأقرب إلى العقل العملي منها إلى العقل النظري[3]. وسبب التأليف هو بيان الفرقة الناجية وهم الصوفية الذين يدعون إلى صفاء القلب وإسقاط الهوى، والتخلي عن آفات النفس، وتطبيق الفرائض والسنة[4]. والناس على أصناف في حب الله وفي العمل بالبر .وتعتمد على الحديث تقريباً أربعة أضعاف اعتمادها على القرآن. ويغيب الشعر[5]. والمتن دون السند حرصاً على الأمر والنصيحة والوصية وليس سندها. وتبدأ رواية الحديث بلفظ بل وآية القرآن أيضاً. «بلغنا أن الله جَل ثناؤه قال»[6]. كما تعتمد على الإسرائيليات[7]. وتضم واحداً وأربعين باباً تتنوع موضوعاتها بين الفضائل مثل التقوى والقناعة والتواضع كرد فعل على فساد الدين والدنيا، وإحراز ما يمكن من الخير، وطلب الحلال. كما تدعو إلى تجنب الرذائل مثل البخل والوقوف أمام مكائد الشيطان والعجب والكبر بالأعمال. وتحث على طريق العزلة والسرور بمصائب الدنيا والوقوف أي الصمود. كما تدعو إلى أعمال القلوب وتفقد السرائر والقلوب، والتقرب بطاعات القلوب، والسر في أعمال البر نظراً لأخطار المدح، وطهارة النفس الأمارة بالسوء، وخشوع القلب مع الأبدان، ورعاية القلوب والجوارح، وقرن النية بالعمل النافع، وتصحيح أعمال الجوارح، والذكر باللسان والقلب، وضرورة الإنابة من الآثام، والتدبر عند قراءة القرآن، والابتعاد عن الشبهات، وشكر الله.

د ـ الحكيم الترمذي

وتستمر المرحلة الخلقية عند الترمذي (ت270هـ) وإن بدأ الاعتماد على

(1) السابق ص 608-627.
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م ـ 1424هـ (1) ص37-38.
(3) الوصايا في شرف العقل ص 83-85.
(4) السابق ص 37-41.
(5) الأحاديث (56)، الآيات (15)، القدسي (1).
(6) الوصايا ص 93.
(7) السابق ص 46.

تحليل التجارب النفسية والطبيعية بعد ترجمة علوم الطب في القرن الثاني الهجري. لذلك سمي الحكيم «الترمذي» وقد جمع من علوم القرآن والحديث والسيرة والكلام واللغة وعلم النفس والأخلاق والطب والتصوف والتاريخ والعلوم[1]. والطب العضوي مقدمة للطب النفسي بعد تجاوز الطب النبوي[2].

وفي المرحلة الأخلاقية يتم الاعتماد على الحجج النقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[3]. وتكثر الأحاديث القدسية لأنها تتناول موضوعات عينية لإثارة الخيال[4]. كما يعتمد على حكايات الصوفية وعلم الرواة أشبه بعلم الحديث المعاصر للمرحلة الخلقية[5]. ويعتمد على أقوال الأنبياء السابقين داود وسليمان وموسى وعيسى ويوسف المستمدة من الإسرائيليات[6]. لذلك يكثر ذكر أسماء الأنبياء. كما يعتمد على ضرب الأمثال الطبيعية والكونية والاجتماعية والاقتصادية[7]. والتحليل العقلي ليس مرفوضاً كما هو الحال في التصوف الطرقي في المرحلة الرابعة. وتتوالى مصطلحات المرحلة الخلقية في الظهور عند الترمذي مثل «الرياضة»، «أدب النفس».

وغالبية الصوفية من أواسط أسيا مثل الترمذي حيث الديانات الشرقية،

(1) تترواح مؤلفاته بين القرآن والحديث والسيرة مثل: نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، الأمثال من الكتاب والسنة. واللغة مثل: كتاب الفروق ومنع الترادف، الجمل اللازم معرفتها. ويعتمد الترمذي على بعض التحليلات اللغوية في «أدب النفس»، أدب النفس ص105، وعلم النفس مثل: مسائل التدبير، والأخلاق مثل: كتاب الأكياس والمغترين، العقل والهوى، المنهيات، والكلام مثل: بيان الكسب، الاختيارات، عرش الموحدين، مسألة في الإيمان، مسألة لمراتب أهل القيامة، عذاب القبر، التوحيد. والفقه مثل: شرح الصلاة ومقاصدها، الحج وأسراره، منازل العباد في العبادة، علل العبودية وعلل الشريعة (التحول من الفقه إلى التصوف)، والطب مثل: الأعضاء والنفس، والتصوف مثل: ختم الولاية، آداب المريدين، صفة القلوب، المنهج، غور الأمور، والتاريخ مثل: تاريخ المشايخ، العلوم مثل: كتاب العلوم.

(2) كتاب الرياضة ص34-42.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (28) وفي «آداب النفس»: الآيات (81)، الأحاديث (19).

(4) السابق ص72/ 79-85، آداب النفس ص96-97/ 110/ 121.

(5) كتاب الرياضة ص47-49/ 72.

(6) السابق ص56/ 66/ 76/ 119/ 126/ 155.

(7) السابق ص120/ 128.

الهندوسية والبوذية خاصة. ومع ذلك ظهر أيضاً صوفية بغداد كالحلاج والبصرة مثل الحسن البصري. فالمنطقة الجغرافية أحد المصادر الثقافية للتصوف. كان البسطامي مجوسياً ثم أسلم ولكنها ليست العامل الوحيد. لذلك تذكر بعض العبارات بالفارسية عند البسطامي والترمذي. بل إن هناك مؤلفات كاملة بالفارسية لفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي والهجويري. وتظهر بعض العبارات الفارسية في أدب النفس للترمذي[1].

ويعتمد الصوفية على ضرب الأمثال في التعبير. فالمثل أكثر قدرة على التعبير من العبارة[2]. وتتعدد مجالات التشبيه من البدن إلى الكون إلى التاريخ كما هو الحال في رسائل إخوان الصفا. وهي مدونة من نفس العصر. قيادة النفس للبدن مثل قيادة الفارس للحصان.

1 ـ **«كتاب الرياضة»**[3]: وتعني الرياضة أيضاً تهذيب النفس والتخلي عن آفاتها. تجمع بين الطب وعلم النفس، بين علاج البدن وإصلاح الروح. فكلاهما أجزاء للإنسان ويحتاج إلى الفحص جزءاً جزءاً. فالشهوة بين البدن وهوى النفس. يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[4]. ويستعمل أسلوب القول «فإن قال قائل»[5]. ولا يُذكر أحد من الصوفية أو المحدثين الكبار[6]. تقوم على استنباط الأخلاق من النص دون تحليل كاف للتجارب النفسية. ولا يقسم إلى أبواب أو فصول، بل يتناول عدة موضوعات متنوعة. سلطان الشهوة يعادله سلطان المعرفة. وموضوع الفرح من المذموم ومن المحمود. والأفضل اتقاؤه. ومن الأهواء الكبر في النفس. وابن آدم مطبوع على سبع: الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب. والجوارح سبع: اللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان

(1) السابق ص103.

(2) السابق ص58/ 106-108/ 111/ 116.

(3) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م- 1366هـ.

(4) الآيات (43)، الأحاديث (20)، قدسي (1).

(5) كتاب الرياضة ص 86.

(6) الرسول (22)، آدم (6)، إبليس (5)، جبريل (4)، الترمذي، عبد الله بن عمر، موسى (3)، أنس بن مالك، حارثة، حواء، نوح، يوسف بن عطية (2)، ابن عباس، عمر بن الخطاب، مالك بن دينار وعشرات من المحدثين (32).

والبطن والفرج. ومستقرها البطن. والقلب أميرها بما يُشرق عليها من أنوار تصقله. الجوارح أمانة، وتهذيبها بالصوم. ويقوم الصوفية بالمجاهدة، ومنع النفس من الحلال، وحث الأكياس في أحوال النفس، ودرع المؤمن حتى يتجلى الله. وقد ارتبط الصوفية بالعهد منذ ﴿أَلَسْتُ﴾، وحملوا نور التوحيد.

وفي «كتاب الرياضة» لا توجد أبواب أو فصول بل يوجد خطاب إرشادي وعظي متصل أقرب إلى الخطاب الشفاهي قبل التدوين. وكذلك كتاب «أدب النفس» مع التذكير بالموضوع والإحالة إليه[1]. كما يحيل إلى أجزاء الكتاب في البداية أو النهاية لاستكمال الموضوع[2]. ويقوي ذلك أساليب البيان والبديع من سجع وطباق وباقي الأساليب الأدبية[3]. كما يستعمل أسلوب السؤال والجواب فإن «قال قائل... قال» فالحوار أسلوب تربوي منذ سقراط وأفلاطون[4].

ويحيل الترمذي إلى باقي أعماله مما يدل على وحدة الموقف[5]. ويحدث التراكم التاريخي ليس فقط في أسماء الرواة كما هو الحال في علم الحديث بل استرجاعا للصوفية الأوائل الذين لم يتركوا مصنفات مدونة وإن تناقل الرواة أقوالهم[6].

كان الصوفية من المعارضين الأوائل حتى في المرحلة الخلقية. فقد اتهم الترمذي بالكفر بسبب «ختم الولاية» أو «ختم الأنبياء» و «علل الشريعة». فللأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتم. والولاية أفضل من النبوة بدليل قول النبي «**يغبطهم**

---

(1) مثل «رجعنا إلى رياضة النفس»، أدب النفس ص104. «عدنا إلى صفحة الموقد»، السابق ص129.

(2) السابق ص106.

(3) «فإذا ذكر المنة غرق. وإذا ذكر العافية قلق، وإذا ذكر حلول الأجل شرق، وإذا ذكر العيوب عرق، وإذا ذكر الرعاية والكلاءة وحق، وإذا رأى اللذات في الطاعة مئق، وإذا ذكره تئق، وإذا حن إليه واشتاق غرق»، أدب النفس ص130.

(4) السابق ص104-105/ 110-111/ 116/ 119/ 131/ 150/ 152/ 156/ 158.

(5) يحيل الترمذي إلى كتابه «صفة القلوب وأحوالها وهيئة تركيبها» لمزيد من التفصيل، أدب النفس ص104.

(6) من الأنبياء يتقدم محمد (46)، آدم (10)، سليمان (5)، عيسى (4)، داود، يوسف، موسى (2)، ومن الملائكة جبريل (7)، ومن الرواة يتقدم ابن عباس (7)، حارثة (8)، أنس بن مالك (4)، ومن الصوفية الأوائل يتقدم مالك بن دينار (4)، ابن المبارك (3)، ومن الصحابة: عمر، علي (2).

النبيون والشهداء». وهناك عناصر تشابه بين المرحلة الخلقية والديانات الشرقية مثل البوذية في السيطرة على الأهواء والانفعالات من أجل التحرر منها والسيطرة على شهوات النفس في التصوف.

2 ـ «أدب النفس»[1]: وهو من نفس النوع. ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث دون الشعر[2]. ومن أعلام المحدثين والصوفية بعد الرسول ابن عباس وحارثة ثم ابن المبارك ثم الحسن البصري ومالك بن دينار وأويس القرني. ومن الفقهاء أنس بن مالك. ومن الأنبياء عيسى ثم آدم ثم داود ويوسف. ومن الرواة يذكر العشرات. ومن الملائكة جبريل[3]. وهو أيضاً بلا أبواب أو فصول بل يضم عدة موضوعات أخلاقية مثل رياضة النفس وأثرها في قبول أحكام الله، ومجاهدة النفس ورياضتها، وعدم الغفلة عنها، ومنع اللذة والشهوة عنها، وتحرير القلب من رقها، والتخلص من الهوى والشهوات، وصفاء القلب وطهارته أو صقله متى يحل الإيمان واليقين فيه. وتظهر بعض المقامات مثل الصبر والرضا وبعض الأحوال مثل الفرح والحزن على الأنبياء والمتقين. ويظهر بعض القصص الرمزي مثل البازي والدابة، وذكر أفعال الخضر التي يدل باطنها على غير ظاهرها.

هـ ـ رسائل ابن أبي الدنيا (281هـ)

1 ـ «كتاب الشكر»: وهو أيضاً في موضوع للحديث النبوي وأحد مقامات الصوفية في آن واحد. كله أحاديث، وأقله قرآن وشعر[4]. وبلا أبواب أو فصول بالرغم من قسمته إلى جزأين بلا أي دلالة أو معيار للقسمة. الجزء الأول للرسول والصحابة، والثاني للعلماء الفقهاء والصوفية مما يدل على بداية تخلق الوعي التاريخي بالطبقات دون ترتيب زماني أو أبجدي. أكثر من نصف الأحاديث أقوال

(1) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م–1366هـ.

(2) الآيات (81)، الأحاديث (19).

(3) الرسول (26)، ابن عباس، حارثة (6)، عيسى (4)، آدم، ابن المبارك، جبريل، الحسن البصري، مالك بن دينار (3)، أنس بن مالك، جارود بن معاذ، حبيب العجمي، داود، سيار، يوسف (2)، صالح بن محمد، عامر بن عبد قيس، عبد الكريم بن عبد الله، عبد الله بن أبي زياد وحوالي السبعين من الرواة (1).

(4) الأحاديث (72)، الأقوال المباشرة (43)، الآيات (13)، الأشعار (3)، قدسي (1).

مباشرة، والباقي روايات وحكايات. يذكر السند مع المتن. ويذكر القرآن داخل الحديث[1]. ويعتمد على الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين خاصة نوح وداود وموسى[2]. ومن الصوفية والزهاد والمحدثين والعلماء يذكر أولاً الرسول ثم الحسن البصري ثم ابن أبي الدنيا ثم أبو حاتم الرازي، ثم سفيان الثوري ثم ابن عيينة ثم عائشة ثم وهب بن منبه. ومنهم إبراهيم بن أدهم وأبو سليمان الداراني وعمران بن حصين، وعمرو بن دينار، والفضيل بن عياض، ومن الفقهاء أنس بن مالك ومن الأنبياء داود ثم موسى ونوح[3]. ومن المجموعات يتقدم الأنصار[4]. ومن البلدان الكوفة والمدينة ثم مكة ثم باقي البلدان[5].

2 ـ **«الصمت وحفظ اللسان»**[6]: والصمت إحدى الفضائل الصوفية المذكورة في «الرسالة القشيرية». والمؤلف مؤرخ وصاحب مغازي وسير. ومع ذلك اكتفى بدور المحدث، جمع الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين حول فضيلة الصمت وحفظ اللسان. وتتكرر بعض الأحاديث وتتعدد الروايات لأهمية السند من أجل صحة الحديث. وللأحاديث الأولوية على الآيات كما أن للآيات الأولوية على الشعر[7]. والأحاديث مجرد رصد دون موضوعات في أبواب أو فصول. كما يُذكر العديد من الإسرائيليات كمصدر لفضيلة الصمت عند الأنبياء[8]. ويبدو أن الدافع

---

(1) كتاب الشكر ص 65.

(2) السابق ص 67/ 70-71/ 76/ 82/ 84/ 129/ 139/ 970.

(3) الرسول (43)، الحسن البصري (18)، ابن أبي الدنيا (13)، جبلة الأزدي، حاتم الرازي (12)، المزني (10)، محمد بن الحسين (9)، سفيان الثوري، سفيان بن عينية (8)، أنس ابن مالك، الجروي، داود، روح بن عبادة (7)، أحمد بن سلمان النجار، خلف بن هشام، سعيد بن عامر، علي بن الجعد، قاسم بن هاشم، مسعد بن كرام، أبو هريرة (6)، أبو حاتم الرازي، سلمة بن دينار، البزاز، الحسن بن صباح، السمان، عائشة، العدوي، السحار، خشيش أبو سعد، موسى، نوح، وهب بن منبه. والمجموع حوالي 460 اسما.

(4) الأنصار (2)، أهل الحجاز، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مكة، البصريون (1).

(5) الكوفة، المدينة (3)، مكة (2)، البصرة، بغداد، بلخ، الحجاز، دمشق، الرقة، صنعاء، الطائف، مصر، نيسابور (1).

(6) دار الاعتصام، القاهرة (د.ت).

(7) الأحاديث (218)، الآيات (27)، الأشعار (15).

(8) حوالي (17) مرة.

هو رد فعل على جدال المتكلمين. ولا يذكر إلا الوافد الشرقي، الهند، مرة واحدة [1].

وتذكر في المقدمة الإجازة بالرواية دون أي مقدمة نظرية أخرى. وأسماء الأعلام من الصوفية يتقدمها أبو هريرة والحسن البصري ثم أنس بن مالك ثم إبراهيم التميمي ثم الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، مالك بن دينار، إبراهيم النخعي ثم ابن سيرين، وهب بن منبه، أبو سعيد الخدري ثم سلمان الفارسي، فضيل بن عياض ثم إبراهيم ابن أدهم وأويس القرني. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل. ومن الصحابة يتقدم أبو هريرة ثم عبد الله بن مسعود ثم عمر ثم ابن عباس ومجاهد ثم عبد الله بن عمر ثم علي ثم أبو بكر، ثم معاوية! ومن زوجات الرسول تتقدم عائشة. ومن المحدثين يتقدم ابن أبي الدنيا ثم الترمذي. ومن التابعين يتقدم عمر بن عبد العزيز. ومن الأنبياء يتقدم عيسى ثم لقمان ثم موسى ثم داود ثم إسماعيل وذو القرنين إذا كان نبياً[2]. والكوفة هي المدينة الأولى لظهور الصوفية ثم البصرة في العراق، ثم خراسان في الشام ثم الحجاز[3].

3 ـ **«محاسبة النفس والازدراء عليها»**[4]: قد يظهر عند مؤلف واحد أكثر من

---

(1) الصمت ص 51.

(2) أبو هريرة (38)، الحسن البصري (31)، أنس بن مالك (27)، عبد الله بن مسعود (26)، عائشة، عمر (21)، إبراهيم التميمي، ابن أبي الدنيا، ابن عباس، مجاهد (15)، عبد الله ابن عمر (14)، الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، عمر بن عبد العزيز (12)، إبراهيم النخعي (9)، عطاء بن رباح، علي، عيسى، مالك بن دينار (8)، جابر بن عبد الله (10)، الشعبي، الربيع بن هيثم، سليمان بن الأشعث، عبد الله بن عمر (7)، عبد الله ابن المبارك، عون بن عبد الله، قتادة، معاوية، وهب بن الورد (6)، أبو بكر، الترمذي، ابن سيرين، شمس الدين الذهبي، كعب، وهب بن منبه (5)، بكر بن ماعز، أبو ذر، سالم بن عبد الله بن عمر، أبو سعيد الخدري، سليمان الفارسي، عبد الله بن زكريا، لقمان، مطرف، ميمون بن مهران (4)، إبراهيم بن أدهم، أحمد بن حنبل، أسامة بن يزيد، حميد الطويل، داود سفيان (3)، الثوري، سليمان، شعبة، صعصعة، عمرو بن قيس، فضيل بن عياض، مسروق، معاذ بن جبل، المعتضد، موسى، يونس بن عبيد.

(3) الكوفة (12)، البصرة (9)، خراسان (6)، الشام (5)، العراق، صفين، المدينة (4)، مكة (3)، سمرقند (2).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م– 1421هـ.

شكل من أشكال الوعي التاريخي مثل ابن أبي الدنيا. فبالرغم من أنه لديه الوعي التاريخي بالحديث إلا أن لديه أيضاً الوعي بالأخلاق الفردية مثل «محاسبة النفس». فهو لا يعتمد على الحديث بل على أقوال الصحابة والتابعين لأجيال أربعة. ومن قلة الاعتماد على الحديث أضافه المحقق في تخريج أقوال الصحابة والتابعين وإرجاعها إلى الحديث[1]. ولا يعتمد على القرآن قدر اعتماده على الشعر[2]. ويظل الأسلوب هو الرواية، والسند مع المتن. ومن الصوفية يذكر مالك بن دينار[3]. ولا توجد مقدمة نظرية ولا خاتمة ولا أي تحليل نفسي. توجد فقط الإجازة بالحديث في البداية والنهاية[4]. كما يبدأ الموضوع في الظهور من خلال الأقوال. ويوضع في أبواب خمسة: ذم النفس، معاقبة النفس، جهاد النفس ومنعها من شهواتها، الحذر على النفس من مخالفة سوء المنقلب والمقت، إجهاد النفس في الأعمال طلباً للراحة يوم الميعاد.

و ـ **«كتاب الزهد» لابن أبي عاصم(282هـ)**[5]: ويكشف عن التقاء علم الحديث والتصوف في مقام الزهد، ونشأة علم التصوف من علم الحديث. ويخلو من الأبواب والفصول. يذكر فقط لفظ «باب» ست مرات دون عناوين، منهما مرتان فقط عنوان الباب هي حديث الرسول[6]. وتُذكر أحاديث النبي في الموضوع تباعاً، السند مع المتن. وتتكرر بعض الأحاديث[7]. وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات[8]. ولا يظهر القرآن أو الشعر. بل تضم أقوال بعض الصحابة دون الزهاد والعباد والنساك الأوائل. وتظهر الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين في الزهد[9]. ويخلو الكتاب من أي مقدمة أو خاتمة نظرية تبين الهدف من الكتاب أو

(1) محاسبة النفس ص29-57/ 61-65/ 88-89/ 98-101/ 115-117.
(2) الشعر (13)، القرآن (6)، الحديث (4). أقوال الصحابة والتابعين (126).
(3) محاسبة النفس ص (75).
(4) السابق ص 19/ 135-136.
(5) دار الريان للتراث، القاهرة، الدار السلفية، بومباي، 1987م-1408هـ.
(6) كتاب الزهد ص15/ 51/ 89/ 111/ 117/ 126.
(7) السابق 74/ 75.
(8) أحاديث الأقوال 178 حديثا من مجموع 288 حديثا.
(9) كتاب الزهد ص 29/ 38/ 40/ 56.

سبب تأليفه. كما يخلو من أي أدلة عقلية أو عرض نظري. ويعرف الزهد سلباً بمعنى ترك الدنيا.

ز ـ «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار» لأبي القاسم الصقلي المالكي (380هـ)[1]: وبالرغم من أن العنوان في المعرفة الكشفية إلا أنه أقرب إلى الأخلاق النفسية والمقامات والأحوال. وبالرغم من اعتماده على بعض الآيات والأحاديث إلا أنه يقوم على مستوى عال من التنظير اعتماداً على القسمة العقلية[2]. وأحياناً تتوالي الآيات بالرغم من قلتها[3]. ولا يُذكر أحد من الصوفية الأوائل على الإطلاق، ولا أحد من الرواة. ولا يذكر إلا الحكماء مرة واحدة[4]. وكل فقرة خطاب أمري مباشر يتوجه إلى القارئ لنبدأ التربية الخلقية وتهذيب النفس ومحاسبتها كما فعل المحاسبي والترمذي من قبل. وهي أقوال للمؤلف مثل أقوال التستري مجموعة في سبعة أجزاء بلا عناوين. يتقدم كل منها فعل القول لمجرد القسمة. ويمكن استنباط موضوعاتها كالآتي: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية، مراتب العلماء وأهل المعرفة، منن الله على الأمة، حكمة الله، فروض الله على المؤمنين، آداب أهل المحبة مع الله، والعلم والعلماء. أكبرها الخامس، فروض الله على المؤمنين وأصغرها السابع، العلم والعلماء[5]. تقع بين مصطلحات الصوفية والتجارب الأخلاقية والنفسية.

وتقوم المقدمة على قسمة عقلية. الغاية العمل بالتحقيق. وعليه أربعة علامات: الأمر والنهي والترغيب والترهيب. وله أربعة أصول، لكل منها درجة ومقام. وأهلها الراسخون في العلم والطالبون لها والمريدون للمعرفة، حزب الله، جنة الله. هذه الأصول الأربعة هي: معرفة الله، معرفة دين الله، معرفة عدد الله،

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1421هـ.

(2) الآيات (19)، الأحاديث (2)، القدسي (2).

(3) الأنوار ص228/ 232.

(4) السابق ص 129.

(5) الجزء الأول: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية (32)، الجزء الثاني: مراتب العلماء وأهل المعرفة (33). الجزء الثالث: منن الله على الأمة (29). الجزء الرابع: حكمة الله (36). الجزء الخامس: فروض الله على المؤمنين (41). الجزء السادس: آداب أهل المحبة مع الله (39). الجزء السابع: العلم والعلماء (9).

معرفة الدنيا. وتدور الأقوال كلها التي تبلغ المئات حول هذه الأصول الأربعة[1]. وتتوالى القسمة العقلية عشرات المرات[2]. ويبدأ بها الجزء الأول. وتضم مجموعة من المقامات مثل التوبة والصبر والشكر والمحبة والرضا والتوكل ومجموعة أقل من الأحوال، الخوف والرجاء، ومجموعة ثالثة من الفضائل مثل الإيمان والعمل والعلم والنصيحة. ونقيضها ما يبعد عن الهداية والرشاد: إسلام بلا صدق، عمل بلا إخلاص، علم بلا إتباع، عقل بلا فهم، معرفة بلا بصيرة. وتتوالى القسمة للرضا والتوكل والمعروف بين أيدي الناس، ومعرفة عقل الفاضل والأحمق، والسخف والطبع، والمحبة، والإرادة والحذر والحقيقة والمقامات... الخ. كما تنقسم مراتب الناس، أهل الصدق وأهل والإرادة والعلماء والإخوان، والحكماء، وأصحاب اليمين... الخ[3].

(1) عدد الأقوال (947).

(2) والنجاة في خمس: لزوم التوحيد، الاعتصام بالكتاب والسنة، صلاح القلب للسلف، سلامة الصدر للأمة وصفاء الطعمة. ونقيضها الهلاك في إيثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومؤالفة الهوى. جعل الله مفاتيح الرشد ومزيد الهداية في عشرة وجوه تفترق على أجزاء: الإيمان، وعقد القلب بالتصديق على إخلاص التوحيد. فشرط العمل بالإتباع ثم مبادرة التوبة على ترك الكبائر والصغائر، ثم طلب العلم بالأدب لإرادة العمل به، ثم الصبر على البلوى بترك التبرم والشكوى، ثم الشكر على النعماء برؤية التقصير في الواجب، ثم عين الخوف بصحبة الرجاء، ثم الحياة بالمراقبة، ثم المحبة ببذل الأشياء، ثم النصيحة بالإنصاف، ثم الرضا بالتوكل «الأنوار ص12» وجعل مغاليق الرشد وذهاب الهداية في خمس يفترق على أجزاء الكفر: إسلام بلا صدق، وعمل بلا إخلاص، وعلم بلا اتباع، وعقل بلا فهم، ومعرفة بلا بصيرة، السابق ص12. النجاة في خمس والهلكة في أربع: النجاة في لزوم التوحيد، والاعتصام بالكتاب والسنة، وصلاح القلب للسلف، وسلامة الصدر للأمة، وصفاء الطعمة. والهلكة في إيثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومخالفة الهوى بغير بنيان ولا هدى، السابق ص12.

(3) أصول الرضا ثلاثة وشعبه ثلاثة (ص13). أصول التوكل ثلاثة وشعبه ثلاثة (ص14). المعروف بين الناس على أربعة وجوه (ص15). معرفة عقل الفاضل في ثلاثة، ومعرفة الأحمق في ثلاثة، والسخف في أربعة (ص17-18). والطبع على أربع، والمحبة لثلاث، والإرادة على ثلاث، والحذر من صحبة ثلاث (ص22/ 25). أهل الحقيقة أربع (ص36) ثمانية مثاقيل للأمة (37) لأهل الصدق طريقان (37)، أصول أهل الإرادة عشرة، وآدابها عشرة، وأخلاقها عشرة (42)، سبع مقامات (49)، العلماء ثلاثة، حجة ومحجاج ومحجوج (50)، فقدان الناس ثلاثة، والابتلاء لستة (73)، التقوى والكرم والفجور والدناءة =

وتردد الأقوال التي تقارب الألف حول موضوعات التصوف الأخلاقية الفضائل والرذائل، والتصوف النفسي مثل المقامات والأحوال، والتصوف النظري في نظرية المعرفة، والتصوف العملي في أحوال الطريق. فمتن التصوف الأخلاقي الفضائل كالفقر والورع والتعفف، الحلم والإتباع، الإنصاف، الصمت، العدل، الحياء، البكاء، الصدق، التقوى، الكرم والسخاء، الطهارة. ومن الرذائل الإفراط والأذى والإسراف والغضب، الهوى والحمق، سوء الظن، البدعة، الحسد، العجب، الكبر، البخل والشح، الرياء، الشهرة، الخرق، ومن التصوف النفسي، المقامات كالرضا والتوبة والمحبة والصبر، والزهد، والتوكل، والأحوال الخوف والرجاء، الأنس، الفناء والبقاء. ومن التصوف النظري، العلم، العقل، الوسوسة، اليقين، الغفلة، التوحيد، الكشف، الحكمة، ومن التصوف العملي، إنكار الدنيا، الرياضة والمجاهدة، العمل والأدب، البلاء، الامتحان، الذكر، المريد، الوحشة، المحاسبة، العامة والخاصة، الولاية، الحذر من النساء، الإرادة.

وأهم دلالة له هو نقد أحوال العصر وفساد الصوفية والعلماء. يكرر عدة مرات[1]. معرفة العصر معرفة للنفس، معرفة النفس ومعرفة للعصر. فالإنسان ابن عصره، والصوفي ابن وقته[2]. وشر زمان عندما يكون فيه التقي من العامة ذليلاً والفاجر من الخاصة عزيزاً[3]. يتسم علماء أهل هذا الزمان بالجهل بالدين وادعاء

= والمروءة والوفاء والإضاعة والخيانة خمس (75-76)، أصول الإسلام في الظاهر أربعة (78)، وفي الباطن أربعة. الإخوان أربعة (86)، الحكماء ثلاث، والعقلاء ثلاث (107)، صلاح الدنيا بأربعة (110)، أصحاب اليمين ثلاثة (123). معرفة الناس من ثلاثة (160)، للغة أصلان (163). طلب الدنيا على ثلاثة أوجه (176). للمعرفة أربعة معاني (183). علامة المعونة من الحق ثلاث (195). أربعة خلائق للولاية (200) أخلاق المؤمن أربعة (200) الإيمان في القناعة على ثلاثة منازل (207).

(1) نقد العصر حوالي (13) فقرة.

(2) «لا يعرف الناس من لم يعرف زمانه. ولا يعرف زمانه من لم يعرف نفسه. ولا يعرف نفسه من لم يعرف عيوبها. ولا يعرف عيوبها من لم يعرف دينه. ولا يعرف دينه من لم يعرف دنياه. ولا يعرف دنياه من لم يعرف آخرته. ولا يعرف آخرته من لا يعرف ربه. ولا يعرف ربه بالحقيقة من لم يرض بقضائه، ويصبر على بلائه، ويشكر على نعمائه، ويقر بفضل ما خوله من عطائه»، الأنوار ص120. «وأقبح من ذلك الزمان زمان يُرى فيه الظلم إحساناً»، السابق ص132.

(3) «شر زمان للعامة يكون التقي منهم ذليلاً صغيراً، وشر زمان للخاصة يكون فيه الفاجر =

المعرفة. وادعاء الزهد والتقوى باللباس والتدليس، وإيذاء الناس[1]. وهم قدوة سيئة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. هم علم بلا بصيرة، وخبر بلا فراسة، مع فسق المريدين أو صحتهم، وفساد السلاطين والعلماء بالرشوة، والتكالب على الدنيا، المال والسلطة، الثروة والرئاسة، وترك العمل بالحكم من الكتاب والسنة، والاعتماد على الأهواء والمصالح الشخصية[2].

ومن مظاهر فساد العصر ثلاثة في الدين: ترك الفرض وموالاة العدو،

= منهم عزيزاً شريفاً»، «ما أقبح زماناً لا سلطان فيه للحق منة على الظالم، وأقبح من ذلك الزمان زمان يجد فيه الظالم على نفسه ظلمة»، السابق ص 133.

(1) «ويلكم يا معشر النساك الجهلة بدينهم. أظهرتم زهدكم بالعجز عن محاسبتكم. واستعملتم تواضعكم في لباسكم، وأخفيتم الكبر والحرص في صدوركم. فلا أنتم وجدتم راحة في قلوبكم، ولا أنتم أرحتم الناس من آذاكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا وضع ميزان الحق للخلق وذهب الباطل؟ ويلكم يا معشر العلماء السوء الجهلة بربهم. جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم. فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم، ولا أنتم أدخلتموها للناس بصالح أعمالهم. قطعتم الطريق على المريد فصددتم الجاهل عن الحق بعد علمكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه. عجبت لقوم عجزوا عن معرفة أنفسهم يدعون المعرفة بأحوال غيرهم. بل عجبت من قوم أطاعوا الله في جهلهم فلما علموا واجبه عليهم عصوه بعد المعرفة به. . . عفت الطريق، أكثر أهل التدليس، والمشتبهون بدعاوى كاذبة، وحكايات مزخرفة، وصفات منمقة، وظواهر بالعلم فاسدة، وتعاطي حجج غير صادقة. كل ذلك لطلب دنيا أو محبة لثناء. وقد قل أهل العلم والبصيرة، وأهل المعارف بالحقيقة. فمن رأيتم يحفظ كلمته، ويبحث عن طعمته، ويصافي أهل الحق بالمودة، ويسلم غريب العلم، وأسباب القدرة. فشدوا به أيديكم، وتوسلوا به إلى ربكم. فإنه علم من أعلام الحق منار لأهل الوفاء والصدق. ومن كان بغير هذا الوصف فإما جاهل في عمله أو أحمق في عمله أو دجال يكيد الطريق وأهله»، السابق ص 23-24.

(2) «هلك في هذا الزمان من عرفه الناس بالعلم والخبر. ولم يعرفهم بالبصيرة والفراسة، وسلم من الناس من لم يعرفهم ولم يعرفوه وأربح الناس من عرفهم ولم يعرفوه. إذا فخر العلماء وفسق القراء وسفك السلطان الدماء وأخذ على الحكم والحاجة الرشاء، وافتخرت العامة بكسب الحرام، ولم يغير الخاصة منكراً فهناك وجب الفرار ووسع المريد الصمت، وكان الموت تحفة لكل مؤمن. فساق هذا الزمان أكثر مروءة في الدين من قرائهم، وعوامهم أقوى إيماناً من علمائهم، وجهالهم أكثر تصديقاً بالقدرة من أهل القدوة بهم. وما ذاك إلا عقوبة نزلت بالقوم. فإن اعتبروا وأنابوا وإلا زيدت الفتنة عليهم من تسليط سلطان السماء، وسلطان الأرض في الدين والدنيا. . .»، السابق ص86-87.

وفقدان الثقة بالله. وثلاثة في الدنيا: أكل الحرام وغياب النصيحة وضياع الإنصاف وثلاثة لدى الفقراء: عدم الصبر وعدم الرضا وعدم ترك الذم والمدح. وثلاثة لدى الأغنياء: عدم الشكر وبذل الفضل وترك النصح. وثلاثة في الأصل: إهمال الدين ومصلحة الدنيا والافتخار[1]. وثلاثة في الإخوان: غياب سلامة الصدر والبذل عند الحاجة ونصرة الحق عند الغيبة[2]. الزمان زمان بلاء وفتنة وامتحان واختبار سواء

(1) «إنما عميت قلوب أهل الإتراف بالدنيا لقلة التحافظ في الكسب، وترك المحاسبة في الإنفاق. وإنما عميت قلوب العلماء والفقراء لمحبة الذكر والرئاسة، ومخالطة الظلمة، ومداهنة الفجرة. وإنما غويت قلوب أهل الإرادة، لإضاعة الرعاية. وإنما قل صبر الفقراء لموافقة هوى أبناء الدنيا. . .، «لما تركوا العمل بالمحكم من كتاب الله، والثابت من السنة، ورجعوا إلى الرأي والقياس والمستحسن سلبوا أنوار عقولهم، وانطمست فطن فهومهم، فعمي القلب، وكل الذهن، فقامت النفس عند ذلك مقام العقل، وقام الهوى مقام الروح، وقام العدو مقام العلم، وقامت الوسوسة مقام الصدق والأخلاص، وقام الباطل مقام الحق. . . «ذهبت الغنيمة،وغربت السلامة، وعلا الباطل، وظهر المنكر، وتعامل الناس بالخبث والفجور. فلا يُري الحق في هذه الأزمان إلا مريد سمعه بإذن قلبه من الحق أو ناطق غير الحق، ولا يعقله إلا ظاهر بالتوبة، ولا يعمل به إلا بصير بالمعرفة». . .،السابق ص 112-113. «سيد الناس في هذا الزمان من وهبه الله ثلاثة وإن قل علمه وعمله: حفظ فرضه، وضبط لسانه وإصلاح طعمته. وشر الناس في هذا الزمان من منع في ثلاثة وإن كثر علمه وعمله من استبدل بصحبه أبناء الآخرة وحتى أبناء للدنيا، ولهي بالتكاثر من الدنيا بعد التقلل منها، وصنع من معرفة نفسه بتزكية الجهال له»، السابق ص53-54. «وحصل أهل هذا الزمن على ثلاثة أخلاق مذمومة تورث ثلاثة محتومة تورث ثلاثة موبوقة. توالوا على إظهار المحبة، وتباينوا في القلوب بالمخالفة فورَّثهم ذلك المراهنة، وورثوا منها الإصرار على مذموم الحال، وتواطئوا على إظهار العداوة، وتألفوا على الركون إلى الظلمة والاختلاف إلى الفجرة فورَّثهم ذلك الصمت عن قبيح أفعالهم، وإظهار شكر ما عملوه منهم، وورثوا من ذلك أخذ الأجعال على قضاء الحوائج وهو السحت الذي نهى الله عنه، ورأوا أن ذلك لهن حلال. وتواطئوا على طاعة النساء فورَّثهم ذلك ذهاب أموالهم في الباطل فورَّثوا من ذلك ذهاب الغيرة لله ولرسوله ولصحابته ولأعراض المؤمنين وحرماتهم. فماذا ينتظر الناس بعد هذا إن كان هذا موجود في السلطان والقاضي والعالم والخاص والعام. إنا لله وإنا إليه راجعون على ذهاب الأعمار، وموت الأخيار والتخلق بداء الاغترار والأنس بقوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار»، السابق ص67.

(2) «عدم في هذا الزمان ثلاثة في الدين، وثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الفقراء، وثلاثة في الأغنياء، وثلاثة في الأهل، وثلاثة في الإخوان. فأما الذي في الدين فالمحافظة على الفرض، والرعاية في المعاداة والموالاة، وفقد الثقة بالله. وأما التي في الدنيا فالحلال =

لمن عارضه أو لمن رضي به[1]. والطريق هو محاسبة النفس وإصلاح الدين والكف عن الأذى[2].

لقد ضيع العوام والعلماء والعارفون والمريدون وأهل الإيمان وجميع الناس كل شيء، كل في مستواه[3]. ضيّع العامة سبعة أشياء: الأمر والنهي، والترغيب

= المحض بلا شبهة، والنصيحة بالحقيقة، والإنصاف في المودة. وأما التي في الفقراء فالصبر عند العدم، والرضا بما أوتي، وترك الذم والمدح. وأما التي في الأغنياء فالشكر عند الموجود وبذل الفضل بلا منة، وترك النصح بالنعمة. وأما التي في الأهل فإقامة الدين بواجب فرضه، ومصلحة الدنيا بنية التعفف، ومحبة الستر بترك الافتخار والمباهاة. وأما التي في الإخوان فسلامة الصدر عند المخالفة، والبذل عند الحاجة، والنصرة بالحق عند الغيبة»، السابق ص160-161.

(1) «هو زمان بلاء وفتنة، وامتحان واختبار. وأشد ذلك كله على من أشار إلى شيء من الحقيقة إما بحال حل فيه فذلك الذي أعظم البلاء عليه، وإما بتصديق فيلحقه من البلاء بقدر إيمانه. فطوبى للصابرين القانعين، وهنيئاً للراضين المحسنين»، السابق ص. . . 168، «إذا صار العلماء بالأمر جهالاً في أعمالهم، وصار العمال أهل عبادة في أفعالهم، وصار المدعون الورع سخفاً في أحوالهم، وصار المريدون والطالبون أهل رؤية ودعوى ونفور وجفاء، لا يهابون شيخهم، ولا يجلون كبيرهم، ولا يرحمون صغيرهم فيكرمون كرامات أهل الطاعة، ويرفعوا بأهل التخاليط والمعصية فقد وجب كتمان هذا العلم ووجبت الظنة بذكر أحوال أهل المعرفة واليقين الخاصة والخصوص إلا عن أهله من أهل التصديق والبصيرة في التحقيق». . .، السابق ص 168.

(2) «لا يسلم لأحد في هذا الزمان دينه حتى يكون همه محاسبة نفسه، وشغله بصلاح دينه، ويترك الناس جميعاً بكف الأذى عنهم، واتصال نفعه بهم»، السابق ص 168-169.

(3) «ضيع العوام في هذا الزمان معرفة معاني سبعة أشياء من الكتاب والسنة فيها كل بر وفضل ومقام ودرجة. وهو: الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والآداب والقصص والأمثال. وضيع العلماء معرفة معاني ستة أشياء وهو أول فرض عليهم في صلاتهم: فرضها وسننها وحدودها وأحكامها وترتيبها وجمع الفهم فيها. وضيع العارفون معرفة معاني خمسة أشياء في حالهم. وبها تصلح عبوديتهم: عقل الإيمان، وفهم الإيمان، وعلم الإيمان، وعمل الإيمان، ويقين الإيمان. وضيع المريدون معرفة معاني أربعة أشياء بها قوام حالهم في طريقتهم: أداء الحق المفترض عليهم، وأخذ الحق الواجب لهم، وابتغاء الحق المرغوب فيه والنهي عنه، وتمييز الحق الوارد من الحق للحق والخلق. وضيع أهل الإيمان معرفة معاني ثلاثة أشياء وهي ما لا يسع أحد جهلها: أحكام أصول الدين من الكتاب والسنة ووجوه الإتباع في الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضا والغضب. وقل في الناس معرفة معاني اثنين: النصيحة في الموالاة، والإنصاف في العداوة، وعدم في الناس معرفة معنى واحد: إدخال المسرّة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين»، السابق ص 185-186.

والترهيب والآداب والقصص والأمثال. وضيّع العلماء معاني ستة أشياء في الصلاة: الفرض والسنة والحدود والأحكام والترتيب والفهم. وضيّع العارفون معاني خمسة أشياء في الإيمان: عقله وفهم وعلمه وعمله ويقينه. وضيّعَ المريدون معاني أربعة أشياء بالنسبة للحق: أدائه وأخذه وابتغائه وتمييزه. وضيّع أهل الإيمان معاني ثلاثة أشياء: أحكام أصول الدين، وإتباع الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضى والغضب. وضيّع الناس معنيين: النصيحة في الموالاة والإنصاف في العداوة. وضيّعوا معنى واحداً هو إدخال المسرّة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين.

وتلك من علامات آخر الزمان[1]. والسؤال هو: ما هي ظروف هذا العصر الحديث الشبيه بذلك العصر القديم؟ وهل هي ظروف مشابهة تقتضي نفس رد الفعل أم ظروف مغايرة تقتضي رد فعل جديد؟.

ويحضر البعد السياسي في مقاومة السلطان الجائر[2]. فأشد بلاء في الأرض على العامة والخاصة سلطان جائر، وعالم فاجر وعابد جاهل ومصاحبة العلماء للسلطان فساد لهم. وصلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي بالسنة، وناسك يُغاث به العباد[3]. والأمل الدولة الأبدية وهي

(1) «يحدث في آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام، مفتونون بجمع الحطام، يتعلمون العلم والقرآن للدنيا والرئاسة، ويدعون السنة وهم يعملون بالبدعة. يظهرون ترك التسبب من الحلال زهداً. ويأخذون من الناس بالشبهات والحرام بحثا»، السابق ص 207.

(2) «أعظم بلاء في الأرض، وأشد عقوبة في العامة والخاصة ثلاث: سلطان جائر، وعالم فاجر، وعابد جاهل. فالسلطان الجائر نقمة على الناس في دنياهم. والعالم الفاجر محنة وبلاء على الناس في دينهم. والعابد الجاهل رأس كل فتنة في الدين والدنيا، مشؤوم على نفسه بجهله، ضر على العوام به. وأضر أحوال الناس ثلاث: جور العمال، وجهل العلماء، وحماقة النساك، الأنوار ص105. «إذا صحب السلطان الجائر أهل العلم والتقوى على الدنيا فسد دينهم. وإذا صحبه أهل الفسق والاعتداء فسدت دنيا العامة. ومن رأيتموه من العلماء والنساك يتصدى للأمراء والملوك لقضاء الحوائج، ويكثر الاختلاف إلى أبواب القضاة والوزراء ليودعوه وليعدلوه فهو خبيث رجال قد دخل في طريق الفتنة. وعلامته دهانته لهم في الحق، وصحته عن الباطل، وفقد التوفيق منه في نصرة المظلوم، وذهاب البصيرة منه في حال نفسه، وعدم التميز منه لغيره»، السابق ص105.

(3) «صلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي بسنة رسول الله، وناسك يُغاث به العباد والبلاد»، السابق ص110. «إذا جاء السلطان فسد سكن =

الجنة السرمدية، والبقاء دون الفناء[1].

4 ـ الوعي التاريخي المعرفي

وهو قمة الوعي التاريخي في أشكاله الأولى قبل أن يصبح وعياً نظرياً خالصاً في مرحلة التصوف الفلسفي. وقد بدأ ذلك في رسالة العقل و «كتاب العلم» و«رسالة في التصوف» عند المحاسبي (243هـ)، واستمر في «بستان المعرفة» عند الحلاج(309)، و«رسالة الاعتبار» عند ابن مسرّة (319).

أ ـ رسائل المحاسبي(243هـ)

1 ـ **«رسالة العقل»**[2]: ويدحض تحليل العقل الحكم الشائع بأن منهج الذوق مضاد لمنهج العقل. فالعقل قادر على الوصول للكشف. يتفق عليه الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون والصوفية. وتعتمد الرسالة على القرآن اعتمادا كلياً أكثر من الحديث[3]. وتكاد تخلو من الأشعار. وهي على قدر كبير من التنظير. وهو العقل الأخلاقي، والعقل العملي الذي اشتهر به كانط. وهو صادر من الله. فأول ما خلق الله خلق العقل. وهو أعز من خلق. هو دليل وحجة. والحجة حجتان: عيان ظاهر أو خبر قاهر. والعقل يشمل الحس والقلب، العيان والوجدان.

2 ـ **«كتاب العلم»**[4]: وهو وعي تاريخي نظري بالتصوف كعلم. وهو على قدر عال من التنظير بالرغم من الاعتماد نسبياً على القرآن والحديث[5]. ولا يذكر من الصوفية الأوائل إلا سفيان بن عيينة ووهب بن منبه[6]. العلم على ثلاثة أنواع:

= البلد. وإذا قبل القاضي الرشاء والاستعانة فسد سكناء الحضر. وإذا فجر العلماء ذهب خير الدين. وإذا فسد القراء ذهب خير الناس»، السابق ص110.

(1) «اطلبوا الدولة الأبدية وارغبوا في الجنة السرمدية بالتصمد للصمد والإبقاء لمن أحببتموه للواحد الأحد عسى أن تحيوا في دار البقاء بما أسلفتم في دار الفناء فإن الكريم يعود بفضله على من يخالفه ويعصيه فكيف لمن يوافقه ويطيعه؟»، السابق ص182.

(2) عالم الكتب، القاهرة 1969 ص235-259.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (2)، الشعر (1).

(4) الدار التونسية للنشر، تونس 1975.

(5) الآيات (3)، الحديث، القدسي (1).

(6) كتاب العلم ص98.

علم الحلال والحرام وأحكام الدنيا، علم الظاهر وهو الفقه، وعلم أحكام الآخرة، علم الباطن، وعلم بالله وأحكام خلقه في الدارين. العلم الأول لأفعال الجوارح. والعلم الثاني لأفعال القلوب وفيها الفضائل والرذائل والمقامات والأحوال. والعلم الثالث لأهل الإيمان وحدهم[1].

ب ـ أعمال الحلاج (309هـ)

1 ـ «الروايات أو الأحاديث»[2]: وهو كتاب أصيل يستبدل بالسند في الرواية والعنعنات الشهيرة مصادر قلبية للمعرفة المباشرة من الله «عن قلبي عن ربي أنه قال»[3]. ولا يهم المتن بقدر ما يهم السند. لذلك يظهر «الله». ضمن العنعنات[4].

---

(1) السابق ص 129-135. ويغالي الناشر في ثبت الفهارس العامة فيما يدل وفيما لا يدل.

(2) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن، ط2/ 2005 ص269-284.

(3) الروايات أو الأحاديث، الحلاج: الأعمال الكاملة ص269-275.

(4) الحي السميع البصير العزة، المالك الكبير، الحق الأعلى، الجليل الوحيد عن الحدين، الجليل الوحيد القدرة، الجلال القريب، قد يكون السند أنواع المعرفة مثل: الإيمان المعروف، اليقين الموجود، العلم القديم، الرؤية الصادقة، العلم، المعنى، المحيط، المعرفة الأصلية، العيان اليقين الغيب. وقد يكون وسائل المعرفة: العقل الوجيه، الفهم المبين. وقد يكون شخصياً مثل: الملك الحكيم، الكروب الكبير، الروح المكنون، الملك اللطيف، جبريل، صاحب الميزان، الروح القديم، الملك الشاخص، الملك القدير، المدبرات عن الحكمة. وقد يكون زمان الكون: مثل الفجر، رجب، العصر، الجمعة القائمة، العصر الماضي، القدم. وقد يكون المكان مثل: السجنج (مكة)، القدس، الفردوس الأعلى، عدن المعبود، قبة الأزلية. سدرة المنتهى، بيت الله، موسى الله، بيت الله الوسيع، الطور، الركن، المقام. وقد تكون مظاهر الحياة مثل: الحياة الدائمة، المملوك البصير، ساعة الساعات، الحسن، الإحسان، الإرادة، روح الحياة، نور السمع والبصر. وقد يكون مظاهر الطبيعة مثل: السحاب المتراكم، البرق الخاطف، الرعد المقدس، القوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر، الضياء المخمر، الصورة الكائنة، حضرة النبات، ألوان الأنوار، حياة القدم، الخلق، الظل المسدود، النور الفريد، ريح الجنوب، عقاد المن، جبل البروق، بحر من البحار الشعاعي، قوس الله المشرقة بالأنوار المشارق، البروج، القطب، الهلال اليماني، الطائر الميمون، حيدرة الملك، نشر النشوب، صورة الجمود، النور التائب، الوجود، لسان الغيب اللطيف، الصورة الحسنة، الفطرة الساطعة، صنع المجيد، السماء والأرض، الفطرة. وقد يكون تاريخ الدين مثل: الميثاق، البرهان، مجمع القرآن، الشأن المشهود، القرآن المجيد، الشهر المعظم، البلاء والنعمة، =

2 ـ «بستان المعرفة»[1]: وهي رسالة صغيرة عن المعرفة تقوم على التنظير العقلي الخالص كما هو الحال في رسائل ابن مسرّة عن الاعتبار والنظر. أسلوبها إلغازي، شديد التركيز. يكشف عن شدة الوجد وحالتي الفقد والوجد. المعرفة رؤية وشطح تقوم على الوحدة بين الذات والموضوع[2].

جـ ـ «رسالة الاعتبار» لابن مسرّة (319هـ)[3]: وتكشف عن الوعي الصوفي النظري وبداية الفلسفة الإلهية. والاعتبار هو النظر كما هو الحال عند ابن رشد. وقد سماه ابن الهيثم التجربة. لم يعد التصوف مجرد أخلاق عملية بل هو تأمل نظري على عكس الشطحات عند البسطامي والجنيد والشبلي والحلاج. وتعتمد على الآيات وحدها دون الحديث أو الشعر[4]. ومع ذلك يغلب عليها التنظير العقلي. ولا يشار إلى أحد من أعلام الصوفية.

وبالرغم من أن المرحلة الفلسفية في القرنين السادس والسابع عند السهروردي (ت587هـ)، وابن الفارض (ت632هـ) وابن عربي (ت638) وابن سبعين (ت669) إلا أنها بدأت مبكرة عند ابن مسرّة الأندلسي(ت319)، بالرغم من أن لقبه هو الشيخ العارف المحقق في أعماله الفلسفية الخالصة مثل «رسالة الاعتبار»

= القضاء والقدر، عين الميزان الأمر المبين. وقد يكون الأحجار الكريمة مثل: الياقوت الأحمر، ياقوت النور. وقد يكون الأنبياء مثل مُحمد صاحب الركن واليمين. وقد يكون السند الحروف والأسماء والكلمات: مثل الاسم العزيز، ميم، الخازن، الكلمة المتصلة الكبرى، الكلمة العليا، الاسم المبين. وقد يكون شخصاً مثل صاحب الحجاب، خادم البيت المعمور، صاحب ستر الأقصى، السفير الأعلى، صاحب هبابة الراح، الولي القريب شاهد الكعبة. وتذكر أحياناً التواريخ عين الميزان سنة مائتي وتسعين، والعصر سنة سبع من البيت. ، السابق ص 270-274.

(1) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن 2005 ص213-235.

(2) أربابها، أربابها. كأنها كأنها كأنها، كأنه كأنه كأنه، كأنها كأنها، كأنه كأنه، كأنه كأنها، كأنه كأنه، كأنها كأنها، بنيانها أركانها، وأركانها بنيانها، أصحابها أصحابها، بنيانها بها، لها بها، لا هي هو، ولا هو هي، ولا هو إلا هي، ولا هي إلا هو، لا هي إلا هو. ولا هو إلا هو، بستان المعرفة، الحلاج، الأعمال الكاملة ص315-316.

(3) من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1982م-1402هـ، ص61-73.

(4) الآيات (22).

وموضوعها الصلة بين الدين والفلسفة مثل «فصل المقال» لابن رشد، و«خواص الحروف» في التأويل. ويحيل إلى الفلاسفة. و «رسالة الاعتبار» جواب على سؤال تلميذ له «لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى الأعلى إلا مثل ما دلت عليه الأنبياء من أعلى إلى أسفل» فالوحي هو العقل. والتنزيل هو التأويل. والإجابة «اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار» وهو ما سماه ابن تيمية «اتفاق صحيح المنقول لصريح العقول» أو «درأ تعارض النقل والعقل»، وتعتمد على الآيات القرآنية بالرغم من اعتمادها على التحليل النظري الخالص[1]. ولا يعتمد على الحديث. فالقرآن أصل والحديث فرع، وكما تكثر من الآيات توغل في المسائل الفلسفية النظرية الخالصة المتعلقة بالطبيعيات. والاعتبار هو النظر عند ابن رشد، والتجربة عند ابن الهيثم، والتبصرة عند الصوفية وهو الاعتبار بمخلوقات الله عز وجل. جمعا بين الاستدلال والتجربة، بين العقل والآية مع التحذير والترهيب والتذكير والتمجيد لأسمائه وصفاته. ثم يتحول الخطاب الفلسفي إلى حروف الأسماء[2].

د ـ **«بستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي (373هـ)**[3]: ويوحي العنوان بأنه في المعرفة الكشفية. وهو في الحقيقة في الفقه والآداب الشرعية. لقب المؤلف الإمام. لا يعتمد إلا على فقيه واحد هو أبو الليث. لقبه الزاهد. يبدأ به كل باب من الأبواب المائة وتسع وخمسين. ويتكرر قوله أكثر من مرة داخل بعض الأبواب. ومعظم الآداب أقرب إلى العادات منها إلى الفقه خاصة في آداب الطعام والشراب واللباس، والحمام والزيارة والحديث والمداواة. وتتوالى الأحاديث أحياناً في دفعات[4]. وهي أقوال أكثر منها روايات أفعال. تغلب الأحاديث على الآيات، ويقل الشعر[5]. وتغيب الأحاديث القدسية نظراً للطابع السلوكي للفقه دون ما

---

(1) «فلما اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار بأن هذه القوة حاصرة له محيطة به، عالية عليه. إن عمي عنها ورام الخروج عن حوزتها خرج عن الكنف كله. . .»، الاعتبار ص72.

(2) خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص96.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م-1424هـ.

(4) بستان العارفين ص 135/ 138.

(5) الأحاديث (412)، الآيات (220)، الأشعار (15).

حاجة إلى اللجوء إلى الإيحاءات الخيالية والإخراج المسرحي. وتذكر المتون دون أسانيدها. وأكثر الأسماء المذكورة محدثون ورواة. ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن البصري وذو النون. ويذكر الحكماء بالمعنى العام دون أشارة إلى وافد أو موروث. ويذكر من الوافد الشرقي برزجمهر[1]. ويقل التحليل العقلي إلى الحد الأدنى لدرجة الغياب أمام طغيان الأحاديث وكأن الكتاب في الحديث أو الفقه. ولا يظهر الجانب الصوفي. وسبب التأليف جمع فنون العلم الفردي للعامة والخاصة مستمداً من عدة كتب سابقة اعتماداً على الأدلة النقلية وترك غوامض الكلام[2]. لذلك تناثرت الموضوعات وتكررت مما يستدعي إعادة تجميع وتصنيفها في عدة أبواب أصغر[3].

(1) الحسن البصري (3)، ذو النون (1)، الحكماء (5)، برزجمهر (1).

(2) «إني قد جمعت في كتابي هذا من فنون العلم ما لا يسع جمعه ولا التخلف عنه للخاص والعام. واستخرجت ذلك من كتب كثيرة. وأوردت فيه ما هو الأوضح للناظر فيه، والراغب إليه. وبينت في الحجج فيما يحتاج إليه من الحجة بالكتاب والأخبار والنظر والآثار. وتركت الغوامض من الكلام. وحذفت أسانيد الأحاديث تخفيفا للراغبين فيه، وتسهيلاً للمجتهدين، والتماساً لمنفعة الناس»، بستان العارفين ص 5.

(3) أهمها: العلم، طلب العلم وكتابته وأخذه من الثقات وفضله على الفقه وآداب المناظرة والمتعلم، في فضل تعلم القرآن وتعليمه وآداب المستمعين، العلم والأدب، فضل المعلمين. الفقه والفتوى ولمن تجوز، الاختلاف والقضاء، آداب القاضي، آداب الوضوء والصلاة، آداب النوم، تقديم اليمين على الشمال، النهي عن التعرض للتهمة، التصاوير، قتل العمد، الجماع، دخول الحمام، آداب الخلاء، قتل الجراد. نقش المسجد، كراهية البصاق فيه، كراهية الصلاة أثناء النعاس. الفوائد، السباحة والفروسية والرمي، النهي عن اقتناء الكلب، حضور العشاء مع إقامة الصلاة، الصلاة في المطر، كراهية الجرس، نشر السكر، البول في حالة القيام، خصار الحيوان. الحديث، رواية بالمعنى والإجازة. والأخلاق والمواعظ والآداب، إباحة مجلس العظة، آداب المذكر، المروءة، الآداب، الرفق. القرآن والتفسير: تفسير السبع المثاني، وما أنزله منه بمكة والمدينة وسورة براءة، وقراءة النبي على أُبي بن كعب، ونزوله على سبعة أحرف، تفسيره، عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه وأثلاثه وأرباعه وأنصافه والسادس الشعر إنشاده وأشعار النبي. اللغة: تفضيل اللسان العربي على غيره، حد الكلام، معاريض الكلام، مما يستحب من الأسماء، الأمثال. المعاملات: حسن المعاشرة ومعرفة الحقوق، زيارة الإخوان، التسليم على الكبار والصبيان وأهل الذمة وعند دخول البيت، إجابة الدعوة، آداب الضيافة، الخروج من المنزل والصحبة، البيع والشراء، النهي عن النظر في بيت الغير، الاستدانة، الكذب، كراهة الوحدة، المزاح، كراهية الدخول على الأهل من السفر ليلاً، التعزية، المسابقة، الهدية والمكافأة، تشميت العاطس، مداراة الناس، التحية. اللباس: =

5 ـ الوعي التاريخي الأدبي

ويظهر الوعي التاريخي الأدبي من تجميع أقوال الصوفية المتناثرة في الروايات الشفاهية أو عبر التدوين المبكر أو المتأخر مثل أقوال التستري. وغالباً ما تكون الأقوال شطحات مثل شطحات الجنيد والبسطامي. والأقوال هي وحدة التحليل الأخيرة في علوم الحكمة وعلوم التصوف[1]. يجمع المحدثون أقوال الصوفية القدماء كما يجمع الرواة الحديث. وهي تدل على الوعي التاريخي عند المحدّثين. فوحدة التحليل هو العمل الصوفي وليس ما يُجمع من أقوال شفاهية أو مدونة من غيره[2]. فجمع أقوال صوفية لم يكتبوا من أحد المحدثين لا يدل على الوعي التاريخي عند القدماء الذي لا يبدأ إلا بالتدوين.

= ما يستحب منه، الجمال، وما يجوز لبسه وما لا يجوز، العلم في الثوب، افتراش الديباج، ولبس الحمرة، وجلود السباع. الطعام: أكل اللحم والفالوذج، أنواع الأطعمة، الثوم، آداب الأكل، الخلال، آداب الشرب، مباكرة الغداء، السحر بعد العشاء، قلة الأكل. الأخلاق والسياسة: الرذائل والفضائل، السخاء والبخل، الغيرة، إكرام أهل الفضل والشرف، طاعة الولاة، الأخذ من الأمراء، الأمر بالمعروف، الخاتم والكتابة عليه، الرسالة، الفلسفة، طبائع الإنسان، العمارة والبناء، كلام الحكماء، المعرفة. عبارة الرؤيا، الرؤيا الصالحة وحسن العبادة، العقل. الكلام: علامات الساعة، الشفاعة، البكاء على الميت ببكاء أهله، الحفظة المرأة التي كان لها زوجان في الدنيا، أسماء الجنان والنيران. تفضيل الفقير على الغني، عذاب الميت، أطفال المشركين، الأنبياء، نسبة النبي وأولاده وأزواجه، ابتداء أمر النبي، هجرته، مغازيه، ما يكره، الدعوات، الخلق، بدأ خلق السموات والأرض، المسخ، الإيمان، يزيد أم لا؟ عمل أم قرار؟ مخلوق أم لا؟ القرآن، الرؤية، القدر، المعاملة مع أهل الكفر، الرفض، الطب، الرقى، الأطعمة التي فيها الدواء، فضل العصا، الامتناع عما يضر البدن، الحجامة. التصوف. زوال الدنيا عن المؤمن. وهو أقل الموضوعات. الأحوال الشخصية: تزويج الزانية، العزل، القبلة للولد الصغير، ضرب الدف، النكاح. التاريخ: أسماء الخلفاء بعد النبي، الأيام والشهور، والصحابة.

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ3/ النقل جـ1 التدوين، فصل1 التاريخ، ثامناً: الأقوال ص214-227.

(2) من أعمال المحدثين «الإمام الجنيد، سيد الطائفين «قدس الله سره العزيز»، مشايخه، أقرانه، تلامذته، أقواله، كتبه ورسائله. إعداد وتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي. تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق د. محمد كمال إبراهيم جعفر. شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، تأليف عبد الرحمن بدوي. ومن القدماء «أخبار الحلاج» جمع علي بن أنجب الساعي (674هـ)، شطحات الصوفية (البسطامي ت 261هـ) تأليف عبد الرحمن =

أ ـ الشطحات[1]

ومن علامات التحول من المرحلة الخلقية إلى المرحلة النفسية الشطحات. والشطحة عبارة تعني بظاهرها غير ما توحي بباطنها. ظاهرها مخالف للفقه، وباطنها متفق مع التجربة الروحية. وهي أيضاً من علامات التحول من المرحلة النفسية إلى المرحلة الفلسفية نظراً لما تتضمنه من معاني وتصورات مركزة وحادة حول الله والإنسان والعالم قبل أن تتحول إلى خطاب فلسفي برهاني عند السهروردي وابن عربي وابن سبعين. والشطح كلام يبدو ظاهره شنيعاً ولكن باطنه صحيحاً مستقيماً[2]. هي عبارة مستغربة في التعبير من وجد فياض هاج بشدة وغلبه هياجه. يعني لغوياً الحركة في مقابل الكلام الذي يتفق ظاهره مع باطنه الساكن[3]. والحركة ليست في الكلام بل في النفس والذهن والعقل والروح والقلب والفؤاد. الحركة في الداخل وليست في الخارج. وهو معنى عبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». ولا تأتي الشناعة من الشطح ولا من الصوفي بل من أهل الظاهر وأعداء الصوفية والأولياء، غيرة منهم، وحسدا لهم، وتقربا إلى السلطان، ودفاعاً عن مناصبهم المزورة كما وصف الكندي «رجال الدين» الذين يعادون الفلسفة. وأقل ما يوجد لأهل الكمال الشطح لأنه تمكن من المعنى. يقع في البداية من أجل الوصول إلى الكمال في النهاية فتكون بدايته نهايات الإرادات. وتعني بداية الغايات والكمال والنهايات[4]. ومعظم الشطحات أقوال ملغزة تشد الانتباه وتصدم العامة والفقهاء. والبعض منها حكايات طويلة يصعب سماعها وحفظها وآداؤها طبقاً لشروط الرواية. هي أقرب إلى الحكايات

= بدوي ويتضمن «النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي من علماء القرن العاشر، شطحات الصوفية ص58-185، «المسلك الجلي في حكم شطح الولي» للنابلسي (1143هـ)، السابق ص189-199.

(1) الصورة الأولى للشطحات عند إبراهيم بن أدهم ورابعة العدوية. وأول من عبر عنها البسطامي (261هـ)، والتستري (319هـ)، ثم الحلاج والشبلي. وصورها الأخيرة عند الجيلاني والرفاعي وابن عربي.

(2) «كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها متشنع وباطنها صحيح مستقيم»، اللمع ص453-455.

(3) «باب في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه»، السابق ص453-454.

(4) السابق ص458.

الرمزية[1]. الشطحات القصيرة تهتم بالتجربة المباشرة والشطحات الطويلة تعتمد على الاستدلال[2].

هي عبارات تدل على التوحد بالله أي إثبات الذات[3]. وتعني رمزا التوحيد بين الذات الإنسانية والذات الإلهية، بين قيس وليلى[4]. ويشعر الصوفي أنه هو الله الجدير بالعبادة[5]. ويتوحد مع الله[6].

والشطحات نوعان. شطحات أقوال وشطحات أفعال. شطحات الأقوال هي الأقوال التي يدل ظاهرها على غير باطنها. ظاهرها كفر صراح، وباطنها إيمان عميق بالتوحيد بين الخالق والمخلوق. وشطحات الأفعال هي كرامات الأولياء، الأفعال الخارقة للعادة والتي تبدو كالمعجزات. وقد تعبر الشطحة عن التسليم بالأمر الواقع مثل ضرب اللصوص على أبواب السلاطين[7].

وللشطحات أشكالها الأدبية مثل أقوال الأنبياء وأمثالهم ورموزهم تتميز بالتركيز الشديد، وبالتكرار عوداً على بدأ، وبالقلب والمبادلة. وهو موضوع دراسة مستقلة[8]. ونظراً لبنية الشطحة اللغوية يمكن التنبؤ بالشطرة الثانية منها. وتكرار الشطحات يدل على أنها بنية نفسية تتكرر وليس فقط تكرر الروايات وتعدد المصادر. ولا يدل وجود بعض الأقوال بالفارسية أن الشطحات خاصة والتصوف عامة ذو أصول فارسية. كما لا يدل الأصل المجوسي للبسطامي على أن التصوف عامة والشطحات خاصة فارسية الأصل[9].

---

(1) شطحات ص97-98، 107، 125-127، 161-163، 175-178.

(2) السابق ص106-107.

(3) مثل «سبحاني، سبحاني، أنا ربي الأعلي»، شطحات ص89، «سبحاني، سبحاني، ما أعظم شأني»، السابق ص186.

(4) «أنا من ليلى، ومن ليلى أنا»، السابق ص89.

(5) «إني أنا لا إله إلا أنا فاعبدون»، السابق ص157.

(6) «غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما حُبست عنه وجدته في كل حال كأنه أنا»، السابق ص157.

(7) «إنما يضرب اللصوص على أبواب السلاطين»، شطحات ص73.

(8) انظر دراستنا: تاريخ الأشكال الأدبية، دراسات فلسفية، القاهرة 1987ص487-522.

(9) السابق ص68/ 139.

ولا يحتاج الشطح إلى إثبات من حكاية موسى والخضر. إذ تثبت الحكاية فقط الفرق بين الظاهر والباطن في الأفعال وليس الشطح في الأقوال. كما لا يحتاج إلى أدلة من الكتاب والسنة على وجوده إلا على سبيل الحجاج ضد الخصوم، ورد الحجة بالحجة مما يوقع في ضرب الكتاب بعضه بالبعض. ولا يحتاج كذلك إلى الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين والآثار المنقولة عنهم لأن الخصوم يختارون وينتقون آثاراً أخرى مضادة. وفي التاريخ رصيد كامل لكل الاتجاهات مثل الكتاب والسنة. والكل إلى رسول منتسب.

1 ـ **شطحات أبي يزيد (261هـ)**: والشطحات المروية عن البسطامي كثيرة[1]. وكلها روايات شفاهية دون التحقق من صدقها كما هو الحال في علم الحديث. وقد يكون تكرار بعضها عند أكثر من راوٍ نوعاً من التواتر. وقد تم تأليفها بناء على سؤال لمعرفة مناقب الشيخ[2]. ولها سند ومتن مثل الحديث. وقد يتدخل الخيال في الروايات نظراً لأنها لم تخضع لمناهج النقد التاريخي خاصة إذا كانت حكاية خيالية أو رواية أسطورية[3]. ليست كل الأقوال شطحات بل منها ما هي أقوال خلقية شبيهة بالمرحلة الخلقية عند المحاسبي والترمذي والخراز.

ويمكن رد ذلك إلى حديث الرسول عندما كان يقول قبل الصلاة «وقفت بين يدي الجبار». وأقوال الشعراء تشهد على ذلك. و «التوحيد بين ذات الله وذات الإنسان» هو معنى الحديث القدسي الشهير «مازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه. فإن أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها». وتدل هذه الشطحة على مدى القرب بين الإنسان والله، وإعجاب الله بالإنسان، ورغبة الخلق في رؤية الإنسان وليس الله، وموافقة

(1) السّهْلجي: النور من كلمات أبي طيفور، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص58-187، مرآة الزمان لسبط بن الجوزي، السابق ص202-215، نفحات الأنس من حضرة القدس لعبد الرحمن الجامي، السابق ص216-217، قصة أبي يزيد البسطامي مع الراهب، السابق ص218-222، طبقات المشايخ للسلمي، السابق ص223-226.

(2) السابق ص59.

(3) رفع الله أبا يزيد مرة وقال له «إن خلقي يحبون أن يروك» فرد أبو يزيد «زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك»، اللمع ص461-463.

الرب على ذلك، ورفع الإنسان إلى أعلى حتى يراه الخلق. ويرفض الإنسان أن يكون موضوعاً للرؤية إلا إذا زينه الله بوحدانيته، وألبسه أنيته، ورفعه إلى أحديته. فإذا رآه الخلق كأنهم رأوا الله. ومن ثم يرى الخلق الله ولا يرون الإنسان. الله يريد الإنسان، والإنسان يريد الله موضوعاً للرؤية. كل يؤثر الآخر على نفسه.

وإذا توحد الإنسان مع الله فإنه يشعر أنه قد تخفف من ثقل الجسم، واستبدل بجسمه الأحدية، استبدل الكم بالكيف، والبدن بالروح. فأصبح طائراً جناحاه من الديمومية، وهي صفة الأحدية. وظل الطائر يطير عشر سنين فهي هواء قدره مائة ألف مرة من هواء الدنيا أي في الفضاء الفسيح حيث لا جاذبية تمنع من الطير بسرعة أسرع من الصوت وربما أسرع من الضوء إلى أن وصل الطير ميدان الأزلية أي الخلود فرأى شجرة الأحدية وهي غاية المطاف[1]. وليس المقصود بتحديد المسافة الكم بل تصور عظمة الكيف. ويعني الطيران ليس الانتقال الجسدي بل الانتقال الروحي من فرح اللقاء. وهي تجربة إنسانية في حالة التوتر القصوي يشعر الإنسان بخفة البدن، وتنعكس الجاذبية إلى الأرض إلى الجاذبية إلى السماء، مثل تجربة الإسراء والمعراج. وفي القرآن آية تصور الطير في العنق صورة للمسئولية[2].

وتتكرر صورة الطير والرحلة وملذتها في الميادين مثل ميدان الليسية لأنها بلا كم. وما زال طول الرحلة يتحدد بالسنة الضوئية حتى الخلاء المطلق وهو الضياع في الفضاء اللانهائي وهو التوحيد حتى يغيب الإنسان عن نفسه ويفنى[3]. فصورة

---

(1) «أول ما صرت إلى وحدانيته. فصرت طير جسده من الأحدية، وجناحاه من الديمومية. فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة. فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية»، اللمع ص464-467.

(2) ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ وهو معنى قول الشاعر:

رب يوم كأنهم يوم بانوا — من دموع الفراق يوم مطير
لو تراني رأيتهم يوم قالوا — جسدا واقفا وقلبا يطير

السابق، ص465

(3) «أشرف على ميدان الليسية. فمازلت أطير فيه عشر سنين حتى صرت من ليس في ليس بليس. ثم أشرفت على التضييع، وهو ميدان التوحيد. فلم أزل أطير بليس في التضييع حتى ضعت في الضياع ضياعاً، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعة التضييع. ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق»، اللمع ص468-471.

الطير مألوفة في الكتابات الصوفية، في الشطحات أو في الرسائل. فقد كتب كل من ابن سينا والغزالي رسالة في الطير. ولا يوجد تأويل واحد في الشطحات كما هو الحال في النصوص النثرية أو الشعرية المركزة. والصورة قرآنية(1).

وتختلف الشطحات طولاً وقصراً، حكاية أو عبارة. وتدل العبارة القصيرة على شدة الوجد. وتستعمل الشطحة أحياناً اسماً من أسماء الله، وتنسبه إلى الله مثل «سبوح» و «سبحان»(2). وبعد التوحيد بين الاثنين تصبح الأسماء واحدة. وهي لا تنتسب إلى ما قال فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ لأن فرعون لم يتوحد بالله بالتجربة الصوفية ولكن بدعاء القوة. تخرج هذه الشطحة من شدة الفنا عن الذات والبقاء بالله. وإذا ضرب الصوفي خيمته عند العرش فذلك لدلالة قربه من صاحب العرش. والعرش نفسه صورة لله. والخيمة بجواره صورة للإنسان مازال بها البعد دون القرب الذي يتجلى في الجلوس على العرش مع الله، ليس في تجاور بل في تماهي كامل. وهو غير ما قاله اليهود عن عزير ابن الله أو أنهم أبناء الله وأحباؤه لأن الأبوة والنبوة اثنينية. ولم تكن هناك محبة متبادلة بين الله واليهود.

2 ـ شطحات الحلاج (309هـ): ومن أصحاب الشطحات الحسين بن منصور الحلاج الذي يبلغ من الشهرة في تاريخ التصوف عند الصوفية ودارسي التصوف مبلغاً لا يعادله إلا ابن عربي، مؤلفاته متناثرة. جمعت أخيراً في أعماله الكاملة(3). بالإضافة إلى الروايات عنه وأشهرها «أخبار الحلاج»(4). والشطحة ضيق العبارة واشتداد الوجد، وليس فقط ضيق العبارة واتساع الرؤية كما عرفها النفّري. مثال ذلك بصق الحلاج على النار حتى تصير ريحاناً على أهلها، وقدرته على التكلم بمثل هذا القرآن(5).

---

(1) ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

(2) «سبحاني سبحاني»، اللمع ص472-477.

(3) الحلاج، الأعمال الكاملة (التفسير، الطواسين، بستان المعرفة، نصوص الولاية، المرويات، الديوان، إعداد قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 بيروت 2002).

(4) أخبار الحلاج (وهو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج)، تقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت). وهي رواية علي بن أنجب السلمي (ت674هـ). وبعضها ذكر في «الولاية»، الأعمال الكاملة ص221-254.

(5) «لولا أن الله تعالي قال ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ «لكنت أبصق في =

الشطحة نظرية أو عملية، قولية أو فعلية، تفسير الآية القرآنية أو الحديث النبوي عن طريق التجربة النفسية. ففي لحظة الصلب يقرأ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ . وفي وقت إنزاله من الجذع لضرب عنقه قرأ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾(1). وقبل الصلب أنشد بأن نديمه لا يظلم. يدعوه للشراب كضيف. وإذا دارت الرؤوس دعا النطع والسيف(2). وفي الشطحات القولية ينادي على من ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وآيات أخرى عن التوحيد الشامل أو الحروف مثل ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ وتعبر التجربة النفسية بالشطحة وبالشعر كما تعبر بالآية(3) لقد أباح الله للناس قتل الحلاج. فالقتل أو حقن الدماء يعني خارج الصلاة والصوم وقراءة القرآن. وهو مصير الصوفي. فليقتله الناس ليؤجروا ويستريح. فليس للمسلمين هم إلا قتله(4). قتل النفس هو ما أراده الحلاج وهو من الواجبات.

= النار حتى تصير ريحانا على أهلها». يمكنني أن أتكلم بمثل هذا القرآن»، الولاية ص235.

(1) ومثل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ * وَالظَّٰهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾.
المجموع 16آية، السابق ص ص10-11/ 22/ 24/ 33/ 37/ 39-40/ 46/ 48/ 50-51/ 55.

(2) نديمي غير منسوب   إلى شيء من الحيف
دعاني ثم حياني   كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس   دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح   مع التنين في الصيف
السابق، ص23
«ثم ضرب عنقه ولف في بارية وصب عليه النفط وأحرق وحمل رماده على رأس منارة لتنسفه الريح»، السابق ص24.

(3) مجموع الأشعار (25). أكبرها ثمانية أبيات، وأصغرها بيت واحد.

(4) «اعلموا أن الله أباح لكم دمي فاقتلوني. . . والمعنى الذي به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن. فاقتلوني تؤجروا وأستريح. . . ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي. . .»، أخبار ص42.

لذلك إذا تعصب الناس يؤجرون[1]. ومن تعصب لله يؤجر على ذلك[2]. ويستغيث الحلاج بأهل الإسلام لأنه لا يترك إلى نفسه فيأنس بها أو تؤخذ منه فيستريح منها. وهو دلال لا يطيقه[3]. وفي رسالة وداع إلى صاحبه يكتب الحلاج من الغريب المفرد إلى الشفيق المجد، يناجيه، ويثبت همته، ويكشف بالمباشرة، ويلطف بالمجاورة، ويتلذذ بالقرب، ويتزين بالأنس. يتشقى ويترقى ويتحقق وينصرف. ويتفكر ويخاطب ويراقب ويتجلى. «وتتحقق بعد أن تمزق. وتمزق بعد أن تزندق»[4]. وبعد قطع يدي الحلاج ورجليه إيذاء له في الله والله يتودد لمن يؤذيه[5].

والبعض يشهد على الحلاج بالكفر، والبعض الآخر بالولاية. والشهادة بالكفر أفضل. والتعصب للدين أفضل من حسن الظن[6]. ومن ثم لا يناظر الحلاج خصومه. ويعترف لهم مسبقاً بأنهم على حق وهو على باطل[7]. والشهود زور. شهادة الحاضر زور، وشهادة الغائب حق[8]. والحلاج شهيد يقتل لأنه يقول

(1) «القصد قتل هذه الملعونة... ولكني أعزيهم على الحق لأن عندي قتل هذه من الواجبات. وهم إذا تعصبوا لدينهم يؤجرون»، السابق ص46، «الخلق يشهدون بكفري، ويسعون إلى قتلي. وهم بذلك معتدون وبكل ما يفعلون بي مأجورون»، أخبار ص17، الولاية ص237.

(2) السابق ص50.

(3) الولاية ص263.

(4) «وفي غد يكون العرس فانتقبوا. وعند الصباح يكون الجمع فتأهبوا. تناولت صفات الصفات. ودنا الأجل للميقات. وفي غد تسفر سافرة المكتوم، وتبرز مخبئات الصدور ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾»، السابق ص263-264.

(5) «إلهي أصبحت في دار الرغائب. أنظر إلى العجائب. إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك»، أخبار ص26. الولاية ص250.

(6) «إن بعض الناس يشهدون عليّ بالكفر. وبعضهم يشهدون لي بالولاية. والذين يشهدون عليّ بالكفر أحب إليّ وإلى الله من الذين يقرون بالولاية من حسن ظنهم بي. والذين يشهدون عليّ بالكفر يشهدون تعصباً لدينهم. ومن تعصب لدينه أحب إلى الله ممّن أحسن الظن بأحد الولاية» ص250-251.

(7) «تريدون مناظرتي، على ماذا أناظر؟ أنا أعرف أنكم على حق وأنا على باطل»، السابق ص251.

(8) «ومن حضر بطلت شهادته. ومن غاب قبلت شهادته»، السابق ص (5).

ربي الله. وهو على مذهب ربه حنيفي عن أمة محمد. تأول عليه الخصوم. اعتقاده الإسلام، ومذهبه السنة، ويتبع الصحابة[1].

والوجد هو الأساس النفسي للشطحات. هو شدة الانفعال وراء غرابة العبارة. هو مشاهدة الحق في كل وقت. والمشاهدة على الدوام توجب الحرقة لأن الصوفي يذوب بالمشاهدة ويحترق. الوجد لهيب ينشأ في الأسراح شوقاً. فتضرب الجوارح هرباً وحزناً من ذلك الوارد ويتعثر اللسان. الوجد وقتي زائل في حين أن المعرفة دائمة. هو قوة تذيب الأرض والجبال. تحرق النار وتهدم الجنة يوم القيامة. في الوجد تستنطق الألسنة ولكن تحت النطق ما يورد إلى التهلكة. وأنفس متعبة مستهلكة لا تقوى على السيطرة على الألسنة والأقوال. فتنطق بالشطحات. وصيحة تدل على الجهل به. ومن أحب حقيقة فإنه لا يحده، ولو طارت شرارة منه تحرق مالكاً وناره[2]. الوجد بلاء قد يؤدي بصاحبه إلى الشهادة. هو مصيدة وهوة تحتاج إلى غوث. ومهما قُطع صاحب الوجد بالبلاء إرباً إرباً فإنه يتلذذ بذلك ويزداد حباً. ويستغيث بالناس من الله الذي خطف ذاته ولم يردها إليه. وهو لا يطيق حضرته، ويخشى الهجران، فيكون محروماً منه، غائباً عن نفسه. وما أقسى الغياب بعد الحضور، والهجر بعد الوصل. يطلب الواجد أن يقتله الناس حتى يؤجروا ويستريح وكأن ليس لدى المسلمين ما يشغلهم إلا قتله. وقتل هذه النفس التي شطحت من الواجب على الخلق تعصباً للدين فيؤجرون عليه. وقد سبق لإبراهيم أن حرق بالنار. والواجد على أعتابه بالصلب والقتل[3].

---

(1) «أتقتلون رجلا يقول: ربي الله»، «أنا على مذهب ربي»، «أنا حنيفي أقل حنيفية من أمة محمد». ظهري حمى، ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه. واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحه والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح. ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين. فالله الله في دمي»، السابق ص251.

(2) الولاية ص253-254.

(3) «لو قطعتني بالبلاد إرباً إرباً ما ازددت إلا حباً حباً»، «أيها الناس أغيثوني عن الله. فإنه اختطفني مني. وليس يردني عليّ. ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة. وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً. والويل لمن يغيّب بعد الحضور. ويهجر بعد الوصل»، «أيها الناس اسمعوا: إن الله أباح لكم دمي. فاقتلوني اقتلوني، تؤجروا وأسترح. ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي». «كيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد صُلبت وقُتلت وأحرقت، =

ويظهر عند الحلاج التراكم الصوفي بالإحالة إلى الجنيد. فليس للجنيد إلا الشيخوخة. ومنزلة الرجال تُعطى ولا تتعاطى. أما داود الظاهري فكان فقيهاً ينكر التصوف. ومحمد بن الخفيف تعصب لله وسيؤجر على ذلك. وقال الجنيد إنه كذب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وأبو يزيد البسطامي مسكين أيضاً مع بدء النطق. فقد نطق الحق على لسانه. شهد المحجوب، وانطوى العارف. فلم يسمع ما نطق به لأنه من الحق سمع. ومن سمع الحق بالحق لا يظهر منه الإنكار ولا التعجب ولا الاستنكار(1).

3 ـ **شطحات الشبلي (334هـ)**: وللشبلي أيضاً شطحاته(2). فالصوفي نظراً لدرجته في الوصول يشعر أنه زعيم للناس وقائد للركب، وأنه مع الناس حيثما كانوا مثل الله، وأنهم تحت رعايته مثل الله. الصوفي قطب أو بدل. يدور الكون حوله. وهو بديل عن الله. وفي نفس الوقت يشعر الصوفي بالذل. فهو المتناهي في الكبر، المتناهي في الصغر في آن واحد. هو العالم الأكبر والعالم الأصغر بتعبير إخوان الصفا. وفي الحديث مضمون هذه الشطحات عندما يقترب الرسول من الله ويكون زعيما للبشر جميعاً وليس فقط لأمته(3). وفي نفس الوقت جعل الرسول نفسه أقل من الأنبياء. ما هو إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد(4). وتبين شطحة أخرى قدرة الصوفي المطلقة على نيل الأقصى فكيف يطلب الأدنى؟(5). ويتفاوت الصوفية فيما بينهم في درجة الوصول وفي العلو. فلو كان أبو يزيد مع الشبلي لأسلم على يد أحد صبيانه. فأبو يزيد هو المريد والشبلي هو الشيخ(6).

= وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعه»، الولاية ص253-254.

(1) الولاية ص261-262.

(2) اللمع ص478-491.

(3) «مُرّوا أنا معكم حيث ما كنتم. أنتم في رعايتي وفي كلاءتي»، «لو عرضتُ ذلي على ذل اليهود والنصارى لكان ذلي أذل من ذلهم»، السابق ص478-480.

(4) حديث «لي وقت لا يسعني شيء غير الله. وأنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام». «أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد».

(5) «إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز. ولو التفت سِرّي إلى العرش والكرسي لاحترق»، السابق ص479.

(6) «لو كان أبو يزيد رحمة الله عندنا لأسلم على يد بعض صبياننا»، السابق ص480.

وبعض الشطحات تصوير فني خالص مثل أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الشبلي إن كان مازال فيه فضل لذكر جبريل وميكائيل. وتقال نفس الشطحة بطريقة أخرى دون تصوير فني بأمر الله الأرض بالابتلاع[1]. والشطحة لها رصيدها في الحديث[2]. وتكثر صور جبريل في الخيال الشعبي. له سبعمائة لغة، وسبعمائة جناح. منها جناحان إذا نشر واحد غطى المشرق، وإذا نشر الآخر غطى المغرب. ملك تغيب الدنيا بين جناحيه وسيد الأفق. وكيف كان يهبط في منزل الوحي عند خديجة أو عائشة؟ كيف يتحول الكبير جداً الذي بحجم الكون كله إلى أن يهبط في غرفة؟

وقد تعني الشطحة العالم في الإنسان وليس الإنسان في العالم، والمكان في الزمان، وليس الزمان في المكان. فالاتجاهات الأربعة كلها شعرة من خنصر الصوفي المتحد بالله[3]. وليس عند الصوفي فقط اللحظة الحاضرة بل الزمان كله الماضي والمستقبل. وقته ليس له طرفان. هو كل الوقت. وهو محق. فلم يعد فيه بقية لغيره. وإن كان فمصيرها النار. ولو اعتقد أن النار تحرق منه شعرة لكان مشركاً لأنه جعل شيئاً غير الله سبباً. وعذاب الصوفي إذا قطع الله معه وليس إذا قذف به في النار. ولله عباد لو أنهم بصقوا على جهنم لأطفأوها[4]. وللشطحة رصيد في القرآن والسنة والشعر[5].

---

(1) «أمر الله تعالى الأرض أن تبتلعني أن كان فيّ فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام»، «إن مر بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت»، اللمع ص481-482.

(2) «رأيت جبريل عليه السلام مثل الحلس البالي فعلمت به فضل علمه وخشيته علي».

(3) «يا قوم أمرُّ إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. وأمر يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري»، اللمع ص486-491. «ألف عام ماضية في ألف عام واردة، هو ذا الوقت، ولا تغرنكم الأشباح»، «أنتم أوقاتكم مقطوعة، ووقتي ليس له طرفان»، «أنا الوقت، وقتي عزيز، وليس في الوقت غيري. وأنا محق». «اللهم أن كنت تعلم أن فيّ بقية لغيرك فاحرقني بنارك، لا إله إلا أنت»، «لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق شعرة لكنت مشركاً»، «ليتني أعمل بلظى وسقر عندي أن لظى وسقر فيها تسكن».

(4) «تقول جهنم يوم القيامة للمؤمن: جز يا مؤمن. فقط أطفأ نورك لهيبي».

(5) مثل: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾.

ولما كانت الشطحات في الأفعال وليست فقط في الأقوال، وبالتالي تتحد مع الكرامات[1]. فكان يحرق ثيابه الثمينة في النار، وطعامه في النار، ويفرق أمواله على الناس إلا عياله وهو ما يخالف الشريعة في البداية بالأقربين. وتغذي الإسرائيليات هذه الحكايات البطولية عن الأنبياء. والحديث رصيد لها[2].

4 ـ **شطحات باقي الصوفية**: ليس أصحاب الشطحات فقط هم كبار الصوفية كالبسطامي والحلاج ولكن أيضاً لغيرهم كأبي الحسين النوري وأبي حمزة الصوفي[3]. فالنوري يعشق الله، والله يعشقه[4]. وله أصل في الكتاب. والمؤذن قد يذكر الله وهو غافل ويأخذ أجراً على ذلك. ولولاه ما ذكر الله. وكل شيء يسبح بحمد الله دون أن يفقه الإنسان تسبيحه، حتى نبح الكلاب. والقرآن رصيد في ذلك. وإذا كان الخليفة في بيت الله، فالصوفي مع الله في كل ساعة. ولذلك أيضاً رصيد في الكتاب. ويرفض الصوفي أن يأخذ ثمن بيع عقار حتى لا ينخدع بعيدا عن الله. وكان أبو حمزة الصوفي إذا سمع صوتاً لهبوب الرياح أو خرير الماء وصياح الطيور كان يصيح «لبيك» لأن الله حال في كل شيء. والأمن إذا كان السبع على اليمين، والمسورة(المسندة) على اليسار لا يبالي الصوفي على أيهما يتكأ[5]. وذكر عن الواسطي أيضاً بعض الشطحات[6]. والذكر افتراء إذا قرن بالاستحقاق. فالله لا يجب عليه شيء. وقد يكون الذكر باللسان وليس بالقلب.

(1) «في معني أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي»، اللمع ص483–485.

(2) مثل «الدنيا ملعون ما فيها»، «لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة من ماء».

(3) «باب في ذكر أبي الحسين النوري رحمه الله، وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة وغير ذلك»، اللمع ص492–494».

(4) «أنا أعشق الله وهو يعشقني»، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وسمع الآذان فقال. «طعنه وسئم الموت». وسمع نباح الكلب فقال «لبيك وسعديك» ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا».

(5) «أعرف رجلاً لو كان على يمينه مسورة وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكأ»، اللمع ص495–496.

(6) «من ذكر افترى، ومن صبر اجترى، ومن شكر انبرى»، السابق ص506–515.

فالنفاق نوع من الكذب[1]. وقد يكون الذكر لله مع شيء آخر وهو مشرك. وفي الكتاب ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [2].والصبر في البلوى فضيلة ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ . يدعو إلى الدعاء. والذنب للتذلل أفضل من الطاعة للتدلل وأعلى درجة التوحيد هو التفريد، عدم ملاحظة الحبيب أو الخليل دون ملاحظة الحق[3]. ولذلك رصيد في الحديث[4]. وملاحظة النفس وإعطاؤها الأولوية التي ترتبط بالحديث[5].

وقد رمي جماعة من المشايخ أصحاب الشطحات بالكفر[6]. وهم نوعان: الأول لم يفهموا معاني الكلام ودون جهد عقلي أو تأويل ديني. والثاني علموا مقاصدهم ومعانيهم ولكنه لم يصبر معهم وأثر الدنيا مطلب الرياسة فعاداهم دفاعاً عن النفس[7]. وممن كانوا موضع اتهام ذو النون المصري. وطلب من الله أخذ متهميه إن كانوا كاذبين. أما إن كانوا صادقين فإنّه لا يدعو على خلق الله أبداً. ومنهم سمنون ولقبه «المحب»، وأبو سعيد الخراز[8]. كما طلب سهل بن عبد الله أن تكون التوبة فريضة على العبد مع كل نفس. فكفرته العامة. وهي مبالغة لبيان أهمية أداء الفروض[9]. وقد اتهم عامر بن قيس لقوله إنه خير من إبراهيم وإنه

---

(1) «أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان».

(2) وفي الحديث «والذي نفس محمد بيده لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من نفسه ومن ماله».

(3) وهو قول الواسطي «إياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا»، اللمع ص511.

(4) «اعبد الله كأنك تراه».

(5) «أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوائي. والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها».

(6) «باب ذكر جملة المشايخ الذين رموهم بالكفر»، اللمع ص497-504.

(7) ومنهم أبو بكر علي بن الحسن بن ياز دانيار، السابق ص50-55.

(8) وذلك لقوله في كتاب السر «عبد رجع إلى الله وتعلق بالذكر. وذكر في قرب الله وطالع ما أذن له. من التعظيم لله وفي نفسه وما سوى الله. فلو قلت له من أين أنت وأين تريد؟ لم يكن له جواب غير قول: الله»، السابق ص499.

(9) كما تم أيضاً تكفير عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي، وأبو العباس أحمد بن عطاء، والجنيد الملقب بطاووس العلماء. وأول من امتحن عامر بن قيس ولكن معاوية أكرمه.

يحرم ما أحل الله. وهو نوع من الثقة بالنفس، وبيان أن الحلال والحرام ظاهر، وأن الباطن هو القرب والبعد. ولذلك رصيد في الحديث[1]. والمطلوب الصبر على البلاء لأن «الصبر مفتاح الفرج»[2]. ويذكر الطوسي نماذج من شطحات الصوفية اعتماداً على تفسير الجنيد بالإضافة إلى تفسيره للتخفيف من وقعها، وبيان صحة معانيها اعتماداً على القرآن والحديث والشعر العربي والتجربة الإنسانية [3].

ب ـ أعمال الحلاج (309هـ)

«نصوص الولاية»[4] ومع أن العنوان يتعلق بالولاية أي بالوعي التاريخي المغترب إلا أن مضمونه في المصطلحات وألفاظ الصوفية[5]. وفي رسائله يذكر أيضاً بعض ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم[6]. وكذلك يذكر بعضها في متفرقات من كلامه[7]. ويعتمد على الآيات والأحاديث دون الأشعار[8]. ويظهر لفظ التصوف نفسه مما يدل على بداية تحوله إلى علم، الفرح الصوفي والدلال الصوفي. ومن أعلام الصوفية الجنيد، والبسطامي. وتشمل الألفاظ الاسم والحقيقة من أجل الانتقال من اللغة إلى الوجود، الحروف، العبارة، النقطة، الكلمة، الإشارة.

---

(1) «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل. ويبتلى الرجل على حسب دينه. فإن كان في دينه صلابة فيكون بلاؤه أشد».

(2) لذلك قال على بن أبي طالب:

ما أحسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه ... عاقبة الصبر ما له ثمن

السابق ص501.

(3) اللمع ص459-460، يذكر الطوسي في «اللمع» أربع شطحات لأبي يزيد (ص461-477) وأربعاً أخرى للشبلي (ص478-191)، وواحدة لأبي الحسين النوري (ص492-494)، وواحدة لأبي حمزة الصوفي (ص495-496)، «شرح ذلك يطول إن استقصيت. وفيما ذكرت كفاية»، السابق ص463 وللنوري مثل ذلك كثير. وفيما ذكرنا كفاية، السابق ص494. «ولكن تذكر من ذلك طرفاً على الاقتصار والإيجاز»، السابق ص497 و «وفرت الاختصار حتى يقاس بذلك ما لم نذكره»، السابق ص515.

(4) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن 2005م- ص221-265.

(5) وعددها (47)، الحلاج، الأعمال الكاملة ص221-232.

(6) السابق ص 233-254.

(7) السابق ص 257-265.

(8) الآيات (17)، الأحاديث (3).

وتظهر بعض ألفاظ الفضائل مثل الحياء، وبعض ألفاظ المقامات أو ما يشابهها مثل التفويض، والتوكل، الزهد، الشكر، العبودية، المحبة والعشق والشوق، ومن الأحوال: الأنس، الجمع، الخوف، الفناء،البقاء، الوجد، ومن مصطلحات الطريق: البلاء، الذكر، السماع، المجاهدة، المريد، المراقبة، المناجيات، النفس، الوقت، الهمة، العرف والمزاج، التحقق، الطاعة، العبادة[1]. ومن مصطلحات المعرفة: التجلي، الحجاب، الخاطر، الشطح، طريق الحقيقة، الظاهر والباطن، العارف والصوفي، العلم، الفراسة، المعرفة، الحكمة الإلهية، ومن مصطلحات الكلام: التنزيه والتوحيد، الجبر والاختيار، الحق والخلق، الكفر والإيمان، الوحدة والكثرة، القدم والحدوث، الاتصال، وحدة الأديان، الذات والصفات، البداية والنهاية، الدواعي، العمل، الإنسان والعالم، الرحمة الإلهية.

جـ ـ «خواص الحروف وحقائقها وأصولها» لابن مسرّة (319هـ)[2]: ومن العناصر المكونة للوعي التاريخي الحروف والكلمات والشطحات أي الوعي باللغة. فاللغة حامل للتاريخ من خلال الروايات الشفاهية والتدوين. والتركيز على أوائل السور يضع الرسالة في علم التفسير[3]. ويعتمد على الآيات أكثر من الأحاديث[4]. ومن الأعلام يذكر التستري[5]. ويرفض الوافد. فالفلاسفة هم قدماء الأمم الضالة. وهم غير الحكماء وهم فلاسفة المسلمين[6]. والرسالة لصغرها ليس لها أبواب أو فصول. إنما تشمل عدة موضوعات مثل: الحروف على الجملة، مبدأ كل حرف منها. الألف دليل على الوحدانية[7]. وتتألف الحروف ويصبح لها معنى باطن، وهي الحروف في أوائل السور وترتيبها[8].

---

(1) عنوانها «الصيهور في نقض الدهور»، نصوص الولاية، الأعمال الكاملة للحلاج ص264-265.

(2) من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1982-1402 هـ، ص75-115.

(3) «ونحن نشير إلى ما ذهبوا إليه في ذلك من الكلام في مبادئ السور المتقدمة الذكر. ولا تخرج عن مرادهم. ولا نشذ عن مذهبهم. وإنما غرضنا في ذلك تقريب اللفظ وتبيين المعنى وترتيب الحروف ونظمها»، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص82.

(4) الآيات (39)، الأحاديث (2).

(5) التستري، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص82/ 102/ 105.

(6) السابق ص80.

(7) ثم تذكر الهاء والهمزة والواو والياء واللام والميم.

(8) مثل: الم، المص، الر، كهيعص، طسم، طس، حم، عسق، ق.

كما يعتمد «خواص الحروف» على الحجج النقلية وليس فقط على التحليل النظري[1]. ويبدأ التراكم الفلسفي في الظهور خاصة الفلسفة من قدماء الأمم الضالة، والفلاسفة[2]. كما يظهر التراكم الصوفي خاصة التستري[3]. تعتمد على جمع المعلومات دون الإشارة إلى مصادرها أو أصحابها. ويتكرر الكثير منها طبقاً لتعدد النقل.

الله واحد. ويمكن تفصيله في ثلاث قضايا من جهة الخلق: علم الربوبية بدلالتها وشواهدها ويقينها، وعلم النبوة ببرهانها وآياتها وقبولها، وعلم المحنة بشرائعها ووعدها ووعيدها. أي الله، والنبوة، والمعاد وهي عقائد المتكلمين الفعلية والسمعية، الإلهية والنبوية.

وتنقسم هذه العلوم الثلاثة إلى مائة فصل أي مائة درجة طبقاً لعدد أسماء الله الحسنى. وهي في نفس الوقت درجات الارتقاء إلى الجنة وإحصاؤها. هو علم النبي طبقاً لمعاني لفظ إحصاء في القرآن وكنوع من التفسير الموضوعي. وهو رأي نصي لا برهان عقلي عليه.

وللأسماء مراتب في نفسها ودرجات في ذواتها، انفصال واتصال، وعموم وخصوص في شرفها في المخلوقات. أعمها البسملة، أول مراتب العلم. ترتبط إذن خواص الحروف بعلم التفسير. وفي البسملة الله أول اسم مضمر. ومن الألوهية تُعرف باقي الأسماء. من الرحمن تخرج صفاته. ومن الرحيم تظهر رتبها. والحمدلة بيان لمجمل تحتوي اثنتى عشر اسماً. وعلم الذات والصفات ليس علماً مخفياً بل هو علم خاص بين الإنسان وربه. إنما القضية في معاني الحروف في أوائل السور مثل: الم، المص، كهيعص. اختلف العلماء في تأويلها طبقاً لتعدد الأفهام بين الخاص والعامة لأن الوحي أتي لكل الناس. يعرضها ابن مسرّة ناقلاً علم الآخرين احتراماً لسنة القدماء[4].

والحروف بوجه عام في أوائل السور أصل الأشياء، مصدر علم الله. خرج

(1) الآيات (39)، الأحاديث (2).
(2) خواص الحروف، ص80/ 96.
(3) السابق ص82/ 102/ 105.
(4) السابق ص76-82.

منها الأنبياء. وهو رأي التستري. ثمانية وعشرون حرفاً، نصفها ظاهرة، ونصفها باطنة. الباطنة مذكورة في أوائل السور. سرها لدى الرسول. من عرفها عرف معنى النبوة. وقد تكون على عدد منازل القمر، أيضاً نصفها ظاهر ونصفها باطن[1].

لها أسرار غامضة وحكمة عالية تظهر بعد أربعة عشر يوماً وتكتمل بعد أربعة عشر يوماً أخرى على عدد منازل القمر في حالة استفادة النفس بنور العقل وحصوله على العلم. النفس الناطقة كالقمر، والعقل كالشمس. وتستمد النفس الناطقة العلم من العقل كما يستمد القمر نوره من الشمس. ويعبر الإنسان بثمانية وعشرين حرفاً. فالعالم الصغير جزء من العالم الكبير كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومع اعتبار القمر مع الشمس تظهر النفخة في الصور وبعث الأنفس كما خلقت أول مرة[2].

وترتيبها النون آخر آيات الكتاب[3]. ثم القاف النفس الطبيعية المنبعثة من النفس الكبرى الفلكية نحو الأرض[4]. ثم تأتي المملكة الروحانية. «نون» للنوارنيين يتنزلون بالذكر والذهن، العقل الكلي، النفس الكبرى، ومنه خرج الملائكة والجن والأنس. نزلت على أربعة أنبياء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، إبراهيم فوق، وعيسى وسط، ومحمد أعلى.

---

(1) السابق ص82-84.

(2) السابق ص90.

(3) وذلك لأن الروح الحامل للأرض مكانها، الحامل لجميع الأجسام والنسيم المحيط بالأرض منه ظاهراً وباطناً. ويستمد من الحيوان نفسه، معتدل الطبائع، مضغوط بحمل الأرض. إذا ضعف حدث الزلزال. هو الحوت، صورته على شكل حرث، موضع الماء والطين أسفل سافلين، نهاية الكون، منفصلاً الحركة، حاملاً لجسمين ثقيلين الماء والأرض ولجثث الحيوانات.

(4) وهي متعلقة بالنسيم الحامل للأرض. النفس الجميلة مصدر كل شيء متنفس في الأرض، مثال الجسم. هو القدر والمثال، تحت فلك القمر إلى الأرض، جسم وروح ونفس، الجسم الأرض، والروح الهواء المحيط، والنفس القوة السارية. ثم الحواميم السبع، مثال القلب، الحاء الحق والكلمة، و «الميم» الملك، الروح الحامل لجسم السموات والأرض. و «الصاد» الروح المخصوص في جسم العالم، مستمد من الروح المحيط بجسم العالم، ما ينفخ فيه اسرافيل. و «يسن» كتابة عن الملائكة الأربعة، حملة الكرسي، نهاية المملكة الفلكية.

و «كهيعص» آخر رتبة، وهي خمسة مقامات الأدنى «الر» منبع الحركة وفوقها الصاد، الأعظم المحيط بالكل، وفوقها اللام، اللوح الأول والمثال المجرد، وفوقها الميم المشيئة الكبرى، وفوقها الألف إرادة الله[1].

وأول الحروف ولآخرها الألف، محيطة ومفصلة لغيرها مثل الله. هي أساس الأشياء، مثال التكوين، ومخرج العدل والقضاء الأول. وهي كالواحد من العدد. هي أول دليل على التوحيد متصلة باللام. وكلاهما أول الأسماء الحسنى. والواحد لا يضرب في نفسه لأن حصيلته واحد. الواحد هو المفرد وليس المثنى أو الجمع[2].

وتأتي بعد الألف خمسة حروف أخرى: الهاء والهمزة والألف والواو والياء. ولها ظاهر وباطن. تكشف أسرار الحكمة، وأحكام الصنعة، الهاء إشارة إلى الذات، خارجة من الصدر. تليها الهمزة إشارة إلى الأزلية. فلا شيء أقرب إلى الذات من الإرادة دون أن تكون حالة فيها. فإذا نطقت بالهمزة، وأخذت مخرج العدل وهو الوسط خرجت الألف مثال التكوين[3].

واللام تشبه الألف في شكلها. وتكون معها أداة التعريف. هي لوح الله وعلمه، والميم مشيئته، ملكان وملكوته. هي المكان لكل شيء وصيرورته. فيها ظهرت صور الأشياء واكتملت. والراء تفصيل الحركات، القوة الحسية وراء الحركة، وتفصيل ما في الغيب. هي جوهر الزمان. وهي رحمة لأنها من الصفات المحيطة.

والكاف والنون ﴿كن﴾، الأمر الذي ظهرت به جميع الأشياء. والهاء الهباء أي الحروف التي منها تألفت الأشياء، واقعة تحت الكن والباء. وهي جبريل أو الروح

---

(1) السابق ص107-110.

(2) السابق ص84-87.

(3) وللألف ثلاث مراتب: نفس ناطقة ونفس نباتية ونفس حيوانية كما يقول الفلاسفة. الهمزة العقل والإرادة. والألف النفس الناطقة، والواو النفس الحيوانية. والباء النفس النباتية. الألف قائمة، والباء ساجدة، والواو منحنية. وهي في الخلق أيضاً. الحيوان صاحب النفس الناطقة منتصب القامة مثل الألف. وصاحب النفس الحيوانية فقط راكع منحنٍ مثل الواو. وصاحب النفس النباتية ساجد. والواو من أول المخارج،والباء منخفضة عنها، والألف مخرجها من الغيب. وبين كل حرف وحرف مخارج وحروف.

أو العين أو العلم. والطاء الطين الذي خلق منه آدم. والفطرة في طور سيناء، عندما أظهر الله أمره على موسى والنبيين. والسين في سورة يس، كناية عن إسرافيل. والماء الحق الذي خلقت به السموات والأرض، والقاف قدر الله وقلمه الذي به كتب الأشياء. وتكررت هذه الحروف الباطنة الأربعة عشر في أوائل السور(1).

و«الم» هو الاسم الأعظم، تشير الألف إلى ذات الله. واللام الغيب الأول المكنون. والميم الاسم الثابت إشارة إلى الملائكة أعظم الخلق(2). وتعني «المص» أن اسم الله الأعظم له أربع صفات. يشير كل حرف إلى صفة. الألف الله وهي دليل عليه وحجاب له. الألف الأنا، واللام الله، والميم الملك، والص النعمة والخلق والصنع(3).

---

(1) السابق ص89-90.

(2) فالأشياء ظاهر وباطن، والعلم محيط بهما. المكنون الكلام، والظاهر جسم الكل، النفس الكبرى، الملك. كمال معرفته بهذه الحروف الثلاثة. وكمال معرفة الإنسان أيضاً في ثلاثة: النفس المحتجبة في الجسم والروح. بالنفس هو ما هو. وبالروح يصير فعلاً مكتملاً متصلاً بالأشياء. وكذلك ذات الله بائنة عن الأشياء احتجبت بحجابين من جهة خلقه وتجلت بخلقه. وسطاً بين الخالق والمخلوق. ومنها ظهر الأمر، الروح وهو الغيب، والجسم وهو الشهادة، قوة الأشياء المحسوسة. لذلك وصف بالرحمن الرحيم. وقد يكون معنى «الم» الألف الأنا واللام الله والميم الملك، وقد تكون الألف إرادة الله، أول الأشياء، والميم مشيئته الجامعة للخير والشر والحسن والقبيح، والحسي والروحاني. الإرادة حق لحصن ونور خالص، وحكمة بالغة. فلما أحكم المشيئة بالإرادة قام بينهما اللوح المحفوظ وبه كل المقادير والأسرار. فالكتاب ثلاثة: الإرادة والمشيئة والعلم. وقد يكون معنى «الم» منزل من الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. الألف الله، والميم محمد، واللام وسط بينهما وهو جبريل.

(3) والصفات الثلاث الأخيرة ظاهرة للعيان. وهي صفات الإنسان، الصنعة لأصحاب المهن، والملوك فوقهم، والنبوة هم العلماء والحكماء. وهي أيضاً مراتب النبات والحيوان والإنسان. فالنفس النباتية تحفظ الجسم وتصوره وتنميه. فهي قوة صانعة. والنفس الحيوانية ملك متسلط يحكم كما يشاء. والنفس الإنسانية هي العقل مثل الآلة يصرف الحيوان ويسوسه. وهو مثل تحليل الفلاسفة لقوى النفس وتقسيم الموجودات أربع مراتب، ذات الله المباينة للأشياء، العقل الكلي، المثال المجرد من الهيولى، الجامع للفضائل الإلهية، ثم النفس الكبرى المستغرقة في الهيولى أي الجسم الحاملة لجثة العالم، وبها قام الملك وسخرت الأفلاك، والجامعة للملك والسياسة. ثم النفس دون الطبيعية المستغرقة في الجسم الجرمي والصانعة له والمصورة لجميع الصناعات .وهي موجودة في الإنسان. =

وفي «الر» الألف إشارة إلى الله، واللام إحالة إلى ذاته، كناية عن الرحمة، مثال خلق الخلق. والراء لتفصيل ما في اللوح بالقوة ثم تحويله إلى فعل بقوة الراء. وهي جوهر الزمان. الألف واللام آيات الكتاب المحكمة، والراء للتفعيل. وبالحركة تفردت الأشياء وإلا كانت كلا واحداً. وقد يكون معنى «الر» الله الرحمن[1].

و«كهيعص» خمسة حروف تأتي بعد «الر» و «المر»، وتعني الكاف «كن»، علة الكون. والإرادة والتدبر والعلم تسبق الكلام. وكل شيء في الغيب مكتوب. والهاء هباء. وكلا الحرفين نُطق بها قبل الخلق. ومنهما تألفت الأمور الباطنية وهي قوى مفردة نفسية. لذلك صارت للقوة الناطقة في مرتبة أعلى من الحروف[2].

وربما يكون معنى «كهيعص» كلام يوجبه عالم صادق. والحروف صفات لازمة للكلام. والكلام النافع هو الهادي الذي ينطق به من علم، ويتحرى به الصدق. والكذب أضداد هذه الحروف[3].

و«طه» كناية عن الطور، وربما عن «طوى»، وربما «الطين»، فالدلالة هنا هو صوت الحرف[4]. وتعني «طسم» و «طس» طور سيناء تعظيماً له لأنه موضع كلام

= يحكم ويدير بالروح الإلهي حتى يظهر المثال في العقل. ثم يحرك المثال النفس الحيوانية المؤثرة في الجسم والطبيعة حكمة الله في الأشياء المصورة لها. والقرآن هو هذه الأربعة. فالصاد من الصادق والصدوق.

(1) وأمثلة كل شيء في العالم في أم الكتاب، لا تبديل ولا انتقال. خلق العالم في ستة أيام في أوائل السور الست، مدة ظهور ما في اللوح المحفوظ، مثال الخليقة. معنى سورة «هود» هو الذات واللام العرش، والراء اللوح. وفي سورة يونس تشير «الر» إلى اليوم الأول، وهو اليوم الثاني في «هود». و «الر» الثالثة في يوسف، والرابعة في الرعد، والخامسة في «إبراهيم»، والسادسة في «الحجر». ستة حروف على ستة أيام. لذلك تقطعت الحركة والزمان في العالم على ستة أيام. واليوم السابع يوم السكون التام الذي سبت فيه اليهود أي سكنت. وهو يوم الاستواء على العرش، السابق، ص98-100.

(2) ثم تعبر الحروف عن المعاني. الياء الروح، والعين العلم. المعنى الباطن الذي دل عليه الكلام. والصاد مكان الأثر. العقل مؤلف من اللوح والقلم. وهو في المرتبة الأولى. والنفس في المرحلة الثانية.وتأليفها من «كن»، و«الصاد» و «الكن» في كنان. والنفوس كلها مرتبطة بالروح، الحامل لجميع الأجسام. والأمر قوة ناطقة، حروف مؤلفة، وروح محصورة وعلم يدُل عليه.

(3) السابق ص101.

(4) وعند التستري خلقت كل الأشياء من الكاف والنون، والصاد كان الخلق. والأصول =

الله. فالطاء الطور، السين سيناء، والميم موسى، وقد يكون معناه الطاء الطين، والسين السموات، وقد يكون الطواسين وطه حروفاً أربعة إشارة إلى أربعة أبناء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد[1].

وفي «حم» تعني الحاء الحق، ومنه خلقت السموات والأرض سبعاً. والميم الملك. وهو إسقاط من الأرض على السماء وتشبيه الإلهيات بالإنسانيات[2].

«القاف» القدر، حرف من حروف القلم كما قال التستري، والقلم من ثلاثة حروف. القاف المقدرة، واللام العدل، والميم المشيئة[3]. ولماذا لا تكون القاف القوة، والميم المقاومة في لفظ المقاومة؟.

= التي منها خرج الخلق الهواء (العمى)، وهو الهبا والريح والجو، والماء، والنار (النور والظلمة)، والطين. وهي العناصر الأربعة عند الفلاسفة. وهناك أربعة أخرى علوية: القلم واللوح والكن والصاد. أقسم الله بحروفها. القاف من حرف القلم، والميم والحاء من حروف اللوح، والكاف والنون من حروف «كن»، والصاد من الصادق، والهاء من الهواء، والراء من الريح. وحدث عن ذلك العرش والكرسي والجنة والنار والسموات السبع والأرض والبحار والملائكة والجن والإنس والحيوان والنبات، السابق ص102.

(1) السابق ص103.

(2) «وقد نجد ذلك ظاهراً في الممالك والرتب وجميع الأشياء المحسوسة. فإن الملك يقوم بهاتين الصفتين، أعني أن يكون الملك قاهراً عدلاً مستعملاً للحق والعمل وحيث لا قدرة به ولا استطاعة فسد ملكه، وأهلك رعيته. كما أنه لو كان ذا قوة واستطاعة ولم يكن له عدل ولا حق أفسد ملكه، وأتلف حاشيته. وكذلك الإنسان جعل الله فيه هاتين القوتين ليكون صلاحاً له في حياته وبعد مماته. فجعل فيه من قوة ملكه ما يقدر به ملك جسمه وعقله وضبط أعضائه. وهو الروح الحيواني الحامل لجسمه. وجعل فيه من الحق وهو النور. هو الروح الذي نفخ في آدم»، السابق ص104. فالملك في الجمع أو في الإنسان متصفان بالحق والملك وهي الروح الحيواني الحامل للجسم، والحادي للحق. هو الروح الذي نفخ في آدم، قوله «كن». بهذه الروح دبر الإنسان المعاش، ونهى نفسه عن القبيح، وأنار الحق قلبه، وعمل به وساس الأمور. ولو عدم النور لكان كالبهائم ولو عدم الروح لكان كالحجر الصلب. والعين والسين العلم، السابق والكاف القدر النافذ، السابق ص104 - 105.

(3) فبالقلم تظهر قدرة الله ومشيئته وعدله وهو اللوح. والقدر قدران: قدر سابق مجمل في اللوح المحفوظ، وقدر مؤجل من الأول. الأول ساكن، والثاني متحرك. والحروف «حم» و «عسق» تشير إلى القدر السابق. الأول يجوز فيه الدعاء وتُرجي الإجابة وفيه استثناء والثاني لا يجوز. الأول في «كهيعص» والثاني في «عسق». وهما علما الغيب والشهادة. =

هل هناك نماذج من الحضارات المجاورة لعلم الحروف؟ في الإسرائيليات وعند اليونان، وفي الديانات الشرقية؟ فشعوب الشرق جمعت بين التجريد، منطق الهند وحسابها، وبين اللغة والنص والكتب المقدسة، البوذية والكونفوشيوسية وكتاب الموتى وقوانين حمورابي[1].

د ـ **أقوال التستري (319هـ)**[2]: ويمثل التستري أيضاً المرحلة الأخلاقية وهي في طريقها إلى المرحلة النفسية. لم يترك أعمالاً ذات أبواب وفصول ولكنه ترك «كلاما» مقسماً إلى خمسة أجزاء ليس لها عناوين. تتضمن جمعاً من المقامات والأحوال والموضوعات الصوفية الأخرى. وقبل بعضها لفظ «باب» بمعنى موضوع وليس قسماً من عمل له بناؤه الداخلي[3]. وتتكرر بعض الموضوعات مثل النهي، والشكر، والتوبة. البعض منها لفظ واحد، وهو الأغلب، والبعض الآخر لفظان متشابهان وليسا متضادين لعدم استقرار المصطلحات بعد وهو الأقل مثل: المداراة والمهادنة، الشكر والطاعة. والبعض الآخر متضاد مثل الأمر والنهي. وهي أقوال لا أحوال، عبارات وليست حكايات، خالية من شطحات المرحلة النفسية. ولا

= وتكرار الميم لأن الملك في كل شيء، قوة محيطة بالأشياء. تتكرر خمسة عشرة مرة، أربعة ملائكة يحملون العرش، وأربعة يحملون الكرسي، وسبعة يحملون السموات والأرض السبع، السابق ص105-107.

(1) يسمى في تاريخ الأديان: علم الأعداد Numerics.

(2) مكتبة الشباب، القاهرة (د.ت)جـ2.

(3) يضم كلام «سهل التستري» خمسة أجزاء. الأول (2ص)، والثاني (32ص) بلا أبواب، والثالث (38ص). يشمل اثني عشر موضوعاً: الوسوسة، المحاسبة، الطمأنينة، المخلص، المداراة والمداهنة، الحلال، الكسب، الشبه والمكروه، الطمع، الصمت، الأخلاق. والرابع (36ص) يضم ستة موضوعات: المبتدئ، الرياء، الخصوصية، الشكر، النهي. والخامس وهو أكبر الأجزاء (145ص) يحتوي على ثلاثين موضوعاً: التوبة، علم السر، التكلف لما لا يعني، الطهارة، المشاهدة، الدعوى، الأمر والنهي، الشفقة، قصر الأمل، العجب، الرضا، المال، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، الكسب، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر والطاعة، القلب، الصبر، الطبع العزم، النوم، التقوى، التسوية، الثواب، التوبة، وأخيراً «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل». تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق، الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر جـ2، مكتبة الشباب (د.ت). الجزء الأول دراسة، والثالث يشمل بقية تراث الفلسفي ولكن الأجل لم يمهل الصديق العزيز والزميل الفاضل لإنجازه. والأمل في طلابه لإكمال مشروعه.

يوجد نسق خاص ينظم الموضوعات أو ترابط بينها. فظلت متناثرة. وكثير منها موجه نحو القارئ في صيغة المخاطب، الهدف منها عملي وليس نظرياً، السلوك وليس المعرفة.

ويمكن تصنيف الموضوعات إلى سلب وإيجاب، السلب الرذائل، والإيجاب الفضائل، والإيجاب أكثر من السلب. السلب هي انفعالات النفس وأهواؤها مثل: الوسوسة، المداراة والمهادنة، الشبه والمكروه، الطمع، الرياء، النهي، العجب... الخ. والإيجاب مثل: المحاسبة، الطمأنينة، الحلال، الصمت، الشكر، التوبة، الطهارة، الشفقة، قصر الأمل، الرضا، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر، الطاعة، الصبر، التقوى... الخ. والتصوف الخلقي هنا يعني التحول من السلب إلى الإيجاب، ومن الرذائل إلى الفضائل.

وتتداخل الموضوعات فيما بينها وتتشعب. ويضم موضوع واحد مثل الشكر عدة موضوعات أخرى مثل العلم[1]. وفي آخر الجزء الثاني «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل» وهي مقتطفات من أقوال سهل(187 قولاً)، شرح عبد الرحمن[2].

وكعادة المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية يعتمد كلام التستري على عدد كبير من الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث[3]. والأقوال مجرد تجميع بلا سند. وليست إجابة على سؤال أحد المريدين كما هو الحال في معظم المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية تقليدا للفتاوى الفقهية. وأول الكلام مقطوع[4]. وأحياناً قليلة يكون القول إجابة على سؤال[5]. والأسلوب سهل يخلو من التعقيدات اللفظية والإشارات والرموز. والخطاب أقرب إلى الوعظ والإرشاد والوصايا، وهو الخطاب

(1) التستري ص247-158.
(2) السابق ص319-383.
(3) الآيات (180)، الأحاديث (50).
(4) التستري ص67.
(5) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وأخواه بكري وعيسى بمصر (د.ت).

الشائع في التصوف الأخلاقي. وبعضه في صيغة نصائح.

أما عمله الأخر «تفسير القرآن العظيم» فإنه يدخل في علوم التفسير مثل «لطائف الإشارات» للقشيري وتفسير ابن عربي[1]. وتتخلله بعض الألفاظ الفارسية مثل «دوست» أي صديق. ولا يعني ذلك بالضرورة الأثر الفارسي بل استعمال الألفاظ الشائعة كما يحدث الآن من استعمال بعض الألفاظ الأجنبية في الحلقة العربية المعاصرة خاصة في الخطاب الشفاهي[2]. ويذكر التستري قول مضر القارئ، من أصحاب عبد الواحد بن يزيد أنه إذا عرفت الشمائل والمجيئة والذهاب عُرف. فالمعرفة بالصفات والتجليات[3]. ويشير الصوفية إلى بعضهم البعض، تفسيراً وتأويلاً أو قراءة وإكمالاً. فإذا دعا أويس القرني ألا يؤاخذ بكل كبد جائع وبدن عار بفضل قوة يزيد التستري بفضل عقل وعلم وليس القوة[4].

وتدخل الإسرائيليات في الأقوال المروية عن الأنبياء والتي ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، والوحي الذي أعطاه الله إلى عيسى وموسى وداود والذي تزخر به الأحاديث القدسية ورسائل إخوان الصفا[5]. وقد أنعم الله على بني إسرائيل طعام البرسيم ثم يصير شعيراً ثم حشيشاً، يخرجون من المدن إلى القرى، ومن القرى إلى الجبال. والمؤمن منهم يصبر على ذلك ويُحرم من هذه النعم[6]. وتصريف الهمم في الله كما طلب الله لداود أن يراه في قلبه كهم، ويجعله ذخراً لمعاده، ولا يوالي غيره حتى لا يغفله. ولم يرفع سليمان بن داود عينه من السماء تخشعاً، وكان يلبس الشعر. ومن ثم هو إمام الصوفية[7]. وسليمان أيضاً هو الذي

(1) السابق ص68/ 71/ 77/ 80/ 88/ 89/ 94/ 96/ 102/ 105-108/ 112/ 118/ 119/ 123-124/ 131/ 133/ 141-145/ 147/ 151-153/ 159-160/ 163/ 165/ 172-175/ 177/ 179/ 181/ 188/ 194/ 213-215/ 218/ 220-221/ 223-224/ 228/ 229/ 230/ 233-236/ 238/ 244-245/ 248-249/ 251/ 253/ 255-256/ 259/ 262/ 263.

(2) السابق ص69.

(3) التستري ص219.

(4) السابق ص222.

(5) التستري ص97/ 203/ 235.

(6) السابق ص239/ 269.

(7) السابق ص296.

أحب سبأ. وأبوه داود هو الذي قتل ضابط حرسه وتزوج امرأته. كان سليمان يعيش في قصر، ملكاً للملوك. ولا يوجد شيء في قلب الصوفي طمعاً في نيل شيء في الدنيا أو أسفا على فقده وإلا شارك اليهود والنصارى. فأهل الكتاب متجهون إلى الدنيا أكثر من اتجاههم إلى الآخرة[1]. ومن يجعل في قلبه هم الدراهم يكن مثل اليهودي[2]. وتدخل الإسرائيليات في أساطير الخلق وفي حوار الله مع الأنبياء، داود وموسى[3]. ولا تشمل الإسرائيليات فقط المصادر من العهد القديم بل أيضاً من العهد الجديد مثل وحي الله لعيسى بأن ما زال لديه صحارى من المعارف لم يقطعها بعد[4].

هـ ـ أعمال النفري (354هـ): والكتابات الصوفية أنواع أدبية مختلفة أهمها: الشطحات، والمواقف، والمخاطبات، والإشارات، والنصوص، والفتوحات، والدواوين الشعرية، والطبقات... الخ. ومعظمها أسماء مؤلفات. كل منها يعبر عن حالة نفسية. هناك علاقة بين الفكر واللغة. الفكر يفرض لغته طبقا لعبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». والعناوين يشوبها نوع من الجمال. توحي بأشياء إبداعية جديدة على عكس عناوين علم أصول الدين وعلوم الحكمة وعلم أصول الفقه. التصوف بهذا المعنى جزء من تاريخ الأدب العربي وألصق به من علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة. هو جزء من الأدب الرومانسي العربي. وهو الذي يعبر عن أصالة الروح العربية وليس علوم الحكمة التي اعتمدت على العقل أسوة باليونان الذي أوقف الإبداع الروحي العربي الأصيل[5]. وهي أشكال أدبية جديدة لم توجد من قبل في باقي العلوم النقلية العقلية. لذلك هي أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون، من الصياغة الأدبية منها إلى المضمون الفكري. لذلك لا تُحَلل الأقوال وتصنف في معاني أو موضوعات.

(1) السابق ص298.

(2) التستري ص310.

(3) السابق ص200.

(4) السابق ص349.

(5) هذا ما يقوله شايدر في «روح الحضارة العربية» ويعرضه ويتبناه عبد الرحمن بدوي في ترجمته للكتاب حتى تظل العقلانية إبداع الغرب الأصيل منذ اليونان القديم حتى الغرب الحديث.

والنثر الرمزي في «المواقف» و «المخاطبات» و «الإشارات» و «الشطحات» وسط بين الشعر والشطح. النثر الرمزي هو النثر الإيقاعي الموسيقي المقفى كالشعر وإن لم يكن موزوناً طبقاً للبحور. وهو النثر الذي فضله القرآن كأسلوب في التعبير. ليس به تركيز الشطح ولا صور الشعر. هو أقرب إلى المواجيد. والانفعالات، والعواطف الروحية. وتظهر الصور الرمزية مثل البحر والسفينة والألواح والمخاطرة والفرق[1]. ووظيفة الرمز الإبحار والإقناع من أجل الفعل[2]. وأحياناً يكون الأسلوب ركيكاً. وتسود العبارة الرتابة والتكرار في قضايا تقريرية وأحكام قطعية تخلو من البرهان.

1 ـ المواقف: «المواقف» و «المخاطبات» شكلان أدبيان، ارتبط أحدهما بالآخر. فماذا تعني «المواقف»؟ هل هي مواقف نفسية أي تجارب روحية وانفعالات ذاتية خالصة؟ هل هي مواقف أخلاقية اجتماعية وسياسية غير مباشرة، فلا توجد تجربة ذاتية إلا في مواقف موضوعية، خاصة أن التصوف كله موقف من الحياة ورد فعل على الانكباب على الدنيا والتكالب عليها؟ هل هو موقف وجودي يجمع بين الموقفين السابقين، تعبيراً عن الوجود الإنساني، وتحولاً من المعرفة في الموقف النفسي إلى الوجود في الموقف الوجودي؟ هل هو موقف بمعنى «التوقف عن الحكم» وعدم إصدار حكم على الموضوعات المتعالية مثل «الله» أو الطبيعة مثل العالم؟

ومن هو صاحب الموقف؟ هل هو الإنسان، فالإنسان في موقف، والإنسان في العالم أم أن الله هو الذي يضع الإنسان فيه؟ الغالب هو الله نظراً لتكرار فعل «أوقفني»، في أول كل موقف، ليس الموقف كلمة بل أمر بلفظ مفرد أو مزدوج. وهو موقف طبيعي جغرافي كوني مثل البحر والنور والليل بحيث تصعب التفرقة بين الله والطبيعة[3].

---

(1) محمد بن عبد الجبار النفري: المواقف والمخاطبات، تحقيق أرثر أربري، تقديم وتعليق د. عبد القادر محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985. ص71.

(2) «إن لم ينعقد الحياء بهذا الرمز لم ينعقد أبداً»، السابق ص140.

(3) موقف البحر، المواقف ص71، موقف بحر ص133، موقف نور ص134، الليل ص167-168.

وقد خصص النفري ضمن «المواقف» موقفاً لمعنى الوقفة(1). وهو من أطول المواقف كماً. وتعني الوقفة المنظور الإلهي، الوقوف مع الله، الرؤية الإلهية مما يدل على أن صاحب الموقف هو الله. وهو ما يعادل «أحكام الوضع» في علم الأصول أي الأفعال في الواقع من وجهة نظر الله(2). وهو موقف علمي إدراكي(3). وكل واقف عارف وليس كل عارف واقف نظراً لتعدد مصادر المعرفة. ويموت جسم الواقف ولا يموت قلبه. ويقوم الصبر على كل شيء إلا على الوقفة التي تقوم عليه. الوقفة بلاء. تنتهي بالائتلاف أو الاختلاف. وهي لا تتعلق بسبب ولا يتعلق بها سبب. لا علة ولا معلولاً. الواقف فرد والعارف مزدوج لأن الأول إلهام، والثاني تعلم. الوقفة تورث العلم والعمل، والمعرفة تورث العلم وحده. لا يرى الحقيقة إلا الواقف. والعالم يخبر عن العلم. والعالم يخبر عن المعرفة. والواقف يخبر عن الله. يخبر العالم عن الأمر والنهي، والعارف عن حق الله. والمواقف عن الله هي علم اليقين، حقِ اليقين عين اليقين. العلم حجاب، والمعرفة خطاب. الوقفة حضرة، والمعرفة منتهى ما يقال والوقفة وراء ما يقال. العارف ذو قلب، والواقف ذو رب. المعرفة نور الكون، والوقفة نار الكون. المعرفة تري الله وغيره، والوقفة تري الله وحده. الأخبار للعارف، ووجه الله للواقف.

وهناك موقف خاص باسم «معرفة المعارف»(4). وهو الجهل المتيقن بالله. وتعادل الظاهر في مقابل الباطن، الرؤية القلب، والعقل للسر. تؤدي إلى العلم وتوجه نحو الكون، تقرّب إلى الله بالدليل والحجة. لها عينان: عين العلم وعين الحكم تتحول إلى بصر ومشاهدة. العلم وحده خال من الحقيقة، في القول لا في

(1) موقف الواقفة، المواقف ص73-81.

(2) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص ص 533-560.

(3) «من لم يقفُ رأي العلوم ولم ير العلم فاحتجب باليقظة كما يحتجب بالغفلة»، «الوقفة روح المعرفة، والمعرفة روح العلم، والعلم روح الحيا. . . كل واقف عارف وما كل عارف واقف. . . للوقفة علم ما هو الوقفة، وللمعرفة علم ما هو المعرفة. . . الوقفة عمود المعرفة، والمعرفة عمود العلم. . . العلم لا يهدي إلى المعرفة، والمعرفة لا تهدي إلى الوقفة. . .»، السابق ص76-81.

(4) السابق ص83-87.

القلب. لا تعرف العارف ولا تعلن العلوم[1]. ويؤكد «موقف الدلالة» على الجانب المعرفي. فالمعرفة بلاء الخلق. وهي مشوبة بالجهل كما أن الجهل مشوب بالمعرفة. وأدناها ما يبدو[2].

ويعني ما وراء الموقف فلسفة أو ميتافيزيقا الموقف. فالموقف ليس فقط موقفا إنسانياً معرفياً وضعه الله فيه بل الكون موقف، كله أو أجزاؤه. والوسوسة موقف. وتشمل الخاطر والعلم والمعرفة وكل ما يختلج في الصدر، والجهل، والتراب والإنسان فوقه، ونفي السوي وإثبات الواحد[3]. وتسمي المواقف أيضاً «المراتب»[4].

والموقف اختيار من اختيارات ثلاثة: صاحب الموقف أو الموقف أو هيئة الوقف[5]. صاحب الموقف هو الموقف وإرادته. والموقف إرادة الإنسان. وهيئة الموقف عبادة النفس. الوقفة وصف من أوصاف الوقار، والوقار من البهاء، والبهاء من الغنى، والغنى من الكبرياء، والكبرياء من الصمود، والصمود من العزة، والعزة من الوحدانية، والوحدانية من الذاتية. الوقفة خروج الهم من الحرف، ما ائتلف منه وما افترق. فالموقف مرتبط بالصفات والحروف والأسماء والكلمات. فالخروج من الحروف خروج من الأسماء، ثم من المسميات ثم مما يبدو، فيتم السمع، وتتم الإجابة. ولا تُجاز الأوصاف والأسماء لله، ولكن تجاز إلى الإنسان. ولا مجاز في الاثنين ولا حجاب[6].

الإقبال على الدنيا غضب، وعلى الآخرة حجاب، وعلى العلوم حبس، وعلى المعارف عبس، والسكون على العبث حبس، والسكون على الحبس حجاب، والسكون على الحجاب غضب. معارف كل شيء توجد به. وأسماؤه

(1) «موقف الدلالة»، السابق ص129-132.
(2) وهو موقف كانط.
(3) «موقف وراء المواقف»، السابق ص126-129.
(4) «موقف المراتب»، السابق ص148-149.
(5) موقف التقرير، السابق ص102-103.
(6) «إن لم تجز ذكري وأوصافي ومحامدي وأسمائي رجعت عن ذكري إلى أذكارك ومن وصفي إلى أوصافك... الواقف لا يعرف المجاز. وإذا لم يكن بيني وبينك مجاز لم يكن بيني وبينك حجاب»، السابق ص102.

من معارفه. وإذا سقطت معارف الشيء سقط الوجد به. لكل شيء اسم، ولكل اسم أسماء. تتفرق الأسماء من الاسم، والاسم عن المعنى.

والمواقف تعبر عن المقامات والأحوال بالجملة دون تفصيل لها كما هو الحال عند باقي الصوفية. هي أقرب إلى المواجيد الخام، الانبثاقات الروحية[1]. وهو أسلوب شخصي، بضمير المتكلم المفرد مما يدل على أنها تجارب روحية ذاتية. تخلو من الحجج النقلية، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والمأثورات الشعبية التي تمتلأ بها رسائل «إخوان الصفا». وأحياناً تظهر بعض الآيات في استعمال حر داخل الأسلوب وفي بنية الوصف[2].

كما تخلو المواقف والمخاطبات «من الإحالات إلى أسماء الأعلام»، صوفية أو علماء أو إلى أسماء أماكن ومناطق وبلدان. هي تجارب روحية خالصة تعبر عن أحوال نفسية. ولا يستشهد بأشعار كما هو الحال في بعض الكتابات الصوفية الأخرى بل وفي كل العلوم العقلية النقلية أو النقلية أو حتى العقلية الخالصة. وتبدأ الفقرات بفعل «قال» ويذكر قول غير مباشر لا يسند إلى أحد. إنما هو تعبير عن تجربة ذاتية. وأحياناً يكون القائل متخيلاً، ظواهر الطبيعة مثل «الأنوار» البحر أو طوائف أهل السموات والأرض كما هو الحال عند الحلاج في «الروايات والأحاديث»، وأحياناً أرواح العارفين[3]. والغالب أن القائل هو «الله» دون ذكره.

وكل موقف له «عنوان». وهي ليست عناوين المقامات والأحوال المعروفة عند الصوفية السابقين. وليس لها نسق محدد. ولا يمكن تجميعها طبقاً لنسق مفترض طبقاً لمنطق التشابه والاختلاف بين الألفاظ. ولا يمكن تصنيفها بين الإيجاب والسلب.

ومع ذلك بها قدرة فائقة على التنظير. وعددها ثمان وسبعون موقفاً. ونظراً لصعوبة إعادة تصنيفها طبقاً للموضوع لتباعد الموضوعات إلا أنه يمكن ذلك عن طريق الشكل بين اللفظ المفرد واللفظ المركب بالإضافة أو الصفة أو العطف أو

(1) المواقف ص66-205.

(2) مثل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، السابق ص186-187.

(3) السابق ص66/ 71.

الظرف، والجملة المفيدة في صيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب[1]. وتختلف المواقف من حيث الكم بين الطول والقصر[2]. وبعض الصيغ إخبارية تقريرية وبعضها أمرية إلزامية[3]. وبعضها تساؤلية[4].

ولا يلتزم الموضوع بعنوان الموقف بل يخرج عنه. العنوان هو مجرد الموضوع الغالب ولكن ليس الوحيد. وتأتي المقامات والأحوال من خلال المواقف ودون أن تكون عنواناً لها وقد تكرر بعض العناوين مثل «الصفح والكرم» و «الصفح الجميل»[5].

«في المواقف» تتحول اللغة إلى حروف وألفاظ وعبارات دالة بجرس اللغة وموسيقى النظم، أقل من الشطحات من الناحية النظرية ومن الشعر من الناحية الجمالية. العالم وجدان وعاطفة. المواقف مجرد تحليلات نفسية وأدبية فلا فرق في التصوف بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية أو التجربة الفنية. تجمع بين المناجاة والشطحات مثل الإشارات الإلهية لأبي حيان. يتصدرها فعل القول دون معرفة من القائل. وهي أقرب إلى الألفاظ ومصطلحات الصوفية دون تعريف للحدود بل لإثارة الأذهان. ونادراً ما تكون من المقامات أو الأحوال، من الرذائل أو الفضائل، من الطريق ومتطلباته، من بدايته ونهايته مثل القرب، ولكنها أقرب إلى علم الكلام الأدبي العام[6]. وهي مواقف لله أكثر منها مواقف للإنسان. تدور

(1) الألفاظ المفردة (43)، الألفاظ المركبة (19)، الجمل الفيدة (16)، المتكلم: قد جاء وقتي (70-71)، أنا منتهى إغرائي (ص111-113)، كدت لا أواخذه. المخاطب: أنت معنى الكون (ص69-70)، لا تفارق اسمي (ص109-111)، ادعني ولا تسألني (ص118)، اسمع عهد ولايتك (ص123-126)، من أنت ومن أنا؟ (ص135-136).

(2) أطولها ثمان صفحات، وأصغرها نصف صفحة.

(3) الإخبارية مثل: مواقف لا تطرف (ص107-108)، موقف لي إغراء (ص114-115)، استوى الكشف والحجاب (ص118-119)، هو ذا تنصرف (ص133-134)، موقف بين يديه (ص151-157) (ص113-114). الأمرية مثل: لا تفارق اسمي (ص109-111)، ادعني ولا تسألني (ص118)، اسمع عهد ولايتك (ص123-126).

(4) التساؤلية مثل: ما تصنع بالمسألة؟ (ص115-116)، من أنت ومن أنا؟ (ص135-136).

(5) العهد ص145-147، عهده 164-166، الصفح والكرم، المواقف ص185، الصفح الجميل ص191-194.

(6) وذلك في مصطلحات مثل العز والعزة، الكبرياء والرحمانية، الأمر والموت، =

حول الإنسان بين قطبين: الله والعالم. والثلاثة على التبادل.

2 ـ **«المخاطبات»**[1]: وهي من نفس الشكل الأدبي في «المواقف». والمخاطبة أقصر من الموقف وأقل كماً، وأقرب إلى المناجاة، مناجاة الله أم مناجاة العالم. الله أيضاً هو الذي يخاطب وليس الإنسان، وكأنها مخاطبة الحاكم. والبعد والقرب من الله وليس من الناس. يخاطب الله الإنسان بلفظ يا «عبد» وليس يا «حر»، تضم سبعاً وخمسين مخاطبة بلا عنوان باستثناء المخاطبة الأخيرة «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»[2]. لا تعتمد على الأدلة النقلية أو العقلية بل هي مجرد انفعالات أدبية صوفية والتعبير عنها بإشارات رمزية.

هي نوع من المناجاة[3]. وهي أصغر من «المواقف» كماً[4]. من حيث العدد والمساحة. وهي بلا عناوين، مجرد أرقام متتالية تبلغ سبعاً وخمسين، باستثناء عنوانين[5]. هي مخاطبات معرفية مثل «المواقف»، وتخلو أيضاً من الشواهد النقلية والشعرية وأسماء الأعلام. والله هو الذي يخاطِب والإنسان هو الذي يُخاطَب. وليتوجه الله بالخطاب إلى الإنسان بلفظ «يا عبد» التي تبدأ بها كل مخاطبة بل ويتكرر أكثر من مرة داخل المخاطبة وتكرر النداء «يا عبده» أكثر من ستمائة مرة[6].

وإذا كانت المواقف قد كانت بصيغة ضمير الفرد ومرة «يا عبد عبدي»، فإن المخاطبات بضمير المفرد المخاطب[7]. ويخاطب الله العبد لإعطائه الوصايا أو

= النور والعظمة، الوحدانية والعبدانية. ومنها ما يخص المعرفة مثل البصيرة، الفقه وقلب العين، الحجاب والنور، قلوب العارفين، الرؤية، حق المعرفة، الكشف والبهوت، الإدراك والحرف. ومنها ما يتعلق بالسلوك القويم مثل الصفح الجميل، الأدب، الرفق، آداب الأولياء، الصفح والكرم، والعهد.

(1) الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م، ص206-281.

(2) السابق ص238-239/ 277-281.

(3) السابق ص206-281.

(4) المواقف 140ص، المخاطبات 76ص.

(5) مخاطبة 20 «مقام رد موهبة الكيل»، مخاطبات ص238. مخاطبة 57، «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»، السابق ص277.

(6) «يا عبد» 653 مرة.

(7) المخاطبات ص218/ 221.

لإخباره عن ذاته. وفي المخاطبة الأخيرة يخاطب الله الطبيعة، الليل والنهار والشمس والأرض. والصبر هو صبر من الله خلقه مثل الناموس. ومن خلاله يتكشف. يوقظ النائم للتبشير بها[1]. والحضور الإلهي طاغ على الحضور الإنساني. فالله هو الذي يتكلم ويبين مآثره على الإنسان. الله هو المبادر وهو صاحب النعم. هو الوصي والإنسان هو الموصى عليه. ليس الهدف هو خلق «الإنسان الكامل» كما سيحدث فيما بعد عن ابن عربي والجيلي بل خلق الله الكامل.

ويصعب تصنيف المخاطبات في نسق من الموضوعات لأنه لا جامع بينها. وبالرغم من أن كل مخاطبة لها موضوع، بالرغم من غياب العنوان، إلا أنها لا تلتزم به. وتتداخل موضوعات أخرى كما هو الحال في «المواقف». وآخر مخاطبة في صياغة «المواقف»، «أوقفني وقال لي...»[2]. وتتكرر الموضوعات من خلال المخاطبات. فالمخاطبة دفعة روحية تحتوي على أكثر من موضوع يتكرر في المخاطبات الأخرى. الماء واحد ولكن القطرات متقطعة. لذلك يحال إلى الموضوع بصرف النظر عن رقم المخاطبة. والنداءات قصيرة، مجرد أوامر بلا برهان. والمخاطبات أيضاً على وعي بالرمز[3].

و«المخاطبات» أكثر إغراقاً في الوجدانية من «المواقف»، وأكثر دلالة على التصوف النفسي، لذلك يصعب إيجاد تعريفات للمقامات والأحوال أو لباقي المصطلحات الصوفية، ومازالت ثقافة الموت هي الثقافة السائدة في«المخاطبات»[4]. ولا يوجد ذكر للحقيقة المحمدية.

3 ـ **«النطق والصمت»**[5]: ويضم ستة كتابات صغيرة عن المحبة، وشذرات، وخواطر، ومناجيات، وأضابير[6]. تجمع بين النثر الفني والشعر. وكلاهما نظم.

---

(1) مخاطبة وبشارة وإيذان وقت، السابق ص277-281.

(2) المخاطبات ص277.

(3) «يا عبد رمزت الرموز فانتهت إلي. وأخصمت الفواصح فانتهت إلي»، السابق ص247.

(4) «يا عبد قف بين يدي في الدنيا وحدك أسكنك في قبرك وحدك، وأخرجك منه إليّ وحدك، وقفت بين يدي في القيامة وحدك»، السابق ص208.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ ص125-135.

(6) من خصائص كلامه الغريب في المحبة ص129-135 (7ص) 10 الشذرات ص139-152 (4ص). الخواطر وأحكامها ص155-159 (5ص). المناجيات ص163-170 (8ص). =

تتنوع الأشكال الأدبية وكأنها هي المقصود من التأليف. ويدل العنوان على تقابل بين النطق والصمت. فالنطق ليس صمتاً. والصمت ليس نطقاً. هو اشتباه وحيرة بين الصمت والنطق بالنسبة للعلوم الكشفية. موضوعاتها إشارات وصور مثل مخاطبة فتاة، الجواب دون سؤال، بيّنة، تحية حبية[1]. لا تعتمد الرسالة على أية أدلة نقلية، قرآن أو حديث أو شعر، ولا على أدلة عقلية برهانية. هي مجرد انفعالات ومواجيد. الغاية منها التعبير وليس الإيصال مثل «الإشارات الإلهية» لأبي حيان. أما «الشذرات» فتتراوح بين الشكل الأدبي مثل: فصل، مسألة، زيادة، قال، من كلامه، وبين الموضوع الصوفي، الرذائل مثل الحسد، والفضائل في التصوف الخلقي، والمقامات مثل الصبر والأحوال مثل الخوف والوجد في التصوف النفسي، والمعرفة والوجود واليقين والوحدانية في التصوف النظري، والبكاء والخلوة والصحبة، والسفر والطريق والعمود في التصوف العملي[2]. ومن الأدلة النقلية لا تظهر إلا آتيان في النهاية[3]. وتتكرر البسملة أربع مرات. أما باب الخواطر وأحكامها فإنها من نوع معارف النفس مثل الخلجات والوساوس في أنواع المعارف الصوفية. وهي نوع من أيضاً من المواجيد الصوفية كما يدل عليها العنوان الفرعي «مقالة في القلب عالية الحكم»[4]. تخلو من أية أدلة نقلية أو شعرية أو عقلية. وتكشف عن درجة عالية من التنظير. و«المناجيات» مجرد مواجيد وابتهالات وتاريخ ذاتي[5]. تبدأ كل مناجاة إما بلفظ «إلهي» أو بلفظ «اللهم»[6]. وتشير بعض المناجيات إلى زمانها ومكانها[7]. وأشكالها الأدبية تتراوح بين الدعاء

= من الجزء الأول من مجموع الأضابير ص171-174 (4ص). الديوان ص177-196 (20ص) وهو أكبر الأقسام.

(1) مخاطبة فتاة ص129. الجواب دون سؤال ص130-133. بينة ص 133-134. تحية حبية ص134-135.

(2) يبدو التناقض في موضوع السفر في جمادى الآخرة عام 358هـ والمؤلف توفي عام354هـ، النطق والصمت ص143/ 146-147.

(3) السابق ص152.

(4) السابق ص157.

(5) تاريخ ذاتي Autobiography.

(6) إلهي (42)، اللهم (40).

(7) الزمان مثل «يوم التروية في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة»، والمكان مثل «مناجاة =

والمناجاة[1]. ودعاءان يبدآن بالبسملة. ويتبعهما «الجزء الأول من مجموع الأضابير». يبدأ بالبسملة وبعنوان فرعي «صاحب كل شئ، والقائم على كل شئ»[2]. أما «الديوان» وهو أكبر الأقسام فإنه موضوع للدراسات الأدبية. تتكرر فيه لازمة واحدة «ولذكر اللهُ أكبر»[3]. وعبارة واحدة أخرى «ترمية دفتر»[4].

و ـ **«الإشارات الإلهية» للتوحيدي (403هـ)**[5]: وبالرغم من أنها تالية في الزمان لأول كتاب في الطبقات يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي وهو «اللمع» للطوسي(378هـ) إلا أنه سابق على أول كتاب في الوعي التاريخي الخالص وهو «حلية الأولياء» لأبي نعيم الاصفهاني(430هـ)[6]. وهو من نفس نوع «المواقف والمخاطبات» و «النطق والصمت» للنفري، استعمال اللغة للتعبير عن المواجيد الصوفية في أشكال أدبية جديدة مثل «الإشارات». وهو ما يميز التصوف النفسي والشطحات كشكل أدبي آخر. وتجمع بين أشكال أدبية أخرى عديدة مثل المواعظ والوصايا والأدعية والمناجاة. وهو ما يدل عليه العنوان الأكبر «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية»[7]. وتعتمد أساساً على الشعر أكثر من القرآن مع غياب الحديث بالرغم من أنه من جوامع الكلم[8]. والشعر من أبي حيان ومن غيره[9]. وتظهر لازمة مثل «يا ذا الجلال والإكرام»[10]. كما تتكرر أشكال فعل القول[11].

= بالنيل يوم الأحد لاثنين وعشرين خلت من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة»، النطق والصمت ص163-164.

(1) الدعاء (4)، المناجاة (3).

(2) النطق والصمت ص171.

(3) عدد المرات (45).

(4) النطق والصمت ص190.

(5) مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة1950.

(6) سبقه كتاب «الأربعين في شيوخ الصوفية» للماليني (412هـ).

(7) هو الجزء الأول فقط من الكتاب.

(8) الأشعار (79)، الآيات (31).

(9) من نظم أبي حيان (45)، من نظم غيره (34).

(10) عدد المرات (30)، ومرة واحدة في صيغة أطول بإضافة «إنك رؤوف بالعباد».

(11) قول القائل، قولهم، حين قال، وقد قيل، قال من قال، قال، أما سمعت القائل حين قال، قولك، يقول. . . إلخ.

والقائل مجهول أو على أقصى تقدير بعض العارفين. والعناوين الجانبية الغازية. فليس المقصود منها المضمون بل الإيماء والإشارة[1]. وكل مجموعة من الفقرات لها رقم من الأبجدية المزدوجة. ويتوجه الخطاب إلى السامع أو القارئ بحرف النداء مثل «أيها السامع» أو «أيها الصديق» أو بدونها مثل «أحبائي، الله، السيد، سيدي، حبيبي، جامع المال، الصاحب، السائل، المشوق، المستأنس، جمعاً أو مفرداً[2]. أما المناجاة فتبدأ بعدة كلمات مثل «يا هذا»، «اللهم»، «إلهنا»[3].

وكما يتعرض الصوفية للفلسفة وعلومها كما كتب السهروردي «حكمة الإشراق» في المنطق كذلك يتعرض الفلاسفة للتصوف كما كتب التوحيدي «الإشارات الإلهية». وهي نوع أدبي يجمع بين «المواقف» و«المخاطبات». هي أقرب إلى «المناجاة»، إشارات يعطيها العبد إلى الرب يبثه همومه وشكواه مثل «اعترافات» أوغسطين[4]. تشمل أدعية وابتهالات. وتتكرر على نفس النمط حتى يمل القارئ ولا يمل المؤلف. وتزداد في آخر الكتاب بالمُنادى «اللهم» مع زيادة الآيات القرآنية[5]. والعنوان الكامل «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية»، «الإشارات الإلهية» المعاني والدلالات، و«الأنفاس الروحانية» التجارب الذاتية. ويبدو أن الجزء الأول هو الموجود فقط. في حين فقد الجزء الثاني[6]. تخلو من القسمة إلى أبواب وفصول. هي قطع مرتبة طبقاً للأبجدية المزدوجة لكثرتها. ومع

---

(1) مثل: ميمون الابتداء مبارك الانتهاء، الإشارات ص1-87. أركان المعرفة من الإشارات الإلهية (ص87-95). ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية (ص95-214). استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية (ص 214-410).

(2) أيها السامع (10)، أحبائي (4)، أيها السائل، يا قوم، أيها الإنسان (3). أيها السيد، أيها الأجنبي، الصديق المخالف، يا جامع المال، أيها الصديق، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها الصاحب الفادي، يا لسان الوقت، أيها المشوق للجمع، أيها الحيران في سمعه، المستأنس بالوحشة، الجوهر الشريف، أيها المغرور، يا صاحبي، أيها الهائم، أيها الشيخ، الصاحب المدلل، الصاحب المحاور، أيها السامع بالأذن، أيها الصديق المشفق، أيها الرفيق المؤانس، أيها القائل البائح، يا رفيقي.

(3) يا هذا (191)، اللهم (82)، إلهنا (38)، سيدي (3)، بالله سيدي (2)، إلهي، يا مولانا (1).

(4) «أيها السامع! هذه مناجاتي لربي...»، الإشارات ص290.

(5) السابق ص340-354.

(6) «تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية...، ويتلوه المجلدة الثانية وهي الرسالة الخامسة والخمسون»، إشارات ص410.

ذلك تتخللها أربعة عناوين غير متساوية من حيث الكم[1]. أصغرها الثاني وأكبرها الرابع. وبعض الفقرات المرقمة أشبه برسائل موجهة[2]. وهي أطول من «المواقف» و «المخاطبات»، وأكثر إفاضة واتصالاً وأقل ألغازاً وأكثر وضوحاً.

ويكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية وبأبيات الشعر[3]. وتغيب الشواهد من الأحاديث النبوية. بل يتجاوز الشعر القرآن. فالشعر عبقرية العرب والقرآن رؤيتهم للعالم. والشعر المذكور أقل تأثراً من الشعر الصوفي للحلاج أو ابن الفارض أو ابن عربي لأنه مجرد استشهاد على النثر. ولا يعبر عن مضمون فلسفي مستقل[4]. وغالبا من تأليفه[5]. ويستعمل القرآن والحديث الحر أحياناً كجزء من أساليب البلاغة «وضربنا لكم من الأمثال»[6]. ولا يذكر من أسماء الأعلام والأماكن شيء إلا من الحكيم[7]. ويذكر السيد المسيح ويقتبس من أقواله[8]. فالتصوف هو

(1) وهي: أ- ميمون الابتداء، مبارك الانتهاء، الإشارات ص1 (86ص). ب- أركان المعرفة من الإشارات الإلهية، السابق ص87 (8ص). جـ- ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية، السابق ص95 (119ص). د- استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية، السابق ص214 (197ص).

(2) ومجموعها 12 رسالة، «فصل كتابك... تسألني فيه عن حالي...»، الإشارات «كتب الحكيم...»، السابق ص25. «إذا قرأ كتابي فتفضلوا على «بجوابي»»، السابق ص29 (17ص)، «كتبت اليك في أواخر شهر رمضان ومستقبل العيد...»، السابق ص239.

(3) الآيات القرآنية (36)، الأبيات الشعرية (72).

(4) من تأليفه (45)، ومن غيره (34) في صيغة السؤال الأول (5)، قول القائل الآخر (4)، قولك، وقد قيل (3). أما سمعت القائل من قال، قال (2)، صدق الحكيم المتقدم، يقول الأول، قولهم بعض العارفين، حين قال، قال من قال، ينشد قولك (1).

(5) مثل «وهو أقرب إلينا من حبل الوريد»، الإشارات ص19.

(6) ومثل «لأن يد الله معكم، وليس فوق يد الله يد»، السابق ص30. «فاقض ما أنت قاض. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»، السابق ص37. «يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله»، السابق ص41. «وليس له واقع، والعجب واقع، واقع وليس له واقع»، السابق ص105. «قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون»، السابق ص162. «ضاقت عليهم الأرض بما رحبت»، السابق ص276. «السابق ص276». «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، السابق ص281. «كل هذا لمن له الخلق والأمر»، السابق ص343. ومن الحديث «هناك تنال ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر»، السابق ص332.

(7) باستثناء «أرض بن ربيعة»، الإشارات ص44، الحكيم (3مرات).

(8) السابق ص180.

الجامع بين الأديان والقاسم المشترك بينها. وهي رمز وإشارة وعبارة[1]. ويستعمل أيضاً آيات حرة من الأنجيل[2]. ومن الصوفية السابقين لا يذكر إلا أبو حنيفة الصوفي[3].

كما يذكر الحكماء مما يدل على أن التوحيدي ينتسب إليهم[4]. ونظراً لأهمية النص كمادة أولى لخصه اللاحقون وشرحوه[5]. ويبدو أن هناك اقتباسات في «الإشارات» تنتهي بالحرفين أ هـ اختصاراً لكلمة «انتهى»[6]. وربما هي من الناسخ. وتنتهي كثير من الفقرات بلازمة نمطية هي «يا ذا الجلال والإكرام» ومرة واحدة يضاف إلى اللازمة «إنك رؤوف بالعباد»[7].

1 ـ **الأسلوب والأسلوبية**: وأسلوب الكتاب أقرب إلى موسيقي النثر وإيقاع الشعر والتشابه والتضاد. فرضته طبيعة التجارب الذاتية دون أثر مباشر من الكتب المقدسة خاصة مزامير داود أو الأناجيل[8]. به كثير من المحسنات البديعية تصل إلى درجة التكلف فيصبح الأسلوب غاية في ذاته وليس أداة للتعبير والتأثير، وقد كانت الكتب المقدسة جزءاً من الأدب العربي بعد عصر الترجمة. والتوحيدي على وعي بأن كتابه في صناعة اللغة[9]. ويعجب الإنسان كيف يمتلك كاتب ناصية اللغة وصياغة العبارات إلى هذا الحد الأقصى في الاسترسال بالرغم من نفاد القلم

(1) مثل «بلا قذى من قاذ»، السابق ص253.

(2) قال عيسى بن مريم عليه السلام، وهو روح الله للحواريين «إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى»، الإشارات ص 180.

(3) السابق ص172.

(4) الحكماء (3).

(5) وذلك مثل: عبد القادر بن محمد بن بدر المقدسي الشافعي (934هـ)، بدوي ص كه-ن.

(6) وقد وردت أ هـ حوالي 36 مرة.

(7) وردت اللازمة حوالي 30 مرة.

(8) بدوي ص لر-ن.

(9) «إنك إن عرفت هذه اللغة، واستخرجت حالك من هذا الديوان وحصلت ما لك وعليك بهذا الحساب أوشك أن تكون من المجذوبين إلى حظوظهم والراسخين في علمهم، والخالدين في نعمتهم. وإن كنت عن هذه الكنايات عميًا، وعن هذه الإشارات أعجمياً، طاحت به الطوائح. وناحت عليه النوائح. ولم توجد في زمرة الغوادي والروائح...» الإشارات ص3.

وانعقاد اللسان وانقطاع الفيض[1]. وتخلو «الإشارات» من التصورات والحدود كما هو الحال في كتب المؤرخين من نفس العصر: الطوسي، وأبو طالب المكي، والسلمي، وأبو نعيم الأصفهاني. كان التوحيدي على وعي بأسلوبه الإشاري الذي تحول بعد ذلك إلى منهج في التفسير في «لطائف الإشارات» للقشيري[2].

والأسلوب مملوء بالاستعارات والكنايات والتشبيهات والتمثيلات. وكلها أنواع أدبية مختلفة من اللغة الرمزية[3]. ولا يفهم الرمز إلا بأمر من الله أي بالكشف والإلهام. وهي متنوعة الأساليب بين الإشارة والكتابة والتسمية والمحاجاة بل والصدق والكذب[4]. ولا إشارة ولا عبارة إلا على وجه الاستعارة والإشارة، قبل أن تفنى العبارة وتزول الإشارة[5]. وفي نفس الوقت يطلب تجنب الأمثال لأنها مشغلة[6]. ويبلغ الإبداع النثري مداه في العبارة المسرحية اليونانية أو الشكسبيرية

(1) «اللهم إن القلم قد تضرم في نعت قصتنا معك، واللسان قد طُفئ في تشقيق اللفظ بذلك. وفيض الوهم قد طفح على أصبار القلب»، السابق ص190.

(2) «وهذه إشارات لا توف من أذهانكم، ولا تفوت فطنكم. فلهذا تلبست بها استعطافاً لكم. وتكثرت بذكرها تقرباً إليكم. فلا تخيبوا رجائي فيكم...»، السابق ص30-31 «إن كنيت عنه سبق التصريح به. وإن صرحت به غلبت الكناية عليه. وإن عبّرت عن صفاته كدرت العبارة وإن أشرت إلى ذاته اضمحلت الإشارة»، السابق ص36.

(3) «خذ من التصريح ما يكون بياناً لك في التعريض. وحصّل من التعريض ما يكون زيادة لك في التصريح. واستيقن أنه لا صرف ولا كلمة، ولا سمة ولا علامة، ولا اسم ولا رسم، ولا ألف ولا ياء إلا وفي مضمونه آية. تدل على سر مطوي، وعلانية منشورة، وقدرة بادية، وحكمة محبورة، وإلهية لائقة، وعبودية شائعة، وخافية مشوقة، وبادية معوقة... وهذه الإشارة وإن كانت محدثة للناس في النفس الضعيفة فإنها مبشرة بعظم الحال في الغاية المنيفة»، الإشارات ص4-5. «وأمر بإضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرّضاً أو مصرحاً وإما مبعداً وإما مقرباً»، السابق ص78. «فليس لمخلوق أن يلم بحافات هذا الحديث رمزاً أو نبأ أو غمزاً أو همساً إلا بعد أن يأذن الله تعالى لمن يشاء ويرضى»، السابق ص340».

(4) «وأشرت وكنيت، وسميت وكتبت، وما حجبت ولا حججت. وبقيت واشتريت، ومحوت وأثبت، وجمعت وفرّقت، ونصحت وغششت، ومحضت ومققت، وعسرت وسهلت، وصدقت وكذبت»، السابق ص107.

(5) السابق ص205-206/ 318.

(6) «لقد صرفت لك القول في فنون من العبارة على ضروب من الإشارة»، السابق ص 287.

عندما يخاطب البطل الظواهر النفسية أو الطبيعية [1].

وتؤدي فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة، بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة، دالة على الآيات الأنيقة[2]. والإشارة أخلص، والعبارة ألخص[3]. الإشارة مدفونة في العبارة، والإيحاء في الإيماء، والإيماء في الأنباء، والأنباء في الإغراء، والإغراء في الإسراء، والإسراء في الإبقاء، والإبقاء في الإبراء، والإبراء في الإشقاء، والإشقاء في الإغفاء، والإغفاء في الإلقاء[4]. وهي عشر مراحل حتى يمكن فهم الإشارة. وشرحها أصعب منها[5]. والعبارة قد تخون منطقها في استخدامها على غير المعتقد، وسقوطها دون الغرض المعتمد[6]. الإشارة تعبر عن الحقيقة[7]. والعبارة عن الأركان الوثيقة، صاغتها الآيات الأنيقة، جامعة الآثار الرشيقة كلها[8].

والمعنى زينة اللفظ، والصدق حسن المعنى. والصدق في الأخلاق والمعرفة

(1) «يا حلائل النجوى احرمي. يا بوازغ القلب اسلمي. يا نيران البحر توقدي. يا مضاجع البلوى تمهدي. يا غاية المنى تباعدي. يا مقادير الدهر تراقدي. يا حلاوة الهوى أمري. يا عاذلتي على جنوني أهدئي عني وقري. يا مناهل العيش تكدري. يا معارف الغيب تنكري. يا حسرات القلب تحرّقي. يا أستار الضمير تهتكي. يا معالم الأنس بيدي. يا عُقب الهوى زيدي ثم زيدي. يا مصائب الدنيا اقصديني وانزلي بي. يا عجائب الدهر والأيام تعجّبي مني»، السابق ص70.

(2) السابق ص47.

(3) السابق ص489.

(4) السابق ص59.

(5) «فإنه ليس يخفي عليك من هذه العبارات إلا ما تجده في باب الإشارات»، السابق ص127.

(6) السابق ص159.

(7) «أما ترى أن فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة دالة على الآيات الأنيقة، جامعة الآثار الرشيقة؟

الآية الأنيقة	الآثار الرشيقة
العبارة	الأركان الوثيقة
الإشارة	الحقيقة

(8) «حالُ كلما سلطت عليها العبارة وأرسلت إليها الإشارات حلّت عن هذه وزلت عن حالة»، السابق ص339.

معا[1]. وقد تصبح اللغة رطانة، بلا فحوى. لا تقبل ولا ترفض إلا بالتقوى أي بالقصد. طالت العبارة في وصف الدنيا والإشارة وردت في الخبر عن أصحاب البلوى. قد يصبح القول بلا شرح، والسمع بلا فتح. ولا يبقى إلا التنفس عند الاختناق، والغباء في حالة استغلاق الفهم، وتغيير الوجه من الحجاز إلى العراق، ليس من أصل أهل الأثر إلى أهل الرأي بل من أهل الخبر إلى أهل الذوق. لم يبق أيضاً إلا تغيير التصور للألوهية، من الكينونة إلى الصيرورة من ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إلى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2].

وتبدأ الفقرات بحرف النداء «يا» والمنادى. أكثرها شيوعاً «يا هذا» إشارة إما لله وإما للآخر غير المتعين[3]. ثم «اللهم» ثم «إلهنا». ثم يأتي منادون آخرون مثل «أيها السامع» وهي أكثر شيوعاً من «أحبائي»، «سيدي»، «بالله سيدي». ثم يتنوع المنادون بالعشرات[4]. وقد يأتي المنادى داخل الفقرات وإن كان الشائع في أولها. البعض منها المنادى موصوفاً[5]. والبعض الآخر دون وصف[6]. وقد يكون مفرداً

(1) «زينة اللفظ في المعنى. وحسن المعنى في الصدق. والصدق ينقسم على صالح القول المؤدب والفعل المهذب»، السابق ص400».

(2) «اسمع رطانة أخرى، ولغة ليس فيها فحوى. وكن من قبولك لها ونبوّك عنها بيّن التقوى. فإن العبارة قد طالت في وصف الدنيا. والإشارة قد توالت في الخبر من أصحاب البلوى. وهذا كله لما أقوله وتسمعه عني، قولي لا شرح له. وسمعك لا فتح معه، لكن لابد من التنفس عند تضايق الخناق. ولا بد من التغابي عند تفاقم الإغلاق. ولابد من الانحجاز عند تعذر الإنجاد أو الإعراق. نعم حبيبي. كنت ثم تكونت. ثم بنت وتبينت»، السابق ص374-375.

(3) وهو ما يعادل في اللغات الأجنبية Dass mann, man, on.

(4) يا هذا (191)، اللهم (82)، إلهنا (38).

(5) «أحبائي (4)، سيدي، أيها الإنسان (3)، بالله يا سيدي، أيها السائل يا قوم إلهي (2)».

(6) مثل: الصديق المخالف، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها الصاحب المنادى، أيها المجتمع المقدس، أيها المسترق للسمع، أيها الحيران في سمعه، أيها المستأنس بالوحشة، أيها الجوهر الشريف، أيها الصاحب المدلل، أيها الصاحب المجاور، أيها السامع بالأذن، أيها القائل البائع، أيها الرفيق المؤانس، أيها الصديق المشفق، يا جامع المال، يا لسان الوقت، يا قارع باب الله (1)، حبيبي، أيها السيد، أيها الأجنبي، يا صاحبي، أيها المغرور، أيها الهائم، أيها الشيخ، يا رفيقي، يا سادتي، أيها الصديق (1)، أيها الأجنبي.

أو جمعاً. وقد يكون الوصف بالإضافة أو بالصفة. وقد يطول وصف المنادى بأوصاف متتالية. والمحك هو الوصف الأول. وفيها روح رسائل إخوان الصفا بالرغم من مرور قرن من الزمان.

ونظراً لأهمية الفعل «أفدي» فإنه يتكرر مع تكرر المفعول. فالصوفي يفدي الفنون والعيون والنفوس والألسن والقلوب والأقدام والأيادي والأرواح والنعم والعقول والأحاديث والخواطر[1]. وبعد كل مرة يتكرر فيها الفعل يتلوه القسم «والله». وقد يتكرر المبتدأ ويتغير الخبر. يتكرر الشوق ويتغير المشوق إليه، المشتاقون إلى الله، والمحبون فيه، والعارفون له والأغنياء به[2]. ومما يدل على أن «الإشارات» أسلوب أكثر منها مضمون. وبتعبير المعاصرين «أسلوبية» أكثر منها «سيمانطيقية» استعمال أسلوب التضاد في الأحوال والإحراج لعدم التعامل بالمثل[3].

---

(1) «أهدي والله هذه الفنون المستخرجة من هذا المعنى المصون. أفدي والله عيناً باتت تدمع من خشية الله. بل أفدي والله نفساً ظلت خاضعة مهيبة هيبة لله. بل أفدي والله لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله. بل أفدي والله قلباً ما يزال خافقاً من ضياء الله. بل أفدي والله يداً كفت بناتها عن تناول ما لم يبحه الله. بل أفدي والله روحاً تهالكت وجداً على أولياء الله. بل أفدي والله نعمة أديت بها حقوق الله. بل أفدي والله عقلاً اشتاق إلى موعود الله. بل أفدي والله كيداً أوثر على الراحة لوجه الله. بل أفدي والله الحديث عن الله والحياة مع الله. بل أفدي والله خاطراً يسنح مبشراً بذكر الله»، السابق ص115-116.

(2) وأشوقًا إلى قوم تلهبت أكبادهم شوقاً إلى الله، وأشوقاً إلى قوم فارقتهم أرواحهم وجدا بالله، وأشواقاً إلى قوم تبلغوا بالحبو والزحف إلى الله. وأشوقاً إلى قوم امتلأت قلوبهم بمعرفة الله. وأشوقاً إلى قوم طلبوا الراحة بالتعب حباً لله، وأشوقاً إلى قوم طلّقوا الدنيا وزهرتها غنى بالله. وأشوقاً إلى قوم باينوا الكون وما فيه استقلالاً بالله. وأشوقاً إلى قوم صافحت أرواحهم يد الله. وأشوقاً إلى قوم سبقت لهم الحسنى من الله. وأشوقاً إلى قوم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت نزاعاً إلى الله. وأشوقاً إلى قوم راحوا إلى مصدر ليس فيها غير الله. وأشوقاً إلى قوم قالوا لله، وسكنوا لله، وتحركوا إلى الله، وسكنوا مع الله»، الإشارات ص276.

(3) وذلك مثل «أنت في مناط الربوبية فلا تهبط إلى قاع العبودية. صانوك فلا تتبدل. أغروك فلا تذل. أعلوك فلا تسفل. غسلوك فلا تتوسخ. نقّوك فلا تتلطخ. يسروك فلا تتعسر. قربوك فلا تتباعد. أحبوك فلا تتبغض. جدوا بك فلا تكسل. استخدموك فلا تتكل. أعتقوك فلا تتعبد. أقالوك فلا تتعثر. دعوك فلا تتأخر. نسبوك فلا تجحد. جبروك فلا تتكسر. أنبتوك فلا تذو. حسنوك فلا تقبح. حلوْك فلا تسمج. علموك فلا تجهل. =

والتساؤل أسلوب قرآني. إذ تبدأ كثير من الآيات بلفظ «ويسألونك». والأسئلة تتعلق بحياة الناس ومشاكلهم: المحيض، الأنفال، الخمر، الأهلة، العفو...الخ[1].

ويستعمل الله عدة وسائل أو «محايل» للإقناع وكلها إيهامات وإيحاءات[2]. والهوية الإلهية، أن الله هو إشارة نفسية لا تنقسم ولكن بالتئام الإشارة العقلية. وكلاهما دليلان نفسيان ومسالك العقل نحو الغاية، وطرق الوهم نحو الأبعد. وأشكال اللفظ المزخرف نحو المطلب الأشرف، والإرادة المتلظية نحو الخبر المطلق، والمنية نحو الواحد الأحد. والإشارات الإلهية في عبارات إنسانية[3].

= نوهوا بك فلا تخمُل. قوموك فلا تضعف. لطفوك فلا تكشُف. أسّروك فلا تنكشف. انتظروك فلا تتوقف. أمنوك فلا تتخوف. قوّموك فلا تتعفف. ندوْك فلا تنشف»، السابق ص2-3.

(1) وصيغة التساؤل: «ألا قارع لباب الله؟...»، والسؤال عند الصوفي عن القارع لباب الله، والقاصد إليه، والراغب فيما عنده، والخائف من نواهيه، والمناجي له، والباذل روحه في سبيله، والناظر إلى نفسه معه، والعالم بسره، والمحاسب لنفسه، والمتوجه إلى ما عنده، والمسرور بتوحيده، النادم على ما فرط منه، والمشير بالحقيقة إليه، والمعظّم لشعائره والمقتدي بسفرائه، والمتنزه في روضته، والسابح في غديره، والواثق به، والطامع في وعده، والخائف من وعيده، والراحم لعباده، والعامر لبلاده، والمنتحي لفنائه، والناشر لكلمته، والداعي إليه، والمجيب له، والشفيع لعبده، والمشفق من خيانته، والذاكر له، والعابد المخلص له، والشاكر لنعمته، والصابر على بلواه، والمصفي لعتابه، والمشتاق إلى رضوانه، والمنافس في طاعته، والمتحول عن المخالفة، والراضي بقضائه، والمحدّث عنه، والدال على قدرته والباسط الرجاء في عفوه، السابق ص95.

(2) وهي عشر: التزهيد في الدنيا الخادعة، والترغيب في نعيم الله، التحذير من آفات الأعمال والعلم والأحوال وفساد الزمان، التمني والأمل في المستقبل، التخويف من المجهول، التلويح بأسرار المحبة وبحر المعرفة، بيان اللفظ ونقله من العام إلى الخاص، إجمال اللفظ لشحذ البيان، الاستيفاء حتى عدم البقاء، والاستيفاء حتى عدم السقي.

عيب ابن آدم ما علمت كثير ومجيؤه وذهابه تغرير
يا ساكن الدنيا الم تر زهرة الـ دنيا على الأيام كيف تصير؟
بل ما بدا لك أن تنال من الغنى إن أنت لم تقنع فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره إن الصغير من العيوب كبير

الإشارات ص196

(3) السابق ص188. =

ولم يتعود الناس بعد على العبادات الإنسية. فهم في حاجة إلى إلف طويل وتعود الطباع[1]. ويمكن ذلك عن طريق الموقف الأخلاقي للمفسر، خلوص النية من الشوائب وتنقية الطوية من الأهواء. والخطورة أن تتوحد الإشارات وتختلف العبارات بسبب الروع[2]. والخطورة أيضاً من منافق عليم اللسان على ما نطقت به النبوة في وصف إنسان بعد إنسان. فالوحي رؤية إنسانية وقصد إنساني[3]. وإن لم يفهم ذلك في الماضي فإنه لا يفهمه في المستقبل.

2 ـ التضاد والأضداد: ومن دوافع تكرار الأمثلة تصوير عدم الربط بين العلة والمعلول أو بين القصد والفعل، بين النية وتحقيقها[4]. وقد تكون الثنائيات

=

الطريق	الغاية
المنية المحلوم	الواحد الأحد
الإرادة المتلظية	الخير المطلق
اللفظ المزخرف	المطلوب الأشرف
الوهم السانح	المرام الأبعد
العقل المنير	الغاية
النفس النازعة	الأمور البازغة
الإشارة النقلية	الإشارة العقلية

(1) «لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية. إلا أن العبادات الأنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجاري، وأنت محتاج إلى أن ألف في الأول بطول السماع، ثم تتصعد من ذلك إلى الإشارات الإلهية ببسط الذراع ورحب الباع ولطف الطباع»، السابق ص224.

(2) «اللهم ارحم روعتنا في أطراف هذه الإشارات من اختلاف هذه العبارات»، السابق ص228.

(3) «ما أخوفني أنك منافق عليم اللسان على ما نطق به ديوان النبوة في وصف إنسان. وإن لم تكن ذاك في الماضي فلا تكن أيضاً في الآتي»، السابق ص231.

(4) «ليس كل من رقد حلم بما يريد. ولا كل من مد يده نال ما يطلب. ولا كل من ادّعى سلّم له دعواه. ولا كل من دعا أجيب. ولا كل من قرع دخل. ولا كل من استرق السمع سلم. ولا كل من استعفي أُعفي. ولا كل من قال بدا لي تُرك. ولا كل من استرحم رُحم. ولا كل من تعرّض استخدم. ولا كل من وصل وُد. ولا كل من بعد عُدم، ولا كل من سأل حُرم. ولا كل من ألحف أعطي. ولا كل من بكى أرضي، ولا كل من خطب زُوج. ولا كل من ملك تُوج. ولا كل من رجا أدرك. ولا كل من منع خاب. ولا كل من قدم نقد أكرم. ولا كل من أخر فقد أهين. ولا كل من سبح غرق. ولا كل من خُوف =

لضرورة الربط بين بينهما، بين النداء والاستجابة، بين السؤال والجواب[1]. الصياغة اللغوية عدم الربط والأمتية الربط. يذكر الإنسان الله فينساه. ويشير إليه فيبتعد عنه. ويعترف به فيحيره. ويتوجه إليه فيتبعه. ويتولى عنه فيدعوه. ويتوكل عليه فيوكله إلى نفسه. ويفكر فيه فيضله. وينتسب إليه فينفيه. ويطيعه فيبتليه. وينقبض عنه فيبسطه. وينبسط معه فيقبضه[2]. فالعجب عدم امتلاك السوانح وإدراك الغايات[3]. والطلب اتساق النتائج مع المقدمات، واتفاق المعلول مع العلة[4].

ويتم تكرار الصور عن طريق الأضداد[5]. ويتكرر نفس الأسلوب في النفي وفي الاستثناء. ونظرا للرغبة في التكرار إلى الحد الأقصي تغرب الألفاظ. ويستعمل غير المتداول منها، وقد تكون الثنائيات متضادة يرد أحد طرفيها إلى

= فرق. ولا كل من أومن اطمئن. ولا كل من رُبيّ ارجحن. ولا كل من توسّل قبل. ولا كل من التمس نوّل»، السابق ص21.

(1) «يعاتبك فلا تُعتب، ويدعوك فلا تجيب. وينعم عليك فلا تشكر. ويبتليك فلا تصبر. ويُحضرك قدرته فلا تبصر»، الإشارات ص33.

(2) «الصفا، إن ذكرناك أنسيتنا، وإن أشرنا إليك أبعدتنا، وإن اعترفنا بك حيّرتنا، وإن جحدناك أحرقتنا، وأن توجهنا إليك أتعبتنا، وإن ولينا عنك دعوتنا، وإن تركناك أزعجتنا، وإن توكلنا عليك أكلفتنا، وإن فكرنا فيك أضللتنا، وإن انتسبنا إليك نفيتنا، وإن أطعناك ابتليتنا، وإن عصيناك عذبتنا، وإن انقبضنا عنك بسطتنا، وإن انبسطنا معك طردتنا»، السابق ص193.

(3) «فالسوانح فيك لا تملك، والغايات منك لا تدرك، والحنين إليك لا يسكن، والسلو عنك لا يمكن»، السابق ص193.

(4) «فارحمنا في بلوانا بك، واعطف علينا في صبرنا معك، والطف بنا لانقطاعنا اليك، وعاملنا بالكرم الذي أمرتنا باستعماله بين خلقك»، وأصرف عنا كل صارف عن بابك. وأجل نواظرنا فيما برز بقدرتك، وخواطرنا فيما بطن من حكمتك. وإذا دعوناك فأحببنا. وإذا دعونا إليك فأعنا. وإذا استخرناك فأخيرنا. وإذا أعطيتنا فهنئنا. وإذا حرمتنا فصبّرنا. وإذا أذنت لنا فأوصلنا. وإذا أطعمتنا فصلنا. وإذا كدتنا فأرحنا»، السابق ص193

(5) «لا سر إلا وهو متهم.ولا قائل إلا وهو متوهم. ولا سامع إلا وهو كظيم. ولا عامل إلا وهو مُليم، ولا قلب إلا وهو سقيم. ولا لائم إلا وهو ملوم. ولا واجد إلا وهو عديم. ولا غني إلا وهو فقير، ولا عظيم إلا وهو صغير. ولا كثير إلا وهو قليل. ولا صحيح إلا وهو عليل، ولا قريب إلا وهو بعيد، ولا هيّن إلا وهو شديد، ولا عالم إلا وهو جاهل. ولا عاقل إلا وهو ذاهل. ولا آمن إلا وهو واهل. ولا ريان إلا وهو ناهل، ولا مصرور إلا وهو باهل»، الإشارات ص22-23.

الآخر. فالداء دواء، والعلة طبيب، والبلاء نعيم، والفناء حبيب. هو الأول والآخر، الغائب والحاضر، المفرق والجامع، الضار والنافع، المقرب والمبعد، الفائق والراتق[1]. وهو نفس التصور القرآني: الرافع الخافض، المعز المذل، القابض الباسط، المبدئ المعيد، المحيي المميت، المقدم المؤخر، الظاهر الباطن، المنتقم العفو[2]. والإنسان له أحوال في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وغضبه ورضاه، وأخذه وعطائه، ووحدته ولقائه، وحرصه وعفافه، وقبضته وبسطه، وعلمه وجهله، وريائه وإخلاصه[3]. وتتوالى الأضداد كدليل على المأساة التي تشمل الضدين: الضيعة والتحفظ، الرقدة واليقظة، الفرق والجمع... الخ[4]. وفي نفس الوقت يتم التحذير من الأضداد لأنها مفسدة بالرغم من استعمالها في الأسلوب[5]. ويتحول الضد إلى الضد، من اليأس إلى الرجاء، ومن

---

(1) «فدائي من ورائي، وعلتي من طبيبي، وبلائي من نعيمي، وفنائي من حبيبي»، الإشارات ص53.

(2) السابق ص60–61/ 77.

(3) «فاجتهد أن تتصفح عالم ربك المجيد فتصرف منه ما بطن وما ظهر، وما أعلن وما استتر، وما جل وما دق، وما فعل وما انفعل، وما نطق وما صمت، وما ضر وما نفع، وما دب وما مشى، وما انتصب وما انتكس، وما ضاق وما اتسع، وما استدار وما استقام، وما اختلف وما ائتلف، وما صعد وما هبط، ... وما حسن وما قبح، وما أنس وما نفر، وما عاد وما فر، وما انتظم وما التأم، وما خصب وما أجدب، وما أعوج وما اعتدل، وما أراد وما كره، وما خرب وما بعد، وما بلي وما بقي، وما سعد وما شقي، وما نزل وما رقي، وما اختلط وما استقل، وما احتاج وما استغنى، وما نمى وما نقص، وما طار وما سبح، وما حاق وما بطل، وما صفا وما كدر، وما رطب وما يبس، وما زان وما شان، وما كان وما يكون، وما لم يكن ولا يكون»، السابق ص99–100». لأنك أولنا وأخرنا، وغائبنا وحاضرنا، ومالكنا وناصرنا، وباطننا وظاهرنا، وطالعنا وغاربنا»، السابق ص151.

(4) «أما ترى ضيعتي في تحفظي؟ أما ترى رقدتي في تيقظي؟ أما ترى تفرقي في تجمعي؟ أما ترى غصتي في إساغتي؟ أما ترى دعائي لغيري مع قلة إجابتي؟ أما ترى ضلالي في اهتدائي؟ أما ترى رشدي في غيبي؟ أما ترى عيي في بلاغتي؟ أما ترى ضعفي في قوتي؟ أما ترى عجزي في قدرتي؟ أما ترى غيبي في حضوري؟ أما ترى كموني في ظهوري؟ أما ترى ضعفي في شرفي؟ أما ترى سخافتي في زماني؟ أما ترى غشي في نصيحتي؟ أما ترى عنائي في راحتي؟ أما ترى دائي في دوائي؟ ألا ترى بلائي في موالاتي؟»، السابق ص104.

(5) «السابق، ص318 «إن وصالهم خرم، وحبهم بغض، وبرهم جفاء، وعطفهم صدود، ومسالمتهم حرب، وإقبالهم كرب، ونوالهم حرب، والفكر فيهم عطب»، السابق ص318.

الخوف إلى الأمن، ومن السهو إلى الذكر، ومن الرقدة إلى اليقظة، ومن الضعة إلى التشريف، ومن الظمأ إلى الري، ومن الانطفاء إلى الوقد، ومن الشرود إلى التآلف، ومن البعد إلى القرب، ومن الانقطاع إلى الوصل[1]. وتحول الأضداد لا يحدث في حالات النفس فقط بل في حالات الطبيعة. فيصبح الخشن ناعماً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً، والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، الغائب مشاهداً، والصادر وارداً[2]. ومن أزمة العصر تحول الضد إلى الضد، الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطا سلباً... الخ. بحيث ينتهي التضاد، ويتحول طرف إلى آخر[3].

وتتحول ثنائيات الأحوال إلى ثنائيات الطبيعة. والطبيعة مصير تخضع لقانونها[4]. فالمسكن يخرب، والماء ينضب، والقاع يبور، والماء يغور، والحي يموت، والمطلوب يفوت، والباب يرتج، واللسان يتلجلج، والقول يتبهرج، والمرعى يسيب. وقد تكون الثنائيات تأكيدا على مسار طبيعي، إسراع مذنب، وإقلاع مصر، واستبانة ضال، وتقوم زائغ، واعتدال رائغ، واهتداء تائه، ولين قاسي، وتذكر ناسي، وتواضع مستكبر، وانتباه نائم تحقيقاً للعدل في الكون

(1) «فقلب إلهنا رجاءنا على يأسنا، وغيّب خوفنا في إيتاء أمننا. واهتف بنا إذا سهونا. وأيقظنا إذا رقدنا. وادعنا إذا أخرنا. وارؤف بنا إذا ضعفنا. وشرفنا إذا اتّضعنا. وارونا إذا ظمأنا. وأوقدنا إذا طفأنا. وأطببنا إذا خبثنا. وتألفنا إذا شردنا. وتكرم علينا إذا لؤمنا. وذكرّنا إذا نسينا. ولطّفنا إذا كثفنا. وفي الجملة قربنا منك إذا بعدنا عنك. وصلنا بك إذا انقطعنا عنك»، السابق ص217-218.

(2) «وصار الخشن ناعماً، واليابس لدناً، والقفا وجهاً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً، والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، والغائب شاهداً، والصادر وارداً، والذام حامداً، واللاهب خامداً»، الإشارات ص53-54.

(3) «صار الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطاء سلباً، والبلاغة عياً، والرشاد غيباً، والنشر طياً، والقبول رداً، والوصال صداً، والتمام نقصاناً، والرجحان وكساً، والتوجه استدباراً، والتبسم استعباراً، والربح خسراناً، والزيادة نقصاناً، والرضا سخطاً، والأمر فُرطاً، والمستقيم محالاً، والثابت حراكاً، والطاعة ذنباً، والإجابة قلباً، السابق ص206».

(4) ولم يبق لأهله مسكن إلا خرب، ولا ماء تيمن إلا نضب، ولا متاع إلا بار، ولا تمد إلا غار، ولا حي إلا مات، ولا مطلوب إلا فات، ولا باب إلا أرتج، ولا لسان إلا لجلج، ولا قول إلا بُهرج، ولا مرعى إلا أمرج»، السابق ص49.

والميزان في السلوك[1]. وقد تكون الثنائيات الربط الضروري بين الفاعل والفعل، والواهب والهبة، والمعطي والعطاء[2]. وقد تدل الثنائيات على أن المبادرة من الإنسان، والله قابلها بالضرورة[3]. إذا قرع الباب ولج، ومن طلب المكافأة أخذ، ومن ذاق استحلى، ومن اشتاق استخلى[4].

3 ـ التجارب الذاتية (الشكوى، الغربة، التشاؤم، فساد العصر): الابتهالات والدعوات والمناجاة كلها أشكال تعبر عن الأزمات النفسية التي تحاول أن تجد حلولاً سريعة لها في التعبيرات الأدبية المباشرة دون المرور بجذورها في الواقع وتحليلها كأزمات نفسية اجتماعية. وتظهر في لحظات الضعف وقلة الحيلة. وهي الأزمات التي منها نشأ التصوف. ومكانها في الأدب أو علم النفس أو علم الاجتماع. فالله مفرج الهموم، ومجيب الدعاء، ومطعم الجائع، ومحرر القاهر، وناصر المظلوم، ومعين المحتاج. والمثال يفرض وجوده، والتوتر يخلق موضوعه. الله هو مجموع الحاجات البشرية. يروي العاطش، ويقوي الضعيف، ويسوي المعوج، ويأوي الضجر، ويداوي العليل، ويصفي الكدر، وينقي الدنس، ويصلح الفاسد، ويعرّف المنكر، ويعلّم الجاهل، ويسهل المتعسر، ويغني

---

(1) ألا ليسرع مذنب. ويقلع مصر. ويستبين ضال. ويتقوم زائغ. ويعتدل رائغ. ويهتدي تائه. ويلين قاس. ويتذكر ناس. ويتواضع مستكبر. وينتبه نائم. ويصحو منتش، ويصفو سر. ويطيب قول. ويظهر عمل. ويقصر أمل. ويتجدد شمل. وينفع عدل»، السابق ص35.

(2) «وانظر بأي فضل خصك؟ ومن أي حال خلصك؟ وإلى أي درجة رقاك؟ وبأي رتبة حلاك؟ وإلى أي كهف آواك؟ وبأي سر ناجاك؟ وبأي غيب ناغاك؟ ومن أي شر وقاك؟ ولأي غاية بقاك؟ وبأي تاج توّجك؟ وإلى أي حظ هيجك؟ وأي ملك قيدك؟ وأي مشرب صفا لك؟ وبأي لطف حاشك؟ وبأي سكّر جاشك؟ وبأي صنع أزال استيحاشك؟ وبأي صرعة انتاشك؟ ولأي أمر أعاشك»، السابق ص35-36.

(3) «وإن التفت إلى نصيبك من الله أقبل الله عليك. وإن حاسبت نفسك لله أغض الله عنك. وإن وهبت نفسك لله حفظها الله لك. وإن تواضعت لله رفع الله قدرك. وإن جنحت للسّلم تقبل الله منك. وإن لذت بالله عطف الله عليك. وإن شكوت ما بك سمع الله شكواك. وإن ادعيته صادقاً أو كاذباً لم يفضحك في دعواك»، السابق ص37.

(4) «من قرع باب الله ولج، ومن طلب ما عند الله اذّلج. ومن توجه إلى الله استسلم. ومن طلب المكانة العليّة عند الله استعصم. ومن ذاق ما لدى الله استحلاه. ومن اشتاق إلى ما وعد به استخلاه»، السابق ص328.

الفقير[1]. وهو نفس تصور وصايا لقمان لابنه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾. وأوصاف الله كلها ذات علاقة بالتجارب الإنسانية مما يدل على أنها تعبير عن آمال وإحباطات البشر، أفراحهم وأحزانهم[2]. والله هو الذي يمحو البلاء، ويسدد الخطى، وينعش النكبى، ويقوي الضعيف، ويؤنس المستوحش، ويقرب البعيد، ويقبل التوبة[3].

وتعتمد «الإشارات» على تجارب ذاتية. وهي أقرب إلى السيرة الذاتية في «المعية» الزمانية، وليس في التوالي الزماني[4]. وقد كتب الغزالي «المنقذ من الضلال» لنفس الغاية. وجوهر الشكوى والمرارة[5]. وربما كانت حياته كذلك.

---

(1) إذا عطشنا فرونا، وإذا ضعفنا فقونا، وإذا أعوجنا فسونا. وإذا ضجرنا فآونا. وإذا اعتللنا فداونا. وإذا كدرنا فصفّنا. وإذا دنسنا فنقّنا. وإذا أفسدنا فاستصلحنا. وإذا أنكرناك فعرفنا. وإذا جهلناك فعلمنا. وإذا تعسرنا عليك فسهلنا. وإذا افتقرنا فأغننا. وإذا بِنّا منك فصلنا بك، وإذا التوينا عليك فقومنا»، السابق ص63-64. وهي ابتهالات تشبه ابتهالات القديس انسليم في «الإيمان باحثا عن العقل»، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية، القاهرة ص101-206.

(2) «يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشي الأخبار، ويا مولج الليل في النهار، ويا مصافي الأخبار، ويا مداري الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار...»، السابق ص1.

(3) «قد بلينا فجدِّدنا. وتلّينا فسدّدنا، ونكبنا فانعشنا، وانجردنا فارمشنا، وتعسرنا فسهلنا، وتعقدنا فحللنا، ونكرنا فعرّفنا، وجهلنا فعلّمنا وقلقنا فسكنا، واستوحشنا فآنسنا، وبعدنا فقربنا، وتبنا فاقبلنا، وبدّنا فكوّنا، وضعفنا فقوّنا، وزهدنا فرغّبنا، ورغبنا فزهدنا، وسلونا فشوقنا، وأحببنا فعزنا، وضللنا فاهدنا، وعُطلنا فحلّنا، وأغفلنا فسمنا، وخذلنا فأنصرنا، وهبطنا فرقّنا، ووقعنا فخلصنا، وعصينا فارحمنا، وبُذلنا فصنا، وزوغنا فقوّمنا، وأعوجنا فسونا. ورقدنا فأيقظنا، وسألنا فاعطنا، وقصّرنا فاحتملنا»، السابق ص150.

(4) المعية الزمانية Synchronism، التوالي الزماني Diachronism.

(5) «أما حالي فسيئة جداً كيفما قلبتها لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها. والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها. وأما ظاهري وباطني فما أشد اشتباههما لأني في أحدهما متلطخ تلطخاً لا يقربني من أجله أحد. وفي الآخر متبذخ تبذخاً لا يُهتدى فيه إلى رشد. وأما سري وعلانيتي فممقوتان بعين الحق لخلوهما من علامات الصدق، ودنوهما من عوائق الرق. وأما سكوني وحركتي فآفتان محيطتان بي لأني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى. ولا أعري في الآخر من مرارة الشكوى. وأما انتباهي ورقدتي فما أفرق بينها إلا بالأسر الجاري على العادة. ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة. وأما قراري =

غريبا لا يخالط إلا الغرباء والأدنياء والأردياء[1]. فهو الابن الضال يعود من جديد.

وإن نبت بك أوطان نشأت بها فارحل، فكل بلاد الله أوطان حرق كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره كراهية لنفسه وللعالم[2]. فالعلم يراد به العمل وليس غاية في ذاته. لم يدرك قيمته أحد. وترصدها العيارون والشطار. وقد قام بذلك كثيرون غيره[3].

وتتمثل أزمة العصر في الغرور دون اعتبار بالماضي، وعدم التعلم من دروس التاريخ[4]. روح العصر العصيان وعدم الاعتبار، وعدم الاستجابة للنداء بالرغم من النذر. خدعت الشهوات الناس وملكتهم، وغرتهم الأماني فأهلكتهم. وسباهم الشيطان من أوطانهم فباعهم في أرض الأعداء بثمن بخس. فخسروا وربح. وبقوا في بلاد الغربة حيارى أذلاء. كما تتمثل أزمة العصر في أكل الحرام، وحمل الآثام، وسيادة السفلة[5]. عاد الإسلام فيه غريباً[6].

= واضطرابي فقد ارتهنني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلا للقرار. وغالب ظني أني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكاك، ولا انتظار عندي للانفكاك. وأما يقيني وارتيابي فلي يقين ولكن في درك الشقاء. فحتى يكون يقينه هكذا كيف يكون خبره عن الارتياب؟»، السابق ص18.

(1) الحكم بأنه فارسي الأصل آري الجنس تصنيف عرقي للمؤلفين، بدوي ص ج.

(2) «فهذه بيناتي في محنتي، وآياتي في فتنتي»، السابق ص27».

(3) مثل: أبو عمر بن العلاء اللغوي، داود الطائي، يوسف بن أسباط، أبو سليمان الداراني، سفيان الثوري، أبو سعيد السيرافي، بدوي ص لج.

(4) «أيها المغرور عن تصاريف الأيام ما أغفلك! أما تعتبر بمن كان قبلك؟ ألهاهم الأمل فهم ساهون. وغرتهم الأماني وهم غافلون. واخترمتهم يد المنون وهم يلعبون. واعتورتهم الأيام بكرّ صروفها وهم يمرحون. لقد ناداهم ذو الجلال بالتنبيه لو كانوا يسمعون. . . أنذرتكم الأيام بعبرها فلم ترتدعوا. وأرتكم الليالي تغلبها بأهلها فلم تنتفعوا. ونادتكم الدنيا بترك السكون إلى لذاتها فلم تستمعوا، خدعتكم الشهوات فملكتكم. وغرتكم الأماني فأهلكتكم. وسباكم الشيطان من أوطانكم فباعكم في أرض أعدائكم بثمن بخس. فخسرتم وربح عليكم. فبقيتم في بلاد الغربة حيارى متلذذين، بلا أنس ولا سلوة. . . غرقتم في بحار الغرور. . .»، السابق ص323-324.

(5) «يا أكلة الحرام، وحملة الآثام، وسفلة الأنام، النجاء النجاء، فقد أظلكم علم الانتقام، وفاتكم من الله الخلود في جوار الله والدوام»، السابق ص281.

(6) «فإذا تعاونا على هذه الأحوال الحسنة في هذا الزمان الذي قد عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ غريباً كنا نجوم الأرض وأعلام الخلق»، السابق ص310.

والشكوى أولى التجارب الذاتية. قد تكون من القريب أو البعيد، من النفس وهي أعدى الأعداء في جنب الإنسان(1). وكثرة الشكوى تزيد البلاء(2). ولها مظاهر عدة: الفؤاد هائم بكل واد. والخاطر حال من كل حاد وهاد. كل شيء مرد ومعاد. وكل شخص آخر مضاد ومعاد. ولا يملك الإنسان إلا الحسرة والدموع والزفرات. الكبد مشتعل محترق على المناظر والهيئات. واليقظة على ما يجري من رسوم وعادات. والأحلام عارية من أي تحقق، والنفس رهينة بالسيئات، مفتونة بالسوانح والخاطرات، مغبونة عن الحسنات والصالحات. الجهات منسدة، والوجوه مسودة. كل قول زور وبهتان. وكل إشارة بوْر وعدوان. وكل سكوت سهو ونسيان. القول مردود. والقائل محسود. والقاصد مطرود. والباذل مجهود. والسائل محدود. والزمن متنكر. والصديق متغير. والعدو متنمر. والجار متنفر. والعامل مستنفر(3). الشكوى إلى الواحد الصمد وليس إلى غيره شكوى أو من دونه فرج(4).

ويتبع الشكوى الاستعطاف. فالشيخ تحكمت فيه البلوى وأصبح بين الحياة والموت. يحتاج إلى نائحة تبكي عليه(5). يعتمد التوحيدي على تجاربه الذاتية، الإحباط واليأس، الشكوى والضجر(6). أعلى المحن الكون كله، وأدناها طلب

---

(1) قلبي إلى ما ضرني داع ... يُكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي
السابق، ص283
هذا فؤادي وطرفي ... قد سببا لي حتفي
فكيف أحذر يا قوم ... من فؤادي وطرفي
السابق، ص283.

(2) «فإن من ألف الشكوى يُغِذّ من البلوى على البلوى»، السابق ص314.

(3) السابق ص214-215.

(4) «أشكوك إلى الله الواحد الصمد. فالويل لمن رفع بثه إلى غير الله. ويئس بجهله مما عند الله. وظن أن له فرجا لا بالله»، السابق ص391.

(5) «فاعطف على شيخ قد تحكم فيه البلوى. وأقام بين الحياة والردى. لا يذوق أحدهما على تمامه. فيكون في ذلك روحه ونعيمه أو ما يحزن عليه صديقه وحميمه»، السابق ص75.

(6) وسآخذ في حديثي وما يختص بشأني وينتمي إليه أمري. وأعلمك أني في حساب لا ينتهي، وعتاب لا ينقضي لأني ألوح كالبرق المنتشر، فلا أضيء ولا أستضيء. أتوارى في الظلام كالمستتر فلا أُغني ولا أَغنى. وقد عرفت آفتي، ووقفت على علتي، =

المحال، والتعلل بالفاني، والانخداع بالعارض، والإعراض عن النفيس، وتوهم الكمال في النفس وهي ناقصة، والجرأة على الدعوى مع نقض البرهان، وتبعثر القول ونقص الفعل، وإطالة الهذيان بلا تحذير. والإنصات ضياع. وإن عجز السلطان عن تحقيق الشكوى والاستجابة لها توجه الشكوى إلى الله كما هو الحال في المثل الشعبي «الشكوى لغير الله مذلة»[1]. ويمكن تجاوز الشكوى رغبة في الخير، وتجنباً للشر. ولماذا أشغل الوقت بوصف الزمان وظروفه ودوافعه؟ هناك ما هو أولى بالوقت وأجدى. ليست الشكوى من المروءة ولا من عزة النفس[2]. فهل الأولى الإعداد للمعاد هروباً من الدنيا أم الدخول في تحدياتها وتغيير الواقع حتى لا تستمر الأزمات؟.

والتجربة الحياتية الثانية التي يعيشها صوفي مثل التوحيدي هي تجربة «الغربة» التي يخصص لها إحدى رسائله[3]. وهي إجابة على سؤال عن الغريب ومحنته، والغربة وعجائبها. فقد نشأ التصوف من الغربة عن العالم، ويؤيد ذلك حديث «جاء الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ. فطوبى للغرباء»، بالرغم من رفض بعض الجماعات الإسلامية هذا التأويل، وجعل الإسلام أيضاً عائداً ناهضاً منتشراً كما تكشف عن ذلك الصحوة الإسلامية الراهنة. الغربة ظاهرة سلبية وليست

= وفطنت بمحنتي وهي أشياء: فأعلاها وأعداها الكون لأنه محط البلاء، ومغار الحدثان، ومجلب الصروف، وفرض الغير، وعمق الكد، وأول الغيظ، وثاني الأفكار، وثالث المحو. فأما أدناها وأدباها فطلبي للمحال، وتعللي بالفاني، وانخداعي بالعارض، وإعراضي عن النفيس، وندائي على نفسي باسم التمام وأنا عين النقصان، وجرأتي على الدعوى بفقد البرهان، وتشردي في القول مع ضعفي وتقصيري في الفعل، وإطالتي الهذيان على غير وزن ولا تحذير»، السابق ص199-200.

(1) «إلى الله تشكو ما أحل بنا منا. فقد والله ظلت البلوي، واشتدت النجوى، وقلت الدعوى. فإنه أولى من شُكي إليه، وأحق من تُكل عليه»، السابق ص268.

(2) «إن تكلفتُ لك وصفي ووصف زماني وزمانك، وما قد دفعنا إليه في شأني وشأنك كان ذلك شاغلاً للوقت عما هو أولى به، وأعود إلينا بالجدوى منه. فتعالَ حتى لا نشتكي ولا نتألم، ونهب أنفسنا لبلايا غير هذه. فمن قليل تنتقل إلى ما تعلم وأعلم. فليس بين المروءة أن نشكو صديقاً إذا قصّر. ولا من عزة النفس أن تجزع من عدو وإن بالغ. وما فقر أيام، وبؤس ساعات، وتغير إخوان ثقات وغير ثقات حتى يصح هذا الصحيح، وننعى زماننا بالأسى على ما فات»، الإشارات ص219.

(3) رسالة (يا)، السابق ص78-86.

إيجابية كما هو الحال في «الاغتراب» في الفلسفة الوجودية المعاصرة. فالغريب أينما حطت ركائبه ذليل. يد الغريب قصيرة، ولسانه ذليل[1]. لا تسقط دموعه من الغربة والبعد في المكان بل لأنه غريب غريب مهما حاول الألفة مع الناس[2]. والاغتراب من الوطن المكاني إلى الوطن الزماني، ومن الوطن المادي إلى الوطن الروحي ليس اغتراباً بل عوداً إلى الموقف الأصيل[3]. مع أن الغربة أي السقوط بين «الأنا» و «النحن» أصل الإبداع الفني والأدبي والفلسفي.

والوطن ما يسكن فيه الإنسان ويهنأ باله. وبه الأهل والبنون والأصدقاء والقدماء. ليس الوطن الطارد لأهله. العازل لهم فيحملون الهموم والأحزان. لذلك لا يهنئون بالعيد: عيد بأية حال عدت يا عيد؟ فكيف يكون الصبر في عيده محزوناً؟ العيد بلاء وشقاء. وهو فريد ووحيد[4]. ليست الغربة عن الوطن كمكان ولكن عن الناس. فالوطن هم الأهل مهما استوطن خارجه. ينطق حزناً ويسكت حيراناً. ويقترب خاضعاً ويظهر ذليلاً. وإن توارى عليلاً. وإن طلب يائساً. وإن أمسك مبتلياً. وإن أصبح تحول لونه. وإن أسر انتهب سره. وإن قال هياباً، وإن سكت خائباً. أكله الخمول، ومصه الذبول، وحالفه النحول، ويتمنى الحديث مع الناس[5]. ليس الغريب من جفاه الحبيب بل من واصله وتغافل عنه الرقيب، هو

---

(1) إن الغريب بحيث ما حطّت ركائبه ذليل
ويد الغريب قصيرة ولسانه أبدا كليل
السابق، ص79.

(2) وما جزعاً من خشية البين أخضلت دموعي، ولكن الغريب غريب
السابق، ص79.

(3) «اغترب عن وطنك المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق»، السابق ص237.

(4) ليهنأ العيد، من له وطن يأوي إليه، ومن له سكن
ومن له الأهل والبنون ومن بلاده منه منزل تمن
لا المفردين المطردين ومن يعتاده الهم فيه والحزن
وقد قطعت حداداً لا ألبسه في هذا العيد الذي أقبل عليّ بالحد
السابق، ص239.
قالوا سررت بيوم العيد؟ قلت لهم ولا علمتُ به، والواحد الصمد
لما تيقنت أني لا أعاينكم غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد
السابق، ص240.

(5) السابق ص79–80.

غريب حتى ولو جلس معه الندماء، ونودي من قريب. هو من في غربته غريب، ليس له نسيب، ولا من الحق نصيب[1]. الغريب من غربت شمس جماله. واغترب عن أحبائه وعذاله. وأغرب في أقواله وأفعاله. وغرب في إقباله وادباره. الغريب من كان في محنة بعد محنة، وفتنة بعد فتنة. يحضر غائباً، ويغيب حاضراً. لا يعرفه الناس[2]. الغريب داخل الوطن. ولم يبرح مسقط رأسه[3].

الغريب يهجره الناس ويزجروه إذا ذكر الحق. يكذبون مصادره ويعذبونه لطهارته ورفض رشاويهم. لا يزوره أحد. يطول سفره دون مقام ويستمر بلاؤه دون ذنب. ويشتد ضرره ويعظم عناؤه. لا يسمعون قوله. ولا يلتفون حوله. يحرقه الأسى والأسف. لا يوسع له أحد إذا قبل. وإذا غاب لا يُسأل عنه. وإذا سأل لا يعطي. وإن سكت لا يبدأ بالكلام. وإذا مرض لا يعوده أحد. وإن زار أحداً رفض. وإذا استأذن لم يأذن له الحاجب. إذا نادى لا يجيبه أحد. وإذا هَادى لا يُحب. الغريب كله حرقة، وبعضه فرقة. ليله أسف، ونهاره لهف، غذاؤه حزن، وعشاؤه سجن، وآراؤه ظنون. الغريب من يضطهده الناس ويستوحشون منه. هو الصوفي الذي يلبس الخرقة. هو من يخبر عن أنباء الغيب. يذكر الله متوكلا عليه[4]. الغريب هو من يعيش عالماً آخر لا يعيشه الناس. وهو معنى الآخرة. وقد يغترب المرء من غير حاجة ولا فاقة بل قد يكون حكماً عليه من الناس حتى ولو كان غنياً[5].

والتشاؤم تجربة حياتية ثالثة ومن أسباب عدم ثبات شيء: تولية ثم عزل،

---

(1) «وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرقيب. بل الغريب من حاباه الشريب. بل الغريب من نودي من قريب. بل الغريب هو من في غربته غريب. بل الغريب من ليس له نسيب. بل الغريب من ليس له من الحق نصيب»، السابق ص80.

(2) بم التعلل؟ لا أهل، ولا زمن ... ولا نديم، ولا كأس، ولا سكن
السابق، ص81.

(3) «وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه. وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه»، السابق ص81.

(4) السابق ص82-82.

(5) وإن اغتراب المرء من غير حاجة ... ولا فاقة يسمو بها لعجيب
وحسب امرئ ذلاً وإن أدرك الغنى ... ونال ثراء أن يقال غريب

وجهاد دون نجاح، ونجاح دون جهاد[1]. لا دواء للعلة، ولا سبيل إلا اليأس والقنوط[2]. الفؤاد سقيم، والخاطر عقيم. والبلاء شامل، والعناء حاصل. والصديق عدو، والألفة نفور، واليقظة نوم[3]. الضلوع مملوءة بالأسى والحزن. والأرواح ذائبة بالحسرة واليأس. السلم حرب، والروح كرب، والمستقيم معوج، والوقت كدر، والزمان غبر، والراجي قانط، والصاعد هابط.

ويترك ولاة الأمور، فلا أمل في التغير. ولم يبق إلا الثقة بالزمان. فربما يرحم الإنسان من يغبط. ويعجب بسوء الأثر ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4]. ومن ضمن مآسي الوجود الاحتراق من أجل إنارة الطريق للآخرين[5].

---

(1) لكل ولاية لا شك عزل ... وأمر الناس عقد ثُمَّ حل
السابق ص406.
وطالب حاصد ما ليس يدركه ... ومُدرك ما تمنى غير مجتهد
ولرب مدخر ما ليس آكله ... ومستعد ليوم ليس في العدد
السابق، ص407.

(2) «وأين الدواء، والعلة هذا عضالها؟ اليأس، اليأس، القنوط، القنوط، الويل، الويل»، السابق ص157.

(3) «كيف أتكلم والفؤاد سقيم؟ أم كيف أترنم والخاطر عقيم؟ أم كيف أصبر والبلاء شامل؟ أم كيف أجزع والعناء حاصل؟ أم كيف آنس بالصديق والصديق مداج؟ أم كيف أسلو عن الإلف والإلف متاح؟ أم كيف أثق بما نسمع من الخبر وقد كذبني ما حقق بالعيان؟ أم كيف أسكن إلى الانتباه وقد أقلقه المنام؟ أم كيف أستريح إلى المنام وقد لعبت بي الأحلام؟»، السابق ص305. «الضلوع مشوبة بالأسى والحزن، والأكباد متهرية بأنواع الآفات والسقم، والأرواح ذائبة بضروب الحسرة واليأس»، السابق ص306 «فالسلم حرب، والروح في كرب، والمستقيم معوج، والخاطئ على الساحل ملتج، والوقت كدر، والزمان غَبِر، والراجي قانط، والصاعد هابط»، السابق ص306.

(4) دع الدهر يجري بمقداره ... ويقضي عجائب أوطاره
ونم نومة عن ولاة الأمور ... وثق بالزمان وأدواره
لعلك ترحم ما قد غبطت ... وتعجب من سوء آثاره
السابق، ص407.

(5) صرت كأنّي ذبالة نصبت ... تضيء للناس وهي تحترق
السابق، ص106.

وهو نفس معنى الأغنية الشهيرة لحسين السيد، وتلحين محمد عبد الوهاب «أنور شمعتي لغيري ونورها كاوية أحضاني».

وتصور التجارب الذاتية أحداث العصر مثل التجارة بالدين[1]. وتخدير الفقراء بالوعود المستقبلية[2]. تحول الدين إلى رسوم وعمت الفحشاء، وفسد العلماء وفشا الجهل وظهر الغي وذكر اسم الله لغوا على الألسنة. فخوت القلوب من الفكر. وفقد الصدق[3]. وتتمثل التجارة بالدين في التجارة بالآخرة وارتهان الدين بالدنيا[4]. الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهتدم[5]. وليس الحل للجور إلى الله والهرب إليه بل تغيير الواقع ومقاومة عيوبه، والدخول في تحدياته.

ويظهر فساد العصر في سلوك الناس، شدة الطمع، سوء الرجاء، دون زهد أو محبة ولا خشوع ولا صدق ولا هداية ولا مشاهدة ولا استيقاظ ولا حسن معاملة. الظاهر أعبث من الباطن، والباطن أخبث من الظاهر. والإشارة أنكد من العبارة، والعبارة أفسد من الإشارة. والكل مستغيث من البعض، والبعض هارب من الكل. الليل يصبح من النهار، والنهار يبدأ من الليل. ثم ادعاء منازل الصادقين وضمائر النبيين، وأسرار الملائكة المقربين، والاعتراض على أفعال رب العالمين. أذل هذا

(1) «حتى أصف لك تصاريف حالي ومتقلب أمري، وجميع ما يدل على سكري وشكواي، وراحتي وبلواي، مقيتاً فيها ومقتدراً عليها، ومطلعاً على غامضها وواضحها، ومميز لثابتها من سانحها...»، السابق ص6. «تسألني فيه عن حالي. وتستنطقني به عن ظاهري وباطني، وعن سري وعلانيتي،وعن سكوني وحركتي، وعن انتباهي ورقدتي، وعن قراري واضطرابي، وعن يقيني وارتيابي، وعن تقاعسي وانتصابي، وعن عللي وأوصابي، وفي الجملة عن جميع أموري وأسبابي. وفهمته بالشرح والتفصيل على ما بي من بلائي وعذابي...»، السابق ص17، «وبقي الاستكمال بكل شارد وإن خفي على أهل العصر»، السابق ص28.

(2) «يا تجار الآخرة أبشروا بالأرواح الفاخرة. يا مساكين الدنيا، ابشروا عند المولى بالغنى والمنى...»، السابق ص44.

(3) «أخَلقَ الدين، وعمت الفحشاء، وأفسد العلماء، وفشا الجهل، وظهر الغي، وتكاشف الناس، وفقد الصدق، وغلب الجهل، وكثرت الجرأة، وصار ذكر الله لغوا على الألسنة، وقوت القلوب من الفكر بين السيئة والحسنة»، السابق ص146.

(4) «يا تجار الآخرة، أبشروا بالأرواح الفاخرة. لا تمُهر الدنيا دينك فإن من مهر الدنيا دينه رفت إليه بالندم والسقم والألم»، السابق ص250.

(5) «الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهور، والوجه وقح، والخلق رتح، والغفلة غالبة، والأحداث سالبة»، السابق ص148.

الزمان نجم الحق، واجتث أصل الخير. وغار ماء الإيمان، وانمحى رسم الدين، وتناسى الناس العرف، والتقوا على المنكر. وأصبح التعبير تقصيراً. شرف الله الأمة بالأمر والنهي فخافت. وعرض عليها النعيم فأبت[1]. والخطورة في ذلك قلة عدم الرغبة في الإصلاح والتسويف الذي يخالف العقل والشرع. وعاقبة ذلك الويل والثبور[2].

تجربة العصر أيضاً أنه زمن رديء. لا يوجد فيه ما يستحق العناء. فالعلم بلاء، والجهل عناء، والعمل رياء، والعقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء[3]. هي تجربة التشاؤم التي شارك فيها المعري التوحيدي، وهما من نفس العصر. فإذا نظر الإنسان أصاب عينه القذى. ولم يجلب لنفسه سوى الأذى. لا يرحب به أحد. يمضي أشرار الناس حكمهم على الأضعف. ويسيرون في الشر إلى أبعد حد بالرغم من قرب الخير. يقطعون مع من يصلهم. يعتبرون الحلم مهانة عند السخط. ويعلون على من تواضع معهم. يتراءون بالوعظ للهداية. ويشحذون السيوف للفتك بالناس. البعد عنهم سلام، والعزلة عنهم فضيلة. وصحبة الحيوان أفضل من صحبة الإنسان. فالإنسان أسوء جنس خبثاً ومقتاً وأذى[4]. وغاية الدهر

(1) السابق ص207-208.

(2) السابق ص213.

(3) السابق ص87. واسمع شجو لبيب كره المقام في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب (وكما يقول هوبز).

(4)
نظرت فلم يعلق بعيني سوى القذي ... وجُلت فلم أجلب لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجها مستحقا ل «مرحبا» ... ولا وجه أمر مستحقا ل «حبذا»
رأيت شرار الناس يمضون حكمهم ... على الجانب الأدنى إلى الشر منفذا
ويسعون فيه نحو أبعد غاية ... وإن كان وجه الخير أقرب مأخذا
وواصلتهم حتى سئمت فلم أجد ... سوى هجرهم من وصلهم لي منفذا
يعدون عند السخط حلمي مهانة ... ويسأمون يوم الحفل عارضتي بذا
ويعلون من أرخى لهم من عنانه ... بسوط، ويستخذون للمرء ذي الشذا
فقد ترك الوعظ اللبيب لأنه ... إذا هُذ قول البر ظنوه قد هذا
وما يصنع العين السليم بشحذه ... إذا لم يجد في جانب السيف مشحذا
فحد نائيا عن سمتهم متحررا ... وسر بينهم من شرهم متعوذا
وعش هكذا طول الحياة فربما ... سلِمْتَ عن الأشرار إن عشت هكذا
وصل حيوان الأرض لا من ارتدى ... على صورة الإنسان منها أو احتذى

إبرام منتقض أو نقض إبرام دون عدل أو قانون[1]. ومع ذلك لا يعاند الدهر إلا من خطر[2].

لا منجيات من العقل أو الشرع أو الوقوف على المقاصد من غير ريب أو شبهة. لم تعد بديهية أو فطرية أو مساعدة على الكمال[3]. والحل الجذري هو صفاء العمل بصحة العلم، وصدق الخبر بتحقق العيان، وفيض الحكمة بطول التجربة، وصدق الذكاء بسلامة الطبع، وجدوى العقل بصحة الفعل، وتحرر العبد بزوال الضرر، ويُملك الإنسان بفخر الإحسان، والتحلي بالخير بعد التعري عن الشر، ووجود القناعة بعدم الحرص، وحصول الكمال بفقد النقص، ومعرفة السعادة بشقاء النحس، والهداية إلى المعروف بمعرفة المنكر، ومعرفة الحق بالتبري عن الخلق، وانتهاء الحرمان من الوجدان. ولن تهدأ النفوس قبل أن تثأر من الزمان[4]. المعرفة بالتجربة حتى لو كانت مسيرة أو قصيدة وهي خبرة إنسانية مثل تجميع الهموم في آن واحد وأثر ذلك على شحذ الطاقة[5].

فإن تبلُ هذا الجنس تبل أشدّها   خبيئة أحقاد وأبلغها أذى

السابق، ص88-89.

(1) هوّن عليك فإن الدهر غايته   إبرام منتقض أو نقض منبرم

(2) «هل عاند الدهر إلا من له خطر؟»، السابق ص405.

(3) «إن الجملة المأخوذة علينا المشوقة بالعقل والشرع إلينا: لوقوف على المقاصد بحقائقها من غير ريب يقدح، ولا شبهة تسنح. وقد سَلِمت هذه الجملة في البديهية واستمرت لكنها خلقت في الرؤية واقشعرت لأن البديهة تشبثت لحكم القول والتسليم للفطرة الحانية إليه، والعادة الثانية إليه، والكمال المرجو منه، والاحتياط الحاكم به». السابق ص200-201.

(4) «لن يصفو العمل حتى يصح العلم. ولن يصدق الخبر حتى يتحقق البيان. ولن تفيض الحكمة حتى تطول التجربة. ولن يحمد الذكاء حتى يسلم الطبع. ولن يجدي القول حتى يتصل الفعل. ولن يُعتبد الحر حتى يُزال عنه الضر. ولن يُملك الإنسان حتى يُفخر بالإحسان. ولن يتحلي بالخير حتى يتعري من الشر. ولن توجد القناعة حتى يُعدم الحرص. ولن يؤلف الكمال حتى يُرفض النقص. ولن يعرف حلو السعادة حتى يذاق مر النحس. ولن يُهتدى إلى المعروف حتى يُضل عن المنكر، ومن يُعرف الحق حتى يتبرأ عن جميع الخلق. ولن تُسكن طرق الحرمان حتى يُتمكن من برد الوجدان. ولن تنقطع سلسلة الهمدان حتى يَدرك الثأر من الزمان»، السابق ص201.

(5) «وهذا واضح عند من له خبرة مسيرة وتجربة قصيرة. أعنى أن الإنسان يعلم بأدنى تماسك يرجع إليه وأقل سبب من التمييز يتعلق به، أن الهم الأكبر إذا كان واحداً تلاحقت به القوى، وساعد على رفده النهى...»، السابق ص246.

ولا يُفهم القرآن بمجرد قواعد النحو والمبادئ العامة للغة وعلوم القرآن، المكي والمدني، المحكم والمتشابه، الظاهر والمؤول، المجمل والمبين، الأمر والنهي، الخاص والعام، العربي والأعجمي في اللفظ. . .الخ بل بالموقف الأخلاقي للمفسر والصدق مع النفس[1].

6 ـ الوعي التاريخي بالآخر

وهو الوعي بآداب الشيخ والمريد، الوعي الجماعي القائم على الوعي المتبادل كموضوع مستقل وليس كباب أو فصل أو كتاب[2]. فالآخر جزء من التاريخ لأنه فرد في جماعة. والتاريخ تاريخ فردي وجماعي. هذا الوعي بالآخر هو الذي سيتضخم في الوعي العملي بعد القرن السابع الهجري ونهاية الوعي النظري، عندما يتحول التصوف من علم إلى طريق، ومن نظر إلى عمل، ومن رؤية إلى طريقة.

أ ـ رسائل المحاسبي (243هـ)

1 ـ **«رسالة في التصوف»**[3]: وفي «رسالة التصوف» يصل المحاسبي إلى

---

(1) «والعجب أيها العالم الفقيه، والأديب النحوي تتكلم في إعرابه وغريبه، وتأويله وتنزيله، وقصته وشأنه، وكيف ورد، وبأي شيء تعلق، وكيف حكمه فيما خص ودعم، ودل وشمل، وكيف وجهه، وكيف ظاهره وبطنه، ومشتمله ورمزه، وماذا أوله وأخره، وأين صدره وعجزه وكنايته وإفصاحه، وكيف حلاله وحرامه، وبلاغته ونظامه، وغايته ودرجته ومقامه، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ثم لا تجد في شيء مما ذكر شك به ووصفتك فيه ذرة تدل على صفاتك في حالك، وإدراكك ما لك. بل لا تعرف حلاوة حرف منها. ولا تزال موجوداً فيما دعيت إليه أوساطها ونواحيها، فعلمك كله لفظ، وروايتك حفظ، وعملك كله رفض. وتبرعك كله نقض. ودعواك كلها وقاحة. وخُلقك كله وقاحة، وسرك كله خبيث، وسيرك في الباطل حثيث، وجهرك نفاق، وباطنك شقاق، وذكرك حيلة، وسكوتك غيلة. ومعاملتك افتلاس، وأمانيك أدران وأدناس، ووعظك خديعة. وانقطاعك ريح، وبغضك غثاء، وكلك هباء، وعبادتك رياء، وحضورك غيبة، وآخر أمرك غيبة كأنه ليس لك إلى الله أوبة لأنك بنيت أمرك كله على المكر والقيلة وعلى الغش والمكيدة، وعلى الهوى والملومة، وعلى الخاسة والنجاسة، وعلى الجهالة والنذالة، وعلى طلب العاجلة دون الآجلة. . .»، السابق ص39-40.

(2) الرعاية لحقوق الله ص 608-627، رسالة في التصوف، آداب السالكين ص182-186.

(3) المحاسبي، رسالة في التصوف، دار المروة، القاهرة 1996.

ذروة التنظير العقلي والتحليل النفسي فلا يعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث[1]. والموضوع موجود في التنزيل إلا أنه يمكن التعرف عليه بتحليل التجارب النفسية[2]. وموضوعه المراقبة وهو الطريق إلى الاستعانة على النفس وإحراز الدين ونيل الحياء. وهو باب المعرفة[3] وتدل على وعي تاريخي نظري بالتصوف كموضوع أمري وليس كموضوع بحثي. وهي على درجة عالية من التنظير. لا تعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو أي شاهد شعري. بل تعتمد فقط على تحليل التجارب النفسية. وهي رسالة صغيرة تقوم على القسمة[4]. خطابها أخلاقي أمري يصل إلى درجة السذاجة والتربية الوعظية لإصلاح النفس بعد أن صعب إصلاح العالم. البداية بالمعرفة، الجدل بين الله وإبليس، والعمل لله، والنفس أمارة بالسوء[5]. ويحذر من خداع النفس. كما يحذر من خصال عشر أقرب إلى الرذائل منها إلى الفضائل باستثناء العاشرة، وأقرب إلى النواهي منها إلى الأوامر[6].

وتتوالى القسمات لمراتب العباد بين محبوس ومخدوع ومضبوط، وللمخاوف بين العبد والبار والخائف من جهنم. وللناس في الأثرة بين مؤثر قوي ومؤثر محتاج. وفي الذكر باللسان أو باللسان والقلب، وفي الشكر بين طلب الزيادة والرضا وفي الفريضة مع هموم الدنيا أو الخوف أو فساد المحاسبة. وفي وزن البر بين معرفة الفضل أو القطيعة مع الدنيا. وفي عمل الليل والنهار بين غانم سالم للطاعة أو شاحب للمعاصي أو سالب للنوم[7]. وتنتهي الرسالة بآداب

(1) المحاسبي: رسالة التصوف ص129-186.
(2) السابق ص129.
(3) السابق ص29.
(4) تسبقه مقدمات طويلة (ص أ-ط/1-128) لغرض الترقية لأساتذة الجامعات.
(5) «ما استعان أحد على نفسه وأحرز دينه بمثل المراقبة. وبه نالوا الحياء من الله تبارك وتعالى. وهي باب المعرفة»، رسالة في التصوف ص119.
(6) وهي الحلف بالله صدقاً وكذباً، الكذب جداً أو هزلاً، خلف الوعد، لعن خلق الله، الدعوة على أحد من الخلق، القطع بالشرك أو التكفير لأحد، النظر والغمز واللمز، الاحتياج إلى أحد، الطمع فيما بأيدي الآدميين، استكمال البر والمعرفة والعز من الله والخلق، السابق ص 156-166.
(7) السابق ص 175-182.

المريدين مثل «الرعاية لحقوق الله»[1].

وتتمثل حقوق الغير في الالتزام بالتقوى. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمن الناس بوائقه. فالتقوى ليست فقط واجباً ذاتياً بل تتعلق بحقوق الغير. هي أخلاق اجتماعية تتعلق بموضوع وليس فقط نية صالحة[2]. والانشغال بإصلاح النفس قبل إصلاح الآخر بداية العلاقة بين الأنا والآخر[3]. ورعاية حق الجار والمسكين والقريب، والرفق بما ملك اليمين. وبذل النصيحة لله وللمؤمنين والتشاور مع الذين يخشون الله يدل على أن الأبعاد الأربعة للمسترشد متداخلة، الذات والآخر، والعالم والله[4]. ويجوز للإنسان أن يحب

(1) السابق ص 182-186.

(2) مثال ذلك ألا يتعرض الإنسان لما لا يعنيه، ولا يتكلف فوق ما لا يكفيه، ولا يأخذ أكثر مما يحتاج إليه، ولا يدع ما وكل إليه حفظه. يرتاح معه الناس وهو في نفسه تعب. آفات الورع حرصه، والفضول بلاء. والاشتغال بإصلاح الحال، ومراعاة هم الذات، السابق ص46.

(3) وذلك يتطلب إقلال الحوائج من الناس، ومخالقتهم بخلق حسن، والحب للناس ما يحبه الإنسان لنفسه، ويكره ما يكرهه لنفسه، ولا تكشف عورات الناس، وحسن الأدب في المخالطة، تأديب الأهل، عدم الغضب للنفس على الناس بل لله على النفس، عدم مكافأة أحد بإساءة، والعفو عمن ظلم، وإعطاء من حرم، ووصل في الله من قطع، وبذل النفس والمال في سبيل الإخوان، والرحمة بالمؤمنين، والإشفاق بالناس بعد أن يسلم الدين، والحذر من المراهنة، ورعاية حقوق المولى في الدين، وتنزيه ذكر الله عن إضافة المكاره، وعدم تعظيم فعل المعروف، أو تحقير صغير من المنكر، السابق ص50-51/ 130/ 135-136/ 138/ 143140-/ 151/ 164-165.

(4) فالنصيحة لله وللمؤمنين وللائمة والعامة في نفس الوقت، والنصيحة علامة على الحب، والمراهنة علامة على الغش، وقبول النصيحة من علامات الأخوة، وأصل الطريق هو الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق وتقديم العلم على حظوظ النفس والاستغناء بالله عن جميع خلقه، وبذل الجهد عند المشورة، ومشاورة من يخشون الله، وعدم مصادقة إلا الأتقياء العلماء، وعدم مخالطة إلا العقلاء ذوو البصيرة، والاقتداء بالأئمة السابقين والتعليم للأئمة القادمين، وعدم نشر الحديث عند من لا يريده، وعدم عرض الدين لمن يبغضه، وعدم مخاطبة بالعلم ما يتجاوز العقول، وعدم الحياء بعدم العلم أفضل من القول فيما لا يُعلم، عدم التعرض لبلاء فوق الطاعة، إكرام النفس حين اهانتها، وتنزيه الهمة عند دناءة الأخلاق. عدم مؤاخاة إلا الأمناء، وعدم إبداء الأسرار لكل الناس، وعدم مجاوزة المرء حاله، وعدم الدخول في أمر لم يُدع إليه الإنسان. توقير مجالس =

حب الناس له ليس على طاعة بعينها ولكن على أفعال غير محمودة عندهم، وفي المقابل يجوز إذا اطلع الناس على بعض ذنوب الفرد أن يغتم فالغم طبيعي في البشر، ومعظم النصائح سلبية أكثر منها إيجابية، بالنهي أكثر منها بالأمر[1].

= العلماء، ومعرفة قدر الحكماء، والإعراض عن الجهال، والحلم عن السفهاء، ونصرة الأخ المظلوم، ورد الأخ الظالم، وإعطاء الأخ حقه وعدم مطالبته بحق النفس، وعدم ترك المكافأة والصنائع، والتيسير على الغريم، والرفق بالأرملة واليتيم، وإكرام الصابرين من الفقراء، والرحمة لأهل البلاء من الأغنياء، وعدم حسد أحد على نعمة. وغلق باب الطمع بالاياس، واستفتاح باب الغنى بالقناعة وتنزيه ذكر الله عن إضافة المكاره، وتسفيه حق الناس سم قاتل. وعدم ذكر أحد بغيبه، وعدم الظن بأحد سوء المسألة وفتح باب حسن الظن بسعة التأويل. واعتزال خوف السقوط من أعز الناس خوفاً من مقتهم، والحذر من أخلاق الجاهلين ومجالسة المذنبين ودعاوى المعجبين ورجاء المفترين ويأس القانطين، السابق ص70-71/ 100-101/ 131-133/ 152.

(1) باب ما يجوز للعبد من حبه لمحبة الناس له، السابق ص319-320، باب ما يصح للعبد من غمه عندما يظهر للخلق من ذنوبه، السابق ص321-322، باب في ستر المعاصي عن العباد وإن اطلع الله عليها، السابق ص323، باب ما يستحب فيه الحياء وما يكره فيه، السابق ص324-328، باب من أين ينبغي للعبد أن يكره ذم المسلم له ومن أين لا يكرهه؟، السابق ص329-332، كيف يكون قلب الصادق عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبه لاحتمال ذكره، السابق ص333- 335، باب استواء الحمد والذم في قلب العبد، والفرق بين حبه لنفسه ولربه عز وجل، السابق ص336-339، باب في الرياء للوالدين ليرضيا وللعلماء ليستفيد به علماً، السابق ص340-341، باب الرجل يحضر القوم يصلون، فتحضره نية للعمل وإن لم يكن يفعل ذلك في خلوة أو يكون فلا يجد إلا البكاء، السابق ص342-349، فصل فيما يتقي به التصنع للمخلوقين في التصنع والحزن، السابق ص350-353، باب ما قالوا في علامة صدق الخاشع لله عز وجل إذا رمقته أيضاً العباد، السابق ص354-358، باب الرجل يكون له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير، فيكثر زيارة الغني وبره دون الفقير، كيف السلامة من ذلك له، ومن أين فساده، السابق ص356-357. وذلك مثل: ستر معاصي الإنسان أفضل من كشفها للآخرين بالرغم من إطلاع الله عليها، ويستحب الحياء ويكره في أفعال معينة إلا أن الحياء كله خير وهو غريزة كريمة من الله ولا صلة له بالرياء، ويكره للإنسان ذم المسلمين له. وإن كرهه فلربما لذم الله له أو إشفاقاً عليهم أن يعصوا الله فيه، وقد تكون نفس الصادق سخية عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبه لاحتمال ذكره، والزهد في حمد الناس له، وقد يستوي الحمد والذم في قلب الإنسان إذا ما قام بواجبه مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجوز رياء الوالدين بل طلب الرضا والعفو لهما. ولا يجوز رياء العلماء للاستفادة من علمهم بل تقوى الله، وإذا حضر إنسان قوماً يصلون فحضرته نية المشاركة وإن كان في خلوته لا يجد إلا البكاء فإن صلاته تكون صدقاً لأن العمل متواصل بين الناس أو بلغة العصر =

الإخوان ومعرفة النفس[1]. وهي التجربة المشتركة بين الأنا والآخر وقد يبدأ الإنسان بالتوبة ويرجع عنها دون الحرص على التقوى، ومخالفة الهوى والشهوة[2]. ويرجع ذلك إلى ضعف الخوف وقلة الحذر. ويدخل مع الآخرين في علاقة مشتركة وهو يعلم أنه قد يخالفهم بشرط ألا يعصي الله. والأفضل أن تكون التجربة المشتركة مع الأخوة في الله[3]. ويسبق تطهير الذات الأهواء تمسكها بالفضائل لذلك أصبح أحد تعريفات التصوف التخلي عن الأوصاف الدنية وهي الانفعالات والأهواء، والتحلي بالأوصاف السنية وهي المقامات[4].

2 ـ **«رسالة المسترشدين»**[5]: وهي رسالة مبكرة في آداب الشيخ والمريد. وهو الموضوع الطاغي في المرحلة الرابعة للتصوف كتاريخ وهو التصوف العملي والتصوف كطريق وهو الوعي العملي وقبل تكوين الطرق الصوفية. ويتطرق فقط لطريق واحد وهو المسترشد أي المريد. ويعتمد على الحديث قبل القرآن دون الشعر[6]. ويظهر التراكم التاريخي في ذكر أربعة. . . . .

= هو «عمل تواصلي» إلا إذا كان متصنعاً إحراجاً أو تخوفاً، وهو نفس حال المحلوقين أو أصحاب اللحى في التصنع، علامة صدق الخاشع أنه لا يتغير حتى ولو رمقته كل أنظار العباد، ولا يجوز زيارة صديق غني وبره أكثر من زيارة فقير وبره.

(1) الرعاية لحقوق الله ص360-381.

(2) باب في العبد يعزم على التوبة ثم يرجع وما الذي يقويه ويعينه على التقوى ومخالفة الهوى والشهوة، السابق ص360-364.

(3) والناس أربعة رجال: غير معروف أو معروف ولا يصاحب، ومبتدع، وفاسق، ومستور مصاحب. المبتدع والفاسق لا يصاحبان، وغير المعروف لا يصاحب. إنما القضية في الصاحب المشكوك فيه وهو لا يصاحب ويستعان على ترك الإخوان الذين يخشي منهم على سلامة الدين بالاعتناء بالدين بالتفكر فيه والتذكر له. وهو ميراث الورع، باب الرجل يخرج في الحاجة أو يجالس بعض إخوانهم ممن يدعي أخوتهم في الله عز وجل وهو يعلم أنه لا يسلم له دينه منهم، السابق ص365-372.

(4) وذلك يتطلب دفع الحسد بقصر الأمل ونفي الكبر باستبطان الغر، وترك كل فعل يضطر إلى اعتذار ومجانبة كل حال يؤدي إلى التكلف، وصعوبة الدين بالاقتداء، وحفظ الأمانة بطلب العلم، وتحصين العقل بآداب الحلم، والصبر لكل موطن، والخلوة بالذكر، والنعم بالشكر، واعتزال الهوى والاستعانة على قصر الأمل بذكر الموت ومعقلة الحياء، ومعلومة الورع، مشاهدة الثقة، ومن ألف هواه قل أدبه. السابق ص89/ 102/ 104/ 111/ 131.

(5) دار السلام، القاهر ط5/ 1988م-1409هـ.

(6) الأحاديث (92)، الآيات (86).

أعلام[1]. ويغلب على الفقرات كلها أسلوب الأمر والنهي مثل «اعلم»، «احذر»، «الزم»... الخ في أربع وثلاثين فعل أمر[2]. والأمر وهو الأغلب، وثمانية أفعال نهي وهي الأقل[3]. وتتنوع الأفعال الأمرية بين العلم والفحص من أفعال المعرفة، والمحاسبة والمراقبة والحذر والكتمان من أفعال القلب، والالتزام والعمل والوقوف والمراعاة والاستعمال والطلب والاستعانة والاستجلاب والأداء والتحصيل والتنازل، من أجل الفصل والرضا والتواضع والبذل والإيثار والعفو والرعاية والوقار والنصرة من مجموع الفضائل. وبعض الفقرات إخبارية للعلم وليست أمرية للعمل وهي الأقل. والأسلوب هو أسلوب القول «فإن قال قائل»[4]. وتبدأ الفضائل والمقامات في الظهور مثل الصدق والصبر والقناعة والزهد والأنس والرضا والإخلاص واليقين والخوف والمحبة والمراقبة[5].

7 ـ الوعي التاريخي الرأسي

ويعني الوعي التاريخي المنعرج، الصاعد إلى أعلى ابتداء من التوبة المقام الأول، هروباً من العالم الذي تكالب عليه الناس، وترك الدنيا بمن فيها على من فيها. هو بداية التصوف كطريق إلى الله، والهروب إلى أعلى كما هو الحال في التصوف مثل الهروب إلى النص كما هو الحال في الفقه عند أحمد بن حنبل، كرد فعل على الانغماس في العالم عند الحكام وأصحاب السلطة وعند المتكلمين وجدل العقائد.

أ ـ رسائل المحاسبي (243هـ): واضح حضور المحاسبي خلال مراحل

(1) هم: أبو ذر، داود الطائي، القاسم بن محمد، علي بن أبي طالب.

(2) أعلم (24)، حذر (6)، الزم (3).

(3) الأمر مثل: افحص، حاسب، راقب، قف، راع، استعمل، ارض، كن بالحق متواضعاً، آثر، إعمل، رم، قيد، استعن، احذق، استجلب، اطلب، اكتم، اعف، أدّ، خالق، وقّر، أبصر، حصّل، تنازل، ابذل، خذ، اطلب...الخ. والنهي مثل: لا تشك، لا تخالط، لا تصح، لا تموتن، لا تكثر، لا تنشر، لا تذكر، لا تظهرن.

(4) رسالة المسترشدين ص 123.

(5) السابق ص 170-181.

تشكل الوعي التاريخي الأخلاقي، برسائل ست[1]. وهو حاضر ثانياً في الوعي التاريخي المعرفي برسالتين[2]. وهو حاضر ثالثاً في الوعي التاريخي بالآخر برسالتين[3]. وهو حاضر رابعاً في الوعي التاريخي الرأسي برسالتين[4]. وهو حاضر أخيراً في الوعي التاريخي المغترب (الأخروي) برسالتين كذلك[5].

1 ـ **«التوبة (بدأ من أناب إلى الله)»**[6]: ويدل العنوان الثاني على بداية الاغتراب في الوعي التاريخي، الاتجاه إلى أعلى. والتوبة أول مقام في الطريق الصوفي، من العالم إلى النفس، ومن النفس إلى الله. ويقل الاعتماد على الأدلة النقلية. يحضر القرآن، ويغيب الحديث والشعر[7]. ويزيد التنظير العقلي. ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، «قال. . قلت. .»، أسلوب الشيخ والمريد مثل أحكام السؤال والجواب في أصول الفقه، بين المفتي والمستفتي[8]. فالكتاب إجابة على سؤال عن بدأ الإنابة إلى الله؟ والجواب: بمعرفة الله وتهذيب النفس الأمارة بالسوء، والعزم على تأديبها بالوعظ والتركيز، وعزل النفس عن مواطن المعصية وإدمان معاتبتها وتخويفها بالرغم من رفضها مفارقة الشهوات، وعلاجها بالصوم و الجوع والتذكير. وحنينها إلى بعض الشهوات دون بعض يسمح بوضع عقوبات مشروعة للنفس. بداية الهداية وصنع النفس بين الشدة والتخفيف في العقوبة، وتسليم النفس قيادتها إلى الله. وتجاوز خداع النفس إلى الحنين إلى الشرف بين الناس دون توهم فضلها عليهم، والاطمئنان على صدق اعتقاداتها واصطفائها. ودلائل الصدق في التوبة الجد في الطاعة والحزن والخوف وسقوط الكلفة والعلم بطريق التوبة، والرجاء والشكر والخوف، ومعرفة عزة مقام التائبين، ودلائل صدق الشاكرين.

---

(1) هي: 1- المسائل في الزهد 2- فهم الصلاة 3- المسائل في أعمال القلوب والجوارح 4- المكاسب 5- الرعاية لحقوق الله 6- الوصايا.

(2) هما: 1- رسالة العقل 2- كتاب العلم.

(3) هما: 1- رسالة في التصوف 2- رسالة المسترشدين.

(4) هما: 1- التوبة 2- القصد والرجوع إلى الله.

(5) هما: 1- التوهم 2- البعث والنشور.

(6) دار الاعتصام، القاهرة 1977م-1397هـ.

(7) الآيات (3).

(8) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص، الباب الثاني: الوعي النظري ص471-479.

2 ـ **«القصد والرجوع إلى الله»**[1]: وهو نفس موضوع «الإنابة» بداية من التوبة لسلوك الطريق الرأسي صعوداً إلى أعلى، من العالم إلى النفس ارتداداً، ومن النفس إلى الله ارتفاعاً[2]. تعتمد على القرآن أكثر من الحديث لدرجة الضعف. ويكاد يختفي الشعر[3]. كما تعتمد على التحليل العقلي، وتحليل التجارب تأكيداً على العقل العملي، واستعمال أسلوب «قال. . قلت» رداً على سؤال[4]. وتضم الرسالة أربعاً وثلاثين مسألة متنوعة تعود كلها إلى الله. أولها التوبة والفتوة محاسبة النفس ودفع الهوى عن الضمائر والقلوب ومخالفة العدو ودفع نزعاته[5]. ثم يأتي موضوع الزهد وما يفسده وأثره في الحياة، والزهد فيما لدى الناس وما يتبعه من ورع، والابتعاد عن الدنيا، ثم الرذائل مثل الرياء والإعجاب والفرح بالعمل، ثم الفضائل مثل الصدق والإخلاص والحياء، ثم المقامات مثل الشكر والصبر والرضا والمحبة، ثم الأحوال مثل الحزن والخوف، ثم المعرفة على قلوب العارفين والاعتبار والحكمة. وشروط ذلك كله طهارة القلب وحديث النفس ومراقبتها وترك الريب والشبهة.

ب ـ **«كتاب الصدق» لأبي سعيد الخراز (277/ 279هـ)**[6]: وتتحول الأخلاق الصوفية تدريجياً إلى المقامات والأحوال، من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الشريعة إلى الطريقة، ومن الخارج إلى الداخل مثل «الطريق إلى الله» أو كتاب «الصدق» لأبي سعيد الخراز (ت299).

ومنهج التأليف هو تجميع الآيات والأحاديث حول موضوع واحد وهو «الصدق» كما هو الحال في التفسير الموضوعي. والآيات أكثر من الأحاديث[7]. ثم تأتي الآثار، أقوال الصحابة والتابعين والزهاد والعباد والصوفية الأوائل. ويضم

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ، ص141-205.

(2) القصد والرجوع إلى الله ص143.

(3) الآيات (37)، الأحاديث (16)، الشعر (1).

(4) القصد والرجوع إلى الله، في بيان العقل وصفته ص162-163.

(5) «فهذه مسائل في المعرفة، وعلم طريق الآخرة، والقصد والرجوع إلى الله تعالى حيث أراد الله»، السابق ص 142.

(6) دار الكتب الحديثة، القاهرة1975.

(7) الآيات (88)، الأحاديث (61).

إليها بعض الخطب وبعض الحكايات التاريخية أو الرمزية.

والصدق هو الخيط الذي يربط باقي الفضائل التي تتحول فيما بعد إلى مقامات وأحوال مثل: الإخلاص، الصبر، الورع، الحلال، الزهد، الخوف، الحياء، المحبة، الرضا، التوكل، الأنس أو في موضوعات عامة مثل معرفة النفس، ومعرفة إبليس.

ونظراً لأن التأليف لم ينتظم بعد في أبواب وفصول فإن تحديد معاني «الصدق» لم يأت في البداية بل بعد الصدق في الإخلاص والصبر. وفي الحديث، المتن أهم من السند. فلا تهم الرواية بقدر الموضوع. وهو ما اعتمد عليه الغزالي في «الإحياء» فيما بعد باستعمال الأحاديث الضعيفة السند ما دام المتن متفقاً مع هواه. ويكتفي بالقول «يروى أن» أو «يروى في الحديث». ولا حرج من استعمال المرويات عن الشياطين[1]. ولا حرج أيضاً من استعمال الإسرائيليات وما روي عن سليمان وداود وعيسى[2]. وقد تُرى حوارات من مظاهر للطبيعة مثل الريح[3]. ويُروى عن جبريل حواراته مع الرسول[4]. وتكثر الأحاديث القدسية تساعد على نسج الخيال. وقد تكثر الشواهد النقلية بدافع البرهان بحجة السلطة خاصة في غياب الحجج العقلية. وتستعمل بعض الحكايات عن سلوك الصحابة والتابعين والزهاد والصوفية الأوائل.

والتأليف بناء على سؤال المؤلف أحد العلماء عن معنى الصدق أشبه بصيغ الفتاوى الشرعية والتي استمرت حتى ابن رشد في «فصل المقال». والإجابة على العموم والخصوص، في الأصول والفروع[5]. وهو سؤال تربوي وليس سؤالاً نظرياً، للمريد وليس للشيخ. إذ لابد أن يعرف المريد ثلاثة أشياء: الإخلاص والصدق والصبر. وهي متداخلة المعاني. فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق والصبر عليه. والصبر لا يتم إلا بالصدق والإخلاص فيه. والصدق لا يتم إلا بالصبر

(1) الخراز: الطريق إلى الله أو كتاب الصدق ص29/ 80.
(2) السابق ص34-35/ 43/ 60-61.
(3) السابق ص35.
(4) السابق ص36/ 62/ 69/ 90-94.
(5) السابق ص13.

والإخلاص فيه[1]. ويستمر أسلوب التساؤل والاعتراض أو الاستفسار[2]. وفي النهاية تتوجه الرسالة إلى المريد[3].

والصدق من الفضائل الخلقية عند الصوفية قبل أن يصبح عند البعض مقاماً. وهو بداية الطريق إلى الله. وهو عنوان مرادف، مثل مقام التوبة عند المحاسبي ومجموع الصوفية. والمؤلف هو الشيخ العارف لقب منه أم من الصوفية بعده[4]. ويعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[5]. الآيات كلها حول موضوع واحد مثل «الصدق». وهو بداية التفسير الموضوعي للقرآن. وتذكر المعاني المختلفة للآيات وتتداخل المصطلحات. وتتوالى الآيات في دفعات[6]. ويسقط السند لصالح المتن. وإذا ذكر فعلى وجه العموم مثل «وفي الخبر»[7]. وتتكرر الأحاديث[8]. ويصل الأمر إلى رواية أحاديث الرسول مع جبريل ومع الشيطان[9]. وتُروي بعض الإسرائيليات من أحاديث سليمان وموسى وعيسى وآيات من الكتب المقدسة السابقة[10]. ويستشهد بأقوال الصوفية مثل الفضيل بن عياض وسفيان الثوري، ويطلق عليهم لفظ الحكماء وببعض الصحابة مثل علي والحسن وبعض التابعين مثل ابن سيرين. وتستعمل بعض الحكايات عن بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز أو بعض الحكايات الرمزية مثل الحوار مع إبليس. والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في أصول الفقه مع أفعال القول[11]. والخطاب موجه إلى القارئ «أما علمت أيها المريد»[12].

(1) السابق ص15.
(2) السابق ص23.
(3) السابق ص89.
(4) كتاب الصدق ص 94.
(5) الآيات (86)، الأحاديث (61)، القدسية (2).
(6) كتاب الصدق، ص 14-15/ 22.
(7) السابق ص82.
(8) السابق ص42.
(9) السابق ص29/ 36/ 69.
(10) السابق ص 34-35/ 43/ 60-61/ 90-91.
(11) السابق ص13.
(12) السابق ص 86.

وتنتهي الأقسام بلازمة «وبالله التوفيق»[1].

والصدق هو الموضوع الأول الذي يبدأ من الطريق إلى الله. لا يتضمن فصولاً أو أبواباً بل مجموعة من الأقسام[2]. تبدأ بمعاني الصدق المختلفة. ثم يتشعب الصدق في بعض الفضائل الأخلاقية مثل الإخلاص والورع والحياء[3]. ثم يتجلى في بعض المقامات مثل الصبر والزهد والتوكل والرضا والمحبة وما يتعلق بها من شوق[4]. ثم يظهر في بعض الأحوال مثل الخوف والأنس[5]. وهناك صدق في المعرفة مثل الصدق في معرفة النفس والقيام عليها، وفي معرفة العدو إبليس، وفي معرفة نعم الله[6]. وهناك الصدق في الفقه مثل الصدق في الحلال الصافي[7].

8 ـ الوعي التاريخي المغترب (الأخروي)

ويعني ذلك تجاوز الوعي التاريخي بالعالم إلى ما وراء العالم، من الدنيا إلى الآخرة. وهي بداية الوعي الصوفي ونهايته. بل إنه يزيد في النهاية عن البداية. ويصبح موضوعاً مستقلاً يلتقي فيه الحديث والفقه والكلام والتصوف في «أحوال الموتى والآخرة». ويسمى أيضاً الوعي المغترب أي الذي خرج عن العالم إلى عالم آخر.

أ ـ **رسائل المحاسبي (243هـ)**: والعجيب أن من يركز على الوعي الخلقي في معظم أعماله إلى درجة اعتباره المؤسس الأول للأخلاق الصوفية هو الذي يبدأ أيضاً بالوعي المغترب في الأخرويات. لأن الأخلاق لم تقم على الحسن والقبح في ذاتها عند المعتزلة بل على النظرية الأشعرية في ارتهان الأخلاق بالإرادة الإلهية. لذلك همش المعتزلة لصالح الأشعرية المركزية.

(1) السابق ص39/ 63/ 69/ 86/ 89/ 92/ 94.
(2) وهي ستة وعشرون قسماً.
(3) كتاب الصدق ص17-19/ 29-31/ 55-57.
(4) السابق ص19-22/ 40-53/ 60-69.
(5) السابق ص54-55/ 69-94.
(6) السابق ص25-29/ 58-60.
(7) السابق ص31-39.

1 ـ **«التوهم»**[1]: ويقوم على توهم الموت واستباقه والاستعداد له عن طريق الخيال. وهو فتح لعالم التصوف الجديد الذي اكتمل في «الفتوحات» عند ابن عربي في «الخيال الخلاق». يعني التوهم التصور والتخيل والافتراض. فالتصوف كله توهم في المقدمات وفي النتائج، وفتح آفاق جديدة للنفس بعد أن انسدت آفاق العالم على عكس الفقه، علم النوازل الذي يبدأ مما يحدث في الواقع. وهو خطاب موجه مباشرة إلى القارئ بلفظ «اعلم» كما هو الحال في «رسائل إخوان الصفا». كما استعمل لفظ «توهم». أي افتراض شئ تنتج عنه نتائج[2]. فالتصوف فقه افتراضي، يركز على النفس حتى يخلق موضوعه. ولا يبتعد كثيراً عن التخويف وأساليب الردع النفسية للحصول على الطاعة والسلوك الفاضل. فالغاية تبرر الوسيلة. يبدأ الطريق بآلام الموت ثم النداء للعرض ثم أهوال القيامة ثم الشفاعة ثم يوم العرض ثم عذاب الكافرين ثم نعيم الجنة ثم حياة أخيرة. ويعتمد أساسا على القرآن ثم الحديث[3]. ويغيب الشعر. كما يغيب التحليل النظري الخالص. إنما تعتمد الرسالة على الإيهام والتخويف واللعب بالعواطف والاستدراج والإيقاع[4].

2 ـ **«البعث والنشور»**[5]: وهو انتقال من التوهم إلى الحقيقة، ومن الافتراض

---

(1) دار الأرقم، القاهرة 1991م-1411هـ ص29-73.

(2) استعمل لفظ توهم 24مرة.

(3) الآيات (15)، الأحاديث (9)، القدسية (1).

(4) «فتوهم نفسك لذلك الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير. . . » التوهم ص41، «فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك»، السابق ص43، «فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب. فبلغك غاية الكرب. واشتد بك العطش. فذكرت الشراب في الدنيا. ففزعت إلى من في الجحيم، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بهذا بك. فلما أخذته نشت كفك من تحته. وتفسخت لحرارته ووهيج حريقه. ثم قربته إلى فمك فشوي وجهك. ثم تجرعته فسلخ حلقك. ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك. فناديت بالويل والثبور وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته. ثم أقلعت الحريق. فبادرت إلى حياط الحميم لتبردها كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذ أشتد عليك الحر. فلما أغتمست في الجحيم تسلخ من قرنك إلى فمك. فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك. ثم أشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن. . . فلما أشتد بك الكرب والعطش. . .»، السابق ص51-52.

(5) دار الأرقم، القاهرة 1991م-1411هـ ص81-97.

إلى الواقع، ومن المستقبل إلى الحاضر وكأن البعث والنشور قد وقعا بالفعل، البعث هو الخروج من القبور والحياة بعد الموت. والنشور العودة إلى الله والسعي إليه. وكلها غيبيات سمعيات لا دليل عقلي عليها كما هو الحال في نسق العقائد الأشعري. وتشمل مناظر انشقاق الأرض سؤال الملكين، وعذاب القبر ونعيمه، والحساب والميزان، والصراط والأعراف، والثواب والعقاب، والكتاب والدليل وشهادة الحواس. يعتمد على الأحاديث أكثر من القرآن ودون الشعر[1]. وبطبيعة الحال يغيب التحليل النظري إلا من قياس الغائب على الشاهد.

ب ـ «الطواسين» للحلاج (309هـ)[2]: موضوعه الحقيقة المحمدية. وهما حرفان من أوائل السور «طس» بالجمع. يعتمد على التأويل الرمزي لبعض الآيات، وأقلها من الأحاديث، والتعبير عنها بالشعر جمعاً بين النص الديني والنظم الشعري[3]. ولا تظهر الإسرائيليات لعدم الحاجة إليها. ولا يعتمد على أحد من الصوفية السابقين باستثناء اسم الرسول «أحمد». ينقسم إلى عشرة أقسام كلها تبدأ بالطاسين وهي السراج، والفهم والصفاء، والدائرة، والنقطة، والأزل والالتباس، والمشيئة، والتوحيد، والإسراء في التوحيد، والتنزيه. ويؤول الأسماء والألقاب فالرسول أمي لمهمته، حَرمي لنعمته، ومكي لتمكينه. ورمزه السراج أي النور والفهم للمعرفة الاشراقية الكشفية ليلة الإسراء والمعراج. والصفاء مرآة القلب. ثم تستعمل الأشكال الهندسية مثل الدائرة والنقطة والقوس مع الحروف للخروج من عالم الظاهرة، والدخول في عالم الباطن، والالتباس على إبليس. والأزل وجود الحقيقة المحمدية. والمشيئة دائرة من دوائر الوجود مع القدرة والعلم والحكمة. والتوحيد أحدية وسره انعكاسه في الذات وفي العالم. وكل ذلك تنزيها لا تشبيها.

جـ ـ الحكيم الترمذي (319هـ): والعجيب أيضاً أن صاحب «الرياضة» و«أدب النفس» في أخلاق النفس يكون هو مؤسس الوعي المغترب في «ختم الأولياء» و «غور الأمور» في الولاية بعد النبوة وفي قصة آدم وإبليس قبل النبوة.

---

(1) الأحاديث (15)، الآيات (7).

(2) الأعمال الكاملة ص161-209.

(3) الآيات (20)، الأشعار (5)، الأحاديث (3).

1 ـ «ختم الأولياء»[1]: وقد يتجسد الوعي بما وراء التاريخ في موضوع النبوة والولاية. النبوة بداية، والولاية نهاية. وكما أن هناك خاتم الأنبياء هناك أيضاً خاتم الأولياء. النبوة اغتراب في الماضي، والولاية اغتراب في المستقبل. وكلاهما نفي للحاضر.

يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[2]. كما يعتمد على أقوال بعض الصوفية مثل أويس القرني وأبي سعيد الخدري[3]. وسبب التأليف سؤال عن الولاية بعد أن خاض فيها الناس بين مثبت ومنكر، وبين معرفة الوالي أو جهله بها ولا يدركها إلا أهلها[4]. ولا يمكن الحديث عنها قياساً على غيرها أو توهماً. ليس معيارها الصدق وحده بل معرفة أنها من المنن من المنان ومعرفة المنان شرط لمعرفة المنن، ومعرفة المنن شرط لمعرفة الولاية[5]. يخلو الكتاب من الفصول والأبواب، ولكن يذكر خمس ومائة سؤالاً حول الموضوع بحيث يتشعب إلى كل موضوعات التصوف[6]. ويتبع أسلوب القول، «فإن قال قائل» ما دام الموضوع سؤالا وجواباً. ومع ذلك، يعتمد على القسمة والتصنيف كأحد طرق التعريف[7].

(1) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2005م-1426هـ.

(2) الآيات (120)، الأحاديث (45)،القدسية (1) «ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العاقبة»، ختم الأولياء ص135.

(3) السابق ص208/ 252.

(4) فإنك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية، وسألت عن شأن الأولياء ومنازلهم، وما يلزم من قبولهم، وهل يعرف الوالي نفسه؟ وذكرت أن ناساً يقولون أن الولاية مجهولة عند أهلها. ومن حسب نفسه ولياً هو بعيد عنها. فاعلم أن هؤلاء الذين يخوضون في هذا الأمر ليسوا من هذا الأمر في شيء. إنما هم قوم يعتبرون شأن الولاية من طريق العلم. ويتكلمون بالمقاييس وبالتوهم من تلقاء أنفسهم. وليسوا بأهل خصوص من ربهم. ولم يبلغوا منازل الولاية، ولا عرفوا صنع الله. إنما كلامهم في الصدق. ومعيارهم في الأمور الصدق. فإذا صاروا إلى المنن، وتقطع كلامهم، وعجزوا عن معرفة صنع الله بالعبد فلأنهم عجزوا عن معرفته. ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العافية، السابق ص 135.

(5) ختم الأولياء ص150-158.

(6) السابق ص144/ 147.

(7) السابق ص142/ 143.

وتطول مقدمة المحقق لأغراض التأليف الجامعي[1].

وتتنوع موضوعات الولاية بين التفرقة بين أولياء حق الله وأولياء الله والتمييز بين علم الأنبياء وعلم الأولياء، وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، وعقد النبوة وعقد الولاية، ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. كما تتناول علامات الأولياء في الظاهر وبشرى الولي والولاية والسعادة، والولاية والخطيئة، والولاة، والأسرار الإلهية، وخاصة الأولياء، والولاية والصديقية. ثم تأتي في النهاية التفرقة بين الولاية والجذب، بين الولي والمجذوب، والتمييز بين أهل الدين وأهل اليقين، بين الكتاب والروح.

2 ـ **«غور الأمور»**[2]: والعجيب أن يقترب الوعي التاريخي الأخلاقي في الوعي التاريخي بما قبل التاريخ الذي تمثله قصة آدم وإبليس قبل بداية تاريخ الإنسان على الأرض وتفسيرها الرمزي بأدبيات الحوار بين الله وإبليس. الله رمز الفضيلة، وإبليس رمز الرذيلة. الله النفس الخالصة، وإبليس النفس المفعمة بأهواء النفس. لذلك قد يدخل أيضاً في التأويل إلا أنه ليس تفسير كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري و«لطائف الإشارات» للقشيري وتفسير ابن عربي. يعتمد أساساً على القرآن ثم الحديث دون الشعر[3]. تؤول الآيات تأويلاً باطنياً لتحويل النص المدون إلى سلوك خلقي والمعني النظري إلى ممارسة عملية. قد تطول الأحاديث القصصية مما يدل على ضعفها. فالغاية من الحديث ليست إعطاء قصص رمزية في الخلق والعصيان والهبوط إلى الأرض في البداية أو في البعث والنشور وأمور المعاد في النهاية بل بيان بعض التفصيلات العملية وطرق الممارسة في العبادات. وهذا يدل على مدى الصلة بين التجربة الأدبية والتجربة الصوفية. فهما تجربة واحدة تعبر عن نفسها بأشكال أدبية، النثر الفني أو النظم أو القصة الرمزية. فالعلاقة مع إبليس أشبه بمدينة لها رئيسها وجنودها وحراسها وأعداؤها وخزائنها وأسلحتها. معركة في الخيال بعد أن صعبت في الواقع.

وسبب التأليف سؤال عن صفة القلب وأسمائه وأحواله وصفة النفس

---

(1) السابق ص7-133.

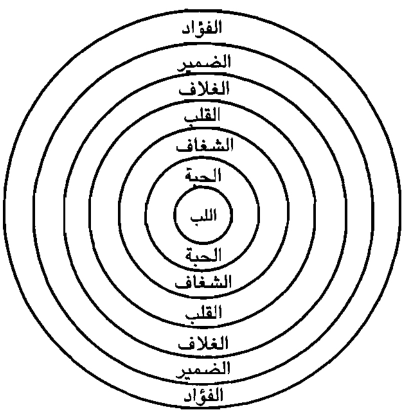
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ. الخلاف في تاريخ وفاته بين 319و320.

(3) الآيات (223)، الأحاديث (9)، القدسية (2).

وأحوالها، وإبليس وجنوده وسلطانه، وصفة المعرفة والعقل والأخلاق، وتحويل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، عهد الذر الأول وتفسير أسماء إبراهيم وإبليس وفرعون وشجرتي الزيتون وطوبى. وذلك كله في ثلاث وثلاثين مسألة دون أبواب أو فصول في صيغة السؤال والجواب. لا يفهمها إلا ذو اللب(1). والتشبيه بالمدينة. فهناك سبع مدائن للنور: الفؤاد، والضمير، والغلاف، والقلب، والشخاف، والحبة، واللباب. كل منها قلب للآخر في سبع دوائر(2). ولكل مدينة باب، ولكل باب مفتاح، وعلى كل باب ستر، وبين كل واحد حائط، ومن وراء كل حائط خندق. ويستمر التشبيه في وصف الأبواب والبوابين والستور والمفاتيح والصدر والحيطان وأساسها والخنادق. ويتم الانتقال من المثل إلى المثول، ومن الرمز إلى المعنى

(1) «فأما ما سألتني عنه من صفة القلب وأسمائه وصفة أحواله، وصفة النفس، وصفة إبليس وجنوده، وبيان سلطانه، وعللها وشأنها وأحوالها وبدئها، وصفة المعرفة، وما في حشوها، وصفة النور ولباسه، وصفة آدم المائة الخلق، وصفة جنود المعرفة، وصفة العقل ومعدنه ومجلس قضائه وأعوانه، وصفة مدائن المعرفة، وقراها وآثارها وعمّارها، وبيان صفة العسكر، وبيوت الدواوين، وخزائن الطاعات ومعادن الحكمة، وسجون النفس وخلق آدم وبيان اسمه، وترجمة لا إله إلا الله، وبيان تفسير قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وتفسير اسم إبراهيم خليل الرحمن، وتفسير اسم إبليس، واسم فرعون، وتفسير قوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وتفسير شجرة الزيتون، وتفسير شجرة طوبى، فهذه ثلاثة وثلاثون مسألة. لها غور بعيد. ولا يمكن استقصاؤها لبعد قعرها، وسنذكر منها ما يفهمه ذو اللب»، غور الأمور ص27.

(2) غور الأمور ص29-37.



في بيان الهمة والعهد وصفة النفس[1]. وقلب التشبيه هو احتجاج إبليس ومعاتبته وسؤاله عن الآلة للحرب على آدم وولده للعون والظفر عليه في حوار متخيل. ويؤول الرمز، صفة المعرفة ولباسها والحكمة من خلق آدم، وتفسير أسماء إبراهيم، وفرعون ولا إله إلا الله، كلمة التوحيد، وبعض رؤوس السور القرآنية وبعض آيات النور، وتفسير اللباس والحجب والعقل وتحويل الجنود إلى صفات للنفس والعقل. وتخلق بعض الشخصيات الرمزية كنوع أدبي[2]. ثم تذكر شروط سكنى الأرض، والصراع بين إبليس ويحيى، وصفات جنود إبليس وبدأ أمره وقصته ومصائده وتفسير هواه وحياته وأخلاقه وتحويل ذلك إلى صفات القلب والنفس وانتهاء بنعيم أهل الجنة. ومنزلة الشكر والصبر وصفة الصابر وهما من مقامات الصوفية.

ثانياً: الوعي التاريخي الخالص

يماثل الوعي التاريخي بكل لحظاته، الوعي التاريخي الخالص، الطبقات، والوعي التاريخي الموضوعي، تخلّق الموضوعات من ثنايا الطبقات وتحتها، والوعي الموضوعي وهو بنية الموضوع أولاً وأقوال الأعلام من خلالها. ثم يأتي بعد ذلك الوعي النظري وهو تحول الموضوع الجزئي الخلقي النفسي إلى موضوع كلي طبيعي كوني، ثم الوعي العملي وهو تحول الوعي النظري إلى وعي عملي، والنظر إلى عمل، والتأمل إلى طريق، والنظرية إلى طريقة، والعودة من السماء إلى الأرض، ومن الفناء إلى البقاء، ومن الله إلى العالم، ومن الكون إلى الإنسان. وقد وصف من قبل في نشأة علم العقائد من خلال علم الفرق في علم أصول الدين، ظهور الموضوعات من خلال الفرق، وظهور الفرق من خلال الموضوعات، ومن المسائل إلى الموضوعات، ومن الموضوعات إلى الأصول، ومن الأصول إلى البناء، ومن بناء العلم إلى عقائد الإيمان، بناء على وصف المصنفات الكلامية عبر التاريخ. كان يمكن أخذ نماذج فارقة من المصنفات الصوفية، مثل «الرسالة

(1) السابق ص37-123.

(2) مثل: ومزة بن الحرث أول من اتخذ البربط (عود الموسيقى)، لوقس بن لاقس أول من اتخذ المزامير، صهيب بن عازب أول من اتخذ المصبح، وأبو ليسم مبدع الطبل، وبعض أسماء أصحاب المنازل والحرف المثالية، السابق ص85-86.

القشيرية» و«الإحياء» و «الفتوحات»، وتحليلها وإعادة قراءتها فكل مصنف يضم المصنفات السابقة، ولكن المسح الموضوعي الشامل أكثر دقة وقدرة على معرفة منحنيات مسار الوعي التاريخي حتى يتحقق كوعي موضوعي[1].

ولا يوجد فصل تاريخي حاد بين مراحل مسار الوعي الصوفي في التاريخ. ففي بعض المؤلفات يظهر الوعي النظري والوعي العملي على السواء كما هو الحال في «عوارف المعارف» للسهروردي. كما يظهر الوعي العملي مع الوعي التاريخي والنظري في شطحات الصوفية وآدابهم في «اللمع» وفي علاقة الشيخ بالمريد في «الرسالة القشيرية».

كما لا يوجد فصل زماني بين مراحل تشكل الوعي. بل تتداخل المراحل فيما بينها في الزمان. قد يبدأ شكل من أشكال تطور الوعي التاريخي قبل زمانه. وقد يستمر بعد زمانه. فالمرحلة تعبر عن الذروة. يتشكل الوعي التاريخي ببطء. ويحتاج إلى وقت ليبدأ وينتهي.

يبدأ الوعي التاريخي يتخلق عند الصوفية المبدعين المؤرخين الذين تجمع أعمالهم بين الإبداع الصوفي والتأريخ للصوفية مثل الطوسي في «اللمع»، والقشيري في «الرسالة القشيرية»، والهجويري في «كشف المحجوب»، وقد يبدأ الوعي التاريخي أولاً بتاريخ صوفية القرنين الثاني والثالث للقشيري ثم بعد ذلك البنية من خلال المصطلحات كما هو الحال في «الرسالة القشيرية» وفي «اللمع» للطوسي، وقد يكون في الوسط كفرق وليس كأسماء أعلام، كما هو الحال في «كشف المحجوب» للهجويري. حدث ذلك منذ القرن الرابع الهجري بعد أن تراكمت أعمال الصوفية في القرنين الثاني والثالث. فالوعي التاريخي الصوفي تال للوعي الصوفي الموضوعي.

وينفصل الوعي التاريخي الخالص عن الوعي التاريخي الموضوعي في كتب الطبقات بداية من «طبقات الصوفية» للسلمي و «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، وبالرغم من أن الوعي التاريخي الخالص تال للوعي التاريخي الموضوعي إلا أنه يأتي أولاً كبداية لمسار الوعي الصوفي في التاريخ. وقد حدث

(1) من العقيدة إلى الثورة، حـ1، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص146-203.

ذلك في القران الرابع الهجري[1].

ولا يتم تحليل إلا الأعمال التي فيها يتخلق الوعي التاريخي الخالص أو الوعي التاريخي الموضوعي. وتحلل الأعمال الصوفية الخالصة في الوعي الموضوعي، والوعي النظري والوعي العملي. أما التصوف كعلم، تعريف التصوف ووصفه في نسق العلوم فإنه يتخلل المؤلفات كلها سواء كأقوال متفرقة أو أبواب أو فصول أو أقسام. أما الأعمال المتأخرة في الطبقات للشعراني وللمناوي فإنها تدخل في مسار الوعي الصوفي المتأخر، والعودة إلى التاريخ.

كان يمكن أيضاً تحليل كثير من كتب طبقات الصوفية خاصة وقد أمتد تاريخ الطبقات إلى مصر والمغرب، ولكن بعض النماذج تكفي لإبراز الوعي التاريخي. فليست الغاية التاريخ بل الوعي التاريخي وإلا تحول العمل إلى تاريخ صرف كما هو الحال في الدوريات. أصبح مجرد حصر ورصد تنوء به المكتبات العامة والخاصة بالمطبوع والمخطوط دون الضائع.

أ ـ كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني (412هـ)[2]: وهو أول كتاب في الطبقات في بداية الوعي التاريخي الصوفي طبقاً «للعدد أربعين» وهو من الأعداد المباركة المذكورة في القرآن والحديث[3]. ولا توجد مقاييس للاختيار ولا نظام. الترتيب أبجدي أو تاريخي أو موضوعي. منهم من بقي في الوعي التاريخي ومنهم من غاب[4].ويكشف عن مدى ارتباط علم النصوص بعلم الحديث في استعمال طرق المحدثين لجمع أقوال الصوفية كما جُمعت أحاديث الرسول. فالصوفية أتباعه مثل الصحابة. وتُذكر الأسانيد مع المتون. بل تذكر الآيات

---

(1) اكتفينا بتحليل: أ- الأربعين في شيوخ الصوفية «للماليني» (412 هـ) ب- طبقات الصوفية للسلمي (412 هـ)جـ- «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (430هـ)

(2) دار البشائر الإسلامية، بيروت 1997م-1417هـ.

(3) وهو حديث: «لا يزال في أمتي أربعون على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام إذا جاء الأمر قبضوا»، انظر أيضاً: الفصل الثاني: الوعي التاريخي الموضوعي.

(4) من تبقى في الوعي التاريخي مثل: معروف الكرخي، السري السقطي، الجنيد، أبو عثمان المكي، الخراز، التستري، فضيل بن عياض، ابن مسروق، المحاسبي، بشر بن الحارث، ذو النون، الدينوري، النصر أباذي. والباقي ظلوا في اللاوعي التاريخي أو على هامش الشعور.

والأحاديث داخل الأسانيد. فالحصاد روايات شفاهية. والصوفية أنفسهم رواة و «السماعات»، شهادات بالسماع والرواية[1]. وأحياناً يتدخل الخيال في صياغة الأحاديث بروايات عن الرسول في المنام وأحاديث الملائكة وجبريل والله. ويُوسع مفهوم الأحاديث القدسية التي أصبحت مناسبة للإبداع الفني[2]. ويغلب عليه التصوف الخلقي الممتد حتى الغزالي في القرن الخامس. ويعتمد على الحديث ثم الشعر أكثر من اعتماده على القرآن نظراً لارتباط التصوف بعلم الحديث، وبداية الشعر كشكل أدبي وتراث عربي قبل نزول النص[3]. وتظهر بعض الإسرائيليات في نقل أحاديث عن موسى في السماء.

ب ـ طبقات الصوفية للسلمي (412هـ)[4]: وإذا كان «اللمع» للطوسي يجمع بين تاريخ التصوف والتصوف، وكان «قوت القلوب» يجمع بين التصوف والتاريخ فإن «طبقات الصوفية» للسلمي (412هـ) تاريخ خالص. فهو أول كتاب في تاريخ التصوف على طريقة الطبقات، تلاه بعد ذلك «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني و «عوارف المعارف» للسهروردي حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني و«الطبقات الكبرى» للمناوي. فماذا تعني الطبقة؟ هل هي المرتبة في الفضل أم هل هو الجيل؟ وتضم الطبقة أعلام الصوفية موزعة على خمس طبقات، ولا يمكن أن تعني أجيالاً إذا كان الجيل أربعين عاماً وعاش السلمي في القرن الرابع فيكون وراءه خمسة أجيال إذا كان الصوفية قد بدءوا منذ القرن الثاني عند رابعة والحسن. ومع ذلك الطبقة هو الجيل في زمن متقارب.

ولا تعني الطبقة التسلسل الزماني لأن ذكر أعلام الصوفية خلال الطبقات لم يخضع لترتيب زماني. وقد يكون الترتيب طبقاً للأهمية. وهي أهمية نسبية. فما كان مهما في عصره فإنه لم يعد مهماً في العصور التالية. إذ يذكر السلمي مائة وثلاثة ليسوا كلهم على مستوي الأهمية، ربما لم يبق منهم في العصور التالية إلا الربع. ولا يوجد فاصل بين الطبقات إذ تتداخل بينهما في الزمان. قد تكون

(1) كتاب الأربعين، ص229-244.

(2) السابق ص163.

(3) الحديث (16)، الشعر (7)، القرآن (5)، موسى (1).

(4) «مكتبة الخانجي: القاهرة، الهلال: بيروت، المكتب العربي: الكويت ط2.».

الطبقات مجرد محاولة للتصنيف. والواضح أن الطبقتين الأولى والثانية من أعلام القرن الثالث في حين أن الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة من أعلام القرن الرابع. وتتساوى أعداد الصوفية في كل طبقة، عشرون في كل منها باستثناء الخامسة، ثلاثة وعشرون.

وقد ينبع مفهوم الطبقة من تصور قرآني ونبوي للتاريخ المنهار ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، «خير القرون قرني ثم الذي يلونهم الذي يلونهم»، «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضوض».

ويمكن ذكر أسماء الأعلام دون تصنيفهم في طبقات كما فعل السلمي في «كتاب الزهد». وإعادة تصنيفهم طبقا للطبقات يدل على وعي تاريخي أعمق بمساره[1].

وقد لا يكون سبب التأليف واضحاً وضوحاً مباشراً إلا من أن الصوفية هم أتباع الأنبياء[2]. وكما لم يخل كل زمن من نبي، كذلك لا يخلو كل عصر من ولي. فالأولياء أتباع الأنبياء كما صرح الرسول «العلماء ورثة الأنبياء». والولاية علم لدني، كالعلم الإنساني. والصوفية مرحلة بعد الزهاد. ولكل منهم طبقاته.

---

(1) «وقد ذكرت في «كتاب الزهد» من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قرناً فقرناً، وطبقة فطبقة إلى أن بلغتْ النوبة إلى أرباب الأحوال المتكلمين على لسان التفريد وحقائق التوحيد، واستعمال طرق التجريد. فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتابا أسميه «طبقات الصوفية». أجعله على خمس طبقات من أئمة القوم ومشايخهم وعلمائهم. فاذكر في كل طبقة عشرين شيخاً من أئمتهم الذين كانوا في زمان واحد أو قريب بعضهم من بعض. وأذكر لكل واحد من كلامه وشمائله وسيرته ما يدل على طريقته وحاله وعلمه بقدر وسعي وطاقتي»، السابق ص3.

(2) «وأتبع الأنبياء عليهم السلام بالأولياء، ويخلفونهم في سنتهم،ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم. فلم يخل وقت من الأوقات من داعٍ إليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان، وجلهم طبقات في كل زمان. فالولي يخلف الولي بإتباع آثاره، والاقتداء بسلوكه. فيتأدب بهم المريدون، ويأتسى بهم الموحدون. . . إن آخر أمته يخلو من أولياء وبدلاء يبينون للأمة ظواهر شرائعه، وبواطن حقائقه، ويحملونهم على آدابها ومواجبها، إما بقول أو بفعل. فهم في الأمم خلفاء الأنبياء والرسل، وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون، وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجملية، والمتبعون لسنن الرسل إلى أن تقوم الساعة»، طبقات الصوفية ص1-2.

وتكتب سيرة العَلَم بعدة عناصر أهمها: الأقوال المأثورة التي تدل على التصوف عند العَلَم، وتاريخ الميلاد ومكانه والوفاة لكل صوفي من أجل معرفة زمانه في التاريخ، ونسبه، وشيوخه الذين تعلم منهم، وتلاميذه الذين أنجبهم. وتخلو السيرة من إبداء الرأي الخاص وكأنها مجرد مذكرة طلابية، ويبدو أثر علم الحديث في ذكر سند الرواية التي هي المصدر الرئيسي لسيرة العلم الذاتية. فكل قول من أقوال الصوفية له سنده الشفاهي أو المدون، وقد تطغى الرواية على الأقوال المباشرة بحيث تكون حياة الصوفية بذاتها شاهداً وقولاً[1]. وتطعم الصورة بآية قرآنية أو حديث نبوي مطابق لمفتاح الشخصية. وقد يصاغ القول بطريقة فنية باستعمال فنون البلاغة، البيان والبديع، والجناس والطباق والسجع والإيقاع حتى يؤثر في النفس ويصبح قولاً مأثوراً[2]. فالنثر الفني مقدمة للشعر. وقد تنسب أقوال إلى شخصين وهو ما يستحيل عملياً. فمن صاحب القول؟[3]. فالعبرة بالقول وليس بالقائل. والأقوال نمطية، أقوال مأثورة تنسب إلى أكثر من صوفي[4]. معظمها بالعربية وأقلها ترجمة عن الفارسية[5].

وتتفاوت أسماء الأعلام من حيث الكم. أكبرهم ذو النون المصري، وإبراهيم بن أدهم، وأبو بكر الشبلي[6]. ثم يتناقص الكم تدريجياً من الفضيل بن

(1) وذلك مثل إبراهيم بن أدهم، «طبقات الصوفية» ص27-39، منصور بن عمار: ص130-136.

(2) «مثل قول أحمد بن عاصم الأنطاكي: «الاستبانة للحجة، والأنس بالأحبة. والثقة بالقدرة، والمعاينة للغاية»، طبقات الصوفية ص137، وقول أبي الحسن النوري: «من وصل إلى وده أنِس بقربه. ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه بين العباد»، السابق ص166.

(3) مثل أقوال محمد وأحمد ابني أبي الورد، طبقات ص249-253.

(4) مثل نسبة تفسير ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بأن العمل الصالح هو الذي يلقى به الإنسان الله، وكذلك قول «من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجاري المقدر عليه فإنه ليس على بساط القربة تسخُط» إلى مظفر القرميسيني وإلى أبي الحسين بن هند الفارسي، طبقات الصوفية: ص497-400.

(5) مثل ترجمة: أبو نصر الطوسي لكلام أبي عبد الله التُروغْبَندي بالفارسية، طبقات الصوفية: ص494.

(6) ذو النون المصري، إبراهيم بن أدهم، أبو بكر الشبلي (12). الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أبو القاسم الجنيد (9)، السري السقطي، أبو يزيد البسطامي، أبو سليمان الداراني، معروف الكرخي، يحيى بن معاذ الرازي، أبو حفص النيسابوري، أبو العباس =

عياض إلى بشر الحافي إلى الجنيد، ثم إلى السري السقطي والبسطامي والداراني والكرخي ويحيى بن معاذ وغيرهم. ويكشف رصد مرات التكرار عن مدى أهمية الصوفي في عصره، درجته وطبقته في التدوين. فأبو سعيد الخراز مثلاً أقل ذكراً من السابقين. ويكشف هذا التفاوت في الأهمية مدى حضور الصوفي في التاريخ وفي وعي المؤرخين.

ولا يوجد اسم واحد وافد من اليونان أو الرومان أو فارس أو الهند، صحيح أن الكثير منهم نشأ في فارس، ولكنهم تحولوا إلى الإسلام. ونشأوا فيه ثقافياً حتى وإن كانت خلفيتهم السابقة ديانات فارس الزرادشتية أو المجوسية أو المانوية. وصحيح أنه يذكر اسم الحكماء، ولكنهم ليسوا حكماء اليونان بالضرورة[1]. فالتصوف نشأة محلية صرفة، موروث وليس وافداً مثل علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، ومجموع العلوم النقلية الخمسة، القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. وتذكر عديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لسان الصوفي، وليس على لسان المؤرخ. ولأول مرة يفوق الشعر القرآن والحديث[2].

والآن السؤال هو: هل التصوف أعلام أم رؤية؟. وإذا كان التصوف أعلاماً فهل الأعلام شخصيات منفصلة عن بعضها البعض أم تمثل في مجموعها مساراً تاريخياً يكشف عن تاريخ التصوف كما تكشف أقوالهم عن فلسفة دينية؟ عيب الأعلام أنها تخلو من رؤية مسار، مجرد كشاف أعلام كالقواميس والمعاجم والفهارس القديمة

= ابن عطاء الآدمي (8)، حاتم الأصم، حمدون القصار، منصور بن عمار، يوسف بن الحسين الرازي، أبو بكر الدقاق، أبو علي المروذباري (7)،شقيق البلخي، أبو تراب النخشبي، أبو الحسين النوري، أبو عثمان النيسابوري، عمرو بن عثمان المكي، سهيل التستري، أبو محمد الجريري (6)، الحارث المحاسبي، أحمد بن أبي الحواري، عبد الله الأنطاكي، رويم بن أحمد البغدادي، سمنون بن حمزة المحب، محمد بن الفضل البلخي، أبو سعيد الخراز، أبو العباس بن مسروق الطوسي، محمد وأحمد ابنا أبي الورد، أبو بكر الواسطي، أبو بكر المرتعش، أبو بكر الكتاني، أبو يعقوب النهرجوري، أبو عبد الله محمد بن خفيف، أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، أبو القاسم إبراهيم ابن محمد النصراباذي، أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري (5). وثلاثون علماً، منهم الحلاج (4)، وتسعة عشر علماً (3)، وسبعة أعلام (2).

(1) طبقات الصوفية، ص373.

(2) الآيات (77)، الأحاديث (63)، الأشعار (91).

في مصر، التدوين القديم أو الحديث. تغلب عليه السطحية والسذاجة والموضوعية القاتلة، ويمل قارؤوها من الرتابة والتكرار والتفكك والانقطاع.

حـ ـ «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني في (430هـ)[1]: ومن أضخم مدونات الوعي التاريخي إن لم يكن أضخمها على الإطلاق «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ) إذ يضم ستمائة وثمان وتسعين علماً، معظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع[2]. ويصعب تحديد معنى «الطبقة» ومقياس تصنيف الطبقات. فهو ليس الترتيب الأبجدي الذي لم يعرفه القدماء إلا في قواميس اللغة. وهو ليس الترتيب الزماني نظراً لتداخل أزمنة الوفاة لعديد من الأعلام. ولا يُذكر تواريخ ميلادهم ولا وفاتهم في الغالب على عكس «طبقات السلَمي» إلا نادراً[3]. وهو ليس ترتيب الأهمية. فمن أهم الصوفية مثل ذي النون والجنيد والبسطامي والحلاج لا يظهرون في البداية. وهو ليس ترتيباً في الفضل. فالكل متساو فيه. ولم توضع الأعلام في طبقات كما يوحي بذلك العنوان[4]. بل توالت الأعلام واحداً وراء الآخر بترقيم حسابي صوري، ومن الغريب أن يذكر حوالي سبعمائة علم دون ترتيب زماني أو موضوعي، مجرد سرد بعد الجمع بين الأعلام والموضوعات في التدوين السابق في «اللمع» و«قوت القلوب».

ومعظمهم مجهولون وإن كانوا معروفين في عصرهم باستثناء القلة. لم يسمع عنهم أو لم يبق منهم أحد في الوعي التاريخي. لم يتركوا أعمالاً مؤسسة أو سيراً تبقي في الذاكرة كالرسول. يتصدرهم جميعا سفيان الثوري مما يدل على أهميته وحضوره في الوعي التاريخي، ثم عمر بن عبد العزيز مما يدل على أن الصوفي

(1) دار الفكر، بيروت (د.ت) (11جزءاً).

(2) سفيان الثوري (188)، عمر بن عبد العزيز (100)، الشافعي (98)، إبراهيم بن أدهم (83) أحمد بن حنبل (73)، كعب الأحبار (71)، ذو النون (68)، شعبة بن الحجاج (65)، سعد بن كرام، عبد الرحمن بن مهدي (61)، وهب بن منبه (85)، سفيان بن عيينة (48)، مالك بن أنس (40)، سعيد بن جبير (38)، المحاسبي (37)، الجنيد (33)، مالك بن دينار، داود الطائي (32)، الحسن البصري (30)، سلمة بن دينار (29)، علي، سليمان الداراني (26)، سلمان الفارسي، بشر بن الحارث (24)، وهيب بن الورد (23).

(3) حلية الأولياء حـ8/ 340.

(4) «تقدم ذكرنا له ولأحواله في الطبقة الأولى» السابق حـ1/ 354.

هو الصافي العادل التقي الورع حاكماً أو محكوماً، ثم الشافعي مما يبين أنه لم يكن هناك فرق بين الصوفي والفقيه، بين التأويل والتنزيل، ثم إبراهيم بن أدهم مما يبين أهمية حياة الصوفي وشخصه وما يروى عنه وليس فقط «مؤلفاته وأقواله»، ثم أحمد بن حنبل الذي يضرب به المثل فيما بعد للتيار السلفي حتى ابن تيمية كتيار معاد للتصوف والصوفية كما كتب ابن تيمية فيما بعد «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ثم كعب الأحبار فقد كان بعض الصوفية من أصول نصرانية مثل وهب بن منبه أمدوا علوم التصوف بقصص الأنبياء كما فعل بولس مع المسيحية وما سمي فيما بعد «الإسرائيليات»، ثم ذو النون صاحب الروايات الشفاهية وأول من تحدث في الحقيقة المحمدية بالإضافة إلى المحبة. ثم يأتي باقي الصوفية في حضور أقل في الوعي التاريخي مثل سفيان بن عيينة، والمحاسبي، والجنيد، ومالك بن دينار، والحسن البصري، وداود الطائي، وسليمان الداراني، وبشر بن الحارث، ويحيى بن معاذ، وحاتم الأصم، وعطاء بن رباح. ومن الصحابة عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وأبو ذر الغفاري. ومن الأئمة جعفر الصادق، وزين العابدين، ومحمد الباقر، ومحمد بن الحنفية، ومن الخفاء الراشدين أبو بكر، والسري السقطي... إلخ[1]. والكثير منهم صغير الحجم لا يتجاوز صفحة واحدة. وقد كثرت الأعلام كما صغرت حجماً في الجزء العاشر والأخير وليس منهم أحد ذا شهرة استمرت عبر التاريخ[2].

ومعظمهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والفقهاء والمحدثين دون أن يظهر لفظ «صوفي»، لا في العنوان ولا في وصف العلم. فالصوفي هنا تابع للصحابة والتابعين. ومحدث من المحدثين، مما يدل على أن التصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج، وأنه استمرار لحياة الرسول ولدور النبوة في التاريخ. والصوفية هم أتباع الصحابة. وأحاديث الرسول هي قلب العلم. و«حلية الأولياء» استئناف لعلم الحديث حول الصحابة والتابعين والفقهاء، ومنهم الأولياء والأصفياء أي الصوفية الأوائل. بل لا يستعمل لفظ صوفي «أو صوفية» إلا بمعني «صافي» أو «أصفياء» أو «ولي» و«أولياء».

(1) السابق حـ3/ 174-206.

(2) الجزء العاشر وحده يتضمن 232 عَلَماً.

وقد جمع معهم أهل الصفة في قسم خاص، تسعة وثلاثون منهم، في حزمة واحدة[1]. أهمهم كيفاً وأكبرهم حجماً، هو عبد الله بن مسعود[2]. ويذكرون كرواة عن الرسول، دون أن تكون لهم آراء وأقوال خاصة بهم. ومعظمها روايات لأفعال وحكايات عنهم. كما جمع «الأصفياء من النساء» ذكر النساء الصحابيات تسعة وعشرون صحابية، وفي مقدمتهم فاطمة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وصفية، وأسماء بنت أبي بكر[3]. ولا يوجد موضوع خاص لأي منهن تتفرد به أو علامة رئيسية لشخصيتها. ويخصص الحديث عن طبقة التابعين وحديث «خير القرون قرني»، وأول الطبقة الأولى أويس القرني[4]، والصوفية خلفاء التابعين وتابعي التابعين. لهم أحاديثهم ورواياتهم مثل النبي. يقوم التابعي بدور الصحابي في النصح والإرشاد. فالسلوك القويم مازال هو هدف الطبقات المتتالية من الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى الأولياء والأصفياء، هم نواة الصوفية[5]. ويتصدر الفقهاء كالشافعي وأحمد باقي الأعلام، فالشافعي وأحمد وحدهما يذكر لهما النسب والولادة، والمكان وتاريخ الوفاة والآثار والمآثر مثل الدفاع عن الحديث والقرآن والقرابة من الرسول القُرشي في النسب، والمفاضلة بينها وبين باقة الفقهاء، والجدل ضد الفرق الضالة من المتكلمين والفلاسفة مع أن الشافعي ليس له في التصوف شيء. وأحمد بن حنبل مؤسس المدرسة السلفية معاد للتصوف.

وهناك نعوت ظاهرة وأخرى باطنة يوصف بها الأولياء، وينقاد لها العقلاء والصالحون، ويغبطهم عليها الشهداء والنبيون. فهم الموروثون لكامل الذكر،

(1) حلية الأولياء حـ1، ص347-396.

(2) السابق ص376-385، حـ2/ 26-33.

(3) السابق حـ2/ 39-77.

(4) السابق ص79.

(5) «جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك، ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق. وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمثبطين، والمتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال»، حلية الأولياء حـ1/ 4.

المقيدون كلاً منهم بشامل البر، وهم المسلمون من الفتن والموقنون في المحن. وهم المضطرون في الأطعمة واللباس، المبررة أقسامهم عند النازلة والناس. تنفلق بيقينهم الصخور، وبيمينهم تتفتق البحور. وهم سياق الأمم والقرون. وبإخلاصهم يمطرون وينصرون. رفضوا باطن العاجلة وظاهر بهجتها وزينتها. وهم المصونون عن حقارة الدنيا والاغترار بها، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار. وهم مشغوفون به وبوده، والمكلفون بخطابه وعهده. هم مصابيح الدجى، وينابيع الرعد والحجى. خصوا بخفي الاختصاص، ونقوا من التصنع. هم الواصلون بالحبل، والباذلون للفضل، والحاكمون بالعدل. هم المنبسطون جهراً، المنقبضون سراً. يبسطهم روح الارتياح والاشتياق. ويقلقهم خوف القطيعة والفراق. هم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف، والموفقون للطاعات من غير تطفيف[1].

يقوم تدوين التاريخ على نظرة مثالية له. فكل شيء فيه يسير وفقاً لسلوك مثالي من الرسول إلى الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى أهل الصوفية إلى الأولياء والأصفياء وهم الصوفية. مع أن الرسول كان يجتهد في الرأي، يخطئ ويصيب. وكان الصحابة يختلفون فيما بينهم. ووقعت الفتنة الكبرى بينهم. وتصارعوا على الحكم والسلطة. وسالت بينهم الدماء. أخذ الصوفية المؤرخون إذن جانباً واحداً من التاريخ، التاريخ المثالي، وتركوا التاريخ الواقعي. أخذوا التاريخ الإلهي، وتركوا التاريخ الإنساني. ردوا الكل إلى أحد أجزائه. مما قد يسمح لمؤرخ معاصر آخر يرد نفس الكل إلى أجزاء أخرى. ويكتب السيرة الأخرى للصحابة والتابعين وتابعي التابعين[2]. التصوف إذن هو قراءة للتاريخ من منظور الصفوة المخلصة. والصوفي هو الإنسان الكامل قبل أن يعيه ابن عربي والجيلي نظرياً. لذلك غابت النظرة النقدية للتاريخ. وتحول التاريخ كله إلى تحقيق مثالي يغلب عليه المدح والثناء لكل ما فيه من شخصيات وأحداث. التصوف هو السلوك الفاضل للصحابة والتابعين، للخلفاء الراشدين والحكام العادلين مثل عمر ابن عبد العزيز. ليس في حاجة إلى الاستشهاد بأحاديث الرسول. تكفي الآيات التي هو تجسيد لها.

---

(1) السابق جـ1/ 5-17.

(2) ويمثل هذه المدرسة خليل عبد الكريم وسيد القمني.

ونظراً لضخامة «حلية الأولياء» وكثرة أعلامه وآياته وأسانيده ورواياته، فإنه يحتاج إلى فهارس ضخمة[1]. واستبعاد الآيات والحضور الطاغي للأحاديث يدل على خروج الصوفية المؤرخين من علم الحديث. والعجيب شرحه وكأنه متن عويص الفهم في حاجة إلى بيان. فهو ليس نصاً عويصاً. لا صعوبة فيه. قد يزيد معلومات على معلومات، وأحاديث على أحاديث، وأقوال على أقوال دون أن يغير العلم من الحديث إلى التصوف أو يضع فارقاً بينهما. ولا يمكن زيادة التحليلات العقلية لغيابها أصلاً. وإذا كان الشرح اختصاراً فإنه يبقي الصوفية ويستبعد الفضلاء من المحدثين والفقهاء والمفسرين.

ويذكر أسماء الأعلام بأشخاصهم دون موضوعات على عكس الوعي النظري عندما تختفي الأعلام وراء الموضوعات بداية بكتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ت 380هـ) و «منازل السائرين» للأنصاري الهروي (ت481هـ) حتى «إحياء علوم الدين» للغزالي (ت505هـ) واستئنافاً في «الفتح الرباني» و«الغنية» لعبد الكريم الجيلي (ت561هـ)، و«حالة أهل الحقيقة مع الله» و«البرهان المؤيد» لأحمد الرفاعي(578هـ) و«شمس القلوب» للجائي (ت599هـ)، و«عوارف المعارف» لأبي حفص السهروردي (ت632هـ)، و«الفتوحات المكية» لابن عربي (ت638هـ)، و«منازل السائرين ومقامات الطائرين» لأبي بكر بن شاهاور الرازي (ت654هـ)، و«القصد إلى الله تعالى» لأبي الحسن الشاذلي (ت656هـ) و«حدائق الحدائق» لمحمد شمس الدين الرازي (ت660هـ). وكلها في التصوف الأخلاقي النفسي قبل أن يتحول التأليف إلى التصوف الفلسفي عند السهروردي (شهاب الدين)، وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين وابن عطاء الله السكندري والكاشاني، ثم الطريق عند الشاذلي والشعراني. بل إنه لا يوجد موضوع مميز أو سمة غالبة على كل عَلَم. يتساوي الجميع في جمع المادة التاريخية حوله وأحياناً بتفصيلات عن نسبه ومولده ووفاته ونشأته.

وتتضمن بعض الأعلام ذكر بعض أقوالهم كمؤشر على ظهور الموضوعات مثل عمر بن الخطاب وما أُثر عنه في الزهد والورع، وعلى بن أبي طالب ونماذج

(1) حلية الأولياء جـ11. وهو مخصص للأحاديث النبوية والآثار والأعلام والبقاع والأشعار دون الآيات. الأحاديث حوالي (3550 حديثا)، الأعلام (2954)، الأشعار (129)، البقاع (71).

من «وثيق عباراته ودقيق إشاراته» ووصيته لكحيل بن زياد، وزهده وتعبده ووصفه في مجلس معاوية رواية عن آخرين، وعبد الله بن مسعود ووصاياه، وأبو ذر الغفاري ومواعظه[1]. كما ظهرت أيضاً رسائل مدونة للحسن البصري كعَلَم مثل كتابه إلى عمر بن عبد العزيز وابن سيرين، وغرائب أخباره في تعبير الرؤيا، وزيد ابن عبد الله فيما أسند إليه وكأن الإسناد موضوع[2]. وفي مجاهد بن جبر تذكر أخبار مروية عنه في التفسير. وفي عكرمة مولى بن عباس تذكر أخبار عنه في التفسير أيضاً[3]. وآثاره في التفسير هو الموضوع الغالب عند سعيد بن جبير[4]. وقد يكون الموضوع رسالة كتبها الشخص مثل رسالة عمر بن عبد العزيز إلى المأمون[5]. وتتخلق بعض الموضوعات داخل الأعلام مثل الزهد[6].

والمنهج المتبع في كتابة أهم الأعلام هو رسم شخصية العلم بعبارة مملوءة بالمحسنات البديعية مثل السجع مع الاسم ثم وضع تعريف للتصوف يتفق مع هذا الاسم لشخصية العلم لإثبات أنه من الصوفية ينطبق عليه تعريف الصوفي. ولا يحال تعريف التصوف إلى صاحبه. ويكتفي بلفظ «قيل». والاسم والرسم أقرب إلى الأخلاق الصوفية.

قد يوجد رسم بلا اسم ولكن لا يوجد اسم بلا رسم[7]. ويلاحظ أن الرسم والاسم لا يتجاوزان السبعة. ويقلان من البداية إلى النهاية من تسعة وعشرين في الجزء الأول إلى لا شيء في الجزء العاشر. وعادة ما يكون الرسم ثم الاسم في البداية. ونادراً ما يكون في الوسط إذا كان العلم طويلاً مثل ابن مسعود. ويستحيل أن يكون في النهاية[8]. وكلما كبر العَلَم حجمَاً ظهر الرسم والاسم. وكلما قلَّ اختفيا.

(1) السابق حـ1/ 50-55 / 75-79-87/ 133-139/ 165-170.
(2) السابق حـ2 / 134/ 276 / 213.
(3) السابق حـ3/ 280-310 / 329-347.
(4) السابق حـ4/ 283-309.
(5) السابق حـ5/ 346-353.
(6) السابق حـ3 / 7.
(7) السابق حـ1/ 29: 85، حـ2/ 31: 125، حـ3/ 18: 48، حـ4/ 9: 35، حـ5/ 9: 41، حـ6/ 3: 62، حـ7/ 1: 7، حـ8/ 1: 48، حـ9/ 1: 15، حـ10/ 0: 232.
(8) السابق حـ1/ 131 - 102: 698

والسؤال هنا: هل هذا التطابق بين الرسم والاسم، بين الوصف والتعريف صحيح أم مفتعل، طبيعي أم مصطنع، حقيقي أم مركب؟ والسجع قادر على هذا التركيب، اصطناعاً باصطناع. الغاية منه اتفاق السجع على تطابق الرسم مع الاسم. وإن لم يكن مصطنعاً فهل تم هذا التطابق بين الرسم والاسم «استنباطاً أم استقراء»؟ هل تم وصف العلم ورسمه أولاً ثم البحث له عن تعريف للتصوف مطابق له وهو طريق الاستقراء، الصعود من الجزء إلى الكل أو من الواقع إلى المثال أو من الشخص إلى المبدأ؟ وهو أقرب إلى الترتيب في التدوين في وضع الرسم قبل الاسم. أم قد وضع تعريف التصوف أولاً، ثم تم البحث عن رسم علم مطابق له وهو طريق الاستنباط، والانتقال من المبدأ إلى الشخص، ومن المثال إلى الواقع، ومن التعريف إلى المعرّف؟

ونظراً لأن تعريف التصوف لازمة أولى تطابق رسم العلَم كانت ضعيفة أو محددة لم تستطع استيفاء العلمَ كله فتم الوقوع في الحكايات والمقارنات بالتعريفات المشابهة. وربما وجود ما يقرب من السبعة تجمع بين الرسم والاسم قد يدل ذلك على أن للاصطناع حدوداً، وأنه لا يمكن إيجاد سبعمائة تعريف للتصوف ليغطي سبعمائة شخصية. ولو وجد لاستحال التوفيق الدائم بين هذا الرسم وهذا التعريف أو الاسم. ولا يوجد في الجزء العاشر والأخير الذي يتضمن مائتين واثنين وثلاثين علماً أي مقارنة بين الرسم والاسم، فهل انتهت تعريفات التصوف؟ هل لعبة التوفيق بينهما عن طريق السجع قد انتهت؟ هل تعب أبو نعيم أو سئم من هذه اللعبة المصطنعة؟

ويمكن إجراء دراسة نقدية للإجابة على عدة تساؤلات:

أ ـ هل الرسم مطابق للعَلَم أم من صنع الخيال؟

ب ـ هل اختيار تعريف التصوف فعلى أم المقصود منه إعطاء غطاء نظري للعَلَم لأنه محدّث أو راو أو صحابي أو تابعي وليس صوفياً بالضرورة؟

جـ ـ هل يمكن تجميع تعريفات التصوف التي استعملت كي تطابق رسم الشخصيات لتصبح تعريفات للتصوف أم أنها مجرد عبارات إنشائية فضفاضة؟

د ـ هل يمكن إعطاء غطاء نظري لحوالي سبعمائة علم من سبعمائة تعريف

للتصوف؟ ونظراً لاستحالة ذلك غابت معظم رسوم الأعلام من تعريفات مطابقة للتصوف.

ويبدو أن تدوين التصوف كان متأثراً بتدوين علم الحديث. فالصوفي محدّث ضمن سلسلة الرواة ما دام ينتسب إلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.فكما جمعت آثار الرسول تجمع أيضاً آثار الصوفية بنفس طريقة علم الحديث، الرواية. ويظهر الرسول كما يظهر الصوفي في القرون الأولى. وكلما بعد الزمان قل ظهور الرسول وأحاديثه، وزاد ظهور الصوفي وأقواله. والصوفي نفسه موضوع الرواية في أقواله وأفعاله يرويها عنه الآخرون. وتغلب الأفعال على الأقوال أو الحكايات على الأفعال لأنها أكثر قدرة على التعبير عن الخيال الشعبي والإبداع الأدبي، ويُروى الحديث الواحد بأكثر من سند كما هو الحال في علم الحديث، كما يُروى بأكثر من صياغة للمتن سواء في أحاديث الرسول أو في أقوال الصوفية. وتغلب الأسانيد على المتون. فصحة المتن مازالت مشروطة بصحة السند[1]. وكثيراً ما يُحكم على حجة السند بأنه غريب[2]. وبالرغم من أنه غريب أو ضعيف يتم استعماله لأنه يوافق هوى المحدّث ويؤيد مطالبه. فالهدف يتحدد أولاً ثم توجد البراهين على شرعيته من الأحاديث. الكثير من الأحاديث موجهة بآراء الفرق أي التيارات السياسية مثل أحاديث ذم الخصوم من المعتزلة والخوارج والشيعة.

ويستعمل التابعي القرآن والحديث للاستشهاد بهما وليس لرسم شخصية العَلَم كما هو الحال عند الصحابة. فكلما تقدم الزمان وقدم العهد الأول قلّ الرسم وظهر الاسم أي قلّ الوصف وزاد اسم المتصوف، وظهر كعلم مستقل عن علم الحديث.

كتب «الطبقات» إذن لها علاقة بكتب الحديث، هي جماع كتب القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه. خرج التصوف إذن من العلوم النقلية قبل أن يصبح علماً عقلياً نقلياً طبقاً لتصنيف العلوم عند القدماء. ويبدو «حلية الأولياء»

(1) من نقد السند إلى نقد المتن، البخاري نموذجاً، الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة، ديسمبر 1996، ص131-243، وأيضاً حصار الزمن حـ3 العلوم (الماضي والمستقبل) ص53-165.

(2) حلية الأولياء حـ1 / 277، حـ2/ 101.

وكأنه إتمام للإصحاحات الخمسة مع تقطيعها وتوزيعها على حوالي سبعمائة فاضل من الصحابة والتابعين ومعهم الصوفية الأوائل. نشأ التصوف على نموذج علم الحديث. وتدوين الأحاديث الصوفية مثل تدوين الأحاديث النبوية. والصوفي أحد الرواة. يروي عن الرسول كما يروي الآخرون عنه. صوفية القرن الأول والثاني مثل الصحابة والتابعين من حيث قرب العهد بزمان النبوة. الصوفية الأوائل محدّثون. والتصوف في بدايته جزء من علم الحديث، والسؤال هو: هل هذه الروايات عن الصوفية صحيحة وموجودة في الإصحاحات الخمسة؟

وبعض الأعلام كلها أحاديث ولا شأن لها بالتصوف حتى المعروفون به مثل سفيان الثوري[1]. ومن ثم، يمكن القول بلا تردد بأن «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» كتاب في الحديث أساساً مثل باقي كتب الأحاديث، الإصحاحات الخمسة والمدونات والأسانيد. ويقوم الصوفي بدور النبي في الرواية عنه والنقل منه بأسانيد. وإذا تغيرت الأسانيد يتكرر المتن دون رعاية لفن التأليف والاختصار وتفادي التكرار. فالصوفي يقتفي أثر النبي في الحديث ورواية الناس عنهما[2].

وفي الأحاديث تظهر روايات الأفعال أكثر من روايات الأقوال مما يسمح بتدخل الخيال في الوصف لإبراز الكرامات. وكثير من الأحاديث القدسية روايات بين الله وأنبيائه بما في ذلك خاتم الأنبياء حتى تفسح المجال للخيال الشعبي والتشبيهات والمبالغات لمزيد من التأثير. لذلك دخلتها «الإسرائيليات». وبدأ الاغتراب بالخروج من الواقع، والتحول من التصوف الأخلاقي إلى التصوف النظري كما تحولت المسيحية الأخلاقية في الأناجيل المتقابلة إلى المسيحية العقائدية عند يوحنا وبولص.

والتوسع في تفصيلات الأحاديث تذهب كليات القرآن وتضيع الأصول في الفروع. وتتشظى الرؤية الكلية في جزئيات مفككة، لذلك تغيب الموضوعات لكثرة الروايات، وتتوه في تعدد الأسانيد لدرجة أن اسم العلم هو مجرد تجميع لمجموعة من الأحاديث حوله راوياً ومحدثاً. وتتوالى الأحاديث تباعاً لدرجة أنه

---

(1) السابق حـ6/ 387-393، حـ7/ 3-143.

(2) السابق حـ9/ 54.

من الصعب التعرف على موضوعها ومناسبتها. كما أنه من الصعب إيجاد علاقة بين اسم العلم والأحاديث التي تذكر بمناسبته. ومن هنا تبدو أهمية الوعي الموضوعي والانقلاب في الوعي التاريخي من الشخصي إلى القضية، ومن العَلَم إلى الموضوع كما فعل الغزالي في «الإحياء». ونموذج ذلك ما ورد في عبد الرحمن السلمي صاحب «الطبقات». فلا ذكر لمؤلفه ولا لتصوفه بل يكتفي بمجرد ذكر حكايات عنه[1].

ومعظم الأحاديث تركيبات خيالية يدخل فيها كمحاورين الله وجبريل والأنبياء السابقين والملائكة وإبليس والخضر. وكما تستبعد أحاديث الرسول في المنام وحواراته مع الله أو الأنبياء والطبيعة، كذلك تستبعد أقواله قبل البعثة وإن كانت تدل على الطبيعة وهي قرين الوحي. وبعد الموت يسرح الخيال. ومنها ما يبدو في المنام للصحابي الذي يحادثه الرسول في نومه فيروى عنه بعد اليقظة. وإذا كان القرآن به كل شيء فلماذا حضور جبريل المستمر في الأحاديث للتعليم كالقرآن والتذكير عند النسيان والتصحيح حين الخطأ؟ وفي الحكايات تروى كرامات الأولياء كما تروى معجزات الأنبياء مما يثير الخيال ويحقق الأحلام، وروايات الخضر وتأويلاته الباطنية.

وتستعمل الأحاديث كتفسير للآيات. فيقوم الحديث بدور علم التفسير. وتكون الرابطة بين القرآن والتفسير، الحديث تفسير للقرآن. وبالتالي خرج التفسير من علم الحديث، وكما تدخل الخيال الشعبي في الحديث كذلك تدخل في التفسير بتجسيد الآيات حروفاً في الأحاجي كما هو الحال في التصوف الطرقي المتأخر أو أصواتاً لدى الحفاظ والقراء فلا تمسهم النار وكأن قانون الاستحقاق لا وجود له. وهنا يبدو التصوف وكأنه بداية التفسير الروحي الأخلاقي الباطني للقرآن بدلاً من التفسير الفقهي الشرعي الحرفي الظاهري.

وتسود الحجج النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لدرجة أن «حلية الأولياء» لا يفترق عن كتب الأحاديث في شيء إلا إضافة بعض أقوال الصوفية وأفعالهم معها واستئنافاً لها. ونظراً لتحول بعض النصارى إلى الإسلام مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه. فقد استعملوا ثقافاتهم السابقة عن أنبياء بني إسرائيل في

(1) السابق جـ4/ 191-198.

فهم الدين الجديد كما فعل بولس مع المسيحية. فظهر ما يسمى بالإسرائيليات. واستشهد بكثير من أقوال الأنبياء السابقين دون مصادر موثوقة أو معروفة ولكنها مرويات شفاهاً أو تدويناً من اليهود والنصارى في المدينة سواء من تحول منهم إلى الإسلام أو من بقي على دينه. وكثير منها حوارات بين الله والأنبياء أو بين الأنبياء والرسول يدونونها بخبراتهم مع أممهم. فالتصوف هو الجامع للأديان والمحقق لوحدتها. وتبرز قصة مريم وقصص داود وسليمان والخليل.

وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قل الحديث. واستند التصوف إلى تفسير القرآن بدلاً من رواية الحديث. ويتم اختيار الأحاديث الخلقية. فالتصوف في بدايته تصوف خلقي. وتختفي أحاديث التصوف النفسي أو التصوف الفلسفي الخاصة بالغيبيات خاصة قصة الإسراء والمعراج، وتتكرر نفس الأحاديث في مناسبات مختلفة[1]. فالأحاديث هي البراهين. وإذا عظمت أهمية الصوفي زادت أقواله وأفعاله، وقلت الآيات والأحاديث كما هو الحال في شخصية مالك بن دنيار[2].

وتغيب التحليلات العقلية أو التجارب الروحية كي تتعادل مع الحجج النقلية، لذلك يبدو التصوف في الوعي التاريخي أقرب إلى العلوم النقلية، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، منه إلى العلوم النقلية العقلية كالكلام والفلسفة وأصول الفقه.

وليس من المعقول أن تكون مادة «حلية الأولياء» كلها مجمعة من مصادر شفاهية نظراً لضخامتها. ويذكر أبو نعيم بين الحين والآخر مصادر كتابية لأعمال بعض الصوفية اندثرت في حينها أو مازالت مخطوطة أو لم تكتشفها أيادي المنقبين عن الآثار بعد[3]. إذ يشير أبو نعيم إلى اعتماده على كتب الطبقات السابقة مثل «السلَمي وابن الأعرابي».

وقد يكون الدافع على التأليف داخلياً محضاً، إصلاح التصوف، وتنقيته مما علق به من خرافات وخزعبلات من بين أهله[4].

(1) السابق حـ2 / 175 / 188.

(2) السابق ص357-388

(3) السابق حـ1/ 231، حـ5/ 7، حـ6/ 111-115.

(4) «وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل الأقطار والأمصار، =

ثالثاً: الوعي التاريخي الموضوعي

بالرغم من أن الوعي التاريخي الموضوعي سابق تاريخياً على الوعي التاريخي الخالص إلا أنه من حيث البنية تال له نظراً لبداية انفصال الموضوع الصوفي عن تاريخ الصوفية ابتداء من القرن الخامس في «الإحياء»، وقد تشكل هذا الوعي في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

أ ـ **«اللمع» للطوسي (378هـ)**[1]: وهو أول كتاب في التصوف كطريق أي بنية وليس كتاريخ. ويدل على ذلك اسم «اللمع» أي الكشف. وقد بدأت الكتابة عن التصوف عند الصوفية المؤرخين وليس في التصوف عند الصوفية المبدعين بسبب المشاكل التي أثيرت حول التصوف، والتشنيع الذي وقع على مصطلحاتهم. فبدأ الصوفية المؤرخون تحديد معناه وبيان إشاراتهم وألفاظهم وحقائقهم ومواجيدهم كعينات مختارة وليس كرصد شامل ليتدبر القارئ لعله يكون اختياره[2]. والتصوف رد فعل على ما أثيرت حوله من شبهات وما اقترن بالصوفية

= في المنتسبين إليهم من الفسقة والفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وكثير ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكير على الخونة الباطلين نزاهة للصادقين ورفعة للمتحققين. ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساوئهم، ديانة للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة. إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور»، السابق، حـ1/4.

(1) دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثني، بغداد1960م-1380هـ.

(2) إني قد استخرت الله تعالى، وجمعت أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف، وتكلم مشايخهم المتقدمون في معاني علومهم، وعمدة أصولهم، وأساس مذهبهم، وأخبارهم وأشعارهم، ومسائلهم وأجوبتهم، ومقاماتهم وأحوالهم، وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة، والعبارات الفصيحة، والألفاظ المشكلة الصحيحة على أولهم، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم. وذكرت من كل فصل طرفاً، ومن كل أصل طرفاً ونُتفاً، ومن كل باب لمحاً، على حسب ما سنح به الحال، ومكّن به الوقت، وجاد به الحق جل ذكره، مقتدياً بالأسوة والمقدرة، والبيان والحجة. فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبّه وحضور قلب ومزاج نفسي، بحسن التوقف والتفكير، والتأمل والتدبر، بخلوص وطهارة القلب، وصحة القصد، تقرباً إلى الله تعالى ذكراً، وشاكراً له على منحة من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه العصابة ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقيعة فيهم والإنكار لأنهم العصابة القليل عددها، العظيم عند الله قدرها وخطرها»، السابق ص18

(3) «وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصابة وقصودهم، =

من أدعياء[1]. كثر فيه الخائضون دون علم. وألفوا كتباً مزخرفة بلا مضمون ودون قطع العلائق وإماتة النفوس كما فعل الصوفية الأوائل[2].

ويتكون من مقدمة واثنتي عشر باباً دون ترقيم مما يبين أن تفاصيل الطريق لم تكتشف بعد[3]. ومن حيث أولويات الترتيب تبدو أهمية الأحوال والمقامات باعتبارها أهم موضوع في الطريق. ثم يتحول الطريق إلى تاريخ ابتداء من أهل الصفوة حتى الاقتداء بالرسول واستنباط أهل الصفوة مواقفهم من الرسول ثم الصحابة. ثم يترك التاريخ إلى البنية في وصف آداب التصوف والأشكال الأدبية لكتاباتهم، والسماع والوجد، وإثبات الآيات والكرامات، ثم بيان المشكلات الناشئة عن الألفاظ وتفسير الشطحات.

أما من حيث الأهمية الكمية فتأتي «آداب المتصوفة» في المقدمة مما يدل على أنهم أصبحوا فئة مميزة لهم طريقهم الخاص. ثم الشطحات أي ما يصدر عنهم من أقوال يشنع الناس عليهم بسببها، ثم المقدمة الأولى عن التصوف ومعانيه وحقيقته، ثم ألفاظهم. ثم المقامات والأحوال تأتي في الدرجة الخامسة من حيث الكم بعد أن كانت الأولى من حيث الترتيب، ثم السماع كأحد العوامل المصاحبة للرياضات والمجاهدات، ثم المكاتبات والرسائل وأشكال التدوين، ثم الصحابة

= وطريقة أهل الصحة والفضل منهم حتى يميز بينهم وبين المتشبّهين بهم، والمتلبسين بلبسهم، والمتسميين باسمهم حتى لا يغلط ولا يأثم لأن هذه العصابة أعني الصوفية هم أمناء الله في أرضه....»، اللمع ص18-19.

(1) «إن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة. وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمسيئون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها. وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه وكلاماً ألفه، وليس بمستحسن منهم ذلك لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات وينطقوا بهذه الحكم إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات بالرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل»، السابق ص19-20.

(2) وهي: 1- الأحوال والقامات. 2- أهل الصفوة في الفهم والاتباع للكتاب. 3- الأسوة والاقتداء برسول الله. 4- المستنبطات 5- الصحابة. 6- آداب المتصوفة. 7- المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة. 8- المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل. 9- السماع. 10- الوجد. 11- إثبات الآيات والكرامات. 12- البيان عن المشكلات. 13- تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مستشنع.

باعتبارهم من أوائل الصوفية، ثم الكرامات قبل الرسول كقدوة، وأهل الصفوة الذين بدأ منهم الطريق، وأخيراً الوجد[1].

ومن حيث مدى الحضور والإحالة إليه يأتي أصحاب الشطحات أولاً مثل الجنيد والشبلي، ثم التستري صاحب الأقوال المروية، ثم أبو سعيد الخراز. ثم يأتي ذو النون مع الروزباري. ثم يأتي ذكر بعض الصوفية الذين كانوا معروفين في عصرهم عبر التاريخ مثل الواسطي، وجعفر الخلدي، وأبو العباس البغدادي، ويوسف الراوي، والنوري، ورويم البغدادي، وأبو الحسين النوري، والوجيهي، وغيرهم مع الصوفية الذين اشتهروا مثل إبراهيم الخواص، والبسطامي، ويحيى بن معاذ الرازي، وعمر بن عثمان المكي صاحب «قوت القلوب»، وأبو سليمان الداراني، والسري السقطي، وأبو بكر الدقاق شيخ القشيري، وإبراهيم بن أدهم. ومن الصحابة يتصدر عمر ثم علي. ومن الأنبياء يذكر موسى[2].

ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث. وتجمع الآيات القرآنية حول موضوع واحد مما يؤكد إمكانية التفسير الموضوعي للقرآن[3]. ويعتمد في مصادره على الروايات لأقوال الصوفية السابقين سواء مدونة في رسائل أو شفاهية[4]. وحذفت الأسانيد من الأخبار للإبقاء على المتون بغية الاختصار[5]. ويُحرص على أمانة

---

(1) الشطحات (103)، آداب المتصوفة (عدد الصفحات) (89)، التصوف (48)، الألفاظ (44)، المقامات والأحوال (40)، السماع (37)، المكاتبات (33)، الصحابة (28)، المسائل والأجوبة (22)، الكرامات (19)، قدوة الرسول (17)، أهل الصفوة (15)، الوجد (15).

(2) الجنيد (138)، الشبلي (74)، التستري (58)، أبو سعيد الخراز (42)، ذو النون، الروزباري (36)، الواسطي (32)، جعفر الخلدي، إبراهيم الخواص (28)، أبو العباس البغدادي (26)، يحيى بن معاذ الرازي (27)، عمر بن عثمان المكي (21)، يوسف الرازي، أبو سليمان الداراني (20)، النوري (18)، السري السقطي (17)، رويم البغدادي (16)، أبو بكر الواسطي، أبو الحسين النوري (15)، أبو محمد الجريري (13)، أبو عبد الله الجلاء (12)، أبو بكر الدقاق، الوجيهي (11)،أبو تراب النخشبي (8)، إبراهيم بن أدهم (7)، وآخرون. ومن الصحابة عمر (14)، علي (11)، ومن الأنبياء يذكر موسى (8).

(3) الآيات (430)، الأحاديث (377).

(4) اللمع ص17.

(5) «وقد حذفت الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا الكتاب، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار»، السابق ص20.

النقل دون زيادة أو تجميل طلباً للجاه عن العامة أو للمذهب عند السلطان[1]. وتبدأ معظم الفقرات بالسؤال المتخيل، «وإن سأل سائل» تمهيدا لعرض الموضوع ومثل «وإن قال قائل» و «إن اعترض معترض». وتدخل بعض الإسرائيليات كشواهد من أقوال الأنبياء مثل زكريا[2].

ب ـ **«قوت القلوب» لأبي طالب المكي (386هـ)**[3]: ولا يظهر فيه الوعي التاريخي كما يظهر في «اللمع» للطوسي، ولا الحديث عن الصوفية كفرقة ومقارنتها بالفرق الأخرى، متكلمين وفقهاء. ومع ذلك، يعتمد على تجميع أقوال السابقين دون تنظيرها. به أخبار دون رؤى، وروايات دون نسق، ومادة تاريخية دون وعي تاريخي. يختفي منه الجدل مع الخصوم، الفقهاء أو الصوفية المزيفين. والتنظير الوحيد هو القسمة، قسمة الموضوع كالتوبة أو الأشخاص كالتائبين. والقسمة أولى درجات التعريف. ولا يذكر سبب التأليف بل تأتي الموضوعات مباشرة بعد الحمدلات والبسملات[4].

ويبنى علم التصوف ابتداء من الفقه في تقابل الباطن والظاهر كما يبدو في العنوان المطول «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد»، وتغلب الموضوعات الفقهية على أكثر من نصف الكتاب من حيث الكم أو من حيث عدد الفصول. ومن العنوان يتضح أن التصوف علم القلوب وليس علم الجوارح. وهو طريق إلى الله بين المحب والمحبوب. وهو طريق المريد إلى مقام التوحيد.

يخلو من البنية. إنما يضم ثمانية وأربعين فصلاً. تتفاوت كمًا. أكبرها المقامات والأحوال التي تشمل نحو ثلث الكتاب مما يدل على أن المقامات

(1) «وكل من أخذ من كلام المتقدمين الذين وصفناهم معنى من معانيهم التي هي أحوالهم ووجدهم ومستنبطاتهم، وحلاَّها من عنده بحلية غير ذلك أو كساها عبارة أخرى أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك أو يطلب بذلك جاهاً عند العامة أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع مضرة فقد ترك الأمانة وعمل بالخيانة»، السابق ص20.

(2) السابق ص77.

(3) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة1961م-1381هـ.

(4) ومثل «الفتح الرباني» للجيلاني.

والأحوال هو قلب العلم[1]. ويتلوها العلم مما يدل على أن التصوف هو أساساً نظرية في العلم[2]. ويسردها المؤلف في مقدمة الكتاب[3].

يعتمد على الحجج النقلية والشواهد التاريخية أكثر من اعتماده على التنظير العقلي أو تحليل التجارب المعاشة، ويعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر[4]. ومن ثم فهو يعتبر ردة عن المؤلفات الصوفية الخلقية السابقة عند رابعة والحسن والترمذي والمحاسبي وأبي سعيد الخراز وأصحاب الشطحات الحلاج والبسطامي والشبلي وأصحاب المواقف والمخاطبات والإشارات والفصول والمواعظ، بل إن فصولا بأكملها مخصصة للأدلة النقلية[5]. وهو مجرد رصد دون أدنى تفسير أو تأويل أو تحليل نظري لتجربة إنسانية خارج النص. ويزداد التنظير في موضوعات التصوف الصرفة مثل المقامات والأحوال والعلم. وتظهر القسمة العقلية بجوار الأدلة النقلية من الآيات والأحاديث والمرويات عن الصحابة والتابعين والصوفية[6]. ومن الوافد يذكر قول بقراط الفيلسوف الدواء من فوق، والداء من تحت[7]. كما يذكر الحكماء والحكيم، والفلاسفة والفيلسوف وأهل الطب والأدباء.

ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. يكفي أن يقال «وفي الخبر» أو «وفي الحديث»، كما يقال «روينا»، «روي»، وقد يجمع بين الخبر والرواية في

(1) المقامات والأحوال 348ص، من مجموع الجزئين1154ص.

(2) العلم (102)، دعائم الإسلام الخمس (86)، الغش والتجارة (49)، الأخوة في الله (47)،التزويج (40)، الإسلام والإيمان (32)، الخواطر، الأطعمة (31)، الإسلام و الإيمان (32)، ترتيب الأقوات (18)، الفقر (25)، الكبائر والحلال والحرام (23)، أهل السنة (21)، صلاة الجمعة (20)، المراقبة (19)، التلاوة (13)، حكم الإمام (102)، اليقظة والانتباه، المريدون (12)، محاسبة النفس (11)،أوراد النهار، تقسيم الليل والنوم (10)، الصلاة في الأيام والليالي، التسبيح (9)، الزوال، الظلام، النوم (7)، الخ. . . .

(3) قوت القلوب حـ1، ص3–7.

(4) الآيات (2950)، الأحاديث (1360)، الأشعار (336).

(5) الفصل الأول: في ذكر الآي التي فيها ذكر المعاملة، قوت القلوب حـ1، ص8–9. الفصل الثاني: في ذكر الآي التي فيها أوراد الليل والنهار، السابق ص9–10.

(6) «وفي هذه المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة للسائلين وعبرة وآيات للعالمين. فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم»، السابق ص193.

(7) السابق ص189.

«وقد روينا في الخبر»، كما يورد الأثر دون نسبة إلى صاحبه. يكتفي بذكر «بعض العلماء أو بعض العارفين، وبعضهم. وقد يحال إلى الأثر دون تحديد أثر من؟ وتكثر الأحاديث القدسية التي لا سند لها مثل أحاديث جبريل مع الرسول التي لا سند لها، ولم يسمعها أحد سواه، وأحاديث الله مع الملائكة، وحديث الملائكة مع بعضهم البعض، وحديث الكل مع الشيطان. وقد يكون الله نفسه هو الذي يتحدث دون محاور[1]. وقد خصص أبو طالب المكي آخر باب في كتاب العلم إلى منهجه في الرواية وتفضيل الأخبار، وترجيح بعضها على البعض، والترخص والتوسع في النقل، والرواة الثقاة من الصحابة مع تعديلهم. ويعترف باستعمال الأحاديث المرسلة والمقطوعة والمحتملة التي لا يوجد يقين على بطلانها والضعيفة المتفقة مع القرآن، والتعبد بحسن الظن، وترجيح الحديث الضعيف على الرأي والقياس[2]. وقد تستعمل الأخبار المقطوعة والمشهورة والمرسلة. وقد يُبنى الفعل للمجهول في صيغة «قيل» تجنبا لذكر المصدر[3].

وتستعمل أمثال العرب وعاداتهم مثل كراهية العرب وضع الشيء في أكفها لعزة نفوسها[4]. كما تُستعمل فنون كلام العرب ووجوه بلاغتهم، التطويل للبيان، والاختصار للحفظ، والمقدم والمؤخر للتحسين[5]. وتكثر الإسرائيليات والمرويات من أنبياء بني إسرائيل وغالبها روايات أخلاقية روحية صوفية[6]. وتذكر الإسرائيليات صراحة أو الخبر الإسرائيلي. وتأتي في المقدمة أخبار داود وسليمان يعقوب ويوسف وأيوب ولقمان، وقول لقمان لابنه بناء على النموذج القرآني، ودعاء إدريس، وقصة يوسف وزليخا الذين تزوجا ثم تصوفت زليخا. وتذكر نصوص من التوراة والإنجيل. ويُروى عن موسى وعيسى. ويذكر اشتقاق لفظ

(1) قوت القلوب حـ1/ 68/ 82/ 357/ 371/ 456، حـ2/ 120.

(2) تفضيل الأخبار، وبيان طرق الإرشاد، وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية، السابق حـ1/ 359-364.

(3) وفي الخبر (100)، رُوي (103)، وقد روينا في الخبر (3)، الأثر (33)، المقطوع (13)، قيل (3)،

(4) مثل «يوم الرجم يضرب فيه عبد السوء»، قوت القلوب حـ1/ 55- حـ2/ 147.

(5) السابق ص 118.

(6) الإسرائيليات (14، الأنبياء (44)، نصوص التوراة (3)، كعب الأحبار (2).

المسيح من مسح أي طوى الأرض فهو ماسح ثم مسيح أو ممسوح العين أي مطموسها، وأحاديث كعب الأحبار للصحابة.

ومن الطوائف يتقدم أهل السنة. ثم تتداخل الفرق الكلامية مثل المعتزلة والمتكلمين مع الفرق غير الإسلامية كالنصارى مع الفرق الصوفية كالسيارية، وأهل الصفة، والجنيدية، والحلاجية، والخرازية، والسهيلية والطيفورية، والمحاسبية والنورية، والخفيفية، والقصارية، وأسماء بعض الفرق المشتقة من مذاهبها كالحلولية، وأهل الإلهام، والملاحدة، والحشوية، والمشبهة، والقدرية[1]. ويظهر فيه كثرة الاستشهاد بالأشاعرة والشافعية. وهما عقيدة السنة في التوحيد وفي الفقه. كما يعتمد على المتكلمين قدر اعتماده على الفقهاء.

ولا يظهر فيه الوافد اليوناني أو الروماني غرباً أو الفارسي والهندي شرقاً مما يدل على المصدر الداخلي للتصوف الإسلامي في البيئة التي أفرزته وكرد فعل على التكالب على الجاه والثروة، السلطة والمال ثم تبرير ذلك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين. يذكر فقط «بعض الحكماء»، «فيلسوف من الحكماء»[2]. وقد ذكر أرسطو طاليس مرة في حكاية مع خادمه لطلب أحد العامة من سواد الناس لأنه يأكل بعد الجوع ويرفع بعد الشبع، ويتقلل بين ذلك[3]. كما يذكر قول جالينوس عندما سئل عن الإقلال من الطعام «غرضي من الطعام أن آكل لأحيا، وغرض غيري من الطعام أن يحيا ليأكل»، وهو ما أخذه موليير في مسرحية «البخيل»: يجب أن آكل لأعيش لا أعيش لآكل. كما يذكر قول ثياذوق الطبيب أن اللحم فوق اللحم يقتل البرية.

حـ ـ «كشف المحجوب» للهجويري (ت465هـ)[4]: ويتناول الصوفية كفرقة

---

(1) أهل السنة (23)، الملاحدة (17)، المعتزلة (14)، الحشوية، المشبهة (6)، الحلولية، النصاري المتكلمون (5)، أرباب اللسان، الحكيمية، السيارية، أهل الصفة (4)، الجنيدية، الحلاجيون، الخرازية، السهلية، الطيفورية، القدرية، المحاسبية، النورية، الخفيفية (3)، أهل الإلهام، القصارية (2).

(2) بعض الحكماء، قوت القلوب حـ1/ 289/ 323/ 355/ 425، فيلسوف من الحكماء حـ1/ 205.

(3) السابق حـ2/ 369/ 392/ 293.

(4) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة1974م-1394هـ (جزءان).

بين الموضوع والفرقة، بين إثبات العلم والفقر والتصوف من ناحية ولبس المرقعة، والصفوة، و الصفة، والملامة، والأئمة من الصحابة وآل البيت والتابعين والأنصار من المتقدمين والمتأخرين من ناحية أخرى. ميزته أنه انتقل من أسماء الأعلام إلى الفرقة ثم بزوغ الموضوع من خلال الفرقة. والكتاب أيضاً إجابة على سؤال سائل؟[1]. والسؤال يدل على حاجة إلى المعرفة وأزمة في العصر وإن لم يتم التأليف بناء على طلب أو سؤال من صديق فإنه يتم بناء على استخارة، بناء على أغراض في النفس تتحقق[2]. وقد وضع المؤلف اسمه على الكتاب لسببين يرجعان إلى الخاصة والعامة. فعندما يعرف الخاصة مؤلف الكتاب ويعلمون أنه من أهل الصناعة يقبلون عليه، وهو المراد. ويأخذونه مآخذ الجد وهو المقصود. أما العامة فإنهم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم إن كان مجهول المؤلف وهو ما حدث من قبل عند محو اسمه من كتاب آخر في التصوف هو «منهاج الدين»[3].

وتكشف الإجابة عن رد فعل على أزمة العصر بإتباع الأهواء والأغراض عن طريق الصفاء، وتحول العلماء إلى أدعياء باستثناء خاصة من الصفوة وهم أهل الحق. انقلب العلم إلى أقوال، والحقائق إلى كلام، والتحقيق إلى تقليد. وقبل العوام ذلك جهلاً. فهم متصورون أنه الحق. وآثر الخواص إبقاء التمني في قلوبهم وشوقهم إلى الرؤية، وحرقة المحبة. وقد ألف الهجويري كتباً أخرى في هذا المعنى ضاعت واندثرت حسداً من الناس. تركها البعض ولم يفهمها البعض الآخر[4]. وكل من يؤلمه شيء

(1) وهو أبو سعيد الهجويري سائلاً: «بيّن لي على التحقيق طريقة التصوف، وكيفية مقامات الصوفية ومذاهبهم وأقوالهم. وأظهر لي رموزهم وإشاراتهم، وكيف تكون محبتهم لله عز وجل، وكيفيه إظهارها على القلوب؟ وما السبب في حجاب العقول عن كنهها وماهيتها، ونفرة النفس من حقيقتها، وسكينة الروح إلى صفوتها، وما ينطلق بهذا من المعاملات؟»، السابق حـ1/ 197؟

(2) سلكت طريق الاستخارة، ومحوت من قلبي الأغراض التي كانت ترجع إلى النفس. وقمت بحكم ما دعوتني إليه. وعزمت تمام العزم على إتمام مرادك من هذا الكتاب. وأسميت هذا الكتاب «كشف المحجوب»، السابق حـ1/ 191-192.

(3) السابق ص192.

(4) «أعلمك أن هذا العلم قد اندثر في الحقيقة في زماننا هذا، وبخاصة في هذه الديار. حيث انشغل الخلق بأهوائهم، وأعرضوا عن طريق الرضا. وقد بدت لعلماء هذا العصر وأدعياء هذا الوقت صورة لهذه الطريقة على خلاف أصلها. فاستحضر همتك لأمر قصرت عنه أيدي =

رآه فيما يقرأ[1]. وقد فعل الجهال نفس الشيء بكتب المشايخ التي لم يفهموها. وقارنوها بدواوين الشعراء ورسائل الكتاب[2]. كما انقلب فهم الشريعة، وسُمي كلّ هوىً فقهاً، وطلب الجاه والرياسة عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، والجدال مناظرة، والسفاهة عظمة، والنفاق زهدا، وآفة أهل الزمان معاملة[3].

وشرط التأليف هو تخليص النفس من الأهواء. فالأخلاق شرط المعرفة. وصفاء الضمير شرط البحث. فالعلم شعوري. والشعور النبيل قادر على رؤية المعنى. وحسن النية شرط العلم[4]. والقصد من العنوان «كشف المحجوب» أن بين الكتاب ما غمض على الناس وما ستر عنهم. والحجاب نوعان «الحجاب الريني» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾. وهو ينكشف مثل الطبع والختم والخذلان. و«الحجاب الغيني» وهو ما قد ينكشف لأنه صفة متغيرة[5].

يتكون من أربعة عشر باباً، أكبرها الرابع عشر في الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم أو حكاياتهم. وهو أكثر من ثلاثة أخماس الكتاب. ثم يتلوه «في ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان» أي أسماء الأعلام ثم تعريف التصوف ولبس المرقعة، ثم إثبات العلم وتعريف التصوف، ثم ذكر أئمتهم من

= أهل هذا الزمان وأسرارهم.... وعجز الأدعياء بدعواهم عن كل المعاني، وكشف المريدون عن المجاهدة، وسموا ظنهم المطول مشاهدة». السابق ص197.

(1) فكل من في فؤاده وجع يطلب شيئاً يوافق الوجعا
السابق ص198.

(2) مثل أبي نواس والجاحظ، السابق 198.

(3) «وقد أوجدنا الله عز وجل في زمان أسمى أهله الهوى شريعة، وطلب الجاه والرياسة والتكبر عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، وإخفاء الحفيظة في القلوب حلماً، والمجادلة مناظرة، والمحاربة والسفاهة عظمة، والنفاق زهداً، والتمني إرادة، وهذيان الطبع معرفة، وحركات القلب وحديث النفس محبة، والإلحاد فقراً، والجحود صفوة، والزندقة خفاء، وترك شريعة النبي طريقة. وأسموا آفة أهل الزمان معاملة حتى احتجب أرباب المعاني بينهم على حين صارت الغلبة لهم..... وكما قال الواسطي: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهلية ولا أحكام ذوق المروءة»، السابق جـ1/ 199.

(4) السابق حـ1/ 192-193.

(5) السابق ص194، وهي تفرقة الجنيد «الرين من جملة الوطنات، والغين من جملة الخطرات. الوطن باق، والخطر طارئ»، السابق ص194.

آل البيت ومن الصحابة والملامتية، وأخيراً أهل الصفة والأنصار[1].

ونظراً لطول الباب الرابع عشر الذي يصل حجمه إلى أكثر من نصف الكتاب فقد قسم إلى قسمين[2]. الأول عن فرق الصوفية وهي أشبه بالفرق الكلامية وليس بالطرق الصوفية[3]. وهم اثنا عشرة فرقة، الحادية عشر والثانية عشر في فرقة واحدة، وهي «المحاسبية (المحاسبي)، والقصارية (حمدون القصار)، الطيفورية (البسطامي)، الجنيدية (الجنيد)، النورية (أبو الحسن النوري)، السهلية (التستري)، الحكيمية (الترمذي)، الخرازية (أبو سهيل الخراز)، الخفيفية (محمد ابن خفيف)، السيارية (أبو العباس السياري)، الحلولية (أبو حلمان الدمشقي، الحلاج). وأكبرهم حجماً في التناول الحكيمية. وبالتالي تحولت بعض أسماء الأعلام إلى فرق مشتقة منها كما هو الحال في علم الكلام. والثاني وهو أطول حجماً من الأول عن كشف الحجب، وهو موضوع عنوان الكتاب[4]. وهي إحدي عشر حجاباً[5]. أكبرها في الصحبة مع آدابها وأحكامها، ثم السماع، ثم منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائقهم ومعانيهم»[6].

ويعتمد الكتاب على تاريخ الصوفية. فمن أسماء الأعلام يأتي في المقدمة الرسول ثم الجنيد ثم البسطامي ثم السبكي. ويتداخل الأنبياء مثل إبراهيم وآدم

---

(1) 1-إثبات العلم (12ص) 2- الفقر (12) 3- التصوف (12) 4- لبس المرقعة (14) 5- اختلافهم في الفقر والصفوة (4) 6- بيان الملامة (8) 7- ذكر أئمتهم من الصحابة (8) 8- ذكر أهل الصفوة (6) 9- ذكر أئمتهم من التابعين والأنصار (6) 10- ذكر أئمتهم من أتباع التابعين إلى يومنا هذا (8) 11- ذكر أئمتهم من المتأخرين (12) 12-ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان (16) 13- الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم وحكاياتهم (294).

(2) يمثل الباب الرابع عشر الجزء الثاني من الكتاب «كشف المحجوب»، ص403-668.

(3) السابق ص403-508 106ص.

(4) هي على الترتيب الكمي الحكيمية (31)، السهلية (16)، المحاسبية، الخرازية، السيارية، الحلولية (8)، الطيفورية، النورية (6)، الخفيفية (5)، القصارية، الجنيدية (1).

(5) السابق ص509-668= 159ص.

(6) كشف الحجاب الأول: معرفة الله تعالى (10ص)، الثاني التوحيد (8)، الثالث: الإيمان (5)، الرابع: الطهارة (10)، الخامس الصلاة (16)، السادس: الزكاة (7)، السابع: الصوم (8)، الثامن: الحج (8)، التاسع: الصحبة مع آدابها وأحكامها (33)، العاشر: بيان منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم (25)، الحادي عشر: السماع (29).

وموسى والخلفاء مثل عمر وعلي وأبي بكر، وذو النون والحلاج والخواص. ويتداخل جبريل مع المحاسبي ويحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم والترمذي والخراز[1]. وينتشرون على مختلف البقاع الإسلامية في الحجاز وخراسان والعراق ومصر والهند[2]. ولأول مرة يتم تجميع الأعلام تحت مجموعات غير أهل الصفة والصحابيات في سبع مجموعات: الصحابة، أهل البيت، أهل الصفة، التابعون والأنصار، أتباع التابعين حتى اليوم، الصوفية المتأخرون في البلدان[3]. وهم

---

(1) محمد رسول الله (181)، الجنيد (75)، البسطامي (39) السبكي (37). إبراهيم الخليل (31)، الهجويري (28)، عمر بن الخطاب (27)، ذو النون، والتستري (24)، آدم وموسى (22)، الحلاج (17)، إبراهيم الخواص، على بن أبي طالب، أحمد بن محمد النوري، جبريل (16)، المحاسبي، محمد بن حسن القبلي، أبو بكر (15)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم (13)، الترمذي (12)، أبو سعيد الخراز، داود، يوسف، علي ابن إبراهيم، الفضيل بن عياض (11)، عيسى (9)، الواسطي، بشر الحافي، خسرو شاه، ابن مسروق، العشري، المكي (8)، عمرو بن عثمان المكي، الترمذي (7)، أبو سعيد ابن أبي الخير، زليخا، النساج (6)، الكرماني، بلال، رويم بن أحمد، سلمان الفارسي (5)، أحمد بن حنبل (4)، حمدون القصار (10)، ابن عطاء، الحسن البصري، داود الطائي، السري السقطي.

(2) مكة (28)، خراسان (17)، بغداد (15)، نيسابور (12)، الكوْفة (11)، العراق، مرو (9)، بلخ، مصر (15)، الهند ما وراء النهر، الشام، المدينة (5)، البصرة، دمشق، سرخس، غزنة، منى (4)، أذربيجان، دجلة، فارس، كربلاء، كريمان (3)، أصفهان، طبرستان، ميهنة (2).

(3) أ- الصحابة: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (4). ب- أئمة آل البيت: الحسن، الحسين، علي بن الحسين، جعفر، محمد (5). جـ-أهل الصفوة: بلال، سلمان، أبو عبيدة بن الجراح، عمار بن ياسر، عبد الله بن مسعود، عتبة، المقداد، خباب، صهيب، عتبة، زيد بن الخطاب، أبو كبشة، أبو مرقد، سالم، عكاشة، مسعود، عبد الله بن عمر، أبو ذر، صفوان، أبو الدرداء، عبد الله بن بدر، أبو لبابة (22).
جـ-الأئمة التابعين والأنصار: أويس، هرم بن حيان، الحسن البصري، سعيد بن المسيب (4).
هـ- الأئمة من أتباع التابعين: حبيب، مالك بن دنيار، أبو حاتم، أبو حازم، محمد بن واسع، أبو حنيفة، عبد الله بن المبارك، ابن عياض، ذو النون، إبراهيم بن أدهم، بشر الحافي، البسطامي، المحاسبي، الطائي، السري السقطي، الأزدي، أبو سليمان الداراني، الأصم، الشافعي، ابن حنبل، البلخي، النخشبي، يحيى بن معاذ، النَيسابوري، النوري، الخواص، الكرماني، المكي، التستري، البلخي، الترمذي، الوراق، الخراز، مسروق، الآدمي، الحلاج، الخواص، الواسطي، الشبلي، السياري (64). =

موزعون على الشام والعراق، وفارس، وأذربيجان، وكرمان، وخراسان، وما وراء النهر، وغزنين. ومجموع الأعلام حوالي مائة وخمسون، وهي مجموعات متتالية في الزمان أو متباعدة في المكان، معظمهم في المشرق.

وتتعادل الأدلة النقلية مع نقل الأقوال والأفعال[1]. ولا توجد أسانيد للحديث على عكس كتب الطبقات الشبيهة بكتب الحديث مثل السلمي والأصفهاني. ويعتمد «كشف المحجوب» على مصادر مدونة[2]. أهمها باقي مؤلفات الهجويري ثم الحكيم الترمذي ثم عبد الرحمن السلمي[3]. وتذكر مؤلفات البلخي والمحاسبي ثم الجنيد ورويم والكرماني والطوسي، ثم السياري والأصفهاني، وتصانيف أخرى للسياري والقشيري وأبي عمرو بن عثمان المكي وغيرهم[4].

د ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف «للقشيري» (465هـ)[5]: نسبتها إلى مؤلفها عبد الكريم القشيري مثل «الرسالة» للشافعي. وتعتبر آخر ما وصل إليه

= و- الأئمة من المتأخرين: القصاب، الدقاق، الخرقاني، الداستاني، الميهني، الختلي، القشيري، الشقاقي، الجرماني، ابن حمدان (10).
ز- الصوفية المتأخرون من أهل البلدان: الشام والعراق (3)، فارس (5)، قهستان، أذربيجان، طبرستان، قومدس (8)، كرمان (2)، خراسان (10)، ما وراء النهر (5)، غزنين (7)، المجموع 149 علماً.

(1) الآيات (230)، الأحاديث (136)، الأشعار العربية (30)، الشعر الفارسي (1).

(2) بلغت 28 مصدرا.

(3) باقي مؤلفات الهجويري: أسرار الخرق والملونات، بحر القلوب، البيان لأهل العيان، الرعاية لحقوق الله، الفناء والبقاء، كتاب في شرح كلام الحسين بن منصور الحلاج، منهاج الدين.
أ- مؤلفات الترمذي: بيان آداب المريدين، تاريخ المشايخ، التفسير، ختم الولاية، المنهج، نوادر الأصول.
ب- مؤلفات السلمي: تاريخ أهل الصفة، كتاب السماع، طبقات الصوفية.
جـ- الرعاية لحقوق الله لأحمد بن خضروية البلخي، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، (3)، تصحيح الإرادة للجنيد، حكايات العراقيين، غلط الواجدين لأبي محمد رويم أحمد، اللمع للطوسي، مرآة الحكماء لشاة بن شجاع الكرماني، المرقعة لأبي محمد الأصفهاني (2).

(4) تصانيف أبي جعفر محمد بن المصباح الصيدلاني، رسائل أبي العباس السياري، الرسالة القشيرية، كتاب المحبة لعمرو بن عثمان المكي.

(5) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت).

الوعي التاريخي الموضوعي. فقد جمعت بين الوعي التاريخي الخالص في الجزء الأول منها أسوة بكتب «الطبقات» عند السلمي والأصفهاني. ويضم ثلاثاً وثمانين صوفياً في أقل من ثمن الكتاب مما يدل على تقلص الوعي التاريخي لحساب الوعي الموضوعي. وكلهم صغار الحجم أشبه بشريط سينمائي. لقطات صغيرة تكون الوعي التاريخي المتقطع من خلال الشخصيات دون رؤية قانون تاريخي أو مسار وعي أو أي انحناء فيه أو دلالة له. ومعظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع، والترتيب زماني يبدأ من منتصف القرن الثالث (ذو النون المصري ت245هـ) حتى منتصف القرن الرابع (الروزباري ت369هـ)[1]. وبالرغم من أن الكتاب يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي إلا أن الدافع على التأليف هو تصحيح صورة الصوفية في الذهن الشعبي وبأنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد، ولا انحرفوا عن أصول العقائد[2].

والدافع على التأليف أيضاً داخلي وهو اندثار التصوف، وسوء أحوال الطريقة، لا شيوخ ولا مريدين، ولا طريق ورع وفضل بل زاد الطمع وخرق الشريعة والفتور بالنسبة إلى الدين. قلت العبادات. وزادت رفقة الصبية والنساء وأصحاب الجاه والسلطان. وانتشر التحلل من الشريعة باسم الوصول والولاية والتحقق بالحقائق والمحبة فلا عتاب ولا حساب. وكانت النتيجة إسقاط التدبير والاعتذار بأن الله هو فاعل كل شيء[3]. وبعد عرض الأعلام الثلاث وثمانين

(1) باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة، القشيرية ص7-31=24ص.

(2) باب في اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، القشيرية ص3-7، «فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه» السابق ص2.

(3) «إن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم. ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل.

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأري نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة بل اندرست، «السابق ص2». بالحقيقة مضي الشيوخ الذين كانوا لهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء. وزال الورع، وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه. وارتجل عن القلوب حرمة الشريعة. فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة. ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودنوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام. واستخفوا بأداء العبادات. واستهانوا بالصوم والصلاة. وركضوا في ميدان =

يتحقق الغرض وهو إثبات أنهم جميعاً في أقوالهم وأفعالهم متسقون مع أحكام الشريعة[1]. ويخصص جزء ولو قصير للمشايخ المعاصرين للمؤلف الذي عاشرهم واختبرهم وعايشهم ولم يعتمد في معرفتهم على الروايات[2]. ويمنع الإيجاز عن الإطالة في عرض أفعال كل واحد منهم وأقوالهم وقد بلغوا العشرات.

والأبواب التالية تتوالى تباعاً ابتداء من التوبة[3]. اثنان وخمسون باباً تصغر حجماً باستثناء الأبواب الأربعة الأخيرة: السماع، وكرامات الأولياء، ورؤيا النوم، ووصية المريدين[4]. ومع ذلك يبدء إبراهيم بن أدهم مما يدل على مدى أهميته

= الفضلات. وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقه والنسوان وأصحاب السلطان. ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الانحلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه وهم محو. وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يزرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرفوا. ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعض من هذه القصة، وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غيره على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لقلبهم مساغا إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة. ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم، ولعل الله سبحانه يجود بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة، ولما أبى الوقت إلا استصعاباً، وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه، وأشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه. . . .هذه الرسالة. . . لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها شهادة. ولي في نشر الشكوى سلوة. .»، القشيرية ص2-3.

(1) «كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة، متفقون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات، ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى، وكان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه، مفتوناً هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله. . . . . .»، السابق، ص30.

(2) «فأما المشايخ الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقاهم، فهم الدقاق، والسلمي. . . . . «الخ، القشيرية، ص30-31.

(3) السابق ص45-151.

(4) السابق ص151-186.

وحياته كأمير ترك الإمارة من أجل أن يتصوف ويصبح راهباً بالصحراء مثل بوذا. يتلوه ذو النون المصري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والبشر الحافي، والمحاسبي، والطائي، والبلخي، والبسطامي، والتستري، والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشبي، والقصار، والجنيد، والنوري، ورويم، والمكي، والشبلي وآخرون غيرهم. وكُلهم من مشاهير الصوفية في القرنين الثالث والرابع، وليس فقط الفضلاء والأصفياء كما فعل السلمي والأصفهاني من قبل.

وترسم الشخصيات بطريقة مبسطة للغاية مجرد أخبار قصيرة عن الشخص خاصة أفعاله دون أقواله، وحكايات عن كراماته وشعبيته. لم يكن المقصود جمع الأقوال بل رسم الشخصيات لبيان مدى اتفاقها مع الشرع وآداب السلوك. وبعد رسم الشخصية، حياته وأفعاله تُذكر مختارات من الأقوال. وأحيانا يذكر تاريخ الوفاة ومكان الولادة والوفاة والإقامة، كما تذكر علاقته بالحكام، بالخلفاء والأمراء وبباقي الصوفية المعاصرين له وشيوخه وتلاميذه ومريده وأقربائه من الصوفية. فأحيانا يبدو التصوف مرهوناً بالعائلات.

والباب الثاني الانتقال من الوعي التاريخي الخالص إلى الوعي الموضوعي اللغوي، ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. فالعلم لغة، واللغة مصطلحات[1]. ومعظمها تدل على الأحوال، وهي حوالي سبعة وعشرين لفظاً. منها الأحادي، ومنها الثنائي، ومنها الثلاثي، واللفظ الأحادي معظمها مفرد إلا لفظ «الخواطر»[2]. واللفظ الثنائي يعبر عن الأحوال. وهي ليست بالضرورة على التضاد مثل الذوق والشرب، والبواده والهجوم، والتكوين والتمكين[3]. واللفظ الثلاثي بين المراحل الثلاث[4]. واللفظ

(1) «باب في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها»، السابق ص31-45.

(2) الألفاظ الأحادية مثل: الوقت، المقام، الحال، النَفَس، الخواطر، الوارد، الشاهد، النفْس، الروح، السر (10).

(3) الألفاظ الثنائية: القبض والبسط، الهيبة والأنس، الجمع والفرق، الفناء والبقاء، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الذوق والشرب، المحو والإثبات، الستر والتجلي، البوادي والهجوم، التلوين والتمكين، القرب والبعد (12).

(4) اللفظ الثلاثي: التواجد والوجد والوجود، اللوائح والطوالع واللوامع، الشريعة والحقيقة والطريقة، علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين.

الرباعي لفظ ثنائي مزدوج مثل المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة، وليست بالضرورة على التضاد[1].

وفي غياب طبعات علمية حديثة مزودة بفهارس الأعلام، والآيات والأحاديث والآثار والأماكن، يصعب تحليل مضمون الرسالة، ومع ذلك تكثر الآيات لتدعيم أقوال الصوفي وكراماته وكأن حياته تأويل للقرآن كما كانت حياة الرسول. وتكثر أحاديث الرسول في المنام لصعوبة وجود سند صحيح بين الرواة وكما قال ابن عربي فيما بعد «عن قلبي عن ربي بأنه قال» أو «تأخذون علومكم من ميت عن ميت، ونأخذ علومنا من الحي الذي لا يموت». وتكثر الأحاديث القدسية المملوءة بالخيالات والصور الفنية مثل أحاديث الإسراء والمعراج. وتكثر الأحاديث المباشرة بين الله والرسول بالإضافة إلى الأحاديث القدسية التي يختمها جبريل. ومن ثم تتفاوت مستويات الحديث بين الحديث الذي يتناقله الرواة الأحياء، وأحاديث الرسول في المنام عند الصوفية، والرؤية الصادقة إحدى درجات النبوة، والأحاديث القدسية التي يحملها جبريل بنصها إلى الرسول كمستوى متوسط بين القرآن والحديث، والحديث المباشر بين الله والرسول في حوار مباشر أو بين الله والأنبياء أو بين الله والملائكة. وكلها لا دليل عليها، ولا يمكن التحقق من صدقها. كلها سمعيات. والسمعيات ظنية لأنها ليست متواترة ولا دليل عقلي عليها. وتقل الإسرائيليات لكثرة غيرها ولعدم الحاجة إليها. الروايات هي الغالبة. وذكر أسانيد الأقوال أسوة بعلم الحديث. فلم تكن المدونات أي أعمال الصوفية قد كثرت أو ذاعت أو سهل الحصول عليها من المشرق والمغرب. ومع ذلك تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية، وتزيد الأحاديث النبوية على الأشعار العربية[2].

---

(1) اللفظ الرباعي: المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة.

(2) الآيات (149)، الأحاديث (119)، الأشعار (92).

الباب الثاني

الوعي النظري

أولاً: مقدمة ـ تطور الوعي النظري

الوعي النظري هو استمرار للوعي الموضوعي ولكن بتجاوز موضوعات التصوف الأخلاقي، الرذائل والفضائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال إلى التصوف النظري الخالص الذي يعرض نظريات الله والعالم والإنسان، المحاور الرئيسية في الأنساق الفلسفية.

ويعرض الوعي النظري تاريخ التصوف من خلال بنيته. فالوعي النظري أقرب إلى الوعي الموضوعي منه إلى الوعي التاريخي. وتتوارد الخواطر مع باقي الصوفية من أجل الوصول إلى نفس الموضوعات وكأن التصوف بنية مستقلة عن الصوفية والباحثين في التصوف. ويصعب الاختيار في الوعي النظري بين الوصف البنيوي خارج تطوره أو الابقاء على تطور الوعي النظري لمعرفة كيفية تكونه أو الجمع بين الاثنين، البنية من خلال التطور في حالة التشكل، والتطور من خلال البنية في حالة التكوين.

وكما طغت الفلسفة على علم الكلام المتأخر في الكلام الفلسفي كذلك طغت على التصوف المتأخر في التصوف الفلسفي سواء من الطبيعيات أو الإلهيات أو حتى المنطق كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي. فمن الطبيعيات نظرية العناصر الأربعة، ومن الإلهيات نظرية الفيض[1].

ويتطور الوعي النظري في التصوف الفلسفي على عدة مراحل. أولاً من

(1) استعمال العناصر الأربعة لتفسير آية ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾، الفتوحات جـ1/ 156.

المعرفة إلى الوجود عن طريق العلم اللدني والكشف حيث تكون المعرفة أحد إشعاعات الوجود.

ثانياً نشأة المصطلح الفلسفي نشأة ثانية بعد «الرسالة القشيرية»، وتحول العلم إلى مصطلحات وألفاظ بعد أن فقد دفعته الأخلاقية الأولى وقفزته النفسية الثانية.

ثالثاً التركيز على نظرية التفسير أو التأويل. فالتصوف قراءة للنص الأول للوحي، القرآن، الخروج منه والعودة إليه، وتحويل النص إلى تجربة ذاتية، وطاقة موحية.

رابعاً الأشكال الأدبية المختلفة للتصوف. فالتصوف إبداع أدبي من حيث الشكل، وروحي من حيث المضمون: وهي: الشعر، النثر الفني، الحكم، القصة الرمزية، السيرة الذاتية، السؤال والجواب. . . الخ.

خامساً الشروح والملخصات والتعليقات، قراءة لنصوص سابقة وإعادة مضغ الإبداع الأول لابتلاعه من جديد مثل جمل الصحراء، يقتات على ذاته، ويتغذى مما تغذى به من قبل.

سادساً تناثر البنية وتفرعها وتشعبها وتشتتها في مواضيع جزئية عديدة، لا تربطها قسمة ولا تحتويها رؤية.

ثانياً: من المعرفة إلى الوجود.

وهو التحول الرئيسي في نظرية المعرفة في التصوف، من «المعارف العقلية» إلى «الرسالة اللدنية» بتعبيرات الغزالي. وهذا هو الفرق بين علوم النظر وعلوم الذوق. علوم النظر استدلال وعلوم الذوق كشف. في علوم النظر الوجود معرفة، وفي علوم الذوق المعرفة وجود.

وقد حدث هذا التحول عند الغزالي (505هـ)، ثم السهروردي (587هـ)، ثم ابن عربي (638هـ)، ثم ابن سبعين (669هـ)، ثم ابن عطاء الله السكندري (709هـ)، ثم عبد القادر الجيلاني (هـ)، ثم الكاشاني (730هـ)، ثم صدر الدين الشيرازي (1050هـ)، ثم النابلسي (1143هـ)، ثم مصطفي البكري (1162هـ)، ثم أبو الهدى الصيادي (1328هـ)، ثم عنقاشاه الأويسي.

وبالرغم من أن التبويب عن طريق أعلام الصوفية ليس هو التبويب الأمثل، إلا أن السبب في ذلك هو ارتباط التصوف بتجارب كبار الصوفية. فالصوفي هنا تعبير عن مرحلة، ومؤشر على اتجاه.

1 ـ رسائل أبو حامد الغزالي(505هـ).

أ ـ «الرسالة اللدنية»[1]: من مكونات العلم النظري نظرية المعرفة كما تبدو في العلم اللدني. وكما يدل العنوان، موضوعها العلوم الكشفية. وقد كتبت رداً على من أنكر العلم اللدني وأثبت فقط علوم الفقه والتفسير والكلام. وهي تحصل بالتعلم والتفقه[2]. وهي نفس المادة التي في «المنقذ من الضلال». ويتأسس العلم اللدني بشرح النفس والروح موطني المعرفة على الإطلاق والتي بها ما يسمى بالعلم اللدني. كما تبين قسمة العلوم إلى شرعي وعقلي. والشرعي عقلي والعقلي شرعي مثل التوحيد والفقه، وأن العلم العقلي مركب من العلمين السابقين، وهو علم الصوفية وأحوالهم. كما تبين طرق التحصيل، التعلم الإنساني والتعلم الرباني، والتصوف من النوع الثاني. والطريق الرباني إما من الخارج بالتعلم كالأنبياء أو من الداخل بالتفكر كالأولياء. وللنفوس مراتب في تحصيل العلوم أعلاها النفس الناطقة، وأدناها النفس المريضة. ويتم تحصيل العلم اللدني بتحصيل العلوم ثم الرياضة والمجاهدة ثم التفكر. وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[3]. ففي الكشف غناء عنه.

ب ـ «مشكاة الأنوار»[4]: وهو كتاب يعرض أيضاً نظرية المعرفة الكشفية

(1) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت) ص97-122.

(2) «اعلم أن واحداً من أصدقائي حكى عن بعض العلماء انه أنكر العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة وينتمي إليه أهل الطريقة. ويقولون إن العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم. وحكي أن ذلك المدعي يقول بأني لا أقدر على تصوير علوم الصوفية، ولا أظن أن أحداً في العالم يتكلم في العلم الحقيقي من فكر ورؤية دون تعلم وكسب. فقلت كأنه ما اطلع على طرق التحصيل. وما درى أمر النفس الإنسانية وصفاتها وكيفية قبولها لآثار الغيب وعلم الملكوت. . .»، الرسالة اللدنية ص 97.

(3) الآيات (22)، الأحاديث (12).

(4) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت) ص182-227.

ورمزها النور تفسيراً لآية النور المشهورة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾. وسبب تأليف الرسالة هو سؤال عن تفسير آية النور والتشبيه بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة واعتماداً على حديث يستعمل نفس التشبيه على نحو الاختصار وعلى طريقة الإشارة إلى «اللوامع واللوائح والسوانح»(1). فالنور هو الله، والله نور. يرى بالعين كما يرى بالعقل. فالمعرفة لعالم الشهادة وعالم الغيب على حد سواء. ويبين الغزالي سر التمثيل ومنهاجه ومراتب الأرواح البشرية مثل الروح الحساس والخيالي والعقلي والفكري والقدسي النبوي التي تقابل المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، وقدرة الروح الخيالي، والطائفة المحجوبة بنور وظلمة أو بمحض الأنوار. وألفاظ الأقسام دالة منها: دقيقة، حقيقة، إشارة مساعدة(2). وهو نور حقيقي. ويطلق على غير الله مجازاً. والمحجوبون عن الخلق ثلاثة: بالظلمة وهم الملاحدة، وبالنور المحض مثل الأنبياء والأولياء والواصلين، وبالنور المقرون بالظلمة مثل عبدة الأوثان، والمجسمة والمشبهة مثل الكرامة. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الحديث ثم الشعر(3). ولا تعتمد على أقوال الصوفية السابقين بل يكتفي بالتجربة الشخصية. ولا تذكر الإسرائيليات اكتفاء بالتجربة الذاتية دون اللجوء إلى تاريخ الأنبياء. ويحيل الغزالي إلى باقي كتبه مثل «المقصد الأسنى» لبيان وحدة مشروعه(4).

جـ - **«شرف العقل وماهيته»**(5): وهو دفاع عن العقل العملي الأخلاقي وليس العقل النظري مناط الفلسفة والمنطق. وهو استمرار لما وصفه المحاسبي في

---

(1) «فقد سألتني أيها الأخ الكريم . . . أن أبث إليك أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بما يشير إليه ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية. . مع قوله عليه السلام «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجه كل من أدركه بصره. . . فلا أشح عليك بالإشارة إلى لوامع ولوائح الرمز إلى حقائق ودقائق. . فاقنع بإشارات مختصرة وتلويحات موجزة. .»، مشكاة الأنوار 182-183.

(2) دقيقة (6)، حقيقة (4)، إشارة، مساعدة (1).

(3) الآيات (45)، الأحاديث (9)، الأشعار (3).

(4) مشكاة الأنوار ص196.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 1986م-1406هـ.

«شرف العقل وماهيته» والفارابي في «معاني العقل»[1]. وينقسم قسمان: بيان حقيقة العقل وأقسامه، وبيان تفاوت النفوس في العقل أي اختلاف الناس فيه. وتسبقهما مقدمة نقلية خالصة. والعقل أربعة معان. الأول ما يفارق به الإنسان والحيوان. والثاني العقل البديهي الفطري في إدراك الممكنات والمستحيلات. والثالث العقل التجريبي والعالم بمجرى العادات والأحوال. والرابع العقل الأخلاقي الذي تعرف به عواقب الأمور. ويعتمد على الأدلة النقلية أساساً، الحديث ثم القرآن ثم الحديث القدسي دون الشعر أو الإسرائيليات[2]. والقرآن هو الذي يؤيد الحديث. وتتوالى الأدلة النقلية تباعاً في زخات ثم تأتي الأدلة العقلية بعد ذلك[3]. ويستعمل أسلوب الاعتراض والرد عليه مسبقاً بطريقة «إن قيل...». ولا يذكر من الصوفية إلا المحاسبي[4].

د ـ **«كيمياء السعادة»**[5]: وتبين الرسالة الطريق إلى السعادة عن طريق معرفة النفس ومعرفة القلب وعجائبه[6]. وهي الكمياء الباطنية القلبية وليست الكيمياء الظاهرية الطبيعية. ومعرفة النفس والقلب والروح موطن السعادة. والنفس كالمدينة، والقلب ملكها، والعقل وزيرها، وللقلب عسكره. وفي جلد ابن آدم أربعة أشياء: الكلب والخنزير والشيطان والملك. الخنزير رمز الشهوة. والكلب رمز الغضب، والشيطان رمز الشر، والملك رمز الخير. ويظهر الوافد في اللا شعور المعرفي بقسمة قوى النفس إلى الشهوية والغضبية والعاقلة وهي العلم. وتعتمد على القرآن والحديث فقط دون الشعر أو الإسرائيليات[7]. الشهوة والغضب خادمان للنفس. وتنتهي الرسالة باختيار العلوم الذوقية. والسعادة القصوى في معرفة الله[8].

---

(1) الباب الأول: تشكل الوعي التاريخي، الفصل الأول. وأيضاً: من النقل إلى الإبداع مجـ2، التحول، جـ1.

(2) الأحاديث (22)، الآيات (17)، القدسية (1).

(3) شرف العقل وماهيته ص 58-60/ 66-67.

(4) السابق ص 58، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م (5) ص121-142.

(5) مجموعة رسائل الإمام الغزالي،.

(6) معرفة النفس، كيمياء السعادة ص 73-80. معرفة القلب وعسكره ص80-86. عجائب القلب ص 86-92.

(7) الآيات (14)، الأحاديث (4).

(8) عجائب القلب ص 92-95.

2 ـ أعمال شهاب الدين السهروردي(587هـ)

والسهروردي أيضاً مثل الغزالي بين الفلسفة والتصوف. و«اعتقاد الحكماء» في الفلسفة و«حكمة الإشراق» في المنطق، و«التلويحات اللوحية والعرشية»، و«المشارع والمطارحات» في الفلسفة الإلهية والطبيعية، «وهياكل النور»، في نظرية الفيض. أما «مقامات الصوفية» فهي أدخل في التصوف النفسي لأنها في المقامات التقليدية. في حين أن قصة «الغربة الغريبة» تدخل ضمن القصص الصوفي[1].

أ ـ «حكمة الإشراق»[2]: وهو كتاب بين علوم الحكمة وعلوم التصوف. ينقد المنطق الصوري الأرسطي ويضع منطقاً إشراقياً جديداً. لذلك يدخل في الحكمة النظرية في علم المنطق. كما يدخل في الوعي النظري في علوم التصوف[3]. ولفظ «إشراق» جامع بين الفلسفة الشرقية ومنطق المشرقيين وحكمة الإشراق[4]. وفيه يبدو التحول من المعرفة الصورية إلى المعرفة الإشراقية ثم التحول من المعرفة الإشراقية إلى الوجود ونور الأنوار كما هو واضح أيضاً في «هياكل النور». وينقسم قسمان: الأول في ضوابط الفكر لنقد المنطق الصوري في المعارف و التعريف أي التصورات، وفي الحجج ومبادئها أي في التصديقات. ويبدو النقد صراحة في المقالة الثالثة «في المغالطات وبعض الحكومات بين أحرف إشراقية وبين بعض أحرف المشائين، وهدم قواعد المشائين»[5]. والثاني في الأنوار الإلهية ونور الأنوار ومبادئ الوجود وترتيبها والفيض والميعاد والنبوات والمنامات. في الظاهر يبدو المنطق صورياً وهو في الحقيقة نقد للمنطِق الصوري ومقارنة بينه وبين المنطق الإشراقي، ويستعمل بعض الألفاظ الإشراقية لوصف الكون مثل «لذيذ».

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة، النظرية فصل 1 المنطق.

(2) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2 ص14-46، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2000.

(3) لم يدخل في «من النقل إلى الإبداع» مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة النظرية، الفصل الأول، المنطق. أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فإنها في علوم الحكمة دفاعاً عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها. شهاب الدين يحيى السهروردي: مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2، ص 262-272.

(4) السابق ص46-105.

(5) السابق ص 183.

وفي المقدمة تُصنف الناس إلى مراتب في التأله والبحث بين المتوغل والمتوسط والضعيف والعديم بين الحكيم والطالب أي الشيخ والمريد. ولا تُذكر كل الاحتمالات. لا تُذكر إلا خمسة احتمالات بالنسبة للحكيم وثلاثة احتمالات بالنسبة للطالب. والحقيقة أن الاحتمالات ثمانية عشر بالنسبة للباحث. وتتقطع الفقرات بألفاظ إشراقية مثل قاعدة، قاعدة الإشراقيين، نكت إشراقية(1). ويعتمد على القرآن والحديث النبوي والقدسي. الشعر وبيت واحد(2). ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدته(3). كما يحيل إلى «التلويحات اللوحية والعرشية» لبيان وحدة المشروع، كما يخاطب القارئ بلفظ «فافهم». فالكتاب دعوة للتبليغ(4). أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فهي أقرب إلى علوم الحكمة، لأنها دفاع عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها(5).

وحكمة الإشراق أكثر التيارات الصوفية النظرية اتصالاً بالوافد ويأتي في المقدمة أفلاطون ثم انباذقليس وهرمس ثم أرسطو وأغاذيمون وسقراط ثم فيثاغورث واسقليبيوس(6). ومن الفرق المشاءون، المتقدمون، الحكماء

(1) فصل (34)، قاعدة (15) حكومة (9)، قاعدة الإشراقيين، ضابط، إيضاح آخر (2)، دقيقة، قاعدة واعتذار، قاعدة أخرى إشراقية، نكت، نكت إشراقية، فصل إجتماعي، فصل تفصيلي، إبطال، شك، تصنيف، إجمال آخر، طريق آخر تفصيلي، وارد آخر، سؤال، جواب (1).

(2) الآيات (11)، القدسية (2)، الأشعار (1).

(3) حكمة الإشراق ص27/ 171.

(4) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2/ 262-272.

(5) الاحتمالات الخمسة بالنسبة للباحث هي:
1- التوغل في التأله العديم البحث.
2- العديم التأله المتوغل في البحث.
3- التوغل في التأله والتوغل في البحث.
4- التوغل في التأله الضعيف في البحث.
5- العديم التأله التوغل في البحث.
والاحتمالات ثلاثة بالنسبة للطالب:
1- طالب التوغل في التأله والتوغل في البحث.
2- طالب التأله (بلا درجات).
3- طالب البحث (بلا درجات).

(6) أفلاطون (9)، هرمس، انباذقليس (3)، أرسطو، أغاذيمون، سقراط (2)، فيثاغورث، اسقليبوس (1).

الأقدمون[1]. ومن الموضوعات المُثل الأفلاطونية. كما يظهر الوافد الشرقي الفارسي شعوباً مثل الفرس والعرب، وديانات مثل المجوس وحكماء الفرس أو أعلاماً مثل زرادشت وبوذا سيف وكيخسرو وجاما سف وفرشا وشتر وبرزجمهر وماني[2]. وتذكر بعض الألفاظ الفارسية مثل الاسفهيد[3]. ومن المورروث لا يظهر أحد من الصوفية المسلمين بل يظهر الأنبياء ثم المشرقيون[4].

ب ـ **«مقامات الصوفية»**[5]: والعنوان خادع. فهو ليس في المقامات بل في الجزء الثاني منه في مصطلحات الصوفية ومنها المقامات والأحوال[6]. في حين أن الجزء الأول في موضوعات «هياكل النور»، الجسم والنفس والعقل وأحكام العقل للثلاثة والواحد والفلك والمعاد والنبوة[7]. وهو الأكبر. يضم أربعاً وعشرين فصلاً بلا عناوين ولا أرقام. الفصلان الأخيران فقط في مصطلحات الصوفية. والأخير فقط هو الذي يتصدره عنوان «في شرح بعض مصطلحات الصوفية». لذلك يمكن تصنيفه في التحول من المعرفة إلى الوجود مثل «هياكل النور» وباقي أعمال السهروردي أو في «فن المصطلح». وكلاهما في الوعي النظري. وسبب التأليف هو إجابة على سؤال عن مقامات الصوفية. وكانت الإجابة هو هذا التحول من المقامات النفسية إلى المقامات الوجودية واللفظية مع البرهنة عليها وإيجاد نسق لها[8]. وهي غير ألفاظ أهل الحقيقة في العلوم البرهانية وهي علوم «حكمة

(1) المشاءون (3)، المتقدمون (2)، الحكماء الأقدمون، أساطين الحكمة، المثل الأفلاطونية (1).

(2) الفرس (2)، حكماء الفرس، المجوس، العرب، العجم، زرادشت، كيخسرو، بوذاسيف.

(3) الاسفهيد، حكمة الإشراق/ 205-206/ 216/ 227.

(4) الأنبياء، المشرقيون (2)، الإسلاميون، الكاملون، الأولياء، متقدمو الحكماء ومتأخروهم (1).

(5) دار المشرق، بيروت ط2، 2002م.

(6) السابق ص63-85.

(7) السابق ص 22-62.

(8) «فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني إسعافك في تحرير كلمات مومئة إلى الحقائق، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم، وما استروحوا إليه من المعارف وعلم القلب والروحانيات، وما فوقها وما دونها. وثبت ما يفتقر إلى البرهانية على سرد مضبوط ونسق مطبوع من غير كثير من تتبع الاصطلاحات أصحاب الحقيقة في العلوم البرهانية. =

الإشراق». والخطاب موجه إلى القارئ بالتوصية بتقوى الله وتشبيه الحقيقة بالشمس[1]. ثم تبدأ المقامات الوجودية بمعنى مراتب الوجودية بمعنى مراتب الوجود بداية بالإدراك والتصور وقسمة الحقيقة إلى بسيطة ومركبة والفرق بين الوجود في الأذهان والوجود في الأعيان والجسم والحركة المتناهيان والعناصر الأربعة وميل الأجسام. ثم يأتي الوعي بالذات لتحليل الجسم والبدن ثم أحكام العقل الثلاث والانتقال إلى واجب الوجود ومعشوقات الأفلاك والأشكال الرياضية وأمور المعاش والمعاد والمعرفة الإلهية والغائية في الحياة الإنسانية وحاجة العالم إلى صانع. ثم تبدأ المصطلحات بداية بمعنى الكلمة وكمالها والمبادئ حسب الطاقة البشرية والتجرد بحسب القدرة واستيلائها على البدن. والألفاظ أقرب إلى الفضائل. باستثناء الصبر[2]. ثم تتبعها عبارة واحدة عن الرذائل دون تحديدها باعتبارها مقللة للفضائل أي سلب لها[3]. ثم تأتي ألفاظ الصوفية في الفصل الأخير تحت العنوان الوحيد «في شرح بعض مصطلحات الصوفية»[4]. بعضها في المقامات مثل الزهد والصبر والشكر والتوكل، وبعضها في الأحوال كالخوف والرجاء، والتواجد، والقبض، والرضا، والمحبة والشوق والبسط، والجمع والفرق، والغيبة والسكر والصحو، والهيبة والأنس، والفناء. والبعض في الطريق

= فبادرت إلى إجابتك وقربت ما يقع علم الاصطلاح إلى فهمك، نازلاً إلى مقدار قوتك. وليعذرني أبناء الحقيقة على استعمال ألفاظ بازاء معاني خصصناها هنا. فإن المقصد واحد» مقامات الصوفية ص 21-22.

(1) السابق ص 22-25.

(2) هي23 لفظاً: الخُلق، العدالة، العفة، الشجاعة، الحكمة، الفطنة، البيان، إصابة الرأي، الحزم، الصدق، الوفاء، الرحمة، الحياء، عظم الهمة، حسن العهد، التواضع، القناعة، السخاء، الصبر، الحلم، سعة الصدر، كتمان السر، الأمانة، السابق ص63-65.

(3) «ويقلل هذه الأشياء الحقد والحسد، وسرعة الانتقام، والشتيمة، والنميمة، والغيبة، وإذاعة السر، وضيق الصدر، والخيانة، السابق ص66.

(4) وهي 47 مصطلحاً: المقام، الحال، الخاطر، خاطر الشيطان، خاطر النفس، خاطر الملك، خاطر الحق، الخواطر الرديئة، التوبة، الإرادة، المريد، الخوف، الزهد، الصبر، الشكر، التوكل، المعرفة، عالم الجبروت، عالم الملكوت، عالم الملك، المحبة، الشوق، الوجد، التواجد، البسط، القبض، النفحات، اللوائح، السكينة، الجمع، التفرقة، الغيبة، السكر، الصحو، الهيبة، الأنس، التوحيد، المكاشفة، المشاهدة، الوقت، الفناء، العارف، السكينة، المعرفة، المجذوب، الاتصال والامتزاج، السابق ص66-85.

مثل المخاطر، والإرادة، والمريد، والمعرفة والنقمات واللوائح والتوحيد والمجذوب والاتصال والامتزاج. والبعض ما زال في الأخلاق مثل السكينة والمكاشفة والمشاهدة والوقت والبعض في الوجود منها عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. ومن أعلام الصوفية يتقدم الحلاج ثم الجنيد ثم الشبلي والبسطامي والنوري وابن الجلاء وأبو طالب المكي[2]. ويُحال إلى بعض الأعمال الصوفية مثل «الطواسين»، و«قوت القلوب». ويحيل السهروردي إلى مؤلفه السابق «حكمة الإشراق» للتأكيد على وحدة المشروع. وتذكر بعض الفرق غير الإسلامية مثل اليهود والمجوس والفرس. ومن اليونان يذكر أفلاطون. ومن الأنبياء المسيح، مما يدل على انفتاح التصوف على الثقافات المجاورة شرقاً وغرباً.

جـ ـ «المشارع والمطارحات»[3]: وهي من نفس عناوين «المواقف والمخطابات» و«الإشارات الإلهية» و «الشطحات» وهو أيضاً في العلم الثالث أي الإلهيات دون المنطق والطبيعيات. ولكن هذه المرة يعتمد على التحليل النظري الخالص وليس البلاغة اللغوية. والمشرع من شراع أو مركب، مرتبة الوجود، والمطرح ما يفيض من المراتب: ويتكون من سبعة مشارع. الأول في العلم الكل. وهو ما يعادل المنطق ولكن منطق الوجود وليس منطق التصورات. والثاني تقاسيم الوجود وما يتعلق بها من أمور عامة منها الوفرة والكثرة، والكلي والجزئي، والممكن والواجب والعلة والمعلول كما هو الحال في نظرية الوجود في علم الكلام المتأخر[4]. ويبدو التصوف على استحياء في الفصل الأخير «في أثر الأمر الوجداني»[5]. والرابع في «واجب الوجود». ويبدو الأسلوب الصوفي في «الإشارة إلي»[6]. والخامس في فعله وإبداعه. والسادس في الجود والغنى ومبادئ الوجود

(1) الآيات (43)، الأحاديث (7)، القدسية (3)، الأشعار (5).

(2) الحلاج (5)، الجنيد (4)، الشبلي، البسطامي، النوري، ابن الجلاء، أبو طالب المكي (1).

(3) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (3) ص194-506، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2000م.

(4) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الرابع: نظرية الوجود.

(5) المشارع والمطارحات ص 386.

(6) السابق ص 386.

وحركات الأفلاك وترتيب الوجود والخير والشر وهي نظرية الفيض. والسابع في الإدراك وواجب الوجود والمفارقات وبقاء النفس والسعادة أي الأمور والمعاد، وهي نفس مادة «هياكل النور»، والمقاومات. ويعلن السهروردي صراحة أن الكتاب جزء من الحكمة النظرية وليس العملية[1].

ويتبع أسلوب السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». وتذكر أقوال دون نسبتها إلى أصحابها. فالمهم القول وليس صاحبه[2]. وتوضع بعض الألفاظ الاشراقية في بدايات الفقرات كعناوين مثل «بحث»، «فصل»، «نكتة». . . الخ[3]. كما يظهر لفظ «قسطاس» الذي استعمله الغزالي من قبل. ونظراً لطول الكتاب، فهو أطول مؤلفات السهروردي، كثرت به عبارات الإحالات إلى أجزاء الكتاب تقديماً أو تأخيراً[4]. وتستعمل بعض عبارات البرنامج ككل، وعبارات أخرى للإيجاز دون التطويل. وسبب التأليف الاستجابة لاقتراح أحد الإخوان أن يكتب كتاباً جامعاً لكل ما كتب من قبل على طريقة المشائين. وهو تأليف يعتمد أيضاً على التجارب الذاتية. فلا فرق بين النظر والذوق، بين العقل والقلب. وهو

---

(1) السابق ص 196.

(2) «ذكر في الكتب» (4)، «ومن الناس»، «قالوا» (2)، «وقد ظن قوم»، «قيل في الكتب»، «ما يذكره هؤلاء» (1).

(3) بحث وتعقب (9)، بحث وتحصيل (7)، بحث ومقاومة، بحث وتحقيق (4)، بحث وتخصص، فصل، نكتة، بحث وتذكير، بحث آخر، تمهيد وبحث، بحث وإشارة (1). مما سيأتي بعد ص 464. وسنبين أيضاً أن مذهب التناسخ باطل ص463.

(4) حوالي (30)مرة مثل «وقد آن أن نذكر المقولات العشر. ونذكر ما قيل فيها ونسامح في الحكاية عن القوم في الحصر في أكثر المواضع. ثم نذكر بعض ذلك تلخيصات ومقاومات في الحصر وغيره»، المشارع والمطارحات ص221. وسيأتي الكلام فيما بعد ص257. وأما التحقيق فسنذكره ص 272. والتفصيل الذهني سنشرحه ص 342. وأما الكلي فسنذكر حاله ص 377. وقمته الكلام في الغاية، ستأتي فيما بعد ص 385. أما السلبي فسيأتي فيه البحث» ص 403. سنذكره ص 442، وهي ما ذكرنا في أوائل المنطق من هذا الكتاب ص 295. وإنا قد أشرنا إلى هذا فيما سبق ص296، وقد ذكرنا طرفاً في أمور تتعلق في هذا الفصل في مواضع متفرقة بحسب الحاجة فليطلب ص 302. «والذي بسطنا القول فيه ص 368 مما أشرنا إليه فيما سبق ص 387. وقد علمت هذا الفصل من فصل سابق ص 399. قد أشرنا إلى. . . ص 408.

مشروع واحد مع «حكمة الإشراق» و «التلويحات»[1]. فليس كل العلم في الكتب. فهذا يطول[2]. وصل الفلاسفة والصوفية إلى نفس الشيء مع إختلاف المنهج. وظن الفلاسفة أن كل اسم يوناني هو اسم فيلسوف فاستحسنوا فلسفة اليونان[3]. فلا فرق بين المشائين والاشراقيين. يبحث السهروردي عن الحقيقة لا عند المشائين ولا عند الإسلاميين ولا عند الصوفية، حقيقة أصيلة حاول الكل الاقتراب منها[4]. لا يستطيع المشاءون الحديث عن الصور المشاهدة[5]. وقد يصل الأمر

(1) «هذا كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة حررته بحكم افتراضكم عليّ يا اخواني. وأوردت فيه مباحث وضوابط لا توجد في غيره من الكتب نافعة جداً مخرّجة مشحذة من تصرفاتي. ولم أخرج مع هذا عن مأخذ المشائين كثيراً وإن كنت قد أودعته. نكتاً ولطائف توحي إلى قواعد شريفة زائدة على ما يورد منها. ومن أنصف وجده بعد تأمل كتب القوم وافياً بما لم يف غيره به. من لم يتمهر في العلوم البحثية فلا سبيل له إلى كتابي الموسوم بحكمة الإشراق. وهذا الكتاب ينبغي أن يُقرأ قبله وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات. وإنا لا نراعي الترتيب ههنا. ولا نلتزم في بعض المواضع بموضوع علم. بل غرضنا فيه البحث وإن تأدّى إلى قواعد من علوم متفرقة. فإذا استحكم الباحث في هذا النمط فليشرع في الرياضيات المبرقة بحُكم الغيم على الإشراق حتى يعاين بعض مبادئ الإشراق ثم يتم له مباني الأمور. وأما الصور الثلاثة المذكورة في حكمة الإشراق... فهي علم لا تعطي إلا بعد الإشراق. وأول الشعور في الحكمة هو الانسلاخ عن الدنيا. وأوسطه مشاهدة الأنوار الإلهية، وآخره لا نهاية له. وسميت هذا كتاب «المشارع والمطارحات»، المشارع والمطارحات ص 194-195.

(2) حكمة الإشراق (7)، التلويحات (5)، المشارع والمطارحات (2).

(3) «الذي يطول في الكتب»، التلويحات ص 393.

(4) «وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الإسلام، ومالوا إلى الأمور العقلية. وما كانت لهم أذكار سليمة ولا حصل لهم ما حصل للصوفية من الأمور الذوقية، ووقع بأيديهم مما نقل جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم كانت أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة. فظن القوم أن كل اسم يوناني لاسم فيلسوف. فوجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا عليها وفرعوها رغبة في الفلسفة. وانتشرت في الأرض وهم فرحون بها. ومنهم جماعة من المتأخرين وخالفوهم في بعض الأشياء إلا أن كلهم إنما غلطوا بسبب ما سمعوا أسامي يونانية لجماعة صنفوا كتبا يتوهم أن فيها فلسفة، وما كان فيها شيء منها فقبلها متقدموهم، وتبعهم فيها المتأخرون. وما خرجت الفلسفة إلا بعد انتشار أقاويل عامة يونان وخطبائهم وقبول الناس لها»، المشارع والمطارحات ص205-206.

(5) «وإنما انتصبنا لنيابة الأقدمين ههنا لوجوه. منها أن نتبين للباحث في أثناء البحث الحق في أحد الجانبين. ومنها أن كلام المشائين مشهور. وقد بسطنا وبسط غيرنا القول في مواضع كثيرة. وليس من الإنصاف طرح حجج أحد المتخاصمين بالكلية. ومنها أن جماعة =

لتصحيح الخطأ والتنبيه على الخلط وبيان استحالته درجة السب والشتم كما حدث لأبي البركات البغدادي. لذلك تظهر عبارات «وهذا فيه خلط»، «وهو محال»، «فيه شك»[1]. لا فرق بين الحكماء المتألهين مثل فيثاغورث والإشراقيين[2]. والحقيقة

= أزروا على الأقدمين أو زعموا أنهم استراحوا إلى مطالبهم جزافاً، وأن غفلتهم عن مثل هذه الاصطلاحات لجهلهم، وأن دعاويهم وحججهم لا تقبل التسمية حتى امتنعوا عن إطلاق اسم الحكمة عليهم. ومن أدرك العلوم الشريفة المعظمة المخزونة عرف أن مثل هذه الأشياء لا يضر الجهل بها. كيف وأن أقاويلهم لا تقصر في المتانة عن أقاويل غيرهم. وإن قالت طائفة من المشائين إنما نسمي بعض الأعراض سوراً فلا يمنع الحكماء هذا، كيف ومنهم من يسمي جميع الأعراض سوراً»، السابق ص 292. «وأما الكلام في الصدر والأمور التي تتراءى لأرباب المشاهدات فلا نسلم للمشائين الكلام فيها فإنه لم يسلك منهم إلا القليل والذي سلك منهم كان سلوكه ضعيفاً. ومن سلك عن أستاذ متأله أو بتأييد قدسي غريب، وإن كان قل ما يقع، فسيعرف أن المشائين غفلوا عن عالمين عظيمين، ولم يدخلا في أبحاثهم قط، وأن ما وراء ما ذكروا أشياء أخرى»، السابق ص 496.

(1) «ولما نأتي لمثل هذا المجنون القذر الاتيان بمثل هذه الهذيانات القبيحة لأنه لم يكن للحكمة في الأرض سياسة قائمة. وفي ما قد مضى من الزمان كان لها سياسة. وكان القوم الذين يتكلمون فيها أكثر عنايتهم بالمشاهدات الروحانية والأمور العلوية الرفيعة. وما كان يتمكن من الكلام فيها والتصرف إلا لمن ظهر تأييده من آثار الأنوار القدسية وتجرد عن صحبة الرياسات الدنيوية. وسبب انقلاع الحكمة عن الأرض أكثره كان ظهور طائفة من المتفلسفة وتطويلهم في الأقاويل التي اشتغل الناس بها عن الحكمة وقدحهم في من كان أفضل منهم وأعلم من الأقدمين. وسعى جماعة في قلع العلوم عن بابل وفارس وغيرهما من النواحي فأصلحوا أشياء حسنة مهمة وأفسدوا ما هو أحسن منها لأمر قدره الله سبحانه وتعالى. فأصبح المنتسبون إلى الحكمة غافلين عن أسرارها. وانقطع النور عنهم. وإذا انقطع النور عن طائفة بالكلية يزول هيبتهم وسلطانهم ويستند لهم النفوس. أما ترى آثار القدماء وهيبتهم في النفوس واطلاعهم على عجائب الأشياء، من المصطلحات ولطائف طرائق السلوك وآثار النفوس وغيرها، بقوة سلوكهم وضعف هؤلاء وعجزهم والصغار الذي عليهم واشتغالهم بملاذ الدنيا؟ ومتى يصفو الفكر لمحبي الدنيا؟ ومتى يتأهل للعلوم المخفية وهدايا الملكوت، وهو في ظلمات شواغل الدنيا حيران؟ فهؤلاء طردهم الله من بابه. ولا تظنن أنه يصل إلى المحل الأعلى إنسان وليس له ملكة شروق الأنوار العلوية. وما وراء هؤلاء إن كانوا أخياراً فمن المتوسطين وإلا فمن الأشقياء. ولولا جسارة الرجل المذكور وشدة إقدامه في حق الباري على مثل هذه الأشياء وفي أمهات المسائل على خلاف البرهان ومذهب التوحيد للخاصة والعامة ما قدحنا فيه هذا القدح. فإن المُباحث بعد أن كان بشريا ليس بعجب منه الخطأ. وأما رفض الحق الصريح بالوسواس فلا يُعذر عليه» السابق ص 437-438.

(2) السابق ص373/ 375/ 406/ 410.

أن حكمة فارس وبابل ويونان والإشراقيين، حكمة واحدة[1]. نهل بعضها من بعض عبر التاريخ دون أثرة أو استئثار[2]. ويبدو أن «حكمة الإشراق» هي الأساس الذي بنى عليه السهروردي مشروعه إذ يحيل إليه دائماً[3]. يوحي بها في آخر المشارع والمطارحات[4]. لذلك يحال إليه دائماً[5].

(1) «هكذا يجب أن يعتقد من ليس له قوة الارتقاء إلى ما ظهر لنا بتأييد الله في حكمة الإشراق. ومن أرتقى أدرك فيه أموراً شريفة فإن فيه عبرة للعالمين وبلاغا للفاضلين لمن أبصر واستبصر وتفكر»، السابق ص 453.

(2) «وهذا صاحب النوع للنار هو الذي سماه الفرس أرديهشت. فإن الفرس كانوا أشد مبالغة في أربات الأنواع حتى أن النبتة التي يسمونها هوم التي تدخل في أوضاع نواميسهم يقدسون لصاحب نوعها ويسمونه هوم إيزاد. وكذا لجميع الأنواع. وهرمس وأغاثاذيمون وأفلاطون لا يذكرون الحجة على إثباتها بل يدعون فيها المشاهدة. وإذا فعلوا هذا ليس لنا أن نناظرهم. وإذا كان المشاءون في علم الهيئة لا يناظرون بطليموس وغيره حتى أن أرسطو يعوّل على أرصاد بابل ويونان وغيرهم. كلهم ادعوا المشاهدة في هذه الأشياء. فالرصد كالرصد والأخبار كالأخبار. وتأتّي التوسل بالرصد الجسماني كتأتي التوصل بالرصد الروحاني، والندرة كالندرة، السابق ص 460.

(3) «وأما الذي أعتقده أنا في هذه المسألة فهو مذكور في كتابي المسمى «حكمة الإشراق». ولا يتأتى أن أذكره ههنا صريحاً. فإن غرضي في هذا الكتاب إذا فُتش لا يخلو من قرة أعين وكنوز أخفيت تحت ستر رفيق. فإن لم يجدها البليد فما لنا ذنب. وأما المشتغل المباحث فيلتقط منه المحكمات ويظفر منه بما لم يطمع منه وما أطمعناه فيه. وأجود ما يعتمده فيه الباحث قبل البحث عن حكمة الإشراق الطريقة التي ذكرناها في «التلويحات» مما جرى بيني وبين الحكيم إمام الباحثين أرسطاطاليس في مقام «جابرص» حين تكلم في شيخه، وهو أن يبحث الإنسان أولاً في علمه بذاته ثم يرتقي إلى ما هو «أعلى» السابق ص483-484.

(4) «ولولا انقطاع السير إلى الله في هذا الزمان ما كنا نفشم ونتأسف هذا التأسف. وهو ذا قد بلغ سني إلى أقرب من ثلاثين سنة. وأكثر عمري في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع. ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها. أوصيكم إخواني بالانقطاع إلى الله والمداومة على التجريد. ومفتاح هذه الأشياء مستودع في كتابي «حكمة الإشراق». ولم نذكره في موضع على ما ذكرناه هنا لك. وقد رتبنا له خطاً يخصص حذاراً لأذعته. على أن هذا الكتاب وإن لم يعرف المبتدئ قدره يعرف الباحث المستبصر أني ما سُبقت إلى مثله. وفيه مواقف مخفية. وآخر وصيتي الاعتصام بحبل التوحيد والإشراق»، السابق ص 505-506.

(5) حكمة الإشراق (7)، التلويحات (5)، المشارع والمطارحات (2).

ومن الوافد يذكر المشاءون ثم الأقدمون والقدماء ثم الحكماء والفلاسفة[1]. ومن الفلاسفة يتقدم أرسطو بطبيعة الحال ثم أفلاطون وانباذوقليس ثم أغاذيمون ثم سقراط[2]. والكرامات قاصرة على أهل الأنوار دون المشائين[3]. ومن الوافد الشرقي يذكر الفرس[4]. ومن الموروث يتقدم المتأخرون ثم الصوفية والفلاسفة[5].

د ـ **«التلويحات العرشية واللوحية»**[6]: وهو العلم الثالث فقط أي الإلهيات من مشروع أعم للحكمة كلها منطقية وطبيعية وإلهية طبقاً لقسمة ابن سينا. والاسم غريب. يدل لأول وهلة على أن صاحبه يقرأ من لوحات عرشية مثل «اللوح المحفوظ». وينقسم بعد المقدمة عن المنطق إلى أربعة موارد ومرصد عرشي. تحول المقدمة المنطق من منطق التصورات والتصديقات إلى منطق الوجود[7]. الورد الأول واجب الوجود والثاني المبادئ والغايات، ترتيب الموجودات وأحوالها اعتماداً على نظرية الفيض[8]. والثالث في التجرد عن المادة والإدراك والعناية والقضاء والقدر أي في الإنسان[9]. والرابع في النبوات والآيات والمنامات أي في أمور المعاد[10].

---

(1) المشاءون (14)، الأقدمون القدماء (7)، الحكماء (4)، يونان (2)، بعض المتقدمين، الفلاسفة، الحكماء الأول (1).

(2) أرسطو (7)، أفلاطون (4)، أنباذقليس (3)، أغاذيمون، فيثاغورث (2)، سقراط، هرمس، بطليموس، سقليبوس (1).

(3) «وأما المشي على الماء والهواء، والوصول إلى السماء وطي الأرض فإنما يكون لجماعة من السالكين بشرط أن يكون النور الواصل إليهم على العمود في مدن الشرق الأوسط. وإنما يكون على طريق السالكين. وينتهي إليه المتوسطون من السلاك. وأما الفضلاء فلا يلتفتون إليه. ولا نعلم في شيعة المشائين من له قدم راسخ في الحكمة الإلهية أعني فقه الأنوار»، المشارع والمطارحات ص 503.

(4) المتأخرون (11)، الصوفية، الفلاسفة، أصحابنا الإشراقيون، الإشراقيون، المحصلون، بنو أمية (1)، ومن الفرق غير الإسلامية النصارى (1).

(5) صاحب البصائر (السادس)، أبو البركات البغدادي (2)، صاحب الشفاء.

(6) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (1) ص2–121، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2000م.

(7) التلويحات ص2–33.

(8) السابق ص33–54.

(9) السابق ص 55–95.

(10) السابق ص 95–104.

أما المرصاد والعرش فإنه تأصيل للإشراق عند اليونان خاصة[1].

يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو الإسرائيليات[2]. ومع ذلك يسود التحليل العقلي. ويستعمل ألفاظاً افتتاحية للفقرات يغلب عليها الإشراق كما يفعل صدر الدين الشيرازي (1050هـ) بعد ذلك مثل: رمز أو طريق عرشي، دعامة أو نكتة شرعية ...الخ[3]. كما يستعمل لفظ «القسطاس» من مصطلحات الغزالي. والأسلوب هو السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على الوافد أكثر مما يعتمد على الموروث لأنه أحد الحكماء والصوفية في آن واحد. فهو أقرب إلى تمثل الوافد قبل تنظير الموروث[4]. يأتي المعلم الأول في المقدمة مع ألقاب التعظيم الأخرى مثل «غياث النفوس وأحكام الحكمة» ثم أفلاطون الإلهي، عظيم الحكمة، وهما الحكيمان العظيمان ثم هرمس، ثم فيثاغورث ثم أرخوطس وفرفوريوس وانباذقليس وأغاثاذيمون[5]. ومن أسماء الفرق المشاءون الحكماء ثم الفلاسفة والحكماء. ومن الوافد يتقدم الشيخ المجدد، بعض الكبار، أفضل المتأخرين وهي ألقاب ابن سينا ثم البسطامي والتستري، ومن أسماء الفرق الإسلاميون وبعض الإسلاميين من الصوفية، والصوفية والمجردون من الإسلاميين، وفلاسفة الإسلام وصاحب التوحيد[6]. ويحيل إلى «المبدأ والمعاد» لابن سينا لبيان ارتباطه بالإشراق وإلى «المشارع والمطارحات» للمؤلف نفسه لبيان وحدة مشروعه[7].

---

(1) السابق ص 105-121.

(2) الآيات (35).

(3) فصل (26)، ضابط، رمز (طريق) عرشي (4)، طور (3)، فايدة، قرينة، طريق (2)، خاتمة وإشارة، مخلص، ضابط جامع، دعامة عرشية، نكتة عرشية، حكاية ومنام (1).

(4) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول، جـ2، الفصل الثاني.

(5) المعلم الأول (9)، أفلاطون (7)، هرمس (3)، فيثاغورث (2)، أرخوطس الفيثاغوري، فرفوريوس، أغاثاذيمون، انباذاقليس (1)، الحكماء (4)، المتقدمون الكهنة (2)، الفلاسفة والحكماء، المشاءون، القدماء (1).

(6) ابن سينا (3)، البسطامي، التستري (1). الإسلاميون، فلاسفة الإسلام، بعض الإسلاميين من الصوفية الصوفية والمجردون من الإسلاميين، صاحب التوحيد، المحصلون، العامة (1).

(7) التلويحات ص 59/ 69.

هـ ـ **«المقاومات»**[1]: وهو أيضاً في العلم الثالث وحدة الإلهيات، وليس في العلمين الأولين، المنطق والطبيعيات. وهو مختصر لكتاب «التلويحات» أو ملحق له لإصلاح فلسفة الأولين والذي لم يتح في «التلويحات»، مع التركيز الشديد. وهذا هو معنى «المقاومات» أي نقد المشائين، بالرغم من إعجاب المؤلفين بالمتقدمين الأولين والحكماء الأسلاف[2]. وإذا كانت الغاية هو التجديد والإصلاح والنقد للفلسفة المشائية فلماذا تعظيم الأقدمين؟[3]. وكيف يجتمع التجديد مع التقليد؟ ويصرح بالرأي الخاص مثل إثبات الطباع[4]. ويعطي نصائح للشارح أي المؤول لفلسفة المشائيين[5].

والكتاب غير مقسم إلى أبواب أو فصول. بل يعطي مسائل كلامية فلسفية نظرية مجردة لا يظهر التصوف فيها إلا بين السطور مثل الجوهر والعرض، والتقدم والتأخر، والجنس والفعل، والكيف والكم، والزمان والمكان، والوجود والقدم والهيولي والصورة. وهي مسائل بين المنطق والطبيعيات مثل «المقدمات» النظرية في علم الكلام[6]. ويغلب عليها طابع التجريد. ولا يُدرك التأويل الصوفي إلا بين

(1) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (2) ص124-192، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2000م.

(2) «هذا مختصر يجري من كتابي الموسوم «بالتلويحات» مجرى اللواحق. وفيه إصلاح ما يحتاج إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه إرسالاً ولم يتيسر إيراده في «التلويحات» لشدة إيجازها. فلم يكن يلايمها ما يحتاج إلى أقَلّ بسط. والإيجاز في مواقع تدارك السهو في العظميات لا يفيد. فأوردناه ههنا مضموماً إليه نكتاً مشهورة. وسميته «المقاومات»، المقاومات ص124.

(3) «واعلم أنه لو أراد الله بأبناء الحكمة خيراً ردهم إلى طرائق أسلافهم في مشاهدة الأنوار، والصعود إلى السماوات، والاتصال بالعلويات، وركوب الأفلاك، ومعانقة السيد، ونقّص عنهم المقالات في المعقولات، وزادهم التمهد، وشيِّم البارقات، وخلّع الحواشي، وترك مثل هذه هواجس الوسواس»، المقاومات ص 147-148. «خذها بيضاء مشرقة تتلألأ بالحقائق نتائج فكر من بالغ في المعاد وأمعن في النظر ولم يقنع بوهم التقليد، وبغض اللوثة في سبيل الحق بمقدار ما ساعده الزمان»، السابق ص192.

(4) السابق ص 134.

(5) وعلى الشارح ألا يستعمل المجازيات، لا ما يؤخذ عنه المجازيات، السابق ص 139.

(6) من العقيدة إلى الثورة جـ1، المقدمات النظرية. الفصل الأول: نظرية العلم، ص141-409. الفصل الثاني: نظرية الوجود، ص411-626.

السطور. وكيف يتحول التصوف النظري إلى هذا الطابع المجرد والتصوف تجربة ذاتية حية؟ ويُستعمل أسلوب السؤال والجواب، ومخاطبة القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على اقتباسات دون ذكر مصدرها أو أصحابها. وهي في الغالب ابن سينا نموذج المشائين عند السهروردي وصدر الدين الشيرازي. يُكتفى بلفظ قالوا. . «على العموم» أو «على ما يذكرون»[1]. وتظهر عبارات التقديم من أجل إظهار وحدة الموضوع. وتظهر بعض ألفاظ تقديم الفقرات مثل قاعدة وفصل ونكتة[2]. كما يستعار لفظ قسطاس من الغزالي دون الإشارة إليه[3]. ولا يعتمد على قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو إسرائيليات. يعتمد فقط على تحليل العقل الخالص. يحيل إلى الوافد أكثر مما يميل إلى الموروث كما هو الحال في التأليف في علوم الحكمة، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث[4]. من الوافد يعتمد على افلاطون ثم انباذقليس والمشّائين وبعض المتقدمين والأقدمين[5]. ومن الوافد يظهر صاحب البصائر (الساوي)، العمل وليس المؤلف، وبعض المتأخرين، ومن المتأخرين، والجمهور[6]. ويحيل إلى باقي مؤلفاته مثل «التلويحات» و «المطارحات» و «حكمة الإشراق»[7].

و ـ **«هياكل النور»**[8]: ويمثل العمل أيضاً التحول من المعرفة إلى الوجود. وهو بين الفلسفة والتصوف لما به من نظرية الإشراق ونظرية الفيض، والنور رمز معرفي ووجودي في آن واحد. هو إشراق في النفس ومراتبها بين العلم والجهل، ومراتب الوجود بين النور والظلمة. الهيكل هو الجسم. وهناك سبعة هياكل: الأول الجسم، والثاني النفس، والثالث الجهات العقلية الثلاثة، الواجب والممكن

---

(1) المقاومات ص 131/ 114/ 145/ 148.

(2) قاعدة (6)، فصل (3)، نكتة (1).

(3) المقاومات ص 162.

(4) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول جـ2 التأليف، الفصل الثاني: تمثل الوافد قبل تنظير الموروث.

(5) أفلاطون (2)، أنباذقليس (1)، المشاءون، بعض المتقدمين، الأقدمون (1).

(6) صاحب البصائر (الساوي) (2)، بعض المتاخرين، ومن المتأخرين، الجمهور (1).

(7) التلويحات (3)، المطارحات (2)، حكمة الإشراق (1).

(8) المكتبة التجارية الكبري، القاهرة 1377هـ– 1957م.

والمستحيل والعلة والمعلول وهي أحكام العقل الثلاثة عند المتكلمين والفلاسفة تحولت إلى جهات للوجود. كما أن العلة حكم عقلي ووجودي في آن واحد. والرابع واجب الوجود وفعله تحولا من الذات والصفات والأفعال عند المتكلمين إلى واجب الوجود عند الفلاسفة. ويثبت عن طريق إثبات النفس الناطقة[1]. وهو واحد ولا يصدر عنه إلا الواحد. هو النور الإبداعي الأول. والجواهر العقلية وسائط وجود الأول. وتتكاثر العقول بتكاثر الإشراقات في العقل الفعال. وتتوقف جميع الممكنات على وجود الواجب مما يثير قضية قدم العالم وأزليته، والخامس إثبات الحركة الدورية والإرادية للأفلاك وأنها سبب الحركات الحادثات، وأنها لها نفوس وعقول فائضة عن الأول، وإثبات الأجرام السماوية وكما لها طبيعتها الأثيرية الخامسة، وأن الشمس مثال الله الأعظم، وهو تشخيص الكون وإسقاط النفس عليه كما هو الحال عند إخوان الصفا في أن الإنسان عالم صغير وأن العالم إنسان كبير. والسادس مفارقة النفس البدن إلى عالم النور. والسابع النبوات. وهو طريق تصاعدي ارتقائي من النفس إلى الله ثم يهبط في نظرية الفيض وصدور العقول والموجودات عن واجب الوجود. يقوم على التحليل العقلي الخالص. ولا يستشهد بالقرآن إلا مرة واحدة[2].

3 ـ «مراتب الوجود وحقيقة كل موجود» للجيلاني (562هـ)[3]

ويدل على التحول من المعرفة إلى الوجود، من العلم بالله إلى ثمرة أعمال أهل الحقيقة، والتميز بين علم اليقين وعَين اليقين وحق اليقين، ومطالعة كتب الحقيقة أفضل من أعمال السالكين. يدل على أن العلم بالوجود أفضل من مجرد السلوك. ومن عرف الموجود عرف الموجد[4].

ومراتب الوجود أربعون ابتداء من ذات الله، وهو الغيب المطلق إلى الوجود المطلق إلى الواحدية إلى الظهور الصرف إلى الوجود الساري. وأسماء الوجود

(1) وهو ما قرره أيضاً أوغسطين وأنسليم وديكارت في الدليل الانطولوجي على وجود الله في الفلسفة الغربية الوسيطة والحديثة.

(2) وهي آية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، هياكل النور ص 79.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (2) ص37-62.

(4) السابق ص 47/ 51.

الربوبية والمالكية. والأسماء والصفات النفسية دلالات عليها مثل الأسماء، الجلالية والجمالية والفعلية. ومن تجليات الوجود عوالم الإمكان والعقل الأول والروح الأعظم والعرش والكرسي وعالم الأرواح وعالم الطبيعة المجردة ثم الهيولى والهباء والجوهر الفرد والمركبات وعناصرها والنبات والحيوان. ثم تأتي الأفلاك العشرة، ثم الأثير والمأثور والمستأثر، ثم الإنسان وفائدة معرفة النفس. تتخللها حكايات بعض الحكماء والمجانين. وتتخللها نظريات الإنسان الكامل والقاموس الأعظم وأخلاق الأنبياء[1]. وكثير منها يستمد من علوم الحكمة. وفي كل فلك نبي[2]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[3]. ولا يذكر من الصوفية إلا الجنيد وأحمد الرفاعي[4]. وتُحال إلى عدة كتب للمؤلف أو لابن عربي[5].

4 ـ «الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية» للفخر الرازي(606هـ)[6]

وهي أقرب إلى الفلسفة الإشراقية أو علم الكلام الإشراقي. تضم عشر مقالات. الأولى والثانية في المنطق والمعقولات. ومن الثانية حتى الخامسة في نظرية الذات والصفات والأفعال. ومن السادسة حتى العاشرة في الطبيعيات،

(1) «وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها في ديباجة هذا الكتاب حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه لترغب في تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها حيث كانوا. فإن الرجل منهم قد يفيدك ما لا تفيدك الكتب كلها في العمر كله لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها. وكم بين فهمك وفهمه. ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها. فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها. فإنك تحصل بذلك على مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك»، السابق ص40.

(2) إبراهيم في زحل، وموسى في المشتري، ويحيى في المريخ، وإدريس في الشمس، ويوسف في الزهرة، ونوح في عطارد، وآدم في القمر.

(3) الآيات (16)، الأحاديث (3).

(4) الجنيد، الرفاعي (1).

(5) من مؤلفات الجيلي: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، شمس ظهرت لبدر قرحي، القاموس الأعظم والناموس الأقدم (3)، الإنسان الكامل (2)، بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم، حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق (2)، قطب العجائب فلك الغرائب، ومن مؤلفات ابن عربي «الفصوص».

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2002 (1) ص11-97.

أحوال الأجسام وصور الأفلاك وأركان العناصر وعلم النفس وعلم الهيئات.

5 ـ «كتاب الشاعر» لصدر الدين الشيرازي (1150)[1]

كله في نظرية الوجود وأحكامه وإثبات حقيقته وأقواله. وفيه مشاعر. ويذكر الرازي أحياناً في كتب التصوف باعتباره صوفياً. فبين الفلسفة الإشراقية والتصوف أواشج قربى في نظرية المعرفة، المعرفة الإشراقية أو في نظرية الوجود، نظرية الفيض.

6 ـ «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين كبري(618هـ)

ولم يقتصر التحول من المعرفة إلى الوجود. على النص الصوفي العمدة بل ظهر ايضا في المؤلفات الصوفية الجزئية مثل «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين كبري .إذ تتناثر الموضوعات. وتغيب الفصول والأبواب أو تحضر دون أن تقدر على احتواء المادة المتناثرة[2] ويبرز التحول من المعرفة إلى الوجود في العنوان. فالكون جمال يفرح، وجلال يفتح[3]. وداخل كل فصل موضوعات يتكرر بعضها تدل على غياب النسق وتكرار المشاهدات للكون[4]. توصل بينها بمشاهدات. لذلك تظهر ألفاظ: وصل، معاينة، معاينات، مشهد، مشاهدات عروجية، طبقات للمشاهدة. وكلها رموز وجودية، مراتب الوجود. يكشف الوجود نفسه في إشارات وعلامات ووقائع وكونيات وشجرة اليقين. وأشكالها الأدبية حكايات غريبة وروايات ومسائل وخواطر وتفاسير، ومحاضر ربانية وكتب الغيب، وإجمالات وتفصيلات وأسرار الحروف وصيحات الهاء وتسميات غيبية. والمنهج هو الطريق والاختبار الروحي، والمجاهدة والذكر ونيرانه والذوق والاستغراق والسير والجذب والهمة والخطوة والخير، والبداية من القلب والقليب، ومراتب النفس. والترقي في المقامات والأحوال في الوقت. ويتقدم مقام المحبة والعشق والشوق وأحوال الأنس والحزن والمقامات غير المحدودة والفناء. ثم

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2002 (2) ص 101-142.

(2) هناك خمسة فصول: 1- تبديل الذوق. 2- في الاستغراق. 3- ما الفرق بين الحال والمقام والوقت؟ 4- الجمود والخمود في طريق القوم. 5- في اسم الله. 6- مشاهدات كونية.

(3) الجمال والجلال مصطلحان صوفيان قبل استعمال كانط لهما في العصور الغربية الحديثة.

(4) عناوين هذه الموضوعات من وضع المحقق.

تظهر الحقائق الصوفية والأنوار والاسم الأعظم، اسم الله، وكلام الله. ثم تظهر الكرامات على الأولياء وخرقة الصوفية وتزاور الأرواح في عالم الأقطاب والأبدال والأوتاد. فالتصوف بداية ووسط ونهاية. ويغيب النظر والعمل. ويظل التصوف نظرياً خالصاً. ينكشف الوجود في الوجد، وتتخلق الأشياء في المواجيد، وتظهر المعارف في الأذواق. ويصعب التحقق من ذلك كله إلا في الأبنية العقلية الخالصة، الملأ الأعلى أو الواقع الحسي أو في التجارب الإنسانية العامة.

ويكشف تحليل تكرار المفردات عن نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. إذ يتقدم لفظ سيار وهو سالك الطريق أو النجم. وكل شيء يتحرك «من . . . إلى». ثم تأتي ألفاظ الطريق مثل الذكر والهم من القلب والخلوة إلى الغيب والسر والاسم الأعظم حتى الفناء والاستغراق. وتظهر الفاظ الكون مثل الدوائر والأركان وآبار الطبيعة والاستواء (البروج وبروج البروج) جبل قاف والجدي، والزهرة وذكر الوجود وظلام الوجود وعالم الحدوث والقدم وعطارد والمشتري والقوس وتظهر بعض الألفاظ الوافدة مثل«سفسطي» أي سوفسطائي، وشونيزية وهو لفظ فارسي ونرفانا وهو لفظ هندي. وتظهر المقامات مثل التوكل والأحوال مثل الخوف والرجاء، والحزن والسكر. ولما كانت فوائح الجمال وفواتح الجلال ليست مجرد خيالات فإنها تشير إلى وقائع وأماكن محدّدة مثل الإسكندرية وبلاد المغرب وكربلاء[1].

(1) سيار (46)، ذكر (أذكار) (24)، همة (17)، غيب (غيبة) (16)، قلب (14)، فناء (13)، خلوة (12)، سر (أسرار)، عالم الشهادة، مشاهدة، مقام، هيبة (11)، الاسم الأعظم (10)، استغراق الدوائر (9)، حال (أحوال)، خاطر (خواطر) (8)، أنس (7)، حجاب (حجب)، عشق، قبض، موت (6)، بصيرة، تلوين، الخوف (والرجاء)، ذوق، مجاهدة، نفس، نور (أنوار)، واردات (5)، أركان، أسرار الحروف، بقاء، تمكين، حضور، حيرة (تحيّر)، عالم الغيب،مخاطر، نفس لوامة، هوية (3)، إحسان، إخلاص، الهام، أيام الله، إيوان، تجلي، تصرف، تكليف، تكوين، جمعية، جمود، حزن، صمود، روح القدس، سكر، سماع، الشونيزية، شيخ الغيب، صعق، عرفان، كرامات، ندم، نفس أمارة، واقعات، ورد، يد الهمة (2)، آبار الطبيعة، إجابة الدعوة، إحضار، أرباب القلوب، أربعينية، استهلاك، استواء، أغيار، بروج، بروج الوجود، تجريد، تسليم، تفرقة، تغريد، تفويض، توحيد، توكل، تولي، جبل قاف، الجدي، الجذب، جمعية الجمعية، جنون، جوع، الجوع الكلبي، حضرة، حضرة الهوية، حق اليقين، حلولي، حواس، =

ويعتمد التحول من المعرفة إلى الوجود على الآيات والأحاديث دون أشعار[1]. مع أن التجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان. ومن أعلام الصوفية يتقدم الجنيد صاحب التجارب والشطحات التي تكشف أسرار الكون ومعاني الوجود. ويظهر الرسول والتستري، واستفتين ونيفشه ويوناق والحلاج صاحب الشطحات والسهروردي صاحب إشراقات. وكلاهما يتجهان نحو الوجود. وكبار المحبين مثل سحنون ورابعة والأنبياء مثل يوسف وموسى وعيسى ومحمد أصحاب مواجيد ووجد ووجود[2].

7 ـ مؤلفات ابـــن عربـــي(638هـ)

أ ـ **«الفتوحات المكية»**[3]: والفتوحات «مثل» الموافقات «علامة فارقة في تاريخ كل علم، علوم التصوف وعلوم أصول الفقه». ففيه حدث التحول الفعلى من التصوف النفسي إلى التصوف الفلسفي. ومن النفس إلى العالم، ومن الداخل إلى الخارج، ومن الذات إلى الكون، ومن المعنى إلى الحرف، ويشمل العديد من الموضوعات الفلسفية مثل العقل الأول، والنفس الكلية، ونظرية الفيض. وكان ابن مسرّة هو أول من أسس التصوف النظري الذي ينتسب إليه ابن عربي. ونظراً

= الغيب، حواس القلب، خرابات، خرقة الصوفية، خلع العذار، ذكر الوجود، رابطة، رقباء الغيب، زحل، الزهرة، سَبَل، سفر، سفسطي، سفينة، سكينة، سهيل، شطح، الصفقة، طيار، ظلام الوجود، عالم الحدوث، عالم القدم، عامي، عبادة، عبودة، عبودية، عربدة، عرش الشيطان، عصمة، عطارد، علم التعبير، علم اليقين، عين اليقين، فراسة، قدرة، القدم والحدوث، القوس، كشف الغطاء، كيمياء، لسان الحال، اللّعل، مجذوب، المحو والإثبات، مرابطة، مراقبة، مرآة القلب، مرقعة، المشتري، القدم، منطق الطير، ميزان، ميزان الغيب، نرفانا، نفخ الصور، ميزان الشيطنة، النيران المذمومة، نيران الهوى، نية، هيمان، وهم، يد القلب (1).

(1) الآيات (64)، الأحاديث (30).

(2) الجنيد (8) التستري، الرسول (3)، استفتين، الحلاج، الزبير، السهروردي (أبوالنجيب)، عمار (البدليسي)، عيسى، قنطرون، يوناق (2)، أبو بكر الواسطي، أبو الجناب، أبو الحسين، النوري، إسرافيل، عزرائيل، نيفشه، الحافظ السلفي، الحضرمي، رابعة، سحنون، موسى، يوسف (1).

(3) دار صادر، بيروت (طبعة مصورة) (د.ت).

لسيادة هذا التحليل النظري تغيب التجارب المشتركة خاصة مع القارئ. وبالتالي يصعب إيجاد البراهين على صدق التحليلات العقلية خاصة إذا كانت الموضوعات متعالية تند عن الحس مثل الحديث عن الكواكب والأفلاك.

يبدو التصوف النظري وكأنه لا صلة له بالواقع، مجرد تأملات وخيالات كبديل عن الواقع الفعلي، أبنية نظرية في الهواء وصور ذهنية من صنع الخيال أو الوهم على عكس التصوف الأخلاقي المطابق للسلوك الفاضل، والتصوف النفسي المطابق للتجارب الإنسانية العامة.

وإذا كان «الإحياء» قد أقام التصوف على قسمة رباعية: عادات ومعاملات، ومهلكات ومنجيات فإن «الفتوحات» أقامه على قسمة سداسية: المعارف، المعاملات، الأحوال، المنازل، المنازلات، المقامات[1]. «المعارف» هي نظرية العلم التي يبدأ بها كل علم، الكلام أو الفلسفة أو الأصول، بالإضافة إلى بعض مسائل في الفقه. موضوع المعرفة هو الروح، ومراتب الحروف والحركات والكلمات، وسبب بدأ العالم خاصة الروحاني ومراتب الأسماء الحسنى وأسرار البسملة والفاتحة، والأقطاب، والإشارات والخواطر والقيامة أي تقريباً كل شيء فلا حدود لموضوعات المعرفة[2]. يضاف إليها بعض مشاكل الفقه التقليدية كالطهارة وأسرار الصلاة والزكاة والصوم والحج[3]. ثم يضاف موضوع ثالث وهو معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهدة عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة. وهي تأويلات باطنية لمائة وخمسين سؤالاً لا يعرف إجابتها إلا أهلها مثل عدد منازل الأولياء وأهل القربة ومنتهاهم ومجالسهم وأحاديثهم ومناجاتهم، والخاتم والرسل والملك والروح والأنبياء[4]. وهو أكبر الأقسام الستة[5].

والثاني «المعاملات». وهو الرابع من حيث الحجم[6]. ويضم موضوعات

---

(1) السابق جـ1/ 11-30.

(2) السابق جـ1/ 31-328.

(3) السابق ص 329-763.

(4) السابق جـ2/ 2-138.

(5) 855 ص والأبواب 73.

(6) المعارف (855ص)، المنازل (644)، المقامات (488)، المعاملات (241)، الأحوال (189)، المنازلات (118). وتضم 116 باباً.

الأخلاق مع بعض المقامات مثل التوبة والمجاهدة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والخوف والرجاء والحزن والجوع والخشوع أو الغيبة والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والرضا والصدق والحياة والولاية والنبوة والمحبة. ويستعمل لفظ مقام بمعنى عام بحيث يشمل كل شيء بما في ذلك الأحوال مما يدل على إنهاء الفصل التام بينهما كما هو الحال في المرحلة النفسية.

والثالث «الأحوال»[1]. وهو الخامس من حيث الحجم. يضم موضوعات نفسية خالصة بالكشف الصوفي في بداية النفس وهو أطول الفصول[2]. ويتناول موضوعات معرفية خالصة مثل التجلي واللوائح والتلوين والبوادر والهجوم والخواطر والواردات . . .الخ. ثم تبرز الأحوال مثل القبض والبسط، والفناء والبقاء، والفرق والجمع، والرهبة والرغبة، والوجد والفقد، والصحو والسكر، والمحو والإثبات، والقرب والبعد، والحرية والعبودية، كما تضم أيضاً بعض موضوعات الطريق مثل الإرادة والهمة والسفر. هذا الخلط الإيجابي مقدمة إلى تجاوز التقسيمات الصارمة بين المراحل الثلاث، الأخلاقية والنفسية والفلسفية، وبين الأحوال والمقامات وآداب الطريق.

والرابع «المنازل». وهو الثاني من حيث الحجم[3]. وهي درجات إيمان الأولياء والأقطاب والأنبياء حتى المقام المحمدي وعناصر «الحقيقة المحمدية» وعلاقتها بالحضرة الموسوية والعيسوية والنسخ. ومنازل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات تجليات للحضرة المحمدية. وهو من أطول الأبواب تتخلله وصلات[4]. والوصل مصطلح صوفي، ويضم أيضاً «معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود» عدة وصلات أطول[5]. بل إن كل ما في الكون من تجليات قدسية من منبع الحضرة المحمدية[6]. وهنا يتحول تاريخ النبوة إلى تاريخ للتجلي في أشخاص الأنبياء وليس فقط في تطور الوحي طبقاً لحاجات المجتمع ودرجة رقي

(1) الفتوحات جـ2/ 382-570 (80باباً).
(2) السابق ص 390-477.
(3) السابق جـ2/ 571-693جـ3/ 2-522 (114 باباً).
(4) السابق جـ3/ 216-232.
(5) السابق ص360-408.
(6) السابق ص416-449.

الوعي الإنساني. ويكثر الاستشهاد بالكتب المقدسة، التوراة والإنجيل والزبور، دون معرفة مصادرها، الترجمات العربية القديمة أو النصوص الضائعة منها أو الإسرائيليات. ويتحول قصص الأنبياء إلى دورات في التاريخ كما هو الحال في الفكر الإسماعيلي في الأكوار والأدوار.

والخامس «المنازلات». وهو أصغر الأقسام حجما[1]. وإذا كانت «المنازل» للأنبياء فإن «المنازلات» للأولياء، منازلات المعرفة الكشفية والقرب من الحضرة الإلهية. المنزلة وضع إلهي، والمنازلة جهد إنساني، المنزلة كالحال والمنازلة كالمقام.

والسادس «المقامات» وهو الثالث من حيث الحجم[2]. وتعني المقامات هنا أقطاب المحمديين ومنازلهم خاصة الإثني عشر قطباً. لم يعد المقام درجة على الطريق بل شخصاً صاحب منزلة. وكل قطب له آية قرآنية تشير إليه. بل إن الأسماء الحسنى أيضاً مقامات[3].

«الفتوحات» أضخم سفر في تاريخ التصوف، تجميع لكل شيء من الأعمال السابقة في منظومة واحدة لدرجة التطويل مما يدفع إلى التصريح بضرورة الاختصار منعا للتطويل[4]. لذلك قد يصيب القارئ الملل بمتابعة هذا الكم الضخم من التحليلات الدائرية المتشابهة التي لا أول لها ولا آخر والتي يتوه فيها القارئ ولا يعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي؟ وما هي مقاييس الصدق لهذا كله، لهذا التحليل أو ذاك؟ ينتهي الواقع لصالح الخيال، والعالم لصالح الوهم. ومع ذلك يحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدة موضوعه. كما يحيل الكاتب إلى باقي مؤلفات ابن عربي لبيان وحدة المشروع[5]. وهو كتاب ملغز يحتاج إلى تأويل وشرح[6]. لذلك أصبح متنا لعديد من الصوفية الشراح، لعباراته وألفاظه. ووضعت

(1) السابق جـ3/ 523-568 جـ4/ 2-74 (78باباً).
(2) السابق جـ4/ 74-561 (ص488)، (99باباً).
(3) السابق ص 196-325.
(4) يقع الكتاب في أربعة مجلدات تضم 2535 صفحة، 560 باباً. والفصل أصغر من الباب.
(5) وذلك مثل «المبادئ والغايات».
(6) الجرجاني: التعريفات: شرح مصطلحات ابن عربي في الفتوحات المكية.

قواميس خاصة له[1]. بل إن الصوفية بعد ابن عربي لم يخرجوا عنه. واستشهدوا به. وأصبح كتاب «الفتوحات» هو المعين الأول للأعمال الصوفية التالية. يُقتبس منه، ويحذى حذوه.

والآيات القرآنية كشواهد نقلية أكثر من الأحاديث النبوية[2]. ويستعمل القرآن إما مباشرة أو على نحو غير مباشر، بالاستشهاد بالآية أو بإدماجها داخل الخطاب لتقويته من الناحية الأدبية. وتستعمل الآيات الكونية القصيرة ليسهل إدراك هذه الحركة المتبادلة. وتستعمل أكثر من مرة للتعبير عن نفس الحدس وبنفس الشواهد. وتبدو مركزية القرآن حتى يبدو التصوف كله نابعاً منه، وأن العالم كله صدى له، وأن ظواهر الكون تحقق لآياته، وكأن «الفتوحات» ما هو إلا تفسير للقرآن. كما تبدو بعض الأبواب وكأنها شروح على القرآن، وأن الآية هي عنوان الباب[3]. ويبدو النص توتراً بين التجربة الفردية والواقع الاجتماعي. فالنص مجرد إمكانية للقراءة بين أقطاب خارج النص، تجربة القارئ وواقعه الاجتماعي.

وفي الأحاديث النبوية تُذكر الأسانيد مع المتون حتى في هذا الوقت المتأخر الذي بعد فيه العهد عن عصر التدوين واستقرار مدونات علم الحديث. وأحياناً تذكر المتون بلا أسانيد نظراً لأولوية المتن على السند. وتذكر في أكثر من رواية زيادة أو نقصانا[4].

ويستشهد ببعض الحكايات عن الصوفية أكثر من أقوالهم. فالحكاية أكثر جذبا للانتباه وإثارة للخيال. ويمكن تأويلها على عديد من الجوانب.

وإذا كانت علوم التصوف علوما كشفية ذوقية في مقابل الكلام والفلسفة كعلوم عقلية برهانية فالسؤال هو: ماذا عن تأويل القرآن؟ هل هو كشفي أم إلهامي لدني، وما التأويل إلا البرهان على صحته، وهو التأويل النازل أم أنه تحليل

(1) عبد الكريم الجيلي (826): الإنسان الكامل. عبد الغني النابلسي (1143): الوجود الحق والخطاب الصدق.

(2) لا يوجد كشاف في الطبعة الأولى للفتوحات والمصورة من صادر ليسهل تطبيق منهج تحليل المضمون بالنسبة للآيات والأحاديث والأشعار وأسماء الأعلام والأماكن والفرق.

(3) الفتوحات جـ4/ 98/ 194.

(4) السابق جـ1/ 223.

للتجربة الإنسانية صعوداً إلى النص، وهو التأويل الصاعد؟ فالنص له مصدران إلهي وبشري، نازل وصاعد، في الذهن الإلهي وفي النفس البشرية.

وفي «الفتوحات» الرواية المشهورة عن «مقابلة» ابن عربي مع ابن رشد، الأول يشاهد ما يعلمه الثاني، والثاني يعلم ما يشاهده الأول[1]. ومع ذلك تجمع «الفتوحات» أحياناً بين الإلهام والاستدلال، بين التوغل في التأله والتوغل في البحث بتعبير السهروردي في حكمة الإشراق[2]. وكيف تكون «الفتوحات» كشفاً ربانيا ولها مصادر مدونة معلنة وغير معلنة خاصة من «الإشارات الإلهية» لأبي حيان التوحيدي؟.

ويجمع الكتاب بين الظاهر والباطن ولا يعارض بعضهما بالبعض الآخر. كلاهما طريق للوصول إلى نفس الغاية. الأول طريق الفقهاء والمتكلمين والثاني طريق الصوفية والفلاسفة اعتماداً على التأويل. الأول للعامة، والثاني للخاصة وابن عربي ظاهري المذهب الذي كان سائداً في الأندلس منذ ابن داود الظاهري وتلميذه ابن حزم.

ويصعب الحكم على «الفتوحات» هل هو كتاب نثر أولاً ثم الاستشهاد عليه بالشعر أم هو ديوان شعر أولاً ثم شرح نثراً. فكل موضوع يبدأ بالشعر ثم يأتي الشرح بالنثر. وابن عربي شاعر، له ديوانه وأشعاره خارج الديوان. والشعر المذكور على ثلاثة أنواع: الأول شعر ابن عربي ذاته، والثاني شعر آخرين مثل النابغة، والثالث مجهول المؤلف أقرب إلى الشعر المتوارث كالحكم والأمثال.

ويتضح أن التصوف نظرة أشعرية للعالم، وان الأشعرية هي البنية النظرية للتصوف، الله المسيطر على كل شيء، وإرادته نافذة في كل ميدان دون أسباب أو فعل إنساني حر. ومع ذلك يبدو ملل حثيث من الأشعرية ونقد لها لأنها مازالت أسيرة علم الكلام[3]. ويظهر البرهان العقلي في أسلوب الحجاج التقليدي، أسلوب المسائل مثل «المستصفى» وتخيل الاعتراض مسبقاً والرد عليه «فإن قيل. . . قلت»

(1) السابق جـ1/ 153/ 154.

(2) السابق ص 288.

(3) السابق جـ1/ 200.

ودون الاعتماد على الحجج النقلية[1]. والخطاب موجه إلى القارئ، «اعلم أيها الولد»، مع الدعوة له، «هداك الله» مثل أسلوب إخوان الصفا. فالتصوف دعوة للناس.

ويتجلى التحول من المعنى إلى الحرف في «كتاب الحروف» جزء من نظرية العلم «المعارف»[2]. فالحروف هي سبب التجسيم والتشبيه إذا ما فهمت على الظاهر. وهي رموز لها معاني كونية إذا ما فهمت على الباطن. واللغة تحيل على الوجود. والحرف رمز على ظاهرة كونية، الحروف لها حركات وكذلك الكون. ومنها الصغار والكبار وكذلك الطبيعة. وتتعدد اللغات والألسنة. فهناك اللسان الشرقي واليماني والشامي. وهي أقرب إلى اللهجات منها إلى اللغات المستقلة. والألسنة التي تعددت لها حروف.

والقرآن حروف بدليل وجودها في بداية بعض السور مستقلة بمعانيها. كل حرف يشير إلى ظاهرة طبيعية، وهي في نفس الوقت حروف الأسماء الإلهية. لا تخضع للترتيب الأبجدي بل لها منطقها الخاص. وعلم الحروف معروف في الحضارات السابقة المسيحية واليهودية. وقد بأت الخزعبلات داخل التصوف النظري ابتداء من الحروف[3]. وهي الحروف الأبجدية للترتيب أبجدهوز والتي أصبحت موضوعاً للأغاني الشعبية.

(1) السابق جـ1/ 178-180/ 271/ 288.
(2) السابق جـ1/ 51-91.
(3) السابق جـ1/ 190.

أ	ب	جـ	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

وهناك خمسة عوالم: الشهادة، والغيب، والملكوت، والجبروت، والملك. وقد يتصل عالمان كما يتصل حرفان مثل: عالم الغيب والملكوت، عالم الشهادة والجبروت، عالم الغيب والجبروت، عالم الملك والجبروت، عالم الملك والشهادة.

ويتحول علم الحروف إلى علم الأعداد. فكل حرف عدد، وباجتماع الحروف والأعداد تنشأ الحاجة إلى الرسومات البيانية بالحروف والأعداد. وهو ما زال مستمرا حتى الآن في الحركة الإصلاحية عند الكواكبي في «أم القرى» وفي المعتقدات الشعبية في الأحجبة لمداواة المرضى واتقاء الحسد[1].

واللغة تعبير وليست إيصالاً، وتحقيق وجود الذات أكثر منها إيصال حقائق للآخر مثل الفن بوجه عام، والشعر بوجه خاص. ويستعمل الخطاب كل أساليب التعبير في فنون القول مثل الجناس والطباق والسجع، والمجاز والتشبيه والاستعارة، تواصلاً مع الإشارات الإلهية «لأبي حيان التوحيدي». ومع ذلك «الفتوحات» خطاب على خطاب، قول مستقل بذاته عن العقل والواقع، عن المنطق والتجربة، كلام في كلام، بلا هدف كبير واضح بالرغم من القسمة السداسية التي تقوم على القسمة الرباعية «للإحياء» وفي نفس الوقت تقضي عليها لتغيير معاني المصطلحات والأهداف. وبالرغم من الخروج من الإنسان إلى العالم، ومن الذات إلى الموضوع، ومن النفس إلى الكون إلا أن الإنسان ما زال مركزيا في التصوف النظري. وبين الإنسان والطبيعة هناك إحالة متبادلة من الإنسان إلى الطبيعة، ومن الطبيعة إلى الإنسان، من العالم الأكبر إلى العالم الأصغر بمصطلحات إخوان الصفا. والفقه أيضاً إحالة متبادلة بين الإنسان والطبيعة، بين الشرع والكون. ليس مجرد أعمال فردية بل ظواهر طبيعية وحركات كونية.

وهناك أيضاً مركزية النكاح. فالنكاح فعل اتحادي رمزي، محبة وعناق، شوق وقبل، هياج ولقاء، رمز العلاقة المتبادلة بين الإنسان والله. والله ليس في حاجة إلى مثل هذه العلاقة الاتحادية. الله «ينكح نفسه» وبلغة الفلاسفة، الله عقل وعاقل ومعقول، عشق وعاشق ومعشوق.

ويبدأ الانحراف بالعلم نحو الغيبيات والخيالات وتدعيم ذلك بالأحاديث

---

(1) السابق جـ1/ 190/ 260/ 265.

القدسية الطوال التي يحاور فيها الله والملائكة وجبريل والرسول. وبها كثير من الإخراج والفن المسرحي عن القلم واللوح والعرش. في حين أن الغاية من الحديث بيان مجمل أو تفصيل عملي لأوجه الممارسة. والأحاديث القدسية بلا أسانيد ولا مصادر. يكفي أنها تبرهن على الخيالات المطلوبة بصرف النظر عن صحتها.

ويتجه التصوف النظري أكثر فأكثر نحو مركزية مُحمد، والقطب المحمدي، والحضرة المحمدية أو فيما يُعرف في التصوف باسم «الحقيقة المحمدية» منذ ذي النون المصري، وتشخيص الرسالة في الرسول، والمبدأ في الشخص، والنبوة في *النبي، وتحويل الوسيلة إلى غاية، والأداة إلى هدف.*

ويزداد التوجه نحو المعجزات والكرامات وأعاجيب الأفعال وكما بدأ في الطرق الصوفية بعد ذلك. وهناك أيضاً مركزية الحركة في الكون، الحركة المستقيمة، العلو والسفل، والحركة الدائرية. فالعالم متحرك وليس ثابتاً طبقاً للتصور الحركي للعالم على عكس التصور الثابت للمتكلمين والفلاسفة.

وهناك أيضاً مركزية العالم العلوي، عالم الأفلاك، والدورات الفلكية، وحركات النجوم والكواكب. وكلها حركات الروح في الكون. وقد تحول علم الفلك إلى التنجيم الشعبي وقراءة الطالع، وأثر الأفلاك في حياة الناس، ووقوع الحوادث. وقد تضخم هذا العلم في التصوف النظري المتأخر وفي التصوف العملي وتوحد بالثقافة الشعبية والأحجبة والطلسمات والنيرنجيات. ويصاحب ذلك كله الأخرويات وعالم الملائكة والشياطين ومناظر الحساب والعقاب.

ب ـ «فصوص الحكم»[1]: وترتيب «فصوص الحكم» بناء على رؤية الرسول في المنام وفي يده الكتاب. فهو علم نبوي كما أن «الفتوحات المكية» علم إلهي»[2].

---

(1) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت).

(2) «أما بعد فإني رأيت رسول الله صلعم في مبشرة أديتها في العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده صلعم كتاب. فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم. خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به. فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا. فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان. وسألت الله أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع =

فالولاية لا تنقطع. الأولياء ورثة الأنبياء[1]. ثم يضع فصول الكتاب كبرنامج في البداية[2].

والمعرفة الصوفية مكاشفة ومشاهدة ومعاينة[3]. لذلك يحال إلى علوم الذوق. والوجود الذهني هو الوجود العيني. ومع ذلك تعتمد على الدليل العقلي في فهمها وتنظيرها وعرضها[4]. لذلك يبدو الأسلوب نظرياً مجرداً. يغلب عليه البرهان لا الكشف. وتظهر تحليلات الفلاسفة في الطبيعيات والعناصر الأربعة. وتظهر بعض قضايا علم الكلام. ويأخذ ابن عربي الموقف الأشعري بأن الصفات زائدة على الذات[5]. وإذا عجزت العقول عن البرهان فالخيال أقدر من العقل[6]. لذلك تظهر لغة النور والخيال[7]. والعقل والطبيعة، البرهان والتجربة شيء واحد[8]. وتظهر فيه

= ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطق جناني بالإلقاء السبوحي، والنفث الروحي في الروع النفسي بالتأييد الاعتصابي حتى أكون مترجماً لا متحكماً ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي فما ألقي إلا ما يلقى إلي، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به عليّ. ولست بنبي ولا رسول، ولكني وارث، ولآخرتي حارث...»، فصوص الحكم ص6-7.

(1) السابق ص34.

(2) السابق ص26-27.

(3) فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما تم موصول وما تمَّ بائن
لذا جاء برهان العيان فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أعاين
السابق ص 98.

(4) فلا تنظر العين إلا إليه ... ولا يقع الحكم إلا عليه
السابق ص134.
لم يدر ما قلت لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلا من له بصر
السابق ص69.

(5) السابق ص 35.

(6) إذا ما تجلى للعيون ترده ... عقول ببرهان عليه تثابر
ويقبل في مجلى العقول وفي الذي ... يسمّي الخيال والصحيح النواظر
السابق ص88.

(7) السابق ص 118-119.

(8) السابق ص59.

ثنائية الحق. فللحق وجهان. والدين دينان[1]. ولكل شيء ظاهر وباطن، موسى والخضر[2]. التنزيه قيد، والتشبيه تحديد. والأفضل الجمع بين الاثنين[3].

وتظهر الأحوال والمقامات داخل تطور النبوة. المقامات مثل القرب والصبر والمحبة[4]. والأحوال مثل الجمع والفرق[5]. وتظهر بقايا الفقه في أسرار الحج والمسيرة في التشابه بين رضاعة موسى ورضاعة محمد[6].

ويتضمن وصفاً لتاريخ النبوة منذ آدم حتى محمد في سبع وعشرين درجة. كل نبي له درجته أو ماهيته أو دلالة نبوية. فالنبوات فصوص. كل فص نبوة[7]. والتقابل بين الحكمة والنبوة تقابل أدبي سجعي. الحكمة هي الدلالة الباطنية، والنبي كلمة أي وحي ونبوة[8]. ويلاحظ أنه ترتيب زماني. فالوحي يتكشف

---

(1) السابق ص 102-108.

(2) السابق ص35.

(3) السابق ص 32.

(4) فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا وإن قلت بالتشبيه كنت محددا
وإن قلت بالأمرين كنت مسددا وكنت إماما في المعارف سيِّدا
السابق ص 48-49.

(5) جمع وفرق فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر
السابق ص69/ 219.

(6) السابق ص 205/ 268.

(7) وذلك أشبه بفصوص البرتقالة أو الثوم أو الخُص المغلق أو الكرمب أو البصل.

(8) آدم حكمة إلهية تشير إلى وحدة الوجود. وشيث، حكمة نفثية تشير إلى العلم، ونوح حكمة سبوحية تشير إلى التنزية والتشبيه. وإدريس حكمة قدوسية تدل على التنزيه الوجداني، وإبراهيم حكمة مهيمية تعني الحب. لذلك سمي إبراهيم الخليل. واسحق حكمة حقية إشارة إلى تعبير الرؤيا. وإسماعيل حكمة علية تدل على مقام الرضى. ويعقوب حكمة روحية لدينه الروحي. ويوسف نورية لتعبير الرؤيا. وهود أحدية لإعلان الوحدة. وصالح فتوحية لفتح الغيب والكشف عن التثليث. وشعيب قلبية للصفات القلبية. ولوط ملكية لقوته. وعزير قدرية لإيمانه بالقدر. وعيسى نبوية لوحدة الروح والطبيعة فيه. وسليمان رحمانية لجوده وكرمه. وداود وجودية لحكمه السياسي، ويونس سنية لمعجزة الخلاص. وأيوب غيبية لإيمانه بالغيب. ويحيى جلالية لطاعته. وزكريا مالكية لقوته. وإلياس إيناسية لنسبته إلى الملائكة وإدريس. ولقمان إحسانية لإحسانه، وهاورن إمامية لإمامته بني إسرائيل. وموسى علوية لصعوده جبل سيناء. وخالد بن سنان رمز الولاية حمدية لدعوته إلى التوحيد الطبيعي. ومحمد فردية بالحقيقة المحمدية.

تدريجياً عند كل نبي. وهناك تقدم تدريجي في تطور الوحي ومراحله في الكشف عن الحقيقة وهي وحدة الحق والخلق[1].

والحقيقة هي وحدة الحق والخلق. سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها. فوحدة الوجود تتجاوز الحلول والاتحاد[2]. ويتحول الحلاج من الذات إلى الموضوع، ومن الداخل إلى الخارج. تخللت روح الخليل كما تخللت الروح والجسد[3]. ويكون الإنسان والله على التبادل في الحمد والعبادة والمعرفة والغنى والوجود والكلام والإثبات والكون[4]. العبد رب والرب عبد[5].

(1) وهذا ما لاحظه لسنج في كتابه «تربية الجنس البشري» في الجدل بين اليهودية (الموضوع)، والمسيحية (نقيض الموضوع)، والتنوير (مركب الموضوع. وهو الإسلام نظراً للتشابه بين الإسلام والتنوير). انظر ترجمتنا للكتاب، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1977.

(2) يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي لونه ... فيك فأنت الضيق الواسع
السابق، ص89
فإن دان لك الخلق ... فقد دان لك الحق
وإن دان لك الحق ... فقد لا يتبع الخلق
السابق ص125.

(3) قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلا
السابق ص71.

(4) فيحمدني وأحمده ... ويعبدني وأعبده
فيعرفني وأنكره ... وأعرفه فأشهده
فإني بالغني وأنا ... أساعده وأسعده
لذاك الحق أوجدني ... فأعلمه فأوجده
بذا جاء الحديث لنا ... وحقق في مقصده
فنحن له كما ثبتت ... أدلتنا ونحن لنا
السابق ص87-79.

(5) فوقتا يكون العبد ربا بلا شك ... ووقتا يكون الرب عبدا بلا إفك
فإن كان عبدا كان بالحق واسعا ... وإن كان ربا كان في عيشة ضنك
فمن كونه عبدا يرى غير نفسه ... وتتسع الآمال منه بلا شك
ومن كونه ربا يرى الخلق كله ... يطالبه من حضرة الملك والمُلك
ويعجز عما طالبوه بذاته ... لذا ترى بعض العارفين به يبكي
السابق ص92.

والنماذج كثيرة في الحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود من آدم والمسيح ومريم[1]. وهو الحب الذي جمع بين بلقيس وسليمان[2]. وتاتي الذروة في شرح الحديث الشهير «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث:

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهد

السابق ص97.

فهو الكون كله ... وهو الواحد الذي
نام كوني بكونه ... ولذا قلت يغتذي
فوجودي غذاؤه ... وبه نحن نحتذي

السابق ص132.

فالكل منا ومنهم ... والأخذ عنا وعنهم
إن لم يكونوا منا ... فنحن لا نشكُّ منهم

السابق ص160.

فأنت هو بل أنت هو وتراه في ... عين الأمور مسرحا ومقيدا

السابق ص49.

(1) عن ماء مريم أو من نفخ جبرين ... في صورة البشر الموجود من طين
تكون الروح في ذات مطهرة ... من الطبيعة تدعوها بسجِّين
لأجل ذلك قد طالت إقامته ... فيها وزاد على ألف بتعيين
روح من الله لا من غيره فلذا ... أحيا الموات وأنشأ الطير من طين

السابق ص170-171.

فلولاه ولولانا ... لما كان الذي كانا
فإنا أعبد حقا ... وإن الله مولانا
وإنا عينه فاعلم ... إذا ما قلت إنسانا
فلا تحجب بإنسان ... فقد أعطاك برهانا
فكن حقا وكن خلقا ... تكن بالله رحمانا
وخذ خلقته منه ... تكن روحا وريحانا
فأعطيناه ما يبدو ... به فينا وأعطانا
فصار الأمر مقسوما ... بإياه وإيانا
فأحياه الذي يدري ... بقلبي حين أحيانا
فكنا فيه أكوانا ... وأعيانا وأزمانا
وليس بدائم فينا ... ولكن ذاك أحيانا

السابق ص180-181.

(2) السابق ص175-177/ 190-201.

النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة». فالنساء رمز اتحاد الرجل والمرأة، والإنسان والله. والطيب هو الشوق بين الاثنين عن طريق الرائحة. والصلاة هو توحد الاثنين في الثالث، الجامع بينهما[1].

والإنسان هو حقيقة التوحيد بين الحق والخلق. هو خليفة الله في الأرض. يتحول إلى الإنسان الكبير وهو العالم كما هو الحال عند إخوان الصفا: الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير حتى الإنسان الكامل[2]. وهذا هو معني الضحية[3]. وينوب الكبش عن الإنسان في الظاهر طبقاً لحكمة مرتبة. وهو حر في حين كان آدم مقيداً بالعقل والقلادة والإيمان[4].

يعتمد ابن عربي على القرآن والحديث والشعر وبعض الإسرائيليات كمصدر لتاريخ النبوة[5]. كما يستعمل القرآن والحديث كتداعي حر داخل الأسلوب. ويحيل إلى الصوفية السابقين دون تردد كبير مثل، سهل التستري، والشبلي، وأبو سعيد الخراز، والبسطامي، وتقي بن مخلد. ثم يأتي الترمذي وابن مسرّة والغزالي والجنيد، وغيرهم[6]. وينتقد الغزالي[7]. كما يحيل إلى القدماء والمتكلمين والأشاعرة من الفرق[8]. ويحيل إلى الفتوحات التي كتبت قبل «الفصوص»[9].

---

(1) السابق ص217.

(2) السابق ص13/ 132.

(3) فداء نبي ذبح ذبح لقربان ، وأين ثواج الكبش من نوس إنسان
السابق ص81.

(4) فيا ليت شعري كيف ناب بذاته شخيص كبيش عن خليفة صخر
ألم تدر أن الأمر فيه مرتب ، وفاء لأرباح ونقص لخسران
وأما المسمى آدم فمقيد بعقل وفكر أو قلادة إيمان
السابق ص82-83.

(5) الآيات (119)، الأشعار (80)، الأحاديث (13)، القرآن كتداعي حر (12)، القدسي (5)، الحديث كتداعي حر (1)، الإسرائيليات (2).

(6) سهل، الشبلي، الخراز، البسطامي، تقي بن مخلد (2)، الترمذي، ابن مسرّة، الغزالي، الجنيد، أبو القاسم بن قس، قيس بن الحطيم، أبو عبد الله بن القائد، الشيخ عبد الرازق، أابو مدين (1).

(7) فصوص الحكم ص153.

(8) السابق ص74.

(9) السابق ص33/ 224.

جـ ـ رسائل ابن عربي: وتمثل هذه الرسائل نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. فيها تتداخل موضوعات المعرفة والميتافيزيقا والحروف مع موضوعات الخلق والزمان، وموضوعات الجلالة وأخيراً الطريق طبقا للنسق الكلامي الصوفي الفلسفي المعرفة ثم الكون والنبوة ثم الله ونهاية الطريق في التصوف العلمي، ومراسلاته مع صوفية وفلاسفة عصره.

وهي حدوس جزئية مشتقة من «الفتوحات» أو رسائل مستقلة ليست مستلة منها. تتميز بوحدة الموضوع. وبالتالي يمكن عرضها كلها مرة واحدة دون إبراز لخصوصية كل رسالة[1]. ويمكن عرض كل رسالة على حدة للإبقاء على خصوصيتها كوحدة أدبية مما يقضي على وحدتها ويوقع في التكرار. ومع ذلك فالعرض التفصيلي أفضل حرصاً على وحدة منهج التأليف في تكوين مراحل الوعي النظري من خلال النصوص. ويمكن إيجاد حل وسط بين العرض الكلي والعرض الجزئي عن طريق العرض التجميعي لعدد من الرسائل ذات موضوع واحد مثل وحدة الشهود أو وحدة الوجود أو الحروف أو الزمان أو الخلق أو القطب والبدل. . .الخ.

تعتمد أيضاً على الأدلة النقلية. القرآن والحديث والشعر. والقرآن أكثر. ويذكر أكثر من الشعر، والشعر أكثر من الحديث مما يدل على أن تصوف ابن عربي هو نظرية في التأويل، والخروج من اللغة إلى الوجود، فاللغة منزل الوجود بتعبير أحد المعاصرين، ومن الحروف إلى العالم، ومن الكلام إلى الأشياء. كما يعتمد على أقوال الصوفية مثل الحسن البصري والجنيد والسلمي والغزالي والبسطامي والحلاج والمحاسبي، والجيلي، وذو النون وابن عطاء وآخرين من مشايخه.

ومن الفرق يذكر المعتزلة والأشاعرة مما يدل على أن التصوف هو تطوير لعلم الكلام وتحويل «الثيولوجيا» إلى «أنطولوجيا»، والعودة بها إلى علم النفس. وتبدأ كلها بالبسملة[2]. والبعض منها تضيف، «وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(1) مجموعها حوالي مائة رسالة. وهو أعظم مفكر إسلامي إبداعي. فابن سينا تجميعي مفتعل، وابن رشد حرفي مهني، والغزالي سلطاني.

(2) بسم الله الرحمن الرحيم (14).

وصحبه وسلم» أو «به الحول والقوة»، أو «والحمد لله وحده» أو«اللهم بارك وتممه» أو «الله مفتح الأبواب» أو «رب أنعمت فزد»[1].

1 ـ من المعرفة إلى العرفان

أ ـ **«كتاب المعرفة»**[2]: ويضم مائتين وست وتسعين مسألة متفرقة اثنان وعشرون منها بعناوين والباقي بلا عناوين. بعض العناوين آيات قرآنية مثل ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وبعضها أحاديث نبوية. والبعض الثالث أقوال مقتبسة من الغزالي أو بيت شعر، وتضم عدة مسائل موضوعاً واحداً منها النور والظلمة، والتوحيد والمعرفة. ويضم البعض الآخر بعض المقامات مثل الصبر وبعض الأحوال.

وتشمل كل موضوعات الكلام والأحوال والفلسفة والتصوف، أشبه بدائرة معارف للعلوم الإسلامية، وكثير منها ينتهي بالتعبير الأميز عند الصوفية والأشاعرة، «الله أعلم». البنية في مجموعها سيئة مجرد رصد مسائل مرقمة، يمكن إعادة تصنيفها في مجموعات أقل، في أبواب وفصول، لكل منها رأس موضوع. يتخلل بعضها فائدة[3]. يعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. كما يعتمد على أقوال صوفي واحد هو الغزالي وذو النون ثم البسطامي وأبو مدين والجنيد ثم التستري وغيرهم[5]. ومن الصحابة الإمام علي وعكرمة وابن عباس. ومن الأنبياء موسى ورفيقه الخضر ثم مُحمد (رسول الله) وآدم[6]. ومن الفرق، الأشعرية ثم المعتزلة ثم المتكلمون وأهل التحقيق من الصوفيين[7]. ومن الخلفاء المأمون. ومن اللامعيين الإمام. وتقوم بعض المسائل على القسمة العقلية والتحليل النظري[8].

---

(1) «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» (7)، وبه الحول والقوة (4)، والحمد لله وحده (1)، اللهم بارك وتممه (1)، الله مفتح الأبواب (1)، رب أنعمت فزد (1).

(2) رسائل ابن عربي جـ4 (3) ص173-311.

(3) السابق ص 274-276/ 290/ 297-298/ 305/ 309.

(4) الآيات (154)، الأحاديث (21)، القدسية (4)، الأشعار (17).

(5) الغزالي (6)، ذو النون (5)، البسطامي، أبو مدين، الجنيد (2)، التستري، عطاء، الضحاك (1). ومن الصحابة الإمام علي، ابن عباس (1).

(6) الأنبياء موسى (6)، الخضر (3)، مُحمد (2)، رسول الله (3)، آدم (1).

(7) الأشعرية (3)، الأشاعرة (1)، المعتزلة (3)، المتكلمون، أهل التحقيق من الصوفية (1).

(8) كتاب المعرفة ص225/ 230/ 233/ 250/ 252.

ب ـ «**نفائس العرفان**»[1]: وهو في نظرية المعرفة النظرية عن طريق التأمل في النفس والآفاق، والعملية عن طريق الشيخ والمريد كما هو الحال في «كتاب الكنه فيما لابد للمريد منه». وهو رد على الحائر والجاهل وللسالك الذي لم يجد شيخه، وموجه إلى المريد الصادق وهو المتعلم. يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[2].

2 ـ من علوم النظر إلى علوم الذوق:

أ ـ «**كتاب الانتصار**»[3]: وهو انتصار علوم الذوق على علوم النقل بناء على سؤال وحوار بين ابن عربي وأحد المشايخ[4]. تبدأ بعرض موانع الذوق الخمسة وإثباتها سلبا ثم ترد على الاعتراضات، وتذكّر بأشياء، ثم تفرض مسألتين الثانية منها قول الحسين. وتنتهي بعشرين سؤالاً مستنبعاً من شرح بيت شعري عن السقي والشراب والضيف ومقامتها. والأهم هو طرح سؤال العملية بين الأشعرية في التصوف. فكل أشعري ليس بصوفي وكل صوفي هو أشعري بالضرورة. الخلاف فقط بين المعرفة النقلية والعقلية والمعرفة الذوقية الكشفية[5]. ويعتمد على الشعر والحديث والقرآن[6]. ومن الصوفية يذكر البسطامي ثم الحلاج ثم الغزالي وأبو مدين[7]. ومن الفرق يذكر الأشعري والأشعرية والصوفي ثم أهل

(1) مكتبة صبيح، القاهرة 1967.

(2) الآيات (15).

(3) رسائل (1) جـ2 (20) ص1-19.

(4) السؤال من عبد اللطيف بن أحمد، ابن محمد هبَة الله، البغدادي (ابن ملكا) صاحب «المعتبر».

(5) «اعتراض: فإن قلت وفقك الله أن المقام الذي أشرت إليه في المسألة من التوحيد هذا هو اعتقاد أهل السنة. وفيه أفنت الأشعرية أعمارها حتى علمته. فأي غريبة أتى هذا الصوفي أو بأي صفة زائدة ورد علينا. انفصال: قلنا صدقت وفقك الله فيما قلت لكن بين الصوفي والأشعري في هذه المسألة ما بين علمت وعانيت. وهذا هو المعنى اللطيف الذي يفضل به الشاهد الغائب، وإن علمنا قطعاً أن الخليفة في الوجود لسنا كمن شاهده وشاهد حضرته فلقد في مشاهدة صفة واحدة من صفات جلال الله عند فنائك في نفسك. نعني كل أشعري على البسيطة ليس بصوفي»، السابق ص17.

(6) الأشعار (5)، الأحاديث (4)، الآيات (2).

(7) أبو يزيد (5)، الحلاج (2)، الغزالي، أبو مدين (1).

السنة[1]. والمنام أيضاً مصدر للعلم. والأسلوب أسلوب إخوان الصفا في مخاطبة القارئ والدعوة له.

ب ـ **«مراتب علوم الوهب»**[2]: وهي العلوم اللدنية غير المكتسبة. فالعلوم قسمان منتجة وغير منتجة. الأول مثل العلوم بالذات المقدسة والثاني مثل علوم الأدلة التي تنتج مدلولاتها إلى ما لا نهاية حتى الوصول إلى العلم الإلهي الكوني الذي لا تستقل العلوم بإدراكها. ولا يعرف إلا بالتقرب إلى الله والسلوك في طريقه. وتشمل العلوم المنتجة الأمثلة القرآنية والتشبيهات الفرقانية بلسان النور ولغة الماء الصافي أو الممزوج باللبن و العسل والخمر. ولها تأويلان إلهي وروحاني. ويعتمد على القرآن والحديث دون ذكر للأشعار أو الأقوال الصوفية[3]. ومن الأنبياء يذكر إبراهيم، ومن الصحابة أبو بكر وعمر.

جـ ـ **«كتاب اليقين»**[4]: وهو موضوع صوفي قرآني بالأصالة. إذ يفرق الصوفية بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، مراتب ثلاث للمعلوم، بالعلم والمشاهدة والتصديق. وهو في مقابل الظن. وهو أساس المعجزة[5]. ويذكر سبب تأليف الكتاب وتسميته في فصلين آخرين، وهو زيارة ابن عربي للخليل ثم لوط مع صاحبين له[6]. ويمر بمسجد اليقين، مسجد إبراهيم. لذلك سمي الكتاب كتاب اليقين الذي كتبه بمسجد اليقين. ويخلو الكتاب من أي تقسيم إلى أبواب وفصول باستثناء الفصلين الأخيرين. وقد أضاف إليها المحقق ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين في «الفتوحات» مما يَخرج عن احترام نص الكتاب[7]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[8]. ومن الأنبياء يذكر لوط ثم إبراهيم الخليل ثم

---

(1) الأشعري (2)، الأشعرية (1)، الصوفي (2)، أهل السنة (1).
(2) رسائل ابن عربي جـ1 (2) ص121-127. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.
(3) الآيات (3)، الحديث القدسي (1).
(4) رسائل ابن عربي جـ4 ص45-76.
(5) السابق ص64-66.
(6) هما صاين الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطوف المري، وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي، السابق ص64، وكان ذلك عام 602هـ.
(7) السابق ص67-76.
(8) الآيات (33)، الأحاديث (2)، القدسية (1)، الأشعار (2).

إسحق. ومن المتقمصين دحية. ومن الملائكة جبريل[1]. ومن الفرق يظهر الأشعري ثم المعتزلي[2]

د ـ **«كتاب الشاهد»**[3]: وهو في نظرية المعرفة. هي شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية[4]. وتظهر بعض مفاهيم الشيعة مثل الأكوار والأدوار. تكثر فيه العناوين الفرعية في أبواب بعضها يبدأ بلفظ شاهد والآخر دونه[5]. وأحدها شاهد بلا إضافة. والبعض الآخر مجرد أبواب[6]. ويخلو من الشواهد النقلية. ويظهر القرآن وحده[7].

هـ ـ **«الفناء في المشاهدة»**[8]: وهو دال بعنوانه. فالفناء معرفي، أقرب إلى وحدة الشهود منه إلى وحدة الوجود. هو تجربة ذوقية. وحضرة الإنسان أتم الحضرات وجوداً[9]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[10]. ويذكر من الصوفية الحسن البصري ومالك بن دينار والسنجي[11]. ويحال مرة أخرى إلى «الفتوحات المكية».

و ـ **«الإعلام بإشارات أهل الإلهام»**[12]: وهو كتاب في المعرفة الإشارية

---

(1) لوط (4)، إبراهيم (3)، الخليل (2)، إسحق (1)، دحية (4)، جبريل (1).

(2) الأشعري (3)، المعتزلي (2).

(3) «هذا كتاب يتضمن ما يأتي به شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية والوصايا الربانية بلسان الحكمة وفصل الخطاب. وهذه الشواهد هي التي تبقى في قلب العبد بعد الانفصال من مقام المشاهدة. وبه تقع اللذة للعارفين فيتردد الخطاب فيهم من وجودهم لوجودهم»، رسائل جـ1 ص1.

(4) السابق جـ1، ص 1-20.

(5) عشرة أبواب تبدأ بلفظ شاهد يتلوها: الاشتراك في التقدير، السجدتين، الأنوار والظلمات، التوبيخ، الغيرة، الوزراء، الأمر الخفي والجلي، الرباني، العلم.

(6) وهي خمسة عشر باباً هي: الحب، الصدق، العناية، القضاء، القدر، المنكر، المنة، العبادة، الشك والتسخير، السلب، الغيب، الوفاء، الباطن، العزة، الوكالة.

(7) الآيات (3).

(8) رسائل ابن عربي جـ1/ ص2-9.

(9) السابق ص8.

(10) الآيات (13)، الأحاديث (1).

(11) الحسن البصري، مالك بن دينار، السنجي (1).

(12) رسائل (1)جـ2/ (7) 2-10.

والإشارات مثل الشطحات دون صدماتها اللغوية. ويتضمن عناوين فرعية مثل: الرؤية، السماع، الكلام، التوحيد، المعرفة، الحب، الإشارات في أنواع شيء. ويعتمد على القرآن والشعر دون الحديث[1]. ويحال إلى الأنبياء مثل نوح، وإلى الصحابة مثل الصديق[2]. وتذكر بعض المتون دون أصحابها[3].

ز - **«شق الجيب بعلم الغيب»**[4]: وهو من أكبر الكتب. ويتضمن العنوان صورة فنية عن كشف الستر لمعرفة الغيب. وهو إجابة على سؤال خاص ولطلاب المعرفة بوجه عام[5]. كتبه بين العشائين. وله عنوان فرعي «بكن ويكون ودر الدرر». وهو موجه إلى القارئ بفعل أمر «اعلم». وهو في التوحيد بوجه عام والصفات بوجه خاص. والقدم سابق على باقي الصفات السبع[6].

وينقسم إلى فصول وتنبيهات ووصايا[7]. وقد يكون للوصل عنوان. والإشارات والنهايات شكل أدبي معروف منذ ابن سينا. يجمع بين الشواهد النقلية والتنظير العقلي الخالص. والقرآن أكثر من الشعر. والشعر أكثر من الحديث[8]. ويعتمد التنظير العقلي على القسمة[9]. وتكثر المصطلحات الفلسفية بحيث يتحول النص إلى معجم للمصطلحات[10].

وبه حوار متخيل بين السالك والشيخ وأحياناً متخيله مع الغراب والملك والحكيم[11]. ومن الأنبياء يذكر مُحمد وصفة الموسوية[12].

---

(1) الآيات (9)، الأشعار (1).

(2) نوح، الصديق (1).

(3) «ما قدرت منها إلا ما سمعته من قائله إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله. وجملتها مائتان وبضعة وستون كلمة»، رسائل جـ2/ 10.

(4) رسائل ابن عربي جـ1 (12) ص285-374 وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(5) هو الولد العزيز الأعز محسن الدين واتفق معه زين العابدين.

(6) وهي: الذاتية، المصدرية، العلمية، المكانية، الزمانية، الرتبية، الطبيعية، شق الجيب ص286.

(7) فصل (13)، فصل من إشاراتهم (1)، تنبيه (3)، وصية (1)، لطيفة (1).

(8) الآيات (42)، الأشعار (16)، القدسية (15)، الأحاديث (3).

(9) مثل القائم بالنفس، والقائم بالغير، المفرد والمركب، الإيجادي والأمري.

(10) مثل: الزمان، الآفاقي، الزمان، الأنفسي.

(11) مثل وصية تنبيه لمن له لب بنيته، السابق ص30.

(12) محمد، الموسوية (1).

والوصية دعوة إلى السر مثل ما فعل الغزالي في «الجامع والعوالم عن علم الكلام» و«المضنون به على غير أهله» وكما عبر عن ذلك ابن عربي في «الوصية» في آخر الكتاب[1].

ح ـ «كشف الستر لأهل السر»[2]: وهو موضوع بين المعرفة والوجود كشف الستر للمعرفة وأهل السر هم العارفون بوحدة الوجود، من معرفة النفس إلى معرفة الرب كما هو الحال في الرسالة الوجودية لشرح القول المأثور «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهو سبب التأليف[3]. فالسر وحدة الوجود[4]. يعتمد على الشعر

---

(1) لا راحة مع الخلق فارجع إلى الحق فهو أولى لك. فإن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت عن الحق. وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك فالستر أولى لك. السابق ص345.

(2) رسائل جـ6 (1) ص31–43.

(3) «من عرف نفسه فقد عرف ربه. ومن عرف ربه فقد أحبه. ومن أحب الحق فقد جذبه. ومن جذبه فقد قربه. ومن قربه أفناه عن وجوده. وأبقاه بشهوده. ومنحه كمال مشهوده، وأطلعه على حقائق وجوده»، السابق ص31.

(4) هذا الوجود وإن تكثر ظاهرا … وحياتكم ما فيه إلا أنتم
أنتم حقيقة كل موجود بدا … ووجود هذه الكائنات توهم
السابق ص32.
إنما الكون خيال … وهو حق في الحقيقة
والذي يفهم هذا … حاز أسرار الطريقة
السابق ص32.
كل الجمال غدا لوجهك مجملا … لكنه في العالمين مفصل
السابق ص35.
فما انفك يرضاني بكل محبّة … ومازلت أهواه بكل مودة
فممتنع عنه انفصالي وواجب … وصالي بلا إمكان بعد وقربة
السابق ص39.
فأنت عبد وأنت رب … لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد … لمن له في الخطاب عهد
السابق ص39.
فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن … فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان الحديث فما أرى … بعيني إلا عينه إذ أعاين
السابق ص40.
فلا تنظر إلى الحق … وتعريه عن الخلق
ولا تنظر إلى الخلق … وتكسوه سوى الحق

والقرآن والحديث دون ذكر للصوفية[1]. ومن الأنبياء يذكر آدم، ومن الكتب المقدسة التوراة، ومن الصحابة علي[2].

3 ـ من الذات الإنسانية إلى الذات الإلهية

أ ـ «الرسالة الوجودية»[3]: وهي رسالة في معنى قول الرسول «من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو ليس حديثاً للرسول بل هو قول مأثور عن يحيى بن معاذ. وهو تحويل البعد الذاتي لسقراط «أعرف نفسك بنفسك»، إلى بعد رأسي صوفي. فالرب في داخل الذات[4]وهي رسالة في التصوف النظري، في التوحيد ضد ثنائية المتكلمين. فالله والعالم شيء واحد، والحق والخلق وجود واحد، دون وقوع في الحلول[5]. وطريق ذلك هو العشق. ولا تعرف وحدة الوجود لا بالعلم ولا بالعقل ولا بالفهم ولا بالوهم ولا بالعين ولا بالحسن الظاهر ولا بالعين الباطن ولا بالإدراك. والله ليس محجوباً لأنه يتجلى في كل شيء[6]. يُعرف الرب بالرب[7].

السابق ص41.

(1) الأشعار (14)، الآيات (6)، الأحاديث (3)، القدسية (3).

(2) آدم، التوراة، علي (1).

(3) الرسالة الوجودية، مكتبة القاهرة (د.ت)، ولها طبعة أخرى في رسائل ابن عربي جـ2 (3) بعنوان كتاب اللهو ص59-70.

(4) وهو الدليل الأنطولوجي عند أنسيلم وديكارت، انظر كتابنا نماذج من الفلسفة المسيحية.

(5) «فأفهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية. لا هو في شيء ولا شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً»، الرسالة الوجودية ص2.

(6) «والحجاب غير الله فيلزم غلبة غيره عليه بالدفع عن رؤيته له. وهذا غلط وسهو»، السابق ص3.

(7)
عرفت الرب بالرب ... بلا نقص ولا عيب
فذاتي ذاته حق ... بلا شك ولا ريب
ولا حيران بينهما ... فنفسي مظهر الغيب
وقد عرَّفته نفسي ... بلا مزج ولا شرب
وصلت وصل محبوبي ... بلا تعب ولا قرب
ونلت عطاء ذي فيض ... بلا من ولا سلب
ولا فنيت له نفسي ... ولا يبقى له ذوبي

السابق ص13.

والله بقاء لا فناء، وجود لا عدم، ولا يتطلب فناء الوجود ولا عدمه[1] ويجوز ذلك بدل أن يقول أنا الحق، اعبدوني سبحاني، ما أعظم شأني. ولا يجوز سب الدهر لأن الله هو الدهر[2]. الصوفي غير مخلوق مثل الله. هو الرائي والمرئي، والواجد والموجود، والعارف والمعروف، والمدرِك والمدرَك[3]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[4].

ب ـ **«الوقت والآن»**[5]: وهي رسالة في اللحظة التي يعيشها الصوفي. فالصوفي ابن وقته. والوقت هو الحق لأن الحق يتجلى فيه[6]. ليس فقط الفعل في الزمان كما هو الحال عند الأصوليين بل الوجود الإنساني كله في الزمان[7]. الإنسان وجود زماني. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[8]. ويذكر الصوفية وحدهم كفرقة. كما يذكر المتقدمون من علماء الحق[9].

---

(1) «وأكثر العراق أضافوا معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء البقاء وذلك غلط وسهو واضح فإن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود وفناء فنائه»، الرسالة الوجودية، ص3». ومتى ينكشف هذا السر علمت أنك لست ما سوى الله، السابق ص4. «قالوا إن الطرق لا تتيسر إلا بالفناء وبقاء الفناء وذلك لعدم فهمهم قول النبي، ولظنهم أنهم بمجرد الشرك أشاروا طوراً إلى نفي الوجود أي فناء الوجود، وطوراً إلى الفناء، وطوراً إلى فناء الفناء، وطوراً إلى المحور، وطوراً إلى الاصطلام. وهذه الإشارات لها شرك محصن»، السابق ص 10.

(2) ظننت ظنونا بأنك أنت ... وما أن تكون ولا قط أنت
فإن أنت أنت فإنك رب ... وثاني اثنين دع ما ظننت
فلا فرق بين وجوديكما ... فما بان عنك ولا عنه بنت
فإن قلت جهلا بأنك غير ... حسنت وإن زال جهلك كنت
فوصلك هجر وهجرك وصل ... وبعد قربك بهذا حسنت
دع العقل وافهم بنور انكشف لئلا ... تفوق ما عنه صنت
ولا تشرك مع الله شيئاً ... لئلا تهون فالشرك هنت

(3) هذا أشبه بوحدة الذات والموضوع في الظاهريات، السابق ص10.

(4) الأحاديث (11)، القدسية (1)، الآيات (8)، الأشعار (2).

(5) رسائل جـ6 (2) ص49-52.

(6) وهو ما عرف في الظاهريات بالشعور الداخلي بالزمان.

(7) من النص إلى الواقع جـ2، الباب الثاني، الوعي النظري.

(8) الآيات (3)، الأحاديث (3).

(9) الصوفية (2)، المتقدمون من علماء الحق (1).

جـ ـ **«أسرار الذات الإلهية»**[1]: وهي في موضوع التوحيد، وحدة واحدة بلا أبواب أو فصول أو أقسام أو عناوين فرعية. موضوعها الذات الإلهية وتعيناتها العالمية والواحدية والقادرية والأزلية والربوبية. وهو ما يسمى في علم الكلام الأشعري أوصاف الذات[2]. وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[3].

د ـ **«الجلال والجمال»**[4]: وهما مفهومان صوفيان، لا مقامان ولا حالان. جعلهما نجم الدين كبري (618هـ) من قبل عنواناً لعمل له[5]. وهما مقرونان بحالتي الهيبة والأنس. الأنس مربوط بالجمال، والهيبة بالجلال. وفي القرآن إشارات لكليهما. ومع بعض الإشارات تنبيهات. وهما مصطلحا ابن سينا. الجمال للإنسان، والجلال لله. إشارات الجلال لله في التنزيه واستحالة الرؤية ومطلق المعرفة والوحدانية والمغفرة والتقوى. وإشارات الجمال أيضاً نفي المماثلة وإحصاء كل شيء والجهاد. ويتضح تداخل الجمال والجلال في جمال الجلال وجلال الجمال. إذ لا يوجد حد فاصل بينهما. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[6]. والبسملة مشفوعة بعبارة «به الحول والقوة» ومن الأعلام يذكر الإسفراييني.

4 ـ تجليات الذات الإلهية في الكون

أ ـ **«رسالة الأنوار»**[7]: والنور موضوع بين المعرفة والوجود ونموذجه النبوة والولاية. ويشتركان في ثلاثة أشياء. الأول في العلم دون تعلم كسبي. والثاني في الفعل بالهمة وما لا قدرة للجسم عليه. والثالث رؤية عالم الخيال في الحس. ويختلفان في الخطاب وفي المعارج بين النور الأصلي في النبوة والنور الفرعي في الولاية. والأسلوب والدعوات مثل رسائل إخوان الصفا «الحمد لله واهب العقل».

---

(1) رسائل ابن عربي جـ1 (7) ص197-204. ولها طبعة أخرى في دار الكتب العلمية..

(2) من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد.

(3) الآيات (13)، الأحاديث (3).

(4) رسائل ابن عربي (1) جـ1 (2) ص2-17.

(5) وهما لفظان عرفهما كانط في العصور الحديثة في الغرب في كتابه «ملاحظات حول الجميل والجليل».

(6) الآيات (73)، الأحاديث (4).

(7) رسائل (1)/ جـ1 (12) ص1-19.

وهو إجابة على سؤال. ويذكر بعض المقامات مثل الزهد والتوكل. والأسلوب قصصي، قصة السالك في طريق الروح، تغلب عليه المحسنات البديعية. ويستشهد بالقرآن وحده سواء القرآن النصي أو القرآن الحر داخل الأسلوب[1]. وهو في نفس الوقت على درجة عالية من التنظير. ويخلو من الشعر، لكنه لا يخلو من النثر الفني. ويذكر من الأنبياء مُحمد ثم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم وسام وإسحق وإسماعيل وإدريس ويوسف وهارون[2]. وتحول أسماء الأنبياء إلى صفات مثل مُحمدي وموسوي[3]. والأنبياء صوفية سادة وأصحاب أحوال يدعون إلى الأخلاق الرحمانية والأخلاق القهرية والأخلاق الإلهية. ومن المجموعات يذكر الملامتية والشيوخ[4].

ب ـ **«مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية»**[5]: وهو الوجود الذي يتحول إلى معرفة بعد أن تحولت المعرفة إلى وجود. فالمشاهدة معرفة ووجود، ذات وموضوع. والنور كذلك إحالة متبادلة بين العين والشيء المنير، وليس مجرد انعكاس بين رائي ومرئي. وبالرغم من اعتمادها على القرآن والحديث إلا أنها قائمة على التجربة العيانية المباشرة[6]. بل إن المكاشفات العلمية والمشاهدات القلبية توحي بأن الكشف تم أولاً ثم التنظير جاء ثانياً كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي[7]. ومن لم يدرك الكشف بعقله يكون أمانة بين يديه حتى يأتيه نور العقل وصفاء الضمير، وتلحق الإماء بالحرائر أي عندما يتحرر الإنسان[8]. والخاتمة مملوءة بالشواهد النقلية على عكس الرسالة التي تعتمد في معظم مشاهدها على الدليل العقلي المؤيد نادراً بالدليل النقلي.

---

(1) الآيات (4)، الآيات الحرة (1).

(2) مُحمد (6)، موسى (4)، عيسى (3)، إبراهيم (2)، آدم، سام، إسحق، إسماعيل، إدريس، يوسف، هارون (1).

(3) محمدي (2)، موسوي (1).

(4) الملامتية، الشيوخ (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2005.

(6) الأحاديث القدسية (1)، الآيات (3)، الحديث (8).

(7) «استخرجناها لكم من الخزائن المحفوظة في غيابات الأزل، المصانة عن طوارق الأغراض والعلل»، السابق ص40–41.

(8) السابق ص40.

وتتكون من أربعة عشر مشهداً. كل منها مشهد نور وطلوع نجم[1]. الوجود مع بحر العيان، والأخذ مع نجم الإقرار، والنور مع التأييد، والشعور مع التنزيه، والصمت مع السلب، والمطلع مع الكشف، والساق مع الدعاء، والصخر مع البحر، والأنهار مع الرتب، والحيرة مع العدم، والألوهية مع «لا»، بالوحدانية مع العبودية، والصمد مع الفردانية، والحجاج مع العدل[2]. وتبرز الخطة في البداية. وتستعمل لغة الحوار «قال لي. . قلت» مع الوجود ومع الله مع مقدرة لغوية بلا حدود وكشف ورؤية لا يتنافيان، ويذكر من الصوفية أبو سليمان الداراني. ومن الصحابة علي وابن عباس، ومن الفرق الدهرية والمعتزلة. ومن الكتب المقدسة التوراة. ومن الأنبياء موسى.

جـ ـ **«كتاب أيام الشأن»**[3]: وهو كتاب الخلق، خلق العالم في عدة أيام كما هو الحال في اليهودية. وهو وجود الماء في الزمان في أيام بل وفي ساعات هي قضية الوجود في الزمان. ويعتمد على عناوين فرعية مثل: حقيقة، بيان، إفصاح، تتميم، تكملة، لاحقة، ومن الأدلة النقلية يعتمد على القرآن والشعر دون الحديث أو أقوال الصوفية السابقين[4].

د ـ **«كتاب الأزل»**[5]: وهو موضوع فلسفي نظري خالص في الأزل، كل الزمان، بين الكلام والفلسفة. ويقسم إلى عناوين فرعية مثل «فصل»، «تنبيه». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث القدسي[6]. كما يعتمد على بعض البراهين النظرية اعتمادا على السبر والتقسيم في علم الأصول. ومن الفرق يُحال إلى المحققين والقدماء. كما يُحال إلى كتاب «الجداول والدوائر».

هـ ـ **«شجرة الكون»**[7]: وهو عنوان أصيل يجمع بين النبات والكون، بين

(1) مثل: «مشهد نور الوجود بظلوم نجم بحر العيان». . . الخ السابق ص39.

(2) وكل شيء لا تفهمه، ولم يبلغه علمك، ولا تصرف فيه عقلك. فهو أمانة بيدك. والله يكون بنور البصائر، ويصلح السرائر، ويصفي الضمائر، ويلحق الإماء بالحرائر»، السابق ص41.

(3) رسائل (1) جـ1 (5)/ 2-18.

(4) الآيات (25)، الأشعار (1).

(5) رسائل جـ1 (11) ص1-16.

(6) الآيات (4)، الأشعار (2)، القدسية (1).

(7) مكتبة صبيح، القاهرة، 1967.

الجزء والكل. يوحي بالنشأة والتطور. يتخلق الكون من جذور وسيقان وفروع وأوراق وثمار مثل الشجرة. لا فرق بين النبات والحيوان والجماد، بين الإنسان والنبي والولي، بين الحس والعقل والقلب[1]. وفيها أيضاً تطور النبوة كما هو الحال في «فصوص الحكم» ومن آدم حتى مُحمد ونقيضهم لدي إبليس. فالنص سلاح أُعطي للإنسان لحمايته من غواية إبليس. وفيه أيضاً يظهر العرش والملائكة والموضوعات السمعية. والحقيقة المحمدية تتجلى تدريجياً مع خلق الكون حتى تكتمل في التصوف النظري. والإسراء والمعراج في نهاية التطور. وبالرغم من التأويلات الرمزية فإن الفلاسفة والمتكلمين خاصة المعتزلة لا يسلمون من النقد. فهي مشاهدة ما يفكر فيه الفلاسفة. وفي خطاب الله لمُحمد في الإسراء والمعراج يعاتب اليهود لأنهم جعلوا عزيرا ابنه، والنصارى لأنهم زعموا أن المسيح ابنه، والوثنيين لشركهم وتجسيمهم، والمشبهة لتحديدهم، والمعطلة لعدميتهم، والمعتزلة لإنكار رؤيته[2]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الفلاسفة[3].

و ـ **«مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم»**[4]: ويتضح من العنوان التحول من المعرفة إلى الوجود[5]. ويقوم على قسمة ثلاثية محكمة، ثلاث مراتب: العناية للتوفيق، والهداية للتحقيق، والولاية للتصديق. والمرتبة الثالثة أكبرها[6]. وقد دون في أحد عشر يوماً دفعة واحدة[7] وكتب إجابة على سؤال

---

(1) وهو ما فعله أيضاً دارون ولامارك وسبنسر في التطور المادي وبرجسون وتياردي شاروان في التطور الروحي في الفلسفة الغربية المعاصرة.

(2) «يا مُحمد، إني خلقت خلقي ودعوتهم إليَّ فاختلفوا علي. فقوم جعلوا العزير ابني، وأن يدي مغلولة وهم اليهود. وقوم زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زوجة وولد وهم النصارى. وقوم جعلوا لي شركاء وهم المشبهة. وقوم جعلوني معدوماً وهم المعطلة. وقوم زعموا أني لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة»، شجرة الكون ص32.

(3) الآيات (46)، الأحاديث (4)، القدسية (2).

(4) مكتبة صبيح، القاهرة 1384هـ-1965م.

(5) السابق ص2.

(6) الأولى (14)، الثانية (24)، الثالثة (141).

(7) الابن الطاهر التقي الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الله، وابن عبد الله الحبشي الحراني التميمي، السابق ص4-5 بالمرسية عام 595هـ.

الابن الطاهر عن طريق ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ومنح أسرار الكيان بالفضل العظيم[1]. تبدأ بمجمل الخطة[2]. وهو موجه إلى القارئ. وتتخلله بعض الحكايات الرمزية.

وبالرغم من العلم الباطن إلا أن الفقه يظهر في الإحالة إلى استحالة الصلاة في الدار المغصوبة[3]. ومراتب الأفلاك تقابل المقامات والأحوال، لا فرق بين مراتب النفس ومراتب الكون في إحالة متبادلة ومتواصلة بين الذات والموضوع. والسؤال هو: ما مصدر هذا كله، العلم أم التجربة، الرواية أم الكشف. وكل مرتبة لها موقع ومطلعان وثلاثة أفلاك. مطلع العناية توفيقي. ومطلعهما وفاقي وإلهي. وأفلاكها إسلامي وإيماني وإحساني. وموقع الهداية علمي. ومطلعاها عياني وإلهي. وأفلاكها أيضاً إسلامي وإيماني وإحساني. وموقع الولاية علمي. ومطلعاها خلقي وإلهي. فالمطلع الثالث واحد وهو الإلهي. ويختلف المطلع الثاني بين الوفاقي والعياني والخلقي. ويختلف الموقع الأول بين التوفيقي في الأول والعلمي في الثاني والثالث. وينقسم الإيماني في المرتبة الثانية، الهداية للتحقيق إلى ثمانية أنوار. كما ينقسم الإسلامي في المرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، إلى ثمانية أفلاك. والمرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، يتضمن موقعها العلمي الإسلامي. أفلاكها الثمانية حول التحقق بأعمال الأعضاء الشرعية والفلك الأذني السمعي، وفصل عن علامة السامعين. ومنازل هذا العضو وهو التلاوة، والفلك اليميني والفلك البطني. وأكبر الأفلاك الثمانية الفلك السادس، فلك البروج وهو الفلك القدمي وبه معجزات المشي على الماء والهواء، والفلك القبي وكراماته ومنازل المضاهاة الإلهية والكونية، والتجلي الصمداني، والمتنزل الذاتي والسماع عن الحق، والهبات والعطايا والمعرفة والأيام والشهور المقدرة وقلب الذاكر، والفاني عن الذكر بالمذكور وعن المذكور بالذكر. وأكبر المطالع الإلهي. يشمل الوصية والحكمة وحديث الجليس والتواضع والزهد والابتعاد عن المذاهب، والوقت، والصحبة والمجالسة واحترام الشيوخ. وزيارة المساجد، والتوجه نحو

(1) السابق ص7-9.

(2) السابق ص12.

(3) باب ما يحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأدبية في دار الإسلام السابق ص33.

القبلة وكلام القلب والورع ومواقع النجوم الفرقانية.

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. ولا يُعلم على وجه التحديد هل استعمال النصوص تنزيل أم تأويل، استشهاد بعد التجربة أم تبرير وتشريع لها بعدها؟ ويستعمل القرآن الحر تدعيماً لأسلوب النثر الفني. هل تحولت الآيات إلى تجارب تنزيلاً أم خسرت النصوص طبقاً للتجارب تأويلاً؟ والإيمان لا يتعلق بعرق. فقد كفر بالعرب وآمنت الفرس[2]. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية مثل أبو مدين والجنيد ثم البسطامي ثم سهل بن عبد الله ثم القشيري، ثم المحاسبي والغزالي، ثم الداراني والسلمي ثم السهروردي وأبو طالب المكي ورابعة والحسن البصري[3]. وآخرون من عصره[4]. ومن الصحابة يذكر الصدِّيق وأبو هريرة[5]. ومن الأنبياء يذكر مُحمداً (أحمد)، وإبراهيم وموسى وسليمان[6]. ومن الصوفية المؤلفين يذكر صاحب المواقف، وصاحب السراج. ومن المؤلفات يحال إلى المعارف والأعلام للسهيلي. ومن مؤلفات ابن عربي يحال إلى «منتخب الأسرار في صفة الصدِّيقين والأبرار» و «مفتاح أقفال التوحيد» و «التدبيرات الإلهية».

ز ـ «رسالة لا يعوَّل عليه»[7]: وهي رسالة في موضوع ما لا يعتمد عليه حتى لا يتأسس الوجود على عدم. هو بحث عن الأساس الذي يرتكز عليه الوجود. وكل أمر سلبي يُحول إلى أمر إيجابي عن طريق نفيه. والغالب هو السلب[8]. وأحيانا يتضمن الحكم السلب والإيجاب معاً. وبعض الأحكام تبدأ «بكل» وهو الأغلب، والبعض الآخر بدونه. وأحياناً يصدر الحكم قبل الحيثيات،

---

(1) الآيات (108)، الأشعار (50)، الأحاديث (22)، القدسية (3).

(2) مواقع النجوم ص40.

(3) أبو مدين (10)، الجنيد (9)، البسطامي (7)، سهل بن عبد الله (5)، القشيري، المورزوي، الفاضل الحليم، حسن البصري (3)، المحاسبي، الغزالي (2)، أحمد المرسي، الداراني، السلمي، السهروردي، أبو طالب المكي، رابعة. . .الخ (1).

(4) مثل: العريف، العراك، الشكاز، أبو مروان، أبو العباس، السهيلي، أحمد المرسي، الرماني، أبو القاسم، التاوري. . . الخ.

(5) عمر (4)، الصديق (3)، السياري (2)، أبو هريرة (1).

(6) مُحمد (9)، أحمد (2)، إبراهيم (4)، موسى (3)، سليمان (1).

(7) رسائل (1) جـ1 (16) ص1-20.

(8) هي322 أمر «لا تعول عليه»، وأمر واحد «تعول عليه»، السابق ص4-5.

وأحياناً بعدها، والغالب بعدها. وأحياناً تكون صيغة الحكم «لا يقتدى به» والأغلب لا يعول عليه، والأقل الجمع بينهما[1]. ويعتمد على أقل عدد من الأدلة النقلية من القرآن والحديث[2]. والاعتماد الأكثر على التنظير الخالص وتحليل التجارب البشرية. ومن الفرق يذكر أهل الإعتزال والأشاعرة[3]. وتتكرر بعض الموضوعات، وتتشعب أخرى. وهي مئات الوصايا في حاجة إلى تجميع في مجموعات أصغر. ويمكن تجميعها في ست مجموعات طبقاً للطريق الصوفي: المعرفة والأخلاق والمقامات والأحوال والتوحيد[4].

8 ـ رسائل الكاشاني (730هـ)، الشيرازي (1050هـ)، النابلسي (1143هـ)

أ ـ «في العلم الاستدلالي» للكاشاني[5]: وهي رسالة قصيرة في التحول من المعرفة النظرية إلى الوجود العيني، ومن العلم الاستدلالي إلى العلم الشهودي، كما فعل ابن عربي في «فصوص الحكم»، من الحق إلى الخلق، ومن الذات إلى الموضوع، ومن المعرفة إلى المعروف. وهذا هو معنى التسبيح أي المعرفة التي تقود إلى الوجود. وتعتمد الرسالة على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر[6].

---

(1) السابق ص12.

(2) الآيات (1)، الأحاديث (1).

(3) أهل الاعتزال، الأشاعرة (1).

(4) 1- المعرفة مثل: الخاطر والوارد، التفكر، الفراسة، الغيب، التجلي، المكاشفة، الشهود، العلم، النظر، الرؤية، الظن، اليقين، الولاية، النبوة، الشطح. 2- الأخلاق مثل: الأدب، العمل، الشفع والوتر، الإيثار، الإرادة، الإسلام، الإحسان، الإيمان، المراقبة، الاستقامة، الإخلاص، الحياء، الغرة، الحرص، التقوى والورع. 3- الطريق مثل: السماع، الكلام، الجذب، الوقت، النهاية، البداية، الحمد، البلاء، المواصلة، المسامرة، القرار، السفر، السهر، النوم، الفتوة، الصحبة، التحقيق، الرياضة، المجاهدة، الروح. 4- الحال مثل: الهيبة والأنس، القبض والبسط، التمكين والتلوين، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الجمع والفرق، الخوف والرجاء، القرب والبعد. 5- المقام مثل: الصبر، التوبة، التوكل، خرق العوائد، الأسباب، التسليم، التفويض، المحبة، والخلة، الشوق، الرضا، الشكر، الفقر (الجوع)، العبودية. 6- التوحيد مثل: الوجد، الوجود، الحق، الخلق، التعظيم، المظهر الإلهي، التنزيه، الأسماء.

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ.

(6) الآيات (2).

ومع ذلك يحيل القاشاني إلى «فصوص الحكم» لابن عربي حيث يبدو تكشف النبوة مساوقاً لتجلي الحق في الوجود[1].

ب ـ **«الرسالة العرفانية» للكاشاني**[2]: وموضوعها المعرفة الإشراقية، حلقة الانتقال من المعرفة إلى الوجود، تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[3]. وتخاطب القارئ مباشرة للتعبير عن تجربة معرفية صوفية أصيلة.

جـ ـ **«شرح حديث الحقيقة» للكاشاني**[4]: وبالرغم من وجود لفظ شرح في العنوان مما يتطلب متنا إلا أن اللفظ هنا يعني بيان وتفسير معنى الحقيقة[5]. والحقيقة هنا ليست معنى عقلياً بل هي كشف ورؤية تتحد فيها الذات بالموضوع والرؤية بالمرئي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية لأنها تجربة ذاتية[6].

د ـ **«إكسير العارفين» لصدر الدين الشيرازي**[7]: وقد صمد التصوف النظري بالتحاقه بالفلسفة الإشراقية عند صدر الدين الشيرازي أو الغوص في الوجود استئنافا لابن عربي عند عبد الغني النابلسي وبالتالي اجتماع صدر الدين الشيرازي مع ابن عربي في تأسيس فلسفة الوجود. وفي «الوجود الحق» ولفظ الوجود هو أكثر الألفاظ تكراراً[8]. تغيب فيه موضوعات التصوف الأخلاقي. الفضائل والرذائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال، إلى المعرفة الإشراقية الخالصة في إطار «الحكمة المتعالية». ويتضح ذلك من العنوان «إكسير العارفين» فالإكسير هو شراب الحياة. ويتكون من أربعة أبواب. الأول يبدأ كالعادة بنظرية العلم

---

(1) خاصة إلى «فص الحكمة المالكية في الكلمة الزكرياوية»، السابق ص183.
(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.
(3) الأشعار (4)، الآيات (2)، القدسية (1).
(4) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005-1426هـ (6) ص119-123.
(5) وهو أيضاً عنوان لرسالة لهيدجر «في معنى الحقيقة».
(6) الآيات (7)، الأحاديث (2)، الأشعار (1).
(7) جامعة طوكيو 1404هـ- 1984م.
(8) الوجود (45)، الوجود الحق (24)، الوجود المحض (23)، الوجود المحق (12) وعشرات أخرى من مشتقات اللفظ. التجلي ومشتقاته (25)، الذات ومشتقاتها (25)، الشهود ومشتقاته (27)، الصورة ومشتقاتها (48)، العقل (58).

بتقسيم العلوم، علم الأقوال وعلم الأفعال أي العلوم النظرية والعلوم العملية، ثم علم الأفكار أي علم العقائد وعلم الآخرة أي ما يقع بعد الموت. والثاني معرفة النفس حاملة العلوم، آفاقها وعلومها، ورقيها، وخلافتها الإلهية وعوالمها التي تؤدي إليها، وكيفية الوصول إلى عالم الربوبية. والثالث البدايات أي الخلق، وبداية الزمان والمكان ووجود الإنسان والملاك وآدم وحواء والشيطان. والرابع معرفة النهايات وهي الحياة بعد الموت والعناية الإلهية. ومصطلحاته إشراقية مثل: تفريع عرشي، تأييد استبصاري، إعلام وتنبيه، نكتة وإشارة، تأييد فرقاني، تأويل قدسي، إعارة... الخ. ويعتمد على الحجج النقلية والعقلية، القرآن أكثر من الحديث. ولا يشير إلى أحد من الصوفية السابقين اعتماداً على التنظير الخالص. والإشارة إلى «الشفاء» للشيخ الرئيس وفرفوريوس تلميذ المعلم الأول[1].

هـ ـ **«الوجود الحق والخطاب الصدق» للنابلسي**[2]: وهو امتداد «للفتوحات» وشروح عليه من أحد تلاميذ الشيخ الأكبر. وطغيان «الفتوحات» على القرون الخمسة التالية حتى القرن الثاني عشر الهجري مثل طغيان «الإحياء» على القرنين التاليين له. فقد انتهت المرحلة الخلقية بما فيها من مقامات وأحوال، وبدأ التوجه نحو الوجود والالتقاء مع الفلاسفة دون ذكر لآخرهم، ابن رشد لأنه أقرب إلى الفقه، ولكن ابن سينا حكيم الإشراق هو الذي في الذهن ونقل «النيولوجيا» إلى «انطولوجيا» كما حدث في علم الكلام المتأخر في نظرية الوجود[3]. وما حاوله ابن عربي في التحول من المعرفة إلى الوجود حققه النابلسي بالخوض في الوجود قبل صياغته في خطاب. ومن ثم يكون تأويل الخطاب الصوفي بإرجاعه إلى مصدره الأول في الوجود. والكتاب مقسم إلى وصلات. والوصل لفظ صوفي[4]. ويخلو من القسمة إلى أجزاء أو أبواب أو فصول.

ويعتمد الكتاب على قراءة القدماء خاصة المتكلمين من أجل تأسيس علم الكلام الصوفي أو علم التصوف الكلامي، التوحيد الصوفي الوجودي في مقابل

(1) إكسير العارفين ص100.

(2) المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1955.

(3) من العقيدة إلى الثورة، جـ1 المقدمات النظرية.

(4) اللفظ من وضع المحقق بكري علاء الدين. وهما 47 وصلة.

التوحيد الكلامي الذهني. تحليل الوجود وهو في نفس الوقت تحليل التوحيد[1]. لذلك ينقد الزنادقة الذين يدّعون التصوف، ويخطّئون مراد الصوفية في أن الوجود هو الله، ويجهلون مؤلفات مدرسة وحدة الوجود. كما يخطئ الصوفية الزنادقة باعتبارهم العلم حجاب لأن العلم كشف. ويخطئون ثالثاً بإنكار التكاليف الشرعية. وسبب الزندقة عند مشايخ الطرق الصوفية الضالين وسبب إلحادهم حالتا الجمع والفرق لديهم، وإدمان المخدرات على عكس المحققين من الصوفية وعباداتهم وأعمالهم. وهم الأوتاد والأبدال، شهود الوجود[2].

والناس من التصوف على أربعة مواقف: الأول الإنكار عليهم والجحد لهم وهو جهل بهم، غرور بالنفس، وحب للدنيا، ورفض الإذعان. والثاني السكوت عن الاعتراف بمزاياهم وذكر فضائلهم. والثالث الاعتقاد بهذا العلم الإلهي دون معرفة هذا العلم. والرابع معرفة هذا العلم بالذوق والمطالعة، والاطلاع والمشافهة، وهو موقف ابن عربي[3].

ويظهر الجانب النقدي في التصوف النظري، نقد الكلام ونظريته في الصلة بين الماهية والوجود، ونقد الفلسفة التصورية التي مازالت تعطي الأولوية للمعرفة على الوجود، ونقد الفقه الذي مازال يرفض التحول من الظاهر إلى الباطن، ومن الشريعة إلى الحقيقة. ويتوجه النقد أيضاً إلى التصوف من داخل الصوفية

---

(1) أكثر الكتب ذكراً الفتوحات (14)، مسند الفردوس للديلمي، منبر التوحيد للنجم الغزي (7)، شرح المقاصد للتفتازاني (6)، أنوار التنزيل للبيضاوي، طبقات الأولياء للمناوي (4)، رسالة الخلوة لابن عربي وشرحها للجيلي، شرح عقائد النسفي للتفتازاني، طبقات الأخيار للشعراوي، الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، لطائف المنن لابن عطاء، مشكاة الأنوار للغزالي، الميزان الذرية للشعراني (3)، الإحياء للغزالي، الإتقان للسيوطي، حاشية القزويني على شرح الدواني، حقائق التسليم للسلمي، الحكم العطائية لابن عطاء، رسالة تحقيق مذهب المتكلمين للجامي، شرح أم البراهين للسنوسي، العقائد للنسفي (2)، أدب الدنيا والدين للماوردي، تجريد التوحيد لأحمد الغزالي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، حلية الأولياء لأبي نعيم، الرسالة القشيرية، روح القدس لابن عربي، عوارف المعارف للسهروردي، فصوص الحكم لابن عربي، كشف الفضائح اليونانية للسهروردي، منازل السائرين للتلمساني، مواقع النجوم لابن عربي... الخ (1).

(2) الوجود الحق ص247-253.

(3) السابق ص277-287.

بالانحراف به عن الطريق المستقيم إلى التصوف المزيف[1].

يتحقق من آراء المتكلمين في الوجود والذات والصفات ويحاورهم[2]. وينتقد آراء سعد الدين التفتازاني اعتمادا على نقد النابلسي[3]. ويبين اختلاف المتكلمين في العلم بحقيقة الله. وينتقد الفرقة الخيالية التصورية. وتصور الفلاسفة للوجود أفضل من تصور المتكلمين إلا أن الفلاسفة أفسدوه بالتأويل. ويأتي الصوفية لإصلاح ما أفسده الفلاسفة. ثم يأتي الصوفية الوجوديون لإصلاح ما أفسده الصوفية المتكلمون. والصوفية الوجوديون أمثال ابن عربي والجامي والقونوي[4]. ويخصص قسطاً كبيراً من الكتاب لنقد العقل الكلامي خاصة الأصفهاني في توحيده بين العلم والذات[5]. كما ينقد الطائفة الخيالية من المتكلمين والفقهاء الذين يجعلون الله في عالم الأذهان وليس في عالم الأعيان[6].

والاعتماد على الحجج النقلية، القرآن والحديث والشعر، أكثر من الحجج العقلية والآيات أكثر من الأحاديث[7]. وكما هو الحال في «الفتوحات» هناك حضور طاغ للشعر. فالخطاب الصوفي أصبح شرحا للشعر. الشعر أولاً والنثر ثانياً لأن الشعر أقدر على التعبير وأسرع في الإيصال. ومن الأعلام الصوفية يتصدر ابن عربي ثم محمد الغزي ثم الجيلي ثم ابن عطاء الله السكندري ثم الجنيد ثم القونوي والتلمساني ثم ابن الفارض ثم الشعراني ثم ابن سبعين والخدري والسلمي والسهروردي والجامي والغزالي. ومن المتكلمين يتصدر سعد الدين التفتازاني ثم الجلال الدواني ثم البيضاوي ثم الإيجي والشهرستاني والأصبهاني[8].

(1) السابق، ص247.
(2) السابق ص23-28.
(3) السابق ص35-38.
(4) السابق ص63-81.
(5) السابق ص117-148.
(6) السابق ص169-174.
(7) الآيات (246)، الأحاديث (93)، الأشعار (47).
(8) ابن عربي (25)، سعد الدين التفتازاني (10)، محمد الغزي (7)، عبد الكريم الجيلي (6)، الجلال الدواني (5)، ابن عطاء الله السكندري، أبو منصور الديلمي، الجنيد، الصدر القونوي، البيضاوي، ابن الفارض، الأشعري (4)، الإيجي، الشعراني، التلمساني، =

9 ـ أعمال البكري (1162هـ). الصيادي (1328هـ)، عنقشاه

أ ـ «صادحة الأزل»[1]: والعنوان شاعري، الأزل يصدح، الزمان والصوت. وهي رسالة صغيرة الحجم، قطعة واحدة. تغيب منها الأبواب والفصول. يتضح فيها أثر ابن عربي وأسلوبه الذي يعتمد على السجع وباقي المحسنات البديعية بالإضافة إلى جانب من الخيال القصصي. يتبع أسلوب القول «فإن قلت.. قيل» وتمارس وحدة الوجود ذوقياً. وتنتهي الرسالة برؤية تجمع بينم اللغة والمعرفة والعلم الإنساني والشريعة والتجلي الإلهي في الوجود، رؤية باطنية أصلية بلا زخارف أو ابتداع[2]. يعتمد على أقل قدر من الأدلة النقلية، القرآن والشعر دون الحديث وأقوال الصوفية[3]. الحديث لا يكفي لأنه نثر شرعي عملي دون خيال القرآن وأسلوبه الشعري ونثره الفني. وأقوال الصوفية ليست مصدراً للتجربة الصوفية مثل التجربة الأدبية[4].

ب ـ «المورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود» لمصطفى البكري[5]: وهو حكم شرعي في مسألة وحدة الوجود. يعتمد على علم الكلام في قسمة الوجود إلى قديم وحادث مع التركيز على منهج الذوق في المعرفة باعتباره

= الشهرستاني، الأصبهاني (3)، ابن سبعين، الخدري، السلمي، السهروردي، الجامي، الغزالي، السنوسي (2).

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (3) ص125-135.

(2) الآيات (2)، الأشعار (1).

(3) من لي بمن يخبر الأنام بما ... بلغنيه القضاء والقدر
أصبح قلبي لفرط وصلته ... بيت شهود تتلى به السور
السابق ص132.

(4) «ولنرجع إلى ما سبقت له هذه الرسالة. وغلفت لمراسمه هذه الدلالة. وذلك إجابة رسول صون العلوم الإنسانية عن مسألة تدلت له في حقائق ما بطن منها، رفاف العبارة عنها. ويفيق بأمر الله في خلق الله حاكماً، وبأسرار الشريعة موروثه عالماً حاكماً مبنياً على قواعد التجلي الذاتي أساسه، وعلماً مشرقاً بنور الاختصاص الصمداني نبراسه، سالماً بالله تعالى من شوائب الإبتداع. فإن الله تعالى جعل الميزان الأعظم لكل عارف، وما سواها بالنسبة إلى حقيقة هداها. إنما هو لوامع الزخارف، والمتجلي بالله تعالى، منغمس في بحار الجمع. فالله سبحانه وتعالى له البصر والسمع كما شهد به الحديث، ودل به القديم على الحديث»، السابق ص134-135.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (2) ص99-121.

مسؤولاً عن وحدة الوجود[1]. في الظاهر من المحرمات، وفي الباطن من «المضنون به على غير أهله». وتؤول شطحات العارفين لتتفق مع الشريعة لأن التمسك بالشريعة والعمل بميزانها مقياس صحة العقائد. فالحقيقة مقيدة بالشريعة. ويصل الأمر إلى هدر دم الصوفي المخالف للشريعة في ثقافة الظاهر والرأي الواحد والفرقة الناجية[2]. فعلوم الحقيقة لا تعارض العقل ولا التمسك بالسنة النبوية. واليقين علم وعين وحق. والأولياء ضنائن الحضرة. وتأتي اللغة بكل ما فيها من محسنات بديعية للربط بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية.

وسبب تأليف العبد الفقير للمولى الغني الودود هو تأليف الناس في وحدة الوجود والاختلاف عليها بين موافق ومخالف[3]. ويخاطب القارئ لإبلاغه الدعوة بعبارات نداء مثل «أيها الأخ». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[4]. ويحيل إلى ابن عربي وأثره الطاغي على التصوف من بعده. فهو «الأكبري» و«الشيخ الأكبر» والحلاج والجنيد، ثم الشعراني وإبراهيم الخواص والحسن البصري وسيدي أرسلان عارف الزمان والنابلسي[5]. ويحال إلى عدة مصادر مثل «نصائح المريد»، «الفتوحات»، «الوصايا» لابن عربي، «الجواهر والدرر» للشعراني. ومن المحدّثين النووي. ومن الأنبياء هارون. وتؤخذ منها اقتباسات بعلامة اُنتهى.

(1) «وإذا كان السكران المحق في سكره لا يحتج بكلامه كالحلاج فكيف بالمتساكر»، السابق ص105.

(2) «واعلم أن جميع أهل من يصطفيهم أطبقوا عن بكرة أبيهم أن المخالف للشريعة المحمدية مهدور الدم». يقتل في الحل والحرم، ولو أنه مشى على الماء أو تربع في الهواء. فهو ممكور به، ليس له غير السيف دماء... وقد أفتى (النابلسي) بقتل جماعة ممن ينتمون إليهم...» السابق ص111-112.

(3) «قد ألف الأعيان من أهل العيان، قديماً وحديثاً، رسائل في معنى وحدة الوجود، وأفصحوا عن المراد منها والمقصود، وحققوا أن العقول بها موافق لما عليه أهل السنة والجماعة القود، وجعلها البعض من العلم المضنون به عن غير أهله الباذلين في طلبه المجهود. وقال آخرون: هي من العلم الواجب بثه لمن يطلب قربا أن يسود»، السابق ص101.

(4) الآيات، الأشعار (5)، الأحاديث (2).

(5) ابن عربي، الجنيد، الحلاج (3)، الشعراني، إبراهيم الخواص، الحسن البصري، أرسلان، النابلسي (1).

جـ ـ «حديقة المعاني في حقيقة الرحم الإنساني» لأبي هدى الصيادي[1]:
وهي رسالة في تتبع أنساب الأفكار في الرحم الإنساني وكأننا في المعرفة التكوينية وما دام البشر كلهم من آدم وحواء. فلا فرق بين أنساب الأبدان وأنساب المعاني. الأولى في الرحم العضوي، والثاني في الرحم المعنوي. والقرابة ليست فقط في الدم والنسب بل أيضاً في الروح والفكر. والشرع نظام البدن متفق مع العقل نظام الفكر. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[2]. وتجذب الانتباه بألفاظ التركيز مثل «نكتة لطيفة»[3]. ولا تعتمد على أعلام الصوفية أو تقتبس من مصادر مرغوبة بل تعتمد على الإبداع الخالص.

د ـ «معالم الفكر»، «نداء الحقيقة»، «رسالة القلب»، «نيروان». لمحمد صادق عنقاشاه الأويسي[4]: استمر التصوف النظري في إيران من خلال الإشراق الذي يجمع بين الحكمة والتصوف، بين التأمل والطرقية. فالمؤلف ينتسب هو وعائلته إلى أويس القرني قطب الصوفية الأول بشهادة الرسول تصب في «الفكر الصوفي الإيراني المعاصر»[5].

والرسائل الأربع مثل رسائل ابن عربي والشيرازي، استمرار لتراث صوفي نظري يركز على الوجود والمعرفة. تمت كتابته قبل الثورة الإسلامية في إيران. ويعتمد على التحليل النظري الخالص مع بعض التجارب الشخصية التي يتم التعبير عنها بضمير المتكلم المفرد[6]. وتغيب كل الأدلة النقلية التي اشتهر القدماء بكثرة الاعتماد عليها. وينقسم البحث إلى ثمان مقالات. ويتم العرض بأسلوب حديث واستدلال منطقي.

لا تعتمد الرسالة الأولى «عالم الفكر» على الموروث القديم والتراث الصوفي إلا مرة واحدة بالإحالة إلى أبي العباس الآملي[7]. ومن التراث الشرقي لا يوجد

(1) دار الكتب العلمية، بيروت.
(2) الآيات (25)، الأشعار (3)، الأحاديث (1).
(3) حديقة المعاني ص197/ 205.
(4) دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1975م.
(5) وهو العنوان المختار من المترجمين «من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر».
(6) السابق ص141.
(7) معالم الفكر، من الفكر الصوفي ص129.

إلا ذكر للعقائد البوذية مرة واحدة[1]. ويعتمد اعتماداً شبه أوحد على الوافد الغربي الحديث بعد أن أصبح أحد مكونات الفكر الإسلامي المعاصر منذ ما يزيد على قرنين من الزمان كما كان الوافد اليوناني الروماني أحد الروافد الغربية لمكونات الفكر الإسلامي القديم. فيتقدم ديكارت وليبنتز العقلانيان اللذان تصورا المادة فكراً وروحاً وهو ما يقترب من الفكر الصوفي. فالمادة حركة وامتداد عند ديكارت، وذرات روحية عند ليبنتز. وانتهى إسبينوزا إلى وحدة الوجود، التوحيد بين الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة كما انتهى الصوفية المسلمون، ابن عربي نموذجاً. كما يحيل إلى هيغل وفشته من أنصار وحدة الروح والطبيعة، الله والوجود، وسبنسر الذي اكتشف قوانين المادة وكاننذر صاحب نظرية المعرفة، وجوزيف سنيل صاحب كتاب الحاسة السادسة. ومن القدماء يحيل إلى سقراط وأوغسطين فيلسوف الذاتية كما هو الحال عند الصوفية. ويقتبس من بعضهم. ويشير إلى المذاهب الغربية مثل المذهب المادي. ويستعمل كل فلاسفة العلوم الغربية الذين يعتبرون المادة عقلاً أو روحاً لتدعيم موقف الصوفية نيوتن وكبلر، وجاليوس وكوشي ومسمير مكتشف المغناطيسية، وجيمس جينز، وكالواي فيلسوف الرياضيات ومكتشف نظرية المجموعات[2].

وشتان ما بين البداية، أويس القرني، والنهاية، فلسفة العلوم الغربية. فهل هي ظاهرة طبيعية في الاستعانة بالوافد لتقوية التصوف النظري الذي توارى تحت ضغط أم هي بداية التغريب والانبهار بالغرب ومزاحمة الوافد الغربي الحديث للموروث الإسلامي القديم والذي أصبح الموروث الوحيد عند «العلمانيين» نظراً للتعارض بين الجديد والقديم؟[3].

ويتعرض «معالم الفكر» للبعد الاجتماعي والسياسي ودور الجامعة في تطوير الفكر الصوفي ونهضة الأمة وخروجها من مصاف الأمم المتأخرة إلى زمرة الأمم المتقدمة[4]. ومع ذلك لا يطرح سؤال: كيف يتم ذلك بتصوف إشراقي جبري

---

(1) السابق ص151.

(2) معالم الفكر، من الفكر الصوفي ص85/ 99/ 101/ 107/ 109/ 111/ 123/ 125/ 134/ 135/ 141/ 147/ 154.

(3) السابق ص114-121.

(4) السابق ص106-113.

وليس بتصوف وجداني عقلاني يقوم على حرية الاختيار؟[1]. ويحيل المؤلف إلى باقي مؤلفاته مثل أصول الطبيعة، ما يكشف عن وحدة المشروع، وتكامل الرؤية[2].

و«نداء الحقيقة» تنظير خالص دون وافد قديم أو موروث جديد. فالله هو كل شيء على طريقة الصوفية[3]. أما «رسالة القلب» فهي مجرد مناجاة على طريقة الصوفية المتأخرين[4]. ثم تأتي«نيروان» وهي قصة رمزية تشبه «حي بن يقظان» لابن سينا وابن طفيل وإن كانت أقرب إلى قصة السهروردي «الغربة الغريبة» لما تضمنته من رموز كشفية ومعرفة باطنية[5]. «نيروان» بطلها مثل «حي» يظهر فيها الموروث القديم ابتداء من البسملة والحمدلة. ويذكر اسم السهروردي، شيخ الإشراق وقصة آدم وحواء. كما تذكر آية قرآنية واحدة، سورة بأكملها وهي سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [6]. وبها العادة القبيحة للقدماء بوصف المؤلف نفسه بالذليل والحقير والضعيف وهو ما لا تتطلبه الشجاعة الأدبية[7].

ثالثاً: تقنين المصطلح

1 ـ «اصطلاح الصوفية» لابن عربي(638هـ)[8]

هذا يدل على أن الصوفية أنفسهم يفكرون في تحديد مصطلحاتهم تحديداً نظرياً حتى لا يلتبس على علماء الرسوم أي الفقهاء أي شيء منها. فالمصطلحات تواطؤات أو مواضعات أو اتفاقات بين أهل الصنعة لا يفهمها إلا هم[9]. وهي تعريفات قصيرة

---

(1) «إن الوجود محكوم عليه بالجبر. وقد رسمت أيضاً اختيارات الأجزاء المحدودة المفترضة للعالم في دائرة الجبر اللامتناهية»، السابق ص97-105.

(2) السابق ص143.

(3) في الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، نداء الحقيقة ص159-167.

(4) السابق ص171- 186.

(5) السابق ص189-202.

(6) السابق ص89/ 91/ 194-195.

(7) «هكذا يقول العبد المسكين المفتقر إلى رحمة الله، الملك القوي، المتين، المشتاق لأولياء الحق».

(8) دار الكتب العلمية، بيروت.

(9) «فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم =

بالترادف أو بالعبارة الشارحة دون تطويل أو إسهاب[1]. ولا تخضع لترتيب خاص أبجدي أو غيره بل فقط الأهم فالمهم، مع تجميع بعض المصطلحات المتشابهة مثل النفس والروح أو المشتقة مثل الإرادة والمريد والمراد والعقل أو المتقابلة مثل الأحوال أو ذات الحقل الدلالي الواحد مثل المسافر والسفر والطريق أو المتصلة بموضوع واحد كالطريق مثل الرياضة والمجاهدة أو المقام والحال[2]. وهي حوالي مائة وثمانية وتسعين مصطلحاً. ولا تعتمد على أدلة نقلية باستثناء دليل قرآني واحد، دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[3]. ويدخل في باب المصطلح الذي بدأه القشيري في «الرسالة» في البداية واستمر حتى النهاية عند الكاشاني والنقشبندي. وسبب التأليف استجابة لطلب ولي في شرح ألفاظ الصوفية لعدم معرفة بعض منها. فتم اختيار أصعبها وترك المعروف منها. وهي منتقاة. وليست كل الألفاظ[4].

2 ـ أعمال الكاشاني(730هـ)

أ ـ «السوانح الغربية والمواهب العينية»[5]: وهو عنوان غريب يظهر فيه

= لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا مع عدم معرفتهم بما تواطئنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضنا عن بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك» اصطلاحات الصوفية ص.1.

(1) «ولم أستوعب الألفاظ كلها، ولكن أقتصرت منها على الأهم فالأهم. وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل ما ينظر فيه بأقل نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه. وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة» السابق ص1.

(2) الإرادة، المريد، المراد، المسافر، السفر، المتواجد، الوجد، الوجود، الجمع، جمع الجمع، علم اليقين، حق اليقين، عين اليقين، السالك، الطريق، الذوق، الشرب، الري، الوارد، الشاحن، الخاطر، الرياضة، المجاهدة، المحاضرة، المكاشفة، المشاهدة، المحادثة، المسامرة، اللوائح، الطوالع، اللوامع، البواده، الهجوم، المقام، الحال، القبض، البسط، الهيبة، الأنس، الجمع، الفرق، الغيبة، الحضور، الصحو، السكر. المحو، الإثبات. القرب، البعد، السحق، المحق، السر، التجلي، الحرية، العبودية، الخوف، الرجاء، الختم، الطبع، النور، الظلمة، القشر، اللب، العموم، الخصوص، الحق، الباطل. الأفراد، القطب، الأوتاد، البدلاء، النقباء، النجباء، الإمامان، الأمناء، الملامتية، السابق ص17.

(3) كتب الجرجاني معجم لألفاظ الفتوحات المكية ولكنه أدخل في أعمال المتكلمين.

(4) «أما بعد. فإنك أشرت إلينا».

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005-1426هـ (5) ص97-115.

التقابل بين السوانح والمواهب، وبين الغيبي والعيني. وهي نوع من النثر الفني. لا تتعامل مع موضوع معين بالرغم من قسمتها إلى فصول ووصلات ولكن بلا عناوين. هي أقرب إلى التعريفات الصوفية وتحليل الألفاظ[1]. تركز على الانتباه أو اليقظة وهو أول المقامات وليس التوبة. تعتمد على القرآن والحديث دون أشعار أو أقوال الصوفية[2]. كما تعتمد أحياناً على القسمة العقلية مثل قسمة المعرفة إلى فعلية ووصفية وذاتية[3].

ب ـ **«اصطلاحات الصوفية»**[4]: وكما بدأ علم التصوف بالمصطلحات والألفاظ المتداولة بين القوم حفاظاً على أسرارهم في الثلث الثاني من «الرسالة القشيرية»، فإنه انتهى أيضاً بكشاف لمصطلحات الصوفية على نحو علني في عصر التدوين الثاني، عصر الموسوعات والمعاجم والشروح والملخصات. والعنوان الحقيقي «شرح اصطلاحات الصوفية» للدلالة على النوع الأدبي في التأليف المتأخر. وهو أيضاً من تلاميذ ابن عربي. استأذنه في كتابه الاصطلاحات فأذن له. ولا يهم إن كان شيعياً إمامياً أم سنياً. فالتصوف بنية مستقلة من عقائد الشيعة والسنة. ومن الصوفية شيعة وسنة. وقد تم شرح المصطلحات بعد شرح «منازل السائرين» و «فصوص الحكم» وتأويلات القرآن الحكيم لأنها تعتمد جميعها على مصطلحات الصوفية التي مازالت لم يتم التوافق عليها في العلوم المنقولة والمعقولة وبعد سؤال البعض عنها. وهي مصطلحات تزيد على الألف، تتفرع وتتنوع وتتدرج. فالرسالة قسمان. الأول المصطلحات باستثناء المقامات مرتبة أبجدياً. والثاني في التفاريع ومصدرها وترتيبها. الأبواب سبعة وعشرون طبقاً لعدد حروف الأبجدية. وبعض المصطلحات ليست كذلك مثل أسماء الأعلام التي يوضع فيها اسم «عبد» قبل الاسم الله مثل «عبد السلام»، عبد الرحيم... الخ. فهذه ليست مصطلحات[5]. ومن مصادر الاصطلاح بالإضافة إلى الموروث الصوفي القرآن والحديث والشعر

(1) السابق ص108-115.
(2) الآيات (3)، القدسية (1).
(3) السوانح الغيبية ص98.
(4) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981.
(5) اصطلاحات الصوفية ص21.

وبعض أعلام الصوفية(1). وتغيب أقوال الصوفية صراحة إلا من ذكر بعض الأعلام يتقدمهم ابن عربي. كما تغيب روايات الكرامات والأعاجيب. وقد يقال إن التعريف بالآية ليس تعريفاً لأن الآية في حاجة إلى تفسير أو تأويل. وفي التصوف النظري يظهر الوافد اليوناني من خلال الموروث الفلسفي مثل: أفلاطون وقوله الأثير «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة»(2).

جـ ـ «لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام»(3): ومما يدل على أهمية المصطلحات كتابة الكاشاني في الموضوع مرتين. وسبب التأليف هو عدم دراية علماء الرسوم بمصطلحات الصوفية وأسرارهم، وعلم أصحاب العلوم الحقيقية والمعارف الخفية(4). وهو ما يفيده عنوان «لطائف الأعلام» أي الأخبار في «إشارات أهل الأفهام». وقد صنف المصطلحات بناء على الحروف الأبجدية كما هو الحال في المعاجم والقواميس اللغوية. تبدأ الألف بالألف بعد الألف ثم بالباء بعد الألف حتى ينتهي حرف الألف ثم يبدأ حرف الباء ثم الألف بعد الباء ثم الباء بعد الباء حتى ينتهي حرف الباء وتنتهي كل الحروف(5). وقد يذكر اللفظ بلا تعريف أو شرح إذا

---

(1) ابن عربي (3)، أبو طالب المكي، السهروردي، الشيباني، علي، جعفر الصادق، أنس ابن مالك، الشافعي (1).

(2) اصطلاحات الصوفية ص91/ 146.

(3) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1426هـ-2005م (جزءان).

(4) «فإنّي لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم ربما استعصي عليهم فهم ما يتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من الفكه والأسرار التي يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية الوارثين للعلوم الحقيقية والمعارف الخفية من مشكاة النبوة المحمدية المعتلية من حضيض التلبيسات الخليفة إلى أوج الحضرات المقدسة الجامعة جوامع الكلم الحكيمة والأسرار الإلهية، أحببت أن أجعل هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم، ما تواطؤا عليه من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية وأسرارهم الشريفة الربانية، وما به يفهم بعضهم عن بعض، كما جرت عليه عادة أهل كل فن»، لطائف الأعلام ص23.

(5) «وبينت ذلك بالبيان المتقن المحكم المرتب على حروف المعجم بحيث إني جعلت الحرف الثاني من كل كلمة على ترتيب الحروف أيضاً لكون ذلك أضبط في النظم وأظهر للفهم. فقدمت في باب الألف ذكر الكلمات التي أولها ألف بعد ألف على الكلمات التي أولها ألف بعده حرف بعد الألف حتى إذا فرغت من تفسير جميع الكلمات التي أولها ألف بعد ألف شرعت بعد ذلك في تفسير الكلمات التي أولها ألف بعد باء»، السابق ص24.

كان واضحاً بذاته لا يحتاج إلى تعريف. وقد تقتصر التعريفات على المترادفات. وقد تمتد إلى تعريفات نظرية قصيرة، مجرد موضوع ومحمول كما هو الحال في الحدود المنطقية. وقد يطول التعريف أكثر على نحو نظري صرف.

وقد تستعمل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث مع أولوية القرآن على السنة. والشعر على السنة، مما يبين أهمية الشعر الصوفي[1]. والقرآن هو شعر العرب بعد الإسلام كما أن الشعر قرآن العرب قبل الإسلام. ومعظم الشعر من الشعر الصوفي. ويذكر الرسول أحياناً بشخصيته وليس بقوله مما يكشف عن أهمية «الحقيقة المحمدية». وتذكر القصائد مثل «نظم السلوك» لابن الفارض أو «التائية الكبرى». كما تذكر «الفتوحات» أو كتاب «الباء» أو «الفصوص» (الفص الأدريسي) أو «المنازل الإنسانية» لابن عربي، أو «المشكاة» للغزالي. ويكثر الاعتماد على ابن عربي «الشيخ» ثم جعفر الصادق ثم ابن الفارض «شيخ العارفين» ثم الجنيد والبسطامي ثم ذو النون ورويم والقشيري والسلمي والكرخي والحريري وأبو عثمان المكي والشبلي. وتقتبس بعض أقوالهم في تعريف المصطلحات[2].

3 ـ مؤلفات محمد وفا (765)، النقشبندي (791)، ابن عجيبة (1224)، الكيالي

أ ـ «شعائر الفرقان في ألواح الكتمان» لمحمد وفا[3]: وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. تتضمن مائة وستة شعيرة بلا عناوين. وهي شعائر صوفية وليست عبادية، في الحقيقة وليست في الشريعة. يبدأ بعضها بمصطلح صوفي والآخر بآية قرآنية[4]. الشعيرة الأولى كلها مصطلحات صوفية مائة وست مصطلحاً بلا ترتيب أبجدي أو موضوعي[5]. تتناثر موضوعاتها مما يجعلها في حاجة إلى

(1) الآيات (244)، الأحاديث (134)، الأشعار (175).

(2) ابن عربي (11)، جعفر الصادق (5)، ابن الفارض (4)، الجنيد، البسطامي (2)، رويم، القشيري، السلمي، الكرخي، الحريري، أبو عثمان المكي، الشبلي، أبو حفص السعدي، أبو مدين، الصعلوكي، السبكي، أبو عقال، أبو السعود، أبو سعيد البغدادي، محمد اللبان، كمال علي بن الحسين (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006 (2) ص 87-189.

(4) الشعائر التي تبدأ بالقرآن (4)، بالحديث (1)، بالموضوعات (100).

(5) شعائر الفرقان ص89-94.

إعادة تجميع في موضوعات أقل طبقاً لموضوعات التصوف الخلقي أو النفسي أو الفلسفي، النظري أو العملي. وتتفاوت أحجامها[1]. كما أن أسلوبها مملوء بالسجع والمحسنات البديعية. بعضها واضح مثل الحكم واللوح والهوية ومفاتيح الغيب والأزل والنور والنار والفلك. الخ. والبعض الآخر أقرب إلى الشفرات وأشبه بأسلوب الحلاج[2]. بعضها إخباري وهو الغالب، والآخر أمري موجه إلى المخاطب[3]. البعض صور وتشبيهات[4]. وتتعدد وسائل المعرفة[5]. ويتخللها دعاء[6]. والبعض في الذات والصفات، والنفي والإثبات[7]. ولا يذكر سبب التأليف بل فقط عبارات أدبية منمقة. وبعضها يبدأ بمخاطبة القارئ. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[8].

ب ـ **«جامع الأصول في الأولياء» للنقشبندي الخالدي**[9]: هو نوع من التأليف الموسوعي في العصور المتأخرة تحت شعار الأولياء الذين أصبحوا مرادفين للصوفية في المرحلة الطرقية. فلا يوجد صوفي إلا وهو ولي. والولي درجة أعلى

(1) أكبرها (6ص) وأصغرها سطر واحد.

(2) مثل العدم بما كتب قلم البكم في لوح الصمم، لا سمع ولا تكلم، ولا علم ولا أعلم. كان الهو الأحد بلا عدد، يعلم علم المفرد، ويشهده شهادة الواحد الأحد، ويحصله تحصيل المجرد بالمجرد، لا يفرغ فينفد، ولا يحدث فيتجدد، كثير أحدي الصمد، لم يلد ولم يولد. فأراد أن يُعرف وعلى مثاله الأعلى يتشرف... السابق ص120. «انزل توجد، وأرقَ تفقد، واعلم تعدم، واسكت تسلم، وقل تغنم، يا لا شيء كيف الشيء؟ ويا شيء كيف لا شيء؟»، السابق ص123.

(3) «مثل اعلم وفقك الله»، احذر شرشرة المريد...»، السابق ص128.

(4) مثل «شجرة لها أغصان عشرة»، السابق ص27.

(5) «الصورة الجميلة، والحس المعتدل، والخيال الصادق، والنفس المطمئنة، والعقل الكامل، والقلب المدرك، والفؤاد الشاهد، والروح المستهلك، والسر المحقق، والمجموع من ذلك، والنتيجة كذلك»، السابق ص168.

(6) «دعاء: اللهم أعدني بسر التحقيق، ونور التوفيق من سوء الضيق وحرج الطريق» السابق ص183.

(7) «لا إله إلا الله» كلمة نفي وإثبات. تنفي كل شيء عن قيد الوهم. وتثبته بإطلاق الحقيقة. وما يثبت بالحقيقة لا يتحول إلى مجاز»، السابق ص137.

(8) الآيات (82)، الأحاديث (26)، القدسية (9)، الأشعار (16).

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (2) ص 89-94.

من الصوفي، وأقل من النبي. وهو تأليف لصالح الأولياء (الجزء الأول)، والطرقية (الجزء الثاني)، ثم تأتي المصطلحات، معجم الكلمات الصوفية (الجزء الثالث) في النهاية. والمؤلف أحد أعمدة الطرقية النقشبندية. فقد أصبح رؤساء الطرق مؤلفين. وتغيب بنية التصوف الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» بل تتناثر الموضوعات. الهم جمع المادة بلا ترتيب. يتسم بالوضوح مثل كل الفكر الموسوعي.

وتتناثر الموضوعات بلا ترتيب، سبع وسبعون موضوعاً في الأولياء وأوصافهم الجزء الأول، وست وسبعون موضوعاً في الطرق الصوفية (الجزء الثاني)، وسبع وعشرون جزءاً طبقاً للحروف الأبجدية وعددها. ويشمل جزء الأولياء كل موضوعات التصوف. فاحتوى الجزء الكل، ورد الكل إلى أحد أجزائه. فيذكر الأقطاب والأبدال (الأوتاد والنجباء)، وشروط المريد وآدابه والصحبة وآدابها، وتوصف مصطلحات الطريق كالعزلة والخلاص من الدنيا. ويوصف الطريق من ذكر وجهاد النفس والأعمال والأوراد والشريعة والطريقة. ولا تذكر الأحوال والمقامات والترقي فيها إلا في موضوع واحد، والقبض والبسط والمحبة والسكر والصحو والشرب والفناء والبقاء والورع والصبر والقناعة والمحبة والتوبة والعبودية، ومناهج التعليم مثل التلقين والسند والهواجس والخواطر واليقين، والغاية والتوحيد ورمزه الوجود والشهود والكشوف.

والطرق الصوفية لا تتعلق بها وحدها بل تشمل موضوعات التصوف كلها بالإضافة إلى النقشبندية والقادرية والشاذلية. وتتعلق كلها بعلاقة الشيخ والمريد وآداب الصحبة والتعلم والخلوة والعزلة ومجاهدة النفس والسماع. وتُعاد موضوعات التصوف الخلقي مثل الحسد والفضائل مثل الأمل والتواضع والخشوع والصدق والتقوى. وتظهر بعد الأحوال مثل النفي والإثبات والخوف والخشية والقبض والبسط والبكاء والحزن والصحو والسكر والمحو والذوق والشرب. كما تظهر بعض المقامات مثل الصبر والجوع والعبودية والصبر والقناعة والمحبة والتوكل والرضا. ولا فرق بين موضوعات الجزأين الأول والثاني بالرغم من اختلاف العنوانين.

أما معجم الكلمات الأبجدي فهو أقرب إلى المعاجم الحديثة. والأهم هو

تحديد معنى كل لفظ طبقاً لأحد عشر منظوراً. منها ما هو شائع مثل الأخلاق والمعاملات والأحوال والحقائق ومنها ما يحتاج إلى تأمل مثل البدايات والنهايات والأصوات والولايات والأصول والأدوية والأبواب. فاللفظ الصوفي لم يعد داخل التصوف وحده بل له استعمالات أخرى في باقي العلوم.

والحجج النقلية قليلة لأن الفكر الموسوعي المعجمي لا يبرهن على شيء بل يجمع ويصنف ويرتب ويهذب. كذلك يغيب البرهان كلية. فليس المقصود الإقناع بل الحفظ من الضياع. وأسماء الأعلام قليلة. فلا يهم المؤلف بل التأليف. وفي العصور المتأخرة يطغى التأليف على المؤلفين في حضارة جماعية يساهم فيها الجميع قبل امتلاك الفكر وحقوق المؤلفين الفردية.

جـ ـ «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة[1]: وهي رسالة في مصطلحات الصوفية. ليس لها سبب للتأليف إلا تعالم الشارح ولكون التصوف أشرف العلوم. ويدل على ذلك ألقاب الشارح[2]. وفي المثل الشعبي «ما يشكر في نفسه إلا الشيطان»، ولا يوجد نسق معين في ترتيب المصطلحات لا موضوعياً ولا أبجدياً. البعض منها مصطلح بمفرده، والبعض الآخر مصطلحان معاً أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة[3]. ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن[4]، وأحياناً تذكر أحاديث الرسول في المنام. وتذكر بعض أقوال الصوفية من أبي علي الدقاق ثم القشيري أصحاب المصطلحات ثم من الجنيد والتستري وابن الفارض ثم الحسن البصري وذو النون والكتاني والسيوطي وابن البنا والجيلاني والجريري وعلى الجمل وأبو العباس المرسي وآخرون[5]. ويصاحب ذلك تقريظ بعضهم

---

(1) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص213-255.

(2) مثل: «الشيخ الإمام، بحر الهمام، الصوفي الكامل، والعارف الواصل، بحر الحقائق العرفانية، وشمس المعارف العيانية...»، السابق ص213.

(3) اللفظ الواحد مثل: الإنابة (46 مصطلحاً). واللفظان مثل الرضى والتسليم (16)، والثلاثي مثل علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين (13). والرباعي مثل: التواجد والوجد والوجدان والوجود (3)، والخماسي مثل: الأحدية والإيحاد والفردانية والوحدانية والانفراد. والسباعي مثل: الصالحون والأولياء والبدلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب (1).

(4) الأشعار (19)، الأحاديث (15)،القدسية، (1)الآيات (6).

(5) أبو على الدقاق (5)، القشيري (4)، الجنيد، التستري، ابن الفارض (2)، الحسن =

بالألقاب وإحصاء علامات الأقطاب[1]. ولا يحال إلى مصادر أخري تقتبس منها التعريفات.

د ـ **«الحكمة الحاتمية والاقتباسات الإلهية» لابن عجيبة**[2]: وهي حكم إلهية جارية على لسان بعض أهل الله. وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم في ست مجموعات: حكم إلهية، حدود الأصول، الاقتباسات الإلهامية، وشرح الشريعة والطريقة والحقيقة في حديث الرسول، قواعد التربي، أقوال ابن عربي[3]. وتحتاج إلى إعادة تصنيف في مجموعات أقل. وتعتمد على القرآن والحديث بالرغم من أن التعريفات النظرية هي الغالب عليها[4].

هـ ـ **فهرس شرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري كما وردت في الحكم للدكتور عاصم إبراهيم الكيالي**[5]: وهو ثبت بالمصطلحات الواردة في الحكم مرتبة ترتيباً أبجدياً قام بها أحد الأساتذة الدكاترة المحدثين. لا جديد فيها إلا الرصد والشرح اعتماداً على الكتب القديمة المشابهة. يأتي في مقدمتها «لطائف الأعلام» للكاشاني ثم «موسوعة مصطلحات التصوف» لأحد الزملاء ثم «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة المغربي ثم «اللمع» للطوسي ثم «الإنسان الكامل» للجيلي ثم «جامع الأصول» للنقشبندي ثم «المقصد الأسنى» للغزالي ثم «الفتوحات» لابن عربي وغيرها من القدماء والمحدثين[6]. وتؤخذ اقتباسات بعلامة

= البصري، ذو النون، الكتاني، السيوطي، ابن البنا، الجيلاني، الجريري، علي الجمل، أبو العباس المرسي (1).

(1) معراج التشوف ص252-254.

(2) الواضح المنهاج في نظم ما للتاج (2)، دار الكتب العلمية ص121-136.

(3) الحكم الإلهية (156)، حدود الأصول (16)، الاقتباسات الإلهية (98)، الشريعة، الطريقة والحقيقة (20)، قواعد التربي (5)، أقوال ابن عربي (39).

(4) الآيات (3)، الأحاديث (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص97-213.

(6) لطائف الإعلام للكاشاني (52)، موسوعة مصطلحات التصوف (33)، إيقاظ الهمم لابن عجيبة (24)، الإنسان الكامل للجيلي (11)، اللمع للطوسي (10)، جامع الأصول للنقشبندي، التصوف للكلاباذي، مصطلحات الصوفية للكاشاني (4)، المقصد الأسنى للغزالي، الفتوحات المكية لابن عربي، التنوير في إسقاط التدبير، كشف المحجوب للهجويري، الرسالة القشيرية، الإسفار عن رسائل الأنوار للجيلي (3)، مصطلحات =

«انتهى». كما يعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. ومن الصوفية يحال إلى ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الجيلي والداراني والكاشاني، والنخشبي، وابن عطاء الله[2].

رابعاً: مناهج التفسير

أحد مصادر التصوف تأويل النصوص. ولكل نص حد ومطلع، ظاهر وباطن، حرف ومعنى، إشارة ومشار إليه، ويستعمل لفظان «تفسير» أسوة بعلم التفسير بالعبارات الشارحة، وتأويل وهو التفسير الباطني بإخراج اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي. ويسمي أيضاً التفسير الإشاري. ونصوص التأويل إما تأويل جزئيٌّ لآية أو لحديث أو تأويل كليٌّ لسورة من السور مثل سورة الفاتحة لصدر الدين القونوي أو تأويل شامل للقرآن كله مثل تفسير التستري أو ابن عربي. والأقل هو التأويل النظري أي قواعد التأويل دون تطبيقه على آية أو سورة أو جزء أو ربع أو القرآن كله. وعادة ما يكون التأويل للقرآن وليس للحديث. ورفع التعارض بين الحديث أو الآيتين كما فعل الكاشاني أيضاً من علوم التأويل. والصوفية الذين ساهموا في علوم التأويل هم السلمي (412هـ)، القشيري (465هـ)، الغزالي (505هـ)، ابن عربي (638هـ)، القونوي (673هـ)، الشافعي (678هـ)، ابن عطاء الله السكندري (709هـ)، الكاشاني (730هـ)، محمد وفا (765هـ)، الجيلي (835هـ)، الكتاني (1327هـ).

1 ـ «زيادات حقائق التفسير» للسلمي (412هـ)[3]

والتفسير والتأويل من موضوعات التصوف النظري استئنافا لمرحلة تشكيل الوعي التاريخي من الوعي التاريخي اللغوي إلى الوعي النظري في تفسير القشيري «لطائف الإشارات»، وتفسير ابن عربي للقرآن، والجامي للفاتحة، وغيرها من التفاسير الكلية أو الجزئية. وبداية التفسير عند جعفر الصادق (148هـ)، والحلاج (309هـ)، والتستري (309هـ). وهو الموضوع المنهجي في علوم التصوف، كيفية

= التصوف لرفيق العجم، الأنوار القدسية للشعراني، ترجمان الأشواق لابن عربي، إحياء علوم الدين، عقد اللآلي في شرح بدأ الأمالي للاحسائي، قوانين حكمة الإشراق للشاذلي (1).

(1) الآيات (29)، الأحاديث (6)، الأشعار (4).

(2) ابن عجيبة (3)، الجنيد (2)، الجيلي، الداراني، ابن عطاء الله، الكاشاني، النخشبي (1).

(3) دار الشرق، بيروت ط2، 1997م.

التعامل مع النص، فهماً وتفسيراً وتأويلاً. وهي مجموعة زيادات صغيرة ذيلاً على التفسير الكبير «حقائق التفسير»، ومرتبة ترتيباً زمانياً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. ليس للسور كلها بل لآيات مختارة منها باستثناء الفاتحة[1]. وتتكرر الآيات والألفاظ لشرحها. وتتقطع إلى ألفاظ للتعليق عليها[2]. والتفسير تعليق على الألفاظ أو المسائل مقتبسة ثلثيها من صوفية القرون الثاني والثالث والرابع مثل جعفر الصادق (148هـ)، وابن عطاء (309هـ)، والتستري (319هـ)، والواسطي (320هـ)، ومعظمها مفقود وتعتمد على الأحاديث[3]. ولا يعتمد إلا على المورروث دون الوافد من أقوال الصوفية، التستري ثم جعفر الصادق ثم ابن عطاء، وآخرون كانوا معروفين في عصرهم مثل الأصفهاني والعنبري والذارع. ثم يأتي الجنيد والواسطي ثم الحلاج ثم الخراز ثم البلخي ثم النوري والترمذي ثم ذو النون ثم إبراهيم ابن أدهم والبسطامي والداراني. وفي النهاية يظهر أويس القرني والحسن البصري. ومن الأنبياء يتقدم الرسول ثم موسى ثم إبراهيم ثم آدم[4].

2 ـ أعمال القشيري (456هـ)

أ ـ «نحو القلوب»[5]: وبالرغم من أنه ليس في التفسير إلا أنه في اللغة وطريقة فهم النحو. فالنحو ليس بناء صورياً يتعلق ببناء الجملة والإعراب كما هو

(1) حوالي 600 آية.

(2) حوالي 2000 لفظاً.

(3) الآيات (7).

(4) بعضهم (319)، التستري (201) جعفر الصادق (162)، ابن عطاء الآدمي (157) أبو نصر الأصفهاني (99)، العنبري (91)، الذارع (87)، الطائي (81)، الرسول (80)، الجنيد (75)، قيل (72) علي الرضا (61)، الواسطي (56)، الحيري (43)، أبوالحسين الفارسي، المكي (42)، أبو بكر الرازي، الجريري (36)، الأبهري، الحلاج (31)، الخلدي، الشبلي (24)، الخراز (18) البلخي (17)، النوري، الترمذي (15)، ذو النون (12)، موسى، يوسف الزاهد (11)، إبراهيم (10) آدم، الوراق، النهرجوري، النصراباذي (9)، إبراهيم الخواص، يوسف الرازي (8)، الدقاق (7)، أبو سعيد القرشي (6)، السراج، يحيى بن معاذ (5)، أبو جعفر الرازي، الوراق، أبو حفص النيسابوري (4)، إبراهيم بن أدهم (3)، عمر بن عثمان المكي وغيرهم (2) أيوب، البسطامي، أبو سليمان الداراني، أويس القرني، الحسن البصري وغيرهم (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 1426هـ-2005م.

الحال في علم اللسانيات الغربي الحديث بل هو نحو القلب أي نحو شعوري نفسي كما هو الحال في علم اللسانيات النفسي الغربي الحديث[1]. هو نحو إشراقي، إعادة بناء النحو طبقاً للتجربة الصوفية كما حاولت الظاهريات في الغرب المعاصر إعادة بناء الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم النفس على أساس شعوري[2]. فالقلب عند القدماء هو الشعور عند المحدثين. وقد حاول ذلك الفلاسفة من قبل في المحاورة الشهيرة بين المنطق والنحو، بين أبي بشر متّى بن يونس وأبي سعيد السيرافي ونسبتهما إلى الفكر. فالنحو منطق العرب والمنطق نحو اليونان. ومن ثم فلا حاجة للعرب لمنطق اليونان، ولا حاجة لليونان إلى نحو العرب[3]. والسؤال هو: هل هناك نحو صوفي غير النحو اللغوي أم أن هذا افتراض علمي وإعلان نوايا لم يتحقق منه شيء؟ ومن ثم يكون «نحو القلوب» مثل «منطق المشرقيين» الذي يعلن عن منطق خاص بالمشرقيين في المقدمة ثم يأتي المنطق صورياً أرسطياً خالصاً؟[4]. ونقطة الالتقاء بين النحو والتصوف هو القصد. فالنحو اشتقاقا يعني القصد، القصد نحو المعنى، والتصوف هو قصد إلى الله. وقد تم التقابل على نحو الإيجاز مما يدل على إمكانية التطوير فيما بعد من القشيري أو من غيره لما كانت الحضارة مشروعا مشتركا بين الجميع[5].

وينقسم الكتاب إلى أجزاء وأبواب وفصول غير مرقمة. وهناك الجزء الثاني دون الأول[6]. وهناك خمسة أبواب عن أقسام الكلام، والأسماء واشتقاقها، وموانع الصرف، والإعراب والبناء، والبدل. ولا تتعلق الفصول بموضوع الأبواب إلا فصلاً واحداً للاسم وقسمته إلى صحيح ومعتل تحت باب الأسماء واشتقاقها. ثم تعود الأسماء في فصل تحت باب الإعراب والبناء. وتحت باب البدل توضع فصول النعت والعطف والتوكيد وحروف الجر. والسؤال هو: هل للنحو والتصوف

(1) علم اللسانيات النفسي Psycho- linguistics.
(2) انظر كتابنا تأويل الظاهريات، مكتبة النافذة، القاهرة 2006.
(3) جدل الوافد والموروث، قراءة في المناظرة بين المنطق والنحو بين متّى بن يونس وأبي سعيد السيرافي، هموم الفكر والوطن، جـ1 التراث والعصر والحداثة ص107-118.
(4) من النقل إلى الإبداع مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة النظرية جـ1 المنطق ص 80-85.
(5) نحو القلوب ص3.
(6) السابق ص39.

بنية واحدة؟ وإذا كان التصوف هو الطريق إلى الله أي التوحيد فإن النحو أيضاً قائم على نظام للأولويات. الله حاضر في النحو كما أن اللغة حاضرة في التوحيد. فالمبتدأ في الجملة الاسمية سابق على الخبر. والفاعل له أولوية على الفعل، والموصوف على الصفة. وفي التصوف الله له الأولوية على العالم. فالله هو المنعوت والموصوف. وهو الاسم والفاعل. والادغام في اللغة مثل الجمع في التصوف. والمضمر في اللغة هو الباطن في التصوف. النحو والتصوف إذن لهما بنية واحدة. والنحاة هم العارفون. واللغويون هم الواصلون. والحقيقة أن المقاربة بين النحو والكلام وليس التصوف لأن الكلام الأشعري هو الذي يعطي الأولوية لله على الإنسان والعالم، والقدر على الحرية، وللإرادة على قانون الطبيعة. أما التصوف فإنه لا فرق بين الله والإنسان والطبيعة، الحق حق، والخلق حق. والله إنسان كامل، والإنسان الكامل إله.

ويعتمد الكتاب على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[1]. وتتوالى الآيات في دفعات[2]. والأحاديث متون بلا أسانيد لبعد عهد التدوين وعلم ميزان الرجال والجرح والتعديل وبعد أن استقرت المعارف عن الرواة. والشعر هو الذي يربط بين النحو والتصوف. وهو أساس التفسير كما قال عمر «عليكم بشعر جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم». كما يعتمد على بعض الأمثلة الفقهية لتوضيح الاقتران في النحو والفقه[3]. ومن أعلام الصوفية لا يذكر إلا الشبلي على التحديد، والشيوخ على الإطلاق[4].

ب ـ **«التحبير في التذكير»**[5]: وله عنوان فرعي «دراسة لأسماء الله الحسنى وصفاته بقلم باحث صوفي وسني أشعري» والعنوان غريب «التحبير»، أي من حبّر أي التدوين والتحرير. و «التذكير» أي إثارة الانتباه لأسماء الله الحسني. ويدل العنوان الفرعي أن المؤلف باحث صوفي أي أسماء الله الحسنى من وجة نظر

(1) الآيات (21)، الأشعار (15)، الأحاديث (6).
(2) نحو القلوب ص44.
(3) السابق ص17.
(4) السابق ص14/ 24.
(5) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968.

التصوف مثل «نحو القلوب»، النحو من وجة نظر التصوف. والباحث سني أشعري ينتسب إلى فرقة كلامية بعينها هي فرقة أهل السنة الأشاعرة. وبين التصوف والأشعرية وشائج قربى وأسس نظرية ورؤية للعالم مشتركة. وهو مجرد فصول بلا ترقيم. لكل اسم أو اسمين فصل[1].

ويمكن أن يدخل في «مناهج التأويل» في الوعي الموضوعي اللغوي أسوة بالوعي التاريخي اللغوي. فهي شرح صوفي لأسماء الله ودلالتها على الطريق الصوفي. فالله ليس موضوعاً تتمحور حوله صفات مثل الجوهر والأعراض بل هو ذات أقرب إلى الإنسان الكامل. وكل ما به من حياة وعلم وشوق. ويمكن أن يدخل أيضاً في بداية الاغتراب في الوعي النظري نظراً لأن المؤلف أيضاً له «كتاب المعراج». والأصح أنه محاولة للرد على المتكلمين من أجل إعادة نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء من الموضوع إلى الذات، ومن الخارج إلى الداخل، ومن الاغتراب إلى الأصل، ومن العقل إلى الوجدان، ومن الجدل العقيم إلى الآداب، ومن الحقيقة إلى المجاز وباختصار من الله إلى الإنسان حرصاً على التنزيه ودرءاً للتشبيه[2]. لذلك تختلف الأسماء باختلاف العلوم ومستويات المعرفة[3]. تعبر عن حاجات الناس ومقتضياتهم وظروف عصرهم. فالأسماء هي مجموع الآمال والغايات والحاجات الإنسانية التي لم تتحقق[4]. والدليل على ذلك الاشتقاق. فلا يوجد اسم إلا وله لفظ مشتق. بل إن لفظ «الله» الجامد لا اشتقاق له هو اسم سامي مشتق من «إل» أي المرتفع العالي، السامي، كما هو الحال في اللغة العبرية. لذلك يُلجأ باستمرار إلى لغة العرب[5]. بل إن أسماء الأنبياء مشتقة مثل نوح من كثرة النواح. وقد اكتمل ذلك كله في «الإنسان الكامل» عند ابن

(1) الفصول 76 فصلا.

(2) ذكر لفظ الآداب عشرة مرات.

(3) «وقيل كاشف «الهُيَّم» بقوله ﴿هو﴾، والمهيمن بقوله ﴿ٱللَّهُ﴾، والعلماء بقوله ﴿أَحَدٌ﴾، والعقلاء بقوله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، والعوام بقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾»، التحبير والتذكير ص26.

(4) من العقيدة إلى الثورة، جـ2 التوحيد، الأسماء ص538-600، رابعاً: إلهيات أم إنسانيات؟ ص600-664.

(5) التحبير والتذكير ص61.

عربي والجيلي. ثم تشخصت في الحقيقة المحمدية ابتداء من ذو النون مروراً بابن عربي حتى التصوف العملي واعتبارها واسطة بين الحق والخلق. ويستعمل أسلوب الحوار، وهو أسلوب التعلم بين الشيخ والمريد. والهدف من الكتاب هو القضاء على اغتراب المتكلمين وتصورهم لله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء التي انفصلت عن أساسها في التجارب الإنسانية الحية. وتحجرت وتشيئت وتحولت إلى موضوعات خارج الوعي الإنساني. ونموذج ذلك «المقصد الأسنى في معرفة أسماء الله الحسنى» للغزالي. فالأسماء والصفات الإلهية في أصلها ونشأتها أسماء وصفات إنسانية، وأحوال صوفية. وما أسهل من ردها إلى أصلها في المقامات والأحوال. ففي المقامات، التواب من التوبة، والغني من الفقر عن طريق القلب، والشكور من الشكر، والوكيل من التوكل، والصبور من الصبر. وفي الأحوال، القابض والباسط من القبض والبسط، والواجد من الوجد، والجامع من الجمع. ومن الفضائل، الكريم من الكرم. ومن أحوال الطريق وتهذيب النفس، الحسيب من المحاسبة، والرقيب من المراقبة، والمجيب من الدعاء، والولي من الولاية، والحق من الحقيقة. بل إن كثيراً من الصفات والأسماء هي أصلاً مصطلحات الصوفية مثل العلى من العلو أو السمو، والظاهر والباطن مقولتان معرفيتان لقراءة النص، والواجد من الوجد، والجميل والجليل من الجمال والجلال. أما الصفات النقيضة التي تبدو بعيدة عن التجربة الإنسانية فإنها تؤول أيضاً تأويلاً إنسانياً لردها إلى أصلها ولو عن طريق القلب مثل المنتقم الذي يعني العدل ضد الظلم، والجبار الذي يعني الجبر والمداواة مثل جبيرة الطبيب، والمتكبر الذي يعني التواضع، والمميت الذي يعني المحيي، والقهار تعني المحبة لقهر الحب. والغاية من هذه الصفات التخويف من أجل الرجاء. فكل صفة أو اسم في الله هي في الأصل حال أو مقام إنساني. والخلاف بينما في الحقيقة والمجاز، هل هي في الله حقيقة وفي الإنسان مجازا أم هي في الله مجازاً وفي الإنسان حقيقة طبقاً لقياس الغائب على الشاهد؟ فكل «ثيولوجيا» هي في الأصل «أنثروبولوجيا» مقلوبة، من الأرض إلى السماء. ولا تفهم إلا بردها إلى وضعها الصحيح، وتحويلها من السماء إلى الأرض، خاصة «المقدم والمؤخر» مما يساعدان على نشأة فلسفة في التاريخ وبلورة الوعي التاريخي الذي غاب في علم الكلام بسبب اغتراب الماضي في النبوة، والمستقبل في المعاد، والحاضر في

الإمامة[1]. وتبقى بعض المسائل الكلامية التي لم تختف بعد مثل الجدل حول الاتحاد ضد النصارى[2].

ويعتمد على القرآن ثم الشعر والحديث[3]. وتذكر المتون دون الأسانيد. يكفي «وفي الخبر» أو «وفي الأثر». كما يعتمد على كثير من حكايات الصوفية ورواياتهم وكرامتهم مثل ذي النون. وينهل من الإسرائيليات باعتبارها أحد المصادر الرئيسية عن الأنبياء السابقين، إبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى[4]. ويعتمد على كثير من أقوال الصوفية. يتقدمهم الشبلي والجنيد، ثم التستري والدقاق، ثم البسطامي والخراز، ثم ذو النون ويحيى بن معاذ وحاتم الأصم وبشر الحافي وجعفر الصادق والسري السقطي والمرتعش والنصراباذي والجريري وإبراهيم ابن أدهم وآخرون. ومن الفقهاء يحال إلى الشافعي، ومن المدن إلى بغداد وعسقلان. ويحال إلى جماعات مثل بعض المشايخ وبعض العارفين وأهل المعرفة وأهل الإشارة وأهل الحق والأكابر والحكماء أو بعضهم، ومن الفرق غير الإسلامية النصارى، وبعض الصالحين، وبعض الأفراد[5]. ويغيب التحليل العقلي. وتندر القسمة العقلية التي هي أحد وسائل التعريف[6].

جـ ـ **«شرح أسماء الله الحسنى»**[7]: لا يعني الشرح هنا المعنى الاصطلاحي للفظ تفصيل نص وتفسيره بنص آخر موازي بل يعني مجرد بيان وقراءة وتأويل.

---

(1) السابق ص82.

(2) السابق ص94.

(3) الآيات (109)، الأحاديث (20)، القدسية (4)، الأشعار (18).

(4) الإسرائيليات (11).

(5) الشبلي، الجنيد (8)، إبراهيم بن أدهم، ذو النون، البسطامي (6)، التستري (5)، الدقاق، الخراز (4)، يحيى بن معاذ (3)، بشر الحافي، ابن فورك، الكتاني، سلمان الفارسي، حاتم الأصم، جعفر الصادق، السري السقطي، المرتعش، النصر اباذي، الأحنف بن قيس، الجريري، مالك بن فضول، الخواص، أبو عثمان الحيري. ومن الفقهاء الشافعي (2). ومن الصحابة ابن عباس، أحمد بن خضرويه، عبد الله بن خفيف، النوري، أبو الدرداء، المحاسبي، الواسطي، الفضيل بن عياض (1).

(6) قسمة الناس أربعة أقسام والصبر في حق العباد إلى ثلاثة أقسام، التحبير والتذكير ص51/ 95.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 1427هـ-2006م.

وهو استئناف لموضوع «التحبير والتذكير» مع مزيد من التفصيل، والهدف القضاء على الاغتراب الديني في علم الكلام، نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء والعودة بها إلى مصادرها في التجربة الإنسانية، والعودة بالإنسان الكامل إلى الإنسان المتعين[1]. للكتابان نفس الأسلوب ونفس المادة ونفس الهدف. وهو سبب التأليف[2]. لذلك تكثر كلمة «آداب» أي أن الأسماء ليست حقائق نظرية مجردة بل هي آداب عملية وسلوك[3]. وكثير من الأسماء أحوال صوفية مثل القابض والباسط[4].

وينقسم الكتاب إلى أبواب وفصول، الباب عرض الاسم في علم الكلام على المستوى النظري المجرد الشيئي الموضوعي الثابت. والفصل ينقل الاسم إلى

(1) «من العقيدة إلى الثورة» مجـ2 التوحيد (الإنسان الكامل) مجـ3 العدل (الإنسان المتعين).

(2) «فقد كثر سؤال الراغبين في علم التذكير منا في إملاء كتاب يشتمل على أبواب في هذا الفن يكون تبصرة للمبتدئين، وتذكرة للمحققين. وكنت أزهد في الإجابة إلى ذلك لما ظهر من الخلل في هذه الطريقة، وإيثار كثير ممن ينتمي إلى هذه الصنعة العرض اليسير مما يجمعه من حطام الدنيا على ما أعده الله سبحانه لأهل العلم إذا نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين من الدرجات العلا والمثوبة الحسنى. ولما انضاف إلى خطأ مقاصدهم في الأغراض خطأ مقالتهم، وخطل كلماتهم حتى قل التحقيق وضاعت البدع على الأفواه، وزال التمييز، وكثر المتعاطون لهذه الحالة والمتصوفون بهذه الصفة رأيت في حكم النصيحة في الدين ومقتضى ما أخذه الله على العلماء من ترك الكتمان للحق أن أملي كتاباً جامعاً يشتمل على حضور مجلس موسمي صالح من هذا العلم يتحقق به من تأمله. وربما لا يتفق لبعض الراغبين في الاتعاظ حضور مجمع الذكر فيعتاض بالنظر فيه عما فاته من التذكير»، شرح أسماء الله الحسني ص10.

(3) فصل من آداب من عرف أن الملك لله تعالى، شرح أسماء الله الحسنى ص68-70، فصل من آداب من عرف اسمه تعالى القدوس ص71. فصل آداب من تحقق باسمه تعالى السلام ص73-76. فصل آداب من عرف أنه العزيز جل جلاله ص84. آداب من عرف اسمه تعالى الجبار ص 78. فصل آداب من عرف أن الله تعالى المتفرد بالإيجاد ص95-96. فصل من آداب من علم أنه تعالى الفتاح ص115-117، آداب من علم أنه تعالى من الخفيات ص117. فصل ومن آداب علمه تعالى عليا ص118-120. فصل من آداب من علم أنه تعالى شكور ص147-148. فصل من آداب من علم أنه تعالى المحصي ص201-202. فصل من آداب من عرف تلك الأسماء ص229-230.

(4) السابق ص 120-122.

مستوى التجربة الحية والخبرة البشرية عوداً إلى الأصل، وقضاء على الاغتراب[1]. الأبواب الستة الأولى في الأسماء بوجه عام. والأبواب التالية في الأسماء التسعة والتسعين تفصيلاً. والهدف واحد وهو الانتقال من الصوري إلى العياني، ومن المجرد إلى التجريبي، ومن الآخر إلى الأنا. فإذا كان ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في علم الكلام فإنها في التصوف «من عرف اسم ربه نسي اسم نفسه» أي علاقة الله بالنفس وليس علاقة الله بذاته. ولا فرق بين أسماء الله الحسنى وأسماء العبيد الحسنى[2]. والدعاء مشترك في العلمين. وإذا كان ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ في علم الكلام فإنه في التصوف تعظيم للرب وفضل البركة والإحسان. وإذا كان في علم الكلام ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فالتسبيح في التصوف فعل ذاتي وتقديس الأعمال عن الرياء حتى يصدق التسبيح. وكل اسم مشفوع بتعبير «جل جلاله» للتعظيم. فتعظيم الأسماء لا يتنافى مع أصله الإنساني. ويعني القدوس للعابدين والزاهدين والعارفين. ويعني المؤمن إجازة الله لعبده وأمانه. ويعني العز طاعة الله. ويعني الجبار تفويض الأمور إليه، وترك ما تهوى النفس، والرضا بحكم المولى. وتعني المتكبر الصدق في المحبة والإخلاص في الود. ويعني القهار قهر نفوس العابدين وقلوب العارفين وأرواح المحبين. وتعني الرزاق ما خص به الله تعالى الأغنياء والفقراء، وطلب الله من الحوائج العظيمة. والفتاح ما يفتحه الله على الخلق، والخافض الرافع في الدنيا والعاقبة، والحليم لرجاء العفو، والعلى الكبير للتواضع والتقوى، والمقيت لاختلاف الأقوات. والحسيب للرقابة والحساب، والمجيب القصد إليه، والواسع الإحسان، والباعث أي الرجاء، والمحصي الإحصاء على النفس، والمبدئ والمعيد للأوقات، والمقتدر للكرم. والرشيد هو الرشد للنفوس والقلوب والأرواح والأسرار. والحق مطلبه الشافي[3].

ويستشهد الكتاب بالقرآن ثم الشعر ثم الحديث[4]. والمتون بلا أسانيد. يكفي في «بعض الأخبار» أو في «خبر مسند» أو في القصص[5]. كما يستشهد

---

(1) الأبواب (82)، الفصول (102)، الأبواب المزدوجة التي تتناول اسمين (21).

(2) شرح أسماء الله الحسنى ص13-14.

(3) السابق ص152-154.

(4) الآيات (321)، الأشعار (130)، الأحاديث (35).

(5) شرح أسماء الله الحسنى ص12/ 103/ 106.

بعديد من روايات الصوفية وحكايات الصالحين[1]. ويذكر اسم ما يربو على ستين صوفياً يتقدمهم بطبيعة الحال حماه أبو علي الدقاق ثم الشبلي ثم يحيى بن معاذ، والتستري والجنيد، ثم ذو النون، ثم الخراز وأبو الحسن البصري، ثم البسطامي، وحاتم الأصم، ثم بشر الحافي، والسري السقطي، وإبراهيم الخواص، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، ثم مالك بن دينار، وشقيق البلخي، وإبراهيم بن أدهم، والسلمي وعشرات آخرون. ومن المجموعات يذكر بعضهم، ثم «بعض المشايخ»، وأهل الحق، وبعض أهل المعرفة، وبعض الحكماء، وأهل التحقيق، وبعض الصالحين وبعض المفسرين[2]. وتذكر أقوال متعددة لهم دون تخطئة أحد. ويحال إلى متكلمين مثل الكرامية وإلى فقهاء مثل الشافعي[3]. وتذكر بعض المصادر المدونة. ويستعمل أسلوب القيل والقال كما تذكر العديد من الإسرائيليات. ويغيب التحليل العقلي بإستثناء القسمة[4].

د ـ **«لطائف الإشارات» (465هـ)**[5]: وهو استئناف «زيادات حقائق التفسير للسلمي» في التفسير الإشاري كما يدل عليه العنوان. وهو تفسير طولي، من الفاتحة حتى الناس. لا يوجد منه إلا التفسير من الفاتحة حتى سورة النحل أي ستة عشرة سورة من مجموع القرآن. وهو يعادل الخمس تقريبا من حيث الكم مما يكفي لإصدار حكم عليه. وتقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، من الكل إلى الجزء. فتتناثر الإشارات دون جامع نظري لها. ولا تسمى السور بأسمائها الحالية في البقرة وآل عمران... الخ بل بالسور التي يذكر فيها البقرة، آل عمران. فالسور ليس لها أسماء بل موضوعات.

---

(1) السابق ص88.

(2) أبو علي الدقاق (18)، الشبلي (86)، يحيى بن معاذ، التستري، الجنيد (6)، ذو النون (5)، الخراز، الحسن البصري (4)، البسطامي، النوري، حاتم الأصم، الحواري (3)، بشر الحافي، الواسطي، السري السقطي، إبراهيم الخواص، الفضيل بن عياض، معروف الكرخي، الكتاني، الحيري (2)، مالك بن دينار، شقيق البلخي، إبراهيم بن أدهم، السلمي، النصر اباذي، سلمان الفارسي، أبو عثمان المغربي، فتحي الموصلي، سفيان الثوري، محمد المرتعش وعشرات أخرون.

(3) شرح أسماء الله الحسنى ص131/ 135.

(4) السابق ص143.

(5) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).

تكشف عن الصلة بين التصوف والأشعرية فهي نظرة مركزية واحدة للعالم مع اختلاف المنهج، النقلي العقلي في الأشعرية والذوقي في التصوف. بل هو تصوف عائلي فالمؤلف زوج ابنة أستاذه أبو علي الدقاق، وأستاذه السلمي والجويني. قد يكون قد تحول إلى التصوف لمحنة سياسية ألمت به وهروبه وتهديده بالقتل. وقد رأى بعد تصوفه وهو على المنبر غريمه الوزير وهو يُقطع أربا أربا كما رأى عمر وهو على المنبر في المدينة معركة الشام وتنبيه سارية بالتفاف الأعداء حوله.

يعلن عن منهجه في التأليف منذ البداية، وهو المنهج الإشاري المستمد من إشارات القرآن وكما يرويها أهل المعرفة إما من معانيها أو من أصولها بطريقة الإيجاز خوفا من الملل ولو أن الإيجاز أصبح قصيراً للغاية أصغر من الآية نفسها أحياناً[1]. وأحياناً تكون الآية أوضح من تفسيرها السطحي المقتضب[2]. وقد يكون الدافع هو التحول في التصوف من الشكل إلى المضمون بعد أن أصبح لبس خرقة وإطالة لحية. فالتصوف بهذا المعنى حركة إصلاحية داخل التصوف نفسه، التجربة الذاتية في مقابل المظاهر الخارجية. ويتحول التفسير من مستوى المعرفة النظرية إلى مستوى الأخلاق العلمية، ومن المستوى الإلهي والطبيعي إلى المستوى الإنساني.

فماذا تعني الإشارة؟ تعني إحالة لفظ القرآن إلى شيء، ليس في الخارج، في التاريخ مثل القصص أو في الواقع مثل التشريع بل إلى تجربة إنسانية حية، إلى عالم الشعور. فالتصوف انتقال من الخارج إلى الداخل، والتحويل من العالم إلى الإنسان كما هو الحال منذ «إخوان الصفا»، الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير. لا تعني الإشارة المطابقة مع الخارج كما هو الحال في نظرية الصدق التجريبي بل

(1) «وكتابنا هذا يأتي على ذكر طرق من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، إما من معاني حقولهم أو قضايا أصولهم. سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملل»، لطائف الإشارات جـ1/ 53.

(2) وقد ساهمت طريقة التحقيق والطباعة في إبراز ذلك، بطباعة القرآن وكأنه شعر عمودي، والتفسير وكأنه نثر فني، فطال الشعر على حساب التفسير، وقصر التفسير لحساب الشعر، وتختلف التفسيرات كمّا تبعا لطول السورة: البقرة (165)، آل عمران (92)، النساء (86)، الأعراف (85)، التوبة (71)، المائدة (63)، الأنعام (57)، الرعد (53)، يوسف (51)، هود (44)، الأنفال (40)، النحل (36)، إبراهيم (24)، الحجر (22).

كشف الإشارة لعالم داخلي في الشعور. وقد تختلف الإشارات باختلاف الأحوال النفسية في لحظات زمانية مختلفة. فلا توجد إشارة ثابتة في شعور متدفق جارف. فيتكرر تفسير البسملة مثلا بتفسير حالات المفسر عبر الست عشرة سورة.

يعني التفسير الإشاري رد النص إلى التجربة الصوفية، واكتشاف التصوف داخل النص. فالمقامات والأحوال والطريق كلها في النص[1]. مثل إشارة النص إلى الزاهدين والقبض والبسط والبر والوسيلة والحمد والموعظة والفضل والقصص[2]. وتساعد المعاني الاشتقاقية على ذلك. فالمعنى الإشتقاقي هو الذي يحيل اللفظ إلى نشأته الحسية واستعماله العرفي التداولي قبل أن يتحول إلى معنى اصطلاحي. للقشيري تفسير آخر «التيسير في التفسير» يغلب عليه التفسير اللغوي الخالص مثل «إعراب القرآن» للزجاج. ولا يغرق في التصوف مثل «تفسير ابن عربي». ويصدر الجزء الثاني بدعاء[3].

ويعتمد على ألفاظ القول مثل «قيل»[4]. وترد عدة أقوال متفرقة في موضوع واحد مما يوحي بتعدد الآراء حتى عند الصوفية أنفسهم[5]. ويعتمد التفسير على الشعر أولاً ثم الحديث ثانياً. ويفوق الشعر الحديث بسبعة أضعاف مما يبين مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[6]. وتذكر الأشعار دون الشعراء، والأحاديث دون المحدثين. فالمهم هو النص وليس قائله أو راويه. وكثيراً ما يذكر «وفي الخبر». ولا يُذكر من أعلام الصوفية أحد. فالتجربة الصوفية تجربة ذاتية لا تروى ولا تُقص ولا تُحكى. ولا يتم التفسير عن طريق أقوال هذا الصوفي أو ذاك بل عن طريق التجربة الصوفية الذاتية للمفسر. ولا يظهر إلا أبو علي الدقاق، حماه، مرة واحدة. كما تظهر الإسرائيليات كمصدر رئيسي للأخبار عن الأنبياء

(1) لطائف الإشارات جـ1/ 69/ 71/ 93/ 102/ 103/ 116/ 121-122/ 124-125/ 166-167/ 202-203/ 219/ 230/ 241.

(2) من النص إلى الواقع جـ2، الباب الثاني، الوعي النظري. الفصل الأول، المنظوم (اللفظ) ثانياً: البيان ص249-262.

(3) لطائف الإشارات جـ3/ 3.

(4) السابق جـ3/ 64.

(5) السابق جـ3/ 67/ 102/ 103/ 121/ 124-125/ 166-167/ 230-241.

(6) الأشعار (324)، الأحاديث (46).

السابقين مع بعض الآيات من الكتب المقدسة السابقة مثل الزبور[1].

3 ـ مؤلفات الغزالي (505هـ)

أ ـ «قانون التأويل»[2]: وهو عرض نظري لفرق التأويل أكثر منه لمناهجه. وهو إجابة على سؤال عن معنى حديث عن جريان الشيطان في الإنسان مجرى الدم[3]. هل مثل الماء بالماء أو الماء بالعود؟ وهل يمكن الجمع بين القول الشرعي القائم على النقل والقول الفلسفي القائم على العقل؟ وماذا عن الصرع، من الجن أو الإنسان؟ وماذا عن إخبارهم بالغائب؟ وماذا عن إدبار الشياطين عند الآذان؟ وماذا عن البرزخ والملائكة والجنة والحوض؟[4]. وهي موضوعات يصعب الخوض فيها[5]. فإذا ما تكررت فإنه يمكن الإجابة عنها بقانون كلي هو قانون التأويل. وهو الذي يقسم الناس إلى خمس فرق: العقل دون النقل، النقل دون العقل، النقل دون أساس العقل، العقل أساس النقل، التوحيد بين النقل والعقل وهو الوسط بين الأطراف[6]. وهي بنية أحكام التكليف الخمسة الواجب والمحرم والمندوب والمكروه والمباح[7]. وينتهي الغزالي بإعطاء ثلاث وصايا: عدم الإطلاع على كل ذلك، عدم تكذيب برهان العقل، الكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات لخطورة الظن والتخمين[8]. ويعتمد على القرآن

---

(1) الإسرائيليات (9)، لطائف الإشارات جـ3/ 71.

(2) مجموعة رسائل الإمام الغزالي (7) ص121-132.

(3) هو حديث «إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم».

(4) قانون التأويل ص121-123.

(5) «أسئلة أكره الخوض فيها والجواب»، السابق 123.

(6) «بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر. والخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق. والمتوسطون وانقسموا إلى من جعل المعقول أصلاً والمنقول تابعاً فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل المنقول أصلاً والمعقول تابعاً فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل كل واحد أصلاً ويسعى في التأليف والتوفيق بينهما»، قانون التأويل ص123.

(7) من النص إلى الواقع جـ2 الباب الثالث: الوعي العملي، الفصل الرابع: أحكام التأليف ثانياً: أحكام التكليف الخمسة (مستويات السلوك) ص571-583.

(8) قانون التأويل ص126-128.

والحديث[1]. ويحيل إلى الفلاسفة والطبيعيين، ومن الفقهاء إلى مالك[2].

ب ـ **«المقصد الأسنى، شرح أسماء الله الحسنى»**[3]: وهو كتاب في الأسماء. وهي الدائرة الرابعة بعد الذات والصفات والأفعال[4]. ولا يعني شرح هنا تفسير النص بل يعني بيان المعنى وتوضيح القصد وكشف الغاية. لذلك كان عنوان الفن الثاني «في المقاصد والغايات». وهو أكبر الفنون الثلاثة. الأول في «السوابق والمقدمات». والثالث «في اللواحق والتكملات»، وهو أصغرها[5]. ولكل من الفنين الثاني. والثالث ثلاثة فصول. والأول أربعة. وهي بنية محكمة، المؤلف على وعي بها[6].

والموضوع الكلام الصوفي مثل «تحبير التذكير» و«شرح أسماء الله الحسنى» للقشيري (465هـ). الفن الأول تحليل علمي وضعي لساني عن الاسم والمسمى والأسماء المتقاربة المعاني المختلفة المفاهيم وفي الاسم الواحد الذي له أسماء مختلفة. ثم يأتي التحول من الكلام إلى التصوف في الفصل الرابع «في أن سعادة العبد تخلقه بأخلاق الله» أي أن الأسماء مُثل عليا للسلوك الإنساني[7]. فاللفظ يُسمع، والمعنى يُفسر ويُفهم، والوضع يُرى بالقلب. فالتأويل له مستويات ثلاثة: اللفظ والمعنى والشيء[8]. وللنفس في الأسماء حظوظ منها السعي في اكتساب

(1) الآيات (4)، الأحاديث (3).

(2) الفلسفة (2)، الطبيعيون، مالك (1).

(3) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1961.

(4) من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد، الفصل السادس: الوعي المتعين ثالثاً: الأسماء ص538-600.

(5) الفن الأول «في السوابق والمقدمات» (28)، الفن الثاني «في المقاصد والغايات» (74). الفن الثالث «في اللواحق والتكملات» (9).

(6) «صدر الكتاب. نرى أن نقسم الكلام في الكتاب إلى ثلاثة فنون. الفن الأول في السوابق والمقدمات. الفن الثاني في المقاصد والغايات. الفن الثالث في اللواحق والتكملات. وفصول الفن الأول تلتفت إلى المقاصد التفات التمهيد والتوطئة. وفصول الفن الثالث تنعطف عليها انعطاف التتمة والتكملة، ولباب المطلب ما تنطوي عليه الواسطة»، المقصد الأسنى ص3.

(7) الفصل الرابع: «في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في صفة»، السابق ص20.

(8) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح الفصل الأول: التفسير أولاً: الشرح، =

الحكمة، ومنها التخلق بها والتحلي بمحاسنها حتى يصير الإنسان إلها والآلة إنساناً كما هو الحال في «الإنسان الكامل»[1]. وهذا يتطلب البعد عن تصور العوام الذي يقوم على التشخيص، والاقتراب من تصور الخواص الذي يقوم على التنزيه[2]. وذلك يتطلب الجهد. ولا يتحقق عن طريق الانتظار. فكل اسم له تنبيه أو دقيقة أو فائدة تذكر حظ الإنسان فيه. فالأسماء لا تشير إلى موضوع خارجي بل إلى تجربة إنسانية. وهو موقف الصوفية[3]. وهو أفضل من حلول أربعة أخرى وهي المماثلة أو انتقال الأسماء الإلهية إلى الإنسان أو اتحادها معاً أو حلولها فيه. في الله الاسم غير المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى مجهول. وفي الإنسان الاسم هو المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى معلوم. فكل اسم ليس اسماً في ذاته بل يسمى به الله. فالله ليس مسمى أي ليس شيئاً بل له دلالته الإنسانية[4]. فكل اسم لله هو تجربة إنسانية. ومجموع الأسماء الإلهية هي مجموع التجارب الإنسانية[5].

= التفسير والتلخيص والجوامع3- اللفظ والمعنى والشيء ص21-27.

(1) «الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن في تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها. وبه يصير العبد ربانياً أي قريباً من الرب تعالى فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب...»، المقصد الأسني ص21.

(2) وكذلك لمعرفة الله سبيلان: أحدهما قاصر، والآخر مسدود. أما القاصر فهو ذكر الأسماء والصفات وطريقة التشبيه بما عرفناه من أنفسنا. فإنا عرفنا أنفسنا قادرين عالمين أحياء متكلمين ثم سمعنا ذلك في أوصاف الله...، وأما السبيل الثاني المسدود فهو أن ينتظر العبد أن تحصل له صفات الربوبية كلها حتى يصير ربا»، السابق ص26-27، وأيضاً من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد. الفصل السادس الوعي المتعين، رابعاً: إلهيات أم إنسانيات ص586-664.

(3) «إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل (الكركاني)، السابق، المقصد الأسنى ص97-98.

(4) «لا تتعجبن من هذا في صفات الله تعالى فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن، فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة، باطن إن طلب من أدرك الحس»... المقصد الأسنى ص88. وهو معنى حديث.

(5) فالمتكبر من العباد هو الزاهد العارف. والخلق والتصوير في القلوب البشرية. والغفار هو الذي يظهر الجميل ويستر القبيح. والقهار من العباد من قهر أعداءه وأعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه. والوهاب جود العبد وهباته. والرزاق رزق العلم الهادي واللسان المرشد والمعلم واليد المنفقة المتصدقة. والفتاح انفتاح لسان الإنسان. والقبض والبسط إلهام بواقع الحكم وجوامع الكلم. والرفع والخفض للحق والباطل. والمعز والمذل =

وهو الموقف الشرعي[1].

وهذه الأسماء التوقيفية غير مقصورة على العدد تسعة وتسعين بل تتجاوزه إلى ما لا نهاية. لذلك فهي أقرب إلى الاصطلاح طالما أن آليات التسمية معروفة والتجارب الإنسانية في حاجة إلى تشخيص فاعل للعجز عن تحليلها كأوضاع اجتماعية تحكمها العلل والأسباب[2]. إنما فائدة الإحصاء والتخصيص هو إعطاء النموذج والآلية والمفتاح[3]. ويمكن معرفتها قياسا عن طريق العقل[4]. وقد كان التأليف بناء على سؤال. وتمت الإجابة بالرغم من صعوبة الموضوع ومخاطرة الإفصاح عن الحق[5]. ويعتمد الكتاب على الحديث والقرآن والشعر

= أي الخلاص من ذي الحاجة وقهر الشهوة. والسمع والبصر للإنسان والحكيم حكمة الإنسان. والعدل جعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين وإلا وقع الظلم وهو العدل الشرعي مع النفس والأسرة والناس. واللطف هو الرفق بالناس. والخبير هي الخبرة بما يجري في العالم أي المعرفة العلمية. والحليم لأن الحلم من محاسن الخصال. وهو أمر بديهي مستغن عن الشرح والاطناب. والعظيم من العباد والأنبياء والعلماء. والكبير هو الكامل. والحفيظ من الناس من يحفظ جوارحه وقلبه ودينه من الغضب والشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان. والجليل والجميل من الناس من حسنت صفاته الباطنة والقلوب البصيرة والرقيب هو الإنتباه من الغفلة. والواسع السعة في المعارف والأخلاق. و (الحكيم معرفة الأشياء وأفضلها)، والحميد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله. والصمد هو القصد في الحوائج لتحقيق الرغائب. والعفو هو العفو عن الظالم. والمقسط إنصاف المظلوم. والجامع الجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب. والمانع منع أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان. والضار والنافع منع الضرر وجلب المنفعة. والصبور ثبات العقل أو الدين في مقابل الشهوة والغضب.

(1) طبقا لحديث «تخلقوا بأخلاق الله تعالى»، «إن لله تعالى كذا وكذا خلقاً. من تخلق بواحدة منها دخل الجنة».

(2) «في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسع وتسعين بل ورد التوقيف بأسام سواها...»، المقصد الأسنى ص106.

(3) «في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين...»، السابق ص108.

(4) «في بيان أن الصفات والأسامي المطلقة على الله تعالى هل تقف على التوقيف أو تجوز بطريق العقل. والذي مال إليه القاضي أبو بكر (الباقلاني) أن ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع إذا شعر بما يستحيل معناه على الله تعالى. فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز». وهو عكس رأي الأشعري، السابق ص112.

(5) «فقد سألني أخ في الله يتعين في الدين إجابته شرح معاني أسماء الله الحسنى... أحدهما أن هذا الأمر في نفسه عزيز المرام، صعب المنال، غامض المدرك... والثاني =

والإسرائيليات[1]. وتتوالى الأحاديث[2]. ومع ذلك الاعتماد الأعظم على تحليل التجارب الإنسانية. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الجنيد والأستاذ (الدقاق) والقرمدي والكركاني. كما يعتمد على بعض المتكلمين كالأشعري والباقلاني، وعلى بعض الفقهاء مثل ابن حزم وأحمد والبيهقي. كما يشير إلى بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة. ويحيل إلى الفلاسفة[3]. كما يحيل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مثل «الإحياء» و«التهافت»[4].

4 ـ رسائل ابن عربي (638هـ)

ويمكن تصنيف رسائل ابن عربي في الوعي النظري في موضوع التأويل: تأويل التنزيل، تأويل الحروف.

أ ـ تأويل التنزيل: ويتناول تأويل التنزيل عدة موضوعات مثل: المحكم والمتشابه، وأسرار القلب، والمكاشفة والتنبيهات.

1 ـ المسائل لإيضاح المسائل[5]: وهي مسائل متفرقة، حوالي مائتين وثلاثين، حول آيات قرآنية كرأس للمسألة أو كدليل عليها باستعمال القرآن الحر، فهي بلا عناوين. وهي مثل المسائل الفلسفية للفارابي تحتاج أيضاً إلى إعادة تجميع وتبويب في مجموعات أصغر. إذ تتناثر موضوعاتها حول كل مسائل الكلام والفلسفة والأصول والتصوف حتى لا تبدو متفرقة لا رابط بينها. الآيات القرآنية نفسها موضوعات. لذلك تقع في موضوع التفسير والتأويل بتحويلها إلى تجارب معاشة مع تنظير عقلي يبدو فيها ابن عربي أكبر ممثل للوعي الصوفي النظري. وقد يكون موضوع المسألة حديثاً أو شعراً أو أقوالاً من صوفية سابقين مثل الغزالي. وقد تحتوي المسألة على أكثر من آية. وفي رأس الموضوع وآخر كل مسألة

= أن الإفصاح عن كنه الحق فيه يكاد يخالف ما سبق إليه الجماهير وفطام الخلق عن العادات ومألوفات المذاهب عسير...»، المقصد الأسنى ص2.

(1) الأحاديث (33)، الآيات (20)، الأشعار (5)، الإسرائيليات (2).

(2) المقصد الأسنى 77-78.

(3) أحمد البيهقي، ابن حزم (3)، الأشعري، الباقلاني، الجنيد، القرمدي، الكركاني (1).

(4) الإحياء (4)، التهافت (1).

(5) المسائل لإيضاح المسائل (1)، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 ص21-118.

اللازمة الأشعرية «الله أعلم». والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم». وتظهر بعض ألفاظ الوصل مثل «فائدة»، «تنبيه». وتعتمد على القرآن أكثر من الشعر والشعر أكثر من الحديث[1]. كما تعتمد على أقوال الصوفية، الغزالي ثم الحلاج ثم الشبلي ثم أبو مدين[2]. كما يذكر الأنبياء، موسى والخضر ثم هارون[3]. ومن شخصيات العهد القديم طالوت. ومن المتكلمين الأشعري، ومن المؤلفات يحال إلى «الإحياء» و «مختصر الإحياء».

2 ـ **«رد المتشابه إلى المحكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[4]**: وهو في تأويل بعض الآيات والأحاديث التي قد توحي بالتجسيم أو التشبيه وإعادة تأويلها إثباتاً للتنزيه ضد المشبهات التي قيلت حول الصوفية مثل الحلول والاتحاد[5]. وقد يقوى التشبيه في الحديث لتفصيلاته ومخاطبته للعامة ولبسطاء الناس للتوضيح. فألفاظ التشبيه في القرآن والحديث معا مع اختلاف الدرجة فحسب. ويتم الاحتكام إلى علم التشريح وإلى العلم الطبيعي لتوضيح بعض الأمور المتشابهة[6]. كما يتم الاحتكام إلى اللغة، فالتأويل لا يكون بالضرورة ضد اللغة. وأحياناً تقطع الآية لفظاً لفظاً كما هو الحال في تأويل آية الإسراء والمعراج[7].

---

(1) الآيات (128)، الأشعار (14)، الأحاديث (11)، القدسية (1).

(2) الغزالي (5)، الحلاج (3)، الشبلي، أبو مدين، إبراهيم بن أدهم، ومن المتكلمين الأشعري، ومن الصحابة علي (1).

(3) محمد، (محمدي) (4)، موسى، الخضر (3)، هارون (1).

(4) المسائل لإيضاح المسائل (2)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 ص121-193.

(5) «وبعد، فقد سألتني، أرشدني الله وإياك ـ عن أمر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره. وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى الأحاديث والفقه. وأشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد وظواهر الآيات المتشابهة في أسمائه تعالى وصفاته، من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه. ويوهم التشبيه والتجسيم، وبرغم أنه في ذلك متمسك بالكتاب بالسنة، وماشٍ في طريقة السلف الصالح. ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بتأويل أو صرفه عن ظاهره بدليل إلى ما تعارف عليه في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وينسبه في ذلك إلى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك. وقد ضل وأضل كثيراً. وما يضل إلا ما هو قاصر الفهم ضعيف النور»، السابق ص121.

(6) السابق ص177/ 179.

(7) السابق ص167-168.

ويفصل أوجه التشبيه في الصورة والوحي والرؤية والسمع والبصر والعين، والنفس والقلب والبطن، والأيدي، والعينين، والقدم، والكلام، والجنب، والفوقية، والإسراء، والاستواء، والنزول، والمجيء والإتيان، والمعية، والحب، ولفظ عند وأين، والضحك، والرضا، والغضب. . .الخ. وكلها قياس للغائب على الشاهد، وإسقاط للإنسان على غيره، واستنباط المجهول من المعلوم. وتبرز الموضوعات بألفاظ «تنبيه» و«تبصرة» و«إشارة»، و«تحقيق»، و«تربية». . .الخ[1]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ومن الصوفية يذكر السهيلي والحكيم الترمذي والهروي، ومن القضاة أبو بكر العربي. ومن الأنبياء محمد وموسى وشعيب[3]. ومن الفرق يذكر «المحققون من أهل النظر» و«المحققون» و«المحدثون» و«اليهود». كما يذكر عشرات المحدثين والرواة.

3ـ «**لطائف أسرار القلب واللسان**»[4]: وموضوعها نزول القرآن على اللسان والقلب، الظاهر والباطن، الخارج والداخل، الصوت والسلوك. ويدل على ذلك الدعاء أول الرسالة «رب يسر لنا عويصات أسرار كتابك الكريم»[5]. الإيمان ليس باللسان بل بالقلب. وهي نفس قضية الإيمان والعمل في علم أصول الدين[6]. فالإيمان شهادة باللسان، وعقد بالجنان، وعمل بالأركان، أي إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان. اللسان عربي، والقلب أعجمي للناس جميعاً. الأول حروف الهجو، والثاني حروف الثناء. وبينها حرف الشكر، وشهادة العقل، ورسالة الملك. والثناء زائد على الحمد. والشكر جامع بين الحمد والثناء. وصدق الورع من حسن المعرفة، وصدق اليقين من حسن الطاعة، وصدق الحرص على البر والتقوى من حسن الصبر. والكل في العقل. وهذا معنى «إن الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» وأيضا «المرء بأصغريه، قلبه ولسانه». وقد يطول

(1) تنبيه (25)، تبصرة (10)، إشارة (7)، تحقيق (4)، تربية، اعتبار (2)، إثبات، لطيفة، فائدة، تشكيك، مناجاة، إيضاح، بيان، تتمة (1).

(2) الآيات (342)، الأحاديث (81) القدسية (2)، الأشعار (3).

(3) محمد (2)، موسى، شعيب (1).

(4) المختار من رسائل ابن عربي (1)، دار الكتب العلمية، بيروت 2005 ص26-58.

(5) السابق ص26.

(6) من العقيدة إلى الثورة جـ5، الإيمان والعمل- الإمامة.

الحديث بحيث يشمل الهجرة والجهاد[1]. الذكورة حمدية، والأنوثة ثنائية، والرجولية شكرية. النزول من سر الذكورة إلى الشعوب، ومن سر الأنوثة إلى القبائل. ومن الأسباط بين الشعوب والقبائل. الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من العجم والعرب. السبط في ولد إسحق كالقبيلة في ولد إسماعيل بين حسن الطاعة وصدق اليقين صحة الرجولية المودعة بين الذكورة والأنوثة. ومن صحة الرجولية صحة الروح في العقل الإنساني. وبصحة العقل في الإنسانية وصحة الروح في الرجولية وصحة القلب في الرسالة علم محل الإنسان بين الجمادات والحيوانات ومنزلته من الله والخطاب موجه للقارئ بفعل أمر «أعلم». ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. ومن الصوفية يذكر أبو سعيد الخدري. ومن الأنبياء يستدعي موسى ثم يوشع وقارون، ثم آدم وإسماعيل وإسحق[3]. ومن الصحابة عمر، ومن الرواة أبو قلابة، ومن الفرق المعتزلة.

4 ـ **«التنزلات الموصلية»**[4]: ويبين تنزيل الوحي على القلب لفهمه فهماً مباشراً. هو الوحي النازل الذي يقابل الوحي الصاعد كما حدث لعمر[5]. كذلك يذكر جبريل الروح الأمين[6]. وقد وقع التنزيل في عدة موضوعات[7]. تبين

---

(1) سأل رجل عن الإسلام قال له الرسول «أسلم تسلم». فقال: وما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك»، وقال: فأي الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت». قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال «الهجرة». قال: وما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء». وقال: وأي الهجرة أفضل؟ قال «الجهاد؟»، قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، ولا تغل ولاتحنق»، السابق ص57-58.

(2) الآيات (26)، الأحاديث (15)، القدسية (3).

(3) موسى (7)، يوشع، قارون (2)، إسماعيل، اسحق (1).

(4) رسائل جـ6 (11) ص187-195.

(5) «إن من أمتي محدثين وإن منهم عمر»، السابق ص187.

(6) جبريل (2).

(7) مثل: سر وضع الشريعة معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه، معرفة مقام الرسالة والرسول والخلافة والنبوة والولاية والإيمان والعالم والجاهل والظان والشاك والمقلدين لهم، وتلقي الرسالة وشروطها وأحكامها، وتلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة، ومعرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس وأسرار التكبير، وأسمائه ومخاطبة آدم، وبيان الصلاة الوسطى ومعنى الدوام على الصلاة.

إمكانية وصول القلب إلى التأويل، واتفاق التنزيل مع التأويل، والنازل مع الصاعد، والوحي النبوي مع الوحي الطبيعي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر [1].

5 ـ **«المناصفة في حقيقة المكاشفة»**[2]: والموضوع هو التأويل القائم على الكشف. فالعلم ثلاثة أقسام، قسم بلا كلام، وقسم بالسلام، وقسم بالحديث والإلهام. والسفر ثلاث، إلى بيت الله الحرام، وإلى العباد بذهاب المقام في المقام، وإلى الله مجرد عن السهام والالتئام. والشرك تجنب عشرة أشياء: الشرك النظري، الجلي والخفي، والعقوق، وقتل الأولاد، وخشية الإملاق، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس بغير حق، والإيمان يتطلب مجانبة مال اليتيم، وبذل الإنصاف في المعاملات، والصدق في القول، والعدل في الفعل، ومتابعة السبيل بما تيسر إليه لوائح الدليل. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية [3].

6 ـ **«رسالة التنبيهات»**[4]: وتضم خمساً وثلاثين تنبيهاً بلا عناوين مثل كتاب المعرفة. وتدور معظمها حول بعض آيات القرآن، وتجليات الحق وصفاته، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل، والقطب، والأرض، والوجود، والعقل الأول، والروح الكلي والقلم والعرش، والأنبياء، ومقام المحبة، والظاهر والباطن. . . الخ في تنبيهات متفرقة يمكن تجميعها تحت عناوين جامعة لأكثر من تنبيه. وكل تنبيه ينتهي باللازمة الأشعرية «الله أعلم». وتعتمد على القرآن والحديث[5]. ويذكر من الصوفية الحكيم الترمذي والقاضي عياض والسهروردي مع «عوارف المعارف»، ودحية الكلبي الذي أتى جبريل مشخصاً فيه. ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء محمد وصفته محمدية وآدم[6] والإنسان الكامل هو

(1) الآيات (7)، الأحاديث (2)، الأشعار (1).
(2) المختار من رسائل ابن عربي (3)، دار الكتب العلمية، بيروت 2005 ص96-102.
(3) الآيات (5)، الأحاديث (1)، القدسية (1).
(4) رسائل جـ6 (7) ص125-148.
(5) الآيات (25)، الأحاديث (6)، القدسية (1).
(6) محمد (10)، محمدية (1)، آدم (1).

أكثر الموضوعات بروزاً. فهو الجامع لكل الكتب الإلهية. وهو نسخة من العالم الكبير. وهو أم الكتاب، واللوح المحفوظ[1].

ب ـ تأويل الحروف

1 ـ **«الألف وهو كتاب الأحدية»**[2]: وهو بين الحروف والتوحيد. وينعكس في الإنسان الذي هو أكمل الخلق، تقدمه للإنسان الكامل. وتبدو أهمية مريم التي يتجلي فيها الحق في الخلق. ويستشهد بالقرآن والشعر[3]. ويحيل إلى رسائل سابقة مثل «كتاب الباء»، وكتاب «الهو»، و«كتاب الحروف».

2 ـ «كتاب الباء»[4]: والباء ثاني الحروف بعد الألف. وإذا كانت الألف حرف الأحدية، وأول حرف في كلمة «الله» فإن الباء أول حرف في البسملة. والقرآن حروف[5]. وهي في أول السور. والحروف ليست مجرد أصوات يقسمها علم الأصوات إلى لسانية وشفتية وأنفية وحلقية. وليست مجرد حركات إعرابية. ليست الحروف أشكالا ثابتة في الكتابة بل هي حركة، ليست ميتة، حبراً على ورق بل حية. ليست الحروف مجرد حاملة للمعاني بل هي معاني بذاتها. ليست الحروف مجرد معاني بل هي الأشياء ذاتها تتحرك. فالحرف هو اللفظ والمعنى والشيء، وهي الأبعاد الثلاثة في الكلام. ولا يعرف ذلك إلا من خلال الكشف والرؤية والحلم. الحروف مقامات وأحوال تدل على ما في النفس من قرب وبعد،

---

(1) «التنبيه الثاني عشر: اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية لأنه نسخة العالم الكبير. فمن حيث روحه وعقله هو الكتاب العقلي المسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات. فهي الصحف المكرمة المرقمة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. وما ذكرنا من الكتب إنما هي أصول الكتب الإلهية. وأما فروعها فكل ما في الوجود فيها تنقش فيه أحكام الموجودات. فهي أيضاً كتب إلهية»، السابق ص133.

(2) رسائل ابن عربي (1)جـ1 (3) ص2-13.

(3) الآيات (24)، الأشعار (1).

(4) مكتبة القاهرة، 1374هـ-1954م.

(5) كتب ابن سينا أيضاً رسالة في الحروف. وكذلك فعل إخوان الصفا. وهو موضوع في كل الحضارات، في القبالة اليهودية والكلمة في إنجيل يوحنا. انظر دراستنا تأويل الحروف عند ابن عربي، ندوة ابن عربي، دمشق2000.

قوة وضعف. تشير الحروف إلى الحواس والنفس والعقل والإلهام والخيال[1]. الحروف زمان ومكان. تدخل في فعل الخلق ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والخلق على مراتب في أيام الأسبوع طبقاً للحروف، والإنسان في اليوم السابع. والحروف أعداد[2]. وتشير إلى عالم الطبائع، إلى العناصر الأربعة. والحروف تدل على الحقيقة المحمدية. فالحروف كون ومحمد كون. الحروف وجود ومحمد وجود. الحروف قديمة ومحمد قديم. اللغة في حوار مع الطبيعة مع الكون وعالم الأفلاك كما هو الحال في «منطق الطير». فالحروف وجود. يشارك كلاهما في الشيئية والشكل والرقمية.

والله هو كل شيء ليس فقط خمسة حروف أ ل ل ا ه بل يشمل الظاهر والباطن، الحواس والعقل والقلب، الذات والموضوع، الداخل والخارج. الكل موصول إلى الله. الحروف هي الصفات. فالألف الأحدية. والله هو العرش. والله هو العالم[3]. الله هو الأفلاك والنجوم كما عبر عن ذلك في «مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم». ورمز ذلك كله هو النكاح الذي يوحد الاثنين. ويُدخل كل شيء في كل شيء، ويعهد كل شيء في كل شيء. فيمتزج العرقان والجهدان والمنيان. وتخرج منها وحدة أخرى بفعل الخصوبة والخلق الجديد[4]. وهو رد فعل على الفصل بين المستويات في علم الكلام، والثنائية المادة التي وقع فيها المتكلمون وبعض الفلاسفة مثل الممكن والواجب، الجوهر والعرض، القديم

(1) وغنا لي مني قلبي وغنيت كما غنا
وكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا
كتاب الباء ص4.

(2) وقد ظهر ذلك في كل الحضارات القديمة عند الشرقيين والساميين وتأسس علم هو علم الأعداد Numerics.

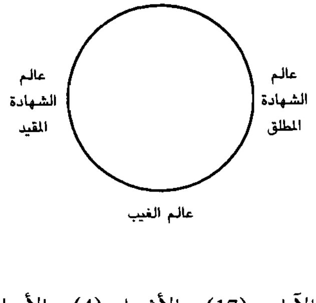
(3) أيا عجبا كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة علم شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
السابق ص9-10.

(4) «فأريت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها. فما بقي نجم في السماء إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية. ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها كلها في حال إفرادها وتركيبها»، كتاب الباء ص10-11.

والحادث، التنزيه والتجسيم. وهو نوع من الشرك. في البدء كان اثنان وليس واحداً، بقايا من الثنائية الروحية الشرقية القديمة، والثنائية العقلانية المثالية اليونانية الحديثة. والسؤال هو: هل هذا تفسير للقرآن أم أنه حدس صوفي وتجربة روحية والقرآن هنا مجرد غطاء وتبرير وشرعية كما هو الحال في علوم التفسير؟ وتعتمد الرسالة على القرآن والشعر[1]. وتظهر بعض أقوال الصوفية يتقدمهم الجنيد ثم الشبلي ثم أبو مدين شيخ ابن عربي. ويظهر بعض الفقهاء مثل الشافعي. ومن الأنبياء يتصدر عيسى وحده. وهو رمز وحدة الوجود[2]. ويحال إلى «الفتوحات المكية» الذي يتقدمه باب خاص عن «تأويل الحروف». وهو إجابة على سؤال واستفسار من أحد أبنائه أو مريديه وموجه إليه «يا ولدي». وهو جواب مؤقت لضيق الوقت وكثرة الأشغال.

3 ـ **«كتاب الجلالة وهو كلمة الله»**: وهو أيضاً بين التوحيد والحروف. فلفظ «الله» ستة حروف. وهو مقسم إلى فصول صغيرة بلا عناوين[3]. وتضاف إليه الرسوم التوضيحية لعالم الشهادة المطلق، وعالم الشهادة المقيد وعالم الغيب[4]. وفي الأدلة النقلية يأتي القرآن أولاً ثم الشعر ثم الحديث[5]. ويحال إلى الغزالي والبسطامي وأبي طالب المكي. ومن الصحابة عمر في ندائه على سارية ورؤيته عن بعد، وتحذيره إياه من التفاف الأعداد حوله في القول المشهور «يا سارية الجبل، الجبل». ويحال إلى «كتاب العين».

(1) الآيات (3)، الأشعار (2).
(2) الجنيد (3)، الشبلي (2)، أبو مدين، الشافعي (1)، عيسى (3).
(3) سبعة فصول.
(4)



(5) الآيات (17)، الأشعار (4)، الأحاديث القدسية (2).

4 ـ **«كتاب الميم والواو والنون»**[1]: وهو أيضاً في موضوع الحروف[2]. يختلف فيه الصوفية في الظاهر ولكنهم متفقون في الباطن. وهي على ثلاث مراتب: فكرية، ولفظية، ورقمية. والرقمية مفردة أو مزدوجة. والنبوة تحيل اللغة إلى الوجود. والميم والواو والنون أعظمها لأنها من حروف العلة. ومنها يتكون الأمر ﴿كُن﴾. ومصدر هذا العلم الإلهام والقلب والعقل والتجربة البشرية. ويعتمد على القرآن والحديث[3]. والقرآن في آخر الرسالة دفعة واحدة. وهو تصديق للتجربة الصوفية. ومن الأنبياء يذكر آدم ومحمد ثم عيسى[4]. وهي سلسلة روحية واحدة. ومحمد قديم كان موجوداً وآدم بين الماء والطين. ومن الصوفية يحال إلى جعفر الصادق والترمذي في «علم الأولياء»، وجابر بن حيان واضع علم الكيمياء، وابن مسرّة الجيلي، وأبي القاسم بن قسي صاحب «خلع النعلين»[5]. ومن الفرق الفيثاغوريون[6]. ويحال إلى بعض مؤلفاته السابقة مثل «المبادئ والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات، و«الفتوحات المكية»، (الفتح المكي).

5 ـ **«رسالة القسم الإلهي»**[7]: فقد أقسم الله في القرآن بموضوعات شتى من الحروف والرياح والملائكة والجبال والشجر والكواكب والساعات والليل والنهار واليوم والشمس والقمر والسماء والأرض والنفس والشفع والوتر والبلد والقرآن والقلم والبقاء والسفن والبهائم والكتاب والسقف والبحر والبيت ومواقع النجوم، وما تدركه الأبصار وما لا تدركه، وبجميع الموجودات قديمها وحديثها، كما أقسم بنفسه خمس مرات. تجمع بين الحروف والأسماء. ويخرج الإنسان من ثنايا الوجود[8]. فالإنسان برزخ أي ممر. وهو مقسم إلى فصول وأبواب[9]. ويعتمد

---

(1) رسائل (1) جـ1/ (8) ص1–16.

(2) «ولأحبابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلاً إلا أن الواحد شاهد مشاهد لم يشهدها الآخر وشاركه في مشاهده. فهذا أعم وهذا أخص»، السابق ص3.

(3) الآيات (7)، الأحاديث (1).

(4) آدم، محمد (5)، عيسى (2).

(5) جعفر الصادق، الترمذي، جابر بن حيان، ابن مسرّة الجيلي، أبو القاسم بن قسي (1).

(6) الفيثاغوريون (1).

(7) رسائل (1) جـ1/ (9) 1–29.

(8) «وقد كان الإنسان أشياء لكن لم يكن إنساناً»، السابق ص20.

(9) خمسة فصول بلا ترقيم، ثم خمسة أبواب ثم خمسة فصول مرقمة.

على القرآن والحديث والشعر[1]. كما يظهر النثر الفني في الفصول الأخيرة. فاللغة تعبير. ويُحال إلى كتاب «الجداول والدوائر»[2].

6 ـ «كتاب الياء»[3]: وهو في موضوع الحروف. وبه عناوين فرعية مثل: بند من مناجاة الهو، ومن مناجاة الأنا، ومن مناجاة الإنْ وهي الإنية، ومن مناجاة الأنت. ويعتمد على القرآن والشعر [4].

7 ـ «الحروف الثلاثة التي انقطعت أواخرها عن أوائلها»[5]: والحروف هي الموضوع الأبرز في كل مؤلفات ابن عربي. وهي الحروف الحية المتحركة التي ينعطف أواخرها على أوائلها تشبها بصفات الأول والآخر وهي الألف والواو والياء. والحروف على ثلاث مراتب: فكرية ولفظية ورقمية. والرقمية وضعان: المفرد والمزدوج. ولكل حرف دلالته ومعناه. ويعتمد على القرآن والحديث[6]. ومن الصوفية يذكر الحكيم الترمذي. ومن الأنبياء يحال إلى محمد ثم إلى آدم وعيسى[7]. كما تذكر المؤلفات السابقة في الموضوع مثل «الفتوحات المكية»، و«المبادئ والغايات». ولأول مرة يذكر الوافد مثل الفيثاغوريين ونظريتهم في الأعداد [8].

8 ـ «كتاب العظمة»[9]: وموضوعه الحروف مثل الباء والميم[10]. وعناوينه غريبة[11]. ويتكون من سبعة أبواب. أول كل منها حرف، وآخرها حرف. وينتهي

(1) الآيات (36)، الأحاديث (6)، القدسية (4)، الأشعار (1).
(2) رسائل جـ1/ ص3.
(3) رسائل (1)/ جـ1 (9) ص9-15.
(4) الآيات (17)، الأشعار (2).
(5) رسائل ابن عربي جـ1 (3) ص133-142.
(6) الآيات (9)، الأحاديث (2).
(7) محمد (4)، آدم، عيسى (3).
(8) كتاب الحروف الثلاثة ص138.
(9) رسائل ابن عربي جـ1 (2) ص77-113. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.
(10) «باب أوله باء، وآخره ميم»، السابق ص79.
(11) مثل: حضرة التمييز الأول، من الحضرة عينها، أوله ألف وآخره نون، باب أوله ألف وآخره ميم، باب أوله ميم وآخره نون، باب أوله وآخره دال، باب أوله ألف وصل وآخره نون.

بفصل بلا عنوان. ثم تأتي الملاحق وهي مجموعة من الآيات والأحاديث والأشعار[1]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[2]. ويحال إلى عديد من الصوفية[3]. كما يحال إلى عديد من الأنبياء[4]. والصحابة، ومن الأنبياء يحال إلى معظم الأنبياء، من آدم حتى محمد. ومن الأعمال السابقة يحال إلى «الفتوحات».

9 ـ **«المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات»**[5]: وموضوعه الحروف كما يبدو من العنوان الصريح. وهو كتاب كبير وليس مجرد رسالة تشبه فصل الفتوحات عن تأويل الحروف. والعنوان له دلالته. الحروف مبادئ ولكن لها غايات. بدايات لكن لها نهايات. له بنية ثلاثية محكمة في المعاني والأعداد والحروف. فهناك صلة بين الحروف والمعاني. فالحروف بداية الألفاظ.. وهناك علاقة بين علم الحروف وعلم الأعداد، بين الجبر والحساب. والمؤلف على وعي بهذه القسمة الثلاثية[6].

وترتب الحروف أولاً طبقاً لاستعمال الحروف كأعداد في أبجد هوز حطي كلمن... الخ. ثم تبدأ أبجدياً من جديد. والخطاب موجه للقارئ. والحرف هو النطق. والنطق الفكر. والفكر الإرادة. ولكل حرف معنى يشتق من أول الكلمة نون في معنى النور...الخ[7]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[8]. وأقوال الصوفية يتقدمهم أبو سعيد الخدري وأبو نعيم الأصفهاني وسعيد بن المسيب والكاشاني وغيرهم. ومن الصحابة أبو هريرة ثم علي وابن عباس ثم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عمر وعثمان ومن المحدّثين البخاري ثم البيقهي ثم الترمذي وابن حيان ثم النسائي والعسقلاني. ومن الفقهاء أنس وأحمد والسيوطي ثم مالك ثم الطبراني

(1) السابق ص105-116.
(2) الآيات (41)، الأشعار (11)، الأحاديث (7).
(3) البسطامي، الحلاج، العريني، ومن الصحابة ابن عباس.
(4) وهم: آدم، ادريس، نوح، إبراهيم، يوسف، هود، صالح، موسى، داود، سليمان، يحيي، هارون، عيسى، محمد.
(5) دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
(6) «وقد رتبه على ثلاث مطالع»، السابق ص37.
(7) السابق ص74-75.
(8) الآيات (110)، الأحاديث (72)، الأشعار (42).

ثم العجلوني. ومن الأنبياء آدم ثم موسى ثم إبراهيم وعيسى، ومن الملائكة جبريل ثم ميكائيل[1].

10 ـ «نقش الفصوص»[2]: وهو غير «فصوص الحكم» بالرغم من الاشتراك في الصورة «فصوص» أي تجلي الحقيقة تدريجياً مثل الفص. وهو مثل «الفصوص» في تقسيمتها وعناوينها. تسمى الحكمة وتُذكر كلمة نبيها[3].

11 ـ «المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات»[4]: وهو كتاب في تأويل الأسماء الإلهية كما فعل الغزالي في «المقصد الأسنى». والعنوان الجانبي «فيما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الأسماء والكنايات». الأسماء في الشريعة والكنايات في الحقيقة. ولا ينقسم إلى أبواب أو فصول بل إلى مجرد عناوين جانبية بلا ترقيم لإبراز الموضوع مثل «كناية في بسم». وهو العنوان الوحيد. ويضاف فعل في النهاية لخاتمة دون جديد فيها[5]. ويعتمد على التجربة الخالصة وتحويل الآية إلى واقع نفسي وجودي. وتفوق الآيات الأحاديث والأشعار[6]. وتظهر بعض

(1) الصوفية: أبو سعيد الخدري، أبو نعيم (5)، سعيد بن المسيب، الكاشاني (3)، الصحابة: أبو هريرة (16)، علي، ابن عباس (14)، عمر (13)، أبو بكر (9)، ابن عمر، عثمان (6). المحدثون: البخاري (12)، البيهقي (11)، الترمذي، ابن حبان (10)، النسائي، العسقلاني (3). الفقهاء: أنس، أحمد، السيوطي، مالك (5)، الطبراني، العجلوني (16)، جبريل (9)، ميكائيل (3)، الأنبياء: آدم (5)، موسى (3)، عيسى، إبراهيم (2).

(2) رسائل جـ1 (27) ص1-12.

(3) تضم 27 فصاً: إلهية في آدم، وتثنية في شيت، وسبوحية في نوح، وقدوسية في إدريس، ومهيمنة في إبراهيم، وحقية في إسحق، وعلية في إسماعيل، وروحية في يعقوب، ونورية في يوسف، وأحدية في هود، وفتوحية في صالح، وقلبية في شعيب، وملكية في لوط، وقدرية في عزير، ونبوية في عيسى، ورحمانية في سليمان، ووجودية في داود، ونفسية في يونس، وغيبية في أيوب، وجلالية في عيسى، ومالكية في زكريا، وإيناسية في إلياس، وإحسانية في لقمان، وإمامية في هارون، وعلوية في موسى، وحمدية في خالد، وفردية في محمد.

(4) رسائل ابن عربي جـ1 (10) ص249-261، وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(5) «وقد بينا في هذا المدخل كيف ينبغي للعارف أن يأخذ الأسماء والكنايات وكيف ينزلها. فإنا لو وسّعناها حتى نستوفي ما ظهر في الوجود منها لطال الأمر، وحاف على وقتنا، وتركنا ما هو الأولى بنا عن الانشغال. فقد مهدنا السبيل، وعرّفنا صورة التأويل».

(6) الآيات (22)، الأحاديث القدسية (2)، الأحاديث (1)، الأشعار (1).

الرسوم التوضيحية للدلالة على عالم الشهادة وعالم الغيب، الشهادة إلى أعلى والغيب إلى أسفل، وكأن الشهادة هي المشاهدة العيانية والغيب هو شهادة الحواس. الأولى باطنية، والثانية ظاهرية[1].

12 ـ «نسخة الحق»[2]: وموضوعه الصلة بين الحق والخلق. فالخلق نسخة الحق ويعكس صورة الحق. ويرى الحق صورته فيه. فقد خلق الله العالم على صورته ومثاله. ولا ينقسم إلى أبواب وفصول بل إلى آيات وأحاديث وكأن الموضوع مستنبط من الفصوص. لذلك يدخل الكتاب في التفسير والتأويل أو في التوحيد. ويعتمد بطبيعة الحال على الآيات والأحاديث دون أشعار[3]. يتكرر بعضها. ومن الصوفية يظهر أبو طالب المكي. ومن الأنبياء آدم وحواء وعيسى[4]. والثلاثة رموز للحق والخلق. فآدم من طين. وحواء من نفسه. وعيسى من عذراء وتخصيب الروح القدس. وكلها صور أيضاً للإنسان الكل. وقد أوجد الله العالم على ثلاثة أنواع: الأول بكن وهو أكثر العالم. والثاني بكن ويد واحدة كالجنة والقلم والتوراة. والثاني بكن ويديه الاثنين كالإنسان. وهو تشبيه في تشبيه ويوضح ذلك الرسم[5].

13 ـ «تفسير ابن عربي»: وبصرف النظر عن صحته التاريخية فإنه يعبر عن مكونات التفسير الصوفي لدرجة الشك في انتحاله والظن بصحته التاريخية. إذ كيف يقوم الانتحال بكل هذا التقليد لفلسفة ابن عربي ومنهجه في التفسير؟[6] وهو

---

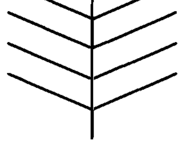
(1) المقصد الأسنى ص251.

(2) رسائل ابن عربي جـ1 (11) ص267-276. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(3) الآيات (14)، الأحاديث (7).

(4) آدم (2)، حواء، عيسى (1).

(5)



(6) «فشرعت في تفسير هذه الأوراق بما عسى أن يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق غير حائم بقصة التفسير، ولا خائض في لجة من المصطلحات ما لا يسعه التقرير، مراعياً =

نوع من التفسير الطولي، من الفاتحة إلى الناس، وانتقاء آيات مختارة أو أجزاء من آيات لبداية التفسير الصوفي منها. ويضم مجموع السور كلها. لذلك لا يقسم التفسير إلى أبواب وفصول أسوة بالتفسير الموضوعي. وتتقطع الآية إلى عدة ألفاظ مما يقضي على المقصد الكلي للتفسير. وتوضع باقي السور في الهامش، حفاظاً على القرآن المتصل لمن يريد أن يعرف السياق. وقد تكون إضافة السور كلها على هوامش الصفحة من فعل النساخ لمساعدة القارئ. والأرجح أنه من الناسخ لأنه يحتوي على بعض التعليقات النقدية[1]. كما تفسر الحروف في أوائل السور بإحالة الحرف إلى الوجود، واللغة إلى العالم، والإشارة إلى المشار إليه.

وسبب التأليف تجربة ذاتية، ذوق حلاوة القرآن[2]. ويظهر مفهوم الفترة لأنها الحاوية لكل التجارب الذاتية[3]. يفتح التفسير عالم الشعور موطن النص ولركيزته الأولى كما يحال إلى درجات الوعي، وعمق النفس[4]. وتظهر المقامات مثل الشكر[5]. وتظهر ثنائية السماء والأرض، والأعلى والأسفل، والروح والجسم، والنور والظلمة كمؤشر على حركة الروح. ويتفق منهج التفسير الباطني مع حديث يشير إلى النطق والصمت، والظهر والبطن، والحد المطلع، والتفسير والتأويل[6].

= لنظم الكتاب وترتيبه، غير معيد لما تكرر منه أو تشابه في أساليبه»، تفسير ابن عربي جـ1/ 4.

(1) السابق ص9.

(2) «فإني طالما تعهدت تلاوة القرآن، وتدبرت معانيه بقوة الإيمان، وكنت مع المواظبة على الأوراد، حرج الصدر، قلق الفؤاد. لا ينشرح بها قلبي. ولا يصرفها عني ربي حتى استأنست بها فألفتها، وذقت حلاوة كأسها وشربتها. فإذا أنا بها نشيط الصدر فلج الصدر متسع البال منبسط القلب فسيح الرطيب الوقت والحال مسرور الروح بذلك الفتوح كأنه دائما في غبوق وصبوح. تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكل بوصف لساني. لا القدرة تعنى بطبيعتها وإحصائها، ولا القوة تصبر على نشرها وإفشائها»، السابق جـ1/ 3.

(3) السابق ص11-12.

(4) السابق ص26.

(5) السابق ص 20-21/ 26/ 37.

(6) «فتذكرت خير من أتي ما ازدهاني مما وراء المقاصد والأماني قول النبي الأمي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق «ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع». وفهمت منه أن الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل. والحد ما ينتهي إليه المفهوم من معنى الكلام. والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام»، السابق جـ1/ 3-4. «فرأيت أن أعلق بعض ما يسمح لي في الأوقات =

والتفسير بالرأي غير التأويل الباطني. فالرأي يخطئ أو يصيب والباطن مكاشفة ومشاهدة ومعاينة.

ويختلف التأويل باختلاف أحوال المستمع وأوقاته، وتفاوت درجاته ومراتب سلوكه. فالعمق في النفس وليس في النص. وتتعدد التأويلات باختلاف المتأولين. فالتأويل تجربة ذاتية(1). وليست كل آية قابلة للتأويل وهي الآيات المصمتة التي لا تثير في النفس فرحاً ولا حزناً، الآيات الإخبارية المحايدة التي لا تتعلق بالبواعث والغايات (2).

ولا حدود للتأويل. فالتأويل بلا حدود مثل العلم الإلهي الذي لا ينفد مهما نفدت الأقلام ومداد البحار(3). التأويل مجرد نموذج لغيره من التأويلات. والظاهر لا يؤل. والباطن لا يبقي على ظاهره. تأويل الظاهر تعسف، ومن المروءة ترك التكلف(4).

ويعتمد على تفسير جعفر الصادق ويحيل إليه على عكس «فضائح الباطنية» للغزالي(5). وتظهر الإسرائيليات في التفسير نظراً لارتباط النبوة بتاريخ

= من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون ما يتعلق بالظواهر والحدود فإنه قد يحين لها حد محدود. وقيل من فسر برأيه فقد كفر. وأما التأويل فلا يبقي ولا يذر. فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته، وفي مراتب سكونه وتفاوت درجاته. وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد، واطلع به على لطيف معنى عتيد»، السابق ص4.

(1) «وعسى أن يتجه غيري وجوه أحسن منها طوع القياد فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد»، السابق ص4.

(2) «وكل ما لا يقبل التأويل عندي أو لا يحتاج إليه فما أوردته أصلا»، السابق ص4.

(3) «ولا أزعم أني بلغت الحد فيما أوردته كلا. فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت. وعلم الله لا يتقيد بما علمت. ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر فيه بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما تهت في محاويه»، السابق ص4، «ولله تعالى في كل كلِمة كلمات ينفد البحر دون نفادها. فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها؟ لكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان، يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن. فينكشف لهم ما استعدوا له من مكونات علمه. ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه»، السابق ص4-5.

(4) «وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها. فما أولته إلا قليلا ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً. ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاوز عن ظواهرها إذ لم يكن في تأويلها به من تعسف. وعنوان المروة ترك التكلف»، السابق ص4.

(5) «وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: =

الأنبياء[1]. ويذكر عيسى خاصة. ولا يوجد ذكر للصوفية أو فلاسفة أو متكلمين أو محدثين أو فقهاء أو مفسرين نظراً للاعتماد على التجارب الذاتية. كما يظهر تاريخ الأديان والإحالة إلى فرق المجوسية والثنوية[2].

وعادة ما يغيب الوافد من التصوف. ومع ذلك يظهر في التفسير بعض آراء أفلاطون مثل تقسيمه الثلاثي لقوى النفس. كما تنسب بعض المنتحلات لأرسطو إلى الرسول[3].

ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث. والسجع والمحسنات البديعية أسلوب في التعبير. فالأدب والتصوف لهما نفس الأشكال الأدبية، النثر والنظم. والغالب على التفسير هو التفسير الفلسفي خاصة بالعلاقة بين الحق والخلق أي التفسير الوجودي العام. وأقرب المداخل إلى ذلك السهروردي المقتول. وتبرز الحقيقة المحمدية كموضوع رئيسي[4]. كما تظهر فلسفة التاريخ الصوفية مع الإحالة إلى كتاب «الجفر والحدثان» المنسوب إلى جعفر الصادق والذي يتم بواسطته التنبؤ بالحوادث المستقبلية قبل وقوعها[5].

14 ـ **«كتاب القربة»**[6]: وهي القربة بين الله والإنسان في المعرفة الباطنية مثل معرفة الخضر وأولويتها على المعرفة الظاهرية مثل معرفة موسى، في قصة موسى والخضر، وقصة عمر وشيبان الراعي. المعرفة الباطنية في مرتبة الولاية. وتعتمد على القرآن والحديث[7]. ومن الأنبياء موسى والخضر[8]. ومن الصحابة

= لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا تبصرون. وروي عنه عليه السلام أنه خر مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال «ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها»، السابق جـ1/ 4-5/ 12.

(1) السابق ص10.
(2) السابق ص21.
(3) مثل «من فقدها فقد فقد علماً»، السابق جـ1/ 4-5/ 12 ص38.
(4) السابق جـ1/ 9.
(5) السابق ص10.
(6) رسائل (1) جـ1 (6)/ 2-10.
(7) الآيات (5)، الأحاديث (1).
(8) موسى (2)، الخضر (1).

أبو بكر وعمر وخادمه شيبان الراعي[1]. ومن الصوفية الغزالي والسلمي. ومن الفقهاء الشافعي[2].

5 ـ «إعجاز البيان في تفسير أم القرآن (سورة الفاتحة)» للقونوي (673هـ)[3]:

ويتضمن منهجاً جديداً في التفسير يمكن تسميته بالمنهج الموضوعي. وهو تفسير للنص ليس لفظاً لفظاً أو عبارة بعبارة على نحو متقطع كما هو الحال في علوم التفسير أو في «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، التفسير الكبير، بل هو تفسير لموضوع السور ككل واكتشاف لبنيته وأقسامها انتقالاً من النص إلى موضوع النص، ومن اللغة إلى الوجود. صحيح أنه تفسير معرفي قبل أن يكون تفسيراً كونياً إلا أنه ليس تفسيراً اجتماعياً سياسياً خاصة وأن السور تتحدث عن التوحيد وله انعكاساته على المجتمع والصراط المستقيم أي الخيارات الاجتماعية والسياسية، وعن المغضوب عليهم والضالين وهم فئات اجتماعية تضر بمصلحة المجموع.

وهو أيضاً قريب من التفسير الإشاري المعروف منذ القشيري أو من تأويل الحروف عند ابن عربي. فالقرآن إشارة وتنبيه وعلامة. والتفسير على وعي بمنهج التأليف وبمنهج التفسير في آن واحد[4]. ويعتمد على عديد من الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر والأمثال العامية[5]. وهو تفسير القرآن بالقرآن نظرا لغلبة الآيات. ومن الأعلام يذكر ابن سينا نظراً لما بين الإشراق والتصوف من صلة[6].

---

(1) أبو بكر (4)، عمر (2)، شيبان الراعي (1).

(2) الغزالي (2)، السلمي، الشافعي (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(4) «وها أنا أذكر المقدمة الموضحة مرتبة الفكر والبراهين النظرية وغايتها وحكم أربابها، وما يختص بذلك من الأسرار والنكت العلمية بلسان الحجة الإلهية على سبيل الإجمال ثم أبيّن أن العلم الصحيح الذي العلوم النظرية وغيرها من بعض أحكامه وصفاته عند المحققين من أهل الله، ما هو؟ وبماذا يحصل؟ وما أثره؟ وما حكمه؟.. تنبيها للمحجوبين بأن الإعراض عما توهموه حجة وصفة كماً وشرطاً في حصول العلم اليقيني، وأنه أتم الطرق الموصلة إليه ليس عن جهل به وبمرتبته بل لقلة جدواه وكثرة آفاته، وإيثار موافقته لما أختاره الحق للكمّل من عباده وأهل عنايته»، السابق ص19.

(5) الآيات (168)، الأحاديث (54)، القدسية (3)، الأشعار (13)، الأمثال (1).

(6) إعجاز البيان ص27.

ومع ذلك الكتاب على درجة عالية من التنظير. القسمة العقلية شائعة ومتكررة لمراتب العلم وأدوات توصيل المعلومات، الدلالة، والتعريف، وأفعال العباد [1].

ويعتمد منهج التفسير الذي يتضح من خاتمة الكتاب على القواعد الآتية:

أ ـ الإعراض عن البسط والإطالة والاكتفاء بالإيماء. والإشارة، وهو ما سماه فيما بعد في عرض منهج البحث والإيجاز[2]. ولما كان المخاطبون هم المحققون من أهل الله وخاصته والمحبون لهم، المؤمنون بأحوالهم يتم الاكتفاء بالتلويح دون التصريح. ومع ذلك، هو تفسير طويل لسورة الفاتحة فكيف يكون تفسير السور الطوال؟

ب ـ الجمع بين الكتم والإفشاء كما فعل النص القرآني.

جـ ـ الاعتماد على التجربة الذاتية المباشرة دون نقل أقاويل المفسرين المتفكرين وغير المتفكرين.

د ـ تجاوز التفسير اللغوي الذي يوجبه حكم اللسان ويستدعيه الارتباط الثابت بين الألفاظ والمعاني وهي مجرد قوالب وظروف، والاكتفاء بالهبات الإلهية الذاتية[3].

هـ ـ استعمال القول البرهاني لا الخطابي الذي استعمله أوائل الحكماء المشّائين طبقاً لشريعتهم[4].

وتمتلأ المقدمة النظرية الأولى بالقواعد الكلية[5]. ولكل أصل وصل أي لكل قاعدة تطبيق[6]. وبالرغم من إحكام التحليل النظري إلا أن بنية الموضوع ما زالت غير محكمة. فهناك باب وفصلان اعتباطا دون أن يشملا الموضوع كله. والأدلة النظرية لا تنفي ولا تثبت شيئاً لضعفها ولتفاوتها بحسب أربابها[7]. وهم مختلفون

(1) السابق ص49/ 59/ 87/ 173.
(2) لذلك تظهر لازمة «ثم نرجع ونقول» باستمرار للدلالة على نهاية الاستطراد.
(3) إعجاز البيان ص13.
(4) السابق ص17.
(5) السابق ص71-89.
(6) يتكرر تعبير «وصل من هذا الأصل» سبع مرات.
(7) إعجاز البيان ص20-22.

أيضاً في القانون الفكري الذي يستعملونه. فبعض القرائن منتجة عند البعض، عقيمة عند البعض الآخر. وبعض القضايا لازمة عند البعض وغير لازمة عند البعض الآخر. والقانون ضروري ملزم عند البعض، وغير ضروري وملزم عند البعض الآخر. وما دامت الأقلية لا تحتاج إليه فالأولى ألا يكون ضرورياً للأغلبية. أما أهل التحقيق فيعتمدون على الأقلية. يعتمدون على الفطرة والذكاء الطبيعي، وليس على الأدلة النظرية[1]. يعتمدون على علوم الذوق وليس علوم الكسب[2]. ويصعب على الإنسان الاستقلال بعلوم الذوق دون مران وإطلاع وتعلم. ويتعذر على طلاب العلم معرفة الحقائق العلوية بالأدلة المجردة وهذا هو سبب الجهل بحقيقة الله. لذلك فضل السالكون وسائل تحصيل علوم الذوق وهي مشاهدة تجليات الحق دون حلول أو اتحاد. علم الله حقيقة وعلم العبد مجاز. في حين أن العلم الإلهي لا يُعرف نظراً إلا قياساً للغائب على الشاهد كما هو الحال عند المتكلمين. أما عند الصوفية فالعلم لدني قادر على معرفة الغيب المطلق والبرزخ الأول وأسرار علم التحقيق. ولا يمكن تعريفه إذ إنه في الوجود كله. وللعلم مراتب عديدة: معنوية كالتصورات والمفاهيم، وروحانية وصورية مثالية بسيطة كالحروف. والكلمات بالنسبة، ومركبة مادية. ويُعرف العلم بالتجلي الذاتي. والعلم حقيقة كلية ولكن له أحكام ونسب متعينة حسب كل مدرك والعلم يتعلق بالحق أو بالأغيار[3].

والكتب الإلهية مفتوحة على الحضرة الإلهية وعلى الكون. وهي خمسة: الغيب وفي مقابلها الشهادة، والأقرب إلى الغيب مثل الروح، واللوح المحفوظ وفي مقابلها الأقرب إلى الشهادة وهي الصحف والكتب المنزلة، ووسطها الجمع، والوجود والإخفاء والإعلان وهو الإنسان[4]. الآيات من الكلمات، والسور والآيات تتضمن الأحكام. والكتب المنزلة من السور تتضمن ترجمة الأحكام.

(1) «وفي الجملة قد بيّن أن غاية كل أحد في ما يطمئن إليه من العلوم هو ما حصل في ذوقه، دون دليل كسبي، أنه الحق. فسكن إليه، وحكم بصحته، هو ومن ناسبه في نظره، وشاركه في أصل ما أخذه، وما يستند إليه ذلك الأمر الذي هو منطق اطمئنانه»، السابق ص23.

(2) السابق ص25-33.

(3) السابق ص33-63.

(4) السابق ص11.

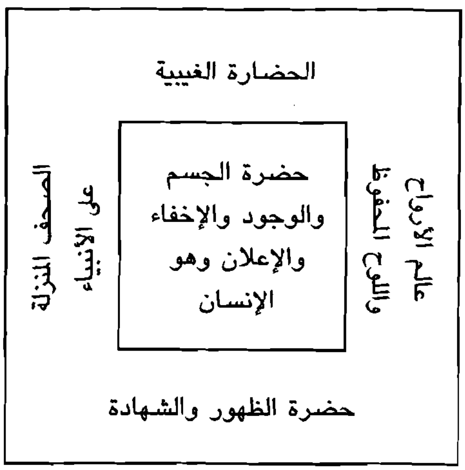
=

والقرآن من الكتب صورة العلم المحيط[1].

والقرآن مكون من حروف تظهر بها الكلمة. وبنظم الكلمات تظهر الآيات، وبنظم الآيات السور. فهذه أركان أربعة: الحروف، والكلمات، والسور، والآيات مظاهر الكلام الغيبي الأحدي «منازل ظهوره، وجداول بحره، وأشعة نوره»[2]. والكلام نسبة من نسب العلم[3]. والتراكيب في العربية ستة: الاسم مع الاسم والفعل. وفي التحقيق الاسم هو التجلي، وتركيب الاسم مع العين الثابتة.

وبعد هذه المقدمة النظرية عن الأصول الكلية للتفسير ومعرفة سر الإنسان الكامل، يأتي التطبيق. ولما كانت الفاتحة أم الكتاب وأصله فلزم معرفة معنى الأصل[4]. البسملة نظرية دورية تكشفها الحروف العاليات، تطابقاً بين الكتاب الكبير والكتاب الصغير[5]. ثم يأتي سر «الدين» وما فيه من أوامر ونواهي، وظاهر وباطن، وحد ومطلع[6]. ثم تأتي **«إياك نستعين»** بلسان الجمع والمطلع[7]. تليها

=



(1) السابق ص13.
(2) السابق ص14-15.
(3) السابق ص71.
(4) السابق ص13.
(5) السابق ص106-165.
(6) السابق ص165-209.
(7) السابق ص209-217.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لطلب الهداية ومعرفة مراتب السلوك[1]. ومعنى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ صور انحراف الإنسان ومراتب الغضب، ومراتب النعيم والرضا، ومراتب الضلال[2]. وهو في النهاية تفسير صوفي يتضمن كل العقائد الصوفية مثل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ .

6 ـ عز الدين بن عبد السلام الشافعي (678هـ)، ابن عطاء الله السكندري (709هـ)

أ ـ «تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة» لعز الدين عبد السلام الشافعي[3]:

وهو كتاب نظري في اللغة الإشارية مثل «نحو القلوب» لأبي طالب المكي. اللغة بطبيعتها إشارة، قسمة الكلام واشتقاقه وصرفه وإعرابه وبناؤه، أسماؤه وأفعاله ومفعوله. حاله وتمييزه وبدله والصرف والعطف والتوكيد والجر والندب كلها تسمح بالإشارة. والنحو قصد. ويختلف الناس في المقاصد بين اللسان والقلب، بين الظاهر والباطن. وهذا هو سبب تأليف الكتاب[4]. النحو عند أهل العبارة أسماء أفعال وحروف، وعند أهل الإشارة أقوال وأحوال وأفعال. يشتركان في الأفعال[5]. ولا النافية عند أهل الإشارة لها أسرار خفية[6]. وأسرارها في شعار التوحيد «لا إله إلا الله»، النفي والإثبات، القاعدة والاستثناء[7]. والبنية اللغوية

---

(1) السابق ص217-249.

(2) السابق ص249-311.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 ص19-44.

(4) «فإن النحو عبارة عن القصد. والناس مختلفون في المقاصد والموارد. فواحد كان تقويم لسانه مبلغ علمه. وواحد كان تقويم جنانه أكبر همه. فتذكرت في كتابي هذا ما يفرق بين الفريقين، ويوضح كلا الطرفين. وفرقت بين اللحَن واللحْن ليعلم أي الفريقين أحق بالأمن»، السابق ص20.

(5) السابق ص21.

(6) السابق ص37-39.

(7) «ثم نظروا إلى أصل ما بني عليه التوحيد، فإذا هو حرف النفي. فعلموا أنه بالنفي يثبت التوحيد. وبالمحو يرسخ التفريد. فغلبت كلمة «لا» على «إله» فنفتها فقالوا «لا إله». ثم طولبوا بالإثبات فقالوا: كيف السبيل إلى الإثبات، ولا سبيل إليه إلا بدخول حرف النفي عليه؟ وكيف يثبت الشيء بالحرف النافي، وهذا متناف؟ فقيل: ها هنا معنى خافي وسر شافي. وهو أن تأتوا إليه بألف التوحيد فتدخلوها عليه، وتتوسلوا بها إليه»، السابق ص38.

والبنية اللاهوتية واحدة في المبتدأ والخبر، منفصلان في اللغة متحدان في علم الكلام. وكذلك النكرة والمعرفة في اللغة وفي العقائد معرفة فحسب[1]. ويعتمد على القرآن اعتمادا كبيرا قبل الحديث ودون الشعر[2]. فالقرآن لغة وفكر، عبارة وإشارة. ولا يذكر أحد من الصوفية لأن الكتاب تنظير مباشر للغة.

ب ـ «رسالة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وهي فاتحة الحزب الكبير» للشاذلي لابن عطاء الله السكندري[3] وهي وسط بين التأليف والشرح. فهي ليست تأليفاً لأنها تعليق أو قراءة لمقدمة الحزب الكبير للشاذلي. وليست شرحاً للآية لأنها فاتحة الحزب الكبير. ومع ذلك فهي أقرب إلى التفسير والتأويل لأنها مركزة كلها على معانى الآية. وهو ليس شرحاً لفظاً بلفظ، بل إبراز للموضوعات المتضمنة في الآية مثل أوائل السور، والفقر والعصمة والعلم والتأييد والرضا بالقضاء والاعتراف بالجهل، والمشاهدة والمكالمة، والكرامات، والفرج والرحمة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون الاعتماد على الاقتباس من أقوال الصوفية[4]. ويضاف على الأدلة النقلية بعض التحليلات العقلية التي تقوم على القسمة مثل قسمة التصديق إلى إيمان بالشهادة وإيمان بالغيب، وقسمة طرق الإيمان إلى التقليد، والبرهان، والمشاهدة[5].

7 ـ الكاشاني (730هـ)

أ ـ «فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾»[6]: وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، في موضوع التفسير بالرغم من وضوح الآية ودلالتها على رسالة الإنسان في العالم. وهي حمل الآية وتحقيق الوحي، كلمة الله، كنظام مثالي للعالم. ومع ذلك، تعتمد كثيرا على القرآن، تفسيرا للقرآن بالقرآن[7].

(1) السابق ص27.
(2) الآيات (58)، الأحاديث (1).
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (2) ص95-101.
(4) الآيات (30)، الأحاديث (8)، الأشعار (1).
(5) رسالة في قوله تعالى. . . ص98-99.
(6) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (16) ص173.
(7) الآيات (11).

ب ـ **«في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام»**[1]: وهي رسالة قصيرة. صفحة واحدة في تفسير شخصية آصف بن برخيا. وهو عالم إنساني مؤيد بالروح الإلهي عند بلقيس. وهو الذي أجلى لها حقيقة شخص سليمان. وتصرف في عرشها بخلع صورته عن مادته. ونقله إلى سليمان بأسرع من ارتداد الطرف كما هو الحال في كرامات الأولياء ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[2].

جـ ـ **«الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»**[3]: وهي رسالة في المدخل اللغوي لفهم الحديث خاصة والقرآن عامة. تبحث في المترادفات وغير المترادفات، والعموم والخصوص في اللغة. فالرحمن أعم الأسماء. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[4]. كما تعتمد على بعض نواحي القسمة العقلية مثل قسمة الرحمة إلى عطاء وكسب وظهورها بالفاعل أو بالتحلي بها.

د ـ **«في الجمع بين الحديثين»**[5]: وهي رسالة قصيرة، صفحتان في نفس الموضوع، مع تغيير العنوان من «التلفيق» إلى «الجمع» بين نفس الحديثين للرسول ولعلي، بين النبي والصحابي طبقا للقاعدة والاستثناء. فالحديث النبوي الذي يفرق بين الظاهر والباطن هو الاستثناء. وحديث علي الذي يوحد بين الظاهر والباطن هو القاعدة.والجمع بين الحديثين ممكن على المستوى الطبيعي وليس المنطقي. التطابق بين الظاهر والباطن هو تطابق بين العلول والعلة. وهو ما يتفق مع أحاديث أخرى مجهولة أو معلومة[6]. وفي هذه الحالة يكون التلفيق هو التوفيق المنطقي. والجمع هو التوفيق الطبيعي.

---

(1) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (20) ص191-192.
(2) الآيات (2).
(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، بيروت 2005م-1426هـ (8) ص135-138.
(4) الآيات (7)، الأحاديث (1).
(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.
(6) المجهولة مثل حديث «أنا كالديك النكاح»، والمعلومة مثل «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام»، السابق ص149.

هـ ـ **«في التلفيق بين الحديثين»**[1]: وهي أيضاً صفحة واحدة. وموضوع الرسالة التعارض الظاهري بين الفصوص، بين حديث نبوي وقول لعليّ حول الظاهر والباطن[2]. الأول يفرق بين الظاهر والباطن، بين الشخص وعمله. والثاني يوحد بين الاثنين. والتوفيق عن طريق العموم والخصوص. المفهومين الأصولين اللغويين. والتوافق المنطقي النظري عن طريق منطق الجهة والكلية والجزئية بوضع «بعض» مكان «كل». وهو تحليل نظري خالص لا يعتمد على أي دليل نقلي، قرآن أو حديث أو شعر أو قول صوفي.

8 ـ مؤلفات محمد وفا (765هـ)، الجيلي (835هـ)، ابن عجيبة (1224هـ)، الكتاني (1327هـ)

أ ـ **«كتاب الأزل متحدث عن الحقائق الأزلية في شرح تجليات الأسماء الإلهية»، لمحمد وفا الكبير**[3]: والعنوان الفرعي قد يكون إضافة من المحقق. وهو قراءة للأسماء الإلهية وتجلياتها في الوجود مثل، «تحبير التذكر»، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقشيري و«المقصد الأسنى» للغزالي. ولا يبرر العنوان. ولا تذكر مناسبة التأليف. والأسماء الإلهية دوائر وليست ألفاظاً أي هي آفاق وميادين وفضاءات. كل دائرة تبدأ بمقدمة نظرية بالإضافة إلى المقدمات النظرية الطويلة الأولى[4]. تبدأ بالمصطلحات لدرجة أن الكتاب قد يدخل أيضاً في المصطلح الصوفي. ويمكن الجمع بين الاثنين لاستنباط المصطلحات من أسماء الله الحسنى مثل القبض والبسط... الخ[5]. فالكتاب يجمع بين المصطلحات الفلسفية والأسماء الإلهية. والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم»، «افهم». ويتم تقطيع النص بألفاظ مثل «فرع»[6]. والمقدمة مجرد إلهاميات ووجدانيات. وتعتمد كثيراً

(1) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.

(2) حديث الرسول «إن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه» وهو حديث مجهول. وقول علي «إن لكل ظاهر باطناً على مثاله. فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه».

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006.

(4) السابق ص6-60.

(5) السابق ص11-26.

(6) فرع (57).

على القسمة العقلية. وقبل كل اسم مقدمة نظرية لشرحه. كما يعتمد على القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية[1]. والمؤلف هو أحقر العبيد وأفقرهم إلى مولاه الغني، تحقيراً للنفس وتعظيما للآخر[2]. ودلالة ذلك كله أن الأسماء الإلهية بين المنطق والأخلاق بين التعريفات النظرية والمثل العملية.

ب ـ **«الكهف والرقيم في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» للجيلي**[3]: وهو عنوان غريب في جزئه الأول «الكهف والرقيم»، وخادع في الثاني «في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» لأن الشرح كتابة نص والشرح هنا نص أول. وسبب التأليف أنه إجابة على سؤال[4]. وهو شرح فيه من آثار ابن عربي، شرح البسملة حرفاً حرفاً ابتداء من الباء والألف والميم. وللميم أربعون مرتبة منها القلم واللوح المحفوظ والكرسي والهيولى والهباء والأفلاك والعناصر الأربعة والإنسان وعالم الصور والمعاني والحقائق. يعتمد على القرآن والشعر والحديث[5]. ولا يحال إلى الصوفية السابقين بالرغم من الاعتماد على ابن عربي.

جـ ـ **«تفسير الفاتحة الكبير لابن عجيبة» (1424هـ)**[6]: وهو تفسير كبير لسورة صغيرة لا تحتاج إلى تفسير. يقرؤها الناس كل يوم في صلواتهم عشرات المرات، مثل تفسير صدر الدين القونوي لنفس السورة. وبهذه الطريقة يمكن إعداد مئات الشروح تجميعاً من القدماء وإشباعاً لرغبة المحدثين للغرائب والخيالات والأحلام تعويضا في المستقبل عن مآسيهم في الحاضر. وبالرغم من أن الشرح يبدو لفظاً بلفظ وآية بآية إلا أنه يجعل اللفظ أو الآية مناسبة لدراسة الموضوع بإسهاب وتفصيل وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه. فهو أقرب إلى

---

(1) الآيات (68)، الأحاديث (13)، القدسي (4).

(2) كتاب الأزل ص141.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2005 (1) ص11-34.

(4) السابق ص12 «فإني استخرت الله تعالى في إملاء هذا الكتاب المسمى... وذلك بعد باعث رحماني وإجابة لسؤال أخ عارف رباني، هو ذو الفهم الثاقب، والذكاء الباهر الراسخ الناسب، والتجريد والتفريد والقدم الصادق، في المطالب عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسن بن علي بعد مدافعتي إياه، وتأخري عن التقدم إلى ما يهواه»... بعثني صدق رغبته إلى موافقته، فاستخرت الله ولجأت إليه... السابق ص12.

(5) الآيات (29)، الأشعار (12)، الأحاديث (7).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006-1427هـ.

الشرح الموضوعي منه إلى الشرح اللفظي مثل شرح الطرابلسي على شيخه الخلوتي. وتظهر أربعة موضوعات كبرى. الأول أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون بمناسبة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والأخرويات ومشاهد القيامة والجنة والنار بمناسبة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. وكلها للتشويق وإثارة الخيال والمساهمة في خلق الوعي الزائف. والثالث أسرار العبارات والفقه الأخلاقي بمناسبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. والرابع وهو الأهم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي فرق المؤمنين بإجمال. وهي أصغرها مع أنه كان يمكن إعادة قراءتها ووصف أحوال الأمة ومذاهبها وسط المذاهب والحضارات المعاصرة[1]. ثم تأتي أمور الجهاد ومقاومة الاحتلال وأشكال الهيمنة الجديدة، ودولة الفقراء يوم القيامة إبعاداً لهم عن دولة الأغنياء في هذا العالم[2]. ويعود إلى رصد فرق الواقع من أجل الإشارة إلى الفرقة الناجية طبقا للاستعمال السياسي لهذا الحديث الضعيف طبقا لابن حزم والعز بن عبد السلام لتأييد فرقة السلطان[3]. وكيف تتم الفائدة من هذا الشرح التجميعي وتطبيق هذه الغايات الثلاث من الشرح وهي التعلق والتخلق والتحقق خاصة في الأسماء الإلهية؟ أما المقدمات العشر فمستقاة من علوم القرآن بتفصيلاتها وموضوعاتها وإشكالاتها القديمة. والشارح على وعي بالبرنامج. يفصله في المقدمات[4]. وكلها معلومات مدرسية مجمعة. القصد منها التعالم مع أن ناقل العلم وحامله ليس بعالم. وتبرز الاقتباسات بلفظ «انتهى». ويتم شرح القرآن بالقرآن وبالحديث وبالشعر دون أقوال الصوفية[5]. وتستعمل بعض معطيات الطب الحديث[6]. واستكمالا للمعلومات يذكر الوافد أرسطو كزينة للكلام[7]. ويظهر أسلوب القول بين الحين والآخر ليوحي الشارح بأنه يرد على الاعتراضات النظرية بأسلوب

(1) أسماء الله الحسنى (68)، المعاد (47)، العبادات (61)، فرق المؤمنين (26).
(2) تفسير الفاتحة ص437-353.
(3) السابق ص5.
(4) تفسير الفاتحة ص211.
(5) الآيات (485)، الأحاديث (194)، الأشعار (42).
(6) تفسير الفاتحة ص249.
(7) السابق ص25.

«قيل... قلت». وهو لا يرد على أحد ولا يتوجه لأحد بالنقد، وليس له منهج في الشرح، ولا يرتبط المتن بالزمن الحاضر. ويقتصر على شرح القدماء بالقدماء.

د ـ **«الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان من سر آية ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لأبي الفيض الكتاني**[1] وهي في علم التفسير والرد على المفسرين الذين يظنون البيعة هي الشرعية مع محمد الرسول وليست الروحية منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ ،البيعة الروحية، وهذا هو سبب التأليف[2]. فالحقيقة الأحمدية هي الوجود كله، رحمة للعالمين قبل محمد وبعده. وهو الإنسان الكامل الذي يتوحد فيه الكون. وهي أفضل من جبريل على عكس المعتزلة الذين فضلوا الملائكة على الرسل. والقرآن مودع فيه. وتبدأ بقصيدة طويلة. وسبب التأليف السؤال عن معنى الآية الموجهة للرسول[3]. الإيمان والكتاب هم الظاهران من محمد، والسر والروح هما الباطنان في أحمد. وتُعقد لذلك ثلاث مقدمات تفسيرية لآية واحدة هي آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾. وهي تخاطب الحقيقة الأحمدية. والرسالة والنبوة لا ينقطعان بالموت. وتظل الفيوضات على الحقيقة الأحمدية. وتستعرض أقوال المفسرين وتأويلاتهم الغريبة أو البعيدة من التأويل الصوفي ومنها الدين الطبيعي أو الدين الفطري العام الأساس الأول للوحي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. ومن الصوفية يذكر الحلاج والتستري[5]. والفقهاء هم الأكثر

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425هـ (2) ص117-201.

(2) «أعلم أنه رفع إلينا سؤال يستكشف عن سر قول ربنا العظيم ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾... أعلم أن ظاهر الآية مشكل وهي وما شاكلها من الآي القرآنية المقتضية لنفي الإيمان عن أكمل الأنواع الإنسانية وأطهر الذوات الآدمية وأنزه العقول القدسية والأعلم بالله من جميع الخليقة الربانية، والمقتضية لنفي دراية الكتب، من المتشابه في حق الحضرة المحمدية، ومن المعمي في جانب الجلالة الأحمدية. فلا يتبقى الخوض في ذلك إلا لأهل الكشوفات العرفانية ومظاهر الحقائق التنزيلية السابحين بسفن النور الإلهي في أبحر الغوامض»، السابق ص121.

(3) «ولكن لم يكن بد من ذكر فذلكة تنبئ عما وراءها. فالحق أحق أن يقال، وكتمان العلوم مذموم، وبذله لمستحقيه أكيد محتوم، سيما العلم الذي فيه حفظ العقائد، وحياطة النور الإلهي المودع في الضمائر وليس إلا بحفظ الآداب مع جانب الرسالة...»، السابق ص122.

(4) الآيات (81)، الأحاديث (23)، الأشعار (11).

(5) «إن سيدنا محمد صلعم هو الإنسان الكامل، وإنه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن. وهو معنى حديث: «من رآني فقد رأي الحق»، السابق ص82/ 195.

ذكرا مثل البيهقي ثم ابن أبي الدنيا والصابوني[1]. ويحال إلى عديد من المصادر[2]. ويذكر بعض الأنبياء[3].

هـ ـ «تعبير الرؤى الغريبة أو الأنوار الباهرة في تعبير الرؤيا بالعبارة والإشارة»: لعبد السلام العمراني الخالدي[4] وموضوعه تعبير الرؤيا مثل ابن سيرين. وتصنف حسب الموضوعات[5]، وتظهر بعض الموضوعات العصرية مثل الطائرة والسفينة والقطار والسيارة والدراجة والسينما والمقهى والنادي والملعب. وكلها ظنون ودلالات ظنية شعبية شائعة تعتمد على الحس البديهي طبقا للمثل الشعبي «الجعان يحلم بسوق العيش» أو «اللي يخاف من العفريت يطلع له». وتعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية أو الإسرائيليات[6]. ونظراً للتشابه الشديد بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية اختلطت التجربتان في الأشكال الأدبية بل وفي المضمون أيضاً بحيث يصعب التفرقة بين العمل الصوفي والعمل الأدبي.

خامسا: الأشكال الأدبية

وقد عبر الصوفية عن مواجيدهم في عدة أشكال أدبية أولها النظم وهو الشعر. والثاني النثر الفني، الفصول والغايات والتمجيد والمواعظ، والحكم والمناجاة. والثالث القصص الرمزي. والرابع السيرة الذاتية. والخامس المكاتبات. والسادس الرسائل والمسائل. وهو تصنيف يقوم به نقاد الأدب وليس الباحثون في التصوف. ومع ذلك هو موضوع مشترك بين الأدب والتصوف خاصة الشعر الصوفي.

---

(1) البيهقي (3). ابن أبي الدنيا، الصابوني (2)، الجيلي، الطبراني (1).

(2) «النطق المفهوم لابن ظفر بك السياق»، «المولد» لابن عائد، «شرح بردة المديح» للزركشي، «الروض» للواقدي.

(3) مثل: موسى (2)، آدم، شيث، يوسف، هارون، يوشع، داود، دانيال (1).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425 هـ (3) ص203-259.

(5) وهي اثنتا عشر موضوعاً: الله، والملائكة، والشيوخ والعوام، والقلم والزواج، والشمس والقمر، والوضوء والغسل، والمركبات والأطعمة، والقصر والحبوب والأشجار والحيوانات والأسماك والسلاح، واللحوم والدود والجن والطير والسوق والخياط.

(6) الآيات (73)، الأشعار (6)، الأحاديث (2).

1 ـ النثر الفني: (الحكم، الوصايا، المناجاة، التجليات)

ويشمل النثر الفني الفصول والغايات والتمجيد والمواعظ للمعري (449هـ)، والحكم عند ابن عطاء الله السكندري (709هـ) ومصطفي البكري (1162هـ)، والوصايا عند ابن عربي(638هـ)، والمناجاة عند ابن عطاء الله (709هـ) والمستغانمي (1353هـ). والنثر الفني في الوعي النظري هو استئناف للوعي التاريخي اللغوي. وهو استعمال اللغة كجرس وموسيقى مثل القرآن الكريم بعد أن فرض نفسه كنوع أدبي جديد بين الشعر والنثر. وهو استمرار للمواقف والمخاطبات للنفري (354)، و «الإشارات الإلهية» لأبي حيان (403هـ). والفرق بينهما هو تجلي الوعي التاريخي الخالص في طبقات الصوفية للسلمي (412هـ) وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم(430هـ).

أ ـ «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» للمعري (449هـ)[1]: وهو كتاب يجمع بين التصوف والأدب، من شاعر وأديب لقبه «أمير الحكماء» كما أن التوحيدي «أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء». لذلك اتهمه الفقهاء بتقليد القرآن، فالقرآن جمع بين الأدب والأخلاق مثل التصوف في أسلوب بين النثر والنظم. وتستعمل جميع المحسنات البديعية من جناس وطباق. وهو أسلوب لا يميز العصور المتأخرة وحدها، عصر المقامات، وقد يغالي في ذلك حتى يبدو الأسلوب متكلفاً مصطنعاً. تتحول فيه اللغة من وسيلة للتعبير إلى غاية في ذاتها[2] وتستعمل عدة ألفاظ لتقطيع الفقرات مثل «رجع» أي رجع الصدى. فاللغة أصوات. ويكشف الكتاب عن قدرة خارقة تصل إلى حد الإلهام على الإبداع اللغوي والتعبير عن المواجيد الصوفية بتعبيرات وأساليب أدبية. وهو إملاء شفاهي على مريديه يسمى غاية. ثم يفسر ألفاظه كما هو الحال في تفسير القرآن ويسمى «تفسير». ثم يعود إلى الإملاء ويسمى «رجع». فالتأليف إيقاع ثلاثي، غاية فتفسير فرجع. والعنوان نفسه غامض. فماذا تعني «الفصول والغايات»؟ هل الفصول هي الفصول السبعة التي يتألف منها الجزء الأول؟ وهل الغايات هي الفقرات؟ في هذه الحالة لا يشير العنوان إلا إلى الأشكال الأدبية والتقسيمات الخارجية ووحدات

(1) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977.

(2) وهي نفس التهمة التي وجهت إلى ديوان «جيم» للشاعر حسن طلب.

الكتاب كما هو الحال عند بعض المحدثين الغربيين. لم يعثر إلا على الجزء الأول منه. وهو مقسم إلى فصول غير مرقمة طبقاً للحروف كغايات. أكبرها فصل غايته تاء وأصغرها فصل غايته ألف[1]. ولا يوجد فرق من حيث الموضوع بين فصل وغيره بين حرف وغيره. وهي مناجاة بين النفس والله مثل «اعترافات» أوغسطين. ويتوجه النداء مع الله إلى النفس والقلب والضمير والعقل والأنا والرجل الوحيد والطبيعة مثل الطيور والقبائل ثم إلى مظاهر الوجود الإنساني مثل الراعي والكهل والجسد والدنيا بل وإلى الأنبياء مثل آدم. وتتنوع الأشكال الأدبية للمناجاة بين الأوامر والمواعظ والحكم والتحذير والأخلاق والاستغاثة وطلب المناجاة. ولا يتوجه النداء إلى شخص بعينه إلا أسامة بن زيد[2].

ويعتمد على عديد من الأشعار ثم القرآن دون الحديث. فالمؤلف شاعر. يستشهد بشعره وبشعر غيره. فالنثر الفني يعتمد أحياناً على الآيات. والأخلاق الصوفية تعتمد في الاستشهاد على الأحاديث. فالشحنة الأدبية في القرآن أعلى من الحديث[3]. والاستشهاد بالآيات لمقاربتها للنص في جانبها اللغوي وشكلها الأدبي ليس لمعناها أو مضمونها. ونادراً ما تعتمد «الفصول والغايات» على التحليل العقلي. ولا تظهر القسمة العقلية، وهي إحدى طرق التعريف إلا نادرا[4].

ب ـ حكم ابن عطاء الله السكندري(709هـ): ويتم القفز إلى الوجود عن طريق الأخلاق أي التصوف الخلقي أو عن طريق المعرفة في التصوف النفسي. وقد أبدعت أخلاق الوجود شكلاً أدبياً خاصاً بها هو «الحكم» كما أبدعها المبشر ابن فاتك في الفلسفة في«مختار الحكم في محاسن الكلم» طبقاً لحديث الرسول «أوتيت جوامع الكلم» أو الأقوال كما هو الحال في «أقوال التستري»[5] فقد تعددت أشكال التأليف الصوفي بين الكتاب والرسالة والحكم والأقوال والشعر،

(1) فصل غايته ألف (47). فصل غايته باء (60)، فصل غايته تاء (101)، فصل غايته ثاء (92)، فصل غايته جيم (83)، فصل غايته حاء (81)، فصل غايته خاء (90).

(2) الفصول والغايات ص167.

(3) الأشعار (350)، الآيات (10)، والأشعار من النابغة وذي الرمة وامرئ القيس وزهير وأمية وسحيم. (ويخلو التحقيق من أي فهارس عامة ولو للشعر).

(4) الفصول والغايات ص473.

(5) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين ص224-226.

والسؤال والجواب، والشرح والاختصار..الخ. وهي حكم كثيرة، غير مرقمة وغير مبوبة[1]. معظمها قصيرة. أقلها الشعر وأكثرها النثر المسجوع، وهي موجهة إلى القارئ، أشبه بالمواعظ، نصائح عملية لسالكي الطريق. وتدخل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية داخل صياغة الحكمة. والآيات أكثر من الأحاديث[2]. ويظهر التحول من الأخلاق إلى الوجود في عديد من الحكم وذلك عن طريق تمثل الحضور الإلهي في النفس وتحويلها إلى سلوك فاضل، وتجلي الله في كل شيء. وابن عطاء الله مالكي. فليس كل متصوف هو أشعري بالضرورة.

وأسوأ ما في الحكم هو مضمونها، إسقاط التدبير، وتسليم كل شيء لله، وعدم الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله، عكس فشته وإقبال في نظرية الحرية ووضع الذات بالذات، الذات تضع نفسها حين تقاوم. فالعمل من علامات ضعف الرجاء[3]. وقبول الشر ضروري بلا اعتراض. «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[4]. يبدأ الأمر بوحدة الشهود ثم يتحول إلى وحدة الوجود[5]. وتتحول المقامات كالشكر والأحوال كالخوف إلى وجود. تتضمن مادة التصوف التقليدية ويُعاد تأويلها كوجود. أسوء ما فيها الفناء عن الذات وتصغيرها. ويستمر الشارح في نفس الاتجاه. فهو أفقر العباد إلى مولاه[6]. ومع ذلك تظهر لغة الذاتية. وكما بدأ التصوف كرد فعل على الفتن الداخلية وهروباً منها فإنه ينتهي أيضاً كرد فعل على هزائم العصر أمام الاستعمار الخارجي والقهر الداخلي.

جـ ـ «الغرر البديهية في الحكم الإلهية» لمصطفي البكري (1162هـ)[7]: وهي مجموعة من الحكم مثل أقوال التستري مرتبة ترتيباً أبجدياً[8]. تظهر الحكم كشكل

(1) عند الشارح الأزهري الشيخ عبد المجيد الشرنوبي 264 حكمة، ولكنها في الحقيقة حوالي 329 بالإضافة إلى المناجاة الأخيرة.

(2) الآيات (5)، الأحاديث (2).

(3) من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الذلل، حكم ص4.

(4) السابق ص30.

(5) «ولا أعمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده»، السابق ص37.

(6) السابق ص3.

(7) البيان والمزيد، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ (2) ص123-190.

(8) حوالى 1181 حكمة.

أدبي. ويقع السجع بين شطري الحكمة كالقافية في الشعر دون تقسيم موضوعي لها. فالغاية هو المثل السائر. وهي عبارات قصيرة، ذات صياغة أدبية متكلفة أحياناً، نداء إلى القلب، اقتضاء فعل، دعوة إلى العمل، إرشاد إلى النفس، تشبه الأحاديث القصيرة من «جوامع الكلم». والشطحات مع الاحتراس في العبارة. وهي مكتفية وواضحة بذاتها دون شواهد نقلية باستثناء آية واحدة، وصوفي واحد، الحلاج[1]. نبتت من القلب وسطرت بيد العبد الجاثي المتعفر في لحاق أرباب التفاني[2].

د ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ «كتاب الوصايا»[3]: وهو في نظرية المعرفة، الجمع بين علم الإيمان والدليل العقلي[4]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. يخاطب القارئ في نوع أدبي جديد.

2 ـ «الوصية»[6]: وهي غير كتاب «الوصايا» ولكنها في نفس النوع الأدبي. ومنها العمل بالعلم والصبر والشكر وعدم العلو في الأرض والخيلاء، وإقامة الحديد، والتسبيح، والحياء. وهي وصايا متوارثة بين الصوفية منهم إلى مريدهم وتعتمد على الحديث والقرآن والشعر[7]. وتذكر وقائع فعلية حدثت فيها الوصايا[8].

3 ـ «كتاب التجليات»[9]: وهي عدة رؤى صغيرة مثل اللطائف

(1) مثل إقبال في تأملات تائهة Stray Reflections.

(2) «فهذه نبذة في الحكم مرتبة على حروف المعجم جرت على القلب، ونطق بها الفم ورسمها في الطرس اليراع والقلم» الغرر البديهية ص124.

(3) رسائل (1) جـ2 (25) ص1-5.

(4) للشرع نور وللألباب ميزان ... والشرع للعقل تأييد وسلطان
والكشف نور ولكن ليس تدركه ... إلا عقول لها في الوزن رجحان
السابق ص2.

(5) الآيات (3)، الأحديث (1)، الأشعار (1).

(6) رسائل (1) جـ2 (28) ص1-7.

(7) الأحاديث (5)، الآيات (2)، الأشعار (1).

(8) مثل ابن راهويه، وهارون الرشيد والبهلول.

(9) رسائل (1) جـ2 (23) ص1-53.

والإشارات[1]. لكل تجلٍّ عنوان ومثل شعبي صوفي. موضوعاتها متنوعة بين المعرفة مثل الإشارة والظن والخاطر والمناظرة والمجادلة، الفطرة، والدعوة والتهيؤ والولاية والرؤية والنور والقلب والعقل والكلام والعلاقة. وبعضها أخلاق مثل المراقبة والصدق والوصية والنصيحة والاستحقاق والتقرير والمبايعة والمعارضة. وبعضها أحوال مثل الفناء والبقاء. وبعضها مقامات مثل المحبة التي تتكرر في أكثر من تجلٍّ والانتظار والتسليم وبعضها في الطريق مثل السبحات والحيرة والحظ والأماني والشرائع والإيمان والأرواح والهمم. وبعضها في التوحيد الذي يتكرر في أكثر من تجلٍّ، والتنزيه والرحمة والجود والعدل والمغفرة والقدرة. وبعضها في الكون والخلق والنشأة والسريان والتحول، والمقابلة والقسمة والمزج والفردانية والمراتب والاستواء والعلة والشجرة والمعدوم. وبعضها في الزمان مثل الإنية والمعية. ويعتمد على الشعر والقرآن دون الحديث[2]. ويذكر من الصوفية الجنيد ثم الحلاج ثم ابن عطاء ثم ذو النون وأبو سعيد الخراز[3]. ومن الأنبياء موسى[4]. ومن الصحابة علي وأبو بكر[5]. والأسلوب تقليد للقرآن خاصة في البداية. يخاطب القارئ ويدعو مثل أسلوب إخوان الصفا. ويحال إلى كتاب «الهياكل» وكتاب «الحروف» من «الفتوحات».

هـ ـ «المناجاة الإلهية» لابن عطاء الله السكندري(709هـ)[6]: وهي من الأشكال الأدبية في النثر الفني، مثل الوصايا والمواعظ والحكم والدعاء والأحزاب والأوراد. . .الخ. وهي أربع وثلاثون مناجاة تضع تقابلاً بين الإنسان والله مثل: الفقير والغني، الجاهل والعالم، القادر والعاجز، الفضائل والرذائل، المتكلم والصامت، الحاكم والمحكوم، القاهر والمقهور. يعبر الإنسان فيه عن ذلك

---

(1) التجليات (109).

(2) الأشعار (21)، الآيات (14).

(3) الجنيد (5)، الحلاج، ابن عطاء (4)، ذو النون، أبو سعيد الخراز (2)، جعفر الصادق، الشبلي، يوسف بن الحسين، البسطامي، داود الطائي، أبو عبد الله القرشي، إبراهيم الخواص، أبو السعود البغدادي، الشيخ أبو ربيع الكفيف الأندلسي (1).

(4) موسى (1).

(5) علي (2)، أبو بكر (1).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م- 1427هـ (2) ص69-78.

واستجدائه بعبارة نداء «إلهي» أربعاً وثلاثين مرة دون ملل أو اكتفاء. يتوجه إليه بالطلب والرجاء بدلاً من التحقيق، والاستجداء بدلاً من الأداء. ليس بها أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث أو شعر أو استشهاد بقول صوفي. ولا يوجد أي تحليل نظري أو دليل عقلي، بل مجرد ابتهالات وأدعية وتمنيات.

و ـ «النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي» لأحمد المستغانمي(1353هـ)[1]: والمناجاة نوع أدبي، مناجاة الله مثل مدح الرسول وحزب الطريقة ووِرده. وهو سبب التأليف[2] صاحبها هو العبد الفقير إلى ربه المرتجي عفوه. غرضها التقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة وهي المناجاة أي القول النظري. وهي مملوءة بالشواهد القرآنية منذ البداية بدفقة متتالية من الآيات. والحديث أقل لأنه أقل بلاغة وأكثر اتجاهاً نحو العمل والشعر غائب لأن القرآن يقوم مقامه من حيث البلاغة[3]. تتلوها الحكم العلوية، اثنان وخمسون حكمة مثل حكم ابن عطاء الله السكندري، مثل الأقوال المأثورة والأمثال العامية[4]. في معظمها وجدانيات وتمنيات، تحصيل حاصل، ليس بها موضوع محدد. ومعظمها نقل عن الآخرين.

2 ـ القصص الرمزي

أ ـ «رسالة الطير» للغزالي(505هـ)[5]: وكما عبر الصوفية عن تجاربهم الصوفية بالشعر نظرا للقرب بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية عبروا أيضاً عنها بالقصة التي تشارك الشعر في الخيال وأن افترقت عنه في النظم[6]. وهي قصة رمزية على سلوك الطريق وما به من مخاطر[7].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1906 (3) ص125-144.

(2) «أردت أن أتقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة فما وجدت أنفع من العمل الذي يقربني ويقرب الخلق من الله فأطلقت لفكري العنان..». السابق ص125.

(3) الآيات (57)، الأحاديث (1).

(4) النور الضاوي ص141-144.

(5) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

(6) ولابن سينا أيضاً «رسالة الطير»، ولكنها دخلت في الفلسفة الإشراقية في «من النقل إلى الإبداع». وقد كان الطيران أحد أحلامي الدائمة.

(7) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ص228-232.

اجتمع الطير على اختلاف أنواعه لاختيار ملك، وكانت العنقاء الأصلح المقيم بالمغرب وربما الجزائر. فقرروا الذهاب إليها بشوق بالغ بالرغم من المهالك والأخطار واختلاف الأجواء بين الحر والبرد[1]. موضوعها الطريق. هجرة طيور من المغرب إلى المشرق للبحث عن ملك لها هو العنقاء بالرغم من صوت التحذير من الهلاك. ونظراً لشدة الحنين هاجر الطير بالرغم من الحرارة والبرودة. ثم سمعت صوتاً ينادي إنه لا ملك إلا هو، والصبر في السعي إليه دون يأس أو نكوص. فالطيور تعود إلى نشأتها الأولى منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ الذي يتطلب تجديد العهد بالوضوء والصلاة والذكر والخلوة. وتعتمد الرسالة على القرآن أولاً ثم الشعر ثانياً ثم الحديث أخيراً[2].

ب - «حي بن يقظان» للسهروردي(587هـ)[3]: ولابن سينا وابن طفيل أيضاً قصتان بنفس العنوان[4]. وهي في مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات، وليست في علوم الحكمة. وتسمى أيضاً «الغربة الغريبة»، أو «الغربة الغربية»، أو «الغريبة الغربية». بها رمز الغرب، مثل رسالة الطير للغزالي. فقد ذهب حي مع أخيه عاصم، شخصية ابن طفيل الذي عرف الوحي بالنور الطبيعي، لاصطياد طيور من الغرب، القيروان، وهي مدينة ظالمة أهلها. فمسك بها أهلها وقيدوهما ورموهما بالبئر عليهما قصر مشيد. وهي صورة قرآنية ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾. ويقترح الهدهد عليهما طريقة للخلاص، وهو طريق الله. وتدخل الآيات القرآنية في نسيج العبارات[5].

جـ - «منطق الطير» لفريد الدين العطار(627هـ)[6]: وبه نفس رمز الطير أي السلوك في الطريق. وهو منطق أي طريق ومنهج. وهو أكبر كماً وأغنى صياغة. تعبر أيضاً عن مدى التقارب بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية، والتعبير عن

(1) «فكلام الطيور لا يفهمه إلا من هو من الطير»، السابق ص232.

(2) الآيات (9)، الأشعار (7)، الأحاديث (1).

(3) السهروردي (المقتول): حي بن يقظان، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي تحقيق وتعليق «أحمد أمين»، جـ3، دار المعارف، مصر ص124-127.

(4) تم تحليلها في إعادة بناء علوم الحكمة، من النقل إلى الإبداع مجـ3 التراكم ص31-41.

(5) حوالي 119 آية.

(6) دار الأندلس، بيروت 1984م-1404هـ.

الأزلي في موقف إنساني وبصيغة أدبية. هي قصة فلسفية، أدب يعبر عن فكر كما هو الحال في الأدب الغربي الوجودي المعاصر. تضم عدة مقالات، خمساً وأربعين، في كل منها أكثر من حكاية. ومعظم المقالات في أعذار الطيور عن الرحيل[1]. ومقالات أخرى عن الأسئلة الموجهة للهدهد عن مخاطر الطريق[2]. وباقي المقالات في وصف الطريق بعد اجتماع الطير وحديث الهدهد في طلب السيمرغ[3]. المقالة الأولى جمع الطيور للبحث عن إله واحد يعبدونه. والثانية توجيه الهدهد الطير إلى السيمرغ والمقالات من الثالثة حتى الثانية عشرة أعذار كل طائر عن السلوك إلى الحضرة العلية. والثالثة عشرة عذر جميع الطيور. والرابعة عشرة سؤال الهدهد عن طريق السير. والخامسة عشرة اتفاق الطير على التوجه إلى السيمرغ، والسادسة عشرة مشاورة الطير مع الهدهد وما به من عقبات. والمقالات السابعة عشرة حتى الثانية والثلاثين أعذار الطير. وفي نهاية المقالة الثامنة والثلاثين يعرض العطار الأودية السبعة وأولها وادي الطلب. والمقالات من التاسعة والثلاثين حتى الرابعة والأربعين الأودية الستة: العشق، المعرفة، الاستسقاء، التوحيد، الخير، الفقر، الفناء. والمقالة الخامسة والأربعون وصول الطير إلى السيمرج ووقوفه أمام الحضرة الإلهية. والنفس والطبيعة واجهتان لشيء واحد كما هو الحال عند إخوان الصفا في التقابل بين العالم الأصغر والعالم الأكبر. ويتم الانتقال من الخاص إلى العام ومن العام إلى الخاص، من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل. وقد تقصر الحكايات وقد تطول[4]. وهي قصة شعرية لا تغني ترجمتها إلى العربية نثراً عن تذوق الأصل شعراً. ويعني المنطق هنا اللغة والفكر والموقف وليس القضايا المنطقية. وهي أشبه برسالة «الحيوان» لإخوان الصفا[5]. اعتنى بها المستشرقون وترجموها وشرحوها عدة مرات. وتحتوي على استطرادات كثيرة داخل القصة أو مجموعة من القصص. فمن الصعب إيجاد ميزان متعادل بين

---

(1) وهي: البلبل، الببغاء، الطاووس، البطة، الحجلة، الحمام، الصقر، مالك الحزين، البومة، الصعوة، وباقي الطيور، منطق الطير المقالات 3-13/ 17-29.

(2) السابق، المقالات 14/ 30-38.

(3) السابق المقالات 1-2/ 15-16/ 39-45.

(4) أطولها حكاية الشيخ صنعان وعقدة الزنا لعشقه الفتاة المسيحية، السابق ص218-240.

(5) رسائل إخوان الصفا جـ2 رسالة الحيوان.

الصياغة الأدبية والأفكار الفلسفية. وتنتهي القصة بمناجاة وهو شكل أدبي آخر. والحكاية تبدأ من واقعة كحامل للفكرة. الواقع يبدأ والخيال ينتهي. وتدور معظم الحكايات حول أحوال الصوفية وكراماتهم.

والعنوان قرآني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾. والشخصية الرئيسية «الهدهد» من قصة سليمان. روضها الشعري «المزدوج» هو المثنوي[1]. والبداية بالمناجاة ثم مدح الرسول والخلفاء الأربعة ثم ذم التعصب بين السنة والشيعة، ومحادثة عمر وأويس، وحديث للرسول وشفاعته.

والموضوع هو المحبة أو العشق، موضوع الصوفية الأثير. يتجاوز منطق العقل والنقل وقضية الكفر والإيمان. هو التجربة الإنسانية الأصيلة[2]. كما يتجاوز المذهبين الشيعي والسني، والأشعرية والمعتزلة والعداء والتعصب بينهما[3]. مع أن العطار من الملامتية[4]. والعاشقان من طبقتين مختلفتين. ملك وجارية، حر وعبد، لبيان مدى بعد المسافة بين الإنسان والله. وترمز القصة إلى العلاقة بين الشيخ والمريد، رغبة المريد في السير، وضرورة المرشد، وطاعة السالك. كما ترمز إلى العلاقة بين الله والعالم، بين الشيء وظله، الكل والجزء، الماء والقطرة، النور والظلمة، الواحد والكثير، الفاعل والمفعول. والعشق أسمى من العقل كما هو الحال عند الرومي وإقبال. يفنى فيه العاشق والمعشوق. وهو نوعان: دائم وهو عشق المعرفة، وزائل وهو عشق الصورة والعشق يتضمن الغيرة والرضا والصبر وكل مقامات الصوفية وأحوالهم. ولا خير في الشذوذ الجنسي مثل عشق الملك فلاحه إياز وإعطائه بعض السلطة. وغاية الطريق الصوفي الإدراك والاتحاد والفناء مثل فناء القطرة في البحر ثم فناء الظل في الشمس ثم التحول إلى نور ثم

---

(1) وتتكون من 4650 بيتا.

(2) وذلك بمعنى المقطع الألماني Ur في Urfarung. والسياسة ضلال، وسلوك الطريق هدى مما يبين أن التصوف رد فعل على الأزمة السياسية.

(3) «أيها الجاهل المجاهد للحق. لا تجعل في نفسك مقيّما للخلافة. فإن كانت نفسك قد سيطرت عليك فتسبب آلاف الآلام والأحزان لك. وإذا أحد غيرهم قد تولى الخلافة لسيطرت على عهده الآفات والأزمات. وما دامت الروح تسري في الجسد فليست عهدة الخلق في الأعناق أمراً هيناً»، منطق الطير ص172.

(4) «فلتحفظني من التعصب على الدوام. ولتطهر روحي من التعصب»، السابق ص179.

البقاء. والشرط الابتعاد عن الدنيا ومقاومة الشيطان وذم النفس والسيطرة على أهوائها كما هو الحال في الديانات الهندية.

المادة الأولى هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مباشرة أو على نحو غير مباشر. نصا أو بالعبارات والصور والألفاظ والتصورات[1]. ولكل نبي رمز، يوسف للطريق، وعيسى للامتحان، ومن الأدب الإسلامي تظهر قصة مجنون ليلى كرمز على العشق الإلهي. ومن التاريخ الإسلامي يبرز محمود الغزنوي[2]. وتذكر مناقب الخلفاء الراشدين. ويوظف التاريخ داخل القصة، طبيعة أو صنعة، ويتحول النص إلى موقف، والآية إلى حدث كما هو الحال في الإخراج المسرحي. ومن الوافد اليوناني يظهر الاسكندر وأرسطو والروحانيون اليونان[3].

د ـ «برقمة البلبل» للرواس(1287هـ)[4]: وهو حوار جرى في رؤية بين بلبلين عن التصوف استمرارا للغة الطير ومنطقه الأثير عند الصوفية[5]. وفهم اللغة رجل غيبي. وعلمها للمؤلف بأمر نبوي. وقد حدثت في مكة، في بيت الله الحرام والمؤلف يذكر الله. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث[6]. وتنتهي بقصيدة

---

(1) الآيات (4)، الأحاديث (8).

(2) الرسول (22)، محمود الغزنوي (21)، يوسف (18)، عيسى (10)، آدم، موسى، أبو بكر (9)، سليمان (8)، عمر، علي، إياز (7)، جبريل (6)، إبراهيم، فرعون، العزير، الاسكندر، رابعة، البسطامي، العطار (5)، داود، الجنيد، الشبلي، أبو سعيد بن أبي الخير (4)، آذر، إبليس، العباسة، عثمان، ليلي، المجنون، يعقوب (3)، ابن حنبل، صنعان، عزرائيل، الواسطي، قارون، إسماعيل، ذو النون، يونس. . . (2)، هامان، مريم، أرسطو، عمر بن عثمان المكي، نظام الملك، النوري. . . (1).

(3) السابق ص436.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت.

(5) «كنت سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف في مكة المكرمة، في بيت الله الحرام، وقد استقبلت القبلة، واشتغلت بذكر الله تعالى. فسمعت بلبلا يبرقم بلغة كنت سمعتها في ديوان حضور. وعلمنيها رجل غيبي بأمر نبوي. فلذلك فهمت ما برقم به البلبل يخاطب رفيقا له. فكتبت قوله والجواب الذي رُدَّ له في هذه الصفحات المباركة القليلة، سميت هذه الكلمات «برقمة البلبل». وإنها عن أعجب العجائب، وأغرب الغرائب، يعرف سرها العارفون، وينتفع بها المحققون، ويخشع لمضمونها الموفقون، والأمر بين الكاف والنون»، برقمة البلبل ص227.

(6) الآيات (6)، الأشعار (3)، الأحاديث (2).

طويلة. والموضوع هو أنواع البشر، كل آدمي خيط من نور. وتجتمع الخيوط في جماعة هم العارفون والأولياء الحكميون والمهيمنون والوالهون والمطويون في ستر المحبوبية تحت قباء الغيرة[1]. والرسول زعيمهم.

هـ ـ **«صوت الهزار وزيق الفداء» لأبي الهدى الصيادي(1328هـ)**[2]: ويدل العنوان أيضاً على منطق الطير ولغته. موضوع الرسالة الأخلاق. والغرض منها التسلية. وهي من المبتكرات دون المنقولات[3]. موضوعاتها متناثرة. تغلب عليها الأخلاق العلمية مثل التواضع والتعارف والصدق والعلم والمعرفة والوفاء والصحبة والجهاد. تعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثانياً ثم السنة ثالثاً[4]. وتنتهي الرسالة بقصيدة طويلة[5]. وأحياناً يذكر الشعراء وأحيانا أخرى تذكر مصادر الشعر[6]. كما يتم الاعتماد على مصادر مدونة[7]. ويتم الاعتماد بصورة أقل على الصوفية السابقين باستثناء الجنيد ثم بعض المعاصرين[8]. ويتم نسبة الأولياء إلى الرسول حتى نوح في عشر حلقات[9]. وتستعمل بعض الألفاظ للتركيز مثل فائدة، تحفة، لطيفة، عجيبة، حكمة شريفة، استطراد مختصر لطيف[10]. ومع ذلك تظهر على استحياء القسمة

(1) برقمة البلبل ص228.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت. «هذه رسالة ظريفة، وقلادة در لطيفة كأنها محسن فصولها روضة بديعة أزهارها ولذلك سميتها «صوت الهزار وزيق الفداء» جعلتها تسلية للخاطر الغائر. وقد تسكن الخواطر بمطالعة ما في الدفاتر. وقد صارت مع صغر فيها مجموعاً جامعاً، وعقداً ساطعاً»، صوت الهزار ص139.

(3) «لم أشعر فيما نسقته من هذه الجمل قول زيد. ولم أدمج في سدوتها أفكار عبيد. بل هي من المبتكرات الأحمدية والسنوحات التنزلية. وقد يوجد فيها من الاستدلالات أو العبارات العلميات من كلام السالفين والأئمة الماضين ما لا بد منه، ولا محيد عنه. فهو من ملتصقات الدرر التي تنظم بسلكها، وتخرج بحبكها..»، السابق ص139.

(4) الأشعار (84)، الآيات (22)، الأحاديث (19).

(5) صوت الهزار ص187–190.

(6) السابق ص169.

(7) مثل الغاية في النسب، السابق ص81.

(8) مثل عبد الرحيم القناوي، أحمد البدوي، إبراهيم الدسوقي وآخرين. ومن الفقهاء الشافعي، السابق ص182.

(9) السابق ص183–185/ 193.

(10) السابق ص146–147/ 156/ 170/ 179–180/ 183/ 185–186.

العقلية مثل أنواع القرابات العشرة[1]. وتوجد بعض الانتقادات لأحوال العصر مما يدل على أن التصوف الطرقي رد فعل عليه[2].

و ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ «حكاية إبليس»[3]: وهي من القصص الرمزي في صورة حديث بين محمد وإبليس الذي أتى في صورة شوهاء ليعلم أصحابه دون كذب والرسول ينهره ويناديه «أيها اللعين» وإبليس صادق في ردوده على أسئلة الرسول بأدب واحترام[4]. ورفض الرسول أن يقتله عمر لأنه من المنظرين. وطلب من الصحابة فهم ما يقول وسماعه. وقد أتى إبليس بناء على أمر إلهي عن طريق ملك لإخبار محمد عن أفعاله ببني آدم مع طلب الصدق. وخلاصة الإجابة أن محمداً أبغض الناس له ثم شاب تقي وهب نفسه لله، ثم عالم ورع صبور، ثم من يداوم على الطهارة، ثم الفقير الصبور، ثم الغني الشاكر. الصلاة تصيبه بالرعدة والحمى، والسجود يرفع العبد درجة. والصيام قيد لإبليس حتى يفطر الصائم. والحج يصيبه بالجنون. وقراءة القرآن تذيبه كالرصاص. والصدقة شقته نصفين. وأبو بكر لم يطعه في الجاهلية ولا في الإسلام. يهرب من عمر. ويستحي من عثمان. ولا يتركه علي. والمخلصون للشيطان من أحب الدرهم والدينار والجاه والسلطان، ومن يكثر الالتفات في الصلاة. جلساؤه أكلة الربا، وصديقه الزاني، وضجيعه السكران، وضيفه السارق، ورسوله الساخر، وقرة عينه الحلف بالطلاق، وحبيبه تارك صلاة الجمعة، صهيل الخيل في سبيل الله يكسر ظهره، وتوبة التائب تذيب جسمه. وكثرة الاستغفار تنضج كبده، وصدقة السر تخزي وجهه، وصلاة السَحَر

(1) السابق ص172-173.

(2) وقد ابتلينا اليوم بأناس لا يفرقون بين الفن والعلم، ولا بين الحُلم والحِلم. يتعلم أحدهم لغة أجنبية، ولم يقف على غوامضها بالكلية. ويطلع على مادة فنية فيعدو جهله على النظريات، وينقلب على المناهج الدينيات، فيصير في طريق ظلمة أوهامه لبعده عن العلم بالدين وأحكامه. . .»، السابق ص148.

(3) حكاية إبليس فيما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم، مكتبة صبيح، القاهرة 1967.

(4) «شيخ أعور، كوسج في لحيته سبع شعرات كشعر الفرس. وعيناه مشقوقتان بالطول، ورأسه كرأس الفيل الكبير، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير، وشفتاه كشفتي الثور»، السابق ص24.

تطمس عينيه، وكثرة الصلاة في الجماعة تقمع رأسه، وتارك الصلاة أسعد الناس عنده، والبخلاء أتقى الناس لديه. مجالس العلماء تشغله عن عمله. يأكل بشماله وأصبعه. ويستظل بأولاده وقت الحرور والسموم تحت أظافر الإنسان. سأل الله عشرة أشياء: الشرك في بني آدم وأموالهم وأولادهم، والأكل من مال لا يزكى فيه، ومن الطعام الذي خالطه الربا والحرام، وكل مال وكل جماع لا يتعوذ عليه من الشيطان لأن الشيطان يجامع معه الزوج حتى يأتي الولد سامعاً مطيعاً له. ومن يركب دابة يسير به إلى حرام يركب معه. بيته الحمام. ومسجده الأسواق، وقرآنه الشعر. وأذانه المزامير، وضجيعه السكران. وأعوانه القدرية. وإخوانه الذين ينفقون الأموال في المعصية. ولده عثمة يبول في آذان العبد حتى لا يصلي. وولده المثقاخي يكشف سر الصدقة ويعلنها. وولده كحيل يكحل عيون الناس. ويقعد عند مؤخرة المرأة وفي حجرها حتى تفسق. ويقوم بالوسوسة والتزيين وليس ضلالاً[1]. وبالرغم من هذا النسج الخيالي والإخراج الأدبي يعتمد على القرآن والحديث[2].

2 ـ **«عنقاء مغرب»**[3]: والاسم غريب. العنقاء طائر خرافي والمغرب هو الذي أتي من الغرب أو هو الغريب عن العالم. ومعي نفس القراءة المزدوجة لقصص السهروردي «الغربة الغريبة» أو «الغربة الغربية». ومع ذلك فهي ليست قصة بل قطعة من النثر الفني الفلسفي. كان الاسم الملقى إليه ويعنى أولاً هو «سدرة المنتهى وسر الأنبياء في معرفة الخليفة وخاتم الأولياء»، ولكن لم يجد هوى في نفسه. وفضل عليه الاسم بالإضافة إلى «نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى»[4].

والعنوان الفرعي «في ختم الأولياء وشمس المغرب» ختم الأولياء، الحقيقة المحمدية أو خاتم الولاية وهو القطب. وهو أيضاً المهدي، وعيسى أي ما يختم به الزمان[5]. وهي الإمامة على الإطلاق، أكبر من الإمامة الكبرى، إمامة الدولة،

(1) السابق ص38-41.

(2) الأحاديث (11)، الآيات (5).

(3) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت) وأيضاً رسائل ابن عربي جـ4/ (2) ص79-162.

(4) السابق ص17/ 22.

(5) لذلك الحقيقة المحمدية هي الأكثر تكراراً. الحقيقة المحمدية (4)، الشريعة المحمدية (1)، محمد (3)، عيسى (2)، البخاري، مسلم (1).

والإمامة الصغرى، إمامة الصلاة. وهي الإمامة عند المتكلمين والفقهاء. والحديث عن الإمام المهدي يوحي بهوى شيعي نظراً لما بين التصوف والتشيع من أواصر قربي. فكلاهما حركتان للمعارضة، معارضة في الداخل، ومعارضة في الخارج. ولا توجد إحالات إلى أقوال الصوفية السابقين بل إلى بعض الصحابة مثل أبو هريرة وابن عباس والمحدثين مثل البخاري ومسلم والترمذي، وبعض الصوفية مثل أبو زيد، موسى الدينلي. يكتفي بالتجربة السنوحية[1].

ويعتمد على الشعر أساساً ثم القرآن والحديث[2]. وتغيب الصوفية والفرق[3]. ويضاف رسم توضيحي. كما يحيل إلى بعض المؤلفات السابقة مثل «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية». ويحيل إلى نظرية أن الإنسان عالم صغير مسلوخ من العالم الكبير. فكل ما ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومن الأنبياء يذكر عيسى ثم آدم وإدريس وهارون ويحيى وموسى ويوسف وإبراهيم. وتشتق من بعضهم صفات مثل آدمي ومحمدي. ويظهر المهدي والختم[4].

ولا يوجد موضوع محدد بل مجرد تحليلات جزئية، تدخل في كلٍّ عام غير محدد. يتكون أساسا من ثمان لآلئ للعرش والكرسي والأفلاك والعناصر والدخان واليواقيت والحقيقة المحمدية. لكل منها مرجانات عشر. ويضاف إليها ثلاث نكات. وتنتهي بلؤلؤة ملحقة بالياقوتة السابعة. فلسفة الجواهر الكريمة هي السائدة. هي لغة البحار والأفلاك والغوص. بعضها بعناوين والأخرى دون عناوين. و «الله أعلم» في آخر كل موضوع. والطيران والأدنى والأعلى والعناوين بلا بنية محكمة. وتظهر ألفاظ الربط مثل«فصل» و «وصل»، ومعها السجع في العناوين مما يوحي بالغموض، ويستمر السجع في كل الكتاب. فالسجع أهم من

---

(1) لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها
السابق ص123.

(2) الآيات (49)، الأحاديث (14)، الأشعار (12)، القدسية (1).

(3) الإمام أبو زيد، موسى الدنيلي (1).

(4) عيسى (3)، إدريس، آدم، هارون، يحيى، موسى، يوسف، إبراهيم، المهدي، الختم، آدمي، محمدي (1).

المضمون. وتتخلله بعض الحروف بلغة عجيبة أقرب إلى السريانية[1]. ويغلب عليه طابع التجلي التدريجي للحقائق كما هو الحال في «الفصوص» ومركزه نشأة الإنسان بؤرة نشأة الكون، ووصف الأحوال والمقامات مثل وصف مراتب الوجود[2]. وتؤول العبارات طبقاً للنشأة والتكوين[3]. فالعبادات مثل الحج رموز وإشارات. ومعرفة الذات أساس معرفة الآخر والكون[4].

3 ـ **«المعلوم من عقائد أهل الرسوم»**[5]: وهي أشبه بالغربة الغريبة أو الغربية للسهروردي. فقد اجتمع أربعة نفر من العلماء تحت خط الاستواء في قبة أرين في وسط الأرض بالهند، مغربي ومشرقي ويماني وشامي ممثلين للاتجاهات الأربعة، الغرب والشرق، والجنوب والشمال. وتناقشوا في العلوم، وأنها تعطي السعادة الأبدية. عند المغربي هو العلم القائم الحاصل، وعند الشرقي العلم بالحامل والمحمول، وعند الشامي علم الإبداع والتركيب، وعند اليماني علم التخليص والتركيب الذي لا يُعرف إلا بالإمام. ولا تنتهي الرسالة إلى رأي صحيح أو راجح. ويعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء حديث واحد عند المغربي «كان الله ولا شيء معه» والاستشهاد بالأشعرية مرة وحدة.

4 ـ **«الاتحاد الكوني في حضرة الاستشهاد العيني»**[6]: يجتمع فيه الشعر

(1) مثل «بحر طامس وبحري غاطس»، «مخاطرة أزلية على نشأة أبدية»، «اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض»، «نكتة الشرف في غرف من فوقها غرف»، «النكتة المؤخرة في الدرة المدخرة»، «نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء» «إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والإعلام بأحواله وآياته»...الخ.

(2) السابق ص75.

(3) السابق ص5.

(4)
موقف الحق أدبي — وإنما يوقف الأديب
أشهد في ذاته كفاحا — فلم أحد شمسها تغيب
واتخذت ذاتنا فلما — كنيت أنا العاشق الحبيب
أرسلني بالصفات كيما — يعرفني العاقل المصيب
فيأخذ السر من فؤادي — فتغتذي باسمه القلوب

السابق ص28.

(5) رسائل جـ6 (4) ص77-86.

(6) رسائل جـ6 (5) ص93-106.

والنثر الفني. ولا يعتمد على آية أو حديث أو قول صوفي[1]. ولا يذكر إلا صخر بن سنان، والسيد الإبراهيمي الأكبر وموسى[2]. والعنوان الأصلي يزيد «بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية» لمخاطب أبي الفوارس صخر ابن سنان «مالك أزمّة الجود والبيان ولكل أهل العرفان»[3]. كتب في مدينة بخط الاستواء. يدور حول حديث النفس والقلب في السيد الإبراهيمي الأكبر. حسنة في زهرة الأحكام، وإمضاؤه في عطارد الإفهام، وخلافته الإلهية في البدر الأرفع، وهيكله في العنصر المربع، في حوار مع المشير يكشف عن شجرة البستان. ثم تُسمع أربعة خطب من المطرقة الورقاء، ومن العقاب المالك ومن الغريبة العنقاء يشير إلى عنقاء مغرب، ومن الغراب المالك. وبهذه الخطب الأربعة تتضح مقامات أمهات الأكوان وهي: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، الهيولى، والجسم الكلي[4].

3 ـ الشعر الصوفي

وقد يكون الشعر الصوفي تصوفاً نظرياً من حيث الشكل إلا أنه كذلك من حيث المضمون. فالتجربة الصوفية أساساً تجربة شعرية ذات مضمون إلهي عن المحبة أو الوجود. فقد أخذ التصوف النظري أشكالاً أدبية مختلفة كوسائل التعبير منها الشعر والقصة. وقد عبر الصوفية السابقون عن بعض تجاربهم شعراً مثل رابعة والحلاج ولكن شعراء الصوفية هم الذين اكتفوا بالشعر دون النثر مثل ابن الفارض والبوصيري. في حين جمع البعض بين الشعر والنثر مثل ابن عربي والتلمساني وعبد الكريم الجيلي.

أ ـ «ديوان الحلاج (309هـ)»[5]: التاريخ أم الشعر أيهما أكثر تعبيراً عن الحقيقة؟. الشعر سجل للتاريخ مثل شعر الملاحم. والملحمة الفردية في السيرة الذاتية مفعمة بالتاريخ. لذلك كانت السيرة الذاتية أحد العناصر المكونة للوعي

---

(1) الأشعار (8).

(2) صخر بن سنان (2)، السيد الإبراهيمي الأكبر، موسى (1).

(3) الإتحاد الكوني ص95.

(4) السابق ص106.

(5) الحلاج: الأعمال الكاملة ص287-335.

التاريخي. ويتضمن الشعر معظم موضوعات التصوف، المقامات مثل: المحبة والعشق والرضا والصبر. والأحوال مثل: الفرق والمجمع، البعد والقرب، الوجد والفقد، الصحو والسكر، الحضور والغياب، القبض والبسط، الفناء والبقاء. كما يتحدث عن الوطن الروحي والطريق إليه والشهادة عليه والانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، وحدة الحق والخلق وما يتفرع عنه من حلول واتحاد[1]. ويكون الإنسان والله على التبادل في العبادة والهوية[2]. وهو طريق القلب والقضاء والقدر والكرب والذكر والتحول عن الظاهر إلى الباطن وقيادة الشيخ للمريد.

وموسيقى الشعر جزء من مضمونه. ليس بحوره وأوزانه بل ما تثيره في

---

(1) مازجت روحك روحي ... في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما ... أنك أني ومرادي
السابق، ص298
فأنا الحق حق للحق حق ... لا ليس ذاته فما ثمّ خرق
السابق، ص315
شغلت جوارحي عن كل شغل ... فكلي فيك مشغول بكلي
السابق، ص318
أنا من أهوى، ومن أهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
نحن قد كنا على عهد الهوى ... نضرب الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا ... لو ترانا لم تفرّق بيننا
روحه روحي وروحي روحه ... من رأى روحي حللنا بدنا
السابق ص330.

(2) أدعوك بل أنت تدعوني اليك فهل ... ناجيتك إياك أم ناجيت إياي
السابق، ص288
ذكره ذكري، وذكري ذكره ... هل يكون الذاكران إلا معاً
وجوده بي، ووجودي به ... ووصفه فهو له وصف
السابق، ص31
أنت أنت بلا شك ... فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي ... وعصيانك عصياني
واسخاطك اسخاطي ... وغفرانك غفراني
ولم أجلد يا رب ... إذا قيل هو الزاني
السابق، ص327

النفس من إيقاع يؤهل لفهم المعنى والإحساس به. الشعر أقدر في التعبير عن التجربة الصوفية من النثر بل إن النثر نفسه ينفجر في الشطحات والإشارات والمواقف والمخاطبات، في نثر شعري. فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية صنوان. والجمال الفني تعبير عن الجمال الإلهي. الشعر والشطح صنوان. وصاحب الشطح في نفس الوقت أعمى بصير، أبله فطن. يعبر بكلمات بها ظاهر وباطن(1). يشعر الصوفي أن أمه ولدت أباه فأصبحت بناته أخواته(2). وهي كرامة له وليست حقيقة تاريخية ولا نتيجة زنا. والشطحة لا تفرق بين الكفر والإيمان. بل تجعل الكفر طريقا له(3).

والشعر شهادة. والشاعر شهيد، والشهيد شاعر. يطلب الحلاج أن يقتله الناس. فهو يتلذذ بقتله. مماته حياته، وحياته مماته. فقد سئمت روحه بدنه. ويطالب الناس بحرقه وحرق عظامه(4). ثم يقصقصانه في شريط سريع كما يمر في لحظة الموت منذ أن كان طفلاً في حجور المرضعات إلى أن سكن في لحد القبر من أراضي السباخ. ثم يزرع القبر ويسقى فيعود إلى حياة الاخضرار(5).

---

(1) أعمى بصير، وإني أبله فطن ... ولي كلام إذا ما شئت مقلوب
السابق ص292

(2) ولدت أمي أباها ... إن ذا من عجباتي
ليس من فعل زمان ... لا ولا فعل الزناة
السابق ص294

(3) كفرت بدين الله والكفر واجب ... عليّ وعند المسلمين قبيح
السابق ص297.

(4) أقتلوني يا ثقاتي ... إن في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي ... وحياتي في مماتي
سئمت روحي حياتي ... في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني ... بعظامي الفانيات
ثم مروا برفاتي ... في القبور الدارسات.

(5) إنني شيخ كبير ... غير مفقود الصفات
ثم إني صرت طفلا ... في حجور المرضعات
ساكنا في لحد قبر ... في أراض سبخات
فازرع الكل بأرض ... تربها ترب موات
ومقاصدها يسقى ... من كؤوس دائرات =

ب ـ «البردة» للبوصيري(608هـ)[1]: وهي نموذج من الشعر الصوفي. نظم بإلهام في ليلة واحدة. أثارت خيال الشعراء كي ينسجوا مثلها كما حدث في نهج البردة لشوقي. تنبع من آثار «الحقيقة المحمدية» في الاحتفال بالمولد النبوي. وتبدأ بشعر الطبيعة قبل أن تنتهي بالحب الإلهي. وتتكون من مائة وستين بيتاً في موضوعات متعددة مثل التحذير من هوى النفس قبل مدح النبي، ووصف سيرته العطرة ابتداء من مولده، ثم معجزاته، ثم شرف القرآن الكريم، ثم الإسراء والمعراج، ثم جهاده، ثم شفاعته والتوسل به، ثم مناجاته وعرض الحاجات عليه. فهو طوق النجاة للغارقين، وتلبية طلب المحتاجين إذا ما انسدت الطرق، وعجزت الحيل، وضعفت القدرات.

جـ ـ ديوان ابن الفارض (632هـ): وهو شاعر الحب وسلطان العاشقين بالأصالة. عند الصوفية الحب تجربة إلهية. ولا يحب الإنسان إلا الله. فإن لم يعرفه أو ضعّفه فإنه يحب الإنسان. وعند علماء النفس الحب تجربة إنسانية. فإذا ضاعت أو صدمت حدث تعويض في الحب الإلهي. وعند الصوفية الأصل هو الحب الإلهي، والفرع هو الحب الإنساني. وعند علماء النفس الأصل هو الحب الإنساني والفرع هو الحب الإلهي. الأول من أعلى إلى أسفل، والثاني من أسفل إلى أعلى. ولا تتحدد مواضيع القصائد إلا نادرا مثل الصبابة، ومدح بعض القبائل وأخيرا التائية الكبرى في «نظم السلوك»[2]. وتعني تحويل السلوك الإنساني إلى قصيدة شعرية. وبالرغم من القدر الهائل من الإبداع الفني إلا أن موضوع العشق والوله والبكاء وكراهية العالم والآخرين والتجرد لله وحده قد يراه البعض اغتراباً عن العالم وروح العصر الذي يحتاج إلى شعر المقاومة. ليت الله هو الوطن

= مـــن جـــوارٍ ســـاقـــيـــات وســـــواق جـــــاريــــات
فـــإذا أتـــمـــمـــت ســـبـــعـــا أنـــبـــتـــت خـــيـــر نـــبـــات

الديوان ص294-295.

مـن أراد الـكـتـاب هـذا خـطـابـي فـاقـرؤوا واعـلـمـوا بـأنـي شـهـيـد

السابق، ص297.

(1) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1987م حللنا «تائية السلوك إلى ملك الملوك» للشرنوبي (994هـ) في سابعاً ـ الشروح والتعليقات والملخصات.

(2) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1372هـ- 1953م ديوان ابن الفارض ص17-27/ 69-72/ 78-126.

والأرض. يا ليت المناجاة للأمة والتاريخ كما هو الحال في شعر المقاومة في «عاشق فلسطين»: إنني العاشق والأرض حبيبة. يا ليت كل هذا الحب المكشوف يكون تشجيعاً على الإلتزام بقضايا الوطن والدخول بشوق في تحديات الأمة.

د ـ دواوين ابن عربي(638هـ)

1 ـ ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق[1]: وهو ديوان ابن عربي الذي لا شك في صحته. نظم أولاً «ذخائر الأعلاق» ثم شرحه هو نفسه في «شرح ترجمان الأشواق»[2]. وهو كما يدل العنوان في المحبة الإلهية مثل ديوان ابن الفارض خاصة «نظم السلوك». فالحب مغامرة[3]. تنتهي بالشهادة[4]. حب متبادل بين الإنسان والله[5]. وتتنوع أسماء الحبيبات[6]. وهو رمز لوحدة الأديان فكلاهما توحيد[7]. ومع ذلك لا يخلو من لوم وعتاب[8]. البداية غزل إنساني عندما رأى ابن عربي ابنة عذراء لشيخه[9]. والطريق إلى الله يبدأ بالرياضة والمجاهدة[10]. وينتهي بالمشاهدة وتجتمع فيه الأضداد وكما هو الحال في المقامات والأحوال[11]. وينتهي الطريق بوحدانية الله. يتجلى في الكثرة وفي الكون بالحسن والجمال[12]. والمعرفة الحاصلة ليست معرفة عقلية أو نقلية بل معرفة ذوقية كشفية[13]. وكله مبني على الحديث القدسي الشهير[14].

---

(1) نشر محمد عبد الرحمن الكردي، القاهرة 1388هـ- 1968م.

(2) السابق ص7/ 73.

(3) السابق ص73.

(4) السابق ص5-6/ 100-102/ 106/ 109-112/ 124/ 126.

(5) السابق ص23/ 51/ 106/ 108.

(6) السابق ص43/ 49-50.

(7) السابق ص135/ 139.

(8) السابق ص37/ 39/ 63/ 66-67/ 85.

(9) هو ابن شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني في مكة، ذخائر الأعلاق ص1-4.

(10) السابق ص27/ 55-58.

(11) السابق ص28/ 32/ 71-75/ 96.

(12) السابق ص22/ 53/ 64/ 84/ 141/ 143-144/ 146-148/ 165.

(13) السابق ص66-67.

(14) «ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به فبي يسمع وبي يبصر».

2 ـ **الديوان**[1]: والشكوك حول صحة نسبة الديوان قضية تاريخية استشراقية. ما يهم هو دلالتها على الشعر الصوفي بصرف النظر عن مؤلفه. فالعمل مستقل عن صاحبه. وقد تستطيع الدراسة الأسلوبية توضيح هذه النسبة إيجاباً أم سلباً.

ويضم الديوان عدة مقاطع. بعضها له موضوع. فالغاية هو الموضوع وليس طريقة التعبير عنه. والأكثر ليس له موضوع[2]. وبعضها شرح قصير يبين القصد أو المصدر، ربما من الجامع أو المنتحل. وعناوين المقاطع من بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو بعض مشايخ الصوفية. وهي المصادر العامة للتصوف بعد أن تحول الشعر إلى طريقة في التعبير وليس مصدراً[3]. وأحياناً قد يكون الموضوع صورا قرآنية وليس آيات مثل خلع النعلين ولباسهما وقد أصبحا رمزاً للتقديس. وقد يكون الحديث هو الأقرب إلى الحقيقة المحمدية ابتداء من مركزية الرسول، سيد الناس يوم القيامة[4].

وبعض المقاطع لها شروح قصيرة لتخريج مصادرها في القرآن والحديث[5].

---

(1) مكتبة المثنى، بغداد، طبعة بولاق 1271هـ- 1855م.

(2) المقاطع حوالي 1000 مقطع، والمقاطع التي بها موضوع حوالي600 مقطع.

(3) الآيات مثل﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(4) مثل: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»، «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، «ولا تفضلوني على يونس بن متى»، «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت تقويمها كسرتها وكسرها طلاقها وإن استمعت استمعت وبها عوج»، «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج»، «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، «المؤمن مرآة أخيه».

(5) مثل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، =

ويُحكم على الحديث بأنه صحيح أو غريب مثل وراثة خطيئة آدم كما هو الحال في المسيحية. وتتعرض بعض المقاطع لأسماء الأعلام مثل النور ابن رشيد أثناء فتح أنطاكية[1]. مما يدل على أن التصوف يعكس أيضاً الأحوال السياسية وإجابة سؤال الشيخ عبد الله الغزال، والمتنبي ورجلين من اشبيلية. وقد يكونوا جماعة مثل الإخوان. ويحال إلى «الفتوحات»، فالديوان إيجاز له[2]. وقد يتحدد القول بالمكان أو الزمان[3]. وأحياناً تكون موضوعات المقاطع من النظم وطرقه وأشكاله الأدبية مثل الدور والموشح[4]. ومنه ما يدور في اليقظة، وما يدور في النوم، وما يدور في الصحة والمرض. واللزومية أحد الأشكال الأدبية مثل «لزوم ما لا يلزم» عند المعري. وكذلك التوشيح الأقرع والتوشيح المضفر الأقرع والتوشيح ذو

= ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾، ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، والحديث مثل: «ارم فداك أبي وأمي»، «أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ومائة مرة»، «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»، «الحجر يمين الله»، «فنسي آدم فنسيت ذريته»، «وجحد آدم فجحدت ذريته».

(1) خطاب إلى النور بن الرشيد حين بُشر بفتح انطاكية، إجابة الشيخ عبد الله الغزال، ينظر إلى الأول قول المتنبي، ورجلين من أهل أشبيلية منهم القنجباري، ووليه إسماعيل بن سودكين، ابن حزم وكتابه «المحلى في موضوع الأسماء الحسنى»، بعض الإخوان، الملك العزيز بن الملك العادل لما مات، شخص معين، فتية أهل الكهف، العز بن عبد السلام، شمس الدين الشيرازي، سعد بن أبي وقاص، عائشة، الأنصار، حسان بن ثابت، القوم.

(2) وقد قرئ عليه الباب السابع لأبواب الفتوحات فتعجب من إيجاز وإعجاز.

(3) وكتبه في دائر قاعة سكناه، وقال في دور الستة.

(4) أول قصيدة ظهرت من قلبي على لساني، إلى هنا انتهى ما وقع في الحس من هذه الواقعة: وما أذكره بعد هذا هو مما وقع في النوم. وأما النظم فإنه كله في حال النوم فكانت بشرى، وهذا ذكر ما بقي من النظم فيها، لزومية، لزومية التفصيل، ومن نظمه في التوشيح الأقرع، ذوقية محبته، الدور، المطلع، درج بها كلام تقوم في محضر يصف فيه ما جرى، التوشيح المضفر، نظم التوشيح، نظم التوشيح الأقرع المضفر المحير الممتزج، وقال في النوم مرتجلاً، وما ألقي إليه إلا بإقوائه على غير مأمور منه بذلك الوارد شرحه، وقال أيضاً في مرضه، نظم التوشيح المروّس، نظم التوشيح وهو أحد أفرع نظم التوشيح ذي الرأس، في درج الكلام، الوقوف على قبر، النطق، لزومية نبوية، سر نبوي، نبوية، مسمط.

المنقال، والتوشيح وله منقال، والنظم التوشيحي، وذوقية المجفة، والدور والمطلع، محضر وصف لما جرى، وما ألقي إليه على نحو لا شعوري والوارد وشرحه. وتصنف بعض المقاطع تحت الحروف الأبجدية من الألف حتى الياء.

وتظهر موضوعات المعرفة والإدراك. وتنتقل من علم النفس إلى علم الأخلاق. فالحقيقة بسيطة ومركبة، والبصر والسمع واللسان واليد مكلفة، بل والبطن والفرج والرجل والقلب كل ذلك مكلف. اشترك في البيعة التي تقابل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾. والوجه له سبحات. ويظهر موضوع النفس والروح الإنساني في مقابل الروح الحيواني والإنسان الكامل. كما يظهر موضوع العقل، والعقل الأول. والتقليد ليس مصدراً من مصادر العلم أسوة بباقي العلوم[1]. ويظهر الحق في القلب. ويخاطب الأرواح[2]. وعلوم التصوف علوم الأسرار المكنونة المستورة. والتصوف كشفها وفتح مغاليقها. وتبقى الأسرار في صدور الأحرار. والمعارف إلهامية مثل ما يحدث في ليلة القدر[3]. وتظهر الرياضات الروحية والدلالات النفسية للأعداد والرسوم المسطحة والمكعبة كما هو الحال عند فيثاغورس، وإخوان الصفا، والتصوف المتأخر. فالتسديس أفضل من التثليث والتربيع[4]. وتظهر الحروف ودلالتها مثل الأعداد. فلكل حرف دلالة. وهي الحروف في أوائل السور، وهي أرواح لتحقيق العظمة الإلهية[5]. وكل سور لها حياة أو روح. وهو قلبها والموضوع الغالب عليها. ويشير بعضها إلى الفرق الكلامية وعقائدها مثل

---

(1) ارتباط الحقيقتين، البسيط والمركب، المعارف، البصر المكلف، السمع المكلف، اللسان المكلف، اليد المكلفة، البطن المكلف، الفرج المكلف، الرجل المكلف، القلب المكلف، المبايعة، النفس، النفس الناطقة، الإنسان الكامل لا الإنسان الحيواني، العقل الأول، السبحات الوجهية، التبري من التقليد، الوارد.

(2) كون القلب خرقة لما وسع الحق، درج كلام يخاطب بعض الأرواح، حال يخاطب فيه الحق في تجل قلبي لسبب.

(3) الوعاء المختوم على السر المكتوم، إيضاح حجة ومفتاح محجة، صدور الأحرار قبول الأسرار، ليلة قدر العارف، مخاطبة السر الوجودي، السر النبوي.

(4) تخصيص التسديس دون التثليث والتربيع.

(5) الفخر ولا فخراً بالراء والزاي معاً، حروف أوائل السور المسماة لما وقع التلفظ بأسماء حروفها لا بحروفها، حروف لو ولولا وإن، حروف أوائل سور القرآن المجهولة. الحروف الصغار وهي حروف الحركات، حركات البناء وحركات الإعراب والجزم والسكون وحروف العلة، أرواح السور في تحقيق العظمة الإلهية من روح الفاتحة. الحياة البرزخية =

تجديد العالم عند الجبائية والأعراض عند الأشاعرة. وأحياناً يكتفي بروح السورة من غير تسميته[1].

والوحي عام وليس خاصاً، للبشر جميعاً وليس للرسل وحدهم، وحي القلب والضمير وليس فقط وحي الرسل والأنبياء[2]. وتتضمن بعض المقاطع موضوعات كونية[3]. وهي ليست مقصودة بذاتها بل بروحها أي بدلالتها ومعانيها، مثل موافقة

= في البقرة. في من كمل من النساء في آل عمران. والدعاء بالتحذير بلسان النذير في النساء. الوقار تقليدا بلسان البشير في العقود. حال نزول السكينة في الغمام لتلاوة القرآن في سورة الإنعام. مشام العارفين من الأعراف الطيبة وهم المسمون عالم الأنفاس، وما رأيت بينهم سوى رجلين من الكل بأشبيلية ومحمد نزل عن الكمال منهم القنجباري في الأعراف. المصيب بالمصادقة ما هو الأمر عليه في الأنفال. لسان ألا يعاد والاعتبار في التوبة. بشرى بوراثة نبوية من يونس. تأثير الإخوان في هود. مكارم الأخلاق النبوية في يوسف. هبات الصاحب في إبراهيم. حق الإرسال والوراثة بالإتباع للأنبياء، نعت المؤمنين الصادقين ومقامهم في المؤمنين، تقسيم الأنوار والظلم في النور ثلاثة عينها واحد من سورة القصص، اشتقاق البيوت من المبيت في العنكبوت، الآيات المعتادة وغير المعتادة في الروم. الحكمة المجهولة عند النفس المعلومة في لقمان. والتقوى في الصلاة في السجدة. رؤية المقام المحمدي في الأحزاب. كلمة حقيقية إلهية خلقية في الملائكة. عدم تفضيل الرسول على يونس في الصافات. المغفرة في الزمر. الطبع في المؤمن. الولاية في فصلت. معنى المثلين وإن تقابلا في الشورى. الاتحاد بالنيابة في الفتح. التحجير وأربابه في الحجرات. الجبائية في تجديد العالم والأشاعرة في الأعراض في ق. القسم في الذاريات. الميل الحسي والمعنوي في الطور. الشهب العلمية في النجم، والأنوار والإهداء في الفجر. أداء الحقوق في الرحمن. النشأتان في الواقعة. تفصيل الشرائع في الحديد. الحشر والنشر في الحشر. الابتلاء في الممتحنة. الحب في الصف. والأنس في المنافقين. الغوث في تبارك الملك. الحروف المرقومة، نيابة النون عن العين.

(1) سورة الرعد، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الحج، الفرقان، الشعراء، سبأ، ص، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، المجادلة، الجمعة، التغابن، نون، الحاقة، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، الأعمى، التكوير، الانفطار، التطفيف، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، لم يكن، إذا زلزلت، العاديات، القارعة، ألهاكم التكاثر، والعصر، الهمزة، الفيل، قريش، الدين، الكوثر، الكافرون، النصر والفتح، تبت يدا أبي لهب، الإخلاص، الفلق.

(2) عموم الوحي الإلهي.

(3) مثل: البحر المسجور، روح السماء الدنيا، موافقة النجم الهلال، الكور والدور، =

النجم الهلال. والكور والدور يشيران إلى دوران الأفلاك، وظهور البدر والشمس معا في النهار. ويظهر موضوع النور من الطبيعة إلى الروح، ومن الجغرافيا إلى التصوف وأنواع النور، القمري والبدري والكوكبي والناري والسراجي والبرقي، ورجوم الشياطين. وللأدوار الفلكية تلوين. والطالع والغارب منازل ودليلان على الحضور والغياب. والأركان الأربعة من بقايا الطبيعيات القديمة. وبعض مكونات الطبيعة أشرف من غيرها مثل شرف جبل أبي قبيس. والعلم الإلهي عن طريق الصنعة أي التأمل في الكون[1].

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد والتعليم من الله[2]. والعلم بالله. فالله هو المعلوم وطريق العلم. والعلم بالله فخر. وله رموزه، اللوح والقلم. وتتضمن مقاطع أخرى تاريخ الرسل وقصص الأنبياء كما هو الحال في «فصوص الحكم»، ودلالتها على تطور الروح. وتتكرر أسماء الأنبياء لتنوع دلالاتها. ويتفرد عيسى بمقام خاص[3]. وتختم النبوة وتبدأ الولاية[4]. وأحياناً يكون موضوع المقاطع أرواح الصوفية أنفسهم باعتبارهم ورثة صادقين محمدين مثل الصحابة ومقاماتهم، أبي بكر الصديق. ويظهر الإمام والقطب والخليفة، والمفارد مثل الأقطاب والأبدال والأوتاد والنواب[5].

= حكمة ظهور البدر والشمس معا في النهار، تأخر الأنوار عن النور، النور القمري، النور البدري، النور الكوكبي، النور الناري، النور السراجي، النور البرقي، الجسم الكل، الرجوم، التلوين في الدور الفلكي، الطالع الإلهي الغارب بأسماء المنازل، الأركان الأربعة، مشرق أبي قبيس وهو الجبل الأمين، سير الجواري في البروج والمنازل وذكر أسمائها، زلزلة رآها في النور، الطبيعة، السحاب وما يمنح، ودور السنة، ليلة القدر وهي تنتقل في السنة كما يراه الإمام أبو حنيفة، الطبيعة والأخلاط والأركان، والكون جسم كلي له نفس وعقل وروح.

(1) العلم الإلهي عن طريق الصنعة.

(2) حكمة تعليم من عالم حكيم، العلم بالله، العلم الخاص واللوح والقلم فخر العلم بالله، عزيزية.

(3) مثل: الكاتب العيسوي، الروح الأدريسي، الروح الأحمر الهاروني، روح القاضي الموسوي، حالة موسوية، الحال الموسوي، واعظ ظريف اسمه عيسى، نظرة الصعق المكي والموسوي، الوارث الموسوي، والوارث المحمدي.

(4) خاتم النبوة والولاية، شرف المصطفى.

(5) أرواح الورثة الصادقين المحمدين، المقام البكري الصديقي، الإمام والقطب، الإمامة والخلافة، المفارد والنواب.

ويظهر التحول من الفقه إلى الأخلاق، ومن علم الجوارح إلى علم بواطن القلوب، ومن الشرع إلى الحقيقة. بل إن الكون كله عقود نكاح وشهود أعراس[1]. والأحكام الشرعية ليست كماً بل كيفاً. وهي أصول وليست فروعاً. وقد تخفى على النفوس أوامر. فالأوامر كلها ليست تعليمات بل تعاليم، والله هو المؤدب للصوفي. وتأخذ الشرائع مدلولات روحية، الصلاة، والصيام، والزكاة والحج. فالطهارة شرط الصلاة وهي طهارة القلب وليست فقط غسل البدن. والمسح على الخفين رمز مثل التيمم والغسل من الجنابة. والصلاة حالة نفسية وليست مجرد حركة ركوع وسجود، والصوم صوم القلب. والزكاة زكاة النفس. فقد يعرض طائف عن البيت لأن الطواف ليس بالبدن في المكان بل بالروح في الزمان. وتعظيم الكعبة حالة روحية وليس تقديساً لوثن. واللباس ليس هو الرداء بل لباس التقوى خير[2].

وتظهر موضوعات الطريق من الإنسان إلى الله، ومن الشريعة إلى الحقيقة مثل إنكار الخلاف في الطريق لأنه يقوم على الصحبة والألفة من أجل الوصول إلى التوحيد. وهو طريق تدريجي من غرفة إلى غرفة. ومنها موضوعات الذكر الذي قد يتوه فيه الذاكرون، والحماسة، والتحرك في ضجر[3]. والإنسان يعطي لضعفه ويعطي لقوته[4]. وتظهر المقامات والأحوال التي تعبر عن مراحل الطريق ودون فصل بينهما مثل الغنى والاستغناء، والطمأنينة والخشية، والتوبة والإنابة والأوبة والهمة والظنون والتقوى، والمراد والمريد والرضا»[5]. ومن المقامات معلوم

---

(1) الشرع والحقيقة، نكاح عقده وعرس شهده، المواقف الأدبية، ما يخف على النفوس من الأوامر، كمية الأحكام الشرعية، أقسام أحكام الشرع في العلم الإلهي.

(2) قول ابن عمر في طائف معرض عن البيت، طواف وهاتف يجيبه، لباس أخته، حضرة الكعبة المعظمة بحال، توحيد في حضرة خيالية، ووقع لباسها بعد ذلك في الحر، الطهارة التي هي من شرائط الصلاة، المسح على الخفين، التيمم، الجنابة، الصلاة، أنواع الصلاة وأحوال المصلي، صلاة المسافر، الوتر، الجماعة، العيد، الجمعة، الكسوف، الاستسقاء، الاستخارة، الزكاة، صوم رمضان، الحج.

(3) إنكار الخلاف في الطريق، غرفة من فوقها غرف، فيه الذاكرين في الله، الحماسة، من تحرك عن ضجر.

(4) العبد يعطى لضعفه ويعطى لقوته.

(5) الغنى والاستغناء، الطمأنينة، الخشية، التوبة، الإنابة، الأوبة، الهمة، الظنون، المشيئة، =

ومجهول. وبطبيعة الحال يظهر التوحيد الذاتي، فالله ذات وليس موضوعاً، حالة وليس شيئاً مثل الفخر بالله، والاتحاد به وحده ذات وشهود ووجود، والوحدة شريفة مما يدل على أنها ليست فقط حكم واقع بل حكم قيمة[1]. والأسماء الحسنى أيضاً حالات نفسية حتى يتجلى الإنسان الكامل[2].

هـ ـ «مثنوي» جلال الدين الرومي(672هـ)[3]: وهو أضخم ملحمة صوفية في تاريخ الشعر الصوفي بالفارسية، والترجمة النثرية تفقد الشعر تجربته، والمعنى رونقه، والأسلوب عظمته. ولا يحصل القارئ من الترجمة النثرية أي تجربة أدبية أو صوفية. تفقد التجربة النثرية غنائية الشعر، ومخاطبته المباشرة للوجدان. تقرأ بالعقل ولا تدرك بالذوق. تبين أهمية الشعر كأداة لتوصيل علوم الذوق. وتتوالى الحكايات بلا رابط. وتتخللها بعض الآيات القرآنية كرابط. فكل حادثة تحقيق لمناط آية. ومعظمها حكايات عن الملك أو الحيوانات كما هو الحال في «منطاق الطير». وتظهر المقامات والأحوال في ثنايا التجربة الصوفية. كما تظهر معجزات الرسول، وكرامات الدراويش، وقصة موسى والخضر، والحواريين معاوية وإبليس. ويظهر تاريخ الأديان والنبوات وفي مقدمتهم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومريم ثم التركيز على شخصية محمد. وتنقد المجوسية في فارس وباقي أنبياء الفرس. ويظهر شعر الطبيعة الرمزي. فالبستان هو المرأة. وتبدو مناجاة الأفلاك جزءاً من شعر الطبيعة. ويذكر العديد من الآيات القرآنية داخل الشعر نصاً أو روحاً[4]. ومن الموروث يذكر الحلاج وإبراهيم ابن أدهم[5]. ويذكر الوافد أحياناً مثل جالينوس، سوفسطائي. وبعض نواحي الطب[6]. وتتخلله بعض جوانب الأدب الشعبي الممثل في شخصية جحا، وبعض

= المراد والمريد، المتقي، رضى الله وسخطه، ما سواه، المقام المجهول المذكور.

(1) مثل الفخر بالله، وصف حال إلهي، الاتحاد بل الأحد، شرف الوحدة الإنسان الكامل، في غلط القائل لا يصدر عن الواحد إلا واحد.

(2) الفرق بين الأسماء الإلهية من كونه متكلماً وبين ما بأيدينا من الأسماء الحسنى وهي أسماء أسمائه الحسنى.

(3) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة1996 (6أجزاء).

(4) السابق جـ1 (35).

(5) السابق جـ1 ص83.

(6) السابق جـ1 ص81.

الأمثال العامية وكليلة ودمنة[1].

و ـ ديوان عفيف الدين التلمساني(688هـ)[2]: وهو موزع على حروف الهجاء من الهمزة حتى الذال. ويدور حول موضوعين المحبة والوحدة. فالمضمون الصوفي أضخم من بحور العروض. وتظهر لغة الحب بحيث يصعب التفرقة بين الحب الإلهي والحب الإنساني، والجمال الجسدي والجمال الروحي. ولا ضير من استعمال لغة الحب المكشوف من خلع العذار للتعبير عن الاشتياق والطلب. كما تظهر لغة الجسد مثل لغة العيون ولمس الأيادي وتمايل الأجسام. وتظهر المقامات والأحوال مثل الصبر على الهجر والفرح باللقاء من ثنايا مقام المحبة. ويذكر الحلاج باعتباره شهيد العشق[3].

ز ـ ديوان البرعي(803هـ)[4]: وهو ديوان العارف بالله تعالى أحمد بن علي البرعي الهاجري اليماني. يؤكد على مدى التماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية. تم تجميعه طبقاً للقافية. وتظهر اللازمة الشعرية في بعض أشعار الأبيات المتكررة[5]. والموضوع مدح الرسول والثناء على الله والوعظ والاعتبار الصوفي. لا فرق بين الله والرسول والولي. ففي الرسول يكون الشوق إليه، والتغزل فيه، والابتهال إليه، والصلاة عليه[6]. وفي الله يكون مدحه، وشكر نعمته وعدم الركون إلى خلقه، والشهادة على وحدانيته، والاستدلال عليه، والتوسل إليه، ورجاء فضله، وتقديس أسمائه الجميلة[7]. وفي الولي ذكر فضائل الصوفية، والغزل في الكعبة، والطريق إلى الحق وبعض المقامات والأحوال مثل السكر، والوعظ والاعتبار بالقرون الماضية والنصيحة، والثناء على عشرات من المشايخ والأعلام بأسمائهم[8]. كما يتم الاقتداء بآل البيت مثل علي والحسين وبعض كبار

(1) السابق جـ2 ص263.
(2) أخبار اليوم، القاهرة1990م.
(3) ديوان عفيف الدين التلمساني ص101.
(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م–1427هـ.
(5) السابق ص19.
(6) السابق ص 15/ 19/ 22/ 87.
(7) السابق ص92–93/ 99/ 105/ 111/ 123.
(8) السابق ص25/ 31/ 37/ 71/ 150/ 177.

الصوفية. مثل الجنيد والشبلي ومعروف الكرخي والجيلاني ويظلهم جبريل[1]. كما يتم تحليل بعض التجارب الذاتية مثل إشراف ولده على الموت، وعتاب شيخه لعدم زيارته، ومواقف إنسانية أخرى تدل على أن التصوف جزء من التجارب الذاتية في الحياة اليومية[2]. وتنتهي القصائد بأبيات من عمل بها جمع خير الدارين[3].

ح ـ قصيدة «النادرات العينية» لعبد الكريم الجيلي (826هـ): وهي أكبر قصيدة صوفية بعد تائية ابن الفارض[4]. والعينية لأن قافيتها العين مثل قصيدة النفس عند ابن سينا. والنادرات أي البوادر أو المبادرات. وهي قصيدة رمزية بلغة القوم ومصطلحاتهم. موضوعها المحبة آخر مرحلة في العلم، وأول مرحلة في المعرفة، وباطن العبادة، والتحول من الفقه إلى الأخلاق. والعالم من صنع الخيال لأن الله وحده هو الموجود الحق. بالإضافة إلى سيرة ذاتية للشاعر، والروح والجسم والأفلاك، وعلاقة الشيخ بالمريد.

ط ـ ديوان العارف بالله تعالي سيدي محمد البوزيدي المستغانمي (1229هـ)[5]: ويتضمن خمس عشرة قصيدة. موضوعها المحبة مثل ابن الفارض وبعض الموضوعات الخلقية الأخرى. فالتصوف الخلقي طريق إلى التصوف النظري أي التوحيد.

ي ـ «ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين» للعارف بالله الشيخ عدة بن تونس المستغانمي[6]: ويتكون من ست وأربعين قصيدة. موضوعاتها رموز الحب مثل الشراب والعطش والسكر وما يتلوها من مشاهدة وقدر الوطن والقرية والهجر، والغزل في مصر.

ك ـ «القول الحق في مدح سيد الخلق» للنبهاني (1350هـ)[7]: وهو نظم في

---

(1) السابق ص26.
(2) السابق ص129/ 133.
(3) السابق ص195.
(4) تتكون من 534 بيتا في حين أن الثانية 667 بيتا.
(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1427هـ (2) ص157-176.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (3) ص179-218.
(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (2) ص152 -156.

مدح الرسول. ويدخل من حيث المضمون في مدح الرسول أي في الوعي العملي في العودة إلى عالم السيرة، وتشخيص الرسول وتجسيمه في الحقيقة المحمدية. وهو ما طبع العقلية المعاصرة بطابع المديح لغير الرسول، حكام ووزراء وقادة ومسؤولين. ويخلو النظم من الآيات والأحاديث وأقوال الصوفية.

ل ـ ديوان العارف بالله أحمد المستغانمي (1353هـ)[1]: ويتكون من واحد وسبعين قصيدة من أوزان وأطوال مختلفة كلها في الحب الإلهي والشوق والسكر والشراب وبعضها في التصوف الخلقي والباطن والظاهر والخواص والعوام. والبعض الآخر في التصوف النفسي في الأحوال مثل القرب والبعد والقبض والبسط والمقامات مثل الرضا والشكر والزهد. وثالثهما في التصوف الفلسفي في الذات الإلهية وأشكال التوحيد والحقيقة المحمدية ومدح الرسول، والفناء والبقاء. في طريق السالكين والوصل والحجاب والستر والفرق والجمع، والبصر والبصيرة والأقطاب والأبدال. والبعض في حيرة العقل ويقين الكشف والبعض في الإنسان. ويظهر القرآن الحر في داخل الشعر[2]. ولا يذكر

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (1) ص11-84.

(2) مثل:

الكل لها أواني ونفس وما سواها

السابق ص28.

وقد نذرت للرحمن صوما إذ في الكتمان عز واحترام

السابق ص39.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله مزيد الحمد والثناء والشكر

واحلل عقدة من لساني، وأجعل لي وزيرا من أنصارك، ولا تخزني يوم الحشر

السابق ص41.

من صخر العرفان سقينا كيزان من يد ولدان مخلدينا

أهل الحقائق بين الحدائق على نمارق متكئينا

حال العارفين متقابلين على سرر مستبشرينا.

لهم احترام في كل العالم وعند الكرام الكاتبينا

السابق ص50.

بصراط مستقيم موصل للإيقان

فيها من ماء تسنيم من كل شيء زوجان

السابق ص56.

=

من أسماء الأعلام إلا روح الأستاذ البوزيدي[1].

م ـ «الدرر المنظومة الرقيقة في شرح الشريعة والطريقة والحقيقة» للعمراني الخالدي[2]: وهي أربع عشرة قصيدة في موضوعات التصوف المختلفة مثل التوحيد، والطريق، والأخوة، ومدح الشيخ، وتمجيد الرسول، والتشوق إلى الحضرة المقدسة، والتضرع إلى الله، والتوسل بأسماء الله، وذكره، وقراءة الورد، ومعنى الشريعة والحقيقة[3]. أكبرها الثالثة عشرة في معنى الشريعة والحقيقة، ثم التوسل بأسماء الله الحسنى[4].

4 ـ السيرة الذاتية

أ ـ «المنقذ من الضلال» للغزالي (505هـ)[5]: وهو كتاب نموذجي في فن

= فخلعت النعلين كذا الكونين   لئلا يبقي من بيني ثم نُوديت

السابق ص80.

تشكل بالإنسان   وبالروح مني

أنا لست إنسان   ولا من الجن

السابق ص33.

(1) بشرني روح الأستاذ البوزيدي عين المدد   إذ قال لي باجتهاد بعد أن قسم بالله

السابق ص20.

صخرة مع علي وعمر وبو بكر   عثمان زيد خالد وابن الجراح

السابق ص82.

تشكل بالإنسان   وبالروح مني

أنا لست إنسان   ولا من الجن

السابق ص33.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425هـ (5) ص151-199.

(3) هي: 1- التوحيد الخاص2- نهج طريق الصوفية الأخيار 3- أخذ الحيطة عند الانتساب إلى طريق الصوفية 4- الحث على حضور جميع الأخوة الصوفية 5- مدح شيخ التربية الكامل 6- الآداب مع شيخ القرية 7- مدح أهل التوسل بهم إلى الله 8- تمجيد الرسول 9- التشوق إلى الحضرة المقدسة وشرح طريق الوصول إليها 10- التضرع إلى الله وطلب رضاه والوصول إلى حضرته 11- ذكر الله وما له من قدر 12- قراءة الورد والاسم المفرد 13- معنى الشريعة والحقيقة 14- بغية المنى في التوسل بأسماء الله الحسنى.

(4) السابق ص183-191/ 192-199.

(5) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

السيرة الذاتية الفلسفية ويتم فيها الانتقال من الفقه إلى الكلام إلى الفلسفة للحط أخيرا في التصوف، في تدرج من الأدنى إلى الأعلى[1]. وهو إجابة على سؤال غاية العلوم وأسرارها وغائلة المذاهب وأغوارها والمعاناة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق. وتباين المسالك والطرق، والتحول من التقليد إلى الفهم، وتجاوز المتكلمين والباطنية والفلاسفة حتى الوصول إلى التصوف وجلاء الحق. والتحول من العلم الكسبي والتحصيل إلى العلم الكشفي. وقد أناف السن على الخمسين. ولما كان العلم ممكناً تبدأ السيرة الذاتية بنقد الموقف السفسطائي وجحد العلوم[2]. ثم تصنف الطالبين، المتكلمين أصحاب الرأي والنظر، والباطنية أصحاب التعليم وتقليد الإمام المعصوم، والفلاسفة أهل المنطق والبرهان. وأخيراً الصوفية خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة[3]. ثم يبرز موضوع «حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها»[4]. ثم تأتي المرحلة الأخيرة في السيرة الذاتية عن «سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه»[5]. وهو العلم اليقيني وليس الظني، علم التصوف ضد أسباب فتور الخلق وضعف إيمانهم من الخائضين في الفلسفة والتصوف ودعوى التعليم ومدعي العلم[6]. وتنتهي السيرة الذاتية برفض الخرافات والخزعبلات والأحجبة والسحر والأشكال الهندسية والمعجمية لعلاج الحامل التي عسر عليها الطلق وعلم التنجيم[7].

---

(1) «فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع إلى حضيض التقليد إلى يفاع الاستفسار، وما استفدته، أولاً من علم الكلام، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته أخيراً من طرق التصوف، وما أنجلى لي في تضاعيف تفتيش عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة فابتدرت لإجابتك على مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك. . .» السابق ص3.

(2) مداخل السفسطة وجحد العلوم، السابق ص7-12.

(3) القول في أصناف الطالبين ص12-51.

(4) السابق ص51-57.

(5) السابق ص57-60.

(6) السابق ص60-66.

(7) السابق ص66-70.

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. كما يحيل إلى الفرق الإسلامية، المتكلمين والباطنية والفلاسفة (اليونان) والصوفية والمتفلسفة الإسلاميين مثل ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا[2]. ويحال إلى الفرق غير الإسلامية مثل النصرانية. ولأول مرة يُحال إلى الفلاسفة بمعني الوافد أي فلاسفة اليونان «أرسطوطاليس» ثم أفلاطون ثم سقراط ثم فيثاغورث وجالينوس[3]. وهم الإلهيون مع الطبيعيين والدهريين (الزنادقة). ومن الصوفية يحيل إلى المحاسبي ثم الجنيد والشبلي والبسطامي[4]. للتمييز بين المضمون الخلقي عند المحاسبي والتصوف النفسي عند الجنيد والشبلي والبسطامي. ويحال إلى الفقهاء أحمد بن حنبل ثم الشافعي ثم أبو حنيفة لبيان الاتفاق بين الفقه والتصوف، بين الشريعة والحقيقة[5]. ويحيل الغزالي إلى عشرة من مؤلفاته الأخرى لبيان وحدة مشروعه سواء في الفقه مثل «فيصل التفرقة» أو في الكلام «المقصد الأسنى»، أو في الفلسفة في «تهافت الفلاسفة» أو في المنطق في «القسطاس المستقيم»، أو في التصوف في «الإحياء» و «كيمياء السعادة»، أو في الرد على الباطنية في «المستظهري» و «حجة الحق» و «فيصل الخلاف» و«الدرج المرقوم». ومن كتب الصوفية يحيل إلى «قوت القلوب» لأبي طالب المكي الذي دخل معظمه في «الإحياء» مع «اللمع» للطوسي. ومن المدن تذكر بغداد ونيسابور.

ب ـ فهرست مؤلفات ابن عربي[6]: والاسم ليس من ابن عربي. وهي إجازة للسلطان للرواية عما فيها بعد التعرف على الخط[7]. لذلك تدخل في السيرة الذاتية

---

(1) الآيات (17)، الأحاديث (11)، الأشعار (1).

(2) الصوفية (2)، المتكلمون، الباطنية، الفلاسفة، المتفلسفة الإسلاميين (1)، ابن سينا (1)، الفارابي، إخوان الصفا (3)، النصراني.

(3) أرسطو طاليس (7)، أفلاطون (3)، سقراط (2)، جالينوس، فيثاغورث (1).

(4) المحاسبي (4)، الجنيد، الشبلي، البسطامي (1).

(5) أحمد بن حنبل، أبو حنيفة (3)، الشافعي (2).

(6) رسائل ابن عربي جـ1 (1) ص43-68.

(7) «وهذا لفظي. استخرت الله تعالى، وأجزت للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله أبي بكر بن أيوب وأولاده ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي من قراءة وسماع ومناولة وكتابة وإجازة وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن. وتلفظت بالإجازة عن تقييدي هذا الخط. وذلك في غرة المحرم سنة اثنين وثلاثين =

كشكل أدبي. تبدأ بذكر الشيوخ[1]. ثم تثني بذكر المؤلفات[2]. وقد كتبها قبل أن يتوفى بست سنوات بدمشق. وما ورد على قدر ما سمحت به الذاكرة. فهو ليس إحصاء شاملاً للشيوخ ولا للمؤلفات كما يفعل الباحثون اليوم خاصة والمستشرقين منهم. ولا يذكر القرآن إلا مرة واحدة[3]. ولا يظهر الوعي التاريخي إلا مرة واحدة في إشارة إلى الحلاج[4]. ومنها اختصار كتب الحديث والجمع بينها وبعض الأمور الباطنية مثل المثلثات الواردة في القرآن.

جـ ـ «رسالة اللمعة الموسومة بكشف الغطا عن إخوان الصفا» لابن عربي[5]:

ويتجلي الوعي التاريخي المتأخر عند ابن عربي لدى ذي النون وإخوان الصفا. ولا يذكر اسم «إخوان الصفا» في الرسالة. ولا يعتمد على أي آية أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو قول صوفي. بل هي تنظير عقلي برهاني خالص كما تعبر المقدمة عن ذلك[6]. يسميهم إخوان التجريد بالرغم من اعتمادهم على الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر وأقوال الحكماء والكتب المقدسة بما في ذلك الديانات الشرقية وحكماء فارس والهند والأمثال العامية والثقافات الشعبية. وتقسم الرسالة إلى أربعة فصول بلا عناوين. الأول عن العلة والمعلول وكمالاته. والثاني عن العلم والمشاهدة. والثالث عن معرفة الذات. والرابع في معرفة الكون. وكل درجة دنيا تؤدي إلى الدرجة العليا.

= وستمائة بمحروسة دمشق. وكان في استدعائه أن أذكر له من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكري منهم. وبعضهم مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي. فأحببت استدعاءه، نفعنا الله وإياه بالعلم. وجعلنا وإياه من أهله. إنه ولي كريم»، السابق ص43.

(1) من الشيوخ يذكر ستين شيخا، السابق ص44-49.

(2) ومن مؤلفاته يذكر 284 مؤلفا. وهي تربو على الثلاثمائة كما أحصى بركلمان وعثمان ويحيى فيما بعد. وتدور حول موضوعات التصوف كلها ومراحله الخلقية والنفسية والنظرية والعملية.

(3) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ في العمل السادس «الاحتفال فيما كان عليه الرسول من سني الأحوال».

(4) السراج الوقاد في شرح كلام الحلاج، العمل 24، السابق ص52.

(5) رسائل ابن عربي جـ1 (4) ص149-153. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(6) «فإن هذه اللمعة موسومة بكشف الغطا لإخوان الصفا»، «أبرزتها الرحمة الإلهية الأزلية لترقي أرباب النظر والبرهان إلى رتبة أصحاب العبر والعيان»، السابق ص149.

5 ـ المكاتبات والتراجم والرسائل والمسائل

أ ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ رسالة إلى الإمام الرازي[1]: ليس لها موضوع محدد بل مجرد رسالة. وفي نهايتها عناوين جانبية مثل: فعل، إشارة، إشارة أخرى، إشارة تالية، من كلام ابن عربي، كتاب الحلاج، شعر لغز به، البسملة، كلام الشيخ مما يبين بنيتها الضعيفة. تعتمد على القرآن ثم الحديث والشعر[2]. ومن الصوفية يذكر الغزالي. ومن الطرق يُذكر المتكلمون والحكماء والفلاسفة. ويحال إلى كتاب «فضائل الشهادة» لأبي طالب المكي.

2 ـ «كتاب التراجم»[3]: ويوحي العنوان بأنه في السيرة الذاتية أو الوعي التاريخي، ولكن يعني في الحقيقة الترجمة عما في النفس والتعبير عن الأفكار. ويتكون من أبواب. وكل باب من لطائف وإشارات، وسؤال وجواب[4]. وكل باب ترجمة لموضوع[5]. وبعض الأبواب ترجمة فقط دون موضوع. وموضوع بعض الأبواب آيات قرآنية، وتتكرر بعض الموضوعات مثل المنة والعبادة. ويبرز موضوع الإنسان الكامل، رجلاً أو امرأة. فهو ليس رجلاً بالضرورة. ويعتمد على القرآن والحديث. والقرآن نصي وحر. والحديث نبوي وقدسي[6]. ومن أسماء

---

(1) رسائل (1) جـ1 (15) ص1-14.

(2) الآيات (3)، الأحاديث، الأشعار (1).

(3) رسائل (1) جـ2 (18) ص1-61.

(4) الإشارات (190)، اللطائف (140)، لطيفة وإشارة، جواب (1).

(5) مثل: القهر، الكبرياء، الفتح، الإجابة، التعريف، الثبات، العدل، التعظيم، المنة، الغيرة، الوجود، الجمع، التقديس، الاستواء، الباطن، الرحمة، الوعظة، الأنانية، السيادة، الوهب، التبعة، الكمال، الكثيب، الشريعة والحقيقة، خبيثة ابن صائد، التقليب، المشاورة، حمد الملك، المغفرة، الإخلاص، انبعاث نور الصدق، الصف الأول، الجمع والوجود، فتح الأبواب، مالك الملك، الاشتراك بين النفس والروح، القسمة، السبب، الأقصى، أرض العبادة، الأدب، البهائم، السعر، إياك أعني فاسمعي يا جارة، وإن إلى ربك المنتهى، العالم، العناية، القضاء، العبادة، الغيب، الوفاء، المفهوم، التوقيع، التسخير، السلب والتنزيه، القدرة، الذكر، المحبة، الصرف، النوراني، قدر القرب، الاستفهام، الجزاء، الهادي، الحجاب، الرداء.

(6) الآيات (55)، القرآن الحر (22)، الأحاديث (3)، القدسية (2).

الأعلام يتقدم أبو السعود ثم أبو طالب المكي والغزالي وسهل بن عبد الله وأبو عقال المغربي[1]. ومن الأنبياء محمد. ومن الأتقياء آسية امرأة فرعون ومريم العذراء[2].

3 ـ **«كتاب الكتب»**[3]: وهي رسائل ابن عربي، حقيقية أو متخيلة[4]. تعتمد على القرآن والشعر والحديث[5]. ويذكر بعض المرسل إليهم. ومن الصوفية الجنيد والمحاسبي[6]. ومن الأنبياء موسى ويوسف ومحمد وهارون[7]. ويعتمد الأسلوب على المحسنات البديعية.

4 ـ **«تاج الرسائل ومنهاج الرسائل»**[8]: والعنوان الكامل يضيف «المودعة في المعاني الروحية»، وهي ثمان رسائل متخيلة إلهية نزلت قدسية على عبد الحي، واتحادية على عبد العليم، وسريانية على عبد الشكور، ومشهدية على عبد النصير، وفردوسية على عبد السميع، وعذرية على عبد الودود، ووحدوية على عبد القادر. وهناك صلة بين موضوع الرسالة والرسول التي ترسل بها، الإلهية والقدسية والحياة، الاتحاد والعلم، السريانية والشكر، المشاهدة والبصيرة، الفردوس والسمع، القدرية والود، الوجود والقدرة. وتتخللها تأويل الحروف[9]. والمرسِل محمد بن علي والمرسل إليها كعبة الحسن، الرسول الشيعي والمرأة الجميلة. ويوصف المرسل أحياناً بالودود أي المحب. والأسلوب أسلوب المخاطب. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث[10]. ومن الصوفية يذكر الشبلي والبسطامي.

---

(1) أبو السعود (2)، أبو طالب المكي، الغزالي، سهيل بن عبد الله، أبو عقال المغربي.

(2) آسية، مريم (1).

(3) رسائل (1) جـ2 (21) ص1-56.

(4) هي 44 رسالة.

(5) الآيات (20)، الأشعار (14)، الأحاديث (3).

(6) أبو القاسم العماد بن السكري، أبو أحمد، أبو اسحق بن طريف، أبو الحسن الخوئي، أبو عبد الله المحاسبي، الجنيد (1).

(7) موسى، يوسف (2)، محمد، هارون (1).

(8) رسائل ابن عربي جـ2 (8) ص237-285.

(9) السابق ص260-261.

(10) الآيات (15)، الأشعار (12)، الأحاديث (5).

ومن الصحابة بلال. ومن الشعراء بشار. ومن الأنبياء محمد ويوسف. ومن النساء زليخا[1]. في أولها الإجازة[2]. وفي أخرها الرواية السماعية[3].

5 ـ «كتاب المسائل»[4]: وهي مجموعة من المسائل الفلسفية مثل مسائل الفارابي. تطول وتقصر. تبدأ بفصل بلا عنوان ثم ترقم المسائل[5]. تغلب عليها الموضوعات النظرية الفلسفية الخالصة. العاشرة منها في الحقيقة المحمدية. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. ومن الفرق يذكر الأشاعرة والمعتزلة والقدماء[7]. وأسلوبها مثل أسلوب الإخوان «انظر وفقك الله».

ب ـ رسائل ابن سبعين (669هـ)[8]: عرف ابن سبعين بأنه من أنصار «الوحدة المطلقة» مثل هيجل. لم يكتب مؤلفات بل ترك رسائل متفرقة، عشرين رسالة تتفاوت كما. أطولها شرح عهد بن سبعين لتلاميذه «في علاقة الشيخ بالمريد، والرسالة الرضوانية، وعن التوبة[9]. وتدور الرسائل حول عدة موضوعات في الأخلاق العلمية مثل «الرسالة الفقيرية» التي ينتقل فيها من الأخلاق إلى الوجود، و «كتاب فيه حكم ومواعظ» «رسالة النصيحة أو التوبة»، ورسالة أخرى بلا عنوان وهي الفضائل، ورسالة في عرفة يتم فيها الانتقال من الفقه إلى التصوف[10]. وهناك رسائل في التصوف النفسي ابتداء من وصف الطريق وعلاقة الشيخ بالمريد مثل «عهد ابن سبعين لتلاميذه» وشرحها و «ملاحظات في يد العارف» و «وصية ابن سبعين لأصحابه». ثم هناك وسائل في المقامات مثل

(1) البسطامي، الشبلي، بلال، بشار (1)، محمد (2).

(2) تاج الرسائل ص235/ 284-285.

(3) لم نستطع تحليل رسالة في سؤال اسماعيل بن سودكين نظراً لسقوطها من الطبعة العثمانية عند التجليد، رسائل (1) جـ1/ 14.

(4) رسائل (1) جـ2 (22) ص1-36.

(5) هي 53 مسألة.

(6) الآيات (18)، الأحاديث، الأشعار (2).

(7) الأشاعرة (3)، الأشعري (1)، المعتزلة، القدماء (1).

(8) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965.

(9) شرح العهد (84)، الرسالة الرضوانية (40).

(10) رسائل ص1-38/ 151-189/ 298-207.

«الرسالة الرضوانية» في التوبة دون رسائل في الأحوال[1]. ثم تأتي معظم الرسائل في التصوف الفلسفي عامة والوحدة المطلقة خاصة مثل «الرسالة القوسية» في رسم الكون و «كتاب الإحاطة» في وجود الكل ثم رسالة بلا عنوان في الذات الإلهية، ورسالة في «أنوار النبي» عن الحقيقة المحمدية، و «رسالة الله بلسان نوره» وأربع رسائل بلا عنوان، ورسالة الألواح المباركة. كلها تدور حول الوحدة المطلقة. وتجلي الله في الكون. وتتردد في أحد الرسائل لازمة «الله فقط»[2].

وتتعدد الأساليب وطرق التعبير من النصائح والمواعظ والمناجاة ولكنها خالية من العرض النظري الخالص ومن الترتيب المنطقي. تتكرر فيها الموضوعات. لا يوجد مصطلح «الوحدة المطلقة» الذي عرف به، ولكن يستعمل لازمة «الله فقط» أو لفظ «الوحدة»[3]. وتوحي المناجاة بالانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود. ينقد الفلاسفة المشائين الذين اكتفوا بالفلسفة العقلية المجردة دون أن يكون لها رصيد في التجربة الذوقية. ويستعمل الكثير من الآيات والأحاديث والأشعار[4]. والبيت الذي يعبر عن فلسفته هو:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومع ذلك يظل التنظير له الأولوية على الشواهد النصية والشعرية. كما يستعمل بعض آيات الزبور لداود[5]. فكما أن الكون واحد، الأديان واحدة. ومن الصوفية المسلمين يذكر إبراهيم بن أدهم خاصة صاحب التجربة الشخصية، ومن الوافد يذكر سقراط وأفلاطون[6]. ومن العصر الوسيط يذكر الافرنج والبابا وقد كان ابن سبعين في علاقة مع فردريك الثاني ملك صقلية كما يبدو ذلك في «المسائل الصقلية»[7].

(1) السابق ص43-129/ 247-258/ 312-315/ 316-356.
(2) السابق ص39-42/ 120-150/ 190-246/ 259-397/ 357-361.
(3) وصية ابن سبعين لأصحابه، رسائل ص314.
(4) الآيات (27)، الأحاديث (13)، الأشعار (27).
(5) رسائل ص164.
(6) السابق ص161-162.
(7) انظر دراستنا: روح الأندلس ونهضة الغرب الأحاديث، قراءة في المسائل العقلية =

حـ ـ مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض إخوانه ومريديه (709هـ)[1]: وهي نوع أدبي، رسائل متبادلة بينه وبين بعض الإخوان. وهي خمس رسائل، مملوءة بالمصطلحات الصوفية. والبعض منها بناء على سؤال[2]. وأغلبها أخبار عن الطريق بدايته ونهايته أو نصائح عملية للسلوك. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[3].

سادساً: تناثر البنية

ثم بدأت بنية العلم بعد أن اكتملت في القرن الخامس، «الإحياء» نموذجا في الانحلال والامتداد عرضاً لا طولاً، في الاتساع وليس في العمق، نحو أقطاب جديدة مثل الكون والله والإنسان والكون أو الوجود أو العالم في «الفتوحات» والإنسان في «مكاشفة القلوب» و «روضة الطالبين» للغزالي (505هـ)، و«فتوح الغيب للجيلاني» (561هـ)، في «منارات السائرين» و «مقامات الطائرين» للرازي(654هـ) و«عوارف المعارف» للسهروردي (632هـ)، و«كتاب فيه ما فيه»، للرومي (672هـ)، و«طهارة القلوب» للديريني (694هـ)، و«آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» للكاشاني (730هـ)، و«روضة التعريف بالحب الشريف» لابن الخطيب (776هـ)، و«سر الأسرار» للقادلي (963هـ)، و «نزهة المجالس» للعصفوري (1043هـ).

1 ـ للغزالي (505هـ)[4]

أ ـ «مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف»: ويدل العنوان على الجمع بين التصوف النظري المعرفي في «مكاشفة القلوب» وعلى التصوف العملي كطريق في «المقرب إلى حضرة علام الغيوب». وهو أيضاً تلخيص

= لابن سبعين هموم الفكر والوطن حـ1 الذات والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة 2003، ص145-164.

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427 هـ (3) ص81-93.

(2) السابق ص85.

(3) الآيات (16)، الأحاديث (3).

(4) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت).

«الإحياء» دون بنيته الرباعية. ويتكون من مائة وأحد عشر باباً متناثرة الموضوعات. يتكرر بعضها. وتدور محاورها حول التصوف الخلقي، الرذائل والفضائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال، والتصوف الفلسفي، الله والإنسان والعالم، والتصوف العملي كالطريق والطريقة وآداب الشيخ والمريد(1) ولا فرق بين الأصل «الإحياء» والاختصار من حيث كثرة الأدلة النقلية التي زادت على حساب الأدلة العقلية. والغرض من زيادة الفصوص الإرهاب والتخويف والحذير.

ويعتمد على الآيات ثم الأحاديث ثم الأشعار(2). كما يعتمد على بعض الإسرائيليات بمناسبة قصص الأنبياء. وتذكر الأحاديث بلا أسانيد. فالغاية هي

---

(1) ضمن التصوف الخلقي تبرز موضوعات الأمانة في الصلاة والترحم، والقناعة، والفقر، والتواضع، والصدقة، وقضاء حاجات الناس، والإيمان. ومن تحول الفقه إلى أخلاق تبرز موضوعات الخضوع، والخشوع في الصلاة، والوضوء، وطاعة الله، والزكاة ضد البخل، وترك الحرام، والربا، وفضل المسجد، وصلاة الجماعة، وصلاة الليل، وفضائل رجب وشعبان ورمضان وليلة القدر والعيد والأيام العشرة لذي الحجة، وعقوبة شارب الخمر، والنهي عن البدعة، وتجنب الغيبة والنميمة، والزنا، وطول الأمل رغبة في الدنيا، وترك الدنيا وذمها وغرورها وذم المال والكبر والعجب والنفاق، وتلبيس الحق بالباطل، وعقوبة علماء الدنيا، ومن التصوف النفسي تبرز المقامات مثل الصبر، والتوبة، والمحبة وما يتعلق بها من عشق، والتوكل والأرزاق، والشكر،والرضا، والأحوال مثل الخوف، وثنائيات أخرى مثل الضحك والبكاء، ومن التصوف الفلسفي تبرز موضوعات مثل محبة الرسول التي تؤدي إلى الحقيقة المحمدية، ومعراج النبي ووفاته، والملائكة، والولاية، والنفخ، والفزع، والحشر، والأعمال، والميزان، والصراط، وعذاب النار، والقضاء، وعلم اليقين وعين اليقين، وأهوال أهل القيامة، وصفات الجنة ومراتب أهلها. ومن التصوف العلمي تبرز موضوعات الطريق مثل الرياضة، والشهوة، وغلبة النفس، ومعاداة الشيطان، والغفلة والنسيان، وإبليس وعذابه رمزاً، وعداوة الشيطان ومكره، وذكر الموت والجنازة والقبر وشدته، والقبر وسؤاله، وسؤال يوم العرض، والسموات، والتفكر وذم الهوى، وفضل أهل الكرامة، ومحاسبة النفس، والسماع. ومن المعاملات بر الوالدين، وحقوق الأولاد، وحق الزوج على الزوجة. ومن الموضوعات السياسية يبرز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الظلم عامة، وظلم اليتيم خاصة، والإحسان إليه، وحقوق الإنسان (العبد)، وفضل الجهاد، وضيافة الفقراء، وحسن الخلق، وفضل القرآن، والعلم والعلماء، والإحسان إلى المساكين. وألقاب الغزالي «العالم العامل والحبر الفاضل الكامل عن أعيان أكابر العلماء وأستاذ الأساتذة الكملة النجباء أستاذ الشريعة شمس مشايخ الإسلام الشيخ الغزالي بوأه الله دار السلام بسلام».

(2) الآيات (350)، الأحاديث (270)، الأشعار (52).

المتن لتعليق المطلوب عليه. ومعظمها حكايات أكثر منها أقوالاً، ومواعظ أكثر منها قضايا وتعريفات. وعلى الرغم من الوعي بالقسمة العقلية إلا أنها نادراً ما تظهر[1]. ويقل الربط بين الفقرات لأنها مجتزأة من الكل. وتظهر بعض الألفاظ الرابطة مثل: نكتة، حكاية. ويتم الاستشهاد بأقوال الصوفية وبعض الحكماء بالرغم من الهجوم على الفلسفة والفلاسفة. فمن الصوفية يأتي في المقدمة الجنيد ثم الشبلي ثم ذو النون وإبراهيم بن أدهم ثم مالك بن دينار ويحيى بن معاذ ثم إبراهيم الخواص والحلاج والتستري وسفيان الثوري والدقاق وشقيق البلخي ورابعة والسري السقطي والفضيل بن عياض وبشر الحافي وأويس القرني وأبو سليمان الداراني وغيرهم[2]. ومن الفقهاء يذكر الشافعي بطبيعة الحال نظراً لما بين الشافعية والتصوف من قربى. ومن الفلاسفة يذكر الحكماء[3]. ومن الشعراء الأدباء يذكر مجنون ليلى والفرزدق وابن المقفع والجاحظ، ومن النصارى يذكر كعب الأحبار. ومن الأنبياء يذكر عيسى رمز الولي، ويوسف رمز الصوفي، وموسى رمز الفقيه، وداود رمز القطب، وسليمان رمز الحكمة[4]. ويستشهد بالتوراة والإنجيل. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركون. ومن الوافد لا يظهر إلا أفلاطون مرة واحدة[5]. كما يحيل الغزالي إلى باقي مؤلفاته لبيان وحده المشروع[6].

ب ـ **«روضة الطالبين وعمدة السالكين»**[7]: وقد يدخل عملان مختلفان لمؤلف واحد تحت نوعين مختلفين من الوعي الصوفي. إذ يدخل «الإحياء» في

---

(1) مكاشفة القلوب ص2-4.

(2) الجنيد (9)، الشبلي (6)، ذو النون، إبراهيم بن أدهم (4)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ (3)، إبراهيم الخواص، الحلاج، التستري، سفيان الثوري، الدقاق، شقيق البلخي، رابعة، أبو تراب النخشبي، السري السقطي، الزنجاني، الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أويس القرني، أبو الدرداء، داود الطائي، أبو زيد الرقاش، أبو سليمان الداراني. . .الخ (1).

(3) الحكماء (6)، الشافعي (5).

(4) كعب الأحبار (4)، موسى (25)، عيسى (20)، داود (7)، إبراهيم، لقمان (2)، سليمان، يحيى بن زكريا (1).

(5) مكاشفة القلوب ص74.

(6) باقي المؤلفات مثل: منهاج العابدين، بداية الهداية، رونق المجالس، مجمع اللطائف.

(7) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

الوعي الموضوعي الخالص و«مشكاة الأنوار» في الوعي النظري في نظرية المعرفة و«روضة الطالبين» في الوعي النظري أيضاً في «تناثر البنية» وتفككها. ومع ذلك يمكن إعادة تجميع الأبواب في أنواع التصوف، الخلقي والنفسي والفلسفي والعملي بعد البداية بعلم الكلام «أركان الدين» وبالتحول من الفقه إلى الأخلاق. فمن التصوف الخلقي تظهر موضوعات الأدب والحياء والمراقبة والإخلاص وآفات اللسان والبطن ومخادعات الشيطان وحسن الخلق والفقر والمحاسبة والصدق ومكارم الأخلاق والقناعة وآفة الذنوب. ومن التصوف تظهر المقامات والأحوال، المقامات مثل: المحبة والتوبة والصبر والزهد والشكر والتوكل والرضا والشفقة. والأحوال مثل الأنس والقرب والخوف والرجاء والغيبة. ومن التصوف النظري تظهر موضوعات التوحيد والمعرفة والنفس والروح والقلب والعقل وشرف العلم والأسماء الحسنى والاعتقاد والصفات والنبوة والخواطر والفكر. ومن التصوف العملي تظهر موضوعات السلوك والطريق والوصول والوصال والفتوة والنية والسائل وصلاة أهل الغرب. وسبب تأليف الكتاب كي يتمسك به طالب الحق ويستعين به على سلوكه مع وعي بالبنية في مقدمة الكتاب[1]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. كما يذكر العديد من الفرق الكلامية مما يبين أن التصوف رد فعل عليها وفي مقدمتها المعتزلة أو القدرية. والصوفية هم الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة. والصوفي سني رشيد[3]. ومن المتكلمين الأشعري. ويعتمد على بعض أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الجنيد ثم التستري وذو النون والبسطامي وإبراهيم بن أدهم[4].

2 ـ «فتوح الغيب» لعبد القادر الجيلاني (561هـ)[5]

وتتناثر فيه البنية المحكمة إلى ثمانية وسبعين مقالة حول موضوعات بلا نسق

---

(1) روضة الطالبين ص98.

(2) الآيات (53)، الأحاديث (27)، الأشعار (8)، القدسية (3).

(3) المعتزلة (4)، القدرية (2)، الجبرية، المشبهة، المعطلة، الرافضة، الفلاسفة، السنة والجماعة أو الناجية، الصوفية، الأشعري (1).

(4) الجنيد (4)، التستري، ذو النون (2)، يحيى بن معاذ، البسطامي، سفيان الثوري، ابن عطاء، القاضي عياض (كتاب الشفا)، إبراهيم بن أدهم (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م–1426هـ، (2) ص63–179.

يجمعها. أقلها في التصوف الخلقي مثل ذم الدنيا والورع والصدق والنصيحة وذم الحسد أو في التصوف النفسي والمقامات مثل التوكل والزهد والرضا والمحبة والشكر أو الأحوال مثل الخوف والرجاء والفناء أو في التصوف النظري مثل الموت. وأكثرها في التصوف العملي في الطريق مثل الابتلاء والتقرب إلى الله وملازمة بابه والدعاء والمجاهدة والمحاسبة. ويقوم على الأدلة النقلية، القرآن والحديث وبعض الأمثال العامية وتحليل التجارب الذاتية(1). أمّا الشعر فيأتي جملة واحدة في مجموعة من القصائد في النهاية، أولها من القصائد الطوال(2). ويشرح إحداها(3). وتذكر بعض الإسرائيليات(4). ولا يذكر أحد من أعلام التصوف.

3 ـ «عوارف المعارف» للسهروردي (ت632هـ)(5):

فقد تناثرت بنية «الإحياء» الرباعية و «الفتوحات» السداسية إلى مجرد ثلاث وستين باباً تضم موضوعات متفرقة. وبالرغم من أن العنوان نفسه «عوارف المعارف» يدل على مرحلة التصوف النظري. يغيب النسق وينفرط العقد. ويضم موضوع واحد عدة أبواب مثل الصوفية والتصوف، والملامتية. وهو أقرب إلى تعريف التصوف والصوفية(6). ثم يغلب موضوع الطرقية والسماع وعلاقة الشيخ بالمريد والسفر والصحبة والرباط(7). ثم يأتي موضوع الأخلاق والآداب أي التصوف الخلقي في المرحلة الأولى(8). ثم يظهر موضوع الفقه والأخلاق، وتأويل الوضوء والطهارة والصلاة والصوم واللباس تأويلاً باطنياً(9). ثم تظهر آداب الليل كنوع من الرياضة والمجاهدة(10). ثم يأتي الإنسان والخواطر وهي ضمن العلوم

(1) الآيات (138)، الأحاديث (67)، القدسية (3).
(2) القصائد سبع عشرة قصيدة ص151-179.
(3) فتوح الغيب ص174.
(4) السابق ص114.
(5) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م- 1358هـ (على هامش «الأحياء») 4أجزاء.
(6) الأبواب 1-9.
(7) السابق10-25/ 51-55.
(8) السابق 26-32.
(9) السابق 33-40.
(10) السابق 45-50.

الكشفية[1]. وأخيراً تظهر المقامات والأحوال وهي صلب الطريق الصوفي في المرحلة النفسية في بابين اثنين[2]. ثم تأتي الخاتمة بعنوان «البدايات والنهايات»[3]. وتغيب باقي أبواب الفقه عن الزكاة والحج. كما يغيب موضوع التوحيد، وهو لب التصوف النظري في حين يتسع موضوع الشيخ والمريد بحيث يشمل نصف الأبواب كلها. ويظهر «الفناء والبقاء» في أحد الأبواب[4].

ويبدأ الصراع بين التصوف وباقي العلوم النقلية. فيتم نقد الفلاسفة الدهريين[5]. في حين يظهر التعاون بين التأويل والتنزيل. والصوفية أتباع الرسول والمقتدون بنسبه[6]. وبه كثير من الإيمانيات. ويخف التحليل النظري. فالصوفية ورثة الأنبياء وليسوا فلاسفة. وتظهر مصطلحات جديدة مثل علم الدراسة وعلم الوارثة أي العلم الكسبي والعلم اللدني[7]. وتظهر مركزية محمد كما هو الحال في«الفتوحات» في نظرية «الحضرة المحمدية». وهي إحدى الموضوعات الرئيسية في التصوف النظري. ويتم الحديث عن الصوفية باعتبارهم آخر، مما يدل على بداية التمايز بين الذات والموضوع، بين التصوف كتجربة ذاتية، والتصوف كموضوع. ويُدرس الموضوع ثم يوضع الصوفية في أحد أقسامه. بل وهناك محاولة لإضفاء الشرعية عليهم بعد أن بدأ الصراع بينهم وبين الفقهاء، ورفع اللبس عنهم، وتبديد الشبهات حولهم. وهناك عود إلى المرحلتين السابقتين، التصوف الخلقي والتصوف النفسي لقلة الإحكام النظري[8].

ويستشهد بكثير من الأحاديث سنداً ومتناً وإجازة[9]. ويبدأ كل باب بالسند قبل المتن. وتتكرر نفس الأحاديث ونفس الآيات. وتتكرر الإجازات في كل

(1) السابق 56-57.
(2) السابق 58-62.
(3) الباب 63.
(4) السابق جـ2/ 276.
(5) السابق جـ2/ 314.
(6) السابق ص354.
(7) السابق جـ1 ص229.
(8) السابق ص276.
(9) السابق جـ1 124/ 221.

باب، كما يستشهد بعديد من روايات الصوفية وحكاياتهم[1]. أما الأقوال فهي قليلة. وتروى بعض الأحاديث القدسية المرسلة لأنها أقرب إلى إبداع الخيال[2]. كما يظهر الرسول في المنام محدثاً وراوياً[3]. ويعتمد على مصادر مدونة. فقد أصبح التصوف ليس مجرد تجربة ذاتية بل دراسة موضوعية موثقة[4]. وتظهر بعض الشواهد الشعرية في باب السماع وما يتبعها من طاعة وقبول. وليس ثورة أو غضباً. ويستعمل القرآن استعمالاً حراً لتقوية الأسلوب في جانبه الشعري[5]. والنص مطابق للتجربة الإنسانية، لا فرق بين الخطاب ودلالته الذاتية. ويختفي التحليل النظري. كما تختفي الحجج العقلية. ولا تبقى إلا القسمة العقلية[6]. ويشبه أسلوبه في التحليل النظري أسلوب ابن عربي في «الفتوحات» دون ألغازه، مع مزيد من الوضوح. وهو أسلوب سهل تعليمي.

4 ـ «منارات السائرين ومقامات الطائرين» للرازي (654هـ)[7]:

والعنوان الكامل «منارات السائرين إلى الله، ومقامات الطائرين بالله». يشير إلى الطريق الرأسي من الإنسان إلى الله. فالسائر بالمنارات، والطائر بالمقامات. وهو استئناف لعمل آخر للمؤلف هو «مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد» بالفارسية. وكما انحلت القسمة الرباعية «للإحياء» إلى سداسية في «الفتوحات» كذلك انحلت القسمة السداسية للفتوحات إلى قسمة عشرية، بناء على ذكر العدد عشرة في القرآن وليس الموضوع ذاته[8] والعشرة كلها مقامات بالمعنى العام للفظ مقام وهو درجة أو منزلة وليس بالمعنى الخاص في مقابل الحال أي درجة السلوك في الطريق[9]. يظهر الإنسان في ثلاثة مقامات، الإنسان وخلافته في الأرض

---

(1) السابق ص258.
(2) السابق ص281-286.
(3) السابق ص273.
(4) السابق ص340.
(5) السابق جـ3/ 367.
(6) السابق جـ1/ 252/ 369 جـ2/ 251، 327، 331، 370. جـ3/ 6، 39.
(7) دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت 1993.
(8) وهي آية ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، منارات السائرين ص29.
(9) وهي: المعرفة، التوحيد، النبوة، الولاية، الإنسان، الخلافة، الرجوع، النفس، القلب، الروح.

ورجوعه إلى الله. وتشغل النفس والقلب والروح ثلاثة مقامات أخرى. والولاية والنبوة مقامان. والمعرفة والتوحيد مقامان. ويظهر المقام بالمعنى الخاص كجزء من مقام الولاية بالمعني العام مثل التقوى والزهد والصبر والرضا والمحبة. كما تبدو بعض الموضوعات الخلقية مثل الرذائل في مقام النفس مثل الكبر والمرض والحسد والشهوة والغضب والبخل والحقد. وتختفي الأحوال .وتغلب الموضوعات النظرية مثل النفس والقلب والروح على الموضوعات العملية مما يدل على التوجه نحو التصوف النظري. وتُوضع القسمة الجديدة المفصلة في بداية الكتاب مما يدل على وعي بمبدأ البنية التجزئية الجديدة .وكان الدافع إلى التأليف طلب أحد الأصحاب تصنيف كتاب يشرح مقامات العارفين وكرامات السالكين ومنازل السائرين ومراحل الحائرين لفائدة المبتدئين[1]. والمعرفة والتوحيد، المقامان الأولان للعوام والخواص وخواص الخواص. ومقام الإنسان مستمد من إخوان الصفا والتقابل بين الإنسان كعالم صغير والكون كإنسان كبير. والجديد في المقام السادس عن خلافة الإنسان في الأرض العودة إلى الإحساس بالمسؤولية عن العالم والالتزام بقضاياه، وتحمل الأمانة أو الرسالة. في الظاهر مقامات وأحوال طبقا للعنوان، وفي الباطن نظرية الفيض المستمدة من الفلاسفة. فقد عادت المقامات والأحوال إلى لحظتها الأولى في أنها جزء من العلم وليست جزءاً مستقلاً عنه. لذلك يذكر «الحكيم» و «السماع الطبيعي»[2].

5 ـ «كتاب فيه ما فيه» لجلال الدين الرومي (672هـ)[3]:

وهو نموذج للنص الذي تتناثر فيه البنية. إذ يضم واحداً وسبعين موضوعاً متفرقاً. يمكن إعادة تصنيفها في موضوعات التصوف الأخلاقي مثل: الدنيا والآخرة، والفقر والغنى، والخير والشر، وبعض الموضوعات في التصوف النفسي في المقامات والأحوال مثل المحبة وما يتعلق بها من العشق والشوق والسكر والرضا والشكر. وبعض موضوعات الطريق مثل الذكر والبلاء والجهاد. وبعض موضوعات التصوف النظري مثل الحق وتجلياته وعلاقة الإنسان به، والخلق وعهد

(1) منارات ص28-29.

(2) السابق ص232.

(3) دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق 2002م.

﴿أَلَسْتُ﴾ والتراب واليم والبحر وآدم. وبعض أمور المعاد مثل الموت والروح والجسد والجنة والنار. وبعض موضوعات المعرفة مثل الإيمان والكفر والظاهر والباطن والكشف والتجلي، ورؤية الأشياء كما هي، واليقين والنظر والمناظرة والنبوة والقرآن والرسالة والتأويل. والعنوان عبارة من ابن عربي. في الظاهر تحصيل حاصل «فيه ما فيه». وفي الباطن قانون الهوية للأشياء. وعناوين الفصول الواحد وسبعين إما آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو صور فنية[1]. وهو كتاب نظري لشاعر ولو أن أسلوب النثر يغلب عليه الطابع الشعري. ويتذوق الشاعر الشعر العربي للمتنبي وغيره من الشعراء. فالتجربة الصوفية تجربة شعرية. وقد جمع القرآن بين التجربتين. والتجربة عربية بأسلوب أدبي راق وكأن النص مكتوب أصلاً بالعربية. ويعتمد الكتاب على عديد من الأدلة النقلية، الشعر ثم القرآن ثم الحديث[2]. وبعض الفصول آيات وأحاديث مثل «الفتوحات». لا يهم السند في الحديث بل المتن. فقد بعُد العهد عن تدوين الحديث. ولا يذكر الرسول بل المتن فقط كمطلق. ما يهم الشاعر هو النص كتجربة شعرية له أبعاده الجمالية سواء كان من القرآن أو من جوامع الكلم من الحديث وليس رواية أو حكاية. ولا يكاد يخلو موضوع من آية أو حديث أو بيت شعر باستثناء القليل[3]. وما وجد منها قصص خيالية ومواقف أدبية. وهي البنية التي يزدهر فيها الفكر الديني عامة والتجارب الصوفية خاصة. كما تذكر أحاديث حوارية بين الرسول والخضر وكأن الرسول وليٌّ من الأولياء[4]. وكثير من المتون رموز مثل أقوال الصوفية[5]. وقد تذكر بعض الأقوال دون قائليها مثل ذكر المتن دون السند. فالمهم هو النص

(1) الأبواب التي عناوينها آيات (5)، والتي عناوينها أحاديث (6) الأبواب التي عناوينها صور فنية وتشبيهات مثل: المخاض الموصل، عرائس الأسرار، البحر والزبد، ماء الحياة، شيخ اليقين، أرض الله واسعة، لا يكون نقش دون نقاش، هذه القطرة من ذلك اليم، القرآن ديباج ذو وجهين، الشكر صيد للنعم، النطق شمس لطيفة، شعاع، الغنى، المعلم والصانع، جري الحصرم إلى سواد العنب، نفائس الكنز. . . .الخ.

(2) الأشعار (137)، الآيات (135)، الأحاديث (35).

(3) «كتاب فيه ما فيه، الحكايات» ص43-44/ 49-50/ 52/ 65-66.

(4) السابق، الحكايات ص111.

(5) السابق ص116.

وليس صاحبه، والقول وليس مؤلفه[1]. تتوالى الأحاديث في دفعات كطلقات مدفع رشاش. ويذكر حديث قدسي واحد يساعد على إثارة الخيال الشعري. ويروي عن الخضر، إمام الصوفية والتأويل[2]. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل البسطامي الذي أخذ أحد أقواله عنوانا لفصل[3]. ويعتمد على تاريخ الأديان المقارن وحكايات عيسى ومريم وبعض حكايات المجوس عن أهرمان وأرمزدا[4]. وأحياناً يعتمد على تحليل التجارب. فالتجارب الشعورية أساس التجربتين الصوفية والشعرية[5].

6 ـ «طهارة القلوب والخضوع إلى علام الغيوب» للدريني (697هـ)[6]:

وتتناثر البنية الرئيسية للتصوف، الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» إلى ثلاثين فصلاً كما حدث في «عوارف المعارف»، في موضوعات التصوف. كل موضوع مستقل بذاته ليبدأ بالبسملة والحمدلة. تتداخل فيها الفضائل من التصوف الخلقي كالإيمان والثناء والذكر والفكر والتقوى مع موضوعات الفقه الخلقي مثل ذكر شعبان وقدوم رمضان والاجتهاد مع المقامات والأحوال في التصوف النفسي، المقامات مثل التوبة والفقر والمحبة أو الأحوال مثل الخوف والرجاء أو في التصوف النظري مثل أمور المعاد، القيامة والوعيد والجنة أو في التصوف العملي في الطريق مثل العمل والعبودية والفرار إلى الله والاصطبار والمراقبة والإنابة والحذر والدعوة والدعاء وفضل أمة محمد. وهذا هو سبب التأليف، مجرد جمع مادة للانتفاع بها دون رؤية خاصة[7]. وتكثر فيه الأدلة

---

(1) السابق ص105.

(2) السابق ص190.

(3) من الصوفية يذكر أبو نعيم الأصفهاني (2)، الترمذي، سرزي (1). ومن الفقهاء أبو حنيفة (1)، الخضر (3).

(4) السابق ص54/ 89/ 139/ 190/ 331.

(5) السابق ص235.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(7) «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل. جمعتها ما بين آيات مفسرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة عن السلف الصالح، ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين. . .»، السابق ص8.

النقلية، القرآن والحديث والشعر[1]. وتدخل الإسرائيليات والاقتباس من الكتب المقدسة السابقة[2]. وأخبار المعجزات روايات وليست أقوال مباشرة. وهي أضعف من الأقوال المباشرة. كما يعتمد على الصحابة وأقوال الصوفية. فالصوفية استئناف للصحابة. يتقدمهم ذو النون ثم الحسن البصري والجنيد وسفيان الثوري ثم يحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وغيرهم[3].

والنصف الأول من العنوان «طهارة القلوب» يوحي بالعودة إلى التصوف الخلقي. والنصف الثاني «الخضوع إلى علام الغيوب» بالعودة إلى التصوف النفسي أي نهاية التصوف النظري. ولمزيد من التشويق ظهر العنوان في المنام مثل علم المأمون و «موافقات» الشاطبي[4]. ويتكون من ثلاثين فصلاً متناثرة الموضوعات بلا نسق. وفي آخرها «فصول تضرع نختم بها الكتاب»[5]. وتختلط موضوعات التصوف الخلقي مع موضوعات التصوف النفسي مع موضوعات التصوف النظري. ويحل الإيمان والثناء والذكر والفكر وذكر النبي محل نظرية العلم[6]. ثم يظهر الاغتراب في الأخرويات، القيامة والوعيد والجنة[7]. ثم تظهر موضوعات التصوف النفسي، المقامات مختلطة بالأحوال، المقامات مثل التوبة والعبودية والمحبة، والأحوال مثل الخوف والرجاء[8]. وتظهر موضوعات التصوف الخلقي مثل التقوى والأسف والمراقبة والإنابة والحذر والفقر[9]. وتظهر موضوعات الفقه والأخلاق والمعاني الباطنية لشعبان ورمضان وليلة القدر ووداع رمضان مثل الاستعانة

(1) الآيات (444)، الأشعار (136)، الأحاديث (135)، القدسية (3).
(2) الإسرائيليات، طهارة القلوب ص85-86.
(3) ذو النون (5)، الحسن البصري، الجنيد، سفيان الثوري (3)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم، الفضيل بن عياض، أبو الدرداء، حاتم الأصم (2)، أبو طالب المكي، التستري، رابعة، ابن عيينة، النيسابوري، البرقاشي، الكسائي، الروزباري، البسطامي.
(4) «وإنما سميته بهذا الاسم لأني لما أكملته رأيته في المنام. وهذا الاسم مكتوب عليه بخط غليظ فسميته بذلك»، طهارة القلوب»، جـ1/ 8-9.
(5) السابق جـ2/ 246-276.
(6) الفصول جـ1/ 1-5.
(7) الفصول جـ2/ 6-8.
(8) الفصول 9-11/ 18-24/ 26.
(9) الفصول جـ1/ 12/ 22.

والاجتهاد والفرح[1]. وأخيراً تظهر موضوعات الطريق مثل القلوب والدعاء والتضرع[2]. وأخيراً تظهر موضوعات توحي بأزمة العصر مثل الإسلام وفضل أمة محمد أي مصير الإسلام ودور الأمة في التاريخ ومكانتها بين الأمم[3]. والفصول منفصلة عن بعضها البعض وكأنها وحدات مستقلة يبدأ كل منها بالبسملة والحمدلة والأدعية والابتهالات وليس فقط في مقدمة الكتاب كله. وسبب التأليف المنفعة وليس العلم، الهداية وليس النظر، النصيحة وليس التفكير. وهي من خصائص التصوف العملي[4]. وهو تجميع من مصادر عدة. وهي سمة التأليف المتأخر قبل الشروح والملخصات[5]. وبعض الكتب مجهولة. وأعلام الصوفية قليلة أشهرها الجنيد وذو النون.

تعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواقعية التي قالها الرسول في حياته والخيالية التي قالها الرسول في منامات الصالحين أو مع الأنبياء في الملأ الأعلى أو في حوار مع الله كما هو الحال في الأحاديث القدسية الطويلة[6]. فطغت الأدلة النقلية. وقلت الأدلة العقلية إلى الحد الأدنى إلا من بقايا قسمة[7]. وتمتلأ بالكونيات الخيالية[8]. ومعظمها مستمدة من الإسرائيليات وأساطير الخلق والكتب المقدسة السابقة مثل التوراة[9]. وبعض المرويات بلا أسانيد لأنها ضعيفة أو موضوعة يكفي ذكر «وروي»[10]. والشعر كثير. فالشعر ديوان العرب. وهو الذي يعود في لحظة الضعف الحضاري باعتباره ثقافة العرب الأولى.

(1) الفصول 13-17.

(2) الفصول 19-21/ 25/ 30/ فصول تضرع يختتم بها هذا الكتاب.

(3) الفصول 28-29.

(4) «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل»، طهارة القلوب جـ1/ 8.

(5) «جمعتها ما بين آيات مقرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة على السلف الصالحين، ونظم من كتب الأئمة العاملين»، السابق جـ1/ 8/ 40.

(6) السابق جـ1/ ص92.

(7) السابق جـ1/ ص45.

(8) السابق جـ1/ ص47-52.

(9) السابق جـ1/ ص39-40.

(10) السابق جـ1 / ص49.

7 ـ «محبة الله تعالى» عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني (728هـ) وابن القيّم الجوزية (751هـ) للراوي[1]:

وهو نوع من التأليف يقوم على تجميع النص من عدة مؤلفات حول موضوع واحد مثل المحبة عند ابن تيمية وابن القيم. وهو نوع من تناثر البنية عن طريق التجزئة ثم اختيار أحد الأجزاء والتأليف فيه بالعمق وليس بالعرض. يقوم على تجميع الفصوص من عدة أعمال سابقة أو فتاوى. فهو تأليف مصطنع عبر المؤلفات وليس مؤلفاً واحداً، وتجميع من نفس المدرسة السلفية[2]. والغرض إثبات أنه لا تعارض بين الفقهاء والصوفية في الحب بين ابن حزم في «طوق الحمامة» وابن الفارض في «التائية الكبري» أو ابن عربي في «ترجمان الأشواق». تغلب على نصوص ابن تيمية الأدلة النقلية من القرآن والحديث وأقلها من الشعر[3]. وتظهر بعض الإسرائيليات حتى عند أهل السلف بعد أن أصبحت أخباراً أو أثاراً متناقلة[4]. والعودة إلى النص الواضح المباشر أفضل من التحليلات النظرية العويصة على الفهم عند الفلاسفة والمتكلمين والصوفية. لذلك يغيب التحليل العقلي. ويغيب الاستشهاد بأقوال الصوفية إلا القليل منهم مثل إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وسليمان الداراني ومعروف الكرخي.

ويخاطب ابن القيم القارئ خطاباً مباشراً. يعطي تعريفات للمحبة[5]. ويظل التوحيد ملاذ المحتاجين[6]. ويعتمد أيضاً على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر[7]. كما يستشهد ببعض الإسرائيليات[8]. ومن الصوفية يذكر يحيى بن معاذ

(1) دار الكتب العلمية، بيروت ط2. 2006-1427.

(2) مثل: فتاوي ابن تيمية (الجزء العاشر) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، «الجواب الكافي»، «معارج السالكين»، «إغاثة اللهفان، «في طريق الهجرتين» لابن القيم.

(3) الآيات (570)، الأحاديث (116)، القدسية (5)، الأشعار (1).

(4) محبة الله ص113.

(5) السابق ص222-228.

(6) السابق ص22.

(7) الآيات (317)، الأحاديث (120)، القدسية (3)، الأشعار (75).

(8) محبة الله ص240.

ثم ذو النون وسليمان الداراني وسمنون[1]. وتظهر القسمة الفلسفية كنوع من الدليل العقلي[2].

8 ـ «آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» في الكاشاني (730هـ)[3]:

والعنوان نفسه بالرغم من أنه مصطنع يدل على التحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وتحتوي على إحدى وعشرين رسالة يمكن تجميعها في ثمان موضوعات ابتداء من الموضوعات النظرية الخالصة في الكلام والفلسفة والعلم إلى الموضوعات العملية الخالصة مثل سلوك الطريق وآداب الشيخ والمريد[4]. فمن علم الكلام تظهر موضوعات التراث والصفات، والقضاء والقدر والمعاد. ومن الفلسفة تظهر موضوعات النفس والبدن، والجوهر والأعراض، وفلسفة التاريخ من خلال دورات الأفلاك وقصص الأنبياء. ومن التصوف تظهر موضوعات المعرفة مثل الغيب والشهادة، والعرفان، والحقيقة في العلم الاستدلالي، علم العربية، وبعض العلوم النقلية القرآن والحديث. ومن موضوعات التصوف الصلة بين الحق والعبد، وجميع الموجودات مرايا لله، وتصوير المحبوب تصويراً حياً، وطرق السالكين، وآداب الشيخ مع المريدين. فالكاشاني نقطة تحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي.

---

(1) يحيى بن معاذ (2)، سلمان الداراني، ذو النون، سمنون (1).

(2) محبة الله ص198.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1426هـ.

(4) الموضوعات النظرية: أ- الكلام مثل: رسالة في القضاء والقدر- الرسالة المعادية، رسالة في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما. ب- الفلسفة مثل: في سبب تعلق النفس بالبدن، في شرح مسألة البسائط والأعراض، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام حـ- التصوف: السوانح الغيبية والمواهب العينية، الرسالة العرفانية ومن موضوعات التصوف أيضاً، ما الرابطة بين الحق والعبد؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبوبهم، في تقييم السلاك إلى أربعة أقسام، تحفة الإخوان في خصائص الفتيان. وفي العلم الاستدلالي، تعليقة على المفصل في علم العربية. ومن العلوم علم الأحاديث: شرح حديث الحقيقة، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، رسالة في التلفيق بين الأحاديثين، رسالة في الجمع بين الأحاديثين، وعلوم القرآن مثل: فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾.

والرسائل ذات نفس قصير مما يدل على نهاية التصوف النظري من نوع «الفتوحات». أكبرها الرسائل في التصوف العملي مثل «تحفة الإخوان في خصائص الفتيان»[1]. ثم تأتي الموضوعات النظرية. ثم تعود الموضوعات العملية بعد ذلك. وتعتمد الرسائل على الآيات والأحاديث والأشعار[2]. كما تعتمد على بعض المصادر المدونة والاقتباسات منها وضع علامة «انتهى»[3]. وفي العصور المتأخرة وبداية الاتصال مع الفرنجة بعد الحروب الصليبية بدأ التوجه نحو التراث الغربي مثل الإحالة إلى إمبراطور الروم دقيانوس[4].

9 ـ «روضة التعريف بالحب الشريف» للسان الدين بن الخطيب (776هـ)[5]:

ويدل هذا العمل على مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية في موضوع واحد وهو المحبة عند الصوفية أو الحب عند الشعراء. وكلاهما حب «شريف» أي الحب العذري الشهير في الأدب والغزل الإلهي الذي غناه سلطان العاشقين وإمام المحبين. يقوم على تجميع الأقوال الشعرية والصوفية عن الحب من أديب شاعر ووزير. وهذا هو سبب التأليف[6]. وهو في النهاية أقرب إلى

(1) تحفة الإخوان في خصائص الفتيان (41)، القضاء والقدر (19)، السوانح الغيبية والمواهب العينية (19)، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، الرسالة المعادية، شرح حديث الحقيقة، الرسالة العرفانية، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، في تعلق النفس بالبدن (4)، في شرح مسألة البسائط والأعراض (3)، في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما، في التلفيق بين الأحاديثين، في الجمع بين الأحاديثين، ما الرابطة بين الحق والعبد؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبوبهم، في تقسيم السلاك إلى الله أربعة أقسام (2)، في ما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾، في العلم الاستدلالي، إن جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام، تعليقة على «المفصل في علم العربية» (1).

(2) القرآن (78)، الأحاديث (28)، الأشعار (16).

(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة ص195.

(4) السابق ص14.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(6) «ولم أترك فناً إلا جمعت بينه وبين مناسبة، ولا نوعاً إلا ضخمته إلى ما يليق به ويؤدي إلى الأنوف روائح ريحانها...»، روضة التعريف ص54.

الأدب منه إلى التصوف كما هو الحال عند ابن حيان في علوم الحكمة في «الصداقة والصديق» في الحكمة الأدبية وإخوان الصفا في العروض الأدبية الشعبية[1]. يعني تناثر البنية هنا التركيز حول موضوع واحد وليس بعثرتها في عدة موضوعات أي تجزئة البنية وتعميقها. التأليف في العمق وليس في العرض. لذلك كبر الحجم. أسلوبه أدبي، يغلب عليه المحسنات البديعية. ونظراً لطول عهد الشعر العربي بالغزل والتشبيب وطول عهد الصوفية بالحب الإلهي منذ رابعة وذي النون والجنيد والحلاج حتى ابن الفارض وابن عربي فإن سبب قتل المؤلف ليس سبباً أدبياً أو صوفياً يخدش الحياء وهو يتكلم عن الحب الشريف أي الحب العذري بل بسبب الحساد أو الصراع السياسي.

يعلن عن برنامج الكتاب في المقدمة[2]. إذ يتكون من قسمين رئيسين: الأول «خطبة الأغراس وتوطئة الفراس». والثاني «الأسباب في حب اللباب». وواضح الأسلوب الأدبي الذي يقوم على تشبيه الحب بالجغرافيا، والتجربة الإنسانية بالتجربة الطبيعية في الزراعة والأرض والغرس. فالنفس والطبيعة عالم واحد كما قرر إخوان الصفا من قبل. ويضم القسم الأول مقدمة عن الأرض وأجزائها والفلاحة والعمل ومقايسة ذلك على النفس، والقلب والروح والعقل. ثم يعرض خمسة اختيارات. الأول في أنواع النفس الثلاثة، المطمئنة والأمارة واللوامة. والثاني عن العزيمة والوعظ وذم الكسل. والثالث عن العقل والنقل كماء الفلاحة. والرابع في الحرث. والخامس في تنظيف الأرض أي إزالة الشكوك. ويتضمن القسم الثاني موضوعات عدة. بعضها ينقسم إلى أصول أو فصول أو غصون أو فنون. وتعود موضوعات الباطن والشرع والعقل، والظاهر الطبع، والمحب والمحبوب وآراء الفلاسفة الأقدمين وأهل الأنوار والإشراقيين والحكماء الإسلاميين والمتكلمين وأهل الوحدة المطلقة من المتوغلين وأخيراً الصوفية[3]. وينتهي بعلامات المحبة وأخبار المحبين.

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول جـ1 العرض.
(2) السابق ص60-66.
(3) السابق ص189-190.

ويعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[1]. ويذكر من الأعلام الفلاسفة وفي مقدمتهم أرسطو والشيخ الرئيس الفارابي وابن رشد وابن طفيل والمتكلمين وأقلهم من الفقهاء والصوفية[2]. ومن الصوفية يذكر ابن الفارض وابن عربي وغيرهم[3]. ومن أنصار الوحدة المطلقة يذكر ابن دهاق وابن سبعين والتستري وغيرهم من الأندلسيين[4]. ومن الصوفية يذكر إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، وبشر الحافي، والحارث والمحاسبي، وداود الطائي، وشقيق البلخي، والبسطامي، والتستري والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشبي، والشبلي، وحمدون القصار، والجنيد، والحلاج، وغيرهم بالعشرات. كما يحال إلى بعض المصادر الرئيسية مثل «الرسالة القشيرية»[5]. تعرض الأعلام كلها أولاً ثم تعرض الأفكار العامة التي تجمعهم ثانياً. كما تذكر بعض مصطلحات الصوفية وأسماء الله الحسنى[6]. وتُعرض الفلسفة عرضاً نظرياً خالصاً، تلخيصاً وتجميعاً لأقوال الفلاسفة[7]. كما يُذكر العديد من أسماء الفرق والمذاهب والطوائف والملل والنحل[8].

10 ـ «سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار» للتاذتي (963هـ)[9]:

وفيه تتناثر بنية التصوف إلى أربعة وعشرين فصلاً بلا نسق خاص بل طبقاً

---

(1) الأشعار (329)، الآيات (267)، الأحاديث (31).

(2) روضة التعريف ص402.

(3) مثل: ابن سودكين الدمشقي الذي راسله ابن عربي، أبو بكر الصديق، أبو الحكم = ابن برجان، أبو الحسن بن قسي، أبو العباس البوني، السابق ص410.

(4) مثل: الشوذي، ابن مطرق الأعمي، ابن أحلي، الحاج المغربي، والجم الفقير من أهل شرقي الأندلس ووادي رفوط»، السابق ص425.

(5) مثل: أبو حامد البلخي، النيسابوري، النوري، ابن الجلاء، رويم، الدقاق، سمنون، الخراز، مسروق، الجريري، ابن عطاء الله السكندري، إبراهيم الخواص، ممشاذ، الروزباري، النهرجوري، الدنيوري، النصرأباذي...الخ، السابق ص433-434.

(6) روضة التعريف ص213-226.

(7) السابق ص402-431.

(8) السابق ص381-384.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (1) ص7-59.

لعدد حروف الشهادتين، وعدد ساعات الليل والنهار وهو سبب خرافي ساذج[1]. معظمها في التصوف العملي عن الطريق وليس التصوف الخلقي أو النفسي باستثناء مقام التوبة أو النظري مثل الإنسان والروح والذكر والفقر والطهارة والشريعة والطريقة والوجد والصفاء والخلوة والعزلة.

ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. ويستشهد بأقوال بعض الصوفية مثل البسطامي ثم يحيى بن معاذ والجنيد ثم الغزالي[3]. ويذكر التفسير الكبير للرازي، وهو أقرب الحكماء إلى الصوفية لاشتراكه معهم في الفلسفة الإشراقية. تشرئب أحياناً القسمة العقلية كبديل عن الدليل العقلي. تكثر التشبيهات في الأسلوب نظراً للتقارب بين التصوف والأدب في أساليب التعبير وفي التجارب الذاتية.

11 ـ «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري (1043هـ)[4]:

وهو من الكتابات المتأخرة. وكما يبدو من العنوان الأول الاعتماد على الحكايات المسلية والروايات المشوقة كي يكون «نزهة المجالس»، وغياب التأليف الإبداعي، والاعتماد على التجميع سمة المؤلفات المتأخرة وكما يبدو وفي العنوان الثاني «منتخب النفائس» وهو سبب تأليف الكتاب[5]. وتتحدد فقراته بعناوين دالة مثل «حكاية»، «لطيفة»، «مسألة»، «فائدة»، «موعظة».

والكتاب مضطرب في بنيته بعد تفكيك البنية الرباعية في «الإحياء»، والسادسية في «الفتوحات»، بالرغم من تخصيص مقدمة لسرد ما اشتمل عليه الكتاب من الأبواب والكتب والفصول[6]. يبدو أن الغالب هي القسمة إلى أبواب، أربعة وأربعين باباً. ينقسم بعضها إلى عدة فصول، مجموعها اثنان وثلاثون فصلاً.

---

(1) «وهذا الكتاب على أربعة وعشرين فصلاً بعد حروف كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وبعدد ساعات الليل والنهار.

(2) الآيات (139)، الأحاديث (72)، القدسية (2).

(3) البسطامي (3)، يحيى بن معاذ، الجنيد (2)، الغزالي (1).

(4) دار الفكر، دمشق (د.ت) (طبعة مصورة).

(5) «فإن النفس لها ارتياح إلى سماع القصص الملاح، وأخبار أهل الخير والصلاح فأجبتها إلى مقصودها»، نزهة المجالس جـ1/ 2.

(6) السابق ص2.

وأحياناً تبدو القسمة كتباً، كتابان: الأول في العقائد، والثاني في الصوم، وتحت كل منها موضوعات أوسع وأشمل[1]. الأول أشبه بما تبقى من البداية بعلم العقائد دفاعا عن الشبهات ضد الصوفية بالاتحاد والخروج على العقائد السنية. والثاني من بقايا الفقه وتحوله إلى أخلاق[2]. وأحياناً تبدو القسمة كلاماً، «الكلام علي»[3].

ويمكن تجميع كل هذه الأبواب والفصول والكتب والكلام غير المرقمة في موضوعات التصوف بمراحله الثلاث: الخلقي والنفسي والفلسفي[4]. ومن التصوف

(1) «كتاب العقائد وفضل الذكر وآيات منه وسور»، السابق ص6.

(2) كتاب الصوم، السابق ص151.

(3) مثل «الكلام على العرش وصفته»، السابق جـ2/ 245. «الكلام على قارون» جـ2/ 252.

(4) فمن التصوف الخلقي يظهر أولاً الإخلاص، والأدب، والتقوى، وفعل الخيرات، وذم الكبر، والغيبة والنميمة، والإحسان إلى اليتيم، وفضل الجوع وآفاق الشبع، والبر بالوالدين، والحلم والصفح عن عشرات الإخوان، والكرم والفتوة، ورد السلام، وكرم الله، وفضل الصدقة، والمعروف، وإكرام الجار، وحفظ الأمانة، وذكر النساء، وفضل العدل، واجتناب الظلم، والشفقة على الخلق، وإكرام المشايخ. بل يتجاوز الأمر إلى حسن الهندام مثل الخضاب والتسريح ثم يظهر كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور. وبدلاً من نظرية العلم يظهر الذكر وفضائل البسملة وأذكار غير القرآن وفوائدها وأذكار الصباح والمساء. كما يبرز فضل العقل وفضل العلم وأهله بالشام. وموضوعات الفقه والأخلاق مثل فضل الصلوات ليلاً ونهاراً أو متعلقاتها ومناقب السؤال وما ورد فيها من الآثار النبوية، والأذان وفضل الجمعة وليلتها وكرمها مع ذكر الدجال، وفضل الزكاة، زكاة الأنصار وهو كفها عن المحرمات. ثم يأتي الصوم، وفضل رجب وصومه، وشعبان، وفضل صلاة التسابيح، ورمضان والترغيب في العمل الصالح وما فيه عن الفضائل، وليلة القدر وفضلها، وفضل عرفة والعيدين والتكبير والأضحية، وفضل صيام عاشوراء والأيام البيض والسود، وفضل الحج وأركانه، وفضل الجهاد. وتظهر موضوعات الطريق مثل الدعاء. ثم تظهر ثقافة الموت في ذكر الموت وقصر الأمل. ويختتم الكتاب بذكر أشياء حرمها الله على النار مع ذكر الجنة. وتظهر بعض الموضوعات العلمية الطبيعية مثل الزراعة، وخلق الجنين، وخروج الماء من فم النائم. ثم يتخلل موضوع الإسراء موضوع فقهي خالص مثل تحريم الوالد أن يأكل من مال ولده بطريق غير شرعي. تبدأ بالرسول الإنساني مثل مولده ونسبه ورضاعته إلى الرسول المتخيل مثل الصلاة عليه والإسراء والمعراج وتفصيل مراكب المعراج مثل البراق من مكة إلى بيت المقدس وصلاته بالأنبياء، ثم من بيت المقدس إلى السماء ثم أجنحة الملائكة من السماء الدنيا إلى السماء السابعة ثم جناح جبريل من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى ثم الرفرف إلى قاب قوسين واجتماعه بميكائيل وإسرافيل والروح ثم الوصول إلي العرش وصفته ثم وفاته. ثم تظهر كتب =

النفسي تظهر بعض المقامات المتناثرة مثل المحبة والصبر والرضا والزهد والقناعة والتوكل والتوبة. ثم تظهر الأحوال مثل الخوف[1]. ومن التصوف الفلسفي تظهر مناقب الرسول، سيد الأولين والآخرين إيذاناً بظهور عقيدة الحضرة أو الحقيقة المحمدية[2].

وتكثر الحجج والأدلة النقلية، الآيات والأحاديث. ويرفع التناقض الظاهري بين الآيات. وتستعمل الآيات للسحر والشفاء وإحضار المنافع تعويضاً عن العجز على العلم والسيطرة به على العالم[3]. وتذكر بأسانيد عندما تكون الأحاديث من صنع الخيال مثل أحاديث الله والرسول مع الأنبياء أو في المنام. وتذكر عندما تكون أقرب إلى الصحة. كما تذكر أقوال الصوفية بأسانيدها لإثبات صدق الحكايات حول الكرامات. ويستشهد بالشعر على نحو مطرد. فالشعر ديوان العرب وذاكرتهم الجماعية والذي استطاع تدوين العلوم لحفظها بعد أن توقف الإبداع النظري. وتكثر حكايات اليهود والنصارى وتحولهم إلى الإسلام كدليل على كرامات الأولياء ومشايخ الصوفية.

سابعاً: الشروح والتعليقات والملخصات:

بعد تناثر البنية تحاول الشروح والتعليقات والملخصات لمها من جديد عن

= المناقب إيذاناً بالعودة إلى الوعي التاريخي بداية بمناقب أمهات المؤمنين من أجل إبراز فضائل النساء على عكس الحكم الشائع اليوم بتهميش النساء في التراث الإسلامي القديم. ثم تذكر فضائل الصحابة مع بعض التقديس كما يظهر في ألقابهم. فعمر سراج أهل الجنة. ثم تذكر مناقب العشرة المبشرين بالجنة ثم يُعاد ذكر أفضل النساء فاطمة. الزهراء ويتخلل ذلك الواقع التاريخي المثالي، الخيال الشعري في تزويج حواء بآدم دون دليل إلا ببعض النقل الضعيف أو الموضوع المستمد من الإسرائيليات. ثم يعاد ذكر مناقب الحسن والحسين والعباس وحمزة. ثم تذكر فضائل الآية كلها. ثم يذكر فضائل الأنبياء، إبراهيم وموسى وقارون وعيسى والخضر وإلياس. ثم يعود ذكر المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة. السابق، جـ1/ 3-6/ 78/ 94-102/ 142-151/ 196-241/ 257، جـ2 2-35/ 44-58/ 58-76/ 129-132.

(1) السابق ص35-44/ 48-78/ 241-257 جـ2/ 44-58.

(2) السابق ص2/ 87-129/ 132-265.

(3) السابق جـ1/ ص29.

طريق تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول نص عمدة يقوم بلم الشمل كخيط العقد الذي تتجمع فيه حبات الخرز. وعادة ما يكون بين المتن والشرح من قرن إلى ثمانية قرون طبقاً لأهمية النص. وأكثر النصوص شرحاً هي «الحكم» لما تتسم به من تركيز يحتاج إلى إسهاب وتطبيق. وتكون الشروح للنثر وللنظم على حد سواء. وأكثرها للنثر وقد يكشف الترتيب التاريخي للشروح عن تطور في فن الشرح كشكل أو كمضمون. كما يكشف عن مدى الفترة الزمنية بين المتن والشرح.

1 ـ شرح النثر

والشرح من حيث الشكل الأدبي نوعان شرح النثر وشرح النظم. ومن حيث الزمان شروح المحدثين وشروح المعاصرين وهناك ترتيبان زمانيان ممكنان للشروح. الأول طبقاً للنص المشروح مثل «الرسالة القشيرية» أو «الإحياء» أو «الفتوحات» أو «الفصوص» أو «الحكم» أو «البردة». والثاني طبقاً للنص الشارح مثل «الشجرة النعمانية» للقونوي أو «شرح الحكم العطائية» لزروق أو «شرح مشكلات الفتوحات» للجيلي أو «شرح الفصوص» للجامي أو «الرسالة القشيرية» لزكريا الأنصاري. . .الخ. والأول أفضل لأنه يكشف عن النص الشارح وهو المطلوب وليس النص المشروح الذي دخل من قبل في تطور المؤلفات الصوفية وبنيتها.

أ ـ شروح المحدثين: وتعني الشروح بين القرنين السابع والرابع عشر وهي الشروح التي توفي أصحابها وأهمها:

1 ـ «الشجرة النعمانية» بشرح صدر الدين القونوي (673هـ)[1]: ويبدأ عصر الشروح والملخصات من القرن السابع في شرح القونوي (673هـ) لكتاب «الشجرة النعمانية» لابن عربي(638هـ). فبين المشروح والشارح خمسة وثلاثون عاماً. فإذا كان ابن عربي هو نهاية النص الإبداعي في التصوف النظري فإن القونوي هو بداية الشرح.

ولا يعني هنا الشرح الأكبر أو التفسير كما هو الحال لدى ابن رشد في

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م - 1425هـ (1) ص19-59.

«تفسير ما بعد الطبيعة» لأرسطو فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح على مستوى اللفظ. ولا يعني أيضاً الشرح الأوسط وهي الملخصات، بداية بالنص المشروح ونهاية بالنص الشارح على مستوى المعنى، ولا الشرح الأصغر وهي الجوامع على مستوى الشيء نفسه[1]. بل يعني توضيح مضمون النص بنص جديد وبيان القصد والقراءة الكاشفة، وإعادة كتابة نص جديد. الشرح هنا يعني التأويل والقراءة كما هو الحال في علوم التأويل المعاصرة. تأليف جديد في الموضوع. وتبدو بعض الأشكال الأدبية مثل «تنبيه على أسرار عجيبة» لجذب الانتباه وتوجيه الشعور نحو كشف معين أو «تنبيه وتقرير»[2]. ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر[3]. والآيات أكثر لما فيها من تجارب أولى مباشرة[4]. وهو مرتبط بعلم الحروف أي الانتقال من الكتابة إلى الفكر، ومن الحرف إلى الوجود.

والأهم في «الشجرة النعمانية»، هي مركزية مصر، درة الدولة العثمانية وقلبها وجوهرتها. تقع بين حركات الأفلاك ودورات التاريخ والموقع الجغرافي. ويسميها أرض الكنانة كما سماها ابن خلدون «أم الدنيا»، وسماها آخرون «مصر المحروسة». ويؤمن بالمهدي كما يفعل الشيعة في الزمان، وأهل السنة في نهاية الزمان[5].

2 ـ شروح الكاشاني (730هـ):

أ ـ «شرح فصوص الحكم»[6]: وهو شرح يقوم كالعادة على تقطيع النص المشروح، فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو أحياناً لفظة لفظة. وقد يطول النص المشروح أو يقصر. ويعتمد الشرح أحياناً على اللغة، المعنى الاشتقاقي والمترادفات والبحث عن معاني الألفاظ. فالشيطان من الشطط والانحراف. ويميز تحليل العبارة بين الجملة الرئيسية والجملة الاعتراضية[7]. كما يوضع اللفظ أو

---

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ1، جـ3 الشرح.
(2) الشجرة النعمانية 56/ 75.
(3) الآيات (16)، الأحاديث (1)، الأشعار (2).
(4) بالمعنى الألماني للفظ Urfahrung.
(5) الشجرة النعمانية ص58-59.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت.
(7) السابق ص6-7/ 9/ 217/ 226.

العبارة في السياق. ويقوم بالربط بين الأجزاء[1]. ويستعمل أسلوب التعليل خاصة العلة الغائية بالجمل الشرطية، فعل الشرط وجواب الشرط[2]. ولا يكون الشرح لكل لفظ وعبارة إلا إذا استدعى الأمر. فهناك عبارات غنية عن الشرح. يكفي فيها ظاهر الكلام[3]. ولا يستفاض في الشرح[4]. والأسلوب محكوم بالمحسنات البديعية طبقا لهذا العصر المتأخر، القرن الثامن. وهناك بعض الألفاظ المعربة من الفارسية مثل «الانمونامج» أو «الانموذناج» أي النموذج[5]. ويشير إلى نسخ أخرى إذا ما تعددت القراءة كاحتمال لتفاوت المعاني[6]. ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، والرد على الاعتراضات[7]. وسبب التأليف هو طلب بعض الأصدقاء وأحد المبرزين منهم دون كتمان شيء من الكنوز[8].

ويبدأ بثلاث مقدمات نظرية عامة تضع الشرح في إطاره النظري الكلي وهي «أصول فصول الحكم». الأولى في تحقيق حقيقة الذات الأحدية، حقيقة الحق، وهو الوجود اللا متعين. والثانية بيان حقائق الأسماء ولا تناهيها. والثالثة بيان الشأن الإلهي والأمر التدبيري الدوري المسمى بلسان أهل الذوق البرزخ بين أحكام

---

(1) السابق ص86.
(2) السابق ص8-9/ 16.
(3) «وهذا غني عن الشرح» السابق ص102/ 143/ 175/ 195. «وهذا ظاهر الكلام»، السابق ص257. «هذا كلام ظاهر اللفظ والمعنى»، السابق ص160.
(4) السابق ص25/ 172/ 174/ 203/ 280.
(5) «وهذا القدر كاف»، السابق ص236.
(6) السابق ص252.
(7) السابق 10-11/ 206.
(8) «أقبل عليّ جماعة من إخوان الصدق والصفا وأرباب الفتوة والوفا من أهل العرفان والتحقيق ومن أيدته العناية بالتوفيق خصوصاً كالصاحب المعظم العالم العارف الموحد المحقق شمس الملة والدين قدوة أرباب اليقين محمد بن مصلح المشتهر بالتبريزي متعه الله بما فيه وأطلعه على خوافيه أن أشرح لهم كتاب «فصوص الحكم» المنسوب إلى الشيخ الكامل المكمل البحر الخضم محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بأبن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي قدس الله روحه وكثر من عنده من فتوحه، شارطين عليّ أن لا أكتم شيئاً من جواهر كنوزه وأبرز ما أمكن من مفصلات مخفياته ورموزه. فأسعفتهم إلى ملتهم. وحذفت عنان همتي إلى تسهيل مقتبسهم مجتهداً في حل ألفاظ الكتاب بقدر ما يسر الله لي من فهم ما هو الحق والصواب. . . » السابق ص2-3.

الوجوب والإمكان[1]. والشرح بوجه عام يزيد فيه التحليل النظري على الشواهد النقلية. ومن التحليلات النظرية شرح العلاقة بين الحكمة والنبوة كما هو الحال في عناوين «الفصوص المتقابلة» مثل «حكمة إلهية» في كلمة آدمية «لإيجاد العلاقة بين الإثنين في أول كل فصل كمدخل نظري. ويشرح القسمة النظرية ويؤصلها مع بعض الحدود المنطقية[2].

ويعتمد الشرح على التجربة الصوفية للشارح. وبالتالي فهو لا يشرح نصاً خارجياً بل يقرأ نصاً داخلياً مثل شروح ابن رشد على أرسطو[3]. ويستفاض في نبوة خالد بن سنان مع الحديث الشهير «حبّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[4]. ويُفصل موضوع النكاح باعتباره رمزاً للوحدة. ويُسهب أيضاً في قصة موسى والخضر، الظاهر والباطن[5]. وكل عبادة لها ظاهر وباطن مثل الحج[6]. وهو ما أفاض فيه ابن عربي من قبل في «الفتوحات». كما يعتمد الشرح على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر[7]. ويستعمل القرآن والحديث أيضاً استعمالاً حراً داخل الأسلوب لتقويته. وتتكرر بعض الشواهد الشعرية[8]. ويحيل على بعض الصوفية السابقين المذكورين في النص المشروح أو في النص الشارح[9]. ويأتي في المقدمة الجنيد ثم البسطامي ثم الغزالي والترمذي والأصمعي. كما يعتمد على الشراح السابقين[10]. وتذكر بعض الفرق الإسلامية مثل المعتزلة والأشاعرة والصوفية أو أهل التصوف والاشراقيون. ومن الوافد يظهر أغاثاذيمون[11].

---

(1) السابق ص3-4/ 123.
(2) السابق ص30-141.
(3) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح.
(4) شرح فصوص الحكم ص265/ 272.
(5) السابق ص257-261.
(6) السابق ص268.
(7) الآيات (188)، الأحاديث (34)، الأشعار (6).
(8) شروح فصوص الحكم ص63/ 130.
(9) الجنيد (3)، البسطامي (2)، الأصمعي، الغزالي، الترمذي (1).
(10) السابق ص16.
(11) المعتزلة، الأشاعرة، الصوفية، اهل التصوف، الإشراقيون، أغاثاذيمون (1).

ب ـ **«كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر»**[1]: وهو شرح لتائية ابن الفارض، شرح للنظم بالنثر، بيتاً بيتاً أو مجموعة مجموعة بعد تقسيم القصيدة إلى موضوعات في أقسام وفصول. القسم الأول «في المعارف». ويشمل خمسة فصول: معرفة الذات والصفات والأفعال، ومعرفة العالم على الإجمال، والروح والنفس، والإنسان وخلافته، والنبوة والولاية. والثاني «في المواجيد». وتشمل خمسة فصول في المحبة والسكر، والوجد والوجود، والجمع والتوحيد. المعارف في الفلسفة، والمواجيد في التصوف. وهو ما يوحي به العنوان كشف وجوه المعاني. وهو شرح فلسفي نظري خالص. يشرح الشعر بالشعر، والقرآن بالشعر. يعتمد على القرآن والحديث والشعر أكثر من الاعتماد على أقوال الصوفية[2]. يتقدمهم الشبلي ثم الحلاج والدقاق والسهروردي. ومن الأصوليين الآمدي. ومن الأنبياء عيسى[3].

3 ـ شرح ابن عباد الرندي على الحكم(792هـ)[4]: وكما حدث في علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة شرح المتأخرون المتقدمين نثراً وشعراً. وكان أشهر الشروح للفصوص التكوينية المفصلية مثل «الرسالة القشيرية» و«الإحياء»، و«الفتوحات»، و«الحكم العطائية». كان الغرض من شرح ابن عباد الرندي هو إثبات أن «الحكم» في التوحيد مع أنها وصايا ومواعظ للمريدين. فالتوحيد عملي وليس نظرياً. وهو أفضل ما صنف في التوحيد لصغر حجمه، وعظم دلالته، وحسن عبارته. يبين طريق العارفين ومناهج السالكين. يعني الشرح. هنا «التنبيه» على بعض المعاني الظاهرة[5]. ولا يستطيع الشرح أن يكشف كل شيء ولا بيان كل شيء اشتمل عليه النص المشروح. فكلام الأولياء مليء بالأسرار التي لا يمكن بيانها. ولا يدعي الشرح أنه قادر على بيان قصد المؤلف أو مذاهب الأولياء بل هو شرح طبقاً للاجتهاد والطاقة. والمنهج هو تقديم النص

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(2) الآيات (88)، الأحاديث (19)، القدسية (4)، الأشعار (14).

(3) الشبلي (3)، الحلاج، أبو علي الدقاق، السهروردي (شهاب الدين) (1)، ومن الأصوليين الأموي (1).

(4) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م - 1358هـ.

(5) السابق جـ1/ 2-3.

المشروح ثم إلحاقه بالنص الشارح كما هو الحال في كتب التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، الشرح الكبير. وشرط الشرح أن تكون العبارة الشارحة أوضح من العبارة المشروحة حتى تتم الفائدة خاصة مع تداخل المعاني والفروع والمباني. وقد كان الشرح بناء على طلب الأصدقاء أي التعبير عن رغبة لدي القراء. والسؤال هو: هل تحتاج «الحكم» العطائية لشرح وهي واضحة وأقرب إلى الأسلوب الأدبي التعبيري؟ يعني الشرح هنا إعطاء التطبيقات العملية للوصايا النظرية، وبيان المناسبات التي يتحقق فيها. فهي تثير في النفس انفعالات عدة في مواقف متباينة وبالتالي تسمح بتعدد الشروح واختلاف التفسيرات طبقاً لمدى عمق شعور الشارح. يتحول النص إلى تجربة، ثم تتحول التجربة إلى نص. فالنص تجربة مدونة. والتجربة نص قبل التدوين.

وقد يطول الشرح أو يقصر طبقاً لإفاضة الشارح وملأ شعوره بالانفعالات بالحكم ومدى إثارتها للخيال. كما يتم شرح الألفاظ والمصطلحات الصوفية مثل لفظ «الأسباب». ويشرح الجزء بالكل إما داخل سياق «الحكم» أو بالإحالة إلى باقي مؤلفات ابن عطاء مثل «التنوير في إسقاط التدبير» و «لطائف المنن». ويشرح نفس النص أكثر من مرة حتى يتضخم الشرح. ويستعمل النص المشروح كمشجب أو علاقة لإضافة مادة جديدة عليها. فالغاية ليس شرح النص بل إضافة معلومات عليه. ولا تقطع الحكمة إلى أجزاء، ولا تقسم إلى ألفاظ أو جمل يشرح كل منها على حدة كما تفعل بعض الشروح اللغوية. بل ترتبط الحكم ببعضها ببعض في سياق متصل حتى يتم تجاوز الانقطاع بين الحكم وتواليها وكأن كلاً منها موضوع مستقل. ولا تقطع الحكمة إلا إذا طالت[1]. لذلك يخلو الشرح من الفهرس بالرغم من محاولة الناشر إكمال ذلك.

وتأتي مادة الشرح من الأمثلة والمواقف العملية على صدق «الحكمة»، وإيجاد التجارب الشعورية المطابقة لها. كما تأتي من مزيد من الأدلة النقلية والنفسية ومزيد من الشواهد الشعرية. وتذكر الأسانيد لإيجاد مادة إضافية للشرح بالرغم من ضعفها. وتتكرر أكثر من مرة في أكثر من مناسبة. كما تستعمل مؤلفات

(1) السابق ص19-20.

الصوفية السابقين ويحال إليهم مثل «الإحياء»[1]. ويقتبس منها ووضع لفظ «انتهى» كعلامة على نهاية الاقتباس. وتأتي المادة من حكايات الصوفية ورواياتهم عن الكرامات والأولياء، وكل ما يستثير الذهن، ويستدعي الخيال. ويتم التركيز على المقامات والأحوال عصب التصوف وليس الطريق. كما يستعان بالإسرائيليات في قصص الأنبياء في كثير من الحوارات بين الله والملائكة والأنبياء من خلال الأحاديث القدسية. وقد شرحها أيضاً شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي على سبيل الاختصار من أجل نفع المريدين[2].

4 ـ شروح عبد الكريم الجيلي (826هـ):

أ ـ شرح مشكلات الفتوحات المكية»[3]: وهو شرح للباب 559 فقط. عبارة عبارة. قسمه إلى عشرة أبواب أقرب إلى الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح. ويعتبر النص المشروح أعظم نص صوفي[4]. ويحصل صاحب النص المشروح على أكبر قدر من الألقاب: الولي الأكبر، القطب الأعظم الأفخر... الخ[5]. والدافع على الشرح هو إسهاب كتاب «الفتوحات» وإطالته مع أنه يتناول حقائق الأشياء. لذلك لزم بيانها وشرحها وتأويلها بدلاً من العجز عن تحصيله أو عدم معرفة معناه[6]. ومفتاح الكتاب هو هذا الباب 559 الذي جمع

---

(1) السابق جـ2/ 52.

(2) «هذه تقييدات لطيفة على حكم العارف بالله سيدي أحمد بن عطاء الله قدس سره. وقصده بها في الغالب خطاب المريدين الصادقين وترقيهم إلى مكان العارفين. فينبغي لنا أن نقتصر على بيان مقصوده بقدر الإمكان، «شرح الشرقاوي على الحكم» جـ1 ص2.

(3) دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت، 1999.

(4) «أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعاً، وأكثرها لغرائبه وعجائبه جمعاً، وأجلها إحاطة ووسعاً. تكلم فيها بألسنة كثيرة، وأفصح عن معاني غريبة وخطيرة. فصرح تارة عن حاله، ورمز أخرى عن حال، وأفصح طوراً عن مقصود، وأدمج أخرى في المقال»، السابق ص87.

(5) «الولي الأكبر»، والقطب الأعظم الأفخر، مظهر الصفة العلمية، ومجلى الكمالات العينية والحكمية، لسان الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع التابع لآثار الشريعة.. قدس الله سره، وأعلى عنده مقامه...،» السابق ص87.

(6) «ولم يزل.. يتكلم في هذا الكتاب على حقائق الأشياء حتى آل به الأمر إلى الإسهاب والإطناب فعثر على الأكثرين تحصيله. وفات عن الغالب معرفته وتأويله. وصار الناس فيه بين أحد رجلين: رجل عجز عن تحصيل الكتاب وعن انتوال الفائدة منه وخاب، =

الرموز والأسرار[1]. فكان الشرح اتِّباعاً لترتيبه من أجل فهم المعنى وطرق الاستدلال واكتشاف حقائق الأشياء[2].

وبتحليل أفعال القول يتضح أن الغالب هو «قال الشيخ» وهي نفسها صيغة الشرح الأكبر في «تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد «قال أرسطو». تأتي أفعال مثل «تكلم»، «أراد» تبين الإرادة والقصد. ثم تأتي أفعال بيان المعنى مثل «يعني»، «بين»، «أشار»، «نبّه»، «جمع»... الخ[3]. ثم تأتي أفعال وأسماء إشارة وحروف للدلالة على السبب[4]. فالشرح تعليل كما هو الحال في علم أصول الفقه. ثم تأتي حروف العطف مثل «لما» لبيان عناصر الربط بين المعاني والموضوعات، وطرق الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج في عدة صياغات مثل «ولما فرغ»، «ولما بين»، «ولما تحقق»، «ولما لاح هذا المعنى»...الخ. كما يعني الشرح البحث عن الأدلة وبيان منطق الاستدلال في «والدليل على ذلك». فالشرح نظرية في البرهان. ويتم الشرح على مستوى اللفظ مثل شرح لام التعليل، أو على مستوى المعنى والبيان، أو على مستوى الشيء نفسه بإيجاد المرادف له وهي العبارات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال كما هو الحال في «المقتطفات»

= ورجل حصّل وعجز عن معرفة ما أراد الشيخ من كتابات عجيبة، وإشارات غريبة، فانقطع بالكلية عن درك علمه لأنه يختار عقل كل فاضل ولبيب في حل مشكل ذلك الرمز الغريب»، السابق ص87-88.

(1) «لكنه... صرح بأنه جمع معاني العلوم المبسوطة في ذلك الكتاب. وجعلها مرموزة في الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من الأبواب وكف ذلك النشر، وأدمج ذلك العلم الكبير القدر الكثير الفخر على وضعه العجيب وأسلوبه الغزير الغريب. فانغلق بالكلية فهم ما جعله ذلك الباب على كثير من أولي الألباب».

(2) «فقصدت بشرح هذا الباب المخصوص، حل جميع مشكلات الكتاب. واختصرت في الكلام لئلا يفضي إلى الإسهاب والإطناب وسميته «شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية». غير أني سأتحفه تهذيباً، وأجعله على أسلوب الكتاب ترتيباً...»، السابق ص88.

(3) تكرار الأفعال: قال (11)، تكلم (4)، أراد (3). يعني (3)، أشار ونبه، نبه، سمّى، عبر، كنّى، صرح (1)، ولهذا قال (4)، ولهذا (3)، سبب ذلك (2)، ولأجل ذلك. ولذلك (1)، ولما فرغ (5)، ولما بين، ولما تحقق، ولما لاح، وبعد هذا (1)، والدليل على ذلك (1).

(4) مثل: وأطلق لفظ الحقيقة.

الأخيرة[1]. وهو الشرح الموضوعي[2]. ويبين الشارح قصده بأفعال «أردت»، «قصدت». وينبه القارئ على شرحه بأفعال «واعلم»، «أنبهك»، «يجب عليك»...الخ[3]. ومادة الشرح الأساسية هي القرآن، وإرجاع النص المشروح إلى المصدر الأول الذي خرج منه. وتتجاوز الآيات بمراحل الأحاديث والأشعار[4]. ويحيل الشارح إلى بعض مؤلفاته لاستكمال الموضوع[5]. ثم يكتشف الشرح القسمة العقلية للموضوع ويعددها محيلا النص المشروح إلى العقل لاكتشاف بنيته[6]. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الحلاج[7].

ب ـ «الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار»[8]: وهو شرح على «رسالة الأنوار» لابن عربي، المتن أعلى الصفحة، والشرح أسفلها، أسوة بتفسير القرآن. ويقطع فيها المتن. ويتم الشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة كما هو الشائع. الغرض منه الدفاع عن ابن عربي ضد منتقديه. فهو شرح دفاعي. يثبت أن أقوال الصوفية لا تخالف الكتاب والسنة أكثر من اختلاف المذهب الأشعري أو اتفاقه معها بالرغم من اختلاف وسائل المعرفة، الكشف عند الصوفية، والبرهان عند الأشاعرة. ومن ثم لا يجوز محاربة أولياء الله وإلا كانت عداوة للرسول. لذلك أخطأ من ردوا على ابن عربي وهم كثر[9]. والمقدمة نظرية طويلة عامة تتعلق بالمعرفة. فالله يبصر الأشياء وهي معدومة العين. كما أن صفة العلم غير صفة البصر. أما بالنسبة للإنسان فالتكاليف الشرعية مطابقة للحقيقة تمام المطابقة، ومن ثم شرعية من يريد الخروج إلى الجناب الأقدس والوصول إلى

---

(1) شرح مشكلات الفتوحات ص136-153.

(2) الموضوعي Thematic. انظر دراستنا Thematic interpetation Islam in the modern world, Ipp, 484 - 543 rpr method of.

(3) أردت، قصدت (1). اعلم (3)، انبهك (2)، يجب عليك (1).

(4) الآيات (68)، الأحاديث (1)، الأشعار (1).

(5) الإحالة إلى كتاب «الناموس الأعظم»، شرح مشكلات ص128.

(6) «الناموس الأعظم» السابق ص95-96 (أنواع الحروف) ص126 (أنواع الأجسام).

(7) السابق ص115.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2004-1425هـ.

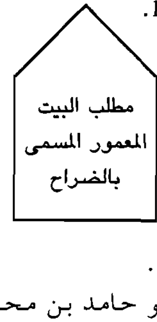
(9) السابق ص24-25.

غايته. وقد رأى الشارح هؤلاء السالكين في طول البلاد وعرضها. الوصية إذن عدم مجادلة فقهاء الشريعة، والاعتقاد بأهل الحديث، وتجنب التأويل لأنه «دهليز الإلحاد»، والالتزام بالعزلة، وحفظ الله[1]. وبالرغم من تقطيع النص إلا أن الشرح حوله إلى مطالب وفصول ووصايا وموضوعات[2]. ومن المطالب كيفية السلوك إلى الله، وأقسام الواصلين، وتعدد طرق الوصول، والسفر والمشاهدة والمسامرة والرؤية، واتساع القلب وضيقه، وسجن الدنيا، والدخول إلى الحضرة، وبعض المقامات مثل الورع والزهد والتوكل ثم تأتي مطالب عالم الخيال والروح واللوح، ثم مطالب السموات واستقرار الأنبياء فيها. والموضوعات مثل السحق والمحق، والإثبات والإحضار. والأحوال مثل الفناء والبقاء. ويتم شرح القرآن بالقرآن والحديث بالشعر، لذلك تكثر الشواهد القرآنية[3]. كما تذكر بعض أقوال الصوفية خاصة الغزالي. ويحال إلى الأنبياء إدريس وعيسى وموسى[4]. ومن الفرق الصوفية تذكر الملامتية. كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي مثله «عقلة المستوفز»[5]. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية البسيطة[6].

5 ـ «التمهيد لصائن الدين» للشيخ الأصفهاني (835هـ)[7]: وهو شرح لكتاب جده «قواعد التوحيد». والشرح على مساق أهل الاستدلال مع مقدمة نظرية على سبيل الإجمال وإبراز الموضوعات والمسائل وبيان مقاصد الرسالة وفوائدها. فهو

---

(1) السابق ص39.
(2) المطالب (106)، الفصول (7)، الوصايا (5).
(3) الآيات (185)، الأحاديث (18)، الأشعار (15).
(4) إدريس، عيسى (3)، إبراهيم، موسى (2)، آدم، هارون، إسحق، إسماعيل، محمد (1).
(5) الأسفار ص182.



(6) السابق ص165.
(7) هو الشيخ أبو حامد بن محمد الأصفهاني، السابق ص5-6. دار الكتب العلمية، بيروت2005. والعنوان على الغلاف «تمهيد القواعد الصوفية». وهو عنوان من =

شرح كلي وإن كان في التحقيق فقرة فقرة على نحو جزئي[1]. والمقدمة نظرية خالصة في المنطق باعتباره نظرية للعلم عند الفلاسفة، تتناول التصور والتصديق في العلم الإلهي، والألفاظ المتداولة عند الصوفية، والتوحيد بين الحق والوجود، والوحدة والكثرة الذاتية والاعتبارية[2].

ويدخل الشرح في فكر النص، موضوعه واستدلاله. يتحول الفكر إلى استدلال منطقي وقضايا كبرى وصغرى. ويتبع أحياناً طريقة العرض. وأحياناً أخرى يأخذ الطابع السجالي بأسلوب القول «فإن قال قلت، أقول، لا يقال، فإن قيل، لأنا نقول...». ثم يدخل في جدل الإثبات والنفي، إبطال المذهب المشائي ونقده، ودفاع عن مذهب المحققين وهو التصوف، وإنكار وجود المطلق في الأعيان، والتحقق من الشكوك، وحل الشبهات، ودفع ما يرد على الكون...الخ[3]. ثم تبرز موضوعات الرسالة المشروحة مثل الحقيقة المحمدية والإنسان[4]. وبالرغم من الطابع النظري المجرد للرسالة إلا أنها لا تخلو من فائدة عملية للسالكين[5]. ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث[6]. كما يشير إلى المعلم الأول والحكماء والمتأخرين دون الصوفية. والعجيب أن يتم هذا الشرح في زمان كامل آن أوان اقتطاف ثمرة العلوم مما يفسر غياب النقد

= وضع المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، وكذلك العنوان الفرعي «كتاب يبحث في الحقيقة المحمدية ومراتب التجليات الإلهية». وكان اسم الشرح في البداية، تمهيد القواعد العرفانية ص3.

(1) «ثم إنه لما كان سوق الكلام في هذه الرسالة إنما هو على مساق أهل الاستدلال ناسب أن نصدّر الكلام بمقدمة مبينة لتصور ما فيه على سبيل الإجمال، مميزة بين ما يختص بهذا العلم من الموضوع والمبادئ والمسائل، تأسيا بهم، وجريا على عادتهم في تقديم هذا المقال. وبعد ذلك نشرع في تحرير مقاصد الرسالة ونبين فوائدها»، السابق ص8.

(2) السابق ص5-24.

(3) السابق ص38-51/ 59-67/ 101-110/ 122-137.

(4) الحقيقة المحمدية، السابق ص78-83، جمعية الإنسان للمراتب الاطلاقية الحقية والقيدية العبدية، السابق ص 114-117. دفع ما يريد على كون الإنسان غاية للحركة الإيجادية، السابق ص122-131. الإنسان هو المظهر الكامل والكون الجامع ص138-150.

(5) «فائدة كثيرة الجدوى يحتاج إليها السالكون، السابق ص169-171.

(6) الأشعار (13)، الآيات (10)، الأحاديث (2).

الاجتماعي والإيغال في التحليل النظري[1]. والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم».

6 ـ «شرح شواهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» للشيخة ست العجم البغدادية (بعد852)[2]: وهو شرح لامرأة حتى تسعد الحركة النسوية لكتاب «المشاهد القدسية» لابن عربي. يقوم بتقطيع المتن وشرحه لفظاً لفظاً. وعبارة عبارة. وتعتمد على جمع المواد السابقة. لذلك سمي «تصنيفاً» أي «تجميع» وليس «تأليفاً». ويتم تقسيم الشرح مثل المتن إلى أربعة عشر مشهداً مع مقدمة وخاتمة. وتبين المقدمة أن مادة الشرح إلهام وليست كسباً، باختيار الله وليس بإرادة الشارحة. تقرأ المشاهد أكثر مما تكتبها[3]. فالشارحة من العامة لا تقرأ ولا تكتب بل ظهر لها ابن عربي في المنام وأملاها إياه لتشرح المتن بالقرآن وبالحديث دون الشعر[4]. كما تقتبس العديد من أقوال الصوفية يتقدمهم البسطامي ثم الشبلي والحلاج وأبو سعيد[5]. وتستعمل باقي فصوص ابن عربي مثل «فصوص الحكم». ومن المذاهب تظهر الأشعرية مع الصوفية والحكماء[6].

7 ـ شروح عبد الرحمن الجامي (898هـ):

أ ـ «نقد الفصوص» للجامي (898هـ) في شرح «نقش الفصوص» لابن عربي (638هـ)[7]: وهو شرح لنقش الفصوص الذي هو إعادة كتابة للفصوص حكمة حكمة من الحكم السبعة والعشرين. ويضم الشرح مقدمة من ثمان نقاط[8]. ولفظ «نقد» ليس في محله. فلا يوجد نقد بل شرح. ولماذا شرح النص الثاني «نقش

---

(1) «وإن زماننا هذا قد بلغ منتهى كماله. واستوى دوحة إقباله، وحان أوان اجتناء ثماره، وكشف القناع عن مخدرات أبكاره بما استنارت على صفحات أيامه من الآثار الموجودة في الكتب المنزلة السماوية والزبر الكشفية العالية»، السابق ص6.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(3) السابق ص51-53.

(4) الآيات (119)، الأحاديث (48)، القدسية (3).

(5) البسطامي (2)، الشبلي، الحلاج، أبو سعيد (1).

(6) الأشعرية، الصوفية، الحكماء (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2005.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2005، ص40-65.

الفصوص» وليس النص الأول «فصوص الحكم»؟ ويتخلل الشرح لفظ «وصل» لبيان أجزاء الشرح[1]. وتشمل المقدمة النظرية الأولى تجليات الحق في النور. وهو الوجود، الهوية الذاتية. وهناك خمس خطوات[2]. بها سلسلة من التعينات مثل الأعيان الثابتة والنفوس الإنسانية، وعالم الأرواح، والإنسان الكامل خليفة الله في الأرض. ثم يأتي الشرح فصاً فصاً، وحكمة حكمة، لفظاً لفظاً وعبارة عبارة[3]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[4]. ومن الصوفية يذكر الجنيد والجندي والأنصاري والكاشي[5]. ويعتمد على عدة مصادر مدونة[6].

ب ـ **«شرح الجامي على فصوص الحكم»**[7]: وهو شرح بطريقة الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح، عبارة عبارة مع اتّباع نفس التبويب والترقيم والتنظيم على نحو تقليدي دون اكتشاف بنية أو قراءة أو تأويل. فالشارح والمشروح ينتسبان إلى نفس المدرسة الفكرية والطريقة الصوفية. والدافع على النص شرح مشكلات النص المشروح وكشف معضلاته، فتح مغاليقه وفك رموزه. مع أن النص المشروح إلهام من الرسول والنص الشارح من جهد البشر[8].

(1) وصل (27).

(2) وهي شيئية الثبوت، عالم الجبروت، المثال المطلق، المثال المقيد، الحس والشهادة والملك، السابق ص44-45.

(3) مثل «مفتاح الغيب»، «الفكوك» وكلاهما للقونوي.

(4) الآيات (173)، الأشعار (8)، الأحاديث (6).

(5) الجنيد، الغزالي، مؤيد الدين الجندي، إسماعيل عبد الله الأنصاري، كمال الدين عبد الرازق، الكاشي (1).

(6) نقد النصوص ص69-181.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1425هـ.

(8) «ومن عجائب هذا النوع ما فاض من قلبه الأنور وروحه الأطهر كتاب «فصوص الحكم» بجملة ما فيه من الحكم والأسرار دفعة واحدة على قلب الشيخ الكامل المكمل محيي الملة والدين... قدس الله تعالى روحه وكثر من عند فتوحه. ثم إني كنت برهة من الزمان مشفوعاً بمطالعته، مشغولاً بمذاكرته، ولم أجد أستاذاً يمن على مستفيده بشرح مشكلاته ولا مرشداً يرشد مريديه إلى كشف معضلاته. فقصدت إلى جمع شروحه، وجعلتها مفاتيح أبواب مفتوحة. وطالعتها مرة بعد مرة. ورجعت إليها كرة بعد كرة حتى استقر رأيي على أن انتخبت منها ما يجذبني في حل مبانيه، ويكفيني فهم معانيه. وأضفت إليه ما سنح في أثناء المطالعة ليالي، وسمح به وقتي وحالي...»، شرح الجامي للفصوص ص139.

وتكشف ألقاب صاحب النص المشروح عن مدى التقديس له. فهو الشيخ الكامل المكمل، محيي الملة والدين، قدس الله روحه، وكثر من فتوحه. ويحال إلى عدة نسخ من النص المشروح كما تبين عبارات مثل «في بعض النسخ»، «في نسخة أخرى»، «هكذا في النسخة المقروءة». ويتكرر ذلك أكثر من مرة[1].

وبتحليل ألفاظ الفقرات تبدو غلبة فعل «القول» وصياغاته المختلفة مما يدل على الفصل بين النصين، المشروح والشارح. ثم يتبعها أفعال أخرى مثل: وصف، صرح أردف، استغرب، بالغ، بيّن، أيد. وكلها تصف أفعال فكر صاحب النص المشروح وكأن الشارح قد دخل فكره وأصبح قادراً على وصف أفعال الشعور كما تبدو في النص. وهناك أفعال أخرى تدل على مسار الفكر من المقدمات إلى النتائج، ومن البدايات إلى النهايات يسبقها ظرف «لما» مثل: لما ذكر، لما فرغ، لما أشار، لما أنجز، لما كان... الخ. وهناك ألفاظ أخرى تدل على النتيجة مثل: الحاصل أو القياس أو ما سبق. وهناك أيضاً صيغ الشرط، التسليم بفعل الشرط يؤدي إلى التسليم بجواب الشرط. وهناك ألفاظ تدل على القصد والمراد مثل: والمراد، المقصود. وهناك ألفاظ البيان أو عبارات تضع الأجزاء في مجموعها. وقد تدل بعض الألفاظ على التقييم والحكم النقدي مثل «هذا كلام زخرفة ظن الشيخ». ويتم الشرح على ثلاث مستويات، مستوى اللفظ، وهي المترادفات والتعريفات مثل شرح النفث والروح لغة، وعلى مستوى المعاني وهو التوضيح والبيان مثل معنى السبوح، وعلى مستوى الأشياء وهو الكشف والرؤية في الفقرات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال[2].

وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث[3]. والأولوية للشعر على

(1) حوالي خمسين مرة.

(2) قال (18)، قلت (10)، قوله (8)، وصف، استشهد (2)، أردف، أيد، أكد، بالغ، استغرب (4) لما ذكر (16)، لما فرغ (14)، لما أشار، لما أنجز، لما كان (4)، لما عرف، لما حكم، لما أثبت، لما نفى، لما فسر، لما قيد، لما انساق (2)، الحاصل (4). وعلى هذا القياس السابق، مثال ذلك، ما سبق، معناه، والإشارة إلى ذلك، بعد ما عرف هذا، وإذا عرفته ذلك (1). والمراد (14)، وكان المقصود، وإذا عرفت المعنى المراد (2)، وبيان ذلك (2)، وبالجملة، صفة لمجموع، وهذا مجمل لما فصل (2).

(3) الآيات (80)، الأشعار (14)، الأحاديث (8).

الحديث لجوءاً إلى التجربة الشعرية كأساس وجودي للتجربة الصوفية[1]. وفي نفس الوقت يعتمد على القسمة العقلية حتى يكون للشرح بنية نظرية يوضع النص المشروح فيها[2]. وتتم الإحالة إلى باقي الشروح مثل شرح مؤيد الجندي وبعض الشارحين الآخرين. كما يحال إلى باقي أعمال صاحب النص المشروح مثل «الفتوحات» شرحاً للجزء بالكل. كما يحال إلى بعض القواميس والمعاجم والإصحاحات شرحاً للجزء بالكل وللعمل بباقي الأعمال ويتوجه الشرح إلى القارئ بلفظ «اعلم» في صيغة الأمر[3].

8 ـ «شرح الحكم العطائية» لزروق (899هـ)[4]: وقد تكون الحكم العطائية أكثر النصوص الصوفية شرحاً مثل مقدمة ابن الحاجب في علم أصول الفقه. وهي أكثر شرحاً من «الإحياء» و «الفتوحات» و «الفصوص». مؤلفها سكندري وليس قاهرياً. ومع ذلك ذاعت كنص مشروح لصياغتها الأدبية، ومضمونها الأخلاقي، وصيغتها العملية. ربما لأنها وعظ ديني في حاجة إلى بنية عقلية، وتحويلها من التصوف العملي إلى التصوف النظري، ومن الأخلاق إلى الفلسفة[5]. وربما لوضعها مئات الحكم في فصول أصغر، خمسة وعشرين فصلاً. والسؤال هو: لماذا خمسة وعشرون فصلاً؟ وتنقسم المناجاة إلى فصلين فقط. وهي خالية من القسمة لصعوبة ذلك.

ويعني الشرح هنا «التفسير» بالمعنى التقليدي أي الشرح الأكبر، فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح كما هو الحال في تفسير القرآن. يبدأ النص الشارح بلفظ «قلت» تمييزاً له عن النص المشروح. والآيات في «المناجاة» قليلة لأن المناجاة كشكل أدبي إبداع فني خالص. وتتكرر بعض الحجج النقلية أكثر من مرة[6]. وتأتي

---

(1) شرح الجامي للفصوص ص11/ 55/ 201/ 204/ 213/ 237/ 261/ 277/ 279/ 328/ 346/ 492/ 512.

(2) السابق ص57/ 91/ 98/ 105/ 133/ 142/ 235/ 345/ 485.

(3) ذُكر حوالي أربعين مرة.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ.

(5) القسمة العقلية حوالي (26)، شرح الحكم العطائية ص16/ 18/ 20-21/ 23/ 29/ 31/ 41-42/ 70/ 73/ 79/ 91-92/ 108-109/ 113/ 144/ 172/ 184/ 193-194/ 205/ 211/ 221/ 227.

(6) السابق ص186/ 220/ 242.

مادة الشرح كالعادة من القرآن والحديث. والقرآن أكثر من الشعر ثم الحديث أقلها[1]. كما يتم الاعتماد على أقوال الصوفية كتراث متراكم في الوعي التاريخي. ويحال إلى باقي مؤلفات المشروح مثل «التنوير» و«لطائف المنن» وإلى مؤلفات الشارح مثل «التنبيه» لاستكمال الموضوع[2]. وتؤخذ بعض الاقتباسات والدلالة عليها بلفظ «انتهى»[3]. ويستشهد بأحمد بن حنبل دون صراع موهوم بين الفقهاء والصوفية[4].

9 ـ «شرح الرسالة القشيرية» لزكريا الأنصاري(926هـ)[5]: وهو شرح ضخم في أربعة أجزاء بين المؤلف والشارح ما يقرب من خمسة قرون، يتبع نفس التقسيم الثلاثي للرسالة: أسماء الأعلام، والألفاظ والمصطلحات، وآداب الشيخ والمريد. وهو من نوع الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح بلفظ القول في صيغة «قوله» دون ذكر القول كله. ولا يذكر الدافع على الشرح. ربما كان تمريناً علمياً أو متطلباً دراسياً أو نيل درجة. فالشارح شيخ الإسلام، وأحياناً يجادل الشارح الفرق الكلامية، وينكر آراء المعتزلة أي القدرية[6]. ويتم الشرح على نفس المستويات الثلاثة للنص، اللفظ وهو الشرح اللغوي، والمعنى هو البيان والتوضيح، والموضوعي وهو كشف الموضوع ذاته. وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث[7]. كما يعتمد الشرح على مادة سابقة يقتبس منها بعلامة «أ هـ» أي انتهى[8].

10 ـ «شرح فصوص الحكم» لابن عربي لمصطفى بالي زاده الحنفي (960هـ)[9]: «والشرح بعد المتن بأكثر من ثلاثة قرون، عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ

(1) الآيات (151)، الأشعار (53)، الأحاديث (44).

(2) التنوير، شرح الحكم العطائية ص17/ 39/ 69/ 85/ 143. لطائف المنن، السابق ص51/ 54/ 96/ 102/ 401/ 205/ 207، التنبيه، شرح الحكم ص187.

(3) السابق ص46/ 57/ 90/ 96/ 146/ 149/ 150/ 161/ 190/ 208/ 216/ 226/ 236/ 192/ 225.

(4) السابق ص87.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م- 1420هـ (4 أجزاء في مجلدين).

(6) السابق ص81.

(7) القرآن (68)، الأشعار (18)، الأحاديث (10).

(8) شرح الرسالة القشيرية ص10/ 14.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (على الفلاق1069).

دون مقدمة نظرية تضع الغاية من الشرح ومنهجه وأسلوبه وسببه. والمتن من أكثر المتون شروحاً مع الحكم العطائية. ويوضح اللفظ المنقول باللفظ المعرب مثل الحسبانية أي السوفسطائية[1]. لذلك أتى الشرح بلا هدف، مجرد تحصيل حاصل، دون قراءة أو تأويل أو نقد. وتوجد صفحات طويلة من المتن بلا شرح[2]. ويتبع الشرح نفس تبويب المتن. يضيف أحياناً قسمة عقلية مثل شرح كلمة نص في أربعة معان[3]. وفي النهاية يتم مدح الشارح والمشروح والسلطان. فالمشروح هو القطب، والشارح هو خليفة الصوفية. والسلطان الخاقان الأضخم خليفة الله الأعظم[4]. ومادة الشرح القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية. والقرآن أكثر من الحديث لأنه المصدر الأول للتصوف[5]. وبالرغم من أن المتن به أيضاً مصادره في القرآن والحديث إلا أن الشرح يزيد من الفصوص. وقد يكمل الشرح آية المتن. ويعتمد على تفسير البيضاوي[6].

(1) السابق ص174.

(2) السابق ص152-156/ 293-294.

(3) السابق ص18.

(4) صاحب المتن هو سيدنا قطب الوجود، حاتمي الأصل والعلم، معدن الفضل والجود، الإمام الرباني، الشيخ الأكبر، الغوث، الفرد، الصمداني، الكبريت الأحمر، سيدي ومولاي ووسيلتي ومنتماي. . .»، السابق ص326. والشارح لفصوص الحكم «بيد أنه كنز مغلق مطلسم، جلي العبارة، خفي الإشارة. فقد انتدب الجسم الفقير لفتح كنوزه، وحل مشكلات رموزه. وكان من جملة من أتى بالشرح المفيد، وذكر ما ليس عليه بمزيد، بشر زمانه وجنيد عصره وأوانه، العلامة الفاضل، الفهامة الكامل الشيخ بالي أفندي. . المعيد المبدي المكنى بخليفة الصوفية. . .» السابق ص326، وقد طبع الكتاب «بعون الملك الوهاب في عصر حضرة سلطاننا الأعظم وخاقاننا الأضخم خليفة الله الأعظم على أفراد بني الإنسان ثاني الحميد بن صرامة وجزماً من ملوك آل عثمان من بسط رعيته سحائب الأمن والأمان فأصبحت الرعية ساكنة في ظل الأمان، داخلة في ثوب العز والامتنان، المؤيد المظفر، المعان المحفوف بعناية الملك الديان، بدر الملة الإسلامية، مجدد الدولة العثمانية، المحفوظ بالقرآن والسبع المثان، مولانا السلطان بن السلطان بن السلطان الغازي (عبد المجيد) خان الثاني. خلد الله أيام خلافته ما تعاقب الشهور والسنون، وأجرى أحكام سلطنته في أكناف الربيع المسكون، وحفظه وذريته وعائلته ومن يلوذ به ومملكته بالسبع من الست في الخمس من كل الآفات، بجاه فاء الفتح وطاء الطمس وعناية أهل الإشارات. . .»، السابق ص326.

(5) الآيات (236)، الأحاديث (6)، القدسية (1).

(6) شرح فصوص الحكم ص208.

11 ـ «أشرف الرسائل إلى فهم الشمائل» لابن حجر الهيثمي (974هـ)[1]: وهو شرح لمتن «الشمائل النبوية» لأبي عيسى الترمذي الضرير(279هـ). وبين النصين سبعة قرون. ولا يذكر لفظ الشرح في العنوان. وهو شرح عبارة بل لفظاً لفظاً مع زيادة في الروايات الخيالية عن حياة الرسول، مولده وجسده وطعامه وشرابه، خلطاً بين الخاص والعام، بين الإنسان والنبي. وكلها روايات وليست أقوالاً مباشرة له، حكايات عنه وليست كلاماً منه. لا فائدة منها. وأخبار كلها ضعيفة[2]. يعتمد على الحديث والقرآن وحدهما دون الشعر أو أقوال الصوفية[3]. ولا يوجد سبب معين للتأليف. ونظراً لتركيزه على شخص الرسول فإنه يمكن تصنيفه في علم السيرة وليست في علم التصوف لغياب الصوفية، أعلاماً ونظريات. ويخلو من الإسرائيليات مع أن المجال متسع في قصص الأنبياء والتنبؤ به في الكتب المقدسة السابقة. ويذكر من الصوفية القليل مثل الغزالي، ومن الفقهاء الشافعي والسبكي. ومن علماء القرآن الزركشي. ومن الفرق المعتزلة[4].

12 ـ «شرح حكم الشيخ الأكبر» لملا حسن القادري الدمشقي الشافعي (1148)[5]: وبين المتن والشرح أكثر من خمسة قرون. والشرح حكمة حكمة ثم لفظاً لفظاً بعد تقطيع الحكمة على ألفاظ. . والمحقق يطيل شرحه في الهوامش زيادة في التعالم. ومع الحكم تضاف الاقتباسات الإلهية وشرح لحديث وقواعد للتربي[6]. ويبدأ الشرح بمقدمة نظرية طويلة عن تأويل الحروف، وهو الموضوع الأثير عند ابن عربي[7]. ويغرق الشرح في الإشراقيات الكونية. فأسماء الأفلاك

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1998م-1419هـ.

(2) يشمل المتن ستة وخمسين باباً عن خلقه وخاتمه وشعره وترجله وشيبه وخضابه وكحله ولباسه وعيشه وخفه ونعله وسيفه ودرعه وعمامته وإزاره ومشيته وجلسته، وتكأته وأكله وخبزه وآدابه ورضوعه وتسميته على الطعام وقدحه وفاكهته وشربه وتعطره وكلامه وضحكته ومزاحه وسحره ونومه وعبادته وتطوعه وصومه وقراءته وبكائه وفراشه وتواضعه وخلقه وحيائه وحجامته وأسمائه وعيشه وسنة وفاته وميراثه ورؤيته.

(3) الأحاديث (168)، الآيات (94).

(4) الشافعي (2)، الغزالي، الزركشي، السبكي (1)، المعتزلة (2).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(6) الحكم (160)، الاقتباسات الإلهية (100)، شرح حديث (20)، قواعد التربي (39).

(7) شرح حكم ص13-28.

مشتقة من أسماء الأنبياء[1] وبطبيعة الحال يتم الشرح بالقرآن والحديث والشعر واقتباسات من أقوال الصوفية[2]. وتنتهي الاقتباسات بلفظ «انتهى» أو «انتهى ملخصا». وتختلط أقوال الرسول بأقوال أفلاطون مثل«مت بالإرادة تحيا بالطبيعة». وأهم الصوفية الجيلي ثم ابن عربي وإبراهيم المتبولي والجنيد ثم الشعراني والجامي والكرخي والبسطامي وابن عطاء وغيرهم[3]. كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي لشرح ابن عربي بابن عربي خاصة بالإحالة إلى «الفتوحات» و«الفصوص» بآيات وأحاديث وأشعار أكثر مما هو موجود في المتن. كما يستعمل شعر ابن عربي في شرح حكمه. وتذكر معلومات تاريخية عن صاحب المتن، ميلاده ووفاته وأعماله وشيوخه وتلاميذه، ومناقبه وكرامته[4]. وتستعمل بعض الإسرائيليات في روايات الأنبياء السابقين خاصة موسى وعيسى[5] ومع ذلك لا يخلو الشرح من القسمة العقلية وإعطاء بعض التعريفات النظرية[6]. والحكم نظراً لبساطتها ليست في حاجة إلى شرح. قوتها في قصرها وتركيزها ومخاطبتها الوجدان مباشرة بعبارة شرطية، فعل الشرط وجواب الشرط. هي دعوة إلى الفعل وليس إلى الفهم. وهي مثل «جوامع الكلم» للرسول، بلاغة وحكمة. وتتمثل بلاغتها في محسناتها البديعية خاصة الجناس والطباق وكأنها شعر منثور. ومازال الخطاب موجهاً إلى القارئ وكأن الشرح مازالت له رسائل ليتأملها[7]. ويحذر الشارح من القرن العاشر وقد أتى بعده بقرنين. هل لدورة ألفية في التاريخ كما هو معروف في تاريخ الأديان بالرغم من أن الدورة الإسلامية مائة عام، قرنٌ من الزمان؟[8]. هل هو عصر الفتن

(1) السابق ص183.

(2) الآيات (330)، الأحاديث (141)، القدسية (10)، الأشعار (68).

(3) الجيلي (3)، الجنيد، ابن عربي، إبراهيم المتبولي (2)، الجامعي، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص، ابن عطاء الله، أبو طالب المكي، البسطامي، الهروي الأنصاري.

(4) شرح حكم ص9-12.

(5) السابق ص183.

(6) السابق ص227/ 231/ 285/ 229.

(7) السابق ص243.

(8) هذه هي الحكم الثلاثة، 93- «في القرن العاشر من الأهوال ما يكفي عن المقال»، 94- «في العاشر من القرون كن في الخمول مدفون»، 95- «في العاشر من القرون تسوء بالصالحين الظنون»، السابق ص346-347.

والأهوال بالرغم من أنه ليس أكثر هولاً من القرن السادس وتدمير بغداد؟ والحروب الصليبية واحتلال الفرس لم تبدأ بعد. ويبدو أن النصيحة في وقت الفتن الاختباء والانعزال.

13 ـ «إحياء القلوب»، شرح الشيخ عبد القادر الرافعي الفاروقي الطرابلسي على حكم شيخه سيدي محمود الكرخي الخلوتي(1195هـ)[1]: وهو شرح عبارة عبارة، وليس لفظاً لفظاً. يتجاوز الشرح اللغوي النحو القاموسى الاشتقاقي للألفاظ إلى الشرح الموضوعي. فاللفظ مثل «الزهد» أو «التوكل» ليس مجرد لفظ له معنى بل يحيل إلى موضوع يعرضه الشارع ويؤلف فيه تأليفاً مستقلاً. يحتاج إلى المتن فقط كنقطة بداية، كمرشد ودليل، والاعتماد على شيء سابق، نظراً لعدم القدرة على وضع شيء جديد لنهاية عصر الإبداع وبداية عصر النقل. فالأصل عند القدماء، وليس للمحدثين إلا التهميش على المتن القديم، ربما لضعف العقل أو نقص في اليقين. وتتوالى الموضوعات متناثرة طبقاً لورودها في النص، ودون وضعها في أبواب وفصول. المتن «عكاز» أو «مسند» للشرح. هو الذي يعطي الموضوع. والشرح تجميع لمواد عدة من القرآن والحديث والشعر وأقوال الصحابة والصوفية، قدماء ومحدثين[2]. ويتقدم الصوفية ابن عربي، وابن عطاء الله السكندري والشعراني، ثم الجيلي والشاذلي، ثم مالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحارث والغزالي وغيرهم[3]. وتؤخذ اقتباسات منهم بالعلامة (1 هـ). كما يحال إلى مصادر مدونة[4]. ويعتمد على الإسرائيليات وأقوال الأنبياء خاصة عيسى وموسى[5]. وجاء الشرح بناء على رؤية الرسول في المنام. ويصنف كثيراً من مناقب المشايخ وكراماتهم[6]. ومع ذلك لا يخلو الشرح من بعد التحليل

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.

(2) الآيات (260)، الأحاديث (255)، القدسية (5).

(3) ابن عربي، ابن عطاء الله السكندري، الأشعراني (3)، الشاذلي (2)، مالك بن دينار، إبراهيم الدسوقي، القشيري، إبراهيم بن أدهم، بشر الحارث، ابن السماك (1).

(4) مثل: الأنوار القدسية في آداب العبودية للشعراني، السابق ص97.

(5) السابق ص16/ 18/ 54. وتقتبس أقاويل من الجنيد والسقاف، وأبي مدين والجيلي.

(6) السابق ص7.

العقلي مثل رصد بعض الموضوعات وإحصائها[1] وأهم الموضوعات التي تناولها الشرح من التصوف الخلقي الجوع والحسد والغل والتكبر والجود والجهل، ومن الأحوال الخوف واليأس. ومن التصوف النظري نور الحق. ومن التصوف العملي الذكر والتفكر والعزلة، والطاعة، والمجاهدة، والجماعة.

14 ـ «توضيح المرام ومسرح الأفهام» للشيخ حسين بن آدم (1335هـ)[2]: والمتن هو «تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام» لعبد الجليل بن عظوم القيرواني(960هـ). فبين المتن والشرح حوالي أربعة قرون. وهو بلا هدف إلا تجميع العلوم لإظهار علم العالم المنقول. لا جديد فيه، في حين أن تحميل المتن بشرح واقتباسات إضعاف له وإغماض لأثره وتقويض لمباشرته. لا قيمة له من حيث الموضوع. بل يكشف عن الذات، عقلية الشارح وطبيعة الحضارة المتأخرة. وهو شرح لفظ بلفظ للتأييد وليس للمعارضة. فلا توجد شروح معارضة من الأساس. كلها تأييد وتفريط ومدح في المتن وصاحبه. وهو الدافع على الشرح. بالإضافة إلى الصدقة الجارية على أبيه وأمه[3].

وموضوعاته كلها حول شخص الرسول، ولادته ورضاعته ونسبه ونوره وانتقاله من صلب إلى صلب، والصلاة عليه وإطلاق ألقاب السيد والمولى والمحب والحافظ عليه، وأسمائه وصفاته وشمائله وخصائصه وفضائله وأخلاقه وصفاته الحية، وعلو قدره على سائر الأنبياء، والإسراء والمعراج، وإخباره بالغيب. وما رآه بالعين، والدعاء لتفريج الكروب، وكراماته ومعجزاته ودعواته وأدعيته وعصمته وأوامره، ومقالاته ومناقبه وإمامته وأفعاله، وحسن الظن به والاشتياق إليه...الخ. ومن ثم تتحول الرسالة إلى الرسول، والنبوة إلى النبي.

---

(1) مثل إحصاء فوائد الجوع ص57-59.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ.

(3) «هذا شرح وجيز مفيد إن شاء الله تعالى، وضعته على كتاب «تنبيه الأنام على خير الأنام» مع الثناء والمدح بما تضمنه خير الأنام تأليف الشيخ الإمام الجليل محمد بن أحمد بن عظوم القيرواني المغربي. ولم أر من شرحه غيري. فأكون أنا الذي حل مغلقه... وما حملني على شرحه الآن إلا إرادتي أن يكون لأبي حبيب بن آدم وأمي فاطمة بنت عبد الله من الصدقة الجارية...، السابق ص4.

وتعتمد مادة الشرح على الحديث أولاً ثم القرآن ثم الشعر[1]. وهو شرح ضخم في جزأين[2].

15 ـ «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (1360هـ)[3]: وهناك ثمانية قرون بين المتن والشرح مما يدل على أن الزمان ليس عاملاً مؤثراً في اختيار المتن المشروح، قصر أم طال. وهو شرح مطول للغاية، لفظاً بلفظ كما تدل على ذلك محتويات الكتاب وحجم الشرح الذي يفوق ثلاثة أضعاف المتن. المتن في أعلى الصفحة. والشرح في أسفلها، أسوة بالمحدثين. يخلو من الفكر أو التأويل، مجرد تجميع لمواد من علوم الحديث والفقه دفاعاً عن التصوف ضد منتقديه، وإرجاعه إلى العلوم النقلية، وإفراغه من العلوم النظرية والذوقية[4]. ويتم الاستطراد في علم الكلام لإدخال التصوف في علم العقائد، وبالتالي إضفاء الشرعية عليه[5]. ويتطرق إلى موضوعات كلامية وفقهية وصوفية دون الفلسفية وباقي العلوم المشبوهة. والتصوف في النهاية فرقة من الفرق الكلامية[6]. ولإبراز أهمية بعض الشروح تستعمل ألفاظ مثل «فائدة»، «فائدة جليلة»، «تتمة»، «تنبيه»، «غريبة»... إلخ[7]. ويعترف الشارح بأن جهده ما هو إلا في الجمع من كلام العلماء الراسخين، يأخذ الصائب، ويترك الشارد بالرغم من عدم أهليته للحكم. وهذا أقصى جهده في التأليف. والجمع هم وحزن[8].

(1) الأحاديث (160)، الآيات (80)، الأشعار (24).

(2) جـ1 (411)ص، جـ2 (413)ص.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ.

(4) «قال ويعجبني من هذا الفقيه الذي استلب التصوف علمه وعقله أكثر من تعجبني من هذا المستلب للثياب من الحمام. فيا ليت أبا حامد بقي مع القواعد الفقهية، واستغنى عن هذه الهذيانات. والجواب عن هذا كله أن القوم مجتهدون في إحكام الطريق»، السابق جـ1/ ص30.

(5) السابق جـ1/ 39.

(6) السابق جـ1/ 303.

(7) السابق جـ1/ 94/ 103/ 115/ 455.

(8) «وما لي في هذا المجموع إلا التقلل والجمع من كلام العلماء الراسخين: والصلحاء العارفين. فإذا رأيت صواباً فمن هؤلاء الأعلام. وإن رأيت خلل فمن وهم صدر مني لشرود الأفهام لعدم تأهلي لذلك، وقصوري عن الوصول إلى ما هنالك. فالمتصدي =

والشارح على وعي بالشرح ويبرز اللفظ أكثر من مرة[1]. وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث[2]. ويضاف ما يضاف إلى الآيات كأسباب النزول. وتذكر الأسانيد مع المتون زيادة في جمع المادة. وتكثر الأحاديث عن الله مثل الأحاديث القدسية، وأحاديث الرسول في المنام[3]. وتقتبس فقرات عديدة من المصادر المدونة مع علامة «أ هـ» أو تلخيصها «انتهت عبارته ملخصاً»[4]. ومنها القواميس[5]. ويتم شرح الغزالي بالغزالي بالإحالة إلى باقي مؤلفاته خاصة الإحياء ومعراج السالكين، ويحال إلى عديد من أعلام الصوفية ابتداء من أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين. فالكل صوفية. والصوفية منهم ومعهم. ويحال إلى عديد من المصادر الفقهية عن العلم[6].كما يعتمد على الإسرائيليات في تاريخ النبوات. فالوحي متصل بصرف النظر عن درجة صحته التاريخية[7]. وأحياناً يكون الشرح متصلاً دون تدخل أجزاء المتن المتقطعة. يعتمد على القسمة العقلية بالتصنيف. وتخلو من المنقول[8].

وإذا كان المتن يتضمن سبعة أبواب في سبعة أبواب في سبعة عقبات فإن

= للتأليف والمعتني بالتصنيف ولو بلغ السهى في النهى فقد استهدف. ومن أنصف أسعف. ولله در بعض الأكياس حيث قال: من صنّف فقد وضع عقله في طبق وعرضه على الناس. لا سيما من كان مثلي قليل البضاعة، في كل علم وصناعة. على أني والله عز وجل يعلم في أكثر من مدة جمعي له في هم وحزن، مع قلة المعين والناصر والمنبه والمذاكر. فإن تصفح الناظر فيه الغلط فليصفح. ولا يكن من أناس بالأغاليط يفرحون. وليصلح بعد التأمل ما يجده فاسداً. . .»، السابق ص3-4.

(1) «شرح لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وما جاء في فضلها»، السابق جـ1/ 61، «شرح علم المكاشفة. . .»، السابق ص62، باب شرح العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق»، «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (1360هـ)، ص163.

(2) الآيات (960)، الأشعار (328)، الأحادبث (280).

(3) سراج الطالبين جـ1/ 47.

(4) السابق ص58.

(5) السابق ص80.

(6) مثل «بيان العلم وفضله» للقاضي ابن عبد البر، السابق ص81/ 85.

(7) السابق ص72

(8) السابق ص75-77/ 84-85/ 99-100/ 185.

الشرح يعطي أكبر قدر ممكن من التفصيلات والمعلومات عنها[1].همه تعريف التصوف تعريفاً شرعياً وشرح مبادئه[2]. ويتجه الشرح نحو شخص صاحب المتن، الغزالي، مجدد القرن الخامس الهجري، مولده ووفاته وكفنه وأعماله وإرثه[3]. وتظهر بعض موضوعات الكلام مثل الاستدلال بالصنعة على الصانع والنظر والاستدلال والذات والصفات والأفعال والأخرويات وقصص الأنبياء، يضاف إلى ذلك نقد الفرق الكلامية كالمعتزلة[4].

ثم تبرز الموضوعات الصوفية من التصوف الخلقي، الرذائل مثل العجب والرياء، والفضائل مثل التقوى والصمت والإخلاص وخواطر النفس، ومن التصوف النفسي المقامات والأحوال، مثل التوبة والتوكل والرضى والشكر والفقر وأفعال القلوب. ومن التصوف النظري وفي مقدمتها شخص الرسول، والحقيقة المحمدية، يضاف إليها معجزات الرسول، ومدح الرسول. ومنها القرب من الله ومناجاته، والأبدال والأقطاب، وأحوال الطريق والعزلة والصحبة. ويظهر التصوف كنقد لأحوال العصر سواء في المتن أو الشرح مثل الانكباب على الدنيا. فالتصوف رد فعل على أوضاع البذخ والترف التي سادت حياة المسلمين[5].

16 ـ «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير» لأبي الفيض الزبيدي (1205هـ)[6]: وهو شرح لفظي، لفظاً بلفظ، بعد كتابة شرح مختصر وصياغته. كتب هذا الشرح، وسطاً بين الإخلال والإطالة، ومعتمداً على مصادر سابقة. وهو حزب البر في مقابل حزب البحر. وفضائله كثيرة في الوصول إلى الغاية القصوى، وهي النجاة في الآخرة. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[7]. وفي مقدمة الصوفية المغيلي ثم ابن عربي (الشيخ الأكبر) ثم الترمذي والمروزي ثم

(1) السابق جـ1/ 5/ 232/ 234.
(2) السابق ص7-9.
(3) «من الدقائق التي نكرها المنكرون وطعنوا فيها على الإمام الغزالي ما دفعت في مواضع من الأحياء»، السابق ص25-32.
(4) السابق ص86-125 جـ2/ 332-334.
(5) «اعلم أن هذا الزمان قد أصبح في فساد عظيم»، السابق ص205-206.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1423هـ ص32-109.
(7) الآيات (132)، الأحاديث (6)، القدسية (1)، الأشعار (2).

الجنيد وآخرون[1]. وتقتبس أقوال تنتهي بلفظ «انتهى». ومن الفرق المعتزلة والأشاعرة، ومن الأنبياء يذكر يوسف. وتستعمل أحياناً القسمة العقلية[2]. ويقوم أحياناً على بعض التجارب الشخصية[3]. وتظهر في الأسلوب بعض ألفاظ التلخيص والمراجعة مثل «وحاصله»[4].

17 ـ شروح ابن عجيبة (1224هـ):

أ ـ «شرح صلاة القطب ابن مشيش»[5]: ولا يوجد سبب خاص للتأليف إلا جمع المعلومات لإثبات علم الشارح بناء على طلب أحد المشايخ[6]. والشرح لفظ بلفظ مع مقدمة عامة عن حِكم صاحب النص قبل تقطيعه[7] ومادة الشرح كالعادة من الشعر ثم القرآن ثم الحديث[8]. ويعتمد الشرح على مصادر مكتوبة يقتبس منها، والإشارة إلى ذلك بعلامة «اهـ». ويضيف إلى زكريا همزة كما يضيفها إلى ابن سينا تعالماً خاطئاً. ومن الصوفية يذكر الحلاج وابن الفارض. ومن المؤرخين ابن خلدون[9].

ب ـ «الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية»[10]: واستمر الشرح لفترة متأخرة ومازال مستمراً. فالعقلية الشارحة نتيجة الشروح المستمرة أصبحت طبعاً وعادة. والمتن هو «المباحث الأصلية» لابن البنا السرقسطي. أراد الشارح أن يضع له شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، يبين المعنى ويحقق المبنى[11]. ويتبع طريقة الشرح المعروفة، تقطيع المتن إلى المتناهي في الصغر،

---

(1) المغيلي (5)، الترمذي (4)، ابن عربي (2)، الجنيد، الصيرفي، المحشي (1). ومن الصحابة الحسن بن علي (1). ومن الفرق: المعتزلة، الأشاعرة (1). ومن الأنبياء يوسف (1).

(2) تنبيه العارف ص43/ 65-66.

(3) السابق ص57.

(4) السابق ص49.

(5) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (3) ص143-179.

(6) السابق ص143.

(7) السابق ص143-149.

(8) الأشعار (22)، الآيات (18)، الأحاديث (3)، القدسية (1).

(9) الحلاج، ابن الفارض، ابن خلدون (1).

(10) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1420هـ.

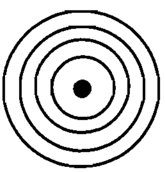
(11) السابق ص4.

لفظاً لفظاً بل وحرفاً حرفاً، واتخاذ اللفظ تكئة يستند عليها لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات من المصادر المدونة عليها بما في ذلك المعاني اللغوية للفظ وليس فقط المعاني الاصطلاحية. والعنوان مستمد من ابن عربي. ومع ذلك لا جديد فيه. كله حشو وجمع وتراكم، دون قراءة أو تأويل أو تجاوز أو نقد. يدافع عن التصوف ضد منتقديه. ومن ثم يسير في اتجاه معاكس للموقف الإصلاحي الناقد للتصوف مثل إقبال والأفغاني. الأنبياء صوفية، والصحابة صوفية، وكل العلماء صوفية. ويشفعه برسم توضيحي[1]. الشرح هنا تأليف غير مباشر وتأليف بالمعنى المتأخر. هو تجميع لمعلومات سابقة خشية من الاندثار في الذاكرة الجمعية بعد الغارات على العالم الإسلامي من الغرب أولاً ومن الشرق ثانياً. وأحياناً يظهر نقد العصر بين الحين والأخر وهو ما سماه أحد الشيوخ «فساد الوقت»[2]. ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث[3]. كما يحيل إلى عديد من أعلام الصوفية ومؤلفاتهم وفي مقدمتهم زورق ثم السلمي ثم الجنيد ثم إبراهيم بن أدهم والقشيري والسري السقطي والغزالي والشاذلي وغيرهم[4]. ومن الأعمال الصوفية يتقدم «الحكم» و«لطائف المنن» ثم «عوارف المعارف»، ثم «قوت القلوب»[5]. ومن الطرق الصوفية يتقدم الشاذلية[6]. ومن الوافد يظهر بقراط وجالينوس للتعالم[7].

---

(1) السابق ص13.

(2) «وهي صورة دوائر الحس، النقطة الحضرة، والدائرة الأولى للنبيين، والثانية للصديقين وهم الأولياء، والثالثة للشهداء وهم السائرون، والرابعة للصالحين ومن ورائهم علماء المسلمين».



(3) الأشعار (306)، الآيات (192)، الأحاديث (130).

(4) زورق (14)، السلمي (6)، الجنيد، أبو مدين (5)، التستري (4)، إبراهيم بن أدهم، القشيري، البوصيري، السري السقطي، الشاذلي، الغزالي (3)، ذو النون (2)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ، ابن عربي، علي الجمل، الفضيل بن عياض، حمدون القصار، بشر الحافي، السهروردي (1).

(5) «الحكم» (5)، لطائف المنن (4)، عوارف المعارف (3)، قوت القلوب (1).

(6) الطرق الصوفية: الشاذلية (3).

(7) الفتوحات الإلهية ص93-94.

جـ ـ «شرح صلاة الشيخ الأكبر»[1]: صاحب المتن هو الشيخ الأكبر وصاحب الشرح العبد الفقير إلى مولاه الغني عما سواه. والصلاة أوب إلى الوجدان في حين أن الشرح أقرب إلى العقل. ومن ثم فالصلاة لا تُشرح بل تمارس. وتظهر بعض المصطلحات في الشرح في حاجة إلى شرح آخر مثل«الذات المطلسم»، ويتجه الشرح نحو «الحقيقة المحمدية» أحد أشكال «الحقيقة المحمدية»، فالشرح عقائدي سابق على النص المشروح. الشرح مجرد مناسبة أو آلية أو ذريعة لتعليق عقائد الصوفية المتأخرة عليه. ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن[2]. ويحال إلى بعض الصوفية مثل ابن عربي ثم ابن مشيش والبوصيري[3].

د ـ «شرح بعض مقتطفات التستري»[4]: وهو شرح على بعض مقتطفات وليس على نص كامل. ويذكر المقتطفات واحداً تلو الآخر يتخللها الشرح. وأحياناً يقطع المقتطف إلى ألفاظ، وتضاف معلومات خارجية على المتن، حياة صاحب المتن ومؤلفاته وأساتذته. ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث[5]. كما يعتمد على اقتباسات بعض الصوفية مثل ابن سبعين ثم الجنيد وابن عطاء الله وصاحب العينية والشاذلي والتستري[6]. وينتهي كل اقتباس بعلامة «اَهـ».

هـ ـ «إيقاظ الهمم في شرح الحكم»[7]: والشرح هنا مثل التفسير أي الشرح الأكبر فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح. والشرح حكمة حكمة. وإذا طالت الحكمة تقطع عبارة عبارة. والمناجاة مستقلة عن الحكم، وكذلك الرسائل

---

(1) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (6) ص259-266.

(2) الأشعار (8)، الأحاديث (2)، الآيات (1).

(3) ابن عربي (3)، ابن مشيش، البوصيري (1).

(4) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (8) ص297-318.

(5) الأشعار (12)، الآيات (7)، الأحاديث (5).

(6) ابن سبعين (2)، الجنيد، ابن عطاء الله، صاحب العينية، الشاذلي، التستري (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م - 1426هـ. يأتي شرح ابن عجيبة تالياً لشرح زروق مع أن هناك شروحاً أخرى سابقة عليه مثل شرح مشكلات الفتوحات للجيلي (832هـ) و«شرح الفصوص» للجامي (898هـ) وشرح الرسالة القشيرية لزكريا للأنصاري (936هـ)، و«الذخر والعدة في شرح البردة»، للصديق المكي (1057).

الأربعة للمؤلف[1]. كما يعقد الشارح مقدمتين عن تعريف التصوف وتعريف الشروح[2]. والعنوان دال. فالمقصود من الشرح إيقاظ الهمم أي التذكير والتنبيه وجذب الانتباه والإيقاظ. وقسمت الحكم إلى خمسة وعشرين باباً مثل شرح زروق دون بيان الأسباب أو الدوافع أو الحكمة لذلك[3]. كما لا توجد حكمة واضحة في قسمة الشرح إلى جزأين في كل منها عدة حكم مقسمة بدورها إلى أبواب[4]. وقد لايكون هناك داع لهذا الشرح المسهب لحكم أخلاقية وعظية عملية سهلة وواضحة وموجهة للسلوك المباشر .ويعني الشرح الدخول في منطق النص المشروح، مقدماته ونتائجه، استدلالاته وبراهينه، ووصف المسار الفكري والمنطق الداخلي للنص المشروح. لذلك يكثر استعمال لفظ «والحاصل» أو «وحاصله» أو «المحصل» للدلالة على النتيجة العامة للنص المشروح وخلاصته النهائية[5]. ويفصل بين الاثنين فعل القول، «قلت». ويتم الربط بين الحكم في استدلال منطقي[6]. ومع ذلك يبدأ تقديس النص المشروح ويصبح الشارح العبد الفقير الذليل. ولا يوجد نقد للنص المشروح. فالمقدس لا يُنقد. والكامل لا نقص فيه. وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث مع أولوية القرآن على المصدرين الآخرين، وأسبقية الشعر على الحديث[7]. ويكثر الشعر في الشروح المتأخرة، فالشعر ديوان العرب الأول الحامل للذاكرة. فالشرح موجه إلى القارئ محافظاً قدر الإمكان على أسلوب «الحكم»[8]. وتتكرر الحجج النقلية أكثر من مرة. ولا توجد

---

(1) المراسلات، إيقاظ الهمم ص457-491.

(2) السابق ص15-22.

(3) عدد الحكم254.

(4) الجزء الأول يشمل الترجمتين للشارح والمشروح والمقدمتين بالإضافة إلى 121 حكمة مشروحة في اثني عشر باباً. والجزء الثاني يشمل 132 حكمة موزعة على ثلاثة عشر باباً.

(5) والحاصل، السابق ص148/ 178/ 234/ 235/ 252/ 296/ 300/ 312/ 337/ 342/ 356/ 377/ 409/ 410/ 451/ 465/ 468/ 503/ 538/ وحاصله، السابق ص 135/ 158/ 143/ 248/ 317/ 327/ 395/ 491، محصل، السابق ص278/ 281.

(6) السابق ص13/ 45.

(7) الآيات (522)، الأشعار (بصرف النظر عن عدد الأبيات في كل شاهد) (286)، الأحاديث (195).

(8) الله أعلم، إيقاظ الهمم ص101/ 118/ 228 فافهم، السابق ص131، تنبيه ص30/ 39/ 86، فذلكه ص73.

أشعار في المراسلات. فالموضوع لا يحتمل ولا يحتاج. كما يعتمد على أقوال الصوفية والشروح السابقة خاصة شرح «زورق». ويقتبس من بعض المصادر المدونة[1]. ويحال إلى مؤلفات الشروح الأخرى مثل «لطائف المنن» و «التنوير»[2]. وتؤخذ عدة اقتباسات ووضع علامة «انتهى»[3]. ويحال إلى الحكماء مع الصوفية لاشتراكهم في الحكمة «الإشراقية» كما وضح ذلك عند ابن سينا والسهروردي. وتظهر الإسرائيليات في حكايات الأنبياء السابقين وأحاديث الله معهم[4]. وهناك بعض اللازمات اللغوية مثل «الله أعلم» تعبيراً عن الأشعرية ومخاطبة القارئ ودعوته إلى الفهم في الصيغة الأمرية «فافهم»[5].

18 ـ «شرح السبعات والصلوات» للدردير الجنيد (القرن الثالث عشر)[6]: والسبعات عشرة أشياء وسبعة. فالعدد سبعة عدد رمزي والعدد عشرة أيضاً كذلك طبقاً لعلم الأعداد الشرقي القديم. والشرح هنا ليس شرح لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة ولكن تدعيم النص النظري المشروح بالأدلة النقلية من القرآن والحديث[7]. من الصوفية يذكر مصطفى البكري ثم الجزولي والفاسي من المتأخرين، والحكيم الترمذي من المتقدمين[8]. وفي النهاية ينقسم النص إلى أربعة فصول. الأول عن التسبيح والثاني عن الحمد، والثالث عن التوحيد، والرابع عن الحوقلة[9].

19 ـ شروح المنلا (القرن الثالث عشر):

أ ـ «الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى»[10]: يحاول إبراز موضوعات

---

(1) السابق ص199.

(2) السابق ص175.

(3) لطائف المنن، إيقاظ الهمم ص70/ 124/ 141/ 201-202/ 274/ 432-433. التنوير، السابق ص34/ 139-140/ 217/ 290/ . 507.

(4) السابق ص46.

(5) انتهي، السابق ص64/ 72/ 118/ 131/ 139/ 142/ 160-161/ 508/ 511/ 513/ 526/ 535/ 542.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص217-239.

(7) الآيات (83)، الأحاديث (48)، الأشعار (3).

(8) مصطفى البكري (2)، الجزولي، الفاسي، الترمذي (1).

(9) شرح المسبعات ص232-335.

(10) السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسنى (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2) ص49-116.

المتن مثل فضل الصلاة على النبي وثمراتها وما قيل فيها نظماً وفوائدها الثلاث مستنبطة من خصائصه ومن اسمه ومن حروفه الأربعة، وشرفه الأموي، والعمامة الخضراء للأشراف، وأبنائه وأزواجه وسراريه ونسبه ونسب أمه. ويتم التركيز على المناقب والكرامات. ويظهر لفظ «فصل» مرة واحدة وبلا عنوان[1]. ويقطع النص قطعاً صغيرة للغاية، لفظاً لفظاً. ويسهب الشرح بحيث فاق المتن مئات المرات. المتن مجرد مناسبة أو وسيلة أو أداة للشرح، مجرد خيط تنتظم حوله المعلومات من المصادر التي تبلغ المئات. فهو تأليف على تأليف. المتن مجرد «عكاز» للشرح. وبدونه لا يتم الشرح لغياب العنفوان الحضاري الأول. ويعتمد الشرح على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[2]. ومنهم يظهر على استحياء. الحسن البصري وسفيان الثوري والبسطامي من المتقدمين، والدباغ وابن عطاء من المتأخرين[3].

ب ـ **«شرح تسع صلوات للشيخ عبد القادر الجيلاني»**[4]: وهو أيضاً شرح القليل بالكثير، وتقطيع المتن لفظاً لفظاً، واعتباره مناسبة لتجميع المعلومات من مئات المصادر السابقة. ويعتمد الشرح أساساً على الأدلة النقلية، الحديث والقرآن والشعر[5]. ويُرى الرسول في المنام. ويحال إلى بعض الصوفية على استحياء، مثل الترمذي والقشيري والسهروردي المقتول والشاذلي ومصطفى البكري وابن عطاء الله السكندري[6]. ويحاول الشرح إبراز موضوعات المتن وهي فوائد الصلاة على الرسول السادسة عشرة مع التحول من الظاهر إلى الباطن[7].

---

(1) السابق ص73.

(2) الآيات (25)، الأحاديث (21)، الأشعار (15).

(3) الحسن البصري، سفيان الثوري، البسطامي، الدباغ، ابن عطاء، مصطفى البكري (1).

(4) السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسنى (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (3) ص119-177.

(5) الأحاديث (57)، الآيات (49)، الأشعار (15).

(6) الترمذي، القشيري، السهروردي المقتول، الشاذلي، مصطفى البكري، ابن عطاء الله السكندري (1).

(7) وهي حل الألفاظ، مفاخر الإسلام، مواصلة الصلاة، كتابتها، الاختلاف حول صلاة الله عليه وفائدتها، وتاريخ مشروعية الصلاة عليه، وهل تجوز الصلاة على نفسه، وهل تعبدت الأمم السابقة بالصلاة على أبنائها،وهل لها أجر؟ وهل يقطع بقبولها؟ وهي حبس على صاحبها، متفردة عن السلام، وحكم الصلاة على الملائكة وسائر الأنبياء، ومعنى =

20 ـ «المواهب الجليلة في شرح حزب الوسيلة» لمحمد الأمين الكيلاني (القرن الثالث عشر)[1]: وهو شرح على نفس المنوال، تقطيع النص إلى ألفاظ يسبق كل منها «وقوله»، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات التاريخية حول اللفظ والموضوع. وتبرز عدة موضوعات في الشرح تجمع بين المناقب والصلاة وبعض الأخرويات. يبرز نسب الشيخ وأوصافه ومزاياه، والصلاة على النبي ومدى القطع بقبولها، وفائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له، ومعنى الفقر والفناء، والفرق بين المعصية من المؤمن والمعصية من الفاجر، والتمييز بين نوعين من الظلم، ظلم النفس وظلم الخلق. ثم تأتي الأخرويات ابتداء من عذاب القبر وسؤال الملكين وحملة العرش. وأخيراً تأتي عقوبة دعوى الولاية وهو سوء الخاتمة، وفائدة حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهل يجوز كتابة الصلاة على الرسول منحوتة. ومادة الشرح هي القرآن والحديث والشعر[2]. كما يحال إلى بعض الصوفية في مقدمتهم «الغزالي» في «الإحياء» ثم القشيري والحلاج والبسطامي وزروق وآخرون[3]. كما تدخل بعض الإسرائيليات وروايات عيسى[4]. وتستعمل بعض العبارات الفارسية فيما يبدو. فالتصوف ليس له لغة معينة. وتبرز بعض الأفكار بالتنبيه عليها بألفاظ مثل «لطيفة»، «فائدة»[5].

21 ـ «كشف الأسرار لصلاة سيد الأبرار» للشيخ عمر العطار(1307هـ)[6]: وهو شرح الصلاة الكبرى لابن عربي. يخلو من التقسيم الموضوعي، ويقتصر على الشرح اللغوي، لفظاً لفظاً. وبه مقدمة نظرية من المحقق مملوءة بالصلوات والدعوات والابتهالات، ولا تفيد في شيء[7]. ويعبر بأسلوب القول «فإن قال

= كثرة الصلاة عليه، وتخصيص يوم الجمعة بالإضافة إلى فوائد أخرى نظما ونثرا.

(1) «السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت2002م-1423هـ (4) ص181-252.

(2) الآيات (71)، الأحاديث (52)، الأشعار (19).

(3) الغزالي (3)، الإحياء (2)، القشيري (2)، إبراهيم بن أدهم، الحلاج، البسطامي، زروق، ابن عطاء الله، أحمد التجاني (1).

(4) السابق ص231.

(5) لطيفة (2)، فائدة (1).

(6) «دار الكتب العلمية»، بيروت2006م-1427هـ.

(7) السابق ص7-93.

قلت» للإيحاء بالفكر والاستدلال. وتؤخذ مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[1]. ومن الأشعار واحد فقط بالفارسية. ومع ذلك يعتمد على العد والإحصاء وهي صورة كمية للقسمة العقلية[2].

22 - شروح الخالدي (1311هـ):

أ - **«جامع الأصول في الأولياء»**[3]: وهو نموذج التأليف في تناثر البنية وتجزأتها وبعثرتها ثم جمعها في موسوعة صغيرة أو كبيرة للم الشتات وإعادة تجميع الأجزاء. ويتم التجميع على الموضوع المركزي المتأخر وهم الأولياء أصحاب المناقب والكرامات. ويدل العنوان على ذلك «جامع الأصول» أي إعادة تجميع التصوف حول أصوله الأولى «في الأولياء» أي ابتداء من الأولياء، أنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريقة ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع التصوف»[4]. وهذا هو سبب التأليف[5] لا ينقسم إلى أبواب وفصول بالرغم من الإعلان عن جمع الفصول. وتظهر أمام الموضوعات ألفاظ مثل «بيان». وتتنوع الموضوعات بين أنواع التصوف الأربعة: التصوف الخلقي مثل: النية، الزهد، الورع، الإخلاص، اليقين، العلم، الإرادة، الكمالات. والتصوف النفسي مثل: الواجب والخواطر، المراقبة، المعرفة، اللطائف، البصيرة، الحقائق، العقل. والأحوال مثل القبض والبسط، الفناء والبقاء. والمقامات مثل المحبة. والتصوف الفلسفي مثل: التوحيد، الاستعانة بالله، الشفاعة، وحدة الوجود ووحدة الشهود، الحقائق الإلهية، الحقائق الأنبيائية. والتصوف العملي مثل: الطرق، العزلة والصحبة، الأوراد والأذكار، السلوك، الشيخ والمريد، آداب المجالسة، الاقتداء، جهاد العدو وجهاد النفس، المصائب، الشر، القطب الولي، الكرامة، الولاية، الشريعة والطريقة والحقيقة. النقباء

---

(1) الآيات (144)، الأحاديث (100)، القدسية (2)، الأشعار (35).

(2) كشف الأسرار ص154-158/ 226-227.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م-1423هـ (1)11-13.

(4) بيان (48)، الفرق (2)، خطبة، مظاهر، شروط، أقسام (1).

(5) «لما رأيت الناس ضيعوا أصول الطريق أردت أن أجمع نبذة من أصولها وأوصافها، والأولياء وأنواعهم واصطلاحهم وأطوراهم وبعض أسرارهم وآدابهم ومسلكهم وشروطهم إجمالاً مستعيناً بالله»، جامع الأصول ص11.

والابدال والأقطاب والأوتاد. فأصبح الكتاب موسوعة في التصوف، تعريفات من السابقين، هم تاريخي مع أخذ بعض المواقف في الهامش[1]. ويبدأ تقريظ الكتاب وهي صفة المدح للذات من سمات التأليف المتأخر[2].

والطرق الصوفية مثل الفرق الكلامية. ويتم التركيز على النقشبندية والشاذلية كما يتم التركيز في الكلام على الأشاعرة والمعتزلة أو السنة والشيعة[3]. ويركز على نسب الصوفية، وهو تقليدي جاهلي[4]. ويتم التقارب والتماثل بين أسماء الأولياء وصفات الله[5]. وألقاب الرسول مثل ألقاب الصوفية «سيد الأكوان»، «أكمل المرشدين»[6]. ويتم الاعتماد على القرآن والحديث والشعر[7]. وتفصل أنواع بحور الشعر. وتكثر الأدلة النقلية. وهو الطابع للمؤلفات المتأخرة وكما هو الحال في كتب الحديث والتصوف الخلقي. كما يتم الاعتماد على القسمة العقلية والتقسيم الثلاثي المطرد[8].

ب ـ **«متممات كتاب جامع فصول في الأولياء وأنواعهم»**[9]: ولكي تكتمل الموسوعة وتزداد تفصيلاً أشفع الكتاب الأول بكتاب ثان كتب له. والمتممة ثلاث أضعاف الأصل تقريباً وتعطي فريداً من التفصيلات. وفي نفس الوقت تحاول تجميع موضوعات التصوف في أصول. يبدأ أولاً بمصطلحات الصوفية مرتبة ترتيباً أبجدياً[10]. ثم يأتي النقشبندي شيخ الطريقة. نسبته وولادته ومشايخه وتلاميذه والطريقة التي تحمل اسمه ونسبها إلى طريقة ابن عربي وطريقة الشاذلي وعلاقته بالمريدين[11]. ثم يأتي ثالثاً الطريق مع بعض المقامات والأحوال مثل الهيبة

(1) جامع الأصول ص94-95.
(2) السابق ص7-9.
(3) السابق ص11.
(4) السابق ص228-229.
(5) السابق ص18-28.
(6) السابق ص38/ 235.
(7) الآيات (109)، الأحاديث (8)، القدسية (4)، الأشعار (1).
(8) جامع الأصول ص95-98.
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2) ص114-429.
(10) السابق ص114-164.
(11) متممات كتاب جامع الفصول في الأولياء وأنواعهم لضياء الدين الخالدي (1311هـ) =

والأنس والقرب والبعد والفناء والبقاء وبعض النظريات الصوفية في الإنسان الكامل. ثم يأتي الطريق النظري وهو يعادل التصوف الفلسفي في التوحيد واليقين مع بعض المقامات مثل الشكر والصبر والعبودية والأحوال مثل الخوف والرجاء. وأخيراً تظهر بعض موضوعات التصوف العملي مثل الذكر والمجاهدة والولاية والمكاشفة والمحاضرة والمشاهدة مع تدخل المقامات والأحوال من جديد حوالي مائتي موضوعاً متناثراً ومكرراً لا جامع بينها ولا بنية فيها. تعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. كما يعتمد على الكثير من أقوال الصوفية يتقدمهم الشاذلي ثم النقشبندي ثم الشبلي ثم القشيري ثم البسطامي ثم ابن عربي ويحيى بن معاذ وذو النون... الخ، حوالي أربعين صوفياً. ومن الطرق الصوفية تتقدم النقشبندية ثم الشاذلية ثم السهرودية ثم حوالي أربعين طريقة أخرى[2]. ويُرى الرسول في المنام[3]. وتخترق الطرق الصوفية كل المذاهب الفقهية الأربعة. ويحال إلى عدة مصادر أولية[4].

23 ـ «النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية» لمحمد بهاء الدين البيطار (1328هـ)[5]: وبين المتن والشرح ما يقل عن قرن. وهل تحتاج الصلاة إلى شرح؟ الصلاة فعل ومعاني، والشرح فعل عقلي. الصلاة تحتاج إلى

= دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2)، السابق ص164-192.

(1) الآيات (148)، الأشعار (54)، الأحاديث (29).

(2) الشاذلي (36)، النقشبندي (13)، الشبلي (8)، الجنيد، البسطامي (5)، ابن عربي، يحيى ابن معاذ، ذو النون (4)، إبراهيم بن أدهم، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص (3)، جعفر الصادق، بن مشيش، محمد الكتاني، أبوعلي الدقاق، الواسطي (2)، الأحنف، ابن عطاء الله، السري السقطي، الروزباري، بشر الحافي، زروق، أبو مدين، نجم الدين كبري، السهروردي، الجيلاني، الخراز، سفيان الثوري، مالك بن دينار (1) ومن الطرق الصوفية النقشبندية (9)، الشاذلية (4)، السهروردية (3)، الرفاعية، الأحمدية، الأكبرية، الدسوقية، المولوية، الكبروية، الخلوتية، الجلوتية، الغزالية، الرومية، السعدية، الشعبانية...الخ (حوالي أربعين طريقة).

(3) السابق ص181/ 272.

(4) مثل: الكواكب الظاهرة في اجتماع الأولياء في الدنيا والآخرة للشاذلي «وعوارف المعارف» للسهررودي (1)، ورسالة الخادمي (3).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (على الغلاف ت1314هـ) وتوفي الأدريسي1253هـ.

ممارسة، والشرح يهدف إلى الفهم. وأحيانا الشرح يحتاج إلى شرح لاستعماله بعض المصطلحات الصوفية مثل البرزخ أو حديثة مثل «مغناطيس الكمالات»[1]. يبدو أن الغرض هو التعالم، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المتن أسوة بالشرح في باقي العلوم، الكلام والفلسفة والأصول[2]. بل إن العنوان تغلب عليه المغالاة مثل «النفحات الأقدسية». وإذا كان الشرح أيضاً من علوم الذوق والكشف فإنه يحتاج إلى شرح إلى ما لا نهاية إن لم يكن الشرح فعل العقل والتحليل النظري اللغوي والتجريبي.

سبب التأليف هو مجرد الاستجابة إلى طلب أحد مشايخ الشارح، وإظهار علم التلميذ كما هو الحال في شروح ابن عجيبة[3]. ويتم الشرح صلاة صلاة، وعبارة عبارة، بل ولفظاً لفظاً. فتضخم الشرح على حساب المتن اثنتي عشرة مرة[4]. ويتجه الشرح إلى الشارح، ومن المتن إلى صاحبه، ومن التحليل إلى التعظيم والتضخيم والتبجيل لإمام العارفين وحجة المحققين وسيد العارفين وقطب المحققين. وفي نفس الوقت تستعمل اللازمة المعروفة «الله اعلم». ويبدأ الشرح بذكر المتن أولاً بلا شروح[5]. ثم يذكر متن آخر بعنوان «الحصون النبوية المنيعة» توحي بهم الرسول والحقيقة المحمدية[6]. ثم يشفع بمتن ثالث من الأوراد[7]. وهي

---

(1) السابق ص73.

(2) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل حـ3 الشرح. من النص إلى الواقع حـ1 تكوين النص ص433-439.

(3) «أما بعد، فقد أمرني من لا تسعني مخالفته، ولا تمكنني منازعته، وهو سيدي وأستاذي وعمدتي وملاذي، مرشد العباد إلى الطريق، ومنجد القصاد لحرم المشاهدة والتحقيق، طبيب أمراض القلوب، المداوي سيدي الشيخ محمد الدندراوي، أن أشرح الصلوات الأحمدية الإدريسية، وأجلو الحجب عن أسرارها الأقدسية لفحوص مداركها الخفية وشموخ معارجها الوفية...»، النفحات الأقدسية ص23.

(4) متن الأربع عشرة صلاة 12 صفحة والشرح 359ص.

(5) متن الصلوات الأحمدية، السابق ص11-16.

(6) «هذه الحصون النبوية المنيعة لسيد العارفين وقطب المحققين سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه»، السابق ص17-20.

(7) «أوراد الطريقة الأحمدية المنسوبة إلى إمام العارفين وحجة المحققين مولانا السيد أحمد ابن إدريس رضي الله تعالى عنه»، السابق ص21-22.

متون واضحة بذاتها متجه مباشرة إلى القارئ دون حاجة إلى شرح. لذلك يبدو الشرح استطراداً خارج الموضوع الذي لا وجود له[1]. والخطاب موجه إلى القارئ مع الدعاء له «حياك الله ورعاك» «فافهم ذلك». وهو تقليد قديم من إخوان الصفا.

ويعتمد الشرح بطبيعة الحال على القرآن والشعر والحديث[2]. وواضح غلبة القرآن عشرة أضعاف الشعر وعشرة أضعاف الحديث. فالقرآن أقرب إلى الوجدان. وهو المصدر الرئيسي للصلوات. وهي آيات وأحاديث صوفية منتقاة يمكن انتقاء غيرها في اتجاه معاكس للتصوف. والقرآن به كل شيء ويمكن للشارح إمالته على الجانب الذي يريد. رداً للكل إلى أحد أجزائه. ونظراً لأن الشرح ليس له موضوع فقد أضاف الشارح عناوين فرعية من لديه كعصب للشرح وهيكل عظمي له. الشرح مجرد مناسبة للتعبير عن عقائد الصوفية خاصة الحقيقة المحمدية. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين. ولكل منهم ألقابه: الشيخ الأكبر، وسلطان العارفين، والإمام ابن عربي، ثم الغوث القطب الجيلي، ثم سلطان العاشقين ابن الفارض، وأحمد الإدريسي صاحب المتن ثم الحلاج ثم علي وفا ثم الغوث الجيلاني ومحمد وفا الدباغ، ثم الغزالي والبكري، ثم النقشبندي والأبوصيري والبسطامي، ثم ابن عطاء الله والشبلي والخراز والقونوي والتستري وعبد القادر الجزائري والشاذلي وابن مشيش وجعفر الصادق وغيرهم[3]. وواضح الحضور الطاغي لابن عربي. وتظهر الاقتباسات بلفظ «انتهى»[4]. ومن الأنبياء موسى وآدم ثم عيسى ثم حواء. ويلتقي البعض منهم خارج التاريخ في عالم الأرواح مثل لقاء ابن عربي بموسى، وابن عربي بالحلاج. ومن المصادر تأتي مؤلفات ابن عربي في المقدمة، «الفتوحات» ثم «الفصوص» ثم «التجليات» ثم «عنقاء مغرب»[5]. ومع

(1) استطراد، السابق ص331/ 348.

(2) الآيات (1280)، الأشعار (135)، الأحاديث (123)، القدسية (10).

(3) ابن عربي (56)، الجيلي (14)، ابن الفارض، أحمد الإدريسي (13)، الحلاج (6)، علي وفا، الدباغ (4)، الغزالي، البكري، صاحب الأبريز (3)، النقشبندي، الأبوصيري، أرسلان الدمشقي، الدندراوي، البسطامي (2). ابن عطاء الله، الشبلي، الخراز، القونوي، التستري، عبد القادر الجزائري، الشاذلي، ابن مشيش، جعفر الصادق (1)، ومن الأنبياء موسى، آدم (5)، عيسى (3)، حواء (1).

(4) السابق ص321/ 282.

(5) الفتوحات (8)، الفصوص (4)، التجليات (2)، عنقاء مغرب (1).

ذلك لا تخلو بعض جوانب الشرح من القسمة والعدد والإحصاء[1]. والأهم من ذلك كله تحول الشرح من المتن إلى صاحب المتن، من النص إلى الشخص، ابتداء من شخص المؤلف إلى شخص الشيخ إلى شخص الرسول، والتوجه بالشرح كله في النهاية إلى الحقيقة المحمدية والتي لها صياغات عديدة ابتداء من محمد الرسول إلى «السيد الأعظم» إلى «حقيقة محمد» إلى «كمال محمد» حتى «البحر المحمدي»، «المظهر المحمدي»، «السر المحمدي»، المرآة المحمدية»، «الحضرة المحمدية»، «الحضرة الإلهية المحمدية»، «الربوبية المحمدية». وفي «الإنسان الكامل» يمحي التمييز بين الله والرسول والولي. كما يختفي التمييز بين محمد والكون. فمحمد هو النور والخلق والدهر وهو على علم بالفلسفة اليونانية، المادة والهواء والعماء[2]. وعلى خليفته ووصيه مما يوحي بالصلة الشهيرة بين التصوف والتشيع[3]. وتؤول آيات موسى وهارون لتطبيقها على محمد وعلي.

24 ـ «الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية» لأبي الشامات الدمشقي (1341هـ)[4]: وبين الشرح والمتن حوالي سبعة قرون. لا يضيف جديداً، ولا هدف له. ومع ذلك الشرح عبارة عبارة ولفظ لفظاً مع إعجاب بصاحب المتن أكثر من المتن. ويسميه الشارح «سيدي المؤلف»[5]. وله مقدمة لا هدف لها إلا ذكر أكبر قدر عدد ممكن من المشايخ[6]. ويقع الشارح في الاستطراد[7]. وتعتمد مادة الشرح على الشعر ثم الحديث ثم القرآن[8]. وتؤخذ عدة اقتباسات من الشاذلي ثم النابلسي. ويحال إلى أبي العباس المرسي وزروق، ومن الفقهاء إلى السيوطي والعز بن عبد السلام ومن الطرق الصوفية يحال بطبيعة الحال وباستمرار إلى

(1) النفحات القدسية ص429.
(2) السابق ص346-348.
(3) السابق ص339-341.
(4) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (2) ص109-149.
(5) السابق ص117-133.
(6) السابق ص109-144.
(7) «وإنما أطلت الكلام»، السابق ص147.
(8) الأشعار (31)، الأحاديث (18)، القدسية (2)، الآيات (8).

الشاذلية وآخرين[1]. وينتهي الاقتباس بلفظ «انتهى» ويحال إلى بعض المصادر المدونة[2].

25 ـ «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» لمصطفى البيروني (1350هـ)[3]: وبين المتن والشرح ما يقرب من سبعة قرون. المتن صغير والشرح كبير دون ما حاجة إلى شرح الواضح وتنظير الابتهالات والدعوات والمناجيات والصلوات[4]. ومع ذلك يقطع المتن الصغير، عبارة عبارة، ولفظاً لفظاً بل وحرفاً حرفاً لتكبير الشرح، وجعله أكثر أهمية من المتن عن طريق الزيادة الكمية[5]. ونظراً لأن الشرح لا موضوع له فقد تم التحول من المتن إلى صاحبه ومد نسبه الشريف إلى الرسول مع سلسلة المشايخ التي تعادل سلسلة الرواة في علم الحديث. ويُرى الرسول في المنام وتؤخذ منه أحاديث مباشرة[6] ويعتمد الشرح على القرآن والشعر والحديث[7]. كما يتم اقتباس العديد من أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الشاذلي الذي ينسب إليه المتن بالإضافة إلى أقواله وأدعية أخرى وأحزابه مثل حزب البر وحزب البحر وحزب اللطيف وغيرها[8]. ثم يحال إلى أبي العباس المرسي ثم إلى الدرقاوي والشعراني وابن عطاء الله وكتابه «لطائف المنن» و«الطبقات الكبرى» وابن دقيق العيد[9]. والمقدمة طويلة دون أن تتضمن أي إشكال أو قضية أو موضوع[10]. وتروى

(1) الشاذلي (6)، النابلسي (4)، الشاذلية (3)، أبو العباس المرسي، زروق، السيوطي، العز ابن عبد السلام (1)، ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء آدم (1).

(2) مثل «شرح الجامع الصغير» للمناوي، «الجوهر الخامس في أجوبة حكم الإخلاص» لشمس الدين المرصفي.

(3) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (1) ص15-105.

(4) متن الوظيفة الشاذلية ص9-11، الشرح15-105.

(5) كشف الأسرار ص89.

(6) السابق ص30.

(7) الآيات (248)، الأشعار (35)، الأحاديث (29).

(8) كشف الأسرار ص15-42.

(9) الشاذلي (3)، أبو العباس المرسي (2)، الدرقاوي، الأشعاراني، ابن عطاء الله، ابن دقيق العيد، البسطامي، التستري، ابن عربي (1).

(10) السابق ص25-29.

حكايات وكرامات عن مشايخ الطريقة. والشرح كله أقرب إلى الإبداع الأدبي والنثر الفني. يتخلله أسلوب القول للإيحاء بالحوار والنقاش والردود على الاعتراضات. ومن كثرة الإعجاب بالشرح يأتي تقريظه من بعض المشايخ في النهاية[1].

ب - **شروح المعاصرين**: وتعني الشروح في القرن الرابع عشر الذين توفوا أو الذين ما زالوا على قيد الحياة. وأهمها:

1 ـ **«تنوير الصدر شرح حزب البر» للشبراوي**[2]: وهو شرح حديث يقوم على مادة منقولة من السابقين[3]. يبدأ بشرح موضوعي أولاً بإبراز موضوعات الحزب وإعادة عرضها. ثم ينتهي بالعبارة الشارحة التقليدية، لفظاً بلفظ وعبارة بعبارة. والشارح شافعي مذهباً، وخلوتي، حمدي شاذلي طريقة أي تحديد المذهب الفقهي والطريقة الصوفية. وتبرز موضوعات التصوف الرئيسية مثل «الحقيقة المحمدية». وهو شرح بناء على سؤال واعتماد على المشايخ القدماء. وكلها استطرادات ونقول تبعد عن الموضوع. لذلك تظهر لازمة «فلنرجع لما نحن فيه ونقول»[4]. وأحياناً تظهر الشروح اللغوية. وتذكر اقتباسات عدة من أقوال السابقين بعلامة «انتهى»[5]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية مع إسهاب كثير[6]. وتأتي مادة الشرح من «اليواقيت والجواهر» للشعراني، ومن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي خاصة «الفتوحات» أو نقلاً عن الشيخ الأكبر الشعراني ثم ابن الفارض ثم الجيلي ثم النابلسي ثم القونوي ثم ابن عطاء الله السكندري والخواص والسبكي والتستري وإبراهيم الدسوقي وذو النون، ثم الجنيد

(1) السابق ص103-105.
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (3) ص107-231.
(3) «وسألني أن أصنع لهم كتاباً على حزب القطب الشاذلي الكبير المسمي بحزب البر. وقد شرحه شيخنا الأستاذ الشيخ البهي شرحاً عظيماً، لكن لغرابته صعب تناوله على القاصرين من أمثالي. فاجبته لذلك وإن كنت لست أهلاً لما هنالك معتمداً في ذلك على الملك الوهاب وعلى شرح شيخنا الأستاذ البهي وما يفتح الله به علينا مما تلقيناه عن أشياخنا وكتب بعض العارفين»، السابق ص107.
(4) السابق ص110/ 168/ 214.
(5) انتهى (29).
(6) الآيات (310)، الأحاديث (46)، الأشعار (34).

والحكيم الترمذي، والكرخي، والجيلاني والشاذلي وعلى الخواص وحسن البصري وأبو نعيم الأصفهاني والقشيري وزروق[1]. . . إلخ ابن عربي هو الفريد بن العربي تعظيماً له وتأكيداً لتميزه. ومن المصادر بالإضافة إلى «اليواقيت والجواهر» و«الكبريت الأحمر» يأتي «الإنسان الكامل»، و«الفتوحات» و«حلية الأولياء» و«لطائف المنن»[2]. ومن الفقهاء الشافعي وأحمد. ومن الأنبياء آدم وموسى ثم لوط ثم الخضر. ومن الصحابة ابن عباس. ويقتبس من التوراة ومن الفرق يذكر المتكلمون والمعتزلة[3]. ومن الشعراء أبو الفوارس. وفي البداية تذكر إنجازات النقل وهي الروايات الكتابية[4]. وتبرز بعض الموضوعات تحت ألفاظ «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة». . .الخ[5].

2 ـ **«شرح حزب البر» للشاذلي المعروف بالحزب الكبير للفاسي**[6]: ليس الشرح للفصوص الفاسية وحدها بل أيضاً للأحزاب والأوراد الطرقية. وقد اختير هذا الحزب لاشتهاره وذيوعه. وهو شرح لا جديد فيه، أقرب إلى تحصيل الحاصل. لا يوضع له إطار نظري جديد أو قراءة عملية جديدة. ومع ذلك يقول الشارح بإنه تم بإذن من الله والرسول في اليقظة والنوم[7]. هو شرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، أقرب إلى العبارة الشارحة. وتوضع نقاط جامعة للشرح بعد كل قطعة من الحزب كما هو الحال في التأليف المدرسي. ويعتمد على القرآن

(1) الشعراني (29)، ابن عربي (21)، ابن الفارض (7)، الجيلي (6)، النابلسي (4)، القونوي (3)، ابن عطاء الله السكندري، الشيخ الخواص، السبكي، التستري، إبراهيم الدسوقي، ذو النون (2)، الجنيد، الكرخي، الحكيم الترمذي، الجيلاني، الشاذلي (الشاذلية) علي الخواص، الحسن البصري، أبو نعيم، القشيري، زروق. . .الخ (1)، ويذكر أبو رضا الخياط الدمشقي، وصاحب الجوهرة وأبو الدرداء وداود بن نخلا وإسماعيل السلمي والشيخ أرسلان ومحمد الولي والشرقاوي.

(2) اليواقيت والجواهر (18)، الكبريت الأحمر (4)، الإنسان الكامل، الفتوحات (3)، حلية الأولياء (2)، لطائف المنن (1).

(3) المتكلمون، المعتزلة (1).

(4) شرح حزب البر ص107-108.

(5) فائدة (4)، تنبيه (2)، لطيفة (1).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت2004 (1) ص23-91.

(7) «ما ثبت منه بكلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله»، السابق ص23.

والحديث والشعر[1]. كما تعتمد على عديد من اقتباسات الصوفية توضع بعدها علامة «انتهى»[2]. ولا يهم ذكر أصحابها. فالأقوال والحكم قائمة بذاتها. ويستعمل أسلوب القيل والقال. كما يعتمد على أعمال الشاذلي السابقة[3]. يشرح النص بصاحبه[4]. كما تذكر بعض المصادر الأخرى مثل «شمس القلوب». وتستعمل الحكم استعمالا مرسلا دون الإشارة إليها[5] ويذكر من الصوفية، مالك بن دينار والسيد البدوي والبرزلي[6]. كما تذكر من التوراة قصة بلعام بن باعوراء[7]. والعجيب بركات الحزب «فلو قرأ ببغداد ما أخذت»[8].

3 ـ **«روح الكبريت الأحمر عن حكم الشيخ الأكبر» للداموني**[9]: وهو شرح لمتن ينتمي كلاهما للقرن العاشر. لا يوجد سبب خاص للتأليف. وهو شرح عادي، لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، أشبه بالأقوال المأثورة أو المثل السائرة أو «جوامع الكلم» أسوة بالحديث ويقوم الشرح بتحليل النص عقلياً وشرعياً ولغوياً وصوفياً. أتى الشرح إلهاماً كالعادة مع أنه مجرد تجميع من نصوص سابقة. وتتضمن الشرح تركيبة كلمة ومن كلمات عن أصول للسؤال عنها، واقتباسات إلهامية، وأحاديث للرسول، وقواعد خمسة للتربية، وبعض أقوال من الشارح[10]. يعتمد على القرآن والحديث والشعر وبعض اقتباسات من مصادر سابقة[11]. ومعظم الأحاديث ضعيفة.

---

(1) الآيات (83)، الأحاديث (34)، الأشعار (19).

(2) انتهي (36).

(3) مثل «لطائف المنن» شرح حزب البر ص46.

(4) السابق ص80.

(5) الحكم (3).

(6) البرزلي (2)، عبد السلام، أبو اليزيد، أبو العباس المرسي، العراقي، القشيري، مالك ابن دينار، السيد البدوي (1).

(7) قصة بلعام بن باعوراء، شرح حزب البر ص67.

(8) السابق ص25.

(9) البيان والمريد، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ (3)، ص193-284.

(10) الحكم (161)، كلمات عن أصول للسؤال عنها (16)، اقتباسات إلهية (104)، قال (21) قواعد التربي (5)، قلت (39)، ويكون مجموعها348.

(11) الآيات (7)، الأحاديث (6)، الأشعار (1).

4 ـ **«البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد» لشهاب الدين باعشي**[1]: المتن للغوث أبي مدين التلمساني. والشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، بالعبارة الشارحة اعتماداً على القرآن[2]. ولا يوجد صوفي واحد يُحال إليه إلا فقيهان، الشافعي وأبو حنيفة. ويقطع النص وتوضع له رؤوس موضوعات مرقمة. وتترك بعض العبارات دون شرح لوضوحها أو لعدم وجود مادة لها[3]. وهو شرح واضح، مرتب، تعليمي. يركز على الموضوعات دون استطرادات. يخاطب القارئ. ويبرز الحقيقة المحمدية في آخر الشرح مع أحاديث موضوعة في الغيبيات.

5 ـ **«النفحات القدسية لشرح الوظيفة الشاذلية» لمصطفى البقاعي**[4]: وبين المتن والشرح حوالي ثمانية قرون. وسبب الشرح هو طاعة أمر الشيخ وليس نابعاً من الشارح بناء على قضية أو حلاً لإشكال أو إعطاء لقراءة جديدة بعد هذا الزمان الطويل الذي تغيرت فيه الظروف وتبدلت الأحوال[5]. ويتم الشرح عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ دون إبراز الموضوع أو إدخال قسمة. وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[6]. وتبرز أسماء المشايخ وكأنها مادة علمية. وهم الرواة الجدد الذين حلوا محل علم الحديث في النقل الكتابي وليس في النقل الشفاهي. بل وضعوا في نظم دون الاكتفاء بالنثر لسرعة حفظهم. فما زال الشعر ذاكرة العرب[7]. الشرح يكمل الآية كما يؤيدها آية جديدة. وفي النهاية تقريظ للشرح. فالشرح مدح للمتن، والتقريظ مدح للشرح[8].

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.
(2) الآيات (275)، الأحاديث (51)، القدسية (1)، الأشعار (1).
(3) البيان والمزيد ص12/ 21/ 54.
(4) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (3) ص153-187.
(5) السابق ص154.
(6) الآيات (25)، الأحاديث (3).
(7) الإلهامات السنية ص156.
(8) السابق ص186-187.

6 ـ شروح الدرقاوي

أ ـ «اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية»[1]: وبين المتن والشرح أيضاً ما يقرب من سبعة قرون. ومع ذلك لا يضيف الشرح إلى المتن جديدا إلا زيادة المعلومات اللغوية والتاريخية. ويتم الشرح حكمة حكمة. مع الفصل بين المتن والشرح كما هو الحال في علم التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد. ثم تقطع الحكمة، لفظاً لفظاً وأحياناً حرفاً حرفاً. وتظهر القسمة العقلية بين الحين والآخر لتجعل الشرح يقوم على النقل والعقل معاً[2]. وفي أحيان كثيرة تحول الحكمة إلى قسمة عقلية حتى يتجاوز الشرح اللفظ والمعنى إلى الشيء ذاته[3]. كما يتم الشرح بالقرآن والحديث وهما مصدر التجربة الصوفية والشعر، نظراً للتماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[4]. كما يحال إلى بعض الصوفية مع حضور واضح لابن عربي وعلي بن أبي طالب[5]. ومن الصوفية إبراهيم بن أدهم ورابعة، والحسن البصري، وجعفر الصادق، والترمذي، والتستري، وسفيان الثوري، والغزالي، وابن عطاء الله وغيرهم. ومن المصادر المدونة «لطائف المنن» للشعراني. وأحياناً يتحول اللفظ إلى موضوع مستقل مثل «الهوى»[6]. وهو شرح واضح ومرتب بلا استطراد أو تعالم كما هو الحال عند ابن عجيبة. يخاطب القارئ «فعليك أيها المسلم»[7].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2003م–1424هـ (1) ص45–92. ويتضمن الكتاب مقدمة للشارح تتضمن بحثاً في التصوف الإسلامي كما هو الحال في الكتب الجامعية والمدرسية، السابق ص9–41. كما يشمل الكتاب فصوصاً لابن عطاء الله نشرت من قبل عدة مرات وهي الحكم العطائية الكبرى (وهي264 حكمة) (ص95–114). 2- الحكم العطائية الصغرى (60 حكمة) (ص117–120). 3- المناجاة الإلهية (34 مناجاة) (ص123–126). 4-مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض أخوانه ومريديه (ص129–133).

(2) اللطائف الإلهية ص45/ 47/ 49/ 55.

(3) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح.

(4) الآيات (134)، الأحاديث (51)، الأشعار (9).

(5) عليّ بن أبي طالب (2)، الشافعي (شاعرا)، البوصيري، ابن عطاء الله (شاعراً)، إبراهيم ابن أدهم، رابعة، جعفر الصادق، الوراق، الغزالي، الحسن البصري، الترمذي، التستري، سفيان الثوري (1)، ومن المتكلمين الجويني، ومن الشعراء أبو العتاهية (1).

(6) اللطائف الإلهية ص72.

(7) السابق ص66.

ب ـ «فهرس لشرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري كما وردت في الحكم لمؤلف اللطائف الإلهية»[1]: وهو عمل أحد المحدثين كالدراسات الجامعية في الأدبيات الثانوية. يدخل في الشرح أكثر مما يدخل في المصطلح. يذكر خمسة وستين مصطلحاً في الحكم العطائية، مرتبة ترتيباً أبجدياً. وتُستمد مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[2]. كما يستمد من مصادر موسوعات ومعاجم من القدماء والمحدثين، حوالي ثلاثة وعشرين مصدراً يتقدمها «لطائف الأعلام» للكاشاني من القدماء ثم «موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم من المحدثين»[3]. لكل مصطلح مصدر أو مصدران. ومصطلحان فقط بلا مصادر اعتماداً على الذاكرة. وغالباً ما يذكر المصدر في النهاية بلا رقم للصفحة ونادراً ما يذكر في البداية أو في الوسط. وتُقتبس بعض التعريفات ووضع علامة «انتهى». ومن أعلام الصوفية يذكر ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الهروي والجيلي ثم ذو النون ثم التستري والدقاق وأبو مدين والغزالي والقشيري وابن عربي والنخشبي والداراني وابن عطاء الله[4].

---

(1) اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (5) ص137-200.

(2) الآيات (34)، الأحاديث (5)، الأشعار (1).

(3) وهي: 1- لطائف الأعلام للكاشاني (62) 2-موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم (35) 3- إيقاظ الهمم في شروح الحكم لابن عجيبة (32) 4- اللمع للطوسي 5- الإنسان الكامل للجيلي (11)6- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (5) 7-جامع الأصول في الأولياء للنقشبندي 8- الرسالة القشيرية 9- اصطلاحات الصوفية للكاشاني (4) 10- المقصد الأسنى للغزالي 11- الفتوحات المكية 12- كشف المحجوب 13- التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله (3) 14-إحياء علوم الدين 15- الإسفار عن رسالة الأنبار 16- منازل السائرين للهروي (2) 17- غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية للنفري 18- الأنوار القدسية للشعراني 19- ترجمان الأشواق 20- شرح بدأ الأماني للداراني 21- عوارف المعارف للسهروردي 22- آداب النفوس للمحاسبي 23- مكاشفات العيون بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال للنوري (1).

(4) ابن عجيبة (5)، الجنيد (4)، الهروي، الجيلي (3)، ذو النون، ابن عربي (2)، أبو علي الدقاق، التستري، الفضيل بن عياض، أبو مدين، الغزالي، القشيري، النخشبي، الداراني، ابن عطاء الله، أحمد بن على الرازي (1).

حـ ـ «فهرس الحكم العطائية مرتباً على الموضوعات في ثلاثين باباً»[1]: وهو عمل حديث آخر. يعيد الدرقاوي تصنيف الحكم طبقاً لثلاثين موضوعاً موزعة على التصوف الخلقي مثل الإخلاص، الصلاة، الطمع، التواضع، والوعظ والتصوف النفسي: المقامات مثل التوبة، الزهد، الفقر، التسليم، الصبر، الشكر، والأحوال مثل الخوف والرجاء، القبض والبسط. والتصوف النظري مثل العلم، الفكرة، الورد والوارد، الأنوار، المعارف، التفرس، والتصوف العملي في الطريق مثل العزلة، الوقت، الذكر، رياضة النفس، الدعاء، الألطاف، أو الطريقة مثل الصحبة، الاستدراج، مراتب السالكين، قرب العبد من الله وقرب الله من العبد. ومن الفوائد أيضاً في الدراسات الحديثة ذكر معظم الشروح على الحكم العطائية للدارسين وتبلغ خمسة وخمسين شرحاً[2].

2 ـ شرح النظم:

أ ـ «الذخر والعدة في شرح البردة» للصديقي المكي (1057هـ)[3]: وهو شرح لغوي نحوي خالص، لفظاً لفظاً، وبيتاً بيتاً، بالإضافة إلى شرح الكلمات عن طريق المفردات. ولا علاقة له بالشرح الصوفي مع أن للشارح أعمالاً صوفية أخرى[4]. يعتمد على الشروح اللغوية السابقة. ومقدمتها لغير المتخصصين. فالشارح غير عربي. وإعراب القصيدة عمل علمي. ويبرز الشرح الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية[5].

ب ـ «شرح قصيدة النادرات العينية» للنابلسي (1143هـ)[6]: وهو نوع من شرح الشعر بالنثر مع تقطيع القصيدة إلى مجموعة أبيات، وشرح كل مجموعة

---

(1) اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ ص201-203.

(2) السابق ص 204-206.

(3) وقف كلية الالهيات بجامعة مرمرة، أستانبول 1999.

(4) السابق ص67-70.

(5) السابق ص75-76.

(6) دار الجيل، بيروت 1408هـ- 1988 م.

على حدة[1]. والشرح معنوي موضوعي ويتجاوز الشرح اللغوي. يبدأ الشرح المعنوي بفعل «يعني». ويطابق الشرح الموضوعي بين الصورة والشيء أو بين المثل والممثول وهو شرح معرفي خالص كما يتضح من العنوان «المعارف الغيبية في شرح القصيدة العينية» وتظهر الموضوعات الفلسفية الخالصة مثل قوى النفس[2]. وفي نفس الوقت يظهر التصوف العملي في محور الشيخ والمريد[3]. كما تتم مخاطبة القارئ والتوجه له بالشرح[4]. ومادة الشرح كالعادة القرآن أولاً والحديث ثانياً والشعر ثالثاً[5]. من أجل رد التجارب الصوفية الشعرية إلى أصولها الدينية والأخلاقية والأدبية.

جـ ـ شروح ابن عجيبة (1224هـ):

1 ـ «شرح خمرية ابن الفارض»[6]: وبين المتن والشرح ما يقرب من ستة قرون. وهو شرح بيتاً بيتاً، وأحياناً لفظاً لفظاً، الألفاظ العويصة بالاعتماد على قواميس اللغة. لا يوجد عرض موضوعي للقصيدة كما حدث في شروح البردة. لذلك غاب التبويب الموضوعي. ومادة الشرح من الشعر ثم القرآن ثم الحديث[7]. ويقتبس من أقوال الصوفية قدماء ومحدثين مثل الجنيد والقشيري وابن الفارض والشاذلي والتستري وأبي العباس المرسي وغيرهم[8]. ويحال إلى «لطائف المنن».

---

(1) هي مجرد مقتطفات الحقها الناشر بالقصيدة. لذلك لم نستطع إجراء تحليل مضمون كامل للشرح ومن الصعب الحكم على التقطيع إلى فقرات هل هي من الشارح أم الناشر، السابق ص28.

(2) السابق ص145.

(3) السابق ص135-137.

(4) السابق ص141.

(5) الآيات (23)، الأحاديث (20)، الأشعار (4).

(6) «اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسيني»، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (1) ص13-65. وتضم تسع رسائل للمؤلف، سبعة في الشرح، وواحدة في المصطلحات، وواحدة في علم الكلام تحت هذا العنوان، وهو عنوان متضخم ينم عن الغرور والمدح الزائد للمصنف من المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.

(7) الأشعار (57)، الآيات (28)، الأحاديث (5)، القدسية (1).

(8) الجنيد، القشيري، ابن الفارض، الشاذلي، التستري، أبو العباس المرسي، علي العمراني، إبراهيم التازي (1).

ويُضاف حياة صاحب المتن، مولده ووفاته وأعماله وتلاميذه وشيوخه. وتروى حكايات عنه، وبعض مصطلحاته دون تعيين مصدرها. ويتبع أسلوب القول «فإن قيل.. قلت» لإدخال بعض الحياة في الشرح غير الموجه لمجرد مزيد من المعلومات. ومن الأنبياء يذكر موسى لإدخال تاريخ النبوة لتقوية الشرح.

2 - **«شرح نونية الإمام التستري»**[1]: وبين المتن والشرح حوالي ستة قرون. ويهدف الشرح إلى الدفاع عن صاحب المتن وليس قراءة المتن أو تأويله أو تجاوزه ضد المهاجمين له مثل الشيخ زروق الذي لم يعرف علوم الذوق إلا في آخر حياته طبقا للشارح. فهو معذور في نقده صاحب المتن واتهامه بالقول بالاتحاد والحلول مع أن زروق هو المصدر الأول للشارح. وهو الذي شرح قبل الشارح نونية التستري مقتصراً على الشرح اللغوي لأنه لم يكن قد فتح عليه بعد[2]. والشرح بيتاً بيتاً وأحياناً لفظاً لفظاً، ويعني الشرح التأويل أي إبراز المعنى[3]. ويعني أيضاً إضافة المعلومات غير اللازمة لإظهار علم الشارح أكثر من إضاءة المتن المشروح[4]. منها إضافة تاريخ حياة صاحب المتن وإعطاء تواريخ محددة مثل وفاة الجنيد. ويتعرض أحياناً قليلة لبعض الموضوعات مثل الفقه والشريعة. وكثيراً ما يصمت عن مصادره ومنها «الحكم»[5]. وهي من عادات العرب[6]. والأخطر من ذلك هو إعطاء معلومات خاطئة يغلب عليها الخيال للتشويق وإعطاء بعض الحياة للشرح حتى لو كان إيهاماً، مثل أخطاء المعلومات حول الهوامش، وأرسطو وأبو قراط، واشتقاق اسم ابن جني نتيجة الاعتماد على قواميس اللغة وليس قواميس الفلسفة[7]. والحديث عن الفلسفة ينمّ عن جهل كبير ووظيفة الشرح العلم[8].

(1) «اللطائف الإيمانية» دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ.

(2) السابق ص69-70.

(3) السابق ص136.

(4) السابق ص70-72.

(5) السابق ص96.

(6) السابق ص76/ 121.

(7) في القاموس الهُرماس الأسد الشديد. تسميه الفلاسفة بذلك لشدة عقولهم وكفرهم، وكان أبو ابن جني جنياً رومياً مملوكاً لسليمان الأزدي، السابق ص122-123/ 128.

(8) السابق ص30-133.

ويذكر الشرح رواية الخضر وموسى والكرامات[1].

وتأتي مادة الشرح من الشعر والقرآن والحديث. والشعر مجال مفتوح للشراح الأدباء[2]. ويذكر العديد من الصوفية على رأسهم زروق ثم الشبلي ثم الشاذلي ثم الحلاج والغزالي ثم الجنيد ثم الشعراني وابن عربي ثم التستري وأبو العباس المرسي والنفري (التوفري) وغيرهم[3]. ومن اللغويين الفلاسفة يذكر ابن سيناء (ابن سينا) وابن طفيل وابن رشد ثم ابن خلدون وغيرهم[4]. ومن الوافد أرسطو ثم أفلاطون ثم بقراط لإظهار العلم بالفلسفة اليونانية[5]. ومن الأنبياء موسى ثم عيسى والخضر[6].

3 ـ **«شرح قصيدة «يا من تعاظم» للرفاعي»**[7]: وهو شرح بيتاً بيتاً وأحياناً لفظاً لفظاً من الشرح للعبد الفقير لمولاه الغني[8]. ومع ذلك تبرز بعض الموضوعات الخلقية مثل الإخلاص والإحسان. كما تروى بعض الحكايات عن أصحاب النظم لإظهار مدى علم الشارح مع بعض أقوال في مقدمة الشرح كإطار نظري عام. ومادة الشرح الأولى هي الشعر والقرآن والحديث[9]. وتقتبس بعض أقوال الصوفية من ابن مشيش ثم ابن الفارض والشاذلي ثم الجنيد والحلاج والشبلي وابن عربي وابن عطاء الله وسحنون ومكحول والوراق[10]. وأحياناً تظهر

---

(1) السابق ص133-135.

(2) الأشعار (46)، الآيات (34)، الأحاديث (8).

(3) زروق (14)، الشبلي (7)، الشاذلي (6)، الحلاج، الغزالي (5)، الجنيد (4)، ابن عربي، الأشعاراني (3)، التستري، أبو العباس المرسي، النفري (2)، صاحب العينية (الجيلي)، ابن مشيش، علي الجمل، أبو مدين، البسطامي، النقشبندي، الجيلاني، التلمساني، السهروردي، السنوسي، ابن سبعين (1).

(4) ابن سينا، ابن طفيل، ابن رشد، ابن جني (2)، ابن خلدون، السبتي، الرازي (1)، ومن الفقهاء مالك.

(5) أرسطو (7)، أفلاطون (4)، بقراط، الهرامس (2)، ذو القرنين، اليونان (1).

(6) موسى (2)، الخضر، عيسى (1).

(7) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (4) ص183-210.

(8) «يقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه. . .»، السابق ص183.

(9) الأشعار (30)، الآيات (16)، الأحاديث (6)، القدسية (2).

(10) ابن مشيش (4)، ابن الفارض، الشاذلي (2)، الجنيد، الحلاج، الشبلي، ابن عربي، ابن عطاء =

القسمة العقلية كحد أدنى من إعمال النظر في النص[1].

4 ـ **«شرح الأبيات الثلاثة لأبي القاسم الجنيد»**[2]: وهو شرح لثلاثة أبيات فقط، بيتاً بيتاً، وشطر شطراً، ولفظاً لفظاً. ليس هناك سبب للتأليف إلا الدفاع عن التصوف وإرجاعه إلى الكتاب والسنة. لذلك تعتمد مادة الشرح على القرآن والحديث والشعر[3]. ويحال إلى بعض الصوفية مثل الجنيد والقشيري وابن مشيش وغيرهم[4].

د ـ **«بغية المستفيد لشرح منية المريد» للتجاني (1260هـ)**[5]: وهو شرح للنظم بالنثر وبنثر فني تغلب عليه المحسنات البديعية. شرح قصيدة «منية المريد» لأحمد التجاني (1230هـ) مؤسس الطريقة التجانية من أحد أتباعه. أصلها سوداني. وانتشرت في المغرب. واستقبلتها «مصر المحروسة». وتتكاثر ألقابه، وفي مقدمتها العارف. وتشتق اسم الطريقة من اسم مؤسسها كما هو الحال في الفرق الكلامية، بداية من التشخيص وتعني الختمية خاتم الأولياء وليس خاتم النبوة، وبالتالي غلق الولاية مع أنها مفتوحة إلى يوم الدين[6].

والشرح بطريقة التفسير الكبير أي الشرح الأكبر أي الفصل بين النظم المشروح والنظم الشارح ويتم تقطيع القصيدة إلى بيت أو بيتين أو ثلاثة حتى خمس عشر بيتاً. ولكل موضوع. وللكل فهرس تفصيلي. وقد استعمل الشرح كمناسبة للتأليف، ووضع مقدمة مسهبة تضم سبعة مطالب حول الطريق، وعلاقة الشيخ بالمريد، وتطبيق ذلك على الطريقة التجانية وسيرة التجاني أي الموضوعات الثلاثة الرئيسية في التصوف العملي[7]. ويذكر مشايخها وتواريخهم، المتقدمون منهم والمتأخرون[8].

= الله، الششتري، البوصيري، التستري، الوراق، مكحول (1)، ومن الشعراء كعب ابن زهير (1).

(1) شرح قصيدة «يا من تعاظم» ص195-196.

(2) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م-1427هـ (9) ص321-327.

(3) الآيات (7)، الأحاديث، الأشعار (1).

(4) الجنيد، القشيري، ابن مشيش، الشريشي (1).

(5) دار الفكر، دمشق 1973م- 1393هـ (طبعة مصورة).

(6) هو سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، بغية المستفيد ص72/ 104/ 165.

(7) السابق 10-135.

(8) السابق ص70.

يعني الشرح هنا نقل النص المشروح إلى عصر الشارح، وتأويله، وإعادة توظيفه طبقاً للظروف الجديدة، وتحقيقه في واقع معين وهي الطريقة التجانية. ويتردد لفظ العصر[1]. ويتم الشرح كالعادة على مستوى اللفظ، لفظاً بلفظ كما هو الحال في قواميس اللغة والاعتماد عليها. وأحياناً يكون على مستوى المعنى والمترادفات والتحليلات النظرية. ويلحق به منطق الاستدلال في النص المشروح، والانتقال من المقدمات إلى النتائج مع التعليل. وفي أغلب الأحوال يكون الشرح بتحقيق النص في الواقع بطريقة تحقيق المناط عند الأصوليين أي تحويل النص إلى واقعة[2]. وهي أسباب النزول على نحو معكوس، من النص إلى الواقع وليس من الواقع إلى النص. والقصيدة تعليمية تتغير قافيتها بين الشطرين في كل بيت حتى يسهل حفظها. تتصدرها ثمانية أبيات للتعريف بالشيخ[3].

وتتناثر الموضوعات إيذاناً بتناثر البنية وتفككها. وتضطرب الفصول وتختل كما بين الفصلين الأول والثاني[4]. يدور معظمها حول الطريقة التجانية ومشايخها وسيرهم وفضائلهم وأورادهم وكراماتهم، ورؤية مشايخهم في المنام خاصة في المطالب السبعة وسط الطرق الأخرى ومشايخها مثل الجيلي، والدفاع عن الطريقة ضد منتقديها مثل الثعالبي، وأورادها وأدعيتها وأركانها وذكرها[5]. وتتراءى عن بعض الموضوعات الأخلاقية مثل الإخلاص والتواضع، والاعتدال والتقوى[6]. وتختلط السير مع الأقوال الذاتية مع الموضوعية.

ويتركز البعض الآخر حول الرسول، حضوره واستدعائه، والأخبار المروية عنه والصلاة عليه ورؤيته ومنافعها، وهي العناصر المكونة للحقيقة المحمدية. بل تظهر بعض الموضوعات الغيبية مثل الجن والبرهنة على وجوده والأخذ من شمهورش الصحابي وفي نفس الوقت التحذير من مخالطة الجن ومجالستهم أو

(1) السابق ص121.
(2) السابق ص 51/ 83-85/ 119/ 146/ 198.
(3) السابق ص135.
(4) الفصل ألأول ص356-391 (35)، الثاني ص391-395 (4).
(5) بغية المستفيد ص218.
(6) السابق ص233-235/ 325-334.

الموضوعات الحسية مثل السبحة ووضعها في العنق، ولطيفة في التربية بقصة ديك. ولا يهم إذا كانت هذه الموضوعات في النظم والمشروح أو في النثر الشارح إذ أن إبرازها وتفصيلها في الشرح تجعلها أقرب إلى النص الشارح منها إلى النص المشروح.

وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[1]. وتروى بعض الأحاديث عندما تتم رؤية الرسول في المنام. والولي عمره خمس سنوات، وتتكرر بعض الآيات والأحاديث. ويحال إلى بعض مؤلفات الصوفية مثل «عوارف المعارف» و «الفتوحات»، كما يحال إلى بعض كتب التفسير مثل السيوطي والطبري و «جواهر المعاني» في اللغة[2]. و «لطائف المنن»[3]. ويحال إلى عديد من الصوفية في مقدمتهم ابن عربي الذي هيمن على تاريخ التصوف من بعده. ثم الشعراني ثم البسطامي ثم زروق ثم عشرات من مشاهير الصوفية ورؤساء الفرق الكلامية. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام[4].

والطريقة التجانية جمعت بين الأحمدية والمحمدية والإبراهيمية والحنفية. وتظهر المنافسة بين الطرق على المريدين مثل المنافسة بين الشركات على الزبائن. وتظهر العديد من الاقتباسات بعلامة «اَهـ»[5]. ويحال إلى بعض المراجع أسوة بالدراسات الحديثة. كما تعتمد على العديد من الروايات الشفاهية والتجارب المعاشة. فالمؤلف أحد أتباع الطريقة، وعلى صلة مباشرة بمشايخها ومريديها[6].

---

(1) الآيات (157)، الأشعار (138)، الأحاديث (87)، القدسية (5).

(2) بغية المستفيد ص214.

(3) عوراف المعارف (3)، الفتوحات (2)، لطائف المنن، قوت القلوب، نظرة الشرفا في الرد على أهل الجفا، تنوير الملك، نشر البنود على مراقي السعود، أحكام الجان.

(4) السيوطي (11)، الطبري (2)، الرازي (1)، ابن عربي (14)، الأشعاراني (12)، البسطامي (4)، زروق (3)، الترمذي، السهروردي، ابن عطاء الله، الرازي، الجنيد، السري السقطي، الشاذلي (2)، يحيى بن معاذ، ابن عيينة، أبو طالب المكي، علي الخواص، الدقاق، الواسطي، محمد الفاسي، النيسابوري، أفضل الدين، الحلاج، ذو النون، علي ابن وفا، إبراهيم الدسوقي، السنوسي، القشيري، نجم الدين كبري، ابن الجلاء، السلمي. . . إلخ. ومن المتكلمين الباقلاني (2)، الأشعري (1).

(5) السابق ص10/ 26.

(6) السابق ص36/ 57/ 59/ 60/ 61/ 75/ 77/ 101/ 139/ 163/ 173-174/ 221-223.

وتظهر بعض الإسرائيليات في أحوال الأنبياء السابقين. فكانت معرفة العرب باليهودية والنصرانية قبل الإسلام أحد المصادر دون أن يكون لها معنى قدحي كما هو الحال في هذا العصر بمعني التشويه والخلط عن قصد للتشويه على الإسلام كما فعل عبد الله بن سبأ في نشأة التشيع.

وتبرز الفقرات بألفاظ لاسترعاء الانتباه مثل: فائدة، تنبيه، تكميل، تتمّة، دقيقة، تذييل، لطيفة، استدراك، نكتة... الخ. أو جمعاً مثل لطائف أو بلفظين مثل تتمّة نافعة[1]. وأحياناً يشد الانتباه إلى الملخص بعد التطويل. وتتخلل الشواهد النقلية وأقوال الصوفية والمصادر المدونة والاقتباسات. وتظهر بين الحين والآخر القسمة العقلية كبقايا من التصوف النظري والتحليل العقلي الذي يكشف عن بنية الموضوع[2]. ويظهر أسلوب المحاجة العقلية في «يقول... قلت»[3]. وتتم مخاطبة القارئ كالعادة ومطالبته بالمراجعة والاشتراك والتصحيح. فالطرقية عمل جماعي[4].

هـ - «نحت حديد الباطل وبرده في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة» لداود النقشبندي (1299هـ)[5]: وهو عنوان تشبيهي طويل للدفاع عن صاحب البردة، البوصيري. اعتمادا على العلماء خاصة الحنابلة منهم المدافعين عن العقيدة. فقد رواها العلماء وشرحها الفضلاء. تخلو من الشرك والكفر في الموضوع أو في التشطير في الشكل الشعري. تثبت الشفاعة بفعل القدرة الإلهية ضد الخوارج والمعتزلة، فعلم الغيب مكاشفة[6]. وهو أكرم الخلق. والنداء والطلب من الأموات

---

(1) السابق ص7/ 31-33/ 40-41/ 71/ 81-85/ 198.

(2) السابق ص248.

(3) السابق ص77.

(4) السابق ص181.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (1) ص15-96.

(6) «أتاني سنة تسعة وتسعين ومائتين وألف من مكة المشرفة كتاب كريم فيه نبأ عظيم، وهو أن بعض من أخذ العلم علينا من أهل نجد معه بُردة المديح التي هي مرهم مجرب لكل جريح مع تشطيري لها الذي امتزج بها وزادها رونقاً وبهاء. قرأها بعض طغام في نجد فأنكر بعض ما وجد فيها من التشفع وجّد، وأنه كتب بعضهم رسالة ينتقض فيها مقام صاحب الرسالة، وأظهر فسالة كلام يدعي فيه البسالة من اعتراضات على بعض أبياتها واهية وما أدراك ماهيه. سفاف وترهات، وعلى الجهل المركب دالات. ويدعي أن صاحب البردة في =

ليس عبادة. والأدلة على ذلك أربعة عشر دليلاً. فلا خلاف إذن بين الحنابلة، ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والفقهاء الأربعة على صدق إيمان البوصيري. وهذا هو سبب التأليف، الدفاع عن الشعر المديح ضد الوهابية خاصة حول الشفاعة بين الإثبات والإنكار. هو أقرب إلى الشرح المؤيد للمشروح دفاعاً عنه ولو أن لفظ الشرح غير وارد في العنوان ولا في الرسالة. الشرح رد اعتبار للمشروح ضد تهم التكفير والردة. وتدخل أيضاً في الشروح والملخصات. كما تدخل في الحقيقة المحمدية. وهي ليست أول قصيدة من نوعها بل تلتها قصائد عدة مثل القصيدة المحمدية، القصيدة المضرية، قصيدة الإمام العدني[1].

تعتمد على الشروح السابقة وتنقل منها خاصة الحنابلة. وتؤخذ منها اقتباسات بعلامة «انتهى». وهو شرح متقطع بيتاً بيتاً وأحياناً شطراً شطراً. وأحياناً يتوجه الشرح إلى الألفاظ وتعداد المعاني وترقيمها. ويُستطرد فيه. هو شرح عقائدي وليس شرحاً فنياً للشكل الشعري. وأحياناً يشرح الشعر بالشعر[2]. كما يشرح بالقرآن والحديث. والأحاديث بلا أسانيد. وبعضها ضعيف من صنع الخيال[3]. وتذكر أحاديث الرسول في المنام[4]. ولا يذكر فلاسفة ولا متكلمون ولا صوفية. ويكثر المحدّثون والفقهاء والرواة والأئمة. فالموضوع جدلي بين الخصوم. وقد أكثر المحدثون الحديث فيه. وفي مقدمتها إجازات الرواية[5].

= قوله «يا أكرم الخلق. . .» كفر وحصلت له الردة وأن من قرأها أو سمعها أو كانت عنده أو رضي به فقد كفر وتجاوز حده، وأوجب بالقتل حده. فصار ذلك المخبر لي بكتابه والمبدي ما فيه أوطابه يستنهض همتي لرد هذه الخرافات. فقلت عجباً، هؤلاء الأرجاس ما شبعوا من كل الخرافات حتى ظهر منهم هذه الأيام ظاهر، يثابر على تقويم معوج بدعتهم ويظاهر. فاستعنت الله تعالى على بيان رده، ورد ردّته إليه وإلى حزبه وجنده لتقر بذلك عين محبي المصطفى مما راق من الأدلة القوية وصفا. فهي لعمر الله لا تحتاج لظهور فسادها رد. ولا تُحسب شيئاً ولا تُعد ولكن تحاشياً عن دخول سفاسفهم على بعض العقول ليدفع ما يتقوله هذا الخارجي بما تقول من أوضح النقول وسميتها. . .»، السابق ص16.

(1) السابق ص137-146.

(2) السابق ص35.

(3) الآيات (75)، الأحاديث (28)، الأشعار (9).

(4) نحت حديد الباطل ص59.

(5) السابق ص17-20.

والمؤلف هو الفقير إلى سيده ومولاه والراجي شفاعة نبيه في دنياه وأخراه[1]. وتكثر أسماء الأعلام، رواة ومحدثين وفقهاء وأقلهم من الصوفية[2]. كذلك قسمت البردة موضوعياً إلى: في الغزل وشكوى الغرام، التحذير من هوى النفس، مدح القبر، مولده، معجزاته، شرف القرآن ومدحه، إسراؤه ومعراجه، جهاده، التوسل به، المناجاة وعرض الحاجات.

و ـ **«النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية» لحسن العدوي الحمزاوي (1303هـ)**[3]: وهو شرح بمعنى تأليف بمناسبة النص المشروح والذي يستعمل مجرد حامل أو مناسبة لزيادات حوله بحيث يكون بؤرة تأليف جديد، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الموضوع. ويدخل التصوف في منظومة أعم لباقي العلوم مثل التاريخ والفقه والسيرة. وتتراكم المعلومات. ويجتر العلم المنقول خاصة لو كان الشارح أزهرياً متعوداً على نقل القدماء، وإذا كان الشارح طرقياً شاذلياً فإن شرحه ينحو هذا النحو الطرقية الشاذلية كما هو واضح في العنوان «النفحات الشاذلية»[4]. يتكون الشرح من ثلاثة أجزاء. الأول في سيرة الرسول فضائله ونبذ عنه وشمائله الظاهرة وأخلاقه وأعمامه وخصائصه. والثاني ذكر ثلاثمائة حديث من جوامع كلم الرسول، الشخصي أولاً والكلام ثانياً. وتدور الأحاديث أولاً حول موضوعات التصوف الخلقي عوداً بالتصوف إلى علم الحديث[5]. وتدور ثانياً حول الإصلاح بين الناس[6]. وتتناول أيضاً المقامات

(1) السابق ص15.

(2) ابن تيمية (7)، ابن القيم، ابن عبد السلام، ابن قدامة، تقي الدين السبكي، ابن حجر... إلخ (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1426هـ.

(4) وهو نفس المعنى الذي وضعه المحقق أو الناشر لست رسائل لابن عجيبة في عنوان فرعي هو «ستة شروح شرعية وصوفية، الجواهر العجيبة من تأليف سيدي أحمد بن عجيبة».

(5) جـ1 (114)، جـ2 (116)، جـ3 (218).

(6) مثل: الإخلاص والصدق والمراقبة والاستقامة، والمبادرة إلى الخير، الاقتصاد في العبادة، المحافظة على السنة، والذكر، والاستغفار، والدعاء والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتعاون على البر، وتعظيم حرمات المسلمين، وتشمل أيضاً الوصية بالنساء، والنفقة على العيال، وحق الجار، والبر بالوالدين، وصلة الرحم، والتحذير من إيذاء الصالحين وبعض الأفعال مثل التوبة والصبر.

والأحوال[1]. ثم تتناول موضوعات الفقه وثقافة الموت: المحتضر، والصلاة على الميت والجلوس على القبر نهاية بكرامات الأولياء[2]. ثم يأتي نص البردة[3]. ويخصص الجزء الثالث للشرح. فالشرح ثلث من ثلثين آخرين. بل إن الشرح يسبقه ترجمة للبوصيري ومقدمة لراحة الأرواح[4]. وهو تجسيد للحقيقة المحمدية وتضخم شخصي للرسول.

ويتم الشرح أيضاً على مستويات ثلاثة: اللفظ وهو الشرح اللغوي النحوي، والمعنى وهو الشرح بالتعريفات والمترادفات بحرف «أي» أو بفعل «يعني»، والثالث الموضوع وهو مضمون النص وفحواه. أما ألفاظ القول فتشير إلى القطع بين النص المشروح والنص الشارح. تظهر آليات الشرح في ألفاظ الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج[5]. كما تظهر بعض اللازمات للإشارة إلى النتائج مثل «فائدة»، و «تقدير الكلام»، الجواب والشرح بيتاً بيتاً، ونادراً ما يكون لبيتين[6]. وتظهر لازمة «الله أعلم» للدلالة على نسبية المعرفة البشرية[7]. ومادة الشرح الكتاب والسنة والشعر مع أولوية الشعر على السنة[8]. نظراً للقرابة بين النص القرآني والنص الشعري. ويحال إلى مصادر مدونة أخرى مثل «مشارق الأنوار»[9]. كما تتم الإحالة إلى باقي أعمال الشارح[10]. وتأتي المادة من عدة

---

(1) مثل: الخوف والرجاء وبعض الفضائل مثل الجود والكرم، والإيثار والمواساة والتواضع والحلم وحسن الخلق، وإفشاء السلام وكيفية التعامل مع المرضى.

(2) بالإضافة إلى الإسراع بالجنازة، وقضاء دين الميت، والموعظة عند القبر، والصدقة على الميت، والنهي عن الجلوس عند القبر وتجصيصه والبناء عليه.

(3) وتقسم إلى موضوعات عشرة مثل: الغزل، شكوى الغرام، التحذير من هوى النفس، مدح النبي، مولده، معجزاته، شرف القرآن، إسراؤه ومعراجه، جهاده، التوسل به، مناجاته وعرض الحاجات.

(4) النفحات الشاذلية ص319-326.

(5) مثل: وظهر مما قلناه، خاتمة، فائدة التقدير الكلام، فالجواب، السابق ص342/ 465/ 512.

(6) السابق ص510.

(7) السابق ص373.

(8) الآيات (206)، الأشعار (106)، الأحاديث (79).

(9) النفحات الشاذلية ص366.

(10) مثل المدد الفياض على السقاء، النفحات النبوية، السابق ص381-346.

اقتباسات يشار إليها بالحرفين «اَهـ» أو مجرد اختصار لنص[1]. ويأتي معظمها من القسطلاني. كما تستعمل بعض الإسرائيليات بالإحالة إلى الكتب المقدسة الأخرى، خاصة الأناجيل مصدر أقوال عيسى[2]. ونادراً ما تأتي القسمة العقلية لتأسيس الموضوع نظرياً.

ز ـ «الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة» للنطيفي (تأليف 1319)[3]: هو شرح مستفيض تفصيلي لقصيدة طويلة لفظاً لفظاً، وبيتاً بيتاً، وبيتين بيتين، وثلاثة أبيات ثلاثة أبيات. يغلب عليها التصوف الخلقي والفقه الخلقي فيما يسمى بأسرار العبادات. كما يغلب عليها الشرح اللغوي والصوفي خاصة مناقب الأولياء مثل السيد أحمد التجاني والحقيقة المحمدية[4]. وألقابه سيد الوجود، وسيد الأنبياء[5]. ويُشرح كل شيء، الدال وغير الدال، البسملة والحمدلة والحوقلة. كما يركز على الطريقة، شيخها وصلاتها وتسابيحها. ويركز الجزء الثاني على أخلاق الإخوان، المصافحة والبشاشة والبر والتقوى والمحبة، والنهي عن المقاطعة والحقد والغش والتهافت على الدنيا والإلحاح وأخذ الأجرة والغيبة[6]. فكلها أوامر ونواهي متصلة بفصلين، الأول النهي عن إضاعة المال والثاني محبة الحق وأهله وكراهية الظلم وأهله[7]. والجزء الثالث أدخل في التصوف بداية بالتحذير من الرياسة والقضاء والعدالة والفتيا، والأمر بالقسط وفضل الصدقة. ثم تأتي شعائر الطريقة مثل السبحة وتجنب شرب المتشابه. ثم تأتي الأوراد الأحمدية وشروط المريد وصفات الشيخ. ويبدأ النقد الاجتماعي لمتمشيخي الوقت وهم من أجهل العباد بالسنة واتخاذ الزوايا لاصطياد الدنيا والمعاش والتجارة وتمرد المشايخ وظهورهم في الصدارة[8]. والجزء الرابع كله في الطريقة الأحمدية، وأورادها وشعائرها، وملازمة

---

(1) النفحات الشاذلية 346.

(2) السابق ص371-372.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م- 1419هـ (أربعة أجزاء).

(4) السابق جـ1/ 33-150.

(5) السابق جـ1 ص4-33.

(6) السابق جـ1 156-213.

(7) السابق جـ2/ 289-348.

(8) السابق جـ3 ص120-141.

الزوايا والذكر والأحزاب والحقيقة المحمدية[1].

ومادة الشرح هي الحديث ثم القرآن ثم الشعر[2]. ويضاف إلى ذلك حكايات الأولياء وكراماتهم ومناقب الشيخ. الآيات مختارة ومنتقاة لتتفق مع اعتقادات الصوفية[3]. ويُرى الرسول في المنام وتروى عنه الأحاديث. والأحاديث في مجملها بلا أسانيد لضعفها. ويبدو الرسول مؤسس علم الحروف. ويتم تشخيص كل مرة يذكر فيها اسم محمد في الحقيقة المحمدية.

ويقوم على التجميع من مصادر عدة يذكر بعضها. وتنتهى الاقتباسات منها بعلامة «اّهـ». ويوضع قبل بعض الفقرات بعض ألفاظ الإيضاح مثل: تنبيه، تتمّة، لطيفة. ويستعمل أسلوب الحجاج «فإن قيل قلنا»، وكأن الشرح له موقف، يجادل الخصوم. الشرح نفسه بلا هدف، معركة وهمية. يقوم على تجميع أقوال السابقين من المحدثين والفقهاء والصحابة. ونادراً ما يذكر كبار الصوفية ومؤسسو مذاهبهم.

ح ـ «شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك» لسعيد أحمد عرب الشرنوبي (994هـ) من الشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري (1328هـ)[4]: وهناك ثلاثة قرون ونصف تقريباً بين الشارح والمشروح. وهما من نفس عائلة «الشرنوبي». فالشرح حفاظ على التراث الصوفي للعائلة. وسبب الشرح مجرد إعجاب الشارح بالمشروح دون هدف آخر لتطوير موضوع القصيدة أو دراسة الصلة بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[5]. والأسلوب يقوم على المحسنات البديعية حتى يكون النثر على نفس المستوى الأدبي للنظم ويشعر الشارح أنه أقل درجة من المشروح.

---

(1) السابق جـ4/ 348-354.

(2) الأحاديث (1616)، القدسية (8)، الآيات (1216)، الأشعار (1092).

(3) الدرة الخريدة جـ1/ 274.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(5) «وكان من أجمل ما ألف فيه هذه التائية الفريدة التي هي في بابها بديعة وحيدة، نسيجة قطب الوجود وعمدتي في خطوبي سيدي وسندي السيد أحمد عرب الشرنوبي بادرت إلى ارتشاف حميا كأسها الشهي، وطفقت أنظم لؤلؤاً في جيدها البهي ليكون ذلك شرحاً بديع المثال مفصلاً لتلك الدراري التي نسجت على أحسن منوال، ملتقطاً تلك اللآلئ المهدية من محار السادة الأعلام ذوي الكؤوس الوفية...» تائية السلوك ص7.

فهو العبد الفقير، خادم الأعتاب وتراب الأقدام. لا فرق بين الفقير للمولى الغني والخادم للمولى الصوفي[1]. وفي نفس الوقت تلحق بالمشروح ألقاب التعظيم مثل «العارف بالله»، «خطب الوجود». ويتم الشرح بيتاً بيتاً، وعبارة عبارة، ولفظاً لفظاً. ويبدأ الشرح أحياناً بلفظ القول «أقول» ومادة الشرح بلفظ «يقال»[2]. ومن وظائف الشرح تحويل النظم إلى نثر، والشعر إلى مقال. فتبرز الموضوعات. ويوضع لكل مجموعة أبيات عنوان. وتتنوع الموضوعات بين التصوف مثل أصول الطريق والقناعة به والسهد له وآدابه والعزلة، وآداب الشيخ والمريد، والاستعداد والمدد، ولطائف التدبير، ووصف اليقين، ومراقبة النفس، وحد التصوف وبعض المواعظ والنصائح. وبعض الموضوعات أقرب إلى علم الكلام مثل أسماء الله الحسنى.

ويضاف إلى المشروح مادة ليست منه. فالمشروح مجرد مناسبة أو مشجب لتعليق الحفظ عليه. وقد أسفر ذلك عن طابع عام للتأليف في عصر النهضة[3]. فيضاف تاريخ حياة المشروح وقصيدة للأباصيري، وتقريظ الأفاضل للكتاب كنوع من المناقب وكما يحدث في النشر الحديث على ظهر الكتاب، وذكر أقوال له. وينتهي الشرح ببعض الأدعية[4]. وتبرز الكرامات كمادة أساسية للشرح، والحقيقة المحمدية. وتضاف معلومات عن الأشخاص ورؤساء المذاهب الفقهية الأربعة، الميلاد، والوفاة، والمكان[5]. كما تأتي المادة من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين دون تحديد مصادرها[6]. ويعبر عن بعض نتائج الشرح بألفاظ مثل «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة»، «تتمة». ويخاطب الشارح القارئ «اعلم أيها المريد»[7].

ويستعمل الشعر والقرآن والحديث. فالأولوية للشعر[8]. ويُشرح الشعر

(1) «فيقول الفقير إلى مولاه الغني... فإني خادم أعتابهم وتراب أقدامهم»، السابق ص7.
(2) السابق ص12-13.
(3) وهذا واضح في مؤلفات الطهطاوي ورواية «علم الدين» لعلى مبارك.
(4) تائية السلوك ص117-156.
(5) السابق ص146-147.
(6) السابق ص20/ 47/ 126.
(7) السابق ص33/ 48/ 76/ 77/ 94-97/ 109/ 111/ 134.
(8) الأشعار (368)، الآيات (110)، الأحاديث (72).

بالشعر. فالنثر أضعف وأقل قدرة من التعبير الشعري. وتؤدي الأدلة الشعرية وظيفتين، تأييد الشعر بالشعر أو الاستشهاد به على صدق الشعر. وتتنوع فنون الشعر مثل الغزل وليس بالضرورة الشعر الصوفي. فالشعر شعر بصرف النظر عن موضوعه. لذلك يستشهد بشعر أبي نواس وأبي العتاهية، كما يستشهد بأشعار ابن الفارض والجيلي وابن عربي والبوصيري وغيرهم من شعراء الصوفية[1]. وقد تطول القصائد الشارحة لبيت مشروح واحد[2]. وقد تتوالى في زخات[3]. وتستعمل الآيات القرآنية لإرجاع الشعر إليه. فلا فرق بين الشعر والقرآن، البيت والآية. كلاهما يعبر عن تجربة واحدة. والأصل هو التجربة الشعرية أساس التجربة الدينية. وقد تتوالى الآيات في دفعات[4]. ويستعمل الحديث المتن دون السند. فقد بعد العهد بالجرح وتعديل ونقد الرواة. المهم هو تطابق متن الحديث مع الآية القرآنية والبيت الشعري. ويُرى الرسول في المنام كالعادة[5].كما تأتي مادة الشرح من أقوال الصوفية والفقهاء والنحاة مع اقتباسات تنتهي بعلامة «اَهـ»[6]. ولا يوجد أي صراع بين الفقهاء والصوفية[7]. ويأتي في المقدمة الجرجاني في «التعريفات» التي يحتاج إليها الشارح لتحديد معاني الألفاظ. كما تذكر بعض مصادر الصوفية مثل «عوارف المعارف» و «الفتوحات»، وبعض الحواشي مثل «حاشية الجوهرة» للصاوي[8]. كما يذكر بعض

---

(1) من الشعراء: ابن الفارض (سلطان العاشقين) (8)، ابن عربي (5). صفي الدين الحلي (2)، أبو العتاهية (4)، المتنبي (2)، البوصيري، اللقاني، أبو نواس، التهامي، الطغرائي (1).

(2) تائية السلوك ص62-66/ 75/ 137-144/ 155-156.

(3) السابق ص24-27.

(4) السابق ص134-136.

(5) السابق ص 10.

(6) السابق ص23/ 47/ 51/ 58/ 85/ 87/ 109/ 119.

(7) أهمهم: السيد الشريف الجرجاني، الجيلي (3)، الشاذلي، الفضيل بن عياض، الشبلي، الأشعاراني (2)، الكتاني، رابعة، ابن زريق، القسطلاني، الوراق، البستي، ابن الوردي، السيد الرضي، الحسن البصري، أبو نصر الطوسي، السهروردي، البسطامي، السري السقطي، إبراهيم بن أدهم، الدميري، المقدسي، الجنيد، إبراهيم الدسوقي، أحمد الرفاعي، الغزالي، سعدون المجنون، أبو العشائر، ومن الفقهاء: الشافعي (2)، أحمد، أبو حنيفة (1). . . الخ.

(8) تائية السلوك ص21/ 96/ 119.

الصحابة باعتبارهم من أئمة التصوف مثل علي وابن عباس[1]. وبالرغم من كثرة الأدلة النقلية إلا أن القسمة العقلية وهي أحد وسائل التعريف تبرز بين الحين والآخر[2].

ط ـ «شرح ديوان ابن الفارض من شرحي البوريني» (1024هـ) للنابلسي (1143هـ): جمعه رشيد بن غالب اللباني (1306هـ)[3]: ويدل على طبيعة الشرح في العصور المتأخرة على أنها مجرد تجميع من شروح متقدمة وليست شرحاً أصيلاً. الجامع هو «المفتقر إلى عون الله الغني». وهذا هو سبب التأليف[4]. وقد أخذ الجامع الشرح الأول برمته لأنه أبان كل ما يختص باللغة والشعر والبديع وكل الفنون العلمية دون الصوفية. ثم أضاف إليه مقتطفات من شرح النابلسي الصوفي الخاص بأهل الطريقة[5].

والشرح بيتاً بيتاً، وعبارة عبارة، ولفظاً لفظاً. وهو مجرد عبارات شارحة دون قراءة أو تأويل. شرح بلا هدف أو تجميع شرحين بلا غاية. لا مقارنة بين الشرحين السابقين، ولا مفاضلة بينهما. للشارح عقلية الجامع وليس الشارح. الشرح الأول لغوي. يتم أولاً بالإعراب ثم بيان المعنى. والثاني صوفي مملوء بالآيات والأحاديث والاقتباسات تنتهي بعلامة «اّهـ».

---

(1) على (2)، ابن عباس، جعفر الصادق (1).

(2) تائية السلوك ص8/ 37-38/ 56-57/ 70/ 80.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(4) «ولكوني طالعت شرحاً للشيخ حسن البوريني كامل الفائدة، وافر الفائدة. أبان فيه كل ما يختص باللغة والأشعار البديع وباقي الفنون العلمية. ولم يتعرض لشيء مما يؤول إلى طريقة الصوفية. ووقفت على شرح ثان للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الصوفي. استفرغ فيه مجهوده ببيان المقاصد الدقيقة المختصة بأهل الطريقة أخذت شرح الشيخ البوريني برمته. ثم أضفت إلى آخر شرح كل بيت نبذة من كلام الشيخ النابلسي فيما يذهب إليه أهل أمته إلا بعض أبيات اقتصرت فيها على كلام البوريني لمطابقة الشرحين. ولكون الإيجاز للكتاب زين. ونقلت من مجموع الشيخ النابلسي ديباجة الديوان، وتذليل العينية والميمية للشيخ علي سبط الناظم مع شرح أبيات وقصائد من غير نظم المؤلف رغبت في جمعها إلى كتابه توسيطاً لمغنم طلابه»، السابق جـ1/ 7.

(5) خمس قصائد طوال في الجزء الأول، وثلاث عشرة قصيدة بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين لغزاً من ألغاز الشيخ وتتمة قصائد ومقاطع للشيخ في الجزء الثاني.

وهو مبوب طبقاً للقصائد[1]. وتوضع أحياناً بعض العناوين من الأمثال الشعبية مثل «اشتدي أزمة تنفرجي». أما مادة الشرح فهي الشعر ثم القرآن ثم الحديث[2]. وتضاف حكايات وروايات شفاهية[3]. كما يتم الاعتماد على أقوال المحدّثين والمفسرين والفقهاء واللغويين والشعراء. ويقل الاعتماد على أعلام الصوفية الكبار والشعراء[4]. وتستعمل القواميس اللغوية وبعض المصادر المدونة الأخرى.

ي - «إرغام المريد في نظم الشرح العتيد لتوسل المريد» للكوثري (1371هـ)[5]: وهو كتاب في شرح النظم من حيث الشكل وفي آداب المريد من حيث المضمون. ويبدو من العنوان «إرغام المريد» و«توسل المريد»، علاقة الشيخ بالمريد القائمة على إرغام المريد وتوسله إلى الشيخ مما يتنافى مع أصول التربية ومناهجها. وسبب التأليف هو شرح النظم لإزالة الشكوك عن معانيه والكشف عن معانيه مع ذكر تراجم السادات ضمن شرح الأبيات للاقتداء بها[6]. ومؤلفه أفقر العباد إلى سبيل الرشاد أسير المعاصي والذنوب البارز النقائص والعيوب.

وأهم ما فيه الرد على ابن تيمية في هجومه على التصوف ووصفهم بأنهم «أولياء الشيطان» وليسوا «أولياء الرحمن». فقد أنكر زيارة القبور والتوسل بأرواح الأموات بل ومنعوا زيارة الروضة المطهرة والتوسل بالنبي. فأفتى العلماء بحبسه ومات في السجن. فقد غلط في كثير من الأحكام. ورد عليه أبو الحسن، وتاج الدين السبكي، وعز بن جماعة، وابن حجر، وكثير من أئمة الحنفية والشافعية والمالكية لإثبات أن التصوف والتوسل بالسادات وتحلية النفس بالكمالات

---

(1) السابق ص17.

(2) الأشعار (420)، الآيات (135)، الأحاديث (18).

(3) شرح ديوان ابن الفارض جـ1/ 11/ 17/ 19/ 84.

(4) من الشعراء المتنبي (3)، المعري، لبيد، أبو تمام (1)، ومن الفقهاء، الشافعي، أبو حنيفة، أحمد (1). ومن المفسرين البيضاوي (1). ومن المتكلمين التافتازاني (1). ومن الصوفية: الجنيد، السهروردي، التلمساني، البكري، الجنيد، الشيخ الأكبر ابن عربي.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2004م ص37-107.

(6) «مفتقراً إلى شرح يزيد الشكوك عن مباينة ويرفع النقاب عن وجود معانيه أردت أن أشرحه على حسب إطلاعي وإن قصر في ذلك باعي مع ذكر تراجم السادات في ضمن شرح تلك الأبيات ليكون وسيلة لاستجلاب هممهم الباهرة وذريعة للارتشاف من تلك البحار الزاخرة. . .»، السابق ص37.

حق[1]. وفيها الرد على اليهود والنصارى والمجوس في التشبيه والتحريف. وهو شرح للنظم بيتاً بيتاً حتى سبعة أبيات لغوياً ونحوياً وفلسفياً. والأهم هو زيادة معلومات تاريخية عن مشايخ الصوفية. ومعظمها من المنقولات التي تنتهي بلفظ «انتهى» أو بعلامة «اهـ»[2]. مما يوحي باجترار المعلومات مع ألقاب التقديس للمشايخ. فهي تواريخ ذاتية يبدو منها تدخل الوعي التاريخي داخل الشرح[3]. وتذكر مصادر المعلومات مثل «الفتوحات» و «تذكرة الأولياء» للعطار. وتظهر بعض الأبيات الفارسية[4]. ومن الصوفية يذكر العديد منهم مثل ابن عربي الشيخ الأكبر ثم البسطامي والجامعي والجيلي والنابلسي والشاذلي[5]. ويعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن دون الحديث[6]. ويتحدث عن «زماننا هذا» مما يدل على ارتباط التصوف بالعصر والتاريخ[7].

(1) «إلا أن ابن تيمية ومن حذى حذوه ممن دينهم الخلاف أنكروا زيارة القبور فضلاً عن التوسل بأرواح الأموات حتى اجترءوا على المنع من زيارة الروضة المطهرة بل على التوسل بالنبي عليه أكمل التحيات. وألف في ذلك كتاباً. فأفتى العلماء بحبسه رجاء لارتداعه، وإنقاذاً له عن غوايته وابتداعه لكن أصر إصراراً حتى قيل أن سيصلى ناراً. ومات في السجن سامحه الله. وهو وإن كان ممن قدم في العلم لكنه غلط في كثير من الأحكام على ما ذكره من علماء الأعلام مع أنه من المجسمة المراغمة لأهل السنة. فلا يكفي الطعن فيه بالألسنة بل بالأسنة. وقد انتصب جماعة من المحققين لرد أباطيله منهم الإمام المجتهد أبو الحسن السبكي. . . حيث رد أباطيل ابن تيمية حق الردة في مؤلفاته سيما في شفاء السقام في زيارة خير الأنام». ومنهم التاج السبكي والإمام عز بن جماعة وابن حجر وأهل عصرهم وغيرهم من الحنفية والشافعية والمالكية. وأما من انتصر له ممن ينتمي إلى العلم، وناطح هؤلاء الجبال الشوامخ فليشفق على رأسه. والحاصل أن التصوف المعنوي الذي أثبت للأولياء ثابت بعد الممات. إذ هو أمر روحاني لا يعتريه الفوات. فتخلص مما ذكرنا لزوم التوسل بالسادات في تحلية النفس بالكمالات. فلذا ترى القوم يأمرون المريدين بالتوسل بالسعادة المتقين»، السابق ص40-41.

(2) انتهى (30).

(3) إرغام المريد ص46.

(4) ابن عربي (4)، ابن تيمية (3)، البسطامي، الجيلي، الشاذلي، النابلسي، البكري، الرازي (الفخر)، المناوي (2)، أبو نعيم، السيوطي.

(5) الأشعار (33)، الآيات (6).

(6) إرغام المريد ص98.

(7) وتبدأ بسيرة الرسول ثم أبي بكر، سلمان الفارسي، جعفر الصادق، البسطامي، وحوالي تسعة وعشرين من مشايخ الطرق.

ك ـ «المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية» لابن علوية المستغانمي[1]: وهو شرح نظم بالنثر مثل شرح القصيدة العينية، وشرح البردة. وكما يبدو من العنوان «المنح القدسية»، الإيحاء بأن الشرح منحة قدسية وليس عملاً عقلياً تأويلياً في النص. والنص نفسه في الطريقة التي ينتقل فيها المريد من الشريعة إلى الحقيقة. لذلك أتى موضوعها في الفقه والتصوف، في التنزيل والتأويل. ولذلك أيضاً انقسمت القصيدة إلى قسمين. الأول في الفقه وهي «الأصول» وتشمل موضوعات الطهارة والوضوء ونواقضه والغسل والتيمم والصلاة وفرائضها وصلاة الجمعة، والزكاة والصيام والحج، وتطول موضوعات الطهارة، كناية عن طهارة الروح. والثاني في «مبادي التصويف وهوادي التعريف» في التصوف. ويتجاوز حجم الفقه حجم التصوف أحد عشرة مرة[2]. واللفظ المستعمل «التصويف» أي كيف يكون الإنسان صوفياً، و «هوادي» أي كيف يهتدي حتى يصل إلى المعرفة. فالشروح أيضاً في آداب الشيخ والمريد.

ويسبق ذلك مقدمتان، الأولى في شرف علم التصوف، والثانية في فهم اللفظ الواحد بعدة معاني. وهو الدافع على الشرح من أجل الضبط والإيضاح. والثالث الاعتقاد لبيان أن التصوف مطابق لعقائد أهل السنة، فهو أشعرية روحية كما أن الكلام أشعرية جدلية. فالنص يجمع بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل. ولا يعطي الشارح جديدا عما في النص المشروح. لا يتجاوز الشرح العبارة الشارحة[3]. وقد يصل أحياناً إلى حد السطحية. فمن الصعب شرح الواضح وفتح غير المستغلق[4]. ووظيفة الشرح أحياناً اجتراء المعلومات السابقة في العصور المتأخرة، واستعمال النص كشرنقة تلتف حولها المعلومات. فعمل العقل الحفظ وليس التفكير.

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م - 1424هـ.

(2) الفقه (222)، التصوف (20).

(3) العبارة الشارحة Paraphrase.

(4) «ووفقني لفتح مغلقات هذا النظم العجيب، المحتوي ظاهراً على أركان الدين، وباطناً على مسلك من مسالك الإشارة غريب. فوجدته قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر. وتوقف في التفحص عن باطنه أهل الباطن غيرة منهم على إفشاء السرائر...»، المنح القدوسية ص6.

وتتم آليات الشرح كالعادة على ثلاثة مستويات: الأول اللفظ وهو الشرح اللغوي، النحو والإعراب. والثاني المعنوي، وهو توضيح المعنى عن طريق المترادفات. والثالث الموضوع وهو كشف الموضوع ومحاولة إيجاد بنية عقلية له تقوم على القسمة[1]. وقد تتداخل هذه المستويات الثلاثة في شرح لغوي منطقي فلسفي[2]. ويتم تقطيع القصيدة إلى بيت أو اثنين حتى سبعة أبيات. ويبدأ الشرح أحياناً بفعل القول وصيغته المختلفة الفعلية مثل «قال» أو الاسمية مثل «قوله». وتستعمل ألفاظ وصيغ أخرى للتعبير عن مسار الفكر في «النص المشروح»، مقدمتان ونتائج وطرق الاستدلال فيه أو العود على بدأ مثل «تقدم الكلام»[3]. كما تدل ألفاظ أخرى على الكشف عن المراد مثل «المراد». ويُعبر عن التحليل للربط بين الأشياء وإيجاد البرهان التجريبي بتعبير «ولهذا قال»[4].

ومادة الشرح القرآن أولاً والشعر ثانياً والحديث ثالثاً[5]. فالشعر كفن أدبي أقرب إلى التجربة الصوفية. إذ يشترك الأدب والتصوف في النظم. وابن الفارض لم يكتب إلا نظماً. وهو المصدر الأول للشعر[6]. وتستعمل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على نحو حر داخل الأسلوب[7]. وللشارح أيضاً نظمه. الذي يعتمد عليه بعد ابن الفارض[8]. وقد يجمع البعض بين الفقه والشعر مثل الشافعي[9]. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية وأشعارهم غير ابن الفارض مثل التستري، والشيخ الحراق، والشاذلي، والجيلي، والجنيد، والشبلي، والغزالي،

(1) إعراب الضمير، السابق ص62، أي، السابق ص94-95-99، قسمة قواعد الصلاة، قسمة عناصر الدين، قسمة الفرض، قسمة الحج، أقسام حكمة الشرع، السابق ص11-62/ 65/ 80/ 81/ 267.

(2) السابق ص20.

(3) السابق ص31س6.

(4) السابق ص171/ 295/ 134/ 87/ 33/ 45.

(5) الآيات (257)، الأشعار (223)، الأحاديث (29)، القدسية (4).

(6) الإحالة إلى ابن الفارض حوالي 20مرة، المنح القدوسية ص46/ 51/ 69/ 121/ 139/ 142/ 158/ 115/ 180/ 181/ 186/ 193/ 217/ 223/ 243/ 256/ 263/ 306.

(7) السابق ص40.

(8) السابق ص36/ 116/ 121/ 163/ 218/ 244/ 276/ 282/ 290.

(9) السابق ص24.

وابن عربي، والعز بن عبد السلام، وبومدين، وبعض الفقهاء مثل ميمون الفقيه، وبعض النحويين مثل سيبويه. ويشار إلى شعراء آخرين عن طريق قصائدهم مثل «صاحب العينية»، أو مؤلفاتهم مثل «الحكم العطائية»، أو صاحب «الإنسان الكامل»، أو حكيم الصوفية (الجيلي)، وربما هو الترمذي[1]. ويحال إلى مصادر مدونة مثل «حاشية الكشاف». وهناك مصادر أخرى على العموم مع اقتباسات منها. فالتراث الصوفي ملك للجميع[2].

ل ـ **«المحب المحبوب أو شرح تائية الحراق وابن الفارض في الحب الإلهي» للكتاني**[3]: وهي نهاية الشرح كشكل أدبي إلى الشرح كوظيفة مدرسية، شرح مدرس الفصل للتلاميذ، لذلك استعمل لفظ «إعداد» وليس شرح. والإعداد هو مجرد التوضيح بالعبارات الشارحة وتحويل الشعر إلى نثر في عدة مقطوعات من عدة أبيات. يربطها حرف عطف «ثم» وكأن القصيدة متوالية روائية. والحراق (1261هـ) يقلد تائية ابن الفارض بتائية أخرى. والمعد يشرح للتلاميذ بلا هدف خاص أو قراءة أو رؤية أو منهج يثبت أو ينفي، يؤيد أو يعترض، يعمّق أو يقارن أو يضع في سياق[4]. يكفيه ترقيم الأبيات لسهولة الحفظ والإشارة. ولا يوجد سبب للإعداد أو الدافع عليه، مجرد تحويل النظم إلى نثر، ولا يعتمد الشرح على قرآن أو حديث أو أقوال صوفية. وقد تبع نفس الأسلوب في شرح تائية ابن الفارض ولكن بإفاضة أكثر[5]. ولا توجد مادة من تاريخ التصوف ولا دراسة مقارنة بين التائيتين. ولا يحدد معنى الشرح وغايته. ويتم التعامل مع القدماء أحياناً بلا قراءة جديدة بالرغم من تعدد القراءات للنص الواحد. حتى الخاتمة ليس بها شيء. وتقطع القصيدة إلى موضوعات أكبر يصل بعضها إلى سبعة وسبعين بيتا[6]. صحيح أن الموضوع الرئيسي في القصيدة هو المحبة ولكنها عرض أكثر منها

(1) السابق ص312/ 37/ 29/ 8.
(2) السابق ص11/ 24-26.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006.
(4) تائية الحراق 53 بيتاً، السابق ص13-37.
(5) شرح تائية الحراق (25)، شرح تائية ابن الفارض (119) (ص).
(6) أكبرها 67 بيتاً ثم 52 ثم 37 ثم 35 بيتاً وتائية ابن الفارض 761 بيتاً ص40-158.

تحليلاً. وتعتمد على أقل قدر من الشواهد النقلية[1].

م ـ «الأنوار السنية في شرح ثلاثة قصائد صوفية» للعمراني الخالدي[2]:
ويدخل في الشرح أكثر منه في الشعر كشكل أدبي بالرغم من أن القصائد الثلاث لابن عجيبة هي النص المشروح يبدأ الشرح بثبت بأهم مصطلحات الصوفية الخمسة عشر[3]. منها حالات مثل الصحو والسكر، والجمع والفرق، والفناء والبقاء أو حال واحد مثل الوجد. ومنها ألفاظ ميتافيزيقية خالصة مثل اللاهوت والناسوت[4]. ويتحول الشرح إلى تعريف بالمصطلحات وتحديد لمعاني الألفاظ. ويستعان على ذلك بالقرآن وبكتاب الناظم «معراج التشوف لحقائق التصوف» و«خمرية» ابن الفارض و «تائية» شيخه البوزيدي و «التحفة العتيقة» لعبد السلام الأندلسي و «الذخيرة العتيقة» للمنزلي. فالشارح يعرض مصادره التي جمع منها شرحه. والشارح عمراني نسباً خالدي منشأ، عرائشي داراً، مدرس للغة العربية، وخطيب جمعة مهنة، ومرشد الفقراء بالشريعة والحقيقة هواية واختياراً. يعطي معلومات عن ناظم القصائد. ويعتمد على القرآن والحديث[5]. الشرح أقرب إلى العبارة الشارحة. لا تضيف جديداً إلا مزيداً من المعلومات الكمية من المصادر المدونة. وبطبيعة الحال يتقدم ابن عجيبة صاحب النص المشروح والحلاج[6]. وبالرغم من أنها ثلاث قصائد متمايزة إلا أنها تمثل وحدة شعرية واحدة.

---

(1) الآيات (3)، الأحاديث القدسية (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (4) ص87-145. والقصائد الثلاث لابن عجيبة وهي: في بعض الآداب الصوفية، «في شرح الخمرة الأزلية»، «في تفسير أطوار النفس البشرية».

(3) السابق ص88.

(4) هي: الغيبة في الله، الذوق، الشرب، السكر، الصحو، الوجد، الوجدان، الوجود، الجمع والفرق، الحس والمعنى، السر القدرة والحكمة، المال والمنام، الفقهاء والبقاء، اللاهوت والناسوت، الأنوار السنية ص91-95.

(5) الآيات (25)، الأحاديث (19).

(6) ابن عجيبة، الحلاج (3)، الجنيد، الشبلي، أبو مدين، ابن عطاء الله، البوصيري، النقشبندي، البوزيدي، ابن البنا (شاعر) (1) ومن الفقهاء مالك. ومن المصادر حكم بن عطاء الله.

3 ـ الحواشي والتلخيصات والتعليقات:

أ ـ «حاشية الدردير على قصة المعراج» للغيطي(1201هـ)[1]: والموضوع بين الكلام والتصوف، في معجزات الرسول وفي المسار الروحي كما هو الحال في القصص الصوفي عن الطير. وهو موضوع ثلاثي له دلالة صوفية، تصفية القلب والطريق إلى الله. ولا تعني الحاشية هنا تعليقاً على شرح بل شرحاً لنص. فالحاشية هنا شرح مباشر لنص. ويتم تقطيع النص مصدراً بلفظ «قوله» دون ذكر العبارة كاملة. ولا توجد مادة خارجية للشرح من القرآن أو الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية. إنما تعتمد على الخيال والخرافات. وتنقصها الأدلة النقلية والعقلية. وتظهر اقتباسات بين الحين والآخر بعلامة «أهـ»[2]. ونظراً لأن الحاشية لا تقدم جديداً فإنها تستدعي الانتباه باستعمال لفظ «تنبيه»[3].

ب ـ **«نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية»، حاشية العلامة مصطفى العروسي(1293هـ)**[4]: والحاشية تعليق على الشرح أو شرح الشرح بعد أن عجز الفكر الشارح عن التعامل مع النص مباشرة. فهو شرح من الدرجة الثانية، الدائرة الثالثة من بؤرة النص. ولا يغير في تسمية النص أو الشرح الثالثة الأعلام، والألفاظ، وآداب الشيخ والمريد[5]. وتستعمل الحاشية كوسيلة لجمع المعلومات وحفظها وتعليقها على الشرح اعتماداً على المعلومات المعرفة التي حفظتها الذاكرة. فالعلم اجتراء ونقل. ويقطع الشرح إلى فقرات مسبوقة بفعل القول «قوله» دون ذكر القول. يكفي أول لفظ فيها. والمادة الرئيسية للحاشية

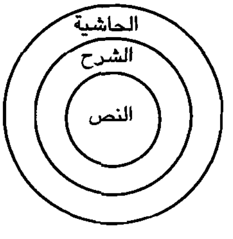
(1) مطبعة التقدم العلمية، القاهرة (د.ت).

(2) حاشية الدردير على قصة المعراج ص26.

(3) السابق ص14.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م - 1420هـ (4 أجزاء مجلدان).

(5)



القرآن والحديث[1]. وتستخلص النتائج مسبوقة بكلمة «فائدة»[2]. ولا جديد فيها، مجرد إضافة لمعلومات سابقة. ويحال العلم إلى الله ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ «الله أعلم»[3].

جـ ـ مختصرات الشعراني (1973هـ):

1 ـ «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر»[4]: الكبريت الأحمر هو أكسير الذهب أي المعدن النفيس خلاصة الذهب، والشيخ الأكبر هو محيي الدين بن عربي. وهو مختصر لكتاب الشعراني «لواقح الأنوار القدسية» الذي بدوره اختصار «الفتوحات المكية». والقصد الكشف عن أسراره وتحويله من الظاهر إلى الباطن. فالباطن على درجات. فلا يوجد كتاب أجمع عليه أهل الطريق مثل «الفتوحات» خاصة فيما يتعلق بأسرار الشريعة، ومنازع المجتهدين، ومفسري القرآن، وشارحي الأحاديث أو المتكلمين أو اللغويين أو المقرئين أو مفسري المنامات أو علماء الطبيعة وحكماء الطب أو علماء الهندسة أو النحويين أو المناطقة أو الصوفية أو علماء الأسماء الإلهية أو علماء الحروف. وتبلغ هذه العلوم حوالي الثلاثة الآف علم. وقد عرضها الشعراني من قبل في كتابه «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء». وعلوم الشيخ كلها كشفية تطهر من الشك والتحريف.

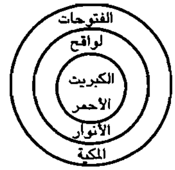
والسؤال هو: لم اختصار الاختصار؟ هل كان الاختصار الأول مازال مسهباً؟ فما هي مقاييس الاختيار في الاختصار؟ وكيف تم؟ هل عن طريق حذف فصوص وإبقاء أخرى أم عن طريق إعادة التعبير عن مضمون النص في عبارات أقل؟

(1) الآيات (320)، الأشعار (308)، الأحاديث (24).

(2) نتائج الأفكار القدسية ص90/ 108/ 112/ 124.

(3) السابق ص251.

(4) دار صادر، بيروت 2003م - 1424هـ.



السابق ص2-3.

الأقرب الطريقة الأولى أي الاختصار الكمي وليس الاختصار الكيفي، الاختصار اللفظي وليس الاختصار المعنوي[1]. ليس التلخيص للأبواب على التوالي بل هو انتقاء بعض الأبواب دون الأخرى. وهل تم اختصار الأدلة النقلية، القرآن والحديث؟ وهل يعني الاختصار الإقلال والتصغير دون إضافة أو زيادة ولو قليلة لربط الأجزاء المختصرة والتغطية على المحذوف؟ وما الدافع على التلخيص أساساً؟ هل الإعجاب بالنص الأصلي أم تقديس صاحبه أم مجرد تمرين عقلي وإحدى طرق التعلم مثل النسخ والإجازة والقراءة والمناولة؟ هل الفرق بين التلخيص وتلخيص التلخيص مجرد اختلاف في درجة التركيز من حيث الكم أم إنه أيضاً خلاف من حيث الاتجاه، اتجاه النص نحو بؤرة معينة؟ ما الجديد في التلخيص؟ هل هو عمل إبداعي حتى ولو كان يضيف معلومات أم إنه عمل آلي خالص مجرد بترقي عصر لا يقوي فيه أحد على قراءة بالموسوعات الكبرى. يريد القراءة السريعة كما هو الحال هذه الأيام؟ هو مجرد تمرين دون إبداع، وكتابة دون إضافة، وتجميع دون تفكير؟ يقلد القدماء، ويعجب بالسلف. ولا تتساوى الفقرات المستبقاة في التلخيص. أحياناً تطول، وأحياناً أخرى تقصر[2]. ولا يوجد في كل الأبواب على التساوى. لا يوجد في الأبواب الأخيرة. وقد أطال فيه لأنه تلخيص واحد. إنما التلخيص في الباب الأول، ونادراً ما يكون في النهاية[3]. وقد يشفع التلخيص برسم توضيحي لمزيد من التوضيح[4]. ويحتوي التلخيص على أحكام عدة على ابن عربي أقلها طول الأبواب والفصول، وأكبرها الحكم بالصواب أو الخطأ[5]. قد يكون الهدف من التلخيص حذف ما هو مدسوس على ابن عربي. وقد لا يعني الدس التشويه بل هو نوع من العمل الجماعي والإبداع الذاتي مثل الانتحال[6].

---

(1) «فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمي ب «لواقح الأنوار القدسية» الذي اختصرته من «الفتوحات المكية» خاصة فهمه بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلا الظاهر. قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه»، الكبريت الأحمر ص2.

(2) الكبريت الأحمر، تلخيص طويل ص137-159/ ص160-166.

(3) السابق ص172/ 174.

(4) السابق ص154.

(5) حوالي 45 حكما.

(6) السابق ص183.

وتعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث مع كثير من الأحاديث الخيالية دون أسانيد[1]. كما تعتمد على كثير من الاقتباسات من «الفتوحات» وحكايات ابن عربي وأسفاره، والإحالة إلى باقي مؤلفات صاحب النص مثل «الفصوص»[2]. وتبدأ كل فقرة بفعل القول في صيغة «قال». وينتهي الاقتباس بعلامة «انتهى»[3]. ولا يخلو من بعض الأدلة العقلية للإحكام النظري وإفراد المسائل.

2 ـ **«مختصر تذكرة القرطبي»**[4]: واسم الأصل «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة». وهو موضوع كلامي في ثقافة الموت وما يتعلق به من كفن وغسل وقبر وعذاب وسؤال الملكين، وميزان وصراط وشفاعة، وجنة ونار، وفتن وملاحم، وأشراط الساعة. ولا يوجد أي جانب صوفي فيها باستثناء «إيمان القلوب»[5].

ويعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر لأنها من السمعيات التي صمت القرآن عن تفصيلاتها[6]. وزادت أخبار الآحاد وفي الأحاديث الضعيفة والموضوعة تفتقد شروط التواتر ومنها الإخبار عن حس. ولم يشاهد أحد الحياة بعد الموت. ولا تعرف إلا بقياس الغائب على الشاهد. ولا تذكر الأسانيد. وليست مهمة الحديث بيان موضوع عقائدي بل أوجه تحقيق السلوك. ويحال إلى كثير من أقوال الصوفية ومؤلفاتهم. ويأتي الغزالي في المقدمة وكتابه «كشف علوم الآخرة». كما يذكر الترمذي[7]. وتؤخذ عدة اقتباسات من مصادر مدونة منتهية بعلامة «أهـ» أي انتهى[8]. وكثير منها مستمد من الإسرائيليات والثقافة الشعبية للموت عند المصريين. كله أدلة نقلية دون أي تحليل عقلي أو تأويل نظري. ويكثر الشعر في استشهاد الحسين ومراثيه[9]. ويذكر الشافعي

(1) الآيات (431)، الأحاديث (59)، الأشعار (2).
(2) الكبريت الأحمر ص93.
(3) السابق ص76.
(4) مكتبة صبيح، القاهرة، 1968م-1388هـ.
(5) مختصر التذكرة ص210.
(6) الأحاديث (300)، الأشعار (99)، الآيات (75).
(7) الغزالي (48)، القرطبي (30)، الترمذي (4)، يحيى بن أكثم (3).
(8) مختصر التذكرة ص11/ 69.
(9) السابق ص179-188.

شاعراً. والاختصار هو التركيز على الأدلة النقلية وإبرازها دون أسس عقلية أو تجارب صوفية. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية إذا لزم الأمر[1]. وهو موجه إلى القارئ للتعليم[2]. ويعبر عن تشبيه المعرفة كالعادة بتعبير «الله أعلم».

د ـ **«النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية» للداغري (تأليف 1371هـ)**[3]: وهو عنوان مركب «النوافح العطرية» اختصار من «النفحة العنبرية» وهي بدورها شرح لقصيدة العشرينية في مدح خير البرية[4]. ولما كانت الصياغة الأخيرة الاختصار فإنها تقع في المختصر كشكل أدبي.

والشرح لفظاً بلفظ وتخميساً تخميساً للقصائد، مرتبة ترتيباً أبجدياً. ويتضمن الإعراب عوداً إلى اللغة لسان العرب. لا يتضمن سبب التأليف أو هدفاً أو غاية. والقصيدة في الأصل مدح للرسول على عادة العرب في المديح والهجاء. موضوعها الحقيقة المحمدية. ويتم الشرح بالقرآن والشعر والحديث[5]. يشرح الشعر بالقرآن وبالشعر عوداً إلى المصدر الأول قبل الإسلام لثقافة العرب وهو الشعر، وبعد الإسلام وهو القرآن. ويغيب التراث الصوفي في حين يحضر الشعراء الصوفية مثل البوصيري، ابن الفارض، أو الشعراء الخلص مثل كعب بن زهير، وقبل الإسلام مثل أمرؤ القيس أو من المخضرمين مثل حسان بن ثابت. كما يحال إلى مقامات الحريري[6]. وللمؤلف قصيدتان في المدائح النبوية، وثالثة في مدح

---

(1) السابق ص104.

(2) السابق ص52/ 152.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1424هـ.

(4) «القصيدة العشرينية للوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد الفازازي الاندلسي، تم تأليفها عام604 في حاضرة قرطبة في بلاد الأندلس. رواها الإمام الحافظ يوسف بن سدي المهلبي في المسجد الحرام عام 624. وخمسها الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن المهيب في صحراء المغرب. وشرحها «النفحة العنبرية» للشيخ محمد بن مسنة بن غم بن محمد بن عبد الله بن نوح البرنوي، السابق ص1».

(5) الآيات (684)، الأشعار (150)، الأحاديث (45).

(6) البوصيري (3)، ابن الفارض (2)، كعب بن زهير، حسان بن ثابت، أمرؤ القيس (1)، مقامات الحريري (1).

الغوث الأكبر سيدي أحمد التجاني[1].

هـ ـ **«تعليقة على المفصل في علم العربية» للكاشاني (730هـ)**[2]: وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، تعليق على موضوع في كتاب في اللغة العربية. والتعليق شكل أدبي في علوم الحكمة بعد الترجمة[3]. وهو تعليق للكاشاني على تعريف الزمخشري للكلمة كلفظة دالة على معنى مفرد بالوضع. وهي جنس تحته ثلاثة أنواع. في حين عند الكاشاني أن ذلك غير مستقيم لأن المعرَّف يطابق المعرّف. كما أنه متناقض لأن الجنس لا أنواع له. وإن كان المقصود التعريف المطلق فهو المعنى الذي أراده ابن الحاجب. ولا يعتمد على أي دليل نقلي من القرآن أو السنة أو الشعر. بل يعتمد على آراء الزمخشري وابن الحاجب بالإضافة إلى درجة عالية من التنظير[4].

(1) النوافح العطرية ص336-364.

(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(3) من النقل إلى الإبداع، مجـ1 النقل جـ2 النص فصل3 التعليق.

(4) الزمخشري، ابن الحاجب (1).

الباب الثالث

الوعي العملي

يبدأ التصوف العملي الطرقي كرد فعل على التصوف النظري. لذلك تتضخم أجزاء أبواب آداب التصوف وعلاقة الشيخ بالمريد ولبس الخرقة بداية الطرقية[1].

ويتضمن الوعي العملي في التدوين، مئات المؤلفات، وفي الزمان حوالي سبعة قرون بعد قرب انتهاء التصوف عند عبد الحق بن سبعين. ويبدو أن الوعي العملي، المقاصد والأحكام في علم أصول الفقه، قد تناقص لصالح الوعي العملي في علوم التصوف التي استأثرت به.

ويبدأ التصوف العملي بالعودة إلى الوعي التاريخي كما بدأ في كتب الطبقات كي يتأسس في التاريخ من جديد كما تأسس أول مرة. ثم يبدأ ثانياً في التأسيس في علم الكلام لإثبات أن التصوف ما هو إلا علم كلام جديد، علم قواعد للعقائد كما انتهى إليه علم الكلام. ثم يبدأ ثالثاً في تأسيس نفسه في علم الفقه الأخلاقي وأسرار العبادات وآدابها أو أرواحها كما كان الحال في التصوف الخلقي. ثم يبدأ الانحراف في تضخيم شخصية محمد ومركزيتها في علم الحديث وعلم السيرة حتى يصبح التصوف كله مناجاة خير البرية وخير الأنام وسيد المرسلين. ثم يغترب التصوف مرة أخرى في السحر والخرافة وأسرار الكون والأحجبة والربط مع الأفلاك والطب النبوي. ثم يتحول إلى طرقية خالصة في المناقب والكرامات لمشايخ الطرق. ثم يصبح في النهاية تصوفاً عملياً خالصاً لوصف الطريق الصوفي الذي يتحول إلى طريقة تنتهي بآداب الشيخ والمريد.

---

(1) الفتوحات جـ1/ 186.

أولاً: العودة إلى التاريخ

ويعود الوعي النظري الخالص إلى الوعي التاريخي في كتب الطبقات «سلوة الأحزان» «لابن الجوزي» (597 هـ) حتى «الكواكب الدرية» «للمناوي» (1061هـ).

1-رسائل ابن الجوزي (597هـ):

أ ـ «سلوة الأحزان بما رُوي عن ذوي العرفان»[1]: وهو أول ظهور للوعي التاريخي في بداية النهاية. يضم مائة وأربعة عشر علماً. كلهم صوفية بالمعنى الواسع بما في ذلك الصحابة مثل أبي ذر، والخلفاء مثل عمر بن الخطاب، والنساك والزهاد، والعباد مثل بشر الحافي، وبعض الصوفية مثل التستري. بل ويظهر بعض الفقهاء مثل أحمد.

وتختلف الكتابة عن كل عَلم من حيث الكم ليس بالضرورة طبقاً للأهمية بل طبقاً لصورته في عصره. فأكبرهم مساحة عمر بن عبد العزيز صفحتان، وأصغرهم التستري، مجرد سطرين. منهم من ظل معروفاً على مدى التاريخ. ومنهم من كان معروفاً في عصره ولم يعش في الذاكرة الجمعية[2]. ويفرد للنساء مساحة، اثنا عشرة امرأة[3]. ولا يذكر كبار الصوفية مثل الحلاج، والجنيد. ولا يقول أحد منهم بالحلول أو الاتحاد. ومع ذلك لا يظهر الغزالي. ومنهم من يتكرر[4]. وأحياناً يذكر اثنان معاً[5].

وترسم الشخصية في حدها الأدنى دون تواريخ الميلاد والوفاة ومكان الولادة،

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2003، ص7-58.

(2) من المعروفين: سعيد بن المسيب، جعفر الصادق، شقيق البلخي، الفضيل بن عياض، ابن مسروق، بشر الحافي، بشر الحارث، سفيان الثوري، الشبلي، أويس القرني، الحسن البصري، عبد الواحد بن يزيد، يحيى بن معاذ، إبراهيم الخواص، البسطامي، إبراهيم بن أدهم، حاتم الأصم، أبو سليمان الداراني، ذو النون المصري.

(3) هن: مليكة بنت المنكدر، فاطمة بنت محمد بن المنكدر، أخت بشر الحافي، موادة البصرية، حفصة بنت سيرين، رابعة العدوية، معيرة العابدية، رحمة العابدة، سكينة الظفالة، شعوانة، بركة العابدة، زهر الولهانة.

(4) مثل عبد الواحد بن يزيد، «سلوة الأحزان» ص43/ 57-58.

(5) مثل موسى بن جعفر وشقيق البلخي، السابق ص17.

والشيوخ والمريدين كما كان الحال في البداية. بل لكل صوفي تذكر حكاية ويورد قول. «وهو ما روي عن ذوي العرفان» كما يدل على ذلك العنوان الفرعي.

ب ـ **«كتاب المجالس»**[1]: وبصرف النظر عن صحة النسبة التاريخية لصاحبه إلا أنه يعبر أيضاً عن الوعي التاريخي في بداية النهاية مثل «سلوة الأحزان». يصنف الأعلام التسعة عشر في ثلاثة مجالس[2]. ويضم أيضاً الصحابة مثل ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن الزبير. ومن النساك وهب بن منبه. ومن الصوفية القشيري. ولا يذكر أحداً من النساء.

وكل مجلس له موضوع. والموضوع آية. لذلك كثرت الشواهد من القرآن والحديث والشعر[3]. ويكثر الشعر لأن المجالس مؤانسات مثل «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان. معظم المادة أقوال. ولا يهم نسبة القصائد لأصحابها خاصة لو كانت طويلة ولم يُعرف عن أصحابها قرض الشعر مثل قصيدة القشيري أو قصيدة عبد الله بن عمر في نظم أقوال داود النبي وهو ساجد[4]. وتظهر بعض الإسرائيليات كمصدر للأخبار عن الأنبياء السابقين. وتذكر بعض المصادر[5]. ويروي المؤلف عن نفسه[6]. كما تبرز بعض الألفاظ مثل «فائدة» أهمية الموضوع[7].

2 ـ «طبقات الأولياء» لابن الملقن (804هـ)[8]:

وهو كتاب في الطبقات عوداً إلى الوعي التاريخي الأول مع التوحيد بين الصوفية والأولياء. فلا يوجد صوفي إلا وهو ولي، وتوحد العام وهو الصوفي بالخاص وهو الولي. وسبب التأليف هو ذكر هؤلاء الأعلام من كل قطر وإذن

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2003، ص61-109.
(2) يضم المجلس الأول اثنا عشر علماً، والثاني ثلاثة أعلام، والثالث أربعة.
(3) الآيات (30)، الأحاديث (42)، الأشعار (18).
(4) كتاب المجالس ص87-90.
(5) مثل «فائدة من «كتاب المجالسة» للدينوري: ونقل الحافظ أبو نعيم في كتاب «الحلية»» السابق ص64-92.
(6) فائدة (6).
(7) «ونقل ابن الجوزي في «النور...»، كتاب المجالس ص75.
(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

للاهتداء بآثارهم والاعتماد عليهم والعيش معهم فالمرء مع من أحب[1]. وقد ذكر حوالي مائتي وخمسين ولياً، مرتبين ترتيباً أبجدياً[2]. وتضاف فصول وذيول بعد القائمة الأولى[3]. كما تضاف قصيدتان قصيرتان «اللامية» و «الأرجوزة الوجيزة» للديريني. فالشعر أفضل وسيلة للتعبير عن التصوف. وينسب الولي إلى قطره مثل الخراساني، المصري. . .الخ، أو إلى المدينة مثل البغدادي، البصري. . .الخ، أو إلى المذهب الفقهي مثل الشافعي، وهو الأغلب، أو إلى صفة جسدية مثل الأصم، أو إلى القرابة مثل شفيق البلخي، أخت عبد الواحد بن يزيد. والغالب هو المهنة في مجتمع كان الحرفيون هم أهل الكلام والنظر مثل ابن الفكهاني، الحمال، النساج، الحلاج، المقرئ، خادم دويره.

وقد يوضع اسمان في رقم واحد[4]. منهم امرأتان[5]. الأولى نسبها طويل يمتد إلى علي بن أبي طالب. والثانية بشهرتها ودون ألقاب. وأحياناً يطول نسب البعض لإرجاع أصله إلى قريش أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الخلفاء الآخرين مثل عثمان[6]. وتوزع الألفاظ بين لفظ واحد مثل: الزاهد، الصوفي،

---

(1) «فهذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان، وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان جمعتهم لأهتدي بمآثرهم، وأقتفي بآثارهم، رجاء أن أنظم في سلكهم فالمرء مع من أحب. وأحيا بذكرهم، ويزول عني النصب وعلى الله الاعتماد. وإليه التفويض والاستناد»، السابق ص38.

(2) هم بالضبط 245 وليا.

(3) ذيول طبقات الأولياء: 1- فصل في طبقات أخرى. 2- فصل من اشتهر بكنيته من غير ترتيب. 3- ذيل آخر منه. 4- فصل في طبقة أخرى تلي حقولا، ماتوا في القرن الثامن. 5- فصل آخر في الكنى.

(4) مثل إبراهيم بن أدهم، أبو أسحق البلخي (حوالي عشرة حالات).

(5) هما: السيدة نفيسة ابنة الحسن الأنور بن أبي محمد زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب. رابعة العدوية، طبقات الأولياء ص284.

(6) وذلك مثل: 120- أبو السعود، صاحب الطائفة، ابن العشائر بن شعبان بن الطيب بن إبراهيم بن موسى بن اسحق بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي يزيد عقيل بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم العقيلي القرشي، 146- عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن أحمد بن محمد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن المأمون بن علي بن الحسين بن علي بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، 218- عبد الله بن محمد بن =

الواعظ، الحافظ، العابد، الفقيه، ولفظين بالإضافة إلى الزاهد مثل: الزاهد الورع، وثلاثة ألفاظ مثل: الزاهد الصالح صاحب الكرامات، الزاهد العابد ولي الله، الزاهد العارف الضرير. وقد يكون الصوفي لقبا مثل الحافظ والعابد والفقيه وقطب العارفين والحافي. وقد يكون مركبا مثل الشيخ الأوحد القدوة[1].

وتُرسم شخصية الولي بالإضافة إلى الكنية واللقب بمولده ووفاته وأماكن نشاطه وأسفاره وكراماته ومناقبه وحكاياته المروية عنه. وأصدقائه وأصحابه وتلاميذه وشيوخه وصورته في ذهن الآخرين، والأهم كلامه وأقواله.

ويعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثم الحديث في رسم الشخصية دون المصادر والإحالة إليها[2]. ورؤية الرسول في المنام أحد مصادر العلم.

3 ـ «نفحات الأنس من حضرات القدس» لعبد الرحمن الجامي (898هـ)[3]:

وهو إكمال لكتاب «طبقات الصوفية» للسلمي (412 هـ)، ثم حاول الهروي إكماله والزيادة فيه بلسان قديم ولا يذكر كثيراً من المتقدمين والمتأخرين[4]. ويضم ستمائة وثمانية عشر علماً مرتبين طبقاً للحروف الأبجدية.

ويبدأ بمقدمة نظرية في تعريف الولاية والولي، والمعرفة والعارف، والمتعرف والجاهل، والفرق بين الصوفي والتصوف، ولماذا سمي الصوفية كذلك، والملامتي والفقير، والتوحيد ومراتبه وأربابها وأصنافها، والفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج، وإثبات الكرامات وأنواعها وخوارق العادات[5].

ويتبع نفس الطريقة في رسم شخصية الصوفي، ولادته ووفاته، سبب موته، وجنازته وقبره، مكانه وزمانه، مشايخه، ومريديه، أقواله والحكايات المروية عنه.

= أبي بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبي عبد الله بن فارس بن أبي عبد الله بن يحيى بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحق بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبان بن عثمان بن عفان المكي العثماني الشافعي، السابق ص283/ 299/ 300.

(1) السابق ص193/ 209/ 218/ 235/ 237/ 261/ 266/ 291/ 307.

(2) الأشعار (173)، الآيات (29)، الأحاديث (2)، طبقات الأولياء ص334-241

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م- 1424هـ (جزءان).

(4) السابق جـ1/ 7-8

(5) السابق ص10-44.

وأكبر من يذكر من الصوفية الجنيد، ثم الشيرازي، ثم الشبلي، ثم أبو سعيد ابن أبي الخير، ثم ذو النون، ثم ابن عربي، ثم السري السقطي، ثم الجيلي، ثم جلال الدين الرومي، ثم البسطامي، والخراز، ثم نجم الدين كبري، والتستري، ثم القونوي، ثم الروزباري، ثم ابن الجلاء، ثم الدقاق، ثم إبراهيم الخواص والجامي، ثم إبراهيم بن أدهم، ثم سنائي القونوي، ثم بشر الحافي، ثم الغزالي، ثم المكي، ثم القشيري... إلخ[1].

وتظهر مصطلحات الصوفية كالأبدال والأولياء والملامتية والملامة، كما تظهر المذاهب مثل الروافض، والقلندرية، والقرامطة، وأصحاب الكهف، والمجوس، والنصارى، والعلوية. وتظهر الأقوام العجم والعرب والترك والإفرنج والأكراد. وتظهر الأماكن مثل خراسان وبغداد وهراة والبصرة[2].

كما تظهر عديد من المصطلحات والألفاظ الفنية تبلغ سبعمائة وأربعاً وستين مصطلحاً مما يدل على أن تاريخ التصوف هو أيضاً تاريخ مصطلحاته وألفاظه. يتقدمها التصوف والصوفية والصوفي، ثم المعرفة والعارف، ثم السماع، ثم الفقر والفقراء، ثم الكلام، ثم المحبة، ثم التوحيد والذكر والصحبة، ثم الأدب، ثم

---

(1) الجنيد (122)، الشيرازي (59)، الشبلي (58)، أبو سعيد بن أبي الخير (42)، ذو النون (37)، البيابنكي (32)، ابن عربي (31)، السري السقطي (29)، النيسابوري، الجيلي، الحداد (28)، جلال الدين الرومي، الخضر أبو العباس، النقشبندي (25)، أحمد بن حمزة، رويم (24)، الخراز، البسطامي (23)، نجم الدين كبري، البغوي، التستري (22)، صدر الدين القونوي (19)، الروزباري، الخرقاني (18)، ابن الجلاء، الرازي (17)، أبو علي الدقاق، إبراهيم الخواص، أحمد الجامي، الحريري، الأعلى (16)، إبراهيم بن أدهم، الأقطع، أبو علي الكاتب المصري، الكتاني (14)، الآدمي، سنائي القونوي، السيرواني، علي بن أبي طالب، التبريزي (13) الترمذي، بشر الحافي، أبو سعيد (12)، أحمد الحواري، الغزالي، الخوافي، عمرو المكي، الترمذي، الهروي، الواسطي (11)، أحمد البلخي، النهاوندي، السهروردي، الطوسي (10)، القشيري، الشيرازي (9)

(2) مصطلحات الصوفية: الأبدال (14)، الملامتية (12)، العرفاء (4)، أصحاب الكهف، المفردون (2)، القلندرية (3).
المذاهب: النصارى، المجوس (4)، مذهب أبو حنيفة، مذهب الثوري (4). الأقوام: العجم (8)، العرب (6)، الترك (5)، الروم (4)، الأكراد، الإفرنج، القراطمة (2). الأماكن: هراة (4)، خراسان، بغداد (4)، البصرة (3)، أهل جام، دمشق، العراق، نيسابور (2).

الدنيا، ثم الولاية، ثم التوكل، ثم الاثنينية والفتوة، ثم الحقيقة والرضا، ثم الدعاء والصدق والعشق والوقت، ثم الإخلاص والبلاء والتوبة، ثم الجذبة والحجاب والعبودية، ثم المشاهدة[1].

ويعتمد على عديد من الآيات والأشعار والأحاديث والأمثال[2]. والأشعار عربية أو فارسية الأصل مع شعرائها[3]. كما يعتمد على كثير من المصادر المدونة. ويأتي في المقدمة «الفتوحات» ثم «كشف المحجوب» للهجويري، ثم «طبقات

---

(1) مجموعها 764 مصطلحاً: التصوف (42)، السماع (23)، المعرفة (22)، الفقر (19)، الكلام (15)، المحبة (14)، التوحيد، الذكر، الصحبة (13)، الدنيا (11)، الولاية (10)، التوكل (9)الإثنينية، الشغل، الفتوة، الوقت (8)، الحقيقة، الرضا (7)، الأكل، الدعاء، الرفض، الصدق، العشق، الوقت (6)، الإخلاص، البلاء، التوبة، الجذبة، الحجاب، العبودية، المشاهدة (5) الوحدة. وهناك أربعة وعشرون مصطلحاً يذكر كل منها أربع مرات، وتسعة وأربعون مصطلحاً يذكر كل منها ثلاث مرات، وسبعة وتسعون مصطلحاً يذكر كل منها سبع وتسعين مرة، وما يقرب من خمسمائة مصطلح كل منها يذكر مرة واحدة.

(2) الآيات (152)، الأشعار (143)، الأحاديث (48)، الأمثال (7) الأشعار الفارسية الأصل (149).

(3) الفتوحات (23)، مرآة الجنان لليافعي، كشف المحجوب للهجويري (20)، طبقات الصوفية للسلمي (9)، تاريخ الصوفية للسلمي، صديقة الحقيقة لسنائي، الرسالة القشيرية (4)، عوارف المعارف للسهروردي، الرسالة الإقبالية لركن الدين، صحيح البخاري، العروة الوثقى للسنائي، اللمعات للعراقي (3)، الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني، أعلام الهدى للسهروردي، تأويلات القرآن للكاشي، روح من الرياحين لليافعي، سير السلف لإسماعيل بن محمد، شرح الشطحات لروزبهان، الفكوك للقونوي، قواعد العقائد للغزالي، قوت القلوب للمكي، كنز الرموز للحسيني، المحبوب للحموي، منازل السائرين للهروي وشرحه *للتلمساني*، موطأ *مالك*، نظم *السلوك* لابن *الفارض*، *أسرار نامة للعطار* (2)، *وعشرات* آخرون، حوالي ثمانون مصدراً يذكر كل منها مرة واحدة مثل الإحياء للغزالي، آداب الفقر للروذباري، الأنوار في كشف الأسرار لروزبهان، بحر الحقائق للرازي، تحفة البردة للبغدادي، تذكرة الأولياء للعطار، تفسير الحقائق للسلمي، تفسير سورة الفاتحة للقونوي، التفسير الكبير للرازي، تفسير العرائس لروزبهان، جامع الأصول للقونوي، جواهر القرآن للغزالي، حديقة الحقيقة لسنائي، ختم الولاية للترمذي، الدر النظيم لليافعي، رموز الأنبياء لسنائي، رشف النصائح للسهروردي، شرح الحديث للقونوي، عين الجمع للحلاج، النصوص ومفتاح الغيب والنفحات الإلهية للقونوي، لطائف الإشارات للقشيري، المثنوي للرومي، مشكاة الأنوار للغزالي، منازل السائرين للهروي، منطق الطير للعطار، ياقوت التأويل للغزالي. . .الخ.

الصوفية وتاريخ الصوفية» للسلمي، ثم «الرسالة القشيرية» و«عوارف المعارف» للسهروردي، ثم «الفكوك» للقونوي، و«قواعد العقائد» للغزالي، و«قوت القلوب» للمكي، و«منازل السائرين» للهروي، و«نظم السلوك» لابن الفارض، . . . إلخ، تزيد على المائة. ويتم الرجوع إلى الإنجيل والزبور.

ومن الأماكن التي ينتسب إليها الصوفية تأتي في المقدمة بغداد ثم مكة ثم نيسابور ثم مصر ثم خراسان ثم شيراز وهراه ثم الشام ثم العراق ثم بلخ ثم مرّة ثم البصرة. . . .الخ، مما يدل على انتشار التصوف في كافة أرجاء العالم الإسلامي ووسطه بغداد وشرقه خراسان وغربه مصر والشام[1]. ومن الأيام والوقائع والغزوات يتقدم يوم عرفة ثم محنة الصوفية ثم يوم عاشوراء وواقعة جنكيز خان، مما يدل على ارتباط التصوف بالأعياد الدينية والواقع السياسي[2]. ولما كان الحيوان موضوعاً فكرياً أو سبباً كما هو الحال عند الجاحظ، فقد ظهرت أنواعه، وفي المقدمة الكلب ثم الطير ثم الفرس ثم الأسد ثم الحصان، ثم الجمل والبقرة والخيل والغنم والهرة والظبي والكبش، منها الأليف وغير الأليف، منها الريفي والحضري. كما تظهر أنواع الطيور مثل الطير والباز والحمام والعصفور، بل والذباب والغراب والبلبل، كما تظهر الهوام والزواحف كالحيات والفئران والنملة والعقرب والثعبان، كما تظهر حيوانات المياه مثل الأسماك والحيتان. . . إلخ. فالتصوف ليس فقط مرتبطاً بالبيئة الاجتماعية والسياسية بل أيضاً بالبيئة الطبيعية التي نمت الكرامات فيها[3].

---

(1) بغداد (95)، مكة (76)، نيسابور (64)، مصر (57)، خراسان (48)، شيراز، هراة (45)، الشام (35)، العراق (29)، بلخ (26)، مرو (24)، البصرة (21)، الحرم. دمشق (16)، الحجاز، ملوس المغرب (15)، بخارى، الروم (14)، الري (13)، سمرقند (12)، عرفات، اليمن (11)، أصفهان، همذان (10)، بيت الله الحرام، بيت المقدس، قونية، خوارزم، فارس (9)، سرخس (8)، دجلة، الرملة، طرطوس (7)، فهندر، المسجد الحرام (6)، الإسكندرية، ترمذ، الكعبة (5).

(2) يوم عرفة (3)، محنة الصوفية (2)، يوم عاشوراء، موقعة جانكيز خان (1).

(3) الكلب (27)، الطير (15)، الفرس (12)، الأسد (10)، الذباب (9)، الحصان (8)، الجمل، البقرة، الباز (7)، الحمار، البغال، السباع (6)، الخيل، الحمام (5)، الدجاجة، العصفور، الغنم، الهرة (4)، الحيتان، الظبي، الكبش، الذئب (3)، الإبل، ابن آوى، الشاة، الثعبان، الجراد، الحنش، الدرة، الغراب، الفئران (2)، الأرنب، البط، البلبل، =

4 ـ مؤلفات الشعراني (ت973هـ):

أ ـ «لواقح الأنوار» (الطبقات الكبرى)[1]. وإذا كان الوعي التاريخي في البداية في «طبقات الصوفية» للسلمي (ت412هـ) وفي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني فإنه يعود أيضاً في النهاية في «لواقح الأنوار في طبقات الخيار» المعروف باسم «الطبقات الكبرى» للشعراني. يعرض أعلام الصوفية، أربعمائة وخمساً وعشرين علماً من أعلام الصوفية منذ القرن الثالث عند الخلفاء الراشدين حتى القرن العاشر عند مشايخ الطرق الصوفية. وقد ضم حوالي أربعمائة وخمساً وعشرين علماً مما يدعو إلى الإبهار بهذا الحجم الهائل من المعلومات في مرحلة ما قبل وسائل الاتصال الحديثة.

ونظراً لأن معظم أعلام التصوف بعد مرحلة التصوف الفلسفي حتى القرن السابع من مشايخ الطرق الصوفية فإن ذلك قد يفترض وجود مرحلة رابعة هي التصوف الطرقي استغرقت حوالي خمسة قرون هي الفترة العثمانية والحامدية الشاذلية في قمتها. وقد شجعتها الدولة العثمانية حتى الدولة الوطنية الحديثة لإلهاء الشعب بالمواليد والاحتفالات الدينية والبيارق والدفوف والرقص والسماع والجذب والسحر والخرافة بعيداً عن السياسة والتحزب السياسي ومعارضة السلطان. وقد تكون المرحلة الطرقية رد فعل على التصوف الفلسفي، تصوف الجماهير كتطور طبيعي لتصوف النخبة، وبالتالي يكون الوجه الآخر له. فقد تحولت الشطحات في المرحلة الأولى إلى أفعال جذب في المرحلة الثانية. وهي نوع من الشطحات العملية. وقد يتطلب ذلك أيضاً مرحلة خامسة وهي المرحلة الإصلاحية للطرق الصوفية عند كبار المصلحين، الأفغاني وإقبال وسيد قطب. ومن «الفناء إلى البقاء» يدخل في هذه المرحلة.

وإذا كانت «الطبقات» الأولى في البداية قد اعتمدت على الرواية أسوة بعلم

= الثعلب، الثور، الجدي، الحشرات، الخنازير، الدواب، دود الحرير، السمك، الضأن، العجل، العقرب، العنقاء، الغزلان، الكركي، المهر، الناقة، النعجة، النملة (1).

(1) مكتبة صبيح وأولاده، الأزهر (د.ت)، «فهذا كتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله عز وجل من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر. ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير. ولم أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دون ما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة»، لواقح الأنوار جـ1/ 3.

الحديث فإنه «الطبقات» الثانية اعتمدت على المدونات سواء «الطبقات» السابقة أو أعمال الصوفية أنفسهم ومواعظهم ورسائلهم[1]. هذا بالإضافة إلى الروايات الشفاهية عن المعاصرين والمعرفة الشخصية بهم مما دفع الشعراني إلى تخصيص قسم لهم كما هو الحال في «حلية الأولياء» بالنسبة لأهل الصفة[2].

تُلخص كثير من الأعمال خاصة للأعلام الكبرى. تذكر أسماء مؤلفاتهم. ويحال إلى رسائلهم ومواعظهم. وتذكر بعض نصوصهم، والإشارة إلى ذلك بلفظ «انتهى». وذلك مثل رسالة الحسن البصري الشهيرة إلى عمرو بن عبد العزيز في كتب الطبقات عند المتقدمين، بالإضافة إلى مقتطفات من رسائل المريدين[3]. كما تضم مجموعة من النساء كما هو الحال في «حلية الأولياء»، وتشمل الخلفاء الراشدين والفقهاء الأربعة مع الصوفية المتقدمين كما هو الحال في «الحلية»[4]. وتظهر مجموعة أخرى تضم مشايخ الشعراني ومعرفته بهم عن طريق التجربة المعاشة[5]. ويستطيع الإنسان أن يعايش المتقدمين بتمثل أقوالهم والاقتداء بأفعالهم[6]. ويحيل إلى باقي أعماله. فكتابة الطبقات جزء من مشروع فكري أعم[7].

(1) لوائح الأنوار حـ1/ 86، حـ2 / 19-20/ 116/ 142/ 145.

(2) «نبذة صالحة من أحوال العلماء العاملين من أجل مذهبنا فقط تبركاً بذكرهم، ونشر العبير مسكهم رضي الله عنهم»، الطبقات الكبرى حـ2 / 170-172.

(3) فصل في ذكر جماعة من عبادة النساء (16 امرأة)، السابق جـ1/ 56-58. منهن رابعة العدوية، رابعة بنت إسماعيل، ماجدة القرشية، عضيرة العابدة. . . .الخ.

(4) «وختمت هذه الطبقات بذكر نبذة صالحة من أحوال مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر وخدمتهم زماناً أو زرتهم تبركاً في بعض الأحيان. وسمعت منهم كلمة أو أدباً فأذكر ذلك عنهم عن طريق ما ذكرناه في مشايخ السلف» السابق ص3.

(5) السابق حـ2/ 104-172.

(6) «وإن كل من طالع في هذا الكتاب على وجه الاعتقاد وسمع ما فيه فكأنه عاصر جميع الأولياء المذكورين فيه وسمع كلامهم. وذلك لأن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته وصحبته فإنا نحب رسول الله والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا رأيناهم ولا عاصرناهم. وقد اقتفينا بأقوالهم، واقتدينا بأفعالهم كما هو مشاهد. فإن صورة المعتقدات إذا ظهرت وحصلت لا يحتاج إلى مشاهدة صور الأشخاص. ثم إن من طالع مثل هذا الكتاب ولم يحصل عنده نهضة ولا شوق إلى طريق الله عز وجل فهو والأموات سواء»، السابق ص3. وهو ما سماه كير كجارد المتعاصر أو التلميذ من الدرجة الثانية.

(7) الإحالة إلى تلخيص كتاب الجواهر، السابق حـ2/ 158. =

وترتيب الأعلام ليس مرقماً. بل تتوالى الأعلام، الواحد تلو الآخر. فهو أقرب إلى الترتيب الزماني منذ القرن الأول، عصر الخلافة الراشدة حتى القرن العاشر الذي عاش فيه الشعراني (ت973هـ)، ويخلو الترتيب الزماني من أي ولاية أو أي محاولة لاكتشاف قانون لتطور التاريخ في مراحل أو لوصف مسار التصوف أو لتحديد مكونات الوعي التاريخي الصوفي. ولا توجد محاولة لوصف منحنيات هذا المسار التاريخي الممتد عبر ألف عام أو تجميع الأعلام في مدارس صوفية متتالية أو متزامنة عبر التاريخ[1]. وقد يساعد ذلك على إدراك رؤية المتأخرين للمتقدمين، والحكم على التصوف في مراحله الثلاث السابقة: الخلقية والنفسية والفلسفية من منظور التصوف الطرقي.

وتختلف الأعلام من حيث الحجم. أكبرها سيدي علي ولده، قد لا يكون معروفاً إلا عند مشايخ الطرق الصوفية. ويليه الشيخ علي الدميري المجذوب، وهذا أيضاً من أقطاب مشايخ الطرق، ثم إبراهيم الدسوقي مؤسس الطريقة الدسوقية، ثم الشيخ داود الكبير بن ما خلا فالثلاثة الأوائل من مشايخ الطرق. ولا يأتي أعلام التصوف، والشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، وعبد القادر الجيلي مؤسس الطريقة الجيلانية، والسيد أحمد البدوي مؤسس الطريقة الأحمدية، وأحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية. . . إلخ[2].

= «وسلكت في هذه الطبقات نحو مسلك المحدّثين وهو أن ما كان من الحكايات والأقوال في الكتب المسندة كرسالة القشيري والحلية لأبي نعيم وصرح صاحبه بصحة سنده أذكره بصيغة الجزم لأن استدلاله به دليل على صحة سنده عنده. وما خلا عن هذين الطريقين فاذكره بصيغة التحريض ليحكى ويروى. ثم لا يخفى أن حكم ما في كتب القوم «كعوارف المعارف» ونحوه حكم صحيح السند. فاذكره بصيغة الجزم كما يقول العلماء قال في شرح المهذب كذا قال في شرح الروضة كذا ونحو ذلك»، السابق ص3.

(1) «ولكن هكذا وقع لنا ذكره وإن كنا لم نلتزم ذكرهم على ترتيب الزمان» السابق حـ1/ 175.

(2) سيدي علي ولده (40)، الشيخ علي الدميري المجذوب (18)، إبراهيم الدسوقي (15)، سيدي الشيخ محمد أبو الذهب (13)، الشيخ داود الكبير بن ماخلا (12)- شمس الدين الحنفي (11)، أبو الحسن الشاذلي (8)، المرسي أبو العباس، الشيخ أبو الفضل الأحمدي، عبد القادر الجيلي (6)، السيد أحمد البدوي (5)، أحمد الرفاعي (4)، أبو السعود بن أبي العشائر، سيدي محمد المغربي الشاذلي، سيدي محمد بن عنان (3)، أبو محمد سهل ابن عبد الله، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي.

ويذكر اسم العلم مع ألقابه. كما يذكر نسبه وشيوخه وتلاميذه. كما يُذكر مكان ولادته ووفاته وموطنه. ويذكر أيضاً تاريخ وفاته، ونادراً ما يذكر تاريخ مولده، وأحياناً يذكر عمره. وقليلاً ما يرد شيء من ذلك إما لمدى البعد أو لمدى القرب من المؤلف. ولا حرج من ذكر قتله بأيدي السلطان أو العامة لاتهامه بالكفر. كما تذكر مواعيد الموالد لأهمية اشتراك الجمهور، وتخلو الأسماء الأولى من الألقاب. وأكثرها ذكراً «الشيخ» ثم «سيدي»[1]. كما يظهر لقب «المجذوب» الذي تحول فيما بعد من كنية إلى اسم. تذكر أقواله وتروى أفعاله خاصة كراماته، والأقوال أكثر من الأفعال، وللنساء لقب «سيدة» ولا تظهر الألقاب إلا في الفترة المتأخرة في العصر العثماني.

وتتوزع الأعلام المتقدمة على العراق، البصرة وبغداد، وخراسان وآسيا، وأذربيجان، أرمنية، في حين تتوزع الأعلام المتأخرة على مصر والمغرب وتركيا. وتبدو مصر وكأنها مركز التصوف الطرقي. ويغيب السودان بالرغم من أهمية المهدية والتيجانية والمرغنية والختمية والبرهانية. وقد ظهرت متأخرة بعد القرن العاشر. ومع ذلك يذكر الصوفية الأحباش في مصر. فصورة المجذوب أنه أسود الوجه كجزء من الخيال الشعبي مثل الذقن واللحية والعمامة والعيون الجاحظة والمنجرة. كما غابت شبه الجزيرة العربية ربما لسيادة النزعة السلفية التي أكدتها الوهابية فيما بعد. ويكشف عن اتساع رقعة العالم الإسلامي وانتشار التصوف فيه. وتذكر القسطنطينية عاصمة الخلافة، وينسب الصوفي إلى أفريقيا، مع انتشار

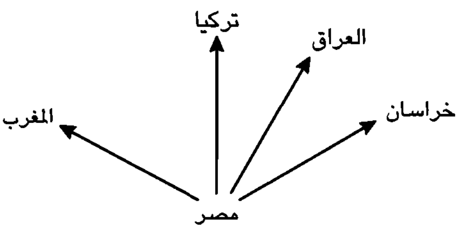
(1) الشيخ (122)، شيخي (1)، سيدي (42)، الشيخ داود الكبير (1)، شيخي ووالدي وقدوتي الشيخ (1)، شيخ الإسلام زكريا النصارى (1)، العارف بالله (إبراهيم الدسوقي)، العارف الكامل المحقق المدقق أحد أكابر العارفين بالله سيدي (1)، الشيخ العارف بالله سيدي (1)، سيد الطائفة (الحفيد) (9)، السيد (2)، الإمام (أبو العباس المرسي) (1)، السيد الحسين النسيب أبو العباس سيدي أحمد البدوي الشريف (1)، أمين الدين إمام الجامع الغمري (1)، أستاذي سيدي (على الخواص) (1)، سيدة (2)، (عائشة بنت جعفر الصادق، نفيسة بنت الحسين)، مجذوب (14)، المجنون (2)، الحافي (1)، المحاسبي (1)، الواعظ (11)، الكبير (1)، الأعمش (1).

الإسلام فيها في القرون المتأخرة[1]. وتحضر مصر حضوراً طاغياً في العصر العثماني. فمعظم الصوفية منها أو عن طريقها من المغرب، القاهرة والإسكندرية، الأزهر والحسين والمجاورين وقرافات المقطم. وقد ربطت المالكية كما ربط الحج بين مصر والمغرب[2]. وكثير منهم حول فاس، العاصمة الثقافية للمغرب[3]. ولما ارتبط التصوف بالأشعرية والشافعية فقد اجتمعت المذاهب الثلاثة في الطرق الصوفية ومشايخها.

ويقل الاعتماد على الحجج النقلية، ويزيد الجانب العقلي حتى ولو عن طريق أقوال الصوفية. ويخف الحديث للغاية. وتزيد الآيات القرآنية حيث يبدو أن التصوف مازال مرتبطاً بعلم التفسير وإن بدا انفصاله عن علم الحديث. وهنا يبدو التصوف وكأنه تفسير أخلاقي روحي باطني للقرآن. وأحياناً تدخل الآيات كاستعمال حر داخل الإنشاء دون أن تكون نصاً منفصلاً ومستقلاً عن التأليف. وهنا يبدو التصوف وكأنه تفسير مرسل. ولا توجد الأسانيد المختلفة لنفس المتن أو المتون المختلفة لنفس السند. فلم يعد الحديث هو الدعامة الأولى في الحديث عن الصوفي بعد أن ظهرت أقواله، واشتهرت أفعاله، وذاعت كراماته. وينضم الشعر كمادة صوفية من أشعار الصوفية أنفسهم خاصة الصوفية الشعراء[4].

وفي هذا العصر المتأخر تحولت اللغة من منطق محكم إلى خرافة

(1)



(2) «وجميعهم من مشايخ مصر المحروسة وقرأها رضي الله عنهم أجمعين» السابق ص3.

(3) «من العقيدة إلى الثورة». من نفحات فاس 1982-1984.

(4) «الطبقات الكبرى» في حاجة إلى طبعة حديثة علمية تعتني بالفهارس العامة للتخفيف على الباحثين تطبيق منهم تحليل المضمون بدلاً من الطريقة الأزهرية القديمة (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده).

وأحجيات. توحي بألفاظها لا بمعانيها[1]. فهو كلام المغرب الذي لا يشاكل كل

(1) كتب إبراهيم الدسوقي وهو من الفقراء صاحب الخرق إلى بعض مريديه وكان يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش «أنني أحب الولد. وباطني خلي من الحقد والحسد. ولا بباطني شظا ولا حريق لظى ولا جوى من مضى، ولا مضض غضا، ولا تكفي نصا، ولا سقط نطا، ولا ثطب غظا، ولا عطل خطا، ولا شتب سري، ولا سلب سبا، ولا عتب فجا، ولا سمدا إذ حبذا، ولا بدع رضا، ولا شطف جوا، ولا حتف حرا، ولا خمش خيش، ولا حفص عفص، ولا خفض خنس، ولا مولد كنش، ولا عنش كنس، ولا عسس ولا جيفل خندس، ولا سطاريس، ولا عيطافيس، ولا مطامرش، ولا شطامريش، ولا شوش أريش، ولاركاش قوش، لا سملاد نوس، ولا كتب اسحطلول الرس، ولابوس عكموس، ولا أفناد أفاد، ولا قمداد أنكاد، ولا بهداد، ولا شهداد. . .» لوائح الأنوار حـ1/ 145. «فتبدو له أنوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة، معلومة، معروفة لا معروفة، غريبة عجيبة، سهلة شطة، فائقة طعم، ورائحة وشم، ميم محل، جميل جهد، رأب علوب، نفط نبوط، هوبط سهبط، حرموا عميطا أغلب، عمن عسب غلب، عرماد عرجود، على عروس علماس، مسرود، قد قد، خرسم صياع صبع صبوع بنوب، جهمل جمايد جريوعس، فنبود، سماع بناع، سرنوع ختلوف، كداف كروب كمنوف شهد، اسهنبل، ختلولف، ختوف رصص، ما من قمن، قرفنبود سعي، طبوطاطا برطا، كمط كهرجه جهد. بيدفيلودات كهلودات، كيكل كلوب، فإفهم برم، وافرم منعجم، وأخر سهدم، سوس سفيوس، كلافيد، لا تعز عن غبيلا، سعد سج تزيط ولا تتكوكع، زيذ صدام هدام. سكهدل..»، السابق، نفس الصفحة. «في الأبرجة المعونقة والمجبرة المحونقة والمثيرة المحتوطفة واللطيفات المختلفة المستوجنة والأرايح الأرياح المتولوجة المستودجة، فالشهار والأنهار المستوطج والصفو المزرورق أو المفتودج والفتوع والسنبابول والسربايور والشوشاند والشربو شاسع والبرجواشاند. .» السابق، نفس الصفحة. «جميل المعنى سخي المراشف، أرخى المعاطف كريم الخلق، سني الصدق، عرفوط الوقت، وروساني الفهم، ثاقب المرصب، محبول الرحب، قطابة النقل، قدوح النماطة، ليدوح النباطجة، سرسامع الوحب، بهدياني الوعب، بهياني الحداقة، سهيري الناقة، موز الرموز، عموز النهوز، سلاحات أفق فانية، أحق شوامق البرامق، صيدو فرقيدو، فرغاط الأسباط، ومبيط البساط، الكرقولية، والقدد القيلولية، إن جدول شذول، وإن غزذل، خردل السبل، السبل يبطل العقود، النمكاصة النياصة، جاجوي نباكلكوتي، سبا مقطعات، حم ومحمات، حكيم بدايع لوايع، إن شدت أنشدت،عنيقات رسمانية، ناتوتية، نابهتنية، بانلية، أرس أرسون، كمين كبيوت، ناتون نون، وجيم ونقطة، عين تنعيم، أزمج همدج، تنسج هيج، وهبرر عبوص، قيداف فيدوف، عرائش مجليات، شعشانية على قطط النبط، لا النمط والبعب لا الشطط، خلاق القندوم، خلاق الزيدم، وأبقي الهندم، أن طاطا فطا وفا، وإن تعاطي فاستبرق، يسمع عنين النبك، وعنين النبط، من أرباح قوائد. وأدراح قلائد، ليش من لفظ قس الأيادي، ولا له بها أيادي، إن =

لغة العرب، ولا يفهم إلا من كان له قلب أو أفهمه الرب. إذ يتكلم علماء الحقيقة بكل لسان. ولهم لسن عجام وتتسرب إليها أحياناً بعض الألفاظ العامية بعد أن أصبح التصوف ثقافة شعبية.

ولم تظهر الإسرائيليات كثيراً باستثناء قصص الأنبياء. ولم يذكر مع أعلام الصوفية النصارى المتحولين إلى الإسلام مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه.

وتستمر «الحقيقة المحمدية» في الظهور منذ القرن الثالث الهجري عند ذي النون حتى الشعراني. ومنها خرجت الأدعية والابتهالات النبوية. فالتصوف النظري قد تحول إلى طرق صوفية في حاجة إلى رموز دينية وتجسيم وتشبيه. ويبدو المسيح حاضراً. فهو نموذج الاتحاد والحلول. كما تحضر قصة مريم، نموذج الحياة الروحية الباطنية.

وتظهر مشاركة الصوفية في الحياة السياسية بالحديث عن الأسر عند الإفرنج له أو لأولاده، لمشايخه أو لتلاميذه، كما هو الحال في الأغاني الشعبية، «ولدي يا ولدي، السلطة أخذت ولدي»[1]. وكان الصوفية يحاربون بالكرامات ضد الإفرنج.

ب ـ **«الطبقات الصغرى»**[2]: وتمثل أيضاً عوداً إلى الوعي التاريخي مثل باقي مؤلفات الشعراني التاريخية. وهو ليس تلخيص للطبقات الكبرى بل إضافة عليها من المعاصرين، الأموات والأحياء. ينقسم إلى ثلاث أقسام: الأول الصوفية الذين لم يقابلهم المؤلف. والثاني الصوفية الذين قابلهم دون أن يتتلمذ عليهم ويقرأ لهم. والثالث الصوفية الذين قابلهم ومازالوا أحياء ومصادره عنهم مصادر مباشرة. قد يكون البعض منهم قد مات أثناء حياة المؤلف فيضمهم مع الأحياء. ومع ذلك يذكر تاريخ وفاتهم، والقسم الثالث لم يُستوف بعد. ويحال إلى كتاب آخر يتم فيه تناول الموضوع[3]. ولأول مرة يتم تدوين الأحياء. ولم يُوضع كل الأحياء مما أثار

= تمادي قدي، إن بعد أعدد، لفظه بارق، لحظه حاذق، إن ينشد فرذ قونية، قب اعتدلت بالرشاطاط، من خروربان، كروم المرتبلاه ولا أشباه ألم تك والدتك والرنك»، السابق ص146.

(1) الطبقات الكبرى حـ2/ 78/ 96/ 117/ 161/ 163.

(2) الطبقات الصغرى ـ دار الكتب العلمية، بيروت 1999م-1419هـ.

(3) السابق ص21.

بعضهم. وربما قصد حذفهم لأنهم كانوا حريصين على ذلك مما يقلل في آداب السلوك. فشرط الصوفي ألا يعلم عنه الناس أنه صوفي، حياء وتستراً. فالتصوف علم كبواطن القلوب. ومنهم من يلوط بالعبيد وبالحمير[1]. وكلهم تقريباً مصريون مما يدل على مساحة مصر في التدوين الثاني لعلم التصوف وظهور الوعي التاريخي من جديد. وهم مرتبون ترتيباً أبجدياً أسوة بباقي كتب الطبقات[2].

ويكشف عن الحياة العلمية في عصر المماليك والعثمانيين خاصة في مصر، وقد يكون اللجوء إلى التصوف رد فعل على ذلك، ومن الصوفية من كانوا علماء أتقياء مستقلين عن السلطان في مناصب الإفتاء أو القضاء أو الإمامة، كما يكشف البعض الآخر عن الصراع بين العلماء والسلاطين وشكوى بعض العلماء من الإهمال والعوز، وتصور الطبقات الصغرى الحالة العلمية في مصر في العصور المتأخرة. كما تبين حياة الشعراني نفسه، وحرصه على العلم عن طريق البحث عن المشايخ، وكثير منهم كانوا من الأزهر مما يبين دوره في إنجاب العلماء. كما يأخذ المؤلف موقفاً نقدياً من التصوف، ما يتفق منه مع العقل وما يخالفه. ويكشف عن بعض الحسد والخصومة بين الصوفية وكما يحدث في كل عصر من غيرة العلماء.

وترُسم شخصية الصوفي في عصره، مولده ومكان وفاته، بلده، وموطنه، وعلاقته بالسلاطين والولاة وباقي العلماء. ويذكر مشايخه ومريديه، وتوصف عشرته، وطريقته في التعليم، وإصره على المريدين، وحسد المشايخ والعلماء له. وتذكر مكانته عند السلف، وأقواله وكراماته ومواقفه وحكاياته وألقابه مثل الورع الزاهد الولي الناسك. كما تذكر أوصافه وسماته وشمائله وأخلاقه، والمعالم الرئيسية في حياته ومناصبه، والشهادة له بالصلاحية والدين ضد تهم الكفر والإلحاد. وتذكر مؤلفاته وأقواله وعباراته التي استشهد بها. كما يذكر مذهبه الفقهي للدلالة على تمسكه بالشريعة. بل تذكر أحياناً بعض ملامح حياته الخاصة مثل زواجه، مرة أو أكثر من مرة أو رهبنته، حبه للنساء أو كرهه لهن، ويذكر المؤلف مدة صحبته لهم التي قد تصل إلى أربعين عاماً كما حدث لبعض الأنبياء.

(1) السابق ص13.

(2) القسم الأول31 صوفيا، الثاني 22 صوفيا، الثالث 51، والمجموع 104.

كل ذلك يرسم صورة مثالية لصوفي دون نقد له أو ذكر بعض عيوبه ونقائصه. ولله المثل الأعلى، ويتفاوت الصوفية في الحجم. يأتي في المقدمة جلال الدين السيوطي، ثم زكريا الأنصاري. ومعظمهم لا يتجاوز الفقرة أو الفقرتين[1]. ومن حيث الكيف يذكر الأئمة الأربعة ابتداء من أبي حنيفة ثم الشافعي مع أن معظم الصوفية من الشافعية لارتباطها بالأشعرية[2]. ولم يذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلا من له كلام في الطريق. أو حال أو مقام[3].

ومصادره الكتاب والشعر والأولوية للشعر وأقوال السابقين. وتذكر بعض أحاديث الرسول في المنام لمزيد من التشويق[4]. فالموضوع تاريخي خالص لا يحتاج إلى كثرة من الأدلة النقلية، كما تذكر بعض الاقتباسات وعلامتها «انتهى»[5].

جـ - «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»[6]: هو أيضاً عودة إلى التاريخ عن طريق قياس الحاضر على الماضي، وبيان انهيار التاريخ من السلف إلى الخلف كما حدث في علم الكلام في الجزء الأخير عن الفرق، والمفضول والأفضل. حدث نفس الانهيار في التصوف، من الصوفية الأوائل إلى المغترين الأواخر. التصوف هنا دعوة سلفية إصلاحية. تجعل أخلاق السلف مقياس أخلاق الخلف. الصوفية هم أتباع السلف الصالح وخلفاء الأنبياء. وهو رد فعل على أخلاق العصر وفساد سلوك الأولياء والمشايخ. فهو نقد مثالي للعصر للتحول مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون.

وتغيب البنية كالعادة في هذه المرحلة المتأخرة بالرغم من قسمة الكتاب إلى أربعة أبواب متشابه في العنوان «في جملة أخرى من الأخلاق»[7]. ولا يوجد تصنيف لأخلاق السلف طبقاً لما عرف من التصوف الخلقي من تصنيف للرذائل

---

(1) السيوطي (15)، زكريا الأنصاري (7)، ستة أعلام (2)، ثمانية أعلام (1,5)، أربعون علماً (صفحة واحدة)، وست وأربعون علماً (نصف صفحة).

(2) الطبقات الصغرى ص7.

(3) السابق ص79/ 122.

(4) الشعر (2)، القرآن (1).

(5) الطبقات الصغرى ص70.

(6) مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1937-1356هـ.

(7) السابق ص7/ 46/ 92/ 134.

والفضائل أو للتصوف النفسي من تصنيف للمقامات والأحوال، وكثيراً من أخلاق السلف أخلاق عادية لا تحتاج إلى بيان مثل ملازمة الكتاب والسنة. ومع ذلك يظهر السلوك الفاضل مثل العفو والصفح وتعظيم حرمة الناس وحسن الأدب مع الصغير والكبير. ومن السلوك العام ترك الرياسة والنصح للحكام والمحكومين، وتظهر الفضائل مثل الجوع والقناعة والعمل وحسن النية والحياء والفتوة والمروءة والكرم. ويتم التنبيه على الرذائل مثل الغيرة والحسد والغيبة، ويتم التركيز على الالتزام بالحلال وتجنب الحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوداً إلى الفقه كمصدر أول للتصوف

وتتناثر المقامات عبر الكتاب وتفقد وضعها كموضوع خاص مثل الصبر على جور الحكام وأذى الزوجات والبلايا والنوازل، والتوبة والزهد، والمحبة، والتسليم، متناثرة ومتباعدة. وكذلك تتناثر الأحوال مثل الخوف من الله ودخول الآفات على العلم وضياع الذرية والحزن وما يصاحبه من بكاء والتفريط، وقلة الفرح. وتبرز موضوعات الطريق، مثل نبذ الدنيا والرياضة والمجاهدة والعزلة والصمت. وتظهر ثقافة الموت والارتعاش مما بعد الموت، وزيارة المقابر. ويعتمد على الحجج النقلية دون العقلية. وتذكر أحوال الصوفية وتروى أقوالهم وحكايتهم باعتبارهم خلفاء للأنبياء. ويخاطب القارئ «يا أخي» لأنها دعوة تربوية[1].

د ـ «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» أو «المنن الكبرى»[2]: ويتم التركيز على طبقة واحدة بل على فرد واحد فيها هو المؤلف نفسه كنوع من السيرة الذاتية ومدح النفس وبيان تأثرها وهو ما يتنافى مع قيم التواضع وإنكار الذات. وهو ما يتناقض مع توصية المريدين بعدم إفشاء سر المشايخ والأولياء الصالحين حتى لا يقعون في الغرور والجهل. فهناك توحد بين التصوف والصوفي، والولاية والولي، استمرارا في عبادة الشخص منذ «الحقيقة المحمدية» حتى شيخ الطريقة. وفي المثل الشعبي «لا يشكر في نفسه إلا الشيطان».

(1) السابق ص29.

(2) عالم الفكر، ميدان الحسين، الأزهر الشريف 1976م.

والعنوان خادع. إذ يوحي بأنه عود إلى المرحلة الأولى التصوف الخلقي، مرحلة المحاسبي والترمذي والتستري، خاصة وأنه مستمد من آية قرآنية ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. إلا أنه يعني المنن التي يتوهم الصوفي أن الله خصه بها بما في ذلك من كرامات. وقد جرت العادة على الدس على الصوفية وإقحام نصوص غريبة على مؤلفاتهم كما حدث في «الفتوحات». وهنا يختلط التصوف بالنصب والاحتيال على عكس تعريفه الأول بالصفاء والصفو. وقد يكون الهدف التعلم عن طريق المشاركة، وعرض الشيخ لمناقبه حتى يشارك فيها المريد.

ويتكون من ستة عشر باباً بلا عنوان. ولا تعبر عن مراحل العمر كما هو الحال في السير الذاتية. وكل باب يبدأ بعبارة واحدة مكررة «وفي جملة أخرى من الأخلاق». ولا تدل على شيء إلا على نعم متوهمة وكرامات خاصة عادة يستحي صاحبها من ذكرها حتى لا ينال مديح الناس. ولا يوجد مسار تراكمي فيها أو هدف كما هو الحال في «المنقذ من الضلال» للغزالي كمسار معرفي لصاحبه من العلوم النظرية إلى العلوم الذوقية. ومن العلوم العقلية إلى العلوم الكشفية، ومن العلم الإنساني إلى العلم اللدني، بهدف معرفة الحقيقة ومشاهدتها، انتقالا من علم اليقين (الكلام) إلى حق اليقين (الفلسفة) إلى عين اليقين (التصوف). بل هي منن مادية خالصة لا يصدقها عقل وأقرب إلى المعتقدات الشعبية[1]. وتكاثر الطعام وطاعة الجن ومعرفة ما في القبور من أحياء وأموات أيضاً جزء من التدين الشعبي[2]. والإحساس بالفقراء إحساس إنساني طبيعي ولا يتطلب نعمة ربانية خاصة. وعدم الاهتمام بزيادة مغانم الدنيا وعدم كراهية أحد إحساس طبيعي كذلك. وكراهة الجلوس في المسجد على حدث أصغر إحساس طبيعي بالنظافة.

(1) «تم تيسير جميع ما يحتاج إليه في الزاوية من طعام ولباس وغيرهما من غير سؤال ولا ذل في طريق الوصول إلى ذلك، ثم إرسال الحق جل وعلا إليَّ كل سنة من عسل النحل نحو عشرة قناطير، ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطاراً، ومن القمح ثلاثمائة إردب... ثم إرساله تعالى لنا كل سنة من البطيخ الهندي نحو ألفي حبة فنطعم منها الفقراء والضيوف طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد غالباً، ثم عدم اعتمادي على وقف أو هدية أو على مخلوق دون الله تعالى...»، لطائف المنن ص33.

(2) « ثم وجود البركة في رزقي حتى ربما أقدم للضيف ما يأكله واحد فيكفي العشرين نفساً، ثم طاعة الجن لي..... ثم معرفتي للولي إذا زرته في قبره هل هو حاضر أم غائب...»، السابق ص16.

وعدم البخل في الإنفاق على الأسرة وإدخال الفرح والسرور على الأهل والأقارب والجيران، وعدم بغض أحد حتى ولو كان من الأشراف والأنصار، وإرشاد المريدين على تحمل الأذى من الناس، والنصيحة بالاتعاظ بسماع القرآن، وإكرام أهل الحرف النافعة، وصلاة الاستخارة والاعتراف بالفضل، كل ذلك سلوك عام للفضلاء وليس سلوكاً خاصاً للأولياء، ومحبة صفات الله وكراهة أضدادها مطابق لتعريف التصوف بأنه إسقاط الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية، إسقاط الأوصاف البشرية والتحلي بالصفات الإلهية. وسماع القرآن والذكر ليلاً، والحذر من أهواء النفس كل ذلك جهد إنساني عام وليس فضلاً خاصاً.

ويبدأ الكتاب كالعادة بعرض أبواب الموضوع الستة عشر وكلها مدح للذات[1]. ومن النعم ما لا دخل للإنسان فيها مثل شرف النسبة والانتساب إلى ذرية الإمام محمد بن الحنفية، أو الصحابة الأطهار. وحتى شرف الأنبياء لا يأتي من ذريتهم، ولا شرف البشر لأنها جاهلية. والعلم لا يأتي من الإجازة بل من النور الباطني. ونفور النفس من ادعاء العلم نفور طبيعي ليس في حاجة إلى نعمة خارجية. ومشاهدة النفس لقدراتها الداخلية وحسن السلوك كل ذلك هبات فطرية وتعليم كسبي. والقناعة وعدم سؤال الناس سلوك أخلاقي طبيعي يقوم على الحياء، والاعتماد على النفس. والرضا دون زيادة في الكسب، وعدم الخوف من الناس والعزلة عن الحكام سلوك طبيعي للإنسان الفاضل. وكثرة الثناء على الله، وقبول المكروه، ورعاية اليتيم والجار «والمرأة الجار إذا غاب زوجها»، وقضاء الحوائج من الحكام حق مشروع واختيار سياسي وليس توجهاً إلهياً. وقبول البلاء تجربة وامتحان. وكراهية زيارة الحكام واللباس زهد طبيعي وإيثار لأعمال الروح. وعدم الزواج من ابنة الشيخ يوحي بأن ذلك كأنه تقليد للتقرب له ووراثة منصبه ورياسة طريقته كما يحدث عند المتسلقين والطالبين للمناصب الدنيوية. والرفق بالحيوان إحساس فطري. والأخلاق لا تكون إلا ذاتية طبيعية فطرية تنبع من حرية الاختيار والتمييز العقلي بين الحسن والقبيح. أما لطائف النعم فإنها جبر إلهي مثل الجبر الطبيعي أو الاجتماعي، وهذا الإنسان الكامل الفاضل الإلهي لا وجود له في الواقع، وما أكثر ما قيل أيضاً في مفاسد الأشايخ والمريدين خاصة المفاسد الجنسية.

(1) السابق ص9-38.

وذيوع الكرامات ضد الحياء. فمن شروط الولاية ألا يعرفها الناس. وسماع تسبيح الجمادات كرامة للولي ومعجزة للنبي[1]. والحماية من التداوي بإشارة يهودي. وكما يقوم الصوفي بأفعال فوق العادة فإنه يقوم أيضاً بأفعال تحت العادة مثل تعدد الزوجات، الزواج من أربع ومنعهن من حضور الأعراس لما فيها من مظاهر للفساد[2]. ومن نعم الله عليه إصلاح زوجاته الأربع اللاتي تزوجهن على التعاقب لدينهن. وكان في عمله وهو الخطبة لا ينظر إلى المخطوبة حياء باستثناء الوجهين والكفين. ويهبه الله من العلم اللدني دون تفكير أو استدلال أو تدبر وكأن إلغاء العقل نعمة إلهية وليس علم الطبائع الأربعة عند الفلاسفة. كما يحرسه من تعلم «علم الحرق والرمل والهندسة والسيمياء وغير ذلك من علوم الفلاسفة عندما تحولت الفلسفة إلى خرافة».

أما تقليد «الأشايخ» والاحترام الزائد للمعلمين فإنه يمنع التجريد والنقد وإعادة البناء. فاحترام المعلمين الأشايخ يكون بتطويرهم وتجاوزهم كما فعل أرسطو مع أفلاطون، والديكارتيون مع ديكارت، والكانطيون مع كانط، والهيجليون الشبان مع هيجل، والوجوديون مع ظاهريات هوسرل[3]. وقد تضمنت ألقاب الأشايخ مثل ألقاب الشعراني، العارف بالله، القطب الرباني، المحقق الصمداني، أبو المواهب. مذهبه الشافعية، وأصوله مغربية. وتعتمد هذه السيرة الذاتية غير المعلنة على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحكايات الصوفية وأقوالهم وكأنها كلها تثبت لطائف المنن على الصوفي. قد تبدأ الحديث قبل الآية. وقد تبدأ الرواية قبل الحديث. والآية بلا نسق في أوليات المصادر كما كان متبعا في «الإحياء». ويعتمد على أقوال الصوفية بأسانيدها وعلى كثير من الاقتباسات من نصوصهم[4]. وتضخم الكتاب بلا سبب إلا الجمع والتجميع.

---

(1) السابق ص18.

(2) السابق ص23–24/ 33/ 37.

(3) السابق ص17، وقد قمنا بتحقيق ذلك في «حوار الأجيال».

(4) السابق ص47–48.

5 ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (طبقات الصوفية، الطبقات الكبرى) لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ)[1]:

واستمر الوعي التاريخي حتى القرن الحادي عشر. ويدل على تحول التصوف إلى صوفية، والعلم إلى أعلام، والطريق إلى مشايخ ومريدين. وله عدة عناوين: الأول «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» مشيراً إلى أنه تراجم مصنفة تصنيفاً أبجدياً. والثاني «طبقات الصوفية» مشيراً إلى أن التراجم قد صنفت طبقاً للطبقات، وكل طبقة قرن من الزمان. ولما كان المؤلف قد توفي في 1031هـ، فهناك إحدى عشرة طبقة. ولما كان الكتاب قد استكمله الابن ببعض الاستدراكات ظهر العنوان الثالث «الطبقات الكبرى» للأب تمييزاً له عن «الطبقات الصغرى» للابن. وهو نفس اسم كتاب الشعراني.

ويغلب على الأسلوب الخطابة والمبالغة والمحسنات اللفظية والبديعية كما هو الحال في أساليب الكتابة المتأخرة، وأهمها «تنبيه»، «تتمة»، «خاتمة»، «فائدة»، «عجيبة»[2]. وتستعمل بعض التعبيرات بدلاً من فعل «مات» أو «توفي» مثل: «وخر النجم من السماء»، «وهوى»، «وأصبح التراب ملأ أجفانه»، و«انقبر»، «خلا شخصه وذهب»، «فصار إلى رحمة ربه إلى خير مقيل»، «صعدت روحه»، «لحق بمن تقدمه من الأبرار»، «اناخ الحمام ببابه»، «عدمته أم قرى»[3].

ونادراً ما تظهر الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها أعلام الصوفية والتي دفعتهم إلى التصوف دفعاً فأصبحوا شهداء للسلاطين أو فقهاء لهم[4]. مثل ما حدث لإبراهيم بن أبو شريف مع السلطان الغوري، ورفضه الحكم برجم زانيتين لصحة رجوعهما ويذكر عديد من أسماء الملوك والسلاطين حتى يكشف عن السياق السياسي للتصوف. ويذكر بعض جهاد الصوفية وغزوهم في سبيل الله مثل محمد بن عنان (ت922هـ)[5].

---

(1) دار صادر، بيروت 1999 (5 أجزاء).

(2) السابق حـ1/ 19-21/ 205-206/ 614-615.

(3) السابق حـ2/ 403/ 431/ 506/ 344/ حـ3/ 343/ 493/ 267/ 415.

(4) السابق حـ3/ 311-312.

(5) «وكان يغزو بلاد الإفرنج كل ليلة، ويرجع إلى بلده قبيل الفجر ويقول: لا يكون الفقير كاملاً حتى يطوف المشرق والمغرب، وهو مضطجع على جنبه» السابق ص439.

ويصنف الصوفية طبقاً للطبقات. والطبقة مفهوم تاريخي، طبقاً للقرون. الطبقة الأولى في القرن الأول، والطبقة الثانية في القرن الثاني، حتى الطبقة الحادية عشرة في القرن الحادي عشر، قرن المؤلف الذي توفي 1031هـ. ليست طبقة الأهمية أو الفضل أو الخير[1]. وداخل الطبقة يذكر الصوفية طبقاً للترتيب الأبجدي وليس طبقاً للأهمية أو للوجود داخل القرن في أوله أو في وسطه أو في آخره، باستثناء الرسول والخلفاء الأربعة الذين يأتون في المقدمة. أما مشاهير التابعين فيدخلون في الترتيب الأبجدي[2]. ويختلف عدد الصوفية داخل كل طبقة. أكبرها الثانية وأصغرها الخامسة[3]. ويتكرر بعض الصوفية مثل إبراهيم النجفي (99هـ) وغيره في الطبقتين الأولى والثانية[4]. ويذكر القليل منهم خارج طبقته مثل شاه بن شجاه الكرماني (ت270هـ) فهو موضوع في الطبقة الرابعة. وقد يرجع الاختلاف الكمي بين الأعلام ليس فقط إلى الأهمية بل أيضاً إلى توافر المصادر والمادة التاريخية، وقد يكبر المعاصرون لوفرة المصادر الشفاهية عنهم.

ويكتب اسم العلم ولقبه وكنيته وتاريخ وفاته وربما ميلاده وأحياناً عمره. ومكان ولادته ومحل إقامته. ولا يوجد تواريخ وفاة للنساء لأنهن أقل ذكراً وحضوراً في الوعي الحجمي، باستثناء رابعة العدوية ورابعة بنت إسماعيل[5]. وفي الغالب لا يزيد حجم المادة عن المرأة عن صفحة واحدة، وليس للكل تاريخ وفاة. والبعض يذكر بالقرن فقط دون تحديد للسنة، في أوله أو آخره. وبعض التواريخ تذكر على وجه التقريب بلفظ «نيف». ولا تذكر تواريخ وفاة غير المشهورين. وأحياناً تذكر مراسم دفنه وجنازته ورثاؤه إذا كان معاصراً للمؤلف. وعادة ما يكون الدفن في المساجد والزوايا أو في الصحراء أو في مقابر المسلمين، وليس في المقابر الخاصة.

---

(1) السابق حـ1/ 3-4.

(2) السابق ص191.

(3) الطبقة الأولى (108 صوفي)، الثانية (165)، الثالثة (78)، الرابعة (95)، الخامسة (19)، السادسة (51)، السابعة (128)، الثامنة (81)، التاسعة (73)، العاشرة (106)، الحادية عشر (35). ويكون مجموعهم 899. ومجموع الصوفية في «الطبقات الصغرى» 627 صوفيا.

(4) طبقات الصوفية حـ1- 208-209 / 271/ 280/ 295 / 298/ 323 / 332.

(5) طبقات الصوفية حـ1/ 230-235/ 242-243. نساء الصوفية، السابق حـ1/ 230-335-242-243/ 268/ 285/ 294/ 327-328 حـ2/ ب 390-393/ 465/ 468/ 556/ 616-617/ 693/ 723-725 حـ2/ 121-122 الطبقات الصغرى ص295/ 306.

وإن لم يعرف تاريخ الوفاة فإنه يحدد بتواريخ حكم السلاطين[1]. كما يذكر شيوخه وتلاميذه. وتذكر مؤلفاته وشروحه وملخصاته. كما تذكر معالم حياته خاصة كراماته، وبوجه خاص في الطبقات المتأخرة عندما تحول الصوفي إلى شيخ. ثم تذكر أقواله أو نماذج منها وهي الأهم. وترسم شخصية الصوفي بصفات كلها أقرب إلى صفات الكمال ولا يذكر شيء من صفات النقص.

والمؤلف من تونس، ينتسب إلى سلسلة من الصوفية والعلماء. صوفي يكتب عن الصوفية ويتعاطف معهم سواء كان أقرب إلى الموضوعية أم الخيال[2]. معظم مؤلفاته شروح. فهو ينتسب إلى العصر المتأخر، عصر الشروح والملخصات[3].

وتمتلأ «طبقات الصوفية» الكبرى والصغرى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والآيات أكثر من الأحاديث[4]. وتذكر الأسانيد مع الأحاديث زيادة في التوثيق والتبيين. وتكثر أحاديث الرسول في المقامات، كما تعتمد على المدونات السابق من أعمال الصوفية والاقتباسات منها. وعلامة انتهاء الاقتباس «انتهى». ويحال إلى «الإحياء» وغيره من الكتب العمدة في التصوف[5]. ويعتمد أيضاً على أقوال الصوفية السابقين. كما يعتمد على أقوال الفقهاء نظراً للاتفاق بينهما في الشريعة والأخلاق كما كان الحال في بداية التصوف. وبالرغم من أن معظم الصوفية شافعية إلا أن كثيراً منهم حنفية ومالكية وحنابلة. فقد استطاع التصوف اختراق كل المذاهب الفقهية، وتذكر مصادر مجهولة. يكتفي منها بلفظ «قيل» في المبني للمجهول. كما يُعتمد على الأشعار. وتبرز بعض الإسرائيليات.

(1) الطبقات الصغرى ص293-294.

(2) وقد أحسن الناشر صنعاً بتخصيص الجزء الخامس للفهارس العامة حتى أصبح بالإضافة إلى الهوامش والإحالات إلى المصادر الأخرى نموذجاً للنشر العلمي الجيد، بالرغم من المقدمة الخطابية له التي يبدو فيها تعاطفه مع الصوفية وانتسابه إليهم. بل إن الإهداء للصوفية، «إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال الله، رجال الرسول، رجال الأمة، رجال صدقوا، وما بدلوا تبديلاً»، طبقات الصوفية حـ1/ 5.

(3) له حوالي 117 كتاباً.

(4) الأحاديث (468)، الآيات (365)، الأشعار (282)، الأمثال (29)، أنصاف الأبيات (17)، الدوبيت والبلقيات والموشحات (12).

(5) طبقات الصوفية حـ1/ 150، حـ2/ 494، حـ3/ 119/ 345/ 202، الطبقات الصغرى ص103/ 317/ 458. المصادر الشفاهية، السابق ص108.

ويظهر الوافد حتى في صورة المنتحلات مثل «كتاب التفاحة» لأرسطو، وهو كتاب إشراقي عن خلود النفس بعد الموت أسوة بسقراط في «محاورة فيدون». فليس المعلم الأول أقل روحانية من أحكم البشر. وكان من ضمن قراءات عبد القادر الأدفوي(1).

وقبل التراجم هناك مقدمة صوفية من الكرامات. فالصوفية أصحاب كرامات خاصة عند المتأخرين(2). وهي موجودة في القرآن لدى أهل الكهف، وسليمان، وزكريا، وعيسى، ومريم، والرسول.

وهناك مقدمة نظرية أخرى عن الرسول باعتباره أول الصوفية ورئيسهم(3). فتذكر سيرته من مولده إلى وفاته، صفاته الظاهرة، وصفاته الباطنة، أخلاقه الظاهرة وأخلاقه الباطنة، معجزاته وخصائصه، كلامه وأدعيته، وأقواله وبعض أحاديثه دون ذكر لمقاييس اختيار مائة وثمانية من أربعة آلاف حديث. وما مقياس اختيار واحد وأربعين دعاء من مئات أخرى؟ وتستعمل أحاديث الرسول كمصدر للتصوف وكمادة للصحابة، وزهادهم وعبادهم.

ويتم الدفاع عن التصوف بالرد على المعتزلة في إنكار المعجزة، فالتصوف نظرة أشعرية للعالم. وحجج إنكار المعجزات والكرامات أنها توجب التباس النبي بغيره، وتفضي إلى السفسطة، وأنها دعوى بلا بينة لا يصدقها الناس، تنقض العادات. وتسد باب إثبات النبوة المعتمدة على المعجزة، وتخل بجلال الأنبياء. ولا تتميز عن السحر.

ويُعرَّف التصوف داخل التراجم أكثر من مرة كي ينطبق التعريف على التراجم، ولإثبات أن الجميع صوفية، فالصوفية في كتب الطبقات بالمعنى الواسع الذين يضم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والقراء والمحدثين والفقهاء والمفسرين والنحويين والأدباء. الكل صوفي.

ويتغير العنوان في «الطبقات الصغرى» إلى «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن». وهو مستلهم من عنوان ابن تيمية النقيض «الفرق بين أولياء الرحمٰن

---

(1) طبقات الصوفية حـ3/ 51-52، حـ4/ 437.

(2) السابق حـ1/ 5-21.

(3) السابق حـ1/ 22-69.

وأولياء الشيطان»[1]. وهو من تأليف الابن محمد لاستكمال ما فات الأب دون التقسيم إلى طبقات بل الاكتفاء بالترتيب الأبجدي للصوفية[2]. ولم يشأ الابن إدخال هذه الاستكمالات ضمن كتاب الأب بعد أن انتشر في العالم وخشية اضطراب النسخ بين ناقصة وهي نسخة الأب وكاملة وهي نسخة الابن، مع الخوف من تضخيم حجم الكتاب. آثر الابن تخصيص جزء خاص به هو الجزء الرابع. وضمه إلى كتاب الأب بعنوان مستقل، وإن كان للكتاب اسم جامع واحد «طبقات الصوفية»[3].

وهناك خمسة مقاصد من «الطبقات الصغرى: «التنبيه على أهمية كلام الأولياء والتحبيب فيهم، الرد على إنكار الكرامات بالأدلة النقلية، الإشارة إلى المقصود من كرامات الأولياء، بيان طبقات الأولياء ومقاماتهم وأحوالهم، ذكر أصول علم التصوف[4]. والاعتماد الأكبر على ابن عربي، وتلخيص كلامهم في المقصد الرابع وتصنيف الصوفية إلى أربع وثلاثين طبقة[5]. وهم كُثر، المعرفون وغير المعروفين،

---

(1) زين العابدين محمد عبد الرؤوف المناوي: «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن»، تحقيق وإعداد محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت 1999.

(2) عدد الصوفية 627 صوفياً من كافة الطبقات، من الثانية حتى الحادية عشرة.

(3) «لما تيسر، ولله الحمد، إكمال كتاب «الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية» اطلعت بعد تمامه على جماعة من القوم من العجم والروم والحرمين واليمن والشام ومصر، فأحببت أن لا يخلو كتاب «الكواكب» منهم، فأردت، إلحاقهم فيه. فصدني عن ذلك أمران: الأول أن الكتاب قد انتشر في الأقطار، ونقل إلى البلاد النائية فتختلف النسخ وتضطرب. الثاني أن في حجمه كبراً بالنسبة إلى همم أهل العصر»، طبقات الصوفية حـ4/ 5.

(4) «وينحصر المقصود منها في أبواب: الأول: في التنبيه على جلالة كلام الأولياء والترغيب في مجالستهم. الثاني: في الرد على من أنكر حكاية الكرامات بالأدلة العقلية المؤيدة بالبراهين النقلية. الثالث: في الإشارة إلى المقصود من ظهور الكرامات على الأولياء والترغيب في مجالستهم والأخذ عنهم، وبيان ما أتوا من أنواع الكرامات والمنازل والمقامات على وجه الإجمال. الرابع: في بيان طبقات الأولياء ومقاماتهم وأحوالهم ومكان أصحاب الوظائف منهم. الخامس: في ذكر شيء من أصول علم التصوف المهمة، لا يستغني عنها مطالع هذا الكتاب، الطبقات الصغرى ص6.

(5) هي 1- الأقطاب 2- الإمامان 3- الأوتاد 4- الأبدال 5- النقباء 6- النجباء 7- الحواريون 8- الرجبيون 9- الختم 10-ثلاثمائة نفس على قلب آدم 11- أربعون نفساً في كل زمن 12- سبعة في كل زمان 13- خمسة على قلب جبريل 14-ثلاثة على قلب ميكائيل 15- واحد على قلب إسرافيل 16-جماعة على قلب داود 17- رجال الغيب العشرة 18- الظاهرون بأمر الله عن أمر الله والثمانية عشرة 19- رجال القوة الإلهية الثمانية 20-رجال الحنان =

رجالاً ونساء، بشراً على الأرض أو على قلوب الملائكة في السماء، أبداناً أو نفوساً، فرادى أو في الزمان يتكررون في كل زمان، يعبرون عن دورة التاريخ.

وهناك تسع وخمسون أصلاً فقط، يقوم عليها التصوف دون تبرير للعدد أو لكثرة الأصول[1]. كل منها مُؤيد بالأدلة النقلية القرآن والحديث. وهي دستة بعلم القواعد الفقهية الذي يربط بين الأصول والفقه. هي علم القواعد الصوفية الذي يربط بين الأصول والتصوف. هناك أصول صوفية خالصة مثل صدق التوجه والرياضة أي تمرين النفس على حسن الأخلاق على أخذ الشيء وتركه، وتحلية الإيمان بالإيمان، ثم هناك قواعد أصولية[2]. وهناك بعض القواعد اللغوية[3]. وقد

= والعطف الخمسة عشر 21- أربعة في كل زمن 22- رجال الفتح الإلهي الأربعة وعشرون 23- رجال العلى السبعة في كل زمان 24- رجال التخت الأسفل الواحد والعشرون 25- رجال الإمداد الإلهي والكوني الثلاثة 26- الرحمانيون الثلاثة في كل زمن 27- رجال الأيام الستة 28- امرأة واحدة في كل زمان 29- رجل واحد في كل زمان 30- رجل أو امرأة في كل زمان له أولها رقائق ممتدة في العالم 31- رجال الغني بالله الاثنان 32-رجال من التحكيم والزوائد العشرة 33- البدلاء الاثني عشر 34- رجال الاشتياق الخمسة في كل زمن، ورجال لا يحصرهم زمن هم الملامتية، والصوفية، والعباد، والزهاد، والعلماء والأفراد والأشياء والقراء، والأحباب، والمحدثون، والسمراء، والورثة، والأواهون، رجالاً ونساء، والأجناد والإلهيون، والأخيار، والأوابون،والمخبتون، والمنيبون إلى الله، والمهاجرون، والمشفقون، والموقنون بعهد الله، والواصلون، والخائفون. وليس للتصنيف نهاية، السابق ص20-44.

(1) الطبقات الصغرى، ص45-57.

(2) مثل: إسناد الشيء إلى الأصل، والفرع إلى الأصل، والمتبوع للتابع. والاشتراك في الأصل يقضي الاشتراك في الحكم. والشيء مستفاد من أصوله، والمتكلم يلحق الفرع بالأصل ولا يُرد، وفهم الأصل يؤدي إلى فهم الفرع، واعتبار الفرع بالأصل، ولزوم التحقق من الأصل، وتشعب الأصل يقضي بتشعب الفرع، وتقلب لا يقضي رفع الأحكام الشرعية، والتوقف في مجال الاشتباه والتشديد في التعبد منهي عنه، وتحديد ما لم يرد في الشرع ابتداع، وبساط الشريعة يقضي بأخذ الواضح.

(3) مثل: الاصطلاح والمعنى، ووحدة القصد واختلاف السبل أي وحدة الغاية واختلاف الوسائل، واختلاف المسالك راحة للمسالك. وبقدر وجود الحسن يتعدد الاستحسان، وأصل الطريق اللقمة والخلطة. والمقصود موافقة الحق ومخالفة الهوى، والأجر على قدر الأتباع، والعلم بفائدة الشيء تبعث على الاهتمام به، واعتبار المهم من كل شيء وطلب الشيء من وجه واحد أسهل في نيله، والعائد على قدر الفائدة، وأهلية الشيء تقضي بلزوم بذله، ودوام الشيء بدوام ما رتب عليه، والتزام اللازم للملزوم، وشرف الشيء لذاته =

أوذي الأولياء وأنكر عليهم[1].

وبالرغم من تحذير الصوفية من الفلاسفة إلا أن الفلسفة الإشراقية مثل فلسفة الرازي مقبولة[2]. والصوفية المتأخرون هم الأولياء وأصحاب الكرامات، ويفسر الصوفية الحديث الشهير «من حارب لي وليا» على أن الصوفية هم الأولياء.

وكلما تقدم الزمن زادت ألقاب الصوفية وازدادوا قدسية وتقديساً مثل «زين الإسلام»، «حجة الإسلام». وتبدأ الألقاب بالمذهب الفقهي كالشافعي والمالكي

= أو لصفته، ولا مدح أو ذم إلا للذات، ووجه الاستحقاق مستفاد من شاهد الحال، والطبع يعين للنفس، وفي كل علم الخاص والعام، والنسب في الواقع يقضي تخصيص الحكم وكل علم مثل الفقه عام في عمومه، والفقه مقصود لإثبات الحكم في العموم، ولا يصح العمل بالشيء إلا بعد معرفة حكمه، ونظر الصوفي أخص من نظر القضية، وكل حقيقة لها دعوى يقتضيها، واستخراج الشيء من محله بإدخال الضوء عليه، ولا علم إلا من الشارع أو نائبه، والعلماء يُصدقون فيما ينقلون، ولا يتجاوز أحد العلم الصحيح الواضح، والعلم مبني على البحث والتحقيق، ومبني الحال بالتسليم، ويؤخذ العلم من أربابه ومشايخه ومن التجارب المشتركة، وتجنب تصوف الفلاسفة، وإقامة رسم الحكمة لازم. ولاحظ للعامي سوى الجذر، والخواص في الأقوال والأفعال، وإظهار الكرامة وإخفاؤها حسب النظر، ويقتضي الكرم مغفرة الذنوب.

(1) فمنهم من تم حصاره في منزله حتى مات مثل ابن أبي حجرة. ومنهم من لفظت كتبه قبل أن يستعيدها من البحر مثل كتب الترمذي «نوادر الأصول»، «ختم الأولياء»، «علل الشريعة». وقد كُفرّ الخراز بسبب كتبه واقتطاف أقوال منها خارج السياق، ونفي من البلاد. كما نفي النابلسي مقيداً بالسلاسل من المغرب إلى مصر. ونفي النصر أباذي إلى مكة حتى مات، وكذلك نفي السجزي بسبب كتابه «الفوائد الحديثية»، كما نفي الشاذلي من المغرب إلى مصر. ونفي العفيف التلسماني. ونفى السلطان الغوري شيخ الإسلام ابن أبي شريف لأنه قبل توبة الزانيين فقتلهما السلطان على بابه وجهاً لوجه ونفاه إلى حلب. ومنهم من نفي من البلاد فمات غريباً كما حدث للبوشنجي، ومنهم من اتهم بالجنون ودخل البيمارستان حتى مات مثل السبكي، وضرب ابن سمعون ومنعوه من الوعظ حتى مات. ورموا أبا القاسم بن جميل بعظائم الأمور حتى مات. وحوكم عز الدين بن عبد السلام بسبب علمه في العقائد. وقتل الحلاج والإمام أبو القاسم بن قسي صاحب «خلع النعلين» وابن برجان صاحب «التفسير»، والمرجاني حسداً وإغارة للسلطان عليه. وأمر السلطان بيبرس بشنق ابن بنت الأعز. وقتل صلاح الدين بفتوى العلماء الشيخ عمارة اليمني. «في الإشارة إلى بعض ما أوذي به أولياء الله تعالى من الإنكار عليهم وغير ذلك»، الطبقات الصغرى ص55-63.

(2) السابق ص4.

والحنفي والحنبلي والظاهري أو الطريقة الصوفية كالقادري والرفاعي أو معهد العلم كالأزهري أو المهنية مثل الخواص، الغزالي، أو المدينة مثل البغدادي، البصري، الدمشقي، أو القطر مثل العراقي، المصري، أو صفة البدن مثل الجاحظ.

ومن حيث الكم يتقدم ابن عربي الذي طغى على الصوفية اللاحقين عليه تلمذة وشرحاً، ثم يحيى المنادي والد المؤلف، ثم ذو النون الذي خصص ابن عربي دراسة عليه، ثم البسطامي صاحب «الشطحات»، ثم الغزالي صاحب «الإحياء»، ثم الطوسي صاحب «اللمع»، ثم الجنيد صاحب «الشطحات»، ثم التستري من مؤسسي التصوف الخلقي، ثم ابن دقيق العيد الذي جمع بين التصوف والأدب على عكس التوحيدي الذي لا يذكره أحد في «الإشارات الإلهية»، ثم الشاذلي في القرن العاشر، ثم إبراهيم ابن أدهم في القرن الثالث، ثم إبراهيم المتبولي وزين العابدين بن المؤلف لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين، ثم الشبلي والواسطي، ثم الرفاعي مؤسس الرفاعية، ثم الحلاج وابن الفارض والشعراني، ثم الحسن البصري ومالك ابن دينار وإبراهيم الخواص، ثم الجيلاني والتلمساني. والعجيب ألا ينال عبد الحق ابن سبعين القدر الكافي نظراً للتحول عن التصوف النظري إلى التصوف العملي[1].

---

(1) ابن عربي (30)، يحيى المناوي (28)، ذو النون (19)، البسطامي (18)، الغزالي، الطوسي (17)، الجنيد، محمد الحنفي (15)، التستري، الرازي، ابن دقيق العيد، علي بن وفاء السكندري (14)، الشاذلي (13)، إبراهيم بن أدهم، إبراهيم المتبولي، زين العابدين المناوي (12)، الشبلي، إبراهيم الواسطي (11)، أحمد الرفاعي، محمد بن زغدان (10)، بشر بن الحارث، الحلاج، ابن الفارض، الشعراني (9)، الحسن البصري، الفضيل بن عياض، مالك بن دينار، إبراهيم الخواص، شعيب المغربي، عبد الله المنوفي، عبد القادر الجيلاني، العفيف التلمساني (8)، الداراني، أبو العباس المرسي، علي الخواص، المنزلاوي (7)، داود الطائي، رابعة، سفيان الثوري، إبراهيم ابن عيسى، أحمد الحواري، السري السقطي، الحداد، أحمد بن عمر بن محمد، علي بن أحمد، محمد بن عنان، أحمد الزاهد، إسماعيل زروق، أبو بكر الحلبي (6)، أبو تراب النخشبي، يحيى بن معاذ، الروزباري، محمد بن يوسف الرازي، الفيروزبادي، أحمد البدوي، مروان الخلوتي، إبراهيم بن أبي شريف، مدني الأشموني، محمد الخلوتي، محمد الغمري، دمرداش الخلوتي (5)، أويس القرني، سفيان بن عيينة، طاووس بن كيسان، عامر بن عبد الله، عبد الواحد البصري، كعب الأحبار، محمد بن صبيح، وهب بن منبه، علي المقدس، علي بن مطيع، محمد بن حمزة، يوسف بن أشباط، المحاسبي، الترمذي، ابن خفيف، الكتاني، الواسطي، الدقاق، محمد القرشي، البوني، داود بن فخلان، شهاب الدين السهروردي، =

ويكثر المصريون لدي الصوفية المتأخرين. فهم الذين وضعوا قواعد للتصوف العملي. وحولوا التصوف النظري إلى تصوف عملي. بدأ التصوف في الشرق في البصرة وبغداد، وانتهى في الغرب من مصر والمغرب العربي.

ويتداخل الصحابة مع الصوفية. فالصحابة أتباع الرسول، والرسول أول الصوفية. ويتقدم علي ثم عمر، ثم الحسن والحسين، ثم عثمان، ثم أبو بكر[1]. كما يتداخل الخلفاء مع الصوفية مثل عمر بن عبد العزيز[2].

ويدخل الفقهاء مع الصوفية لا فرق بينهما على عكس ما هو شائع في الصراع بين أهل «التأويل» وهم الصوفية وأهل «التنزيل» وهم الفقهاء[3]. فيتقدم الشافعي ثم ابن حنبل، والثوري، وزكريا الأنصاري. والصوفية من كل مذهب فقهي، يتقدمهم الأشاعرة للاتفاق بين التصوف والأشعرية، وهي الأساس العقائدي للشافعية، ثم المالكية فالتصوف واقع عملي مثل المالكية كواقع فقهي، ثم الحنفية فشتان ما بين العقل والذوق، وأخيراً الحنبلية فشتان ما بين النص والتجربة[4]. ومع ذلك، عبد القادر الجيلاني حنبلي. والظاهرية الأقل فشتان ما بين الظاهر والباطن، وبالرغم من أن شيخ الصوفية ابن عربي ظاهري. كما بدأ الصوفي ينسب نفسه إلى طريقة مثل «القادرية» ويكنى بها. وأحياناً يجمع الصوفي بين المالكية والشافعية[5]. ويحرص الصوفي على أن يكون له لقب في البداية مثل «فخر الدين» وكنية في النهاية تدل على المذهب الفقهي. ونادراً ما يوجد صوفي معتزلي أو خارجي، معارض عقلي أو بالسلاح.

ويتطابق تكرار أسماء الأعلام مع مساحتها. إذ يتقدم ابن عربي ثم الشعراني ثم

= القونوي، محيي بن غانم المقدسي، عبد الله اليافعي، يوسف العجمي (4)......الخ.

(1) علي (17)، عمر (14)، الحسن بن علي، الحسين بن علي (8)، عثمان (6)، أبو بكر، سليمان الفارسي، عبد الله بن مسعود، عبد الله، علي بن الحسين، النعمان بن ثابت (5)، عبد الله بن عمر، ابن عباس، عبد الله بن الزبير (4).

(2) عمر بن عبد العزيز (7).

(3) الشافعي (9)، أحمد بن حنبل، سفيان الثوري، زكريا الأنصاري (5).

(4) الصوفية الشافعية (80)، المالكية (19)، الحنفية (13)، الحنبلية (5)، الظاهرية (2)، القادرية (1)، الصوفي (8).

(5) الطبقات الصغرى ص152.

أبو العباس الخضر نقيب الأولياء، ثم سفيان الثوري، ثم والد المؤلف يحيى المناوي ثم ذو النون ثم عبد القادر الجيلاني، ثم الشبلي، ثم أبو العباس المرسي[1].

ومن الصحابة يتقدم علي اعتباره رئيس الصوفية ثم أبو بكر وعثمان[2] ومن أصحاب المذاهب يتقدم الشافعي ثم مالك ثم أبو حنيفة ثم أنس بن مالك ثم الأوزاعي[3] ومن العلماء ابن عباس حبر الأمة ثم معاذ بن جبل[4] ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز ثم معاوية ثم السلطان الغوري ثم هارون الرشيد، ثم محمد الفاتح، والخليفة المنصور[5] ومن الأنبياء آدم[6]. ومن الملائكة جبريل[7].

ومن الأمم والقبائل والشعوب والجماعات والمذاهب يتقدم الشافعية، المذهب الأثير عند الصوفية ثم الأبدال وهم من مراتب الصوفية. ومن الشعوب والأقوام يأتي أولاً أهل الروم ثم العرب وقريش، وبنو إسرائيل، ثم الفرنج،

---

(1) ابن عربي (134)، الشعراني (77)، أبو العباس الخضر نقيب الأولياء (58)، سفيان الثوري (49)، يحيى المناوي (48)، ذو النون (44)، ابن حجر (43)، عبد القادر الجيلاني (42)، أبو الحسن الشاذلي (36)، الحمصاني (32)، الشبلي، أبو مدين المغربي، أبو العباس المرسي (31)، الحسن البصري، البسطامي (29)، إبراهيم المتبولي (28)، إبراهيم الخواص (27)، علي الخواص (26)ـ إبراهيم بن أدهم، بشر بن الحارث (24)، السري السقطي (27)، مالك بن دينار (25)، عفيف الدين اليمني (23)، ابن الفارض، التستري (22)، القشيري (21)، مدين الأشموني، ابن عساكر (20)، الخراز، زروق، الفضيل بن عياض (19)، أبو نعيم الأصفهاني، الواسطي، أبو الحجاج الأقصري، أبو سليمان الداراني (18)، القوصي، أحمد الرفاعي (17)، عز الدين بن عبد السلام (16)،أبو تراب النخشبي، ابن الجوزي (15)، القرشي، عبد الرحيم القنائي (14)، ابن عطاء الله السكندري، ابن الجلاء، عبد الله المبارك (12)، إبراهيم الدسوقي، ابن عطاء (11)، السهروردي المقتول (10)، نفيسة بنت الحسين (9)، حاتم الأصم، معروف الكرخي (8)، الجنيد (7)، حمدون القصار (6).

(2) على (72)، أبو بكر (47)، عثمان (30)، عبد الله بن محمد (27)، الحسن بن علي (9).

(3) الشافعي (43)، مالك بن أنس (28)، الحسين بن علي (19)، أبو حنيفة (14)، أنس بن مالك (12)، الأوزاعي (10).

(4) ابن عباس (37)، أبو هريرة (14)، معاذ بن جبل (8).

(5) عمر بن عبد العزيز (23)، الغوري، معاوية (21)، هارون الرشيد (13)، محمد الفاتح، الخليفة المنصور (12).

(6) موسى (39)، آدم (23)، إبراهيم الخليل، داود (12)، سليمان (10)، نوح (6).

(7) جبريل (21).

واليهود، ثم بنو أمية والحنفية ثم الخلوتية، ثم التتر والرافضة ثم الملامتية والنصارى، ومن الأماكن تتقدم مصر ثم العراق والمغرب ثم البصرة، ثم اليمن. ومن الموضوعات الخيالية يظهر الجن[1].

ومن الأماكن والبلدان تتقدم مصر. فأغلب الصوفية المتأخرين ورؤساء الطرق منها. ثم تأتي مكة لأن أغلب الصوفية يحجون إليها ويكتبون بها كما فعل ابن عربي في «الفتوحات المكية»[2].

ومن المصادر المدونة المذكورة يتصدر «إحياء علوم الدين» مما يدل على أنه عمل مفصلي ومنبع فكري، ثم «الفتوحات المكية» الذي يحول التصوف من النفس إلى الوجود، ومن الداخل إلى الخارج وما بينهما، ثم «التنبيه» للشيرازي في علم الكلام مما يدل على التصاق التصوف بعلم أصول الدين، دفاعاً عن نفسه، ورداً على تهم الإلحاد ونظريات الاتحاد والحلول ووحدة الوجود. ثم تأتي «الرسالة القشيرية» التي هي بمثابة الرسالة «للشافعي» في علم الأصول لأنها أول من حددت مفاهيم للتصوف من خلال تحليل الألفاظ وتعريف المصطلحات. ثم تأتي «الأخلاق المتبولية» للشعراني فهو الشخصية الأكثر حضوراً في التصوف المتأخر بعد ابن عربي، ثم يأتي «البسيط» للغزالي مرة ثانية مما يدل على حضور الغزالي في تاريخ التصوف المتقدم والمتأخر. ثم تأتي «التوراة» و«الإنجيل» مما يدل على دخول الإسرائيليات وارتباط التصوف بتاريخ الأديان. ثم يأتي «الإرشاد» للسعد التفتازاني الذي يجمع بين الكلام والتصوف، ثم تأتي «الطبقات الصغرى» عمل المؤلف نفسه[3].

---

(1) الشافعية (42)، الأبدال (33)، مصر (24)، اليمن (20)، أهل الروم (18)، العرب، قريش، بنو إسرائيل (14)، الفرنج، اليهود (13)، بنو أمية، الحنفية (10)، الخلوتية، العراق، المغرب (9)، التتر، الرافضة، البصرة (8)، الملامتية، النصارى (7)، اليمن، بغداد (6).

(2) مصر (253)، مكة (121)، بغداد (84)، الشام (69)، المدينة، القرافة (56)، القاهرة (49)، دمشق (48)، المغرب (44)، اليمن (41)، الإسكندرية (38)، الكعبة (34)، بيت المقدس (36)، قوص (32)، الجامع الأزهر (30)، خراسان (28)، البصرة (27)، القسطنطينية (26)، زاوية المنير (23)، نيسابورا النيل (22)، بورسا (16) الحجاز (15)، بولاق (14)، أدنة (13)، الجيزة، المدرسة الإصلاحية (8)، جامع الزاهد، المدارس الثمانية، المسجد الحرام (7)، مراكش (6)، مرو (5)، الكوفة (5)

(3) مصادر الكتاب حوالي 58 مصدراً هي: إحياء علوم الدين (15)، التنبيه للشيرازي (12)، =

وإذا كان لألفاظ الحيوان دلالة نظراً للقصص الرمزي على لسان الحيوانات، يتقدم الكلب لما فيه من صفات الوفاء، وهو من مكونات قصة أهل الكهف ومن الصور القرآنية السلبية، ثم «الأسد» «رمز القوة»، ثم «السبع» «رمز الشراسة»، ثم الطير كما ظهر في قصص ابن سينا والغزالي والعطار، ثم الحمار رمز البلادة، والحية رمز المكر، ثم الغنم والفرس، والذئب، وكل ما هو في بيئة البدوي في الصحراء[1].

وبتحليل المصطلحات الصوفية يتقدم لفظ الدنيا، ثم التصوف والصوفية كحركة رفض لها واحتجاج على التكالب عليها، ثم الكرامة فالتصوف دفاعاً عن كرامة الإنسان، ثم الأحوال وهو قلب التصوف النفسي، ثم الزهد وهو من مقامات الطريق، ثم الحق والحقيقة والحقائق، فالتصوف طريق إلى الحقيقة، ثم الفقر من مقامات الطريق، ثم العبادة والذكر من مسالك الطريق، ثم الفقه نظراً لارتباط الحقيقة بالشريعة، ثم الطريق والطريقة في ثلاثة ألفاظ الشريعة والطريقة والحقيقة، ثم العلم، ثم القلب، فالتصوف نظرية في العلم ابتداء من القلب، ثم النور والكشف، ثم الموت فالتصوف تعلم الموت وثقافة الموت من أجل الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ثم الحديث فالتصوف استئناف للحديث، والمحدثون من الصوفية الأوائل، ثم الولاية وهي فن التصوف والتحقق، فالولي قلب الصوفي، ثم الحكمة والحكيم والخلوة، فالتصوف حكمة نظرية وعملية، ثم الزاوية مكان الطريقة، والمحبة سبيل الوصول، ثم الخواطر والمحبة والخوف والأنس والمشاهدة جمعا بين الأحوال والحقائق ثم القبر والعبودية كمؤشرات على الفناء، ثم الإمام وهو شيخ الطريقة، والإيمان والبلاء، ثم الوجد والتوحيد والعمل، والمجاهد أو

= الفتوحات المكية، الوحيد في علم التوحيد للقوصي (9)، الرسالة القشيرية، البخاري الصغير للقزويني (8)، الأخلاق المتبولية للشعراني (5)، الألفية، بستان العارفين للنووي، البسيط للغزالي، التوراة (4)، أنباء الغمر لابن حجر (3)، مختصر الإحياء للبلالي، الإرشاد للسعد التفتازاني، الطبقات الصغرى ألفية الحديث، الإنجيل (2).

(1) الكلب (51)، الأسد (45)، السبع (41)، الطير (36)، الحمار (28)، الحية، البغلة (25)، الغنم (20)، الفرس (19)، الذئب (16)، الجمل، الدجاجة (15)، الثعبان الضخم (10)، الفأر والعصفور (9)، السمك، الثور (8)، الخنزير، القط، العقرب (7)، البقرة (12)، النمل، الغراب، الغزال (6)، الناقة، الجراد، العنكبوت، الفيل، القرد (5)، الوحش (4)، الثعلب، الناموس (3)... الخ.

السياحة والجوع والصبر والإخلاص والتوكل والتوبة والصدق. . . إلخ[1].

ثانياً: العودة إلى علم الكلام

1 ـ كتاب المعراج للقشيري (465هـ)[2]:

وهو اغتراب مبكر للوعي الصوفي خارج الزمان والمكان بالرغم من أن المؤلف حاول أيضاً القضاء على الاغتراب في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء، وإرجاعها إلى أصلها في التجارب البشرية. لم يؤوله تأويلاً روحياً، الطريق إلى الله، ولكنه اعتبره واقعة شيئية حدث بالفعل في الزمان والمكان كما هو الحال عند المحدّثين والفقهاء. الغاية التحقق من وقوعها عن طريق صحة الأسانيد والروايات. لذلك تسود الحجج النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار[3]. وتذكر الأسانيد مع المتون. والأحاديث طويلة للغاية. صيغت بطريقة الإخراج المسرحي: الحوار، والمناظر، والألوان، والرقي من السماء الأولى حتى السابعة، ومشافهة الأنبياء، وحكاية كل نبي قصته مع أمته خاصة ما صعب عليها. وكلها من

(1) الدنيا (276)، الصوفية (265)، الكرامة (209)، الأحوال، الزهد (192)، حق، حقيقة، حقائق (187)، الفقر (179)، الطريق، المعارف (157)، الطريقة (156)، التصدق (145)، العابد (137)، الذكر، الفقه (136)، العلم (124)، القلب (111)، الموت (101)، النفس (100)، الحديث (94)، الأولياء، حكمة، حكيم، خلوة (87)، محبة (85)، الأدب، النور (81)، (79)، الزاوية (78)، المقام، الولاية (71)، الإمام (65)، الخواطر (61)، الخوف (59)، الكشف (51)، العمل (47)، المشاهدة (46)، العالم (45)، التوحيد (44)، الأنس (42)، القبر (40)، الوجد (38)، المجاهدة، العبودية (37)، الصبر (36)، الإخلاص، والتوكل (35)، الجذب، العقل (34)، الجوع، السياحة (33)، الإيمان والبلاء (31)، الأصول (29)، الهوى (28)، التوبة، الصدق (27)، الحزن، الربوبية، الآخرة (26)، الرحمة، الروح، النار (25)، الأسرار، الإشارات، التسليك، الحضور، السلطان (24)، الخاطر، السلوك، الشيطان (22)، الشريعة (21)، الإسلام (20)، الأحكام (19)، التحقيق، الحجاب، الصحبة، القدر (18)، التجريد، الرجاء، الشوق (17)، أهل الطريق (16)، الشطحات، النصراني (15)، الاختيار، الإخفاء، التدبر، الذوق (14)، الأخلاق، الأداء، التفسير، العرفان، المراقبة (13)، الأبدال (12)، الاجتهاد، الشكر (11)، الاتحاد، الإحسان، أهل الله، الباطن، الرهبان، الطاعة (10).

(2) دار الكتب الحديثة، القاهرة 1964-1384هـ.

(3) الآيات (112)، الأحاديث (22)، الأشعار (9).

نسج الخيال الأدبي. تطول الأحاديث. وتغرق في الصور الفنية للبراق والسموات وقصور الأنبياء. وهو ما يخرج عن الهدف من الحديث إعطاء تفصيلات على الأحكام مثل المواريث، «لا وصية لوارث»، وبيان بعض أوجه السلوك مثل الصلاة، «صلوا كما رأيتموني أصلي». وكيف تفرض الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج والمسلمون يصلون قبلها بثمان سنوات؟ وكثير منها مستمد من الإسرائيليات. والقصد المنافسة بين الديانات وأنبيائها، أيهم أكثر إثارة للخيال كدليل على العظمة خاصة وأنه قد عُرض على الرسول ليلة المعراج اليهودية فرفضها ثم المسيحية فرفضها، ثم الإسلام فقبله[1]. لذلك ينتهي المعراج بمعارج الأنبياء السابقين إدريس وإبراهيم وإلياس وموسى وعيسى بل ومعارج الأولياء مثل معراج البسطامي[2].

وتأتي أقوال الصوفية من أبي علي الدقاق بطبيعة الحال باعتباره زوج ابنته ثم الواسطي ثم جعفر الصادق والحلاج والشبلي، ثم السري السقطي، والبسطامي، والجنيد، وآخرين[3]. كما تظهر بعض الفرق الكلامية غير الإسلامية كالملاحدة، والطبائعيين، والمانوية، والإسلامية كالمعتزلة والروافض. وتظهر بعض الإسرائيليات في أخبار الأنبياء السابقين[4].

ويدور الموضوع حول أسئلة عقلية سبعة تدعو إلى التشكك في صحة الروايات لو صحت إجاباتها[5]. وهي:

أ ـ هل يكون المعراج بالبدن أم بالروح؟ والإجابة شيئية حديثة أنها بالبدن طبقا للأشعرية. والأدلة نقلية وليست عقلية.

---

(1) «لما ركب البراق لم يعرج على شيء. وكان ينادي من يمينه ومن يساره، ثم قال له جبريل: الذي ناداك عن يمينك داعي اليهودية، والذي ناداك عن يسارك داعي النصرانية. ولو ألتفت يا محمد لتهودت وتنصرت أمتك. فلم يعرج على شيء ليعلم أن من صح إلى الله قصده لم يلتفت في طريقة إلى شيء»، كتاب المعراج ص102–103.

(2) السابق ص129–135.

(3) أبو علي الدقاق (8)، الواسطي (3)، جعفر الصادق، الحلاج، الشبلي (2)، السري السقطي، البسطامي، الجنيد، الحريري، ابن عطاء، بندار بن الحسين، أبو عثمان (1).

(4) الإسرائيليات (7).

(5) كتاب المعراج ص65–76.

ب ـ متى كان المعراج؟ قبل البعثة أم بعدها وفي أي مكان؟ وتختلف الإجابات حول الزمان والمكان مما يوحي بتركيب القصة ووضعها في التاريخ،

ج ـ ما فائدة المعراج؟ وهل قدرة الله في حاجة إلى إثبات على هذا النحو الخيالي ومنهج القرآن في الإثبات هو التأمل في الطبيعة؟

د ـ هل تدل القصة على أن الله من فوق وأنه في جهة وأنه يدنو ويتدلى ويقترب؟ هذا هو الخيال الشعبي، الربط بين الله والسماء، والله والفوق، والله والأعلى.

هـ ـ هل كان المعراج بالليل أم بالنهار؟ اختلفت الإجابات، ولكن الليل أكثر مدعاة للخيال لرؤية الألوان والأنوار المبهرة.

و ـ هل كان لغير الرسول من الأنبياء معارج؟ واختلفت الإجابات بين الميزة الخاصة للرسول وعمومها على الأنبياء السابقين، إدريس وإبراهيم، وإلياس وموسى وعيسى.

ز ـ هل كان لغير الرسول من الأولياء معارج؟ يبدو أن الرد بالإيجاب بدليل معراج البسطامي. فالولي خليفة النبي، ومعجزة النبي مثل كرامة الولي.

2 ـ «معراج السالكين» للغزالي (505هـ)[1]:

وهو مثل «كتاب المعراج» للقشيري. ويشارك في الموضوع الكلام، الحياة بعد الموت، والفلسفة والمعاد الروحاني، والتصوف للتذكر والتدبر بالموت، دخل في التصوف لأن المعراج الرابع في شرح آية النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أدخل في التصوف. كما أن المعراج السادس في التأويل هو منهج الصوفية. والدافع على التأليف فساد الزمان والاعتقاد لولا سياسة الملوك. وزادت هذه الآراء لعدم الرد عليها أو للرد عليها عن جهل وإنكار العلوم العقلية الخالصة كالحساب والهندسة والمنطق والفلك[2]. وهو كتاب جدلي بين الكلام والتصوف. إذ يصنف

(1) مكتبة الجندي، مصر (د،ت).

(2) «ما شاهدناه من فساد الزمان وأخذه في الازدياد وكثرة الآراء وفساد الاعتقاد، وعدم ذاب يبذل فيها الاجتهاد، ويمرها على كف الانتقاد. ولولا سياسة الملوك لعمت =

الناطقين بالشهادة إلى سبع فرق: الناطقون بالشهادتين دون فهمهما، والناطقون بهما تقليداً، والمعتقدون بالشريعة بالنظر والاستدلال، والمصدقون الموقنون، والمعتقدون بالإسلام لكن اعتقادهم في ذات الله وصفاته في حاجة إلى تصحيح، والمعتقدون بالإسلام وبالله ولكن اعتقادهم في النبوة تشوبه شائبة، والمظهرون الإسلام المبطنون للتعطيل[1].

والمعارج مستويات إثبات للنفس. وهي سبعة: الأول مراتبها وارتباطها بالجسم وخصوصيتها اعتماداً على علم الطب. والثاني إثباتها والاستدلال على بقائها. والثالث في الأفلاك وحدوث الأجسام والأفلاك وعلم الله بها، والرابع في أن الله نور السموات والأرض والمعاني الستة للنور، ومعاني المشكاة والزجاجة، والمصباح والزيتونة. والخامس في النبوة. والسادس في الخبر والتأويل وتفسير البعث والحشر وتبديل السموات والأرض وكل الآيات المتشابهات. والسابع الموت وحياة الكواكب والسعادة والشقاء. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[2]. كما يحيل إلى المتكلمين والمعتزلة والفلاسفة[3]. ومن أسماء الأعلام يتقدم الفارابي[4]. ومن الوافد يظهر أفلاطون ثم أرسطو[5]. ويحيل الغزالي إلى بعض مؤلفاته مثل «مشكاة الأنوار» و«شفاء الغليل» و«رسالة الأقطاب»[6].

3 ـ قطب العارفين في العقائد والتصوف للجائي (599هـ)[7]:

وكما خرج التصوف من علم الكلام كفعل أو كرد فعل فإنه عاد إليه من

= الخافقين ظلمها، ولرسخ في كل الأقطار قدمها... ولكن تعاقب الزمان وطرو الحوادث وكثرة الصوارف وفتور الهمم داعية إلى الفساد. والداء يزداد كل يوم، أغذية السوء كالذنوب. فرأيت إبراز هذه النبذ لتكون مغنية للسائلين، ومعينة للسالكين، ومنفعة باقية في الآخرين...» السابق ص220.

(1) معارج السالكين ص222-224.

(2) الآيات (58)، الأشعار (7)، الأحاديث (6).

(3) المتكلمون، المعتزلة، الفلاسفة (2)، الأوائل (1).

(4) الفارابي، الزيدوني، إسماعيل القاضي (1).

(5) أفلاطون (2)، أرسطو (1).

(6) معراج السالكين ص278/ 299-300.

(7) دار صادر، بيروت 2001م -1422هـ.

جديد ابتداء من القرن السادس لاستمرار التصوف النظري اعتماداً على علم الكلام كما اعتمد هو نفسه على علوم الحكمة، لكنه علم كلام صوفي يقوم على الذوق والإشراق.

ويقوم «قطب العارفين» على ثلاثة أقطاب: الأول معرفة الله، والثاني التهذيب والرياضة، والثالث البواطن والأسرار. أكبرها الثالث، وأصغرها الأول[1]. الأول في علم الكلام التقليدي مع جعل أول الواجبات معرفة الله وليس النظر في الطبيعة لإثبات وجوده أولاً بالرغم من عجز العقول والأوهام عن إدراك صفاته. ثم يبدأ التنزيه بنفي القبلية والبعدية عنه، والحركة والسكون، والتخييل والتكييف، والتمثيل والتلوين والتشبيه، ونفي الظلم والجور، والمكان وكل صفات التجسيم مثل القرب والبعد والحلول بالعرش والسموات والأرضيين والاستواء والغمام والنجوى والمجيء والضحك والرؤية والمثال والنزول والعلو، ومعرفة صفاته، القدرة والسمع والبصر والتدبير وهي الإرادة والتي تشمل الرحمة والغضب وباقي الانفعالات، ثم الكلام وسمعه والآيات. وما بلغ الناس من الكلام ما تمثله العقول من أسراره والدخول في بواطنه دون الوقوف على الظواهر. وترتيب الصفات أيضاً له دلالته. ويظهر الجانب العملي في فوائد القرآن والعبادة والتفكر والتمسك بالإيمان، والعلم النافع، والفرق بين علم اللسان وعلم القلب[2].

أما القطب الثاني[3]. «في التهذيب والرياضة» فهو الطريق الموصل إلى الله والتهيؤ للقاء، والأدب مع النفس والخلق والحق، ومعرفة الدنيا والآخرة من ورائها، وزرع الطبيعة، والتخلص من الشوائب والعوائق. والنظر إلى الثرى يمنع العروج إلى سدرة المنتهى. ثم تبدأ المعارج الثلاثة إلى بساط الأنس ثم العروج إلى مقام الزهد. وتصرف الهمم إلى الله. ثم تبدأ المقامات بالرضا دون الأخذ بالأسباب، وقبول المقادير، والأحوال مثل الغيبة، وتفتح أبواب السعادة إذا حفظت النفس السر وسارت في مقاماتها الخمسة من الخوف. ثم يظهر مقام المحبة حتى يمتلأ قلب السالك نوراً.

(1) الثالث (63ص)، الثاني (45ص)، الأول (22ص).

(2) قطب العارفين ص43-64.

(3) السابق ص65-109.

والقطب الثالث «في البواطن والأسرار» في نظرية المعرفة التي تأتي في نهاية الطريق بعد السلوك، وليس في بدايته. فالمعرفة كشف. والوجود يسبق المعرفة. فليس كل سر يُكشف، ولا كل حقيقة تتجلى. المعرفة جنة ونعيم. لذلك أصبح العرفان مرادفا للتصوف، ويأتي النظر على قدر صحة الإيمان وقوة نوره كما هو الحال في الفراسة. والأنوار في علم القلوب. وترتقي الأرواح، الروح العقلي والروح القدس. ثم في القرب تحصل المشاهدة. وعند مشاهدة الحال تقع الغيبة في حال الوصال. وهي معرفة الخواص وليس العوام. فالناس على مراتب في المنطق والنظر والسمع. ومقام العارف مع الله في الإرادة والاعتماد عليه وحركاته وسكناته، استغراقه في بحر الجود والألطاف، ويرى العارف نفسه، ونظراً لعاهات النفوس التي تعيق الوصول إلى المعارف تعبر سبعة جسور وهي: الرياء، والعُجب، والكبر، والحسد، وحب الثناء، والتسويف، والجزع[1].

ويعتمد على قدر كبير من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث دون الأشعار. والآيات أكثر[2]. ولا تظهر أعلام كثيرة. يتقدمها الأنبياء مثل موسى، ثم نوح، ثم أيوب، ولوط وداود، وهود ويحيى، ويعقوب، ومحمد، ومعهم جبريل. ثم تظهر الصوفية والمحدثون والصحابة، مثل الغزالي والترمذي والبخاري والخراز، وأبو بكر وعمر وأبو هريرة، وعمرو بن العاص[3]. وأكثر ألفاظ الصوفية تردداً المقامات[4].

4 ـ «القصد إلى الله تعالى» لأبي الحسن الشاذلي (656هـ)[5]:

وهنا يتجه التصوف النظري إلى الله في محور رأسي من الإنسان إلى الله[6]. وتتخلل البنية الرباعية في «الإحياء» والسداسية في «الفتوحات» والعشرية في

(1) قطب العارفين ص110-172.

(2) الآيات (99)، الأحاديث (31).

(3) موسى (4)، نوح، الترمذي، الغزالي (3)، جبريل، أيوب، البخاري (2)، لوط، داود، هود، يحيى، يعقوب، محمد، رابعة، أبو سعيد الخراز، أبو هريرة، أبو بكر، عمرو بن العاص، الجويني، عمر، الفرجي، الموصي، عبد الله بن قيس (1).

(4) المقامات (4)، أبدال، حقيقة، حقيقة الحقائق، هوس، هبة، الوصل، وعر الطريق (2).

(5) دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1991.

(6) وهو نفس عنوان «حركة الذهن إلى الله» للقديس بوتا فنتورا Saint Bonaventire: I'iténeraire de L'espsit à Dieu والقديس أوغسطين في «الاعترافات».

«منارات السائرين» إلى ستين باباً متناثرة. وتصبح المقامات والأحوال إحدى موضوعات التصوف وليست موضوعات مستقلة بذاتها. وتدور كلها حول الطريق ابتداء من العزلة والصحبة وآداب المجالس والسماع والسؤال وموضوعات النفس الداخلية مثل الخواطر والمراقبة، ثم موضوعات الأخلاق مثل الطاعة والعزة والتواضع والتقوى والورع والإخلاص والكرامة والمجاهدة والرياضة مثل جهاد العدو والإرادة وجهاد النفس والتخلص من الدنيا، ثم موضوعات المعرفة الباطنية مثل اليقين والعلم والإيمان والإسلام. ولا تشغل المقامات والأقوال إلا حيّزاً بسيطاً من الأحوال مثل القبض والبسط، والفقد والوجد، والعبودية والحرية، والمقامات مثل التوبة والمحبة. وتظهر بعض مصطلحات علم الأصول مثل العموم والخصوص، وبعض موضوعات الكلام مثل الشفاعة. ويعتمد على العديد من الحجج النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع أقل قدر من التنظير العقلي، بالإضافة إلى بعض الحكايات عن الصوفية دون ذكر لأعلامهم.

5 ـ «الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)[1]:

وهو عود إلى الموضوع الرئيسي في علم الكلام الذات والصفات والأفعال دون ذكر الصياغة الأشعرية. وينقسم إلى قسمين: الأول «في معرفة اشتقاقه وأقسامه وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه»[2]. والثاني «في معرفة فضله وشرف قدره وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده وذكره»[3]. والثاني أكبر من الأول[4]. والعلاقة بين القسمين غير واضحة. إذا كانت قسمة الذات والصفات فأين الأفعال والأسماء؟ قد تكون العلاقة بين الموضوع والذات، بين الله في العقل والله في القلب[5]. إنما فقط يُعاد تصنيف الأسماء ووضعها في نسق، والتصوف مازال نظرياً[6].

(1) صبيح، القاهرة (د.ت).

(2) السابق، ص5-68.

(3) السابق ص 68-103.

(4) الأول (63ص)، الثاني (36ص).

(5) وتعبير الظاهريات، بين موضوع الشعور Noême وذات الشعور Noèse.

(6) «وقسمتها في العقول إلى سمعته وذاتية وفعلية، وقسمة معاني الأسماء الحسنى أربعة أقسام، الأول الذات المنزهة، الثاني الصفة القديمة وهي تنقسم بدورها إلى عدة أقسام: صفات =

ولا يتضح السبب في الكتابة كما هي العادة في مقدمات مؤلفات الصوفية. قد يكون العجز عن مواجهة العالم. والانعراج إلى أعلى، وتركيز الطاقات المهدرة في القاعدة على القمة. فإثبات الذات تعويض عن نفي الموضوع، والتحول من الأفقي إلى الرأسي. وقد تدل المقامات والأحوال على التركيز على الجانب الذاتي وهو الجانب الصوفي. ولا يثير الكتاب أي مشكلة. والتجريد ليس في القصد بل في الموضوع. ولا يتضمن مشكلة كلامية مثل التشبيه والتنزيه والعلاقة بين الذات والصفات، بالهوية أو الاختلاف. بل أحياناً يتحول الفكر إلى لفظ، واللفظ إلى كتابة، وكتابة اسم الجلالة بالخط العريض وكأن الوجود مجرد وجود في العين وفي الخط وليس في الذهن أو على اللسان أو في القلب[1].

ويعتمد الكتيب على عديد من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. والآيات أكثر من الأحاديث، والأحاديث أكثر من الأشعار[2]. وقد تكثر الآيات والأحاديث لإعادة توظيفها. وقد تطول القصائد أو تقصر. ويذكر اسم الشاعر أو لا يذكر. ومن الصوفية السابقين يظهر الجنيد، ثم الشبلي، ثم أبو الحسن الثوري[3].كما يذكر بعض الشيوخ[4]. ويحال إلى نصوص من التوراة[5]. فالكتاب له دلالته على التصوف النظري المتأخر والانعزال عن العالم وإن لم تكن له دلالة داخلية في النص ذاته[6].

6 ـ رسائل الكاشاني (730هـ):

أ ـ «في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما»[7]: وهي رسالة قصيرة لا

= الذات، وصفات الإرادة، وصفات القدرة. والثالث صفة الأفعال، والرابع صفة التنزيه». من العقيدة إلى الثورة، حـ2 التوحيد.

(1) ابن عطاء الله السكندري: الله، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص34/ 64/ 69/ 88/ .

(2) الآيات (120)، الأحاديث (42)، الأشعار (31).

(3) الجنيد (2)، الشبلي، الثوري (1).

(4) ابن عطاء الله السكندري، الله. . .ص67.

(5) السابق ص70.

(6) «ومع ذلك أجريت عدة رسائل دكتوراه على الحكم» و «الله».

(7) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005-1426هـ. ص74 (9)، ص141-142.

تتجاوز الصفحتين عن مشكلة كلامية وهي علاقة الذات بالصفات في علاقة تماهي مثل المعتزلة أو تغاير مثل الأشاعرة. وتعتمد على التنظير العقلي الخارجي دون أي أدلة نقلية أو أقوال للصوفية. تعتمد على الدليل المنطقي الخالص، واستنباط النتائج من المقدمات، ورفض التصورين معاً مما يؤدي إلى ضرورة حل ثالث خارج التصورات الجوهرية للذات والصفات بل من خلال تعين الحقائق في الموجودات.

ب ـ **«بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية» (730هـ)**[1]: وهي رسالة قصيرة بلا أبواب ولا فصول. موضوعها الذات الإلهية وتعيناتها في التاريخ. فالسنة هنا تعني القانون وليس الخبر. وهو معنى خلق الله الكون في ستة أيام أي تعينه في الكون على مراحل زمانية. وهو موضوع جديد في علم الكلام المعاصر وفي الفلسفة المعاصرة[2]. تعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية[3]. فالقرآن هو المنبع الرئيسي للفكر.

جـ ـ **«في بيان المراد وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والشعر لمحبوبهم»**[4]: وهي رسالة صغيرة، صفحتان في موضوع كلامي رئيسي وهو التوحيد بين التجسيم والتشبيه والتنزيه[5]. وهي إجابة على سؤال في حالة وصف المحبين[6]. فقد استعار المحبون، بالرغم من صفاء عواطفهم، ستراً للحال وتورية لغيرها ألفاظا موضوعة للصور المادية، تفهم إشاراتها بدلالة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له. فيعني الوجه الوجود لأنه موقع النظر إلى الذات، ويعني الشعر العدم الثابت، الممكن الذي يستر الواجب. ويوصف الوجه بالإشراق والنور،

(1) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت2005م -1426هـ (3) ص81-85.
(2) وذلك واضح لدي محمد باقر الصدر في «سنن التاريخ في القرآن» وفي «من النقل إلى الإبداع» جـ1 الإبداع حـ3 الحكمة العلمية، الفصل الثالث، التاريخ. وهو واضح أيضاً عند جمال الدين الأفغاني، انظر كتابنا: جمال الدين الأفغاني، المائوية الأولى (1897-1997)، دار قباء، القاهرة، 1999ص.
(3) الآيات (13)، الأحاديث (3).
(4) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1423هـ (13)ص157-158.
(5) من العقيدة إلى الثورة، حـ2 التوحيد، ص177-238.
(6) الآيات (1).

والعدم بالظلمة والسواد، ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[1].

د ـ **«ما الرابطة بين الحق والعبد؟»**[2]: وهي رسالة قصيرة، صفحتان، تتعرض لقضية التوحيد والخلاف بين التصور الثنائي عند المتكلمين الواضح في نظرية الخلق والتصور الأحادي عند الصوفية الذي يتجلى في وحدانية الذات أو وحدة الشهود أو وحدة الوجود. وهو الخلاف بين التصور الثابت الجوهري الساكن بين الذات والصفات والأفعال والأسماء والتصور الحركي لتجلي الذات في الصفات، وتجلي الصفات في الأفعال، وتجلي كليهما في الأسماء. وهو سبب التأليف[3]. يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[4].

هـ ـ **«في أن جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى»**[5]: وهي رسالة في الحق والخلق، وانعكاس الحق في الخلق كانعكاس الصورة في المرآة. وهذا هو معنى الشهادة المتبادلة بين الحق والخلق. الحق يشهد على نفسه في الخلق، والخلق يشهد على نفسه في الحق. وهو معنى «السفر عند صدرالدين الشيرازي»، السفر من الحق إلى الخلق، والسفر من الخلق إلى الحق. وماذا عن الصورة في مرآة الذات، الصورة المنعكسة، وهو سفر الحق إلى الحق وهو ما لا يمكن معرفته أو سفر الخلق إلى الخلق وهو ما يمكن التحقق من صدقه بالتجربة الذاتية؟ ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[6]. ويُستعاض عن ذلك بالتنظير العقلي الميتافيزيقي الرفيع.

و ـ **«في شرح مسألة البسائط» للكاشاني**[7]: وهي رسالة في الطبيعيات في

(1) «وبعد، فقد أجبتك أيها الأخ في الله... عما سألتني عنه من بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والشعر لمحبوبهم وحالهم أعلى وأجل من الافتنان والتقيد بحسن الصورة...»، السابق ص157.

(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1426هـ (3) ص153-154.

(3) السابق ص153.

(4) الآيات (11).

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (19) ص187-188.

(6) الآيات (1).

(7) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (14) ص161-164.

علم الكلام فيما يسمي باللطائف، بناء على طلب المولى الملك الأعظم، السلطان إلى العالم، من العبد الفقير إلى رحمته تعالى[1]. لا تهم الحكم في شيء بل هي ترف مطلق. والعالم يرد ليس بالنصيحة لأولي الأمر بل بالرد في مسألة نظرية خالصة «أعوذ بالله من علم لا ينفع». البسائط غير مجعولة والأعراض مجعولة لأن البسيط لا انقسام فيه مثل الحقيقة الأحادية، مما يدل على ارتباط الإلهيات بالطبيعيات، وأن الطبيعيات إلهيات مقلوبة إلى أسفل، وأن الإلهيات طبيعيات مقلوبة إلى أعلى[2]. تعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر ودون إحالة إلى أقوال الصوفية[3].

ز ـ **رسالة في القضاء والقدر**[4]. وهي رسالة في موضوع كلامي دخل في التصوف من خلال الجبرية والأشعرية. تبين معنى القضاء والقدر والفرق بينهما وبين العناية، وبيان محلهما وبيان الأفعال الاختيارية، وفائدة التكيف بالطاعات والدعوة بالآيات وتأثير السعي والجهد،وتوجيه الوعي والوعيد وبيان الابتلاء، والاستعدادات وتنوعها والسعادة والشقاوة، تعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية[5]. كما تعتمد على بعض التحليلات النظرية مثل مراتب شهادة الإنسان في الروح والقلب والخيال والحواس[6]. كما يقسم مراتب العلم في الإدراك والنفس والقدرة والإرادة[7]. وأيضا قسمة السعادة إلى دنيوية وأخروية،

---

(1) «فقد رسم المولى الملك الأعظم، مولى ملوك العالم، سلطان علماء الشرق والغرب، برهان حكماء، العجم والعرب، صاحب الرياستين المعنوية والصورية، جامع الفضيلتين العلمية والعملية، آصف العهد بل سليمان الوقت المسخر للشيطان بالقهر والمقت، شمس الحق والدين، عز الإسلام والمسلمين. . . . أعز الله أنصار دولته، وأذل أعداء مملكته، بأن يكتب هذا الفقير ما حضره في مسألتي البسائط والأعراض، ويُملي بعض ما يتعلق بلا معجولية الأولى وتجدد الثانية بالأعواض. فأمتثل مرسومه حسب إشارته العالية، وأغتنم مأموره لكونه مطاعاً في الأعصر الخالية. فإن وافق رأيه المنير فالعبد هو الظافر، وإلا فالمأمور معذور من كرمه الوافر، فإنه العاذر ونعم العاذر !»، السابق ص161.

(2) من العقيدة إلى الثورة، حـ2، التوحيد، ص604-614

(3) الآيات (3).

(4) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (2) ص55-78.

(5) الآيات (14)، الأحاديث (9)، الأشعار (2).

(6) رسالة في القضاء والقدر ص64.

(7) السابق ص68.

والدنيوية إلى بدنية وخارجية (اجتماعية)، والأخروية إلى علمية وعملية[1].

ح - **«في سبب تعلق النفس بالبدن»**[2]: وهي قضية كلامية فلسفية في صلة النفس بالبدن عن طريق المزاج والتناسب بين العناصر. وهي النظرية «الفزيولوجية». وسواء حدث ذلك في القلب أو الروح الحيواني، هذه الحرارة العزيزية آلة النفس في أفعالها. وتعتمد على آية واحدة من القرآن دون حديث أو شعر أو قول صوفية. وتعتمد أكثر على التنظير العقلي، الحديث في الطبيعة بلا براهين علمية بل باستعمال قسمة نظرية. فالطبيعة أحد فروع الحكمة.

ط - **«الرسالة المعادية»**[3]: وهو موضوع كلامي من السمعيات مثل النبوة، والإيمان والعمل، والإمامة[4]. تعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية[5]. كما تعتمد على القسمة العقلية[6].

7 - «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» لعبد الكريم الجيلي (826هـ)[7]:

الإنسان الكامل هو الله، الإنسان كما ينبغي أن يكون وليس ما هو كائن، صورة الإنسان المثلى عن نفسه. فالإنسان يخلق مثله الأعلى خارجه[8]. الذات والصفات والأفعال مشتركة بين الله والإنسان. ومن ثم توحد علم الكلام مع التصوف الفلسفي في نظرية واحدة، الذات والصفات والأفعال. وكما التفت

---

(1) السابق ص76.

(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (15) ص167-170.

(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (4) ص89-93.

(4) من العقيدة إلى الثورة، جـ4 النبوة -المعاد.

(5) الآيات (13)، الأحاديث (1).

(6) «فالناس إما علماء وإما جهال. والعلماء إما راسخون أو غير راسخين، عاملون محبون وقاصرون أو غير عاملين. الأولون أهل الأسرار والباقون أهل المحبة. والتاركون للأعمال الشرعية قسمان إما عن رسوخ الذنوب أو عن غير رسوخها. والجاهلون قسمان لسذاجة نفوسهم فطرة أومتكدرة أو لغير سذاجتها. والقيامات في القرآن ثلاث: صغرى كالمدح ووسطى مثل الموت بالإرادة الإحياء بالطبيعة، والكبرى وهو البعث.

(7) مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت).

(8) الاغتراب الديني عند فيورباخ، دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية 1987، ص400-445.

الفلسفة حول علم الكلام في علم الكلام المتأخر عند الأيجي التف علم الكلام على التصوف في التصوف النظري. وأصبح موضوع التصوف الطريق إلى الله أو الله. فعلم الكلام والفلسفة يقودان إلى غاية واحدة هو الله، يقوم التصوف النظري على علم الكلام على نحو نسقي، في الإلهيات والنبوات أو العقليات والسمعيات أو الذات والصفات والأفعال من ناحية والأخرويات من ناحية أخرى.

يتكون «الإنسان الكامل» من ثلاث وستين باباً، الثلاثون الأولى منها نظرية الذات والصفات والأفعال[1]. والكتاب والقرآن وأم الكتاب والتوراة والإنجيل والتنزيل والطور وكل ما ينطق بالوحي في العشرة أبواب التالية[2]. وتشمل تشخيصات العرش والكرسي والحكم واللوح وسدرة المنتهى عشرة أبواب ثالثة. ثم تأتي أبواب العلم المشخص في الروح القدس والملك والروح والقلب والعقل والوهم والهمة والفكر والخيال. وموضوع النفس والغواية والحية وآدم وحواء قبل الخلق أو أشراط الساعة والموت وما بعده بعد الخلق في العشرة أبواب الأخيرة. فلم يعد يبق شيء من التصوف الخلقي، الفضائل والرذائل أو التصوف النفسي، المقامات والأحوال. وتضخم موضوع «الله» بحيث ابتلع كل شيء. ولم يبق شيء خارجه. الله والإنسان والكون والتاريخ والماضي والمستقبل وما قبل الخلق وما بعد الخلق، والزمان والخلود. . .الخ كل ذلك من تجلياته. وتُعرض الأبواب في البداية إحساسا بأهمية الوضع الجديد للعلم.

ويطغى الشعر على النثر ابتداء من كبار شعراء الصوفية كابن الفارض وابن عربي والنابلسي. ولا يوجد موضوع كلامي صوفي إلا وله صياغتان، شعرية ونثرية. وهناك اقتباسات من شعر ابن عربي، وكأن «الإنسان الكامل» شرح لديوان ابن عربي خاصة وأن المفهوم نفسه «الإنسان الكامل» من ابن عربي. يأتي الشعر أولاً ثم النثر شرح له، وواضح الحضور الطاغي لابن عربي على الصوفية بعده مثل الشاذلي والنابلسي وغيرهم. ونظرا لأن الشعر يقوم بدور الحجج النقلية فقد قلت الآيات القرآنية والحاديث النبوية إلى الحد الأدنى، وتستعمل الآيات الحركية من أجل دلالاتها مثل ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾. فالآية حركة في الكون، وليست معنى في

(1) الإنسان الكامل ص12-62.

(2) السابق ص62-80.

الذهن. كما تستعمل الآيات القرآنية على نحو مباشر لتقوية الخطاب النثري بالصور الفنية في الخطاب القرآني. وتتنوع أساليب الخطاب بحيث تضم الرواية المتخيلة «قال الراوي»[1]. ويقل الاعتماد على أقوال السابقين. فقد أصبح العلم موسوعياً يصب فيه السابقون، ولا مشخصاً بحيث توارت الأسماء، وموضوعياً بحيث اختفى المؤلفون، بالرغم من أن العنوان الفرعي «في معرفة الأواخر والأوائل» أي السابقين واللاحقين.

ويتوجه الخطاب إلى القارئ كما فعل إخوان الصفا من قبل وكل الدعاة. ولما كان الصوفية دعاة للحق فقد خاطبوا القارئ مباشرة لتبليغ الرسالة ودعوتهم إلى الهداية.

والهدف من التأليف مساعدة السالك إلى الرفيق الأعلى. ويعتمد على الكشف الصريح والخبر الصحيح بتعبير الفقهاء «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» إلا أن صريح المعقول هنا هو صريح الكشف[2]. كُتب مرة ثم تم الإحجام عنه. ثم كتب مرة ثانية بمزيد من الشجاعة.

8 ـ «تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية» للسيوطي (911)[3]:

وبالرغم من أن العنوان يوحي بأنه يتعلق بالطريقة في التصوف العملي خاصة الطريقة الشاذلية إلا أنه في الحقيقة في العلاقة بين الكلام والتصوف دفاعاً عن عقيدة الصوفية في التوحيد ودرأتهم الاتحاد والحلول والوحدة المطلقة التي روجها الفقهاء ضدهم، كما يعتمد الكتاب على الفقه دفاعاً عن التصوف وليس ضده، وبيان لأواصر الصداقة بين الصوفية والفقهاء، وتنصلاً من التصوف المزيف لصالح الفقه والشرع[4].

وينقسم إلى فصول غير مرقمة وبلا عناوين. والعنوان عن إبطال الاتحاد والحلول بلا فصول. وتظهر ألفاظ قسمة النص مثل «فصل»، «مسألة»،

(1) السابق ص9.
(2) السابق ص4.
(3) دار الكتب العملية، بيروت 2006م (1) ص7-89.
(4) «باب في الاتحاد والدليل على بطلانه»، السابق ص80-83، «باب في ذكر الحلول والدليل على بطلانه والرد عليهم»، السابق ص84-86.

«تهذيب»[1]. ويقوم على الاستشهاد بنصوص بلفظ «انتهى»، ويظهر أسلوب القول «فإن قال هذا القائل...»

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويُذكر السند مع المتن مثل أوائل المحدّثين. ويُستشهد بكثير من أقوال الصوفية[3]. وتُقتبس أقوال كثيرة من مدوناتهم. ويروي الصوفية عن بعضهم البعض. ويُذكر الصوفي باسمه مثل الغزالي أو بعمله مثل صاحب التعرف (الكلاباذي). ويذكر المصدر بمفرده دون الإشارة إلى صاحبه مثل «منازل السائرين» (الهروي)، «الإحياء» و «الروضة». استقلالاً للعمل عن المؤلف. ويطلق على القسطلاني لقب «القطب». ومن الفقهاء يأتي السبكي ثم ابن الصلاح ثم العز بن عبد السلام، ثم الشافعي نظراً لما بين الشافعية والتصوف من أواصر قربى. ومن المذاهب الفقهية المالكية والشافعية[4]. ومن الأنبياء عيسى وموسى والخضر[5]. ومن المصادر «الإحياء» و «منازل السائرين».

9 ـ رسائل الشعراني (973هـ):

أ ـ «القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية»[6]: وهي في نظرية الذات والصفات والأفعال مثل «التحبير والتذكير» للقشيري، و «شرح أسماء الله الحسنى» للغزالي، وهي ليست في الصفات الإلهية وحدها بل في كل موضوعات

(1) فصل (42)، مسألة (2)، تذنيب، فائدة (1).

(2) الآيات (51)، الأحديث (23)، القدسية (2)، الأشعار (9).

(3) ذو النون (15)، صاحب التعرف (12)، الجنيد، القسطلاني (6)، الغزالي (5) القشيري (4)، الداراني، الشاذلي، القونوي (3)، الحسن البصري، ابن عباد، داود الطائي (2)، جعفر الصادق، أويس القرني، مالك بن دينار، الفضيل بن عياض، إبراهيم بن أدهم، الخراز، عبد الرحيم القنائي، الترمذي، يحيى بن معاذ، أبو نعيم الأصفهاني، عبد الواحد بن يزيد، سفيان الثوري، أبو علي الدقاق، النصر أباذي، السري السقطي، الكرخي، ابن الفارض، علي بن وفا، السهروردي، المرسي أبو العباس، البسطامي، ابن عطاء الله السكندري، الخراز، الطوسي، أبو طالب المكي (1).

(4) ومن الفقهاء السبكي (9)، ابن الصلاح، العز بن عبد السلام (2)، الشافعي، الدارقطني، السجستاني، ابن حجر (1)، ومن المتكلمين الجويني (1).

(5) الإحياء (5)، منازل السائرين (3)، جمع الجوامع (2)، لطائف المنن، اللمع، الفردوس، الروضة، قوت القلوب (1).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م- 1427هـ.

علم الكلام، متناثرة بلا بنية أشعرية، العقليات والسمعيات أو الإلهيات والنبوات أو اعتزالية، الأصول الخمسة. هو نوع من علم الكلام الصوفي حيث تتجلى الذات الإلهية ليس فقط في الصفات والأفعال بل أيضاً في الكون كله، في الكون والإنسان. الحق والخلق واحد. والقضاء يضم كل شيء. لا توجد قسمة إلى أبواب وفصول، فالتوحيد لا ينقسم. وسبب التأليف هو إعادة التأليف في أجوبة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين بعد أن كان المؤلف قد صنف فيه من قبل جزأين. نفس المادة يُعاد جمعها عبر عشرة قرون، ولكن على نحو مختصر[1]. ويكرر نفس الهدف في مقصود الكتاب، الدفاع عن عقائد السنة والجماعة ضد الجهلة الملحدين[2]. فهو كتاب سجالي، دفاعاً عن العقائد ضد الشبهات حولها من الفلاسفة والمتكلمين. يأخذ التصوف هنا دور علم الكلام التقليدي ويصحح عقائده ضد شبهة أن عقائد الصوفية معارضة بل ومناقضة لعقائد أهل السنة. لذلك يكثر استعمال لفظ «توهم»[3]. كما تدل باقي الألفاظ على التحليل العقلي للموضوعات[4]. وفي نفس الوقت تعرض الخصائص الباطنية للعلم[5]. ويستعمل

---

(1) «وبعد، فقد كان سبق مني تأليف كتاب عظيم في الأجوبة عن الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة. فما تركت من شيء بلغني أنه نُقل عن الأنبياء ومن بعدهم لا يقبل التأويل عند بعض العلماء إلا وأجبت عليه. وقرئ بحضرة أهل العلم مرات. واستحسنوه. وهو في مجلدين ضخمين وهذا كتاب ذكرت فيه الأجوبة عن صفحات الحق جل وعلا. وما يتوهمه الملحدون وضعفاء الحال في العلم بحسب مقامي غيرة على جناب الحق، جل علاه، أن يتوهم أحد فيه ما لا يليق بجنابه تعالى. وقد أطلعت عليه بعض العلماء الأكابر فاستحسنه وقال: كتاب حقه أن يكتب بنور الأحداق»، السابق ص63

(2) «بيان جملة صالحة من الأجوبة مما يتوهمه الجهلة أو الملحدون في جناب حق القدوس وأسمائه وصفاته، مصدّراً ذلك بعقيدة صالحة، جامعة مع شدة اختصارها لأمهات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة ليرجع إليها من استشكل شيئاً من الأجوبة الآتية فإنها مزيلة إن شاء الله تعالى جميع إشكالات المحجوبين وزاجرة لجميع الملحدين»، السابق ص82.

(3) توهم (55)، السابق ص103.

(4) وذلك مثل: مذهب، باب، كلام (4)، عقيدة، أقوال (3)، شروط، مفهوم، معنى، محاجة، شبهة، مقصود، تفاوت، الجواب، الباعث، تعلق، تخصيص، كيفية، تمهيد، وصية، حجة، فرق، تأويل...الخ (1).

(5) السابق ص64-65.

أسلوب القول «فإن قال قائل» طبقاً لأساليب الحجاج التقليدية في علم الكلام. ويخاطب القارئ لدعوته إلى الفهم الجديد[1].

ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. فالموضوع عقلي وليس وجدانياً. ومن أعلام الصوفية يتصدر ابن عربي ثم علي الخواص، ثم علي الرصفي، ثم القزويني، وعلى بن وفا، ثم التستري، ثم إبراهيم المتبولي، والجنيد، والغزالي. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل. ومن المتكلمين الأشعري، والماتريدي[3]. ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء الرسول ثم آدم، ثم موسى ثم عيسى. ومن الفرق الأشعرية والماتريدية. وتذكر بعض الإسرائيليات[4].

ب ـ **«اليواقيت والجواهر في بيان الأكابر»**[5]: ولم تكتف المؤلفات المتأخرة بعقد فصل عن «علم العقائد» دفاعاً عن عقائد الصوفية ضد الاتهامات الموجهة ضدها بالانحراف عن العقائد السنية بل أبدعت «علم الكلام الصوفي»، أو «التصوف الكلامي» حتى أصبح علماً مستقلا من الصعب التمييز فيه بين «الكلام والتصوف»، بين العلوم العقلية والعلوم الكشفية، بين علوم العقل والذوق. ويعني النصف الأول من العنوان «اليواقيت والجواهر» اللب والجوهر. ويعني النصف الثاني «في بيان عقائد الأكابر» عقائد الصوفية باعتبارهم أكابر القوم.

وتتوالى ألقاب التقديس للصوفية. فالشعراني هو الإمام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني. وتليها الدعوات له نفعنا الله والمسلمين ببركاته، وأفاض علينا من نفحاته آمين، مما يدل على التوجه العملي في الطريقة بعد التصوف النظري.

وهذا هو سبب تأليف الكتاب «بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرأة له من

(1) السابق ص345.

(2) الآيات (228)، الأحاديث (119)، الأشعار (28)، الأمثال (1).

(3) ابن عربي (88)، علي الخواص (26)، علي المرصفي (24)، القزويني، علي بن وفا (8)، التستري (4)، إبراهيم المتبولي، الجنيد، الطبراني، الغزالي (3)، أحمد الرفاعي، البسطامي، الترمذي، الحلاج، سيدة العجم، الشاذلي، المناوي، النقري، أحمد بن حنبل (2). وآخرون بالمئات. الأنبياء والرسول (53)، آدم (2)، موسى (18)، عيسى (9).

(4) القواعد الكشفية ص259.

(5) مصطفى البابي الحلبي، مصر 1959م- 1378هـ.

سوء الاعتقاد»[1]. فالشيخ محيي الدين هو نموذج الصوفي الذي طغى على التصوف على مدى قرون من القرن السابع حتى النابلسي في القرن الثاني عشر. وهو مبرئ من القول بوحدة الوجود، وهل في الاعتقاد صواب وخطأ وتصحيح وتخطئة أم هي وجهات نظر متعددة. لذلك أتي الأسلوب خطابا للقارئ كما هو الحال لدى «إخوان الصفا»[2]. وهذا لم يمنع من نقد ابن عربي بين الحين والآخر في بعض أوجه الاستدلال التفصيلية[3].

ويتكون الكتاب من أربعة فصول. أكبرها الرابع والذي يشمل بمفرده واحداً وسبعين باباً. الأول عن نبذة مختصرة عن حياة الشيخ محيي الدين[4]. والثاني تأويل كلمات أضيفت إليه ورواها جماعة ابتلوا بالإنكار عليهم والشيخ نموذجهم. فقد بدأ الدس على الصوفية لتشويه سمعتهم وعقائدهم[5]. والثالث إقامة العذر لأهل الطريق لتكلمهم بعبارات مغلقة على غيرهم ومصطلحات ورموز لا يعلم معانيها إلا هم[6]. والرابع جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحر في علم الكلام، وهو المقصود[7]. وهو ما يتصدر الكتاب[8].

وتتوزع موضوعات علم الكلام على واحد وسبعين مبحثاً داخل الفصل الرابع أسوة بنسق علم الكلام الأشعري بداية بحدوث العالم بغير حاجة إليه ولا موجب عليه، وأنه لم يبدعه في ذاته ودون أن يحل أو يتحد معه كما يشاع عن الصوفية، وأنه أبدعه على غير مثال سابق، ودون تفصيل في الأدلة على وجود الله[9]. علم الأشياء قبل وجودها، وأوجدها على ما علمها، مع تفصيل صفة خلق عيسى. ولا توجد نظرية للعلم كما هو الحال في علم الكلام الأشعري عن العلم والعلوم قبل البداية بإثبات حدوث العالم. إنما فقط بعض البدايات فيها مثل وجوب معرفة الله

---

(1) السابق حـ1 / 4-6.

(2) السابق ص58.

(3) السابق ص78.

(4) السابق حـ1/ 6-11.

(5) السابق ص11-15.

(6) السابق ص15-21.

(7) السابق حـ1/ 21-168، حـ2/ 2-204.

(8) السابق ص3-4.

(9) المباحث 2/ 8-6/ 11-12/ 21.

على كل عبد قدر وسعه بالرغم من صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه. وهو ميثاق المعرفة والفضيلة. كذلك يظهر موضوع الخواطر الواردة على القلب داخل موضوعات الإيمان[1]. ثم تظهر نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء، لب نظرية الأشاعرة في التوحيد. فالله واحد منفرد في ملكه لا شريك له وهو مخالف للحوادث. لا يحويه مكان ولا يدخل في زمان، موجود دائماً. هو الأول والآخر، الظاهر والباطن. وهي موضوعات الذات. وهو سر لا يمكن معرفته عند الأشاعرة[2].

ثم تأتي الصفات. وهي قديمة كما هو الحال عند الأشاعرة. فالله لم يزل موصوفاً بمعاني أسمائه وصفاته كما تقتضي بذلك قواعد التنزيه. وهي صفات عين وغير ولا عين ولا غير[3]. ولا يجوز تأويل آيات الصفات كما فعل السلف خوفاً من الوقوع في التشبيه. وهنا يبدو أن التصوف المتأخر أكثر حرفية من الأشعرية المتقدمة. والكلام والكرسي واللوح والقلم والاستواء على العرش أيضاً تقع بين التنزيه والتشبيه. والله مرئي للمؤمنين بالقلوب في الدنيا، وفي الآخرة بأبصار بلا كيف. وأسماء الله توقيفية، وليست اصطلاحية. وهي ثمانية: الحي، العالم، القادر، المريد، السميع، البصير، المتكلم، الباقي، مع أنه في النسق الأشعري الصفة الثامنة. الباقي من أوصاف الذات وليست من الصفات[4]. ومع ذلك يدخل الإيمان بوجود الجن وكأنه موضوع ضروري للتوحيد[5]. ثم تأتي الأفعال لبيان أن الله خالق لأفعال العباد مثل خلقه لذواتهم. وهو الحجة البالغة عليهم. ولا رازق إلا الله[6]. والتكليف للإنس والجن بشرط العقل وليس درجات القرب. وهنا يجب الكلام التصوف ونظرية إسقاط التدبير. وأفعاله عين الحكمة وليست بالحكمة خوفا من الوقوع في التعليل بالغاية والغرض، كما هو الحال في النسق الأشعري[7].

(1) المباحث 3/ 20/ 57.
(2) المباحث 1/ 4/ 7-10.
(3) المباحث 13-19.
(4) من العقيدة إلى الثورة حـ2 التوحيد ص 133-142.
(5) المباحث 23، من العقيدة إلى الثورة حـ1، المقدمات النظرية ص 622-627.
(6) المباحث 24-28.
(7) من العقيدة إلى الثورة حـ3، العدل ص 533-543.

وبعد الإلهيات أي العقليات تأتي السمعيات أو النبوات ابتداء بالنبوة[1]. وتشمل المعجزات والفرق بينها وبين السحر كالشعوذة والكهانة، واستحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال، والفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. وتشمل أيضاً الحكمة من بعث الرسل بالرغم من نفي الغاية الغرض، وعصمة الأنبياء من أي فعل أو حركة أو سكون ينقص من كمالهم، وثبوت رسالة النبي وهو أفضل الخلق على الإطلاق، خلطاً بين الرسالة والرسول، والفرق بين النبوة والرسالة الأولى، رأسية، والثانية أفقية. ثم تتحول النبوة والرسالة والبعثة إلى تشخيص في النبي والرسول والمبعوث وذكر فضائله قبل الوقوع في الحضرة أو الحقيقة المحمدية. قصة الإسراء والمعراج واقعة تاريخية، ومحمد خاتم الأنبياء. ورسالته عامة للجن والإنسان، والإذعان والطاعة لكل ما جاء به دون اعتراض. وهو أفضل الخلق، وأفضل الأنبياء الذين أرسلوا أو لم يرسلوا والملائكة خواصاً وعواماً، وواجب بر الأنبياء وعدم الخوض في حكم أبوي النبي وأهل الفترة، وأن منفعة الأنبياء للبشر وليس لله[2]. ثم يأتي ذكر الأولياء، وهو موضوع صوفي خالص، خارج علم الكلام التقليدي. فالولاية جزء من النبوة. ولا فرق بين أولياء الصوفية والصحابة. فأفضل الأولياء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، دون الدخول فيما شجر بينهم. وأكبر الأولياء بعد الصحابة القطب ثم الأفراد ثم الإمامان، ثم الأوتاد، ثم الأبدال. ووحي الأولياء الهامي. ومقاماتهم متعددة ثم مقامات الرسل. وجميع الصوفية والأئمة المجتهدين على هدي من الله. والكرامات نتيجة للعمل طبقا للكتاب والسنة دون تدخل خارجي وخرق للعادات.

ثم تأتي موضوعات الإيمان والعمل قبل الأخرويات مثل الفرق بين الإسلام والإيمان، وربط الإيمان بالمشيئة الإلهية، وأن الفسق لا يخرج من الإيمان. والتوبة واجبة على الفاسق قبل الغرغرة وعلى كل عاص. ولا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب أو بدعة والتكفير منسوخ أو مؤول بأنه تغليظ وتشديد. وملاذ الكفار في الدنيا استدراج من الله مع أن الله خيّر لا يفعل إلا الخير. وهو الذي يتولاهم[3].

---

(1) المباحث 29-41.

(2) المباحث 42-50.

(3) المباحث 51-56/ 58-59.

ولا تذكر الإمامة إلا في مبحث واحد في وجوب نصب الإمام الأعظم ونوابه على البشر وليس على الله ووجوب طاعته وعدم الخروج عليه[1]. وأخيراً تظهر الأخرويات التي هي في النسق الأشعري الموضوع الثاني بعد النبوات، مستقبل البشرية بعد ماضيها في النبوة، نظراً لأهمية الأخرويات في التصوف النظري. فالموت انتهاء الأجل. والنفس باقية بعد فناء الجسد. والأرواح مخلوقة من أمر الله، ولا يمكن للعقل معرفة كنهها. وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق خلافا للمعتزلة والروافض، وليست مجرد ترغيب وترهيب نفسيين. وأشراط الساعة حق، وليست مجرد علامات أو مؤشرات على النهاية بمعنى تحقيق الغرض. ويُعاد البشر كما خلقوا أول مرة، وتُهيئ الأجساد لقبول الأرواح. والحشر بعد البعث وتبديل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. والحوض والصراط والميزان حق. وتطاير الصحف والعرض على الله يوم القيامة حق كذلك. والرسول أوّل شافع يوم القيامة. والجنة والنار حق مخلوقتان قبل آدم[2].

والحقيقة أنه لا يوجد فرق بين علم الكلام الأشعري وعلم الكلام الصوفي إلا في أقل القليل من حيث الترتيب والانتهاء بالأخرويات وليس بالإمامة أو في الكم صغر حجم الإمامة للاستعاضة عنها بالأقطاب والأبدال والأوتاد أو النقص مثل نظرية العلم أو الزيادة مثل الولاية والكرامة. لم يخرج علم الكلام الصوفي عن علم الكلام الأشعري التقليدي. ولا يوجد علم كلام كشفي في مقابل علم الكلام العقلي. وهل يتفق علم الكلام العقلي وعلم الكلام الكشفي إن وُجدا على النسق الأشعري؟ وهذا يدل على أن التصوف أشعرية روحية ذوقية وأن الأشعرية تصوف عقلي جدلي. والخطورة وقوع الكشف في التجسيم في حين أن النسق الأشعري يكتفي بالتشبيه. والاعتزال ذهاب إلى التنزيه إلى الحد الأقصى[3].

---

(1) المبحث الستون.

(2) المباحث 61-71.

(3) «حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لأن الحوار في العقائد على هاتين الطائفتين. إذ الخلق كلهم قسمان: إما أهل نظر واستدلال وإما أهل كشف وعيان. وقد ألف كل من الطائفتين كتباً لأهل دائرته. فربما ظن من لا غوص له في الشريعة أن كلام إحدى الدائريتين مخالف للأخرى. فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالأخرى. وهذا أمر لم أر أحدا =

والاعتماد شبه كلي في علم الكلام على المصادر الصوفية والكلامية السابقة خاصة ابن عربي في «الفتوحات»، باباً باباً ودون ترتيب مما يدل على الحضور الهائل لكتاب «الفتوحات» على التصوف النظري والعملي على مدى ستة قرون. بل تحول ابن عربي نفسه إلى طريقة صوفية هي الطريقة «الأكبرية». وأسلوبه نقل النصوص والرد على الاعتراضات. وهو أكثر الكتب إحالة إليه مما يضع سؤالاً حول تآليف الشعراني التي كلها اقتباسات وتجميع من السابقين. لذلك كثرت وتضخمت. ومع ذلك علوم أهل الكشف موجودة أيضاً خارج «الفتوحات». وما «الفتوحات» إلا نموذج[1].

جـ ـ **«كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان»**[2]: والعنوان يوحي بالاغتراب خارج العالم، عالم الجان ولكنه في الحقيقة في علم الكلام الصوفي، أسئلة الجان هي أسئلة المتكلمين وكشف الحجاب والران هي أجوبة الصوفية. وتضم ثمانين سؤالاً موزعة بين موضوعات الكلام التقليدية وموضوعات التصوف. وقد تم التعبير بإخراج مسرحي خيالي، الجان تسأل وهم المتكلمون، والصوفية تجيب، والشعراني نيابة عنهم. والإجابة نثراً ونظماً، نثراً من المتكلمين وشعراً من الصوفية، شفاهة وكتابة دفاعاً عن التصوف ضد الشبهات التي قيلت عنه خاصة حول الاتحاد والحلول[3].

= سبقني إليه... وأوصي كل من عجز عن الوصول إلى تعقل كلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه.... وذلك لأن عقائد أهل الكشف مبنية على أمور تشهد، وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها. هذا ميزانهم في كل ما لم يرد فيه نص قاطع. والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف لقلة سالكي طريقهم». اليواقيت والجواهر ص2-3.

(1) «إنني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل، وما رأيت في عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق، مربي العارفين... ولذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من «الفتوحات» وغيرها دون كلام غيره من الصوفية لكني رأيت في «الفتوحات» مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام...» السابق ص3.

(2) مكتبة صبيح، القاهرة، (د، ت).

(3) «فهذه أسئلة غريبة سألني عنها مؤمنو الجان حفظهم الله تعالى. وطلبوا مني الجواب عنها مشيدا بإنشادات أهل الطريق في ذلك. وأخبروني أن روحانيتهم تميل إلى النظم أكثر من النثر. فأجبتهم إلى ذلك مستعيناً بالله تعالى متنشقا من نسمات الأسحار قوة الاستعداد =

ويحال إلى الشيخ محيي الدين بن عربي ثم الشبلي، ثم الجنيد، وعلى بن وفا وعبد القادر الجيلي، وعلى الخواص[1]. وألقاب الشعراني هذه المرة، العارف بالله، العلامة المحقق، أبو المذاهب اللدنية، سيدي الشيخ. وكلها صوفية عرفانية. وقد تحتاج الأجوبة إلى مراجعة العارفين. فالفتح متنوع وطبقا للوقت[2].

ويمكن تصنيف الأسئلة الثمانين في عدة موضوعات كلامية طبقا للنسق الأشعري، نظرية العلم، الذات والصفات والأفعال لب الإلهيات أو العقليات، والسمعيات أو النبوات، النبوة والمعاد، والإيمان والعمل، وتسقط الأسئلة الإمامة أي السياسة فالجن لا يهتمون بالسياسة.

وموضوعات نظرية العلم: استحالة إدراك الحق بالأدلة كما يحاول المتكلمون وإمكانية ذلك بالكشف عند الصوفية، استحالة إدراك الجسم الروح مع أنه قائم به، سبب تكييف العقول للحق، والحق لا يكيف ولا يمثل ولا يشبه، إمكانية معرفة الله كما يعرف الإنسان نفسه، اختلاف الخلق في وجوه المعارف. وصواب الكل، واعتماده على كلام الله، كيفية الخروج من علوم الأوهام إلى العلم اليقيني. وتثار عدة أسئلة: وإذا كان العلم نورا والجهل ظلمة فالإنسان ميت لجهله بنفسه، وفي موضوع التفكر في العالم أيهما أتم الذكر أم الفكر؟ وفي موضوع طبيعي خالص إذا

= لأجوبتهم. فإنها أسئلة معجمة... وقد أتتني هذه الأسئلة مكتوبة في قرطاس في فم شخص من الجان في صورة كلب أصفر لطيف ككلاب الرمل. وكانت الورقة قدر فرخ ورق من الورق الإفرنجي مرقومة بخط عربي مردومة. ففتحتها فإذا فيها ما قول علماء الأنس في هذه الأسئلة المرقومة الواصلة إليكم صحبة حاملها قد أشكلت علينا. وسألنا عنها مشايخنا من الجان فقالوا: هذه التحقيقات لا تكون إلا من علماء الإنس، ودخل على حاملها من باب القاعة. فمنعه المجاورون لظنهم أنه كلب حقيقة. وطهروا الزاوية من مواضع مشيه. فلما أخبرتهم تعجبوا من ذلك غاية العجب. وندموا على إزعاجهم له. فالحمد لله الذي منَّ علينا بإرشاد إخواننا الجان في هذا الزمان...»، كشف الحجاب والران ص6-7

(1) ابن عربي (4)، الشبلي (2)، الجنيد، عبد الكريم الجيلي، علي بن وفا، علي الخواص (1).

(2) «فتأملوا وأنعموا النظر. وإن توقفتم في أي شيء فراجعوني أو راجعوا غيري من العارفين. وقد أجبتكم بحكم الوقت. فربما فتح الله عليّ بعد ذلك بما هو أرقى منه»، السابق ص131.

كان الظل لا ينفك من الشخص، فالشخص هو القائم وهو المتمسك بالظل إن شاء أوجده أو أعدمه، وهو تشبيه على أن العالم ظل الله[1].

ففي نظرية الذات والصفات والأفعال يتم السؤال عن السبب في وقوع الخلق في التشبيه وابتعادهم عن التنزيه، والاتحاد عند أهل الإلحاد، وإرجاع الحق إلى العبد، والحلول، بالرغم من وجود بعض الأحاديث القدسية التي توحي بالاتحاد مثل «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»، ومعنى «أنا الحق»، ولماذا لا يكون العبد عين الحق، أول مرتبة في الوجود والمشاركة فيه؟ وعدم جواز رؤيته مع أنه أقرب إلينا من حبل الوريد. وهل تتطلب الرؤية التميز في المكان؟ واستحالة سماع كلام الله بالرغم من قربه، وقراءة الإنسان القرآن بصوته. وقوله قال الله، ورؤية العبد للرب في المنام صورة صحيحة أو خيالا لأن الله لا يظهر في صورة؟ هل يمكن الوصول إلى التنزيه المطلق؟ وهل صفات الله صفات كمال في الحق دون تأويل أم أنها ليست كذلك وفي حاجة إلى تأويل؟ وتبرز صفة العلم وحدها وليس باقي الصفات، إذ كيف يتفق العلم الأزلي مع حدوث العلوم؟[2].

ومن الأفعال عند الأشاعرة أو العدل عند المعتزلة يبرز سؤال إذا كانت الأفعال حسنها وقبحها من الله فلماذا الشقاء؟ وإذا كانت أفعال العباد مخلوقة من الله فلم التوبة؟ وما ثمرة وجوب النية؟ وهل تغني الأسباب عن الله؟ وهل تمنع المقادير العبد من الحذر والتربص؟ وهل تحرر أحد من رق الأكوان؟ وإذا كانت الأمور ترجع إلى الله فلماذا الشقاء؟ وكيف يستدرج الله الإنسان من حيث لا يعلم، والمؤاخذات الإلهية لا تكون إلا بعد علم؟[3].

وفي السمعيات عن المعاد هل النار من الأعمال حتى تتفاوت أم مستقلة عنها؟ وفي النبوة هل بلغ أحد من الخلفاء الأكابر من الرسل مرتبة فعل ما يشاء من غير تحجير عليه؟ وهل الرؤيا الصادقة قسم من الوحي؟ وهل بين النبوة والصديقية مقام لأحد؟ وهل بين الرسالة والولاية مرتبة؟ وهل في الملائكة أولياء وأنبياء من

(1) الأسئلة 5-7/ 11/ 25/ 31-32/ 57/ 72.
(2) الأسئلة 1-4/ 8/ 13-14/ 17/ 23/ 26/ 30/ 33-35.
(3) الأسئلة 20/ 28/ 37/ 48/ 59/ 61/ 73/ 77.

غير رسالة كالبشر؟ وهل الولاية استدراج مادام الحق سمى نسفه ولياً؟ وهل يحتاج الرسول لإبلاغ الوحي إلى نية؟ وفي موضوع الإيمان والعمل إذا كان الحياء من الإيمان فهل هو مطلق أم مقيد؟[1].

وهي نفس المشاكل في الحديث مثل «وسعني قلب عبدي المؤمن». فهل الله يحل في مكان؟ وكيف يصاحب الله العبد في سفره «اللهم أنت الصاحب في السفر»؟ وكيف يوصف الله بالغيرة في الحديث، والغيرة نقص؟ وكيف يمدح الناس الجوع والرسول يدينه بقول «الجوع بئس الضجيع»، وهل الموت خير من دوام التوحيد في حديث «سيأتي على الناس زمان يصير فيه الموت تحفة لكل مسلم»؟[2].

وهناك بعض الموضوعات خاصة بالقرآن من أجل رفع التناقض الظاهري فيه أو من حيث أثره على النفس مثل شيب الرسول من سورة هود وأمثالها وخوفه من عصمته ويقينه أن الحق لا يمكر به، وآيات أخرى توحي بالعصمة مثل ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾، ومعارضتها الظاهري مع آية ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. وكيف يكون الإيمان بالله مع الشرك به في آية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾؟ وإذا تبرأ الله من العبد فمن يمسك عليه وجوده طبقا لآية ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾؟ وإذا تخلص الأنبياء من الشرك فكيف يؤمرون بالإخلاص؟ وما تأويل إضافة الله الجوع والظمأ إلى نفسه؟[3].

وتظهر موضوعات علم الكلام الكشفي مثل مقام المحبة، وشكوى المحب من البعاد بالرغم من كشفه له في قلبه. وأيهما أفضل في الحب الوصل أم الهجر، الشوق للمحب أم الاشتياق للمحبوب؟ ويظهر مقام الفناء والبقاء وأيهما أسلم؟ ومقاما الشكر والصبر على بلاء الأولياء، وهل الشكر واجب؟ وإذا كان الزهد ترك شيء ليس للزاهد فهو جاهل لأنه يزهد فيما لا وجود له. ويظهر موضوع الأولياء وهل تستطيع أرواحهم الوصول إلى الأخلاق؟ وهل الولي كثير الكرامات أم قليلها؟ والترقي في مقامات السالكين هل هو للأنس والملائكة أم للأنس وحدهم؟

---

(1) الأسئلة 24/ 29/ 41/ 50-54/ 58.

(2) الأسئلة 18/ 47/ 55/ 69/ 76.

(3) الأسئلة 9-11/ 12/ 22/ 60/ 66.

والحضور والغياب صفتان لله أم حالتان للنفس؟ ولماذا لا تحزن الأكابر على ما فاتهم من أمور الدنيا، والحزن على فوات الطاعات محمود؟ وهل يصح الأنس بالله من الخلق مما يتطلب مناسبة بين الخالق والمخلوق؟ وهل تجلياته في القلب هي عين ذاته في الحق؟ وهل بعد الفتح على المسالك خوف من جهة مكر الله أم يزول عنه الخوف ويصبح في آمان؟، وهل تصح الخلوة مع الله بنور الإيمان وهو ليس في مكان؟ وهل الطريق حقيقة أم كشف؟ وما هو أقرب طريق للوصول إلى الهزة؟ ولماذا يعاقب الإنسان إذا ما اتبع هواه؟ وأيهما أفضل البقاء في البيت أم السياحة في البوادي؟[1].

ومن موضوعات التصوف الخلقي، الفضائل والرذائل. والرياضة والمجاهدة في أول الطريق في التصوف النفسي. وهل يمكن زوال الصفات الروية للنفس والقناعة؟ وفي الصفة والأخلاق كيف يذهل العارف في الصلاة؟ ولماذا ذم الخشوع في الصلاة والله مدح الخاشعين؟ وكيف تتكون الأعمال الصالحة بعلاقة الشيخ بالمريد أم بجذب الله؟ كما تظهر نظرية العلم الكشفي مثل: هل يصح سلب اليقين من العبد كما يُسلب العلم؟ وهل يأتي الإلهام لمن صفت نفسه من الكدورات؟ وهل في المنام يقع تكييف الواقع طبقا للحق أو هو راجع للعبد؟ ولماذا الإشارات والرموز التي لا يفهمها أحد من الإنس والجن مع أنها علوم قائمة على قواعد الشريعة؟ وكيف تعقل الوحدة والإنسان لا يُقل إلا اثنين: الروح والجسم، وليس وحدتهما؟[2].

10 ـ «الفتح الرباني والفيض الرحماني» للنابلسي (1143هـ)[3]:

وهو نفس العنوان لكتاب الجيلي. ويمثل العودة إلى علم الكلام بقراءة صوفية. وهو مقسم إلى أبواب. الأول في بيان الذنب. والثاني في التوبة. والثالث في العقيدة الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالكلام المنزل على محمد. والرابع في بيان الكفر، كفر اليهود والنصارى والمجوس وبقية المشركين. وحقيقة النفاق. والخامس في الإسلام. والسادس في الإيمان. وتدخل معظمها باستثناء الباب

(1) الأسئلة 15-16/ 19/ 21/ 27/ 33/ 36/ 38-39/ 44-46/ 49/ 56/ 62/ 64/ 67/ 70-70/ 74.
(2) الأسئلة 40/ 42-43/ 63/ 65/ 68/ 75/ 78-80.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

الثالث في موضوع الإيمان والعمل في علم الكلام[1]. وتبرز الموضوعات بألفاظ الوصل والتنبيه والإيضاح[2]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. ومن الصوفية يذكر ابن عربي ثم الشعراني ثم الجنيد، ومن الصحابة أبو بكر، وعمر وعلى الرضا. ومن الفقهاء أحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك. وابن حجر. ومن الفرق اليهود والنصارى والنصيرية[4].

والخطاب موجه إلى الإنسان[5]. والمؤلف هو «العبد المفتقر إلى مولاه والراجي عفو ربه وهداه» نابلسي نسباً، وحنفي مذهباً، وقادري مشرباً، ودمشقي وطناً ومولداً[6].

11 ـ «سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر» لابن عجيبة (1224هـ)[7]:

وهي رسالة في موضوع جزئي في علم الكلام دفاعا عن عقائد الصوفية كما جرت العادة في التأليف المتأخر خاصة في مؤلفات ابن عربي التي تبدأ بإعلان عقيدته السنية الأشعرية. وبالرغم من صغر الرسالة إلا أنها تضم خمسة أبواب كما يُعلن عن ذلك في المقدمة. الأول في حقيقة القدر. والثاني في الاستدلال عليه من النص. والثالث في الحكمة والقدرة. والرابع إبطال العدوى والغيرة. والخامس اكتساب اليقين[8] والخطورة هو الدفاع عن العقيدة الشعبية التي طالما نقدها المصلحون قبل الأفغاني، بالرغم من إنكار الفأل والطيرة دون الاتساق في نقد الأزلام والأنصاب والحسد وكل مظاهر الخرافة والتعرف على المستقبل أو

(1) من العقيدة إلى الثورة، حـ5، الإيمان والعمل -الإمامة ص 5-161.
(2) الآيات (142)، الأحاديث (58)، القدسية (2)، الأشعار (28).
(3) مثل وصل (23)، وصل لإيضاح الأصل، وصل لهم (4)، وصل آخر، وصل فيه رجوع إلى الأصل (3)، وصل موضوع وصل مهم، وصل متمم للأصل، وصل في بيان هذا الفصل، وصل له عنوان. . . إلخ (1).
(4) ابن عربي (3)، الشعراوي (2)، الحسن البصري، أبو العباس المرسي، علي زين العابدين، الدينوري (1).
(5) «اعلم أيها الإنسان»، السابق ص7.
(6) الفتح الرباني ص6.
(7) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (7) ص269-293.
(8) السابق ص270.

الاستسلام للماضي. والطاعون ليس قدراً يُفر منه بل مرض يُعالج بالحجر الصحي لعدم انتقال العدوى ثم بالأدوية الخاصة به، والمادة انتقائية من القرآن والحديث والشعر طبقا للتدرج النمطي[1]. كما يعتمد على أقوال الصوفية والفلاسفة والخلفاء الراشدين[2]. وينتهي الاقتباس بعلامة «أهـ»، ويُلحق بها بعض الحكايات المستظرفة لإقناع الناس بالعقيدة الشعبية والاستسلام لها[3].

12 ـ «طي السجل» للرواس (1287هـ)[4]:

وهو عنوان من آية كريمة[5]. ويعني نهاية العالم، وقفل الملفات، وانتهاء الحياة على الأرض، وطي السماء كما نطوي الكتب. كما يعني كشف الحقائق ونهاية عالم الظاهر، ظاهر الحياة الدنيا، وبداية عالم الباطن، عالم الروح، نهاية الفقه وبداية التصوف، نهاية أعمال الجوارح وبداية عالم القلوب.

ويمتد نسب المؤلف إلى الرسول. فالصوفي لم يعد مجرد عالم بل هو عالم بامتياز، صاحب خوارق[6]. والتأليف لديه إلهام بل إنه المحقق أيضاً، أبا عن ابن، ملهم من السماء. جمع ما تبقي من نظم المؤلف[7]. وهو من العراق، من البصرة إلى بغداد. يشعر المحقق أمامه بالذل إجلالاً لعظمته، وهي بداية الطرقية والمناقب، وتعظيم المشايخ وتوالي الألقاب[8]. رأى الرسول سبعين مرة[9]. يؤلف

---

(1) الآيات (60)، الأحاديث (20)، الأشعار (5).

(2) من الصوفية الترمذي، الشاذلي، أبو العباس المرسي، الدرقاوي (1)، ومن الفلاسفة ابن رشد (1)، ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز (1).

(3) سلك الدرر ص283.

(4) دار البشائر، دمشق، 1997-1417هـ.

(5) هي الآية 104 من سورة الأنبياء ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

(6) «خوارقه الشريفة وأحواله المنتقية رضي الله عنه»، طي السجل ص19-23.

(7) سماه «كبكبة من رجال الآل تزري بالبدور وتميس لثباتها الرجال هم سادة محافلنا وقادة جحافلنا» طي السجل، ص19-23.

(8) ألقاب المؤلف هي «العلامة الكبير، والفهامة التحرير، القطب الفرد الجامع، الوارث المحمدي، والنائب الأحمدي»، والمحقق والمعلق هو الفقير إلى الله تعالى. عفي عنه»، السابق ص1. وهو «طفيلي مائدتهم وخادم نعال القائمين بحضرتهم وروضتهم. السابق ص2.

(9) رأيت رسول الله سبعين مرة   تجهزني حالا إلى خدمة الشرع

السابق ص2.

شعراً ونثراً. فالتجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان. ويشرح عقيدة الصوفية شعراً لتبرئتهم[1]. والأدعية والمناجاة بداية التصوف العملي مثل مناجاة المؤلف يتوجه بها إلى الله بعيدا عن العالم.

والتصوف هو الحل. به تنتصر الأمة[2]. وهم أبرياء عما لصق بهم من التهم[3]. مهمة المؤلف القضاء على البدع والابتداع، والدفاع عن التقليد والاتِّباع[4]. ويدافع عن التوسط والاعتدال ضد التعصب المذهبي والتشدد الديني. يدافع عن التنزيه ضد الاتحاد. ولا يشق عصي الطاعة على الحكام[5]. فالمحكوم هو الفرع، والحاكم هو الأصل. الصوفية هم أهل الحق، أهل الإيمان الكامل والإتباع الصادق[6]. وهم المجددون لأمر الدين[7]. هم الفرقة الناجية كما تدعها السلفية، أهل السنة والجماعة، والبيعة معهم ولهم وبهم كأصحاب الطرق وليس كولاة الأمر، تحولا من السلطة السياسية إلى السلطة الدينية. والرفاعي هو النائب[8]. تظهر صلتهم بالحكام الذين بدأوا باستغلال الطرقية كدين شعبي للسيطرة على العامة، وإلهائهم به بعيدا عن شؤون الأمة والمصالح العامة. يؤخذ بيد ولي الأمر، وإسعافه بالسر، والدعاء له بالجهر، بداية بالخطاب المزدوج، النقد سراً والمدح علنا[9]. ولا يملك المسلمون إلا الدعاء للإمام بالحكمة والموعظة

---

(1) السابق ص 105-111.

(2) وهم المقصودون في حديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين».

(3) شرح عقيدة القوم الذين برأهم الله في عالم قدسه من اللوم، طي السجل ص32-33.

(4) مشهد الأتباع، والتبرئ من الإبداع، الابتداع، وشغف القلب يجيب الرب، السابق ص39-41.

(5) ويصلتني سيفا على كل بدعة   وأصحابها أهل الغواية بالطبع
وأن لا أرى التشديد في الدين منهجا   وأن لا أرى قبض العنان عن الردع
وأن لا أرى شق العصي ذريعة   وأن أرى حكم الوصل للأصل بالفرع
السابق ص2.

(6) السابق ص43-48.

(7) السابق ص48-52.

(8) «الأخذ بيد ولي الأمر وإسعافه بالسراء والدعاء له بالجهر، السابق ص384-385، موقف المسلمين من إمامهم الذين يلي أمرهم والدعاء له»، السابق ص385-389.

(9) «الإمام الذي تجب طاعته، وما يجب عليه للآل الكرام الذين هم سادة الناس وساداته»، السابق ص 397-399.

الحسنة[1]. وتجب طاعة الإمام في مقابل رعايته لسادة القوم وشرائه للنخبة.

ويتضمن الكتاب عشرة موضوعات بلا ترقيم، وبلا أبواب وفصول مما يعلن عن نهاية البنية النظرية. الأول مقدمة المؤلف وفيها يعلن عن أن التصوف هو الكل، وأن الصوفية تعم الفرقة الناجية، وأنهم المبدعون والمجددون، أصحاب التوحيد والتجريد والإتباع دون الابتداع. بهم تنتصر الأمة. وهم الظاهرون على الحق إلى يوم القيامة. والثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متحولاً من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى النفس، ومن الآخر إلى الأنا. والثالث الجهاد في سبيل الله متحولاً أيضاً من الخارج إلى الداخل ومن جهاد العدو إلى جهاد النفس،ومن الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، بالرغم من الإفاضة والتفصيل في الجهاد الأصغر مثل اقتناء الحيل وإعداد وسائل القوة، والغدوة والروحة وغزو البحر دون الاكتفاء بالأرض، والآثار الوخيمة للنكوص والتخلف، وأهمية النية ونيل الشهادة. ولا ينسى فضل الذكر والصلاة والصوم في الفرد والجهاد. والرابع في الجهاد الأكبر بمناجاة المولى بالأدعية المأثورة والآيات والسور المشهورة. والخامس ذكر الله والسماع والإنشاد ومقامي المحبة والشكر. والسادس الصلاة، والسابع معجزات الرسول بالتفصيل بداية بالتشخيص، الحقيقة المحمدية. والثامن كرامات الأولياء التي تستأنف معجزات الأنبياء. والتاسع الطرقية، وفي مقدمتها الرفاعية من خمس عشرة طريقة. والعاشر «شوارق الإشارات وبوارق البشارات» عن المعرفة اللدنية وهي أكبرها[2]. ويصبح الكتاب وكأنه في الفقه أولاً وفي التصوف ثانياً. المقدمة في أصل الدين والموضوعات الأربعة الأولى في الفقه، والموضوعات الخمسة الأخيرة في التصوف. وأحياناً يتم تناول موضوع صوفي من منظور فقهي مثل الذكر، صمتاً أم جهاراً، وحكم السماع بين التحريم والتحليل ورأي الفقهاء وليس الصوفية فيه.

ويعتمد الكتاب على كثير من الأدلة النقلية، الحديث أولاً ثم القرآن ثانياً ثم

---

(1) السابق ص 303-305/ 327-356.

(2) الترتيب الكمي: العاشر (113)، التاسع (105)، السابع (55)، الخامس (49)، الثالث (33)، الثامن (24)، الخامس (22)، المقدمة (21)، الرابع (20، الثاني (4).

الشعر ثالثاً[1]. كل الأدعية من القرآن. وأحياناً تتوالى الآيات في زخات متتالية دون أي تحليل عقلي[2]. ويُذكر نفس الحديث بروايات متعددة وصياغات مختلفة حرصاً على شكله أكثر من الحرص على مضمونه، عوداً إلى علم الحديث الذي منه خرج التصوف الخلقي في القرنين الثاني والثالث. وتتوالى الأحاديث في دفعات وكأن الكتاب في علم الحديث دون أي تحليل عقلي أو شعوري للموضوع. وتستعمل أحاديث الرسول في المنام مثل بعض الأحاديث القدسية لمزيد من الإخراج والتشويق في الفن القصصي، ولتبرير شرعية الطرق الصوفية. ومعظم المعجزات روايات وليست أقوالاً، خيالية وليست واقعية. أما الشعر فإنه صنوان القرآن في الوجدان العربي، يقومان بنفس الوظيفة الأدبية[3]. ويستشهد أيضاً بعديد من الآثار والأخبار وأقوال الصوفية والإسرائيليات. ويحال إلى بعض المصادر المدونة. ومنها تؤخذ بعد الاقتباسات بعلامة «انتهى»[4].

13 ـ رسائل الكتاني (1327هـ):

أ ـ «سلّم الارتقاء في منشأ التصوف ووجوب شيخ التربية»[5]: وهو دفاع عن التصوف وإحلاله محل علم الكلام. إذ يُعتقد أن التصوف مخالف لظاهر الشريعة في حين أن مراتب الناس بين الظاهر والباطن. والملامتية مجرد شبهة. وعلم الحديث وعلم رياضة النفوس شيء واحد. والسؤال يوم القيامة عن علمي الكتاب والسنة. وعلم الفقه والتصوف علم واحد. والله لا يقبل إلا العبادة الخالصة، وذكر الله عبادة له. ولا يوزن من طلب الله بميزان غيره. وعلوم الحكمة وعلوم الكشف علوم واحدة. والنص مجمل باستثناء أربع وصلات في النهاية عن تغير الزمان وعن «شيخ التربية»، وهو ما يسميه الدروز «شيخ العقل» والشيعة «المهدي». وجوده حتمي ومستمر لا ينقطع. له أوصافه. ومنه يستمد الصالحون أوصافهم.

---

(1) الأحاديث (572)، الآيات (169)، الأشعار (101).

(2) طي السجل ص100-105.

(3) «دخل رجل على الرسول فوجد قوماً عنده يقرؤون القرآن، وآخرون ينشدون الشعر فسأل: يا رسول الله قرآن وشعر؟ فأجاب «من هذا مرة، ومن هذا مرة»، السابق ص154-155.

(4) السابق ص283/ 358.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (2)، ص153-199.

ب ـ **«البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور»**[1]: وهو كتاب سجالي دفاعاً عن التصوف ضد منتقديه، وإثبات أن الصوفية هم الفرقة الناجية، وليس المتكلمين أو إحدى فرقهم. وينقسم إلى ثلاثة فصول: الأول والثاني بلا عناوين، الثالث بعنوان «المقصد». ومع ذلك يتناول الأول حصر أصناف المنكرين على الصوفية عن عيان أو إشاعة ودعاية أو بسبب الأهواء وحظ النفس، والثاني يستدل بقصة الخضر على أحوال الصوفية. وهي غير منسوخة. تعضدها الشريعة. وتبين أهمية العلم اللدني وحتمية السفر إلى طلبه. يقوم إنكارها على استحالة خرق العوائد، وإنكار الحسبان الخيالي. وقد كان سر التقاء موسى بالخضر الإذن في تعلم الحقائق وبثها وقبول السامع لها حتى لا يخالف ظاهرها الشرع. والثالث المقصد هو نفي قول الصوفية بالحلول والاتحاد، وإثبات الفرق بين إيمان العوام وإيمان الخواص، مع إيراد ثبت بمصطلحات الصوفية. وتعني بعض أقوالهم، وليس ألفاظهم مع وضع ضوابط للتكفير وبيان موانعه. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ومن الأنبياء بطبيعة الحال يذكر الخضر ثم موسى، ومن الصوفية يذكر الغزالي ثم الجنيد والبسطامي، ثم الخدري، والخراز، وابن الفارض، والكرخي، والشعراني. ومن الفقهاء أبو حنيفة، ثم الجرجاني والآمدي وابن الحاجب وغيرهم[3]. ومن المصادر يقتبس من «فيصل التفرقة» للغزالي، ومصادر أخرى خاصة كلامية وفقهية[4]. وكما يدافع الفقهاء عن الصوفية

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426 (1)، ص69-150.

(2) الآيات (93)، الأحاديث (42)، القدسية (1)، الأشعار (18).

(3) من الأنبياء: الخضر (18)، موسى (الكليم) (15)، من الصوفية: الغزالي (7)، الجنيد، البسطامي (2)، الشعراني، الخدري، الخراز، ابن الفارض، الكرخي (1)، ومن الفقهاء والمتكلمين: أبو حنيفة، الجرجاني، الآمدي، ابن الحاجب (2)، مالك، الأسيوطي، المخزومي، ابن حجر، المالكي، السبكي، الأنصاري، السعد، اليوسي، الأشعري، الحاكم، الأيجي، التفتازاني، المحلي، الآمدي، ابن الهمام (1).

(4) «فيصل التفرقة» للغزالي (4)، «شرح المواقف» للجرجاني، «الروضة» للنووي (2)، «تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي «للأسيوطي»، «تحرير المطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب» للمالكي، «أسنى المطالب» للأنصاري، «شرح المقاصد» للسعد، «حواشي الكبري» لليوسي»، «مقالات الإسلاميين» للأشعري، «المختصر من كتاب المنتقى» للحاكم، «شرح المواقف» للإيجي، «التلويح» للإيجي، «القشيرية»، «المنقذ من الضلال»، «الإحياء» للغزالي، «شرح المنهاج» لابن دقيق العيد.

يدافع الصوفية عن الفقهاء واستنباط الأحكام نظراً لتغير الزمان وتجدد الوقائع[1].

14 ـ «القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول» لأحمد المستغانمي (1353هـ)[2]:

وهو في علم الكلام الصوفي كما يبدو ذلك من سبب التأليف[3]. لذلك جاءت العقائد شعورية على ثلاثة أقسام. الأول فيما يجب على المكلف الشعور به وهو التوحيد، والثاني فيما يجب التسليم به وهي الأخرويات. والثالث فيما يجب الإيمان به وهي النبوات. والإيمان اعتقاد وإقرار. ومع ذلك يقوم على بعض الأدلة النقلية من القرآن والحديث دون أقوال الصوفية[4].

15 ـ «تبرئة الذمة في نصح الأمة» لجامعه محمد عثمان عبده البرهاني[5]:

وهو نموذج التأليف الذي يقوم على النقل من السابقين دون فكر نظري أو إبداع فكري. وهو ما يعترف به صاحبه بأنه جامع وليس مؤلفاً. وبالرغم من إمكانية تفسير العنوان في أكثر من اتجاه عملي لأنه ينصح الأمة أو أخلاقي لأنه يبرئ الذمة إلا أن موضوعه الرئيسي هو ما سماه الصوفية «الحقيقة المحمدية» أي أنه موضوع نظري منذ ذي النون حتى ابن عربي. وله عنوان فرعي «تذكرة أولي الألباب للسير إلى الصواب». ويدل على اتجاه عملي مغلق. فهناك طريق واحد هو الصواب ودونه خطأ مما ينفي التعددية الفكرية أي الأيديولوجية العملية أي السياسة. صاحبه مؤسس الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية أي إنه شيخ طريقة[6].

---

(1) «ومن هذا ارتكب الأئمة الاستنباط. فألحقوا ما حدث بما لم يحدث، وإلا فسائر جزئيات العبادة المنصوص عن الفقهاء اليوم بالضرورة لم تكن موجودة في زمن (الرسول) ولم تقع. ولو وقعت ونص عليها ما وجدنا لمن يتصرف اسمه الاجتهاد لأن ليس ثمة ما تستفرغ فيه الطاقة والجهد حتى يقال لمن قام به: مجتهد لأنك فرضت أن جزئيات العبادات وغيرها وقع الإفتاء في جملها وتفصيلها في زمنه..»، السابق ص89.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (4) ص147-156.

(3) «قد سألني بعد المحبين أن نذكر له نبذة من عقائد الدين بكيفية يسهل تناولها للمبتدئين بدون احتياج لفهم اصطلاح المناطقة في ترتيب المقدمات ونتائج البراهين»، السابق ص147.

(4) الآيات (20)، الأحاديث (1).

(5) مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د.ت).

(6) قابلته في الخرطوم عام 1976 لأتعرف على الطريقة في السودان وإمكانية تحويلها إلى حزب ثوري، ورأيته يبصق على الأرض، ويأخذ المريدون بصاقه ليدهنون به ساقيه فأحجمت.

وينقسم إلى أربعة أجزاء وكل منها له عنوان طويل. الأول فضل النبي وأسبقية نوره، وبيان أن كل الديانات مستمدة منه وخصائصه. وهي الحقيقة المحمدية وجوداً ومعرفة ووحياً، ولزوم محبته وشفقته إلى أمته، ونزول جبريل عليه بالقرآن والهداية، وحديث عن الخضر وإلياس، وخاتم الأنبياء، وعموم نبوته للخلق، لم يصل أحد إلى قربه من العرش مثله، وقدسية روحه وكماله المعنوي، ووفاته الشريفة. وهو ولي الأولياء ورئيس المقربين والعارفين والزاهدين والمؤمنين العاملين قدوة للناس، وشفاعته لهم. والثاني قصة الإسراء والمعراج وإثبات رؤى النبي للمولى وما جاء في كتاب جواهر البحار وهو التفسير الحسي الجسمي المكاني للإسراء والمعراج مع الاعتماد على المصادر المدونة وإثباتها بالجسم والمكان والحركة، والرد على من جعلها بالروح، معجزة له مثل كرامة الولي. والثالث جواهر جلال الدين السيوطي ومحيي الدين بن عربي أي مجرد نقل عن القدماء دون موضوع محدد مع أن المضمون في ما بلغ عنه الرسول من شريعة وشفاعته واختصاصه بإعجاز القرآن، ودعوة الناس كافة، وبقسم الله بحياته وعدم سؤاله في القبر، وتحريم نكاح أزواجه، والجمع بين الشريعة والحقيقة، والرؤية الصادقة، والكلام بغير واسطة، والجمع بن النبوة والسلطة، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وطاعته، ووصفه في القرآن، وتفضيله بناته وزوجاته وأصحابه، والصلوات، والعمامة والائتزار. وذكره في التوراة والزبور، وبقاء أمته، ومقامه المحمود، وشفاعته، وولائه للمؤمنين، وأول من يجتاز الصراط، ويدخل الجنة. يشاور ويقابل ويزكي ويحلل ويحرم. ويقبّل وهو صائم، ويلعن. معصوم من الذنوب. . .الخ. والرابع مراتب الدين والسير إلى الله، وفيه مراتب الغيب وأسرار الفتنة الكبرى، والوسيلة والتوسل والتبرك بآثار الصالحين، والشفاعة مرة أخرى. فالرسول هو الطريق إلى الله. والنظر بنوره والتوسل به والسير إلى الله عن طريقه. وهو سابق لآدم ويعقوب ويوسف. ويتلوه الحسين وزين العابدين والخلفاء وبلال وأبي سفيان. ويدعم مكانة الشيخ إبراهيم القرشي الدسوقي. وأكبرها الثالث[1].

والدافع الرئيسي على التأليف ليس فقط بسبب نجاح وذيوع الكتاب الأول

(1) الأول (78ص)، الثاني (62)، الثالث (112)، الرابع (59).

«انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان» للمؤلف نفسه على منوال كتاب ابن تيمية الشهير ضد الصوفية «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» للرد على العقائد الفاسدة بل بسبب تغير معالم الدين بسبب نقص المعرفة والإرشاد وتصنيف الأحاديث وتأويل الآيات حسب الأهواء، والانتقاص من قدر الرسول، واستحالة وجود نبي أو ولي أو إمام بعد الرسول، والحكم عليه بأنه كان جاهلا قبل أن يأتيه الوحي وهو ما لاحظه أيضاً المريدون[1].

ويعتمد على الأدلة النقلية إلى الحد الأقصى وبالمئات من الآيات والأحاديث والأشعار. كل منها بالمئات بحيث لا تكاد تخلو صفحة واحدة من آية أو حديث أو بيت شعر. كما يعتمد على مصادر مدونة لتقي الدين السبكي وعبد الكريم الجيلي ومصطفى البكري وابن أبي الدنيا في «كتاب الأولياء»، والحكيم الترمذي في «نوادر الوصول» وأبي محمد الخلال في كتاب «كرامات الأولياء». كما يقتبس من كلام البسطامي والغزالي. ويستمد الجزء الثالث كله من جواهر جلال الدين السيوطي وجواهر ابن عربي فيما يتعلق باختصاصات النبي. أما الجزء الرابع فإنه يستند إلى تفسير الفاتحة للإمام الحسين ورسالة «مرآة العارفين» للإمام زين العابدين و«خطبة الكوفة» لعلي بن أبي طالب، كما يعتمد على آثار الأنبياء مثل إبراهيم ويوسف والصحابة والصالحين، ويعترف المؤلف في المقدمة بأنه اعتمد على مصادر مكتوبة[2].

16 ـ رسائل الخالدي:

أ ـ «البراهين القطعية في أن الصوفية هم الجامعون للتربية النبوية والمتحركون بالنسبة المحمدية»[3]: وهو دفاع من الصوفية باعتبارهم الفرقة الناجية كرد فعل على

(1) تبرئة الذمة ص3-4.

(2) «وقد. رجعنا فيما كتبنا لكتب السادة الأعلام سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي محيي الدين بن عربي، والشيخ النابلسي، والشيخ عبد الكريم الجيلي، والشيخ جلال الدين السيوطي، والشيخ جلال الدين المحلي، والشيخ ابن حجر العسقلاني، والإمام الذهبي، والشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ المقريزي، والشيخ أبي طالب المكي، والشيخ الطوسي ابن نديم، وكتاب جنة الخلد للشيخ عبد الرازق المحدث، وكتاب نفح الطيب لابن تيمية (وهو ليس لابن تيمية)»، السابق ص4.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م، (2) ص27-46.

الهجوم عليهم. وتقوم أيضاً على الاقتباسات والمنقولات من البداية إلى النهاية[1]. والموضوع مكرر من الرسالة السابقة[2]. وهو سبب التأليف، إثبات اتفاق الصوفية مع السنة وأنه لا فرق بين الصوفية والفقهاء. فالفقهاء صوفية، والصوفية فقهاء[3]. الغاية النصح[4]. ويتضمن أربعة موضوعات تحكمه منذ البداية: الأول نظرة عن التصوف والصوفية كما تفعل الدراسات الثانوية. والثاني التصوف فرض عين وبه يتحقق مقام الإحسان وهو ما يخرج عن حكم الفقهاء، أنه فرض كفاية. والثالث الصوفية هم الوارثون للأخلاق النبوية وبالتالي هم الفرقة الناجية. والرابع الصوفية هم خلفاء الله في البرية. يتصرفون في الكون بهمتهم العالية. ويعتمد على الأشعار ثم الآيات ثم الأحاديث[5]. كما يقتبس أقوالاً من ابن عجيبة ثم الشاذلي ثم الجنيد ثم الحسن البصري والحريري والكلاباذي وزروق والغزالي والبوصيري والجيلاني من القدماء، والبوزيدي وأبو مدين والوزاني من المحدثين[6]. ومن الفقهاء العز بن

(1) «المقتطفات من ابن عجيبة والكلاباذي وحديث ضعيف «الشريعة مقالي، والطريقة فعالي والحقيقة مالي»، السابق ص5، ونص الكلاباذي من «التعرف». والصوفية هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم. فنالوا علم الوراثة. وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة. ثبتت أقدامهم، وزكت أفهامهم، وأنارت أعمالهم، فهموا عن الله وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله. خرقت الحجب أنوارهم. وجالت حول العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون. وفي الأرض سماويون»، السابق ص25.

(2) «فإن التمسك بالسنة المحمدية أساس السعادة في الحياة الدنيوية والأخروية والسنة النبوية أفعاله وأقواله وأخلاقه. فمن اتبع أفعاله أو أقواله أو أخلاقه فقير تابع لسنته، ولا يهتد بهديه. فالذي يدعي أنه نبي ولا يعمل إلا بأقوال النبي أو أفعاله أو أخلاقه فليس بنبي. والنبي الحقيقي هو من جمع بين أفعاله وأقواله وأخلاقه. وما جمعها إلا الصوفية. فالذي نسب السنة لنفسه والبدعة لغيره فمن يعمل ببعض أفعاله وأقواله فحجته باطله. ولرفع هذه الإشكالية ألفت هذا الكتاب الصغير الحجم»، السابق ص27.

(3) «وما أريد من هذا التأليف وهذا التوضيح إلا النصح»، السابق ص46.

(4) السابق ص27.

(5) الأشعار (50)، الآيات (11)، الأحاديث (5)، القدسية (1).

(6) ابن عجيبة (8)، الشاذلي (5)، الجنيد، الحسن البصري، سهيل، ابن عربي، ابن عطاء الله (4)، الشبلي، الحريري، الكلاباذي، زروق، الغزالي، البوصيري، الجيلاني (1)، ومن المحدثين البوزيدي، أبومدين، الوزاني (2)، العز بن عبد السلام (1).

عبد السلام، ويحيل إلى بعض مؤلفاته الأخرى ومؤلفات الصوفية الآخرين[1].

ب ـ «برهان العيان بأن التصوف في الإسلام كالقلب في الأجسام»[2]: وهو تأليف الهدف منه الدفاع عن التصوف ضد منتقديه، وبيان أنه لب الجسم كما يدل العنوان. ولا يوجد سبب خاص للتأليف إلا التأليف ممن «زاده الله في المدد آمين»[3]. ويعلن المؤلف عن أبوابه الثلاثة في المقدمة: الأول «في الأعلام» وما قالوه في التصوف من كلام، والثاني «في التصوف وذكر رجاله». والثالث «في السلوك العام والنصح الذي هو نهاية الحرام»[4]. وكلها منقولات عن آخرين أسوة بالتأليف المتأخر الذي هو أقرب إلى الدراسات الثانوية. وتنتهي الاقتباسات بلفظ «انتهى»[5]. وهو موجه إلى القارئ. ويعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن[6]. ومن الصوفية يذكر الجنيد من القدماء ثم ابن عجيبة من المحدثين ثم الشاذلي من القدماء والقشيري والتستري، وابن عطاء الله، ثم الحسن البصري والسبكي، والبسطامي، وأبو العباس المرسي، وزروق وعبد الرحمن المجذوب[7]. ومن الفقهاء أحمد والسبكي وابن سريج ثم مالك والشافعي والشيرازي والعز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد. ومن المتكلمين إمام الحرمين[8]. ومن المذاهب الفقهية

(1) من مؤلفاته «قبسات الأنوار في شرح طريق الصوفية الأخيار». ومن الأعمال الصوفية «الإحياء»، و «الحكم العطائية»، «التنوير في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله، «معراج التشوف» لابن عجيبة.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (1) ص7-24.

(3) المؤلف ينتمي إلى مدرسة ابن عجيبة بالعرائش في المغرب. وله أيضاً: الأقباس النورانية في تعبير الرؤي الحسية والذوقية، ورسالتان عن ابن عجيبة: «قطرات جبرونية متعاقبة على الشيخ سيدي عبد القادر بن عجيبة»، «الكرامات الربانية على الشيخ سيدي عبد القادر بن عجيبة»، السابق ص4.

(4) السابق، ص4.

(5) انتهى (4).

(6) الأشعار (20)، الأحاديث (11)، الآيات (10).

(7) الجنيد (4)، ابن عجيبة، الشاذلي (3)، القشيري، التستري، ابن عطاء الله (2)، الحسن البصري، الشبلي، البسطامي، عبد الرحمن المجذوب، أبو العباس المرسي، زروق (1).

(8) أحمد، ابن سريج، السبكي (2) مالك، الشافعي، الشيرازي، العز بن عبد السلام، ابن دقيق العيد (1)، ومن المتكلمين إمام الحرمين (1)، الشافعية (2).

الشافعية. ومن المصادر «لطائف المنن» لابن عطاء[1]. ولا يوجد فقيه إلا وأخذ علمه من الصوفية[2].

حـ ـ «الكنز الثمين في كشف أسرار الدين»[3]: وهو وضع للتصوف مع باقي العلوم مثل القرآن والسنة والفقه والكلام. ويضم خمسة أبواب. الأول أسرار العبادات أي الفقه الباطني[4]. والثاني التصوف وهو من أسرار الدين ولب كلام رب العالمين وروح العلم واليقين[5]. والثالث القرآن وعلومه[6]. والرابع السيرة وأدعية الرسول[7]. والخامس الفرقة الناجية[8]. والمؤلف على وعي بالتبويب الخماسي في المقدمة[9]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[10]. لذلك تغلب الأدلة النقلية، وتغيب الأدلة العقلية. ويُشرح القرآن بالحديث. ويذكر العديد من الصوفية يتقدمهم ابن عجيبة ثم الشعراني ثم علي الخواص وزروق ثم القشيري وغيرهم[11]. ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «الحكم» و«لطائف المنن»

---

(1) لطائف المنن (1).

(2) «وإن غالب من يشار إليه من علماء الظاهر بوفرة العلم وإتقانه إنما نال بمخالطة بعض العارفين بالله، كابن سريج بمخالطة الجنيد، وعز الدين بن عبد السلام بمخالطة أبي الحسن الشاذلي، والتقي ابن دقيق العيد بمخالطة أبي العباس المرسي» (نقلاً عن ابن الحاج)، السابق ص13.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2004م -1425هـ (1) ص5-158.

(4) مثل أسرار الشهادتين والطهارة والوضوء والغسل والتيمم، والأذان والصلاة والزكاة والصيام، والحج، وزيارة قبر النبي، والزكاة والجهاد والنكاح والبيع والإجازة، السابق ص11-34.

(5) ويتضمن «أسرار علم الطريقة» و«منازل السائرين» و«أسرار علم الحقيقة»، و«دوائر الحضرة»، و«الأولياء وعلامات الغوث»، السابق ص35-68.

(6) مثل: الظاهر والباطن، والحروف والإشارات والرموز، والمحكم والمتشابه، والتفسير والقدر، وسر الشفاء بالقرآن، السابق ص69-98.

(7) مثل: نور محمد والصلوات والأحزاب والأدعية لتفريج الهم، السابق ص99-138.

(8) وتشمل: وسوسة الشيطان، والعهود المحمدية الخمسة، السابق ص139-158.

(9) السابق ص5-7.

(10) الآيات (130)، الأحاديث (85)، القدسية (1)، الأشعار (40).

(11) ابن عجيبة (15)، الشعراني (6)، علي الخواص، زروق (3)، الشاذلي (2)، جعفر الصادق، السهروردي، الجنيد، معروف الكرخي، الجزولي (1). ومن الفقهاء الشافعي ومالك والعز بن عبد السلام، ومن الفلاسفة الرازي. ومن المفسرين الواقدي.

و«شرح العقائد النفسية» للتفتازاني و«حسن المحاضرة» للنبهاني. والكتاب كله يقوم على التجميع والاقتباسات بعلامة «انتهى» مثل الكتب الجامعية المقررة ومصنفات مشايخ الصوفية لتعليم المريدين. يخلو من الإبداع. ويساهم في تجميد التصوف وتحنيطه بالرغم من مخاطبة القارئ. الصوفية هم الفرقة الناجية مع تكفير الفرق الضالة[1]. والمؤلف هو الأستاذ الصوفي. وهو صاحب كرامات. يرى الرسول في المنام مما يعطي المدرسة السلفية القديمة والحديثة الحق في رفض التصوف والصوفية وعقائدهم في الحقيقة المحمدية. ولا يشفع لذلك استعمال المعلومات الطبية الحديثة[2].

17 ـ «التصوف الشرعي الذي يجهله كثير من مدعيه ومنتقديه» لسيد نور بن سيد علي[3]:

وهي دراسة حديثة دفاعاً عن التصوف الشرعي ضد مدعيه من الصوفية المزيفة ومنتقديه القدماء والمحدثين الصوفيين الشرعيين والإصلاحيين. فالتصوف الشرعي يسد الفراغ الروحي عند الأفراد والجماعات[4]. فقد نشأ التصوف كرد فعل روحي على الحياة الدنيوية التي اتجه إليها الناس. اتهم بإسقاط التكاليف والتدبير بالرغم من دوره في نشر الدعوة الإسلامية خاصة في أفريقيا وآسيا وجهاده ضد المستعمرين كالسنوية والمهدية، ورد شبهة دعوة الصوفية للإفرنج لغزو القدس. التصوف طريق إلى الله بعون المرشد. شنع عليهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وهم منها براء. الصوفية هم الفرق الناجية.

يعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[5]. ومن الصوفية يذكر الجنيد ثم السهروردي والجيلاني، ثم السري السقطي، والشبلي، ثم القشيري، ثم البسطامي، وعمر المكي، ثم الحسن البصري وإبراهيم بن أدهم والسلمي

(1) الكنز الثمين ص140-145.
(2) السابق ص16.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1421هـ.
(4) ويستعرض آراء ابن تيمية وابن خلدون والرازي والشاطبي وابن القيم والسهروردي والجنيد من القدماء، والشاذلي ومحمد بن عبد الوهاب والندوي والعقاد وبدوي وإقبال والشرباصي، وشكيب أرسلان والسيد أحمد بالهند، ومحمود قاسم من المحدثين.
(5) الآيات (12)، الأحاديث (7).

وغيرهم. ومن الفقهاء ابن تيمية وابن القيم ثم التهانوي، ثم الشاطبي، ثم محمد ابن عبد الوهاب، ثم رشيد رضا، ثم الفقهاء الأربعة، وغيرهم. ومن الصحابة عثمان[1]. ويحال إلى بعض المصادر الصوفية المتأخرة[2]. ومن الفرق يذكر الصوفية أولا[3].

ثالثاً: العودة إلى العلوم النقلية

ويبدو أن التصوف حماية لنفسه ودفاعاً عن شرعيته احتمى بالعلوم النقلية الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. والتي لا يشك في شرعيتها أحد. في حين أن الكلام والفلسفة موضوعات شك. والكلام شرعاً هو «المضنون به على غير أهله» و «إلجام العوام عن علم الكلام». والفلسفة شرعاً هي «ترجيح أساليب القرآن على منطق اليونان».

وعلوم القرآن والتفسير صغيرة الحجم لأنها أدخل في الوعي النظري على علوم التفسير والتأويل. وعلوم الكلام والفقه أوسع قليلاً خاصة الفقه لأن التصوف قد عاد من قبل إلى علم الكلام للاحتماء بالعقيدة. والعودة إلى الفقه لأن الفقه هو الشريعة. ولا تعارض بين الحقيقة والشريعة والطريقة. ثم يعود التصوف إلى الفقه والأخلاق. فالتصوف أخلاق الفقه أو فقه الأخلاق، أسرار العبادات، وآداب المعاملات. الفقه هو الظاهر والأخلاق هو الباطن.

---

(1) الجنيد (20)، جابر الجزائري (8)، السهروردي، الجيلاني (5)، السري السقطي، الشبلي (4)، الثوري، القشيري (3)، شقيق البلخي، البسطامي، عمرو بن عثمان المكي (2)، الحسن البصري، عبد الواحد بن يزيد، إبراهيم بن أدهم، حاتم الأصم، نقشبند، الجشطي، السلمي، الحريري، الداراني، الفضل البلخي، ومن المحدثين: محمود قاسم (8)، النوري (5)، بدوي (3)، العقاد، الشرباصي، شكيب أرسلان، محمود صبحي (2)، أبو زهرة، عبد الحليم محمود، الدهلوي، عبد القادر عيسى، عبد الله بدران، صالح العثيمين (1)، ومن المستشرقين ماسينيون. ومن الفقهاء ابن تيمية (27)، ابن القيم (11)، التهانوي (9)، الشاطبي (8)، محمد بن عبد الوهاب (3)، رشيد رضا (2)، ابن رجب (2)، مالك، أبو حنيفة، أحمد بن حنبل، الاسفراييني، البقاعي.

(2) مثل الصوفية والفقراء لابن تيمية، مدارج السالكين لابن القيم، الفتوحات، طبقات الشعراني، جامع النبهاني، عوارف المعارف، شرح منازل السائرين.

(3) الصوفية (14)، الزنادقة، الحقيقة، القادرية، السنوسية، الشاذلية، الدرقاوية، الحكمة اليونانية، العلويون المصريون، اليهود، لورانس العرب اليهودي.

1 ـ علوم القرآن والتفسير:

أ ـ «خلاصة علوم الإسلام» للشعراني (973هـ)[1]: وهو اعتراف بالعودة إلى العلوم النقلية مع الخلط بينها وبين العلوم العقلية النقلية. فالعلوم المذكورة بصرف النظر عن الترتيب، القرآن والتفسير، والفقه دون الحديث ودون السيرة، مع وضع أصول الدين وأصول الفقه والتصوف معها في حين أنهما من العلوم النقلية العقلية، وإضافة علوم اللغة والتصوف مثل النحو والمعاني والبيان، وهي من علوم الآلات مثل المنطق.

وسبب التأليف هو قصر همة الناس عن حفظ متون الكتب، وقد نشأ التصوف ضد العلم المحفوظ. فالرسالة نموذج لتذويب العلوم حتى يحفظها الناس دون ممارستها أو البحث عن علوم أخرى مثل العلوم اللدنية[2]. أما من حيث الترتيب فعلوم القرآن تسبق علوم التفسير وليس العكس، والحديث والسيرة الغائبان يأتيان قبل الفقه. وعلم أصول الدين كعلم نقلي يسبق علم أصول الفقه. كما تسبق علوم الحكمة علوم التصوف، وتأتي علوم اللغة في البداية كآلة للعلم مثل المنطق. وتخلو من أية رؤية على عكس «أحصار العلوم» للفارابي أو «فسحة العلوم» لابن سينا[3]. وتعتمد الخلاصة على القرآن والحديث والشعر[4]. ويحيل إلى كتاب «الاقتباس في معرفة أحكام القياس»[5].

ب ـ «المواقف الروحية والفيوضات السبوحية» للأمير عبد القادر الجزائري (1300هـ)[6]: وهي مجموعة من ثلاثمائة واثنين وسبعين موقفاً. تختلف فيما بينها

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م (2) ص64-80.

(2) «فلما رأيت الناس قد قصرت همتهم عن حفظ متون الكتب عن ظهر قلب، وقلَّ انتفاعهم بما يتورطون في مطالعته من الشروح والكتب المطولة بالفروع العاطلة التي لا يسأل أحد عنها إلا في النادر، ولا يعملون بها، استخرت الله تعالى في ذكر زبد تلك العلوم لجماعة إخواننا المتعبدين، وأهل الحرف النافعة من المؤمنين، تقريباً للطريق عليهم لعدم تفرغهم للاشتغال كما يشتغل طلبة العلم من الفقهاء»، السابق ص64.

(3) من النقل إلى الإبداع مجـ3 الإبداع حـ1 نشأة الحكمة، فصل 3 تصنيف العلة.

(4) الآيات (8)، الحديث (4)، الشعر (1).

(5) خلاصة علوم الإسلام ص71-72.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (جزءان).

بين القصر والطول[1]. وهي أشبه ببعض أعمال التوحيدي في «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة» وفي الأدب الشعبي «ليالي ألف ليلة وليلة». وهو نفس عنوان الإيجي والنفري[2].

وتعني المواقف اختيار بعض الآيات القرآنية وتفسيرها وليست المواقف الاجتماعية والسياسية الغالبة على زعماء الإصلاح والمجاهدين مثل الأمير. المواقف عود إلى علم التفسير الذي كان أحد مصادر التصوف في نشأته الولي[3]. فالعنوان غير المضمون، العنوان «مواقف» والمضمون تفسير نص. العنوان موضوع، والمضمون تفسير. والعودة إلى العلوم النقلية في التفسير والحديث والفقه. رد فعل على اتهام التصوف بالكفر والإلحاد على يد الفقهاء والخروج على العقائد الشرعية. وبعض المواقف تبدأ بالأحاديث النبوية. وقد تبدأ بعض المواقف بالشعر[4]. وتبدأ مواقف أخرى بأقوال بعض الصوفية وهي الأقل من الشاذلي أو من نص طويل لابن عربي[5]. ونادرا ما تخلو بعض المواقف من أي نص تبدأ منه. والخاتمة مجرد دعاء[6].

لذلك يصعب إعادة تصنيف المواقف طبقا لمضمونها لأنها بلا مضمون. وهو تفسير نازل مستنبط من النص كما هو الحال في التفسير التقليدي وليس تفسيرا صاعدا مستقرى من الواقع كما هو الحال في التفسير الإصلاحي الحديث. ويتم شرح الآية بالآية، والقرآن بالقرآن. كما يتم شرح الآية بالحديث. وهو ما يخالف صلة الأصل، وهو القرآن، بالفرع، وهو الحديث. وقد تأتي مادة التفسير

(1) أكبرها الموقف 48 (43).

(2) أكبرها الموقف 358 (65)، ثم الموقف 48 (43)، ثم الموقف 366 (39)، ثم الموقف 297 (37)، ثم الموقف 355 (29)، ثم الموقف372/ 346 (18)، ثم الموقف 367 (14)، ثم الموقف 277 (12)، ثم الموقف 292 (29)، ثم الموقف 291/ 369/ 370 (8)، ثم الموقف 226 / 368 (6)، ثم الموقف 239 / 242 (5)، ثم الموقف 109 / 237 / 208 (4)، ثم الموقف1/ 51/ 195/ 98/ 102/ 108/ 109/ 126/ 128/ 134/ 142/ 153/ 158/ 175/ 205/ 209/ 231/ 244 (3)، والباقي أكثرها صفحتان، وأقله صفحة واحدة.

(3) السابق جـ2/ 290.

(4) المواقف 25/ 110 مثل قول الشعراني جـ2/ 291/ 345، ابن عربي جـ2/ 366.

(5) المواقف 6/ 7/ 17/ 29/ 30.

(6) السابق جـ2/ 585-589.

من أقوال الصوفية. ولا تأتي مطلقاً من الواقع الاجتماعي السياسي أو من التجارب الشخصية. ولماذا اختيار هذه الآيات بعينها دون غيرها؟ هل يكفي أن المؤلف تلميذ ابن عربي، يقتفي أثره؟ فقد وضع ابن عربي الآيات موضوعاً لأبوابه وفصوله في «الفتوحات». والمؤلف أيضاً يعتمد على شرح «الفصوص». وقد تتوالى الآيات بعضها وراء بعض في دفعة واحدة[1]. وإذا بدأ الموقف من الحديث فإنه يتم شرحه بحديث آخر من نفس الدرجة. وقد يتم شرحه بآية قرآنية قلبا لعلاقة الأصل بالفرع. فالقرآن يشرح الحديث، ولا يشرح الحديث القرآن على مستوى النظر وإن أعطى تفصيلات على مستوى العمل.

وقد يكون الشرح بالشعر، فالمؤلف شاعر وأديب[2]. وقد تتوالى القصائد والأشعار تباعاً[3]. ويبدأ الكتاب بقصيدة وينتهي بقصيدة مما يكشف عن الصلة بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[4]. وقد يعتمد الشرح على بعض الأمثال العامية، كمادة للشرح[5]. وقد تدخل الإسرائيليات كمادة للشرح، وهي ثقافة العرب اليهودية والنصرانية عبر التاريخ[6]. وقد يكون الشرح اعتماداً على بعض أقوال الصوفية مع اقتباسات منهم تنتهي بلفظ «انتهى»[7]. ويأتي في المقدمة ابن عربي ثم الشاذلي، ثم الحلاج والجنيد، ثم ذو النون والجيلي والخراز وأبو نعيم[8]. ويطغى حضور ابن عربي بإطلاق لفظ «سيدنا» عليه أو الشيخ أو الإمام سيدنا ومولانا، وسيدنا الشيخ الأكبر، وسيدنا سيد العارفين قاطبة. وقد يحال إلى بعض أعمال الصوفية الرئيسية مثل «الفصوص» لابن عربي و«الحكم» لابن عطاء الله[9].

(1) المواقف الروحية حـ1/ 255، حـ2/ 42-43.
(2) الآيات (1750)، الأحاديث (250)، الأشعار (200)، القدسية (8).
(3) المواقف الروحية ص30-41.
(4) السابق حـ1 30-41، حـ2/ 522-531، المثل السائر حـ2/ 431.
(5) السابق حـ1/ 48.
(6) السابق حـ1/ 141/ 149، حـ2/ 427.
(7) السابق حـ1/ 466.
(8) ابن عربي (9)، الجيلي (6)، الشاذلي (3)، الحلاج، الخراز (2)، ذو النون، الغزالي، أبو نعيم الأصفهاني (1)، ومن المتكلمين إمام الحرمين في كتابه البرهان (1)، أرسلان الدمشقي، أبو مدين القطب عبد السلام مشيش (1)، ومن الفقهاء الشافعي، وأحمد (1).
(9) ذكر حوالي 141 مرة، حـ2/ 489/ 436.

وبالرغم من الطابع الروحي العملي الأخلاقي للمواقف إلا أن بعضها ظل أسير الموضوعات النظرية في التصوف الفلسفي مثل نظرية الفيض، والأفلاك، والعناصر الأربعة مع الإشارة إلى بعض المذاهب الفلسفية والفرق القديمة مثل السوفسطائية والمذهب الحسي[1]. وكلها خارج ثقافة العصر[2].

ومع ذلك لم تستطع «المواقف» تحويل الآيات إلى تصورات والنصوص إلى مفاهيم مما يدل على انهيار التصوف النظري تماماً. وتبدو القسمة أحياناً بين السطور من بقايا التحليل العقلي[3]. وتبرز الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل بين الحين والآخر تشبهاً بابن عربي، وموضوع الرؤية، والنبي هو الحكيم الأكبر. ويتم شرح الآية بمظهرية الإنسان وسؤال الوجود[4].

والمواقف أسلوب تتخلله بعض ألفاظ التنبيه[5]. وقد تكون عبارات كاملة مع مجموعة[6]. وقد ينقسم الموقف إلى مجموعة من الفصول منها موضوع[7]. ويخاطب القارئ[8]. فقد كانت المواقف دروساً شفاهية في حلقات صوفية قبل أن

---

(1) المواقف الروحية حـ1/ 166-168/ 183/ 248.

(2) خاصة الموقف حـ12481.

(3) السابق حـ2/ 443-445.

(4) السابق حـ 2 / 503-523.

(5) مثل: وصل، نقض وصل، فصل بل وصل، تنبيه، فائدة،فائدة نفسية، تتمة، تكميل، تدقيق، تحقيق، تبصرة، تذييل، مطالب، لطيفة، خاتمة، الأشكال، المواقف الروحية حـ1/ 371-376/ 450414/ 471-473/ 479-480/ 488-492/ 499-501/ 508-509/ 511-514/ 585، حـ2/ 160-183/ 367-422/ 437-474/ 478-488/ 491-494

(6) مثل كشرط طلسم وإيضاح مهم، إفصاح وإيضاح، حل مشكل وفتح مقفل، وطاء وكشف غطاء، إفشاء سر وهتك ستر، إقامة جدار لإخراج كنوز وأسرار، تمهيد أوائل لإيجاد صورة الإنسان الكامل، إشارة لأهل البشارة، مثال لمن ليس له مثال، إنك رمز وفتح كنز، السابق حـ1/ 465-470/ 474-478/ 481-485/ 493-494/ 510/ 576-584.

(7) فصل في الكرسي وهو العرش الكريم، فصل في الفلك الأطلسي، فصل في فلك الثوابت، وفصول أخرى في الأرض والماء والهواء وركن النار وخلق السموات، وأسماء الدنيا والسموات من الثانية حتى السابعة، وفصول في المعدن من المولدات الأربعة، وفي النبات والحيوان والجان، والمرتبة السادسة مع باب في الاستحالات، السابق حـ1 486-487/ 527-532/ 540-572.

(8) السابق حـ2 / 109/ 219.

يطلب المريدون تدوينها. لذلك تظهر عبارات مثل «سألني بعض الأخوان»، «اعلم يا أخي»[1]. وتأتي عبارات أخرى شبيهة بعبارات «فصوص الحكم» مثل «حكمة قلبية في كلمة شعيبية»، «فص حكمة إلهية في كلمة آدمية»[2]. كما يُحال إلى عنقاء مغرب[3].

والسؤال هو «لماذا لم تتحول المواقف عند المجاهد الكبير إلى مواقف نضالية وظلت مواقف «روحية»، مستمدة من الواقع السياسي الاجتماعي، وظلت فيوضات سبوحية»؟ هل هو غرور القائد الذي يريد أن يبين طاقته الروحية، بالإضافة إلى حكمته السياسية ونضاله الوطني؟ هل التصوف مجرد طاقة روحية وراء النضال السياسي؟. وهي نفس المشكلة في الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران وسندها الروحي عند مللا صدرا[4]. وإذا كان لابد من إتباع مناهج المفسرين، البداية بالنص، فلماذا لم يختر آيات الجهاد والمقاومة والاستعداد للعدو والقتال؟ فهو دين بلا سياسة كرد فعل على سياسة بلا دين، مع أن التصوف رد فعل على السياسة كما أن السياسة رد فعل على الدين. وهو حال كثير من الطرق الصوفية الجهادية كالمهدية في السودان، والسنوسية في ليبيا. وقد انتسب الأمير إلى الشاذلية، واستقر في القادرية. جهادها العملي لا تسنده أصول نظرية ثورية، و«من الفناء إلى البقاء» يكمل هذا النقص لجعل التصوف إيديولوجية ثورية لمشروع ثوري يتجاوز نقص الثورة الإسلامية في إيران، ثورة في العمل وتصوف في النظر.

2 ـ علم الكلام والفقه:

أ ـ رسائل أحمد الخلوتي (1017هـ):

1 ـ **«رسالة في الأرواح»**[5]: وموضوعه علم الكلام الصوفي مع التركيز على أمور المعاد، الجنة، والنار، والأنفس، والأرواح، والحلال، والحق. ومن هنا

---

(1) السابق حـ2/ 425.

(2) السابق ص425.

(3) السابق ص477.

(4) انظر دراستنا: من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية، حصار الزمن حـ3 (علوم) 697-716.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (2) ص221-256.

تأتي ضرورة التأويل للذهاب من الظاهر إلى الباطن. تعتمد على الأدلة النقلية وحدها، القرآن والحديث، دون الشعر وأقوال الصوفية[1].

2 ـ **«الأرواح»**[2]: وبالرغم من التمايز بين الرسالتين إلا أنهما يمثلان وحدة واحدة تجمع بين الكلام والفقه. والأرواح لفظ جديد لا يعني أرواح الأبدان بل أرواح الأشياء أي بواطن الأمور. وهو ما سماه الصوفية من قبل أسرار العبادات وآدابها. الروح الفرقاني هو الشيء الباطني. الروح المحمدي هو الظاهر والروح الأحمدي هو الباطن. فالروح هو الباطن. روح الوحي وروح الشريعة وروح الكلام. هو لفظ عام للغاية. يعني أن كل شيء له روح. موضوعات التصوف مثل الاستغفار والتسبيح والحمد والأذكار والتفكر لها أرواح. والعبادات مثل الوضوء والغسل، والحدث والسواك والأذان والصلاة والمساجد والصيام والزكاة والصدقات والحج لها أرواح. والمعاملات مثل الربا والرصيد والعقد والتفليس والشركة والوكالة والعارية والقرض والوديعة والركاز والنفقات لها أرواح. والكائنات الحية كالملائكة والشياطين، والحيوان والسباع والحشرات لها أرواح. والحدود مثل القذف والزنا والنكاح والطلاق والنصاب وقطع الطريق لها أرواح. كل شيء له وصف وروح، ولفظ ومعنى. ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث[3]. ولا يعتمد على الشعر ولا على أقوال الصوفية. يكفي الآية والتجربة المباشرة. ومن الأعلام يظهر السبكي.

ب ـ «تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب» لمحمد أمين الكردي الأردلي (1332هـ)[4]: وهو كتاب يجمع بين العقيدة والفقه والتصوف أيضاً. العقيدة دفاعاً عن التصوف كنظرية في التوحيد، وعن الصوفية باعتبار أن عقائدهم هي عقائد أهل السلف، والفقه والتصوف لإعلان التمسك بالظاهر قدر تمسكهم بالباطن. والشريعة مثل الحقيقة. الفقه أكبر الأقسام الثلاثة ثم التصوف، والعقيدة أصغرها[5]. العنوان

---

(1) الآيات (168)، الأحاديث (23)، القدسية (2).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1425هـ (1) ص13-218.

(3) الآيات (257)، الأحاديث (130).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 1995-1416هـ.

(5) القسم الأول، فيما تجب معرفته على كل مكلف من العقائد الدينية (99)، القسم الثاني، الفقه على مذهب الإمام الشافعي (303)، القسم الثالث، في التصوف (184).

صوفي والمضمون فقهي. الصوفي نقشبندي، والفقه شافعي، والعقيدة أشعرية[1].

وتشمل العقائد الإلهيات والنبوات والسمعيات، والسمعيات أكبر[2]. فالتصوف ينعرج إلى أعلى، ويغترب في الأخرويات بعيداً عن العالم. والنبوات والسمعيات متمايزان مع أنهما شيء واحد في علم العقائد الأشعري. موضوع الإلهيات التوحيد، والنبوات النبوة، طبقاً لأحكام العقل الثلاثة. السمعيات الأخرويات بما في ذلك الإيمان والعمل.

ويشمل الفقه أحد عشر كتاباً دون تبويب أو ترقيم: الطهارة، والصلاة والزكاة، والصوم، والحج والعمرة، والبيوع وغيرها من المعاملات، والفرائض والزكاة، والصلاة، الجنايات، والحدود. أكبرها الصلاة، وأصغرها الجنايات، وهو موضوع الدية، نظراً لتسامح الصوفية وعفوهم عن المسيئ[3]. وهي موضوعات تقليدية لا جديد فيها. قد يكون الهدف من الفقه إعطاء شرعية للتصوف مثل هروب الكلام المتأخر إلى الفلسفة في العقائد المتأخرة.

والمؤلف كردي من أربيل. وهي هوية عرقية انتهت إلى ما يقرب التقسيم الآن، وانفصال شمال العراق عن وسطه السني وجنوبه الشيعي.

وللأدلة النقلية الأولوية المطلقة على الأدلة العقلية. وللقرآن الأولوية على الحديث وللحديث الأولوية على الشعر[4]. ويكثر الحديث ويتوالى حتى أنه ليوحي بعودة التصوف إلى علم الحديث الذي نشأ منه. كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية. وتقل الأحاديث القدسية التي يتكلم فيها الله وللملائكة وللأنبياء وللرسول. والخاتمة نصية خالصة[5]. ويحال إلى المصادر المنقول منها[6]. وتأتي بعض الأشكال الأدبية في الأسلوب وأشكال الكتابة مثل «تنبيه»،

---

(1) تنوير القلوب ص121.

(2) الإلهيات (25)، النبوات (22)ـ السمعيات (43).

(3) الصلاة (94)، البيوع (39)، الحج (38)، الفرائض (32)، الطهارة (30)، النكاح (23)، الطلاق (21)، الحدود (13)، الزكاة (10)، الصوم (8)، الجنايات (5).

(4) الآيات (428)، الأحاديث (258)، الأشعار (53)، الأحاديث القدسية (4).

(5) تنوير القلوب حـ1 218.

(6) السابق ص593-601.

«فلذة»[1]. والأسلوب جدلي ضد المعتزلة كما هو الحال في علم الكلام المتأخر في إنكار الكرامة والشفاعة[2]. والنهاية موضوع آداب الشيخ والمريد مثل «الرسالة القشيرية» مما يدل على التحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وتشمل الخاتمة أيضاً تقديس النص بمدحه أو التعليق عليه فالنص عمل جماعي، يضم الموضوع والذات، المؤلف والمحقق[3].

جـ ـ «الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله» لمحمد السيد التيجاني[4]: مع أن الكتاب يدل على الطريق إلا أنه يجمع بين الكلام دعامة من أعلى، والفقه دعامة من أسفل، والتصوف المطلوب تأسيسه. فهو لا يناقض التوحيد بحيث أصبح كدائرة معارف لعلوم ثلاثة: التصوف بين الفقه الأكبر بتعبير أبو حنيفة وهو العقيدة والفقه الأصغر وهو الفقه. الكلام من حيث الكم أصغرها والفقه أوسطها والتصوف أكبرها[5].

ولا يُوجد فصل بين العلوم الثلاثة بل تتداخل فيما بينها بلا أبواب أو فصول باستثناء مرة واحدة، «الكلام على التوسل والاستعانة وعلى زيارة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشد الرحال إليها»، وفصول ثلاثة في التجويد في الذكر، وفي إعمال الفكر في معاني الذكر، وفيما يحض على الذكر وفضله، وكلها داخل التصوف[6]. ويعرض الكلام تحت عنوان «عقائد التوحيد وهي أول معاني الإسلام»، اعتمادا على صاحب المواقف في الحكم على عدم جواز إيمان المقلد بما يعطي الفرصة للتصوف للإبداع بتأويل العقائد واعتماداً على شعر بعض أهل الإشارات. فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية صنوان. ولا يُعرض إلا موضوعان، التوحيد والعدل في التوحيد، الاستواء بين التجسيم والتشبيه والتنزيه، واللوح المحفوظ، وصور العلم، والرد على الدهرين لإثبات وجود الصانع، والعدل في إثبات القضاء والقدر، والرد على المعتزلة، والانتساب إلى الأشاعرة. ومن

(1) السابق ص482/ 191.
(2) السابق ص443.
(3) السابق ص603-610.
(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ.
(5) الكلام (19)، الفقه (137)، التصوف (161).
(6) السابق ص151-167/ 168-171.

السمعيات تأتي النبوة كمكارم للأخلاق في شخص الرسول[1]. وفي الفقه، فضل التفقه في الدين[2]. وتذكر التفصيلات الحرفية واختلاف الفقهاء لدرجة الصورية مما يساعد على فهم رد فعل الصوفية على هذه الحرفية الشعائرية إلى المضمون الأخلاقي الروحي.

ثم يبدأ التصوف ابتداء من التوسل والاستغاثة وزيارة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشد الرحال إليهم في مناسك الحج. ثم يأتي الذكر وهو أفضل من تحطيم السيوف في سبيل الله تعالى[3]. فالحرب باللسان وليست بالأفعال. ثم يتداخل التصوف الخلقي مثل تحريم الغيبة، والاستغفار والعلم والرخاء والجود، ومع التصوف النفسي مثل الخوف والرجاء، ومع التصوف الفلسفي مثل التوحيد والعتاقة الكبرى والصغرى والاعتماد على الله في الرزق، والعقد مع الله والعرش والرحمة، ومع التصوف العملي مثل الصلاة على النبي وسيادته ومصب كل ذلك في تاريخ الأنبياء مثل حكاية زكريا وإبليس وسليمان والنملة، والتوراة وما أنزل على موسى وداود ويحيى والخليل ومحمد (الظاهر)، وأحمد (الباطن). والمعجزات الدالة على النبوة والكرامات الدالة على الولاية والدعوات المرجوة لإجابة جميع المطالبة كما هو الحال الآن[4]. مع الصحابة عمر، وابن المبارك، وسفيان، وابن الحسين، وجعفر الصادق، وعمر بن عبد العزيز، ومعاذ، وأبو هريرة، وأبو ذر، ومع الصوفية مثل حاتم الأصم، والشاذلي، والفضيل بن عياض، وأهل الصفة والجنيد والشبلي، والفقهاء مثل الشافعي.

ويتم الاعتماد على الكلام، التأسيس النظري للتصوف لدفع الشبهة عنه، أنه

---

(1) السابق ص11-30.

(2) والطهارة والاستنجاء والوضوء والتيمم والغسل والحيض وأركان الصلاة، وصلاة المريض وسجود السهو، والنوافل والآذان، وصلاة الجمعة، والجماعة، والصلوات الخمس، وقصرها، ومبطلاتها، وفضائلها، والأضحية، والعقيقة، وما يتعلق بالميت، ثم الزكاة، والصدقة، ثم الصيام وفضائله، ثم الاعتكاف والحج، وزيارة روضة النبي، ورؤية الرسول في النوم واليقظة، والتعويض على من مات وعليه واجبات عند الأحناف، السابق ص30-151.

(3) السابق ص173-176. إبراهيم بن أدهم ويحيى بن أكثم، والبسطامي، والتستري، وأبو الدرداء.

(4) السابق ص151-311.

ضد العقائد، وحماية للصوفية من تهمة الإلحاد والكفر وتقربا للفقهاء لنزع العداوة بينهم وبين الصوفية،وعودا إلى الأصل المشترك. ويتم الاعتماد على الفقه للتأسيس العملي للتصوف لرفع الشبهة عنه بإسقاط التدبير على ما تفعل الملامتية والقلندرية ولبيان أن الصوفية ملتزمون بالشرع وبتطبيق الشريعة. فلا حقيقة، بلا شريعة. ولا نقطة إياب بلا نقطة ذهاب. وفي كلتا الحالتين يُحسن الصوفية صورتهم أمام العامة ضد اتهام المتكلمين لهم بأنهم خرجوا على العقيدة وضد اتهام الفقهاء لهم بأنهم خرجوا على الشريعة. بل وأحياناً تتم المغالاة في ذلك بالايغال في إثبات الصفات وإثبات القضاء والقدر مع الأشاعرة ضد التوحيد بين الذات والصفات وإثبات خلق الأفعال عند المعتزلة. فيتحد التصوف بالأشعرية بعقائد العامة، التشبيه والقدرية، ضد تأويل الخاصة بالتنزيه وخلق الأفعال. وتُنقل المواقف الفقهية القديمة بكل اختلافاتها بين المذاهب الفقهية دون إبداء رأي وترجيح أحديهما ضد الآخر أو تجاوزها كلها لإبداء رأي جديد، وهذا هو سبب التأليف[1].

والمادة كلها من المنقولات والاقتباسات من المصادر مع علامة «اَهـ»، وحكايات وكرامات وروايات. ويُستند إلى أقوال الفقهاء في التوحيد لإثبات صحة التصوف. ويعتمد على مجموعة من الأدلة النقلية من الحديث والقرآن دون الشعر وأقوال الصوفية والإسرائيليات[2]. والأحاديث بلا أسانيد كاملة أقرب إلى الضعف منها إلى القوة، وإلى الوضع منها إلى النقل. يُرى الرسول في بعضها في المنام[3]. وبعضها حكايات خرافية خاصة في موضوع زيارة قبر النبي والصحابة. منها الرسول يشرب القهوة[4]. كما يتم الاعتماد على الإسرائيليات فيما يتعلق

(1) «فإن هذا الكتاب قد حوى الكثير من المواضع الشرعية من فقه وعقيدة وسيرة وأحاديث في الأذكار إلى معجزات النبي ثم إلى كرامات الله لأوليائه، مهيمنة عليه صبغة روحانية وفسحة من الصفاء النفسي والتقرب إلى الله رب العالمين. وليس هذا بعجب. فإن مؤلفه من أصحاب الطريقة التجانية التي تدعو هي وأمثالها من الطرق إلى تزكية النفس، وتنقية الروح وترويضها على الخضوع لله رب العالمين، والامتثال لأوامر رسوله الكريم، بالإضافة إلى ضرورة تعلم العقيدة التي يأمن بها المسلم على دينه،وسلامة عبادته»، الفوز والنجاة ص3.

(2) الآيات (315)، الأحاديث (639) وسط هذا الزحام النظري تبرز فائدة علمية تاريخية (80)، وبنوة.

(3) الفوز والنجاة ص50/ 63/ 128/ 129/ 133/ 309. الصوفية وسط العشرات.

(4) السابق ص140، من الأعلام والمؤلفين.

بقصص الأنبياء[1]. وأحياناً يطلق الحديث بألفاظ «في الخبر»، «في الأثر»، «في الجامع»، «قيل»...الخ، لتفادي ضعف السند، وتختلط أحياناً المتون بالأسانيد دون بداية أو نهاية للمتن. ومعجزات الرسول روايات أكثر منها أقوال مباشرة وإذا جمعت بين الاثنين كانت الروايات أطول. ونظراً لأهمية الأدلة النقلية يُعقد فصل خاص لها[2]. تكثر الأحاديث القدسية وحوارات الله مع جبريل أو الرسول بلا ضابط أو سند بل بكثير من الخيال والإبداع القصصي في أدب الحوار. والحديث القدسي نفسه يضع تساؤلاً عن ضرورة وجود وحي وسط بين القرآن والسنة، أقل من القرآن، وأكثر من السنة، مملوء بروايات تتجاوز الحس ووظيفة الحديث العملية. توضيح متشابه أو تفصيل أوجه السلوك. ومعجزات الرسول التي تمتلئ في النهاية حكايات وروايات أكثر منها من أقوال مباشرة. وهي أقرب إلى الظن منها إلى اليقين، وتكثر الحكايات عن وقائع حدثت في مصر والمغرب والعراق، مصادر التصوف الثلاثة[3]. ولأهمية الحديث يظهر كعنوان[4]. وتؤصل الأحوال والمقامات عمليا في حياة الأنبياء والصحابة والصوفية[5]. وتكثر أقوال الصوفية في الفصل الثالث بطبيعة الحال عن التصوف مع شهادة الحسين وأخبار معاوية ويزيد استعطافا ولجوءا إلى الوجدان. تقل الأحاديث وتزيد الكرامات، وتبدأ بعض الموضوعات الحديثة مثل الطب لفهم الصوم الحديث عند الإفرنج نظرا لبداية الوافد على الموروث[6]. ووسط هذا الركام النظري تبريز فائدة علمية تاريخية[7]. وينوه الصوفية وسط العشرات من الأعلام والمؤلفين والشراح والمصادر المدونة[8].

(1) السابق ص184/ 195/ 200/ 209-212/ 223/ 226/ 234.
(2) السابق ص171-173.
(3) السابق ص215.
(4) السابق ص231/ 242.
(5) السابق ص226-228.
(6) السابق ص109/ 303.
(7) السابق ص214/ 140.
(8) مثل: الحسن البصري (3)، مالك بن دينار، إبراهيم بن أدهم، الغزالي، ابن عربي، حاتم الأصم، معروف الكرخي (1).

3 ـ علم الفقه:

أ ـ «منهاج العابدين للغزالي» (505هـ)[1]: وقد تكتمل البنية في الوعي النظري في «الإحياء» ثم تعود إلى الفقه في الوعي العملي في «منهاج العابدين» الذي هو أقرب إلى تلخيص «الإحياء» كمادة دون بنيته الرباعية كهيكل. إذ يتضمن عدة أبواب دون ترقيم، معظمها في الفقه، وأقلها في الأخلاق والمقامات والأحوال والطريق[2]. ويقوم نحو المريدين على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب، حالان ومقامان[3]. وأحكام القلوب أربعة: رفع وفتح وخفض ووقف. الرفع بالذكر، والفتح بالرضا، والخفض في الاشتغال بغير الله، والوقف في الغفلة[4]. والرعاية هو العلم وطلبه بذكر الموت[5]. ويعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر[6]. ومن الصوفية لا يظهر إلا الحسن البصري والفضيل بن عياض لاعتماد التصوف على التجربة المباشرة وليس على النقل.

ب ـ «صفوة التصوف» لابن القيسراني (508هـ)[7]: وهو كتاب يجمع بين الفقه والتصوف، مجرد تجميع لآراء السابقين. يشمل اثني عشر باباً. وهي في الحقيقة عشرة فقط لتكرار العبادات والأطعمة والأشربة، خمسة في الفقه وخمسة في التصوف. في الفقه العبادات، واللباس، والأطعمة، والأشربة، والهدية والقسمة، وفي التصوف المشايخ والخدام، والمعاشرة، والسفر، والآداب، والزهد، ومعظمها في آداب الطريق والشيخ مع المريد. أكبرها الآداب وأصغرها اللباس[8]. وتشمل العبادة أركان الإسلام الخمسة. ويضم اللباس لباس الخرقة من

---

(1) مكتبة الجندي، القاهرة 1954م- 1373هـ.

(2) هي سبعة وعشرون باباً تضم الفقه مثل: اللبس، القيام، السواك، التبرز، الطهارة، الخروج والدخول من المسجد، افتتاح الصلوات، القراءة، الركوع، السجود، التشهد، الدعاء، الصوم، الزكاة، الحج، العبادة، والأخلاق مثل النية، والمقامات مثل الشكر، والطريق مثل المريدين والرعاية والذكر.

(3) منهاج العارفين ص82.

(4) السابق ص82-83.

(5) السابق ص84-85.

(6) الآيات (31)، الأحاديث (12)، الأشعار (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م- 1427هـ.

(8) الآداب (67)، المعاشرة (44)، الزهد (32)، السفر (27)، العبادات (21)، المجاراة =

يد الشيخ. وتضم الأطعمة والأشربة طرق الصوفية في الطعام والشراب. وتضم الهداية والمعيشة التهادي مع السلاطين. أما أبواب التصوف فتتضمن الزهد وآداب الشيخ مع المريد والمعاشرة، والمجاراة والاستغفار والسفر. ويضم الزهد قصر الأمل والقناعة والفقر. أما الآداب فهي الأخلاق العامة مثل تجنب الكذب والمراءاة والنميمة والنفاق. وسب التأليف الدفاع عن الصوفية ضد المنكرين عليهم[1].

ويعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر وبعض الإسرائيليات[2]. وتأتي الأسانيد مع المتون لمزيد من الاطمئنان على صحة الأحاديث. وتكثر الأدلة النقلية على حساب العقلية. وتتكرر الأحاديث بتكرر الروايات. ومعظم الأعلام محدّثون وليسوا صوفية[3]. بل إن ترقيم الفقرات من المحقق قد تم طبقاً للأحاديث. كل فقرة بها حديث قول أو حديث فعل. ومن الفقهاء يذكر الشافعي. ومن الفرق الصوفية تذكر الملامتية وأبطالها[4].

جـ ـ **«طب القلوب» لابن تيمية (728هـ)**[5]: وهو تجميع للموضوع من المحقق وليس تأليفاً واحداً. تنقصه وحدة التأليف. ومع ذلك يدل على موقف الفقهاء من الصوفية. موقف التآلف والتشابه والتماثل على عكس ما يقال عن الصراع بين الفقهاء خاصة المدرسة السلفية والصوفية. يجمعهما الأخلاق، وفي مقدمتها تصفية القلب. فقد اتفق الفقهاء والصوفية على الأخلاق في البداية. فلا

= والاستغفار (21)، الأطعمة والأشربة (21)، الهداية والقسمة (15)، المشايخ والخدام (14)، اللباس (12).

(1) فإنك ذكرت ما أهمك من أمر المنكرين على أهل الصفة في زماننا هذا. فأعلم تولاك الله بالحسنى أن المنكرين في زماننا على هذه الطائفة أكثر ممن يوافقها، ولعمري إن المنكر وجد إلى الإنكار سبيلاً. وأقام عليه حجة ودليلاً عند ظهور هؤلاء الأحداث المتشبهين بالقوم قول المباينين لهم فعلا الذين لم يتأدبوا بشيخ صحبوه، ولا تفقهوا في علم درسوه، جعلوا هذه الطريقة ذريعة إلى بلوغ أغراضهم، ووسيلة إلى تحصيل آمالهم. وإنما اعتمد المنكر فيما أنكره من أحوالهم وأفعالهم. صفوة التصوف ص19.

(2) الأحاديث (1047)، الآيات (69)، الأشعار (30)، القدسية (3)، الإسرائيليات (2).

(3) باستثناء ابن عيينة، الفضيل بن عياض، أبو سعيد الخدري، علي التستري. ومن الفقهاء يذكر الشافعي.

(4) صفوة التصوف ص251.

(5) طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني، وابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ (1) ص63-287.

فرق بين «كتاب الزهد» لأحمد بن حنبل و«كتاب الزهد» للمحاسبي. بدأ الفقه والتصوف بالأخلاق وانتهيا بالأخلاق.

ومرض القلوب مصطلح قرآني ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾. ومن ثم لزم له طب من نفس النوع، طب القلوب. وهو ما سمي في التصوف منذ «الإحياء» المهلكات والمنجيات طبقا لحديث الرسول. ويعني طب القلوب محاسبة النفس أو مراقبة النفس كما هو الحال عند المحاسبي. ونظراً لأنه مؤلَّف تجميعي فإنه يضم فصولا بلا عناوين. ولا يقوم على بنية واحدة، ويعتمد على الأدلة النقلية وحدها، القرآن ثم الحديث وأقلها الشعر[1]. هناك فصول بلا عناوين، وعناوين بلا فصول، وفصل بعنوان[2]. ويتضمن شرح كلمات الشيخ عبد القادر في كتاب «فتوح الغيب»[3].

د ـ «طب القلوب» لابن القيم الجوزية» (751هـ)[4]: وهو نفس الموضوع من نفس المدرسة مع أدلة نقلية أقل، وأدلة عقلية أكثر باستعمال القسمة العقلية والعرض الواضح المتسق مع البرهان والاستدلال العقلي. ويزداد الشعر[5]. ولا يحال إلى أعلام الصوفية. ففي المحاسبة لا يذكر المحاسبي[6]. فالمصدر الكتاب والسنة والأدب وليس أقوال الصوفية.

ويتضمن موضوعات متناثرة لا تنتظمها فصول أو أبواب. ومع ذلك تظهر موضوعات القلب المريض الميت، والقلب السليم اليقظ، وأثر الفتن والمعاصي والعمى على القلب، وسبب أمراضه وشفائها بتعظيم الرب وذكره. وسلامة القلب في التقرب إلى الله وعبادته والشوق إلى الآخرة. والقرآن يتضمن كل هذه الأدوية. وتفصل أنواع النجاسة والمعاصي والمفاسد وأنواع النفس.

هـ ـ «النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية» لزروق (899هـ)[7]: ويمثل

(1) الآيات (864)، الأحاديث (174)، الأشعار (2).

(2) الفصول بلا عناوين (12)، العناوين بلا فصول (3)، الفصول بعناوين (1).

(3) طب القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ص161-175.

(4) طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م- 1424هـ (2) ص291-475.

(5) الآيات (384)، الأحاديث (34)، القدسية (2)، الأشعار (18).

(6) طب القلوب ص371-372.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

العودة إلى الفقه الذي خرج منه التصوف الخلقي، عوداً على بدأ. ليس به أبواب أو فصول ولكنه يشمل موضوعات الفقه المعروفة في العبادات: دون المعاملات الطهارة، والصلاة، والصيام، دون الشهادة، والزكاة، والحج، والتركيز على الآفات في كل منها كنوع من النقد الاجتماعي مثل آفات الصيام. والموضوع الرئيسي هو إبراز محارم الأعضاء مثل اللسان والفرج والبطن واليد والبدن أي الأخلاق السلبية وأوامر النهي. فمحارم اللسان الكذب والغيبة والفضيحة والباطل. والفضيحة سحابة وبهتان ونميمة وإفشاء سر. والمحارم النظرية النظر إلى المرأة والصبي والنظر في كتاب إنسان بغير إذنه، وحب الاستطلاع. ومحارم الفرج اللواط، والزنا، والوطأ خارج الفرج، والاستمناء باليد. ومحارم البطن، أكل الخنزير والميتة والدم وشرب الخمر. والمحارم القلبية الرياء، والعجب، والبخل، والغضب والتعدي والسرقة، وأكل مال اليتيم والربا. والمحارم البطشية الضرب والعقوق. وتعتمد على الحديث والقرآن والشعر[1]. ويحال إلى بعض الصوفية[2]. وتذكر متون الأحاديث دون الأسانيد. ويغيب التحليل العقلي. ويتقدم الفقهاء والمتكلمون.

و ـ «رسائل الشعراني» (731هـ):

1 ـ «منح المنة في التلبيس بالسنة»[3]: وهو عودة إلى علم الحديث الذي هو أصل علم الفقه. ويدل على ذلك العنوان «منح المنة» وهو العنوان الصوفي، و«التلبيس بالسنة» وهو العنوان النقلي. ويدل العنوان الفرعي على ذكر أربعين حديثا يتعلق بالفقه[4]. ولقبه «أبو المواهب» لتشعب مؤلفاته وكثرتها[5].

---

(1) الأحاديث (126)، الآيات (55)، الأشعار (3).

(2) من الصحابة: الحسن (3)، ابن سيرين، الصديق (1)، ومن الفقهاء: مالك، الشافعي، أحمد (2)، الأوزاعي، أبو بكر بن العربي الباجي، السماني، أبو يوسف، إمام الحرمين (1)، إبراهيم بن أدهم، أبو العباس المرسي، ابن الفارض، التستري، ابن سبعين، سفيان الثوري.، الجنيد (1)، ومن المذاهب الفقهية الشافعية (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 1999م-1420هـ.

(4) «يحتوي على أربعين باباً من الحديث الشريف في ما لابد للمريدين من معرفته من الإسلام والعلم والطهارة والوضوء والصلاة والصيام والزكاة وما إلى ذلك».

(5) بلغت حوالي خمسين مؤلفاً. منح المنة ص3-5.

وينقسم إلى أبواب عن الطهارة، وأربعة كتب عن الصلاة والزكاة، والصيام والحج. ولا يوجد باب أو كتاب يوحي بالتصوف إلا آخر كتاب الحج بعنوان «باب جامع لآداب جميع ما تقدم». وهو ما يشير إلى التصوف الخلقي، و«لزوم الجماعة» وهو ما يشير إلى التصوف العملي في الطرقية[1]. ولا يذكر الأصل الأول وهو الشهادة وهو الأصعب والأدل على التصوف مما يدل على العودة من التصوف إلى الفقه، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح.

وتطغى الحجج النقلية. ويطغى الحديث على القرآن ويغيب الشعر. ويعود التصوف إلى علم الحديث كما بدأ منه[2]. فالكتاب أقرب إلى «في التلبيس بالسنة» منه «إلى منح المنة». وتغيب أقوال الصوفية بل وأقوال الصحابة والتابعين إلا نادراً. وتوجد بعض الاقتباسات من أقوال السابقين مع لفظ «انتهى». ويظهر القرآن في الخاتمة والتأويل الخلقي الصوفي للفقه، عوداً إلى الأصل. فقد انتهت دورة التاريخ. يخرج التصوف من الحديث وإلى الحديث يعود. وتتصدر الكتاب مقدمة عن أخلاق الرسول مع أصحابة وأزواجه تغلب عليها الأفعال والروايات لا الأقوال المباشرة. وتظهر صفته أيضاً في التوراة والإنجيل. فالوحي ممتد في التاريخ وحدة واحدة على مراحل متعددة[3].

2 ـ «الفتح المبين في جملة من أسرار الدين» أو أسرار أركان الإسلام[4]:
وهو عود إلى علم الفقه لاكتشاف أسراره ومعانيه الباطنية. واللفظ المستعمل «أسرار» في الشهادة وحدها. والجمع بين لفظي «الآداب» و«الأسرار» في باقي الأركان مثل «آداب الوضوء وأسراره»... إلخ[5]. وهو سبب تأليف الرسالة[6]. ويبدو التراجع النظري في جعل الإيمان موقوفاً على الخبر بلا برهان[7]. والشهادة

(1) السابق ص143-150.
(2) الأحاديث (378)، الآيات (50).
(3) منح المنة ص25-40.
(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006.
(5) أسرار شهادة لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، السابق ص22-29.
(6) آداب الوضوء وأسراره، آداب الصلاة وأسرارها، آداب الزكاة وأسرارها، آداب الصوم وأسراره، آداب الحج وأسراره.
(7) «فيجب على كل مريد مطالعة هذه الآداب، وملازمة ملاحظتها في حال عبادته ولو حفظ =

ليست نفياً ولا إثباتاً على الحقيقة[1]. والناس في التوحيد على خمسة مقامات من العامة إلى الخاصة تصاعدياً، الأول الاعتقاد بلا بحث، والثاني التصديق بعد الاعتقاد بالنظر في المخلوقات وهو مقام المتكلمين، والثالث الارتقاء من رؤية الموجودات إلى الإيجاد، ومن المصنوع إلى الصنع، والرابع مشاهدة الأشياء بالله، والخامس الغياب عن الفعل كله بعد المحبة والاستغراق في المحبوب[2]. وتعتمد على القرآن والحديث دون ذكر الشعر أو الأقوال الصوفية[3].

3 ـ **«الميزان الخضرية»**[4]: والخضرية نسبة إلى الخضر نموذج العارف الباطني الصوفي. والميزان مؤنث وصفته مؤنثة. وهو عود إلى الفقه بسبب ضعف التصوف والعودة إلى البداية الأولى التي نشأ فيها، ودفاعاً عن النفس ضد التهم الموجهة للتصوف بالقول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود منذ ابن تيمية، وإثبات أن التصوف متفق مع الشريعة، وتقرباً للجمهور الذي يوحد بين الدين والفقه وبين الفقه والشريعة والذي يشك في الكلام والفلسفة ولا يشك في الفقه. انزوى التصوف في الفقه حماية له. وهذا أضعف الإيمان. فالطريق مسدود، ولا يمكن عمل شيء إلا من خلال سلطة الفقهاء. وسبب التأليف هو الجمع بين المذاهب، ونزع أسباب الخلاف بينها. ولم يتم ذلك إلا برؤية الخضر والرسول في المنام فأولا المؤلف العبد الفقير، على الطريق إلى ذلك[5]. وتذكر حياة الخضر واجتماع

= عبارتها عن ظهر قلبه كان ذلك أعون له على العمل لكونه يستحضرها في قلبه. فكلما باشر عملا يدله فهم العبارة على العمل بها بخلاف ما إذا كانت عنده في كتاب لا يقرؤه فلا ينتبه منها إلى شيء من الآداب إلا الآداب الظاهرة اكتفاء بما ألفه الناس فيها من الكتب المنتشرة بين أظهر الناس، بخلاف الآداب الباطنة فقليل من الناس من صنف فيها لعزة العارفين بها وعزة العالمين فهذا كان سبب تأليفنا لهذه الرسالة»، السابق ص22.

(1) السابق ص23.

(2) السابق ص28-29.

(3) الآيات (42)، الأحاديث (21)، القدسية (1).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 1999-1420هـ.

(5) «لما منّ عليّ الله بالتبحر في علم الشريعة أسوة أمثالي، وصرت أطالع كتب الشريعة المطهرة في الخلاف النازل والعالي، واتسع عندي الخلاف جداً صرت أطالب من نفسي المطابقة بالجنان واللسان في الاعتقاد الجازم أن سائر أئمة المسلمين على هدي من ربهم أقدر على ذلك. فسألت عنه جميع من وجدته من علماء مصر وضيوفها فلم يطلعني =

العلماء به وصفه وملبسه وطعامه[1].

وكله توجه نحو الماضي وليس الحاضر أو المستقبل باستثناء الحديث مرة عن ذلك الزمان[2]. والخطاب موجه إلى القارئ «فأفهم»، «فتأمل»، وتستعمل الصورة التوضيحية لإبراز الفكر بصرياً وهو من وضع علي الخواص على شكلين نباتيين وهرم[3].

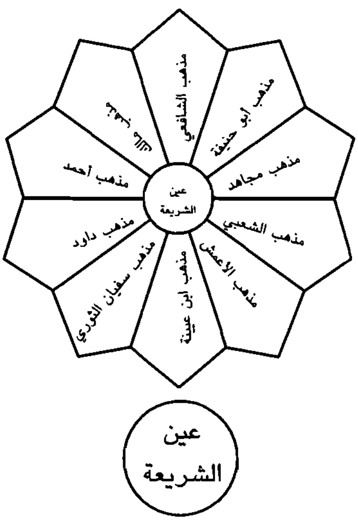
والكتاب نص واحد بلا أبواب ولا فصول باستثناء عنوان واحد «خاتمة» فيه يقسم النص إلى قسمين. الأول في اختلاف المذاهب الفقهية وهو الأكبر. والثاني في الوضوء والصلاة وهو الأصغر. والجدال في الشريعة من النفاق. والشريعة المطهرة تقوم على تقليد الأئمة وحسن الظن بهم. والبيوت على تقليد المذهب

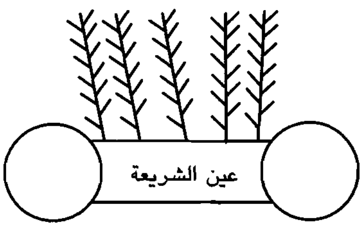
= أحد منهم على وجه جامع. وصرت كلما أجمع بين قولين أو مذهبين في باب، يتناقض الأمر عليّ في باب آخر. فتوجهت إلى الله تعالى. وسألته أن يجمعني على سيدنا ومولانا أبي العباس الخضر عليه الصلاة والسلام... بسطح جامع الغمري حيث كنت ساكنا فيه. فشكوت إليه حالي. فقلت له: أريد أن تعطني يا نبي الله مزايا أجمع بها بين مذاهب المجاهدين ومقلدهم وأردها كلها إلى الشريعة....» السابق ص.9.

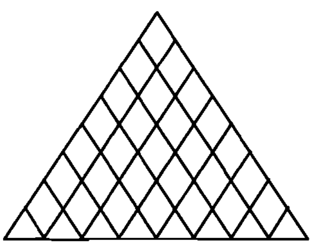
(1) السابق ص13-16.

(2) «فانظر إذا كان هذا كلام المغني في ذلك الزمان، فكيف بالأئمة المجتهدين في تقليدهم بالكتاب والسنة في ذلك الزمان»، السابق ص42.

(3)







الواحد، بالرغم من كثرة الأدلة، ولكن الفضل للمجتهدين، وتعظيم الأئمة. فكلهم من الأئمة الورعين. ولأبي حنيفة مناقبه وعدم تعارض مذهبه مع باقي المذاهب[1]. فيحدث عدم التفرق في الدين وإيقاع التناقض في الشريعة، وتقييم كلام المجتهدين بميزان الشريعة، ومعرفة أحكامها يقيناً لا ظناً. والعمل بالمذهب الراجح على الترتيب الوجودي لا على التمييز. وكل مجتهد مصيب. ومن الأفضل عدم التقيد بمذهب واحد. وبالشريعة تخفيف وتشديد. وهو معنى الرخصة والعزيمة. ولا يجوز استعمال القياس الذي يؤدي إلى الفتنة. ولا يستعمل إلا عند الضرورة الشديدة وبعد الكتاب والسنة.

ثم تأتي التطبيقات على الوضوء والصلاة[2]. ويعتمد على الحديث والقرآن دون الشعر[3]. ففروع الفقه في الحديث وأصوله في القرآن. وتستعمل بعض الأمثال العامية باعتبارها جهة سلطة. ومن الصوفية يتقدم علي الخواص على الجميع ثم ابن عربي ثم جعفر الصادق ثم سفيان الثوري والشبلي ثم ذو النون و أويس القرني والبسطامي وإبراهيم بن أدهم، والشاذلي، والقشيري وأبو العباس المرسي وابن عيينة. . . الخ[4]. ومن الفقهاء يتقدم أبو حنيفة ثم الشافعي ثم مالك ثم أحمد وابن حزم، ثم المزني، ثم أبو يوسف والأوزاعي والبقاعي وابن عبد البر[5]. ومن الفلاسفة والمتكلمين الرازي والجويني[6]. ومن الفرق «المتكلمون»

(1) السابق ص7-80.

(2) فالطهارة واجبة بالماء وتوافر النية والترتيب. ومس الفرج لا ينقضه ولا لمس النساء. والتيمم والمسح على الخفين في غياب الماء ووجوب الغسل ونجاسة الحيوان. ويدخل في ذلك جواز الاستمتاع بما بين السرة والركبة من الحائض وزمان أقل الحيض وستر الأمة كالحرة، وتبدأ الصلاة بالاستعاذة والبسملة ووضع اليدين والفاتحة والصلاة على النبي والشهادتان والتشهد والانصراف يمينا. . . .الخ، السابق ص80-114.

(3) الأحاديث (50)، القدسية (1)، الآيات (38)، والمثل العالمي «من جعل كل شيء سواء فما لعلته دواء»، السابق ص112.

(4) على الخواص (19)، ابن عربي (4)، جعفر الصادق (3)، سفيان الثوري، الشبلي (2)، أويس القرني، ذو النون، إبراهيم الخواص، البسطامي، إبراهيم بن أدهم، الشاذلي، أبوالعباس المرسي، القشيري، المتبولي، ابن عيينة (1).

(5) أبو حنيفة (31)، الشافعي (30)، مالك (12)، ابن حزم، أحمد المزني (2)، أبو يوسف البقاعي، ابن عبد البر الأوزاعي، ابن تيمية (1).

(6) الرازي، الجويني (2).

وتؤخذ اقتباسات كثيرة بعلامة «انتهى»، وهناك أسماء عديدة من الرواة والمحدثين[1].

ز ـ رسائل الشوكاني (1250هـ):

1 ـ **«رفع الريبة فيما يجوز ولا يجوز من الغيبة»**[2]: وهي بين الفقه والأخلاق وإن كانت أقرب إلى الفقه نظراً للبحث عن الحكم الشرعي للغيبة. ولا يذكر سبب للتأليف أو سياقه. وتخلو من الأبواب والفصول لصغرها. وتكتفي بالعناوين. يعتمد على الحديث أولاً ثم القرآن دون الشعر[3]. كما تعتمد على القسمة العقلية كما هو الحال في المنهج الفقهي[4]. وتنتهي الرسالة بالحل الفقهي[5]. ولا يذكر إلا المحدثون والفقهاء مثل النووي دون الصوفية. ويوضع الحديث في التاريخ، فالكذب فيه كان قبل انقضاء القرن الثالث. لذلك قام الأئمة في كل عصر بالجرح والتعديل للتحقق من صدق الحديث[6].

2 ـ **«الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح»**[7]: واستمر موضوع التوبة في الوعي العملي في التصوف المتأخر عند المصلحين المحدثين. وهي نقطة تطبيقية في توبة القاذف بلا شهود مثل الاتهام بارتكاب الزنا وآراء الفقهاء في تطبيق حد القاذف وليس حد الزنا. وهو أقرب إلى الفقه منه إلى الأخلاق.

وسبب التأليف هو سؤال بالشعر عن الموضوع[8]. وهو عدم اكتمال النصاب

---

(1) انتهى (31).
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (5) ص83-102.
(3) الأحاديث (9)، الآيات (4).
(4) مثل: المواضع التي تباح فيها الغيبة، الجمع بين أدلة المسألة، السابق ص85/ 93.
(5) السابق ص85-87/ 96-99.
(6) «وهكذا يرتفع الأشكال عن القارئ لتلك الكتب. فلا يقال له: «إنه لا يروي بالألقاب ويغتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة»، السابق ص102.
(7) دار الكتب العملية، بيروت 2005 (3)، ص59-70.
(8) أنـي أتـيـتـك سـائـلا ... لـمـهـم أمـر قـد جـرى
فـي فـتـيـة شـهـدوا عـلـى ... زيـد بـفـاحـشـة تـرى
قـالـوا زنـى لـكـنـهـم ... دون الـنـصـاب وقـد سـرى
بـم تـوبـة الـنـفـر الـذيـ ... ـن رأوه يـفـعـل مـنـكـرا =

في شهادة الزنا مع عدم الكذب لا عقلاً ولا شرعاً ولا عادة. وأحكام القاذف إما الحلفان أو رد الشهادة أو الحكم بالفسق. وتتعدد آراء الفقهاء[1]. والجديد هو لفظ «الإصلاح» أي عقد العزم والنية على عدم العودة إلى ذلك. والمؤلف من المصلحين[2]. لذلك يذكر الفقهاء وفي مقدمتهم مالك وأبو حنيفة والشافعي وعشرات آخرين مثل شريح القاضي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. وتظهر القسمة العقلية تأييدا للدليل النقلي والرأي الفقهي[4]. ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن والبصري وسفيان الثوري. ويستعمل أسلوب القول «فإن قال . . قلت» نظرا للطابع السجالي الفقهي للموضوع.

ح - «الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة» لأبي الهدى الصيادي (1327هـ)[5]: وهو عود إلى آداب العبادات وأسرارها إلى الفقه الأخلاقي أو الأخلاق الفقهية كما يتضح ذلك من شعب الإيمان تفسيراً لحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، سبع وسبعون شعبة[6]. ومنها كراهية الظلم، وإماطة الأذى عن الطريق. أما الطاعة لإمام المسلمين فليست مطلقة بل مشروطة بطاعة الشريعة، فالسلطان ليس ظل الله في الأرض، ولا يقتل من يخرج عليه بعدم النصيحة والأمر

= أيكذّبون نفوسهم في الصدق أم ماذا ترى
السابق ص59.

(1) «فاْعلم أنه قد اختلف أهل العلم في كيفية التوبة التي يرفع عنه بها الفسق عند الجميع. وتقبل بها شهادته عند الجمهور لا عند غيرهم كما سبق. وهذا هو محل السؤال ومكان الإشكال»، السابق ص62.

(2) السابق ص69-70.

(3) الآيات (10)، الأحاديث (3)، الأشعار (1).

(4) الإيضاح . . . ص63-67.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (1) ص3-58.

(6) تبدأ بالشهادتين ثم العبادات، الغسل، والوضوء، والصلاة، والزكاة، والصوم والحج، والجهاد، والهجرة، ثم الاستقامة، والجماعة، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، والأمانة، والصدق، والوفاء بالعهود، وكف الأذى عن الناس، والبر، وإكرام الضيف، والصمت، والغيرة، وترك ما لا يعنيه، والتقوى، والورع، والقناعة، وتصديق القلب بإقرار اللسان، والإيمان بالصفات والأسماء، وبالأنبياء والرسل، وبالكتب المنزلة، والملائكة، والجن والشياطين، وعدم تكفير أحد، والنية، والإخلاص، والتوبة، والصبر، والشكر، والزهد، والتوكل، والرضى.

بالمعروف والنهي عن المنكر[1]. ثم تظهر المقامات مثل التوبة والصبر والشكر والزهد والتوكل والرضى والمحبة، وبعض الأحوال مثل الخوف والرجاء. فالتصوف كأخلاق يرتكن إلى أعلى في التوحيد، موضوع علم الكلام، ويرتكن إلى الشريعة من أسفل موضوع علم الفقه. فالتصوف لا هو ضد الفقه، ولا هو ضد الشريعة. وقد تظهر بعض ملامح الطريقة ومناقب المشايخ وكراماتهم[2]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. كما يحال إلى بعض الصوفية مثل الحسن البصري وأحمد الرفاعي والتستري ثم الجنيد والحسن وغيرهم.

ط ـ «البيان والتبيان في أن الصوفية مذهبها السنة والقرآن» لسيدي المختار العلوي التجاني الشنقيطي[4]: وهي رسالة في الدفاع عن الصوفية ضد الهجوم عليهم والإنكار لهم من المتكلمين والفقهاء. فالصوفية هم الفرقة الناجية وليس المتكلمين. وتنقسم الرسالة إلى واحد وثلاثين فصلاً في موضوعات عدة. وتبرز الفصول في أول الكتاب[5]. والتنبيه على الاختصار. ويعتمد على الأحاديث والآيات والأشعار دون أي تحليل نظري[6]. والأحاديث كلها من المجموعات المتأخرة وليست الإصحاحات الأولى. كما يعتمد على المنقول من المتأخرين. وتحذف الأسانيد لصالح المتون[7]. ويذكر المحدثون والفقهاء وكثير من الصوفية

---

(1) السابق ص142-148.

(2) السابق ص55-56.

(3) الآيات (101)، الأحاديث (75)، القدسية (3)، الأشعار (12).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2002.

(5) مثل: الأول التحذير من تعلم غير الدين ومن علماء الدنيا أهل علم اللسان، الخوارج غزاة الدين، والفرق الضالة، والتحذير من معاداة أولياء الله واغتيابهم، والتحذير من تكفير السلمي. والثاني مبادئ التصوف، والأذكار والأوراد والطرق الصوفية الأربعين مثل القادرية، والشاذلية، والخلوتية، والتيجانية. والثالث ثبوت الاجتماع بالنبي في اليقظة والمنام، الاستفتاح بالقرآن في الأوراد، وفضل الاستغفار، وفضل الصلاة على النبي والشهادة والصلاة على النبي، والسبحة، وتخصيص أوقات الصباح والمساء والثلث الأخير من الليل، والاجتماع للذكر مع أقوام شتى والمتحابين في الله، والخلوة ومحبة الرسول وآله. والرابع علم الباطن وموسى والخضر وأويس بن عامر، والشعراني، والتمسك بالسنة والتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، السابق ص10-12.

(6) الأحاديث (264)، الآيات (181)، الأشعار (11).

(7) مثل «الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية» للسنوسي و«الإحياء» للغزالي، =

مثل الشعراني، ثم الحسن البصري، ثم الشاذلي والجنيد، وأويس القرني، والشيخ زروق، وعبد القادر الجيلاني، والسهروردي، ثم جعفر الصادق، والبوصيري، وابن الفارض، وابن عربي، وابن عطاء الله السكندري والسنوسي، والغزالي، والسيوطي، وأبو مدين، والطوسي، والمتبولي، أبو العباس المرسي. . . .الخ[1]. ومن الطرقية الشاذلية، والسهروردية، والقادرية، والتجانية. ومن الفقهاء مالك، وابن حجر. ومن المذاهب الفقهية، المالكية. ويحال إلى عدة مصادر تؤخذ منها عدة اقتباسات تنتهي بعلامة «انتهى»[2]. والمؤلف هو الفقير إلى الله الغني به عن كل ما سواه، المعترف بجهله وقصوره من الطريقة التجانية، والمذهب المالكي. وسبب التأليف هو الدفاع عن الصوفية ضد الهجوم عليهم مثل البوصيري مادح الرسول وابن الفارض، وابن عطاء الله، وابن عربي، والتجاني[3].

ي ـ **«الشموس المشرقة في شرح الطريق الجامع للشريعة والحقيقة» للخالدي العمراني**[4]. وهي أيضاً في اتفاق الفقه والتصوف، الشريعة والحقيقة. وسبب التأليف هو الحاجة إلى شرح بسيط ومختصر يتناسب مع فقراء هذا العصر وإلى مرشد في الطريق للوصول إلى التحقيق. بالرغم من كثرة التأليف في الموضوع[5].

= و«أنوار القلوب في العلم الموهوب» للمقلي، و«الطبقات الكبرى» للشعراني.

(1) الشعراني (5)، الحسن البصري، الجنيد (4)، أويس القرني، الشاذلي (3)، زروق، الجيلاني، السهروردي (2)، جعفر الصادق، البوصيري، ابن الفارض، ابن عربي، ابن عطاء الله السكندري، السنوسي، الغزالي، أبو مدين، الإدريسي، الدرديري، الكرخي، الطوسي، الكوراني، المتبولي، أبو العباس المرسي، القناوي. . .الخ (1).

(2) مثل «الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة» لإبراهيم بن الحاج، «ريحانة القلوب في التوصل إلى المحبوب» للعجمي، «شرح المواهب» للزرقاني، «شواهد الحق» ليوسف النبهاني»، «انتهى» (15).

(3) «إني منذ زمن وأنا أسمع أن بعض من ينتسب للعلم يقدح في أولياء الله تعالى الصوفيين، بأبشع ما يكون من القدح وعلى الخصوص سيدي محمد البوصيري. . . وابن الفارض وابن عطاء الله، وابن عربي. . . والتجاني»، السابق ص7. وهي مجموعة الدعاة. فدعوتهم تتركز أساسا على تكفير الصوفية عامة وتضليل أهل المذاهب الأربعة. فيا ليت شعري من هم المسلمون إذ ألغي منهم جميع الصوفية وجميع المذاهب الأربعة؟ وأي مصلحة للإسلام في هذا النقص الكبير الذي لا طائل من ورائه؟»، السابق ص12.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1425هـ (3)ـ ص51-83.

(5) «وبالرغم مم ألفناه في الشريعة والطريقة والحقيقة، وما ألفه غيري من ذوي الهمم =

لذلك جاء الكتاب مدرسياً تعليمياً له مراجع في النهاية[1]. تضم العلوم العصرية والعلوم القديمة[2]. ويعلن عن الموضوعات العشرة حول الذكر والولاية والمقامات والنفس والعلم والنور والعبادة والملك والملكوت والجبروت[3]. وفيها آثار مصطلحات ابن عربي مثل العبودة. تعتمد على الشعر والحديث والقرآن وأقول الصوفية ومقتبسات من أعمالهم بعلامة «انتهى»[4]. ومن الصوفية يتقدم ابن عجيبة الذي ينتسب إليه المؤلف ثم ابن عطاء الله ثم الجنيد والشاذلي، ثم ابن الفارض، ثم الغزالي وابن عربي، والجيلاني، وغيرهم. ومن الفقهاء الشافعي، والقرافي[5]. ويُحال إلى بعض المصادر القديمة والحديثة[6]. ومع ذلك يعتمد الكتاب على القسمة العقلية، قسمة الموضوع إلى ألفاظ تجعله أقرب إلى المصطلحات مع عرض نظري رصين[7]. مثال ذلك قسمة فوائد العزلة، وفوائد الجوع إلى عشرة، ومنازل السائرين والاستقامة والتقوى والإخلاص والصدق والتوبة والخوف والرجاء والورع، والزهد، والصبر،والشكر. والتوكل، والرضى، والتعليم والمراقبة

= المشرقة يحتاج كل ذلك إلى شرح مبسط ومختصر ليناسب فقراء هذا العصر. وقد طلب منا إخواننا الفقراء المنورين، أصحاب الأوراد السنية والهمم العالية، أن أضع لهم مرشداتهم في الطريق ينيرها لهم حتى يصلوا إلى عين التحقيق...» السابق ص51.

(1) مراجع الكتاب، السابق ص83.

(2) مثل العلوم الاجتماعية، وعلم الحساب والهندسة، والطب، والصيدلة، والعلوم التوقيفية، والفلكية، السابق ص80.

(3) هذه الموضوعات العشرة هي: 1- مراتب الذكر اللساني والقلبي 2-ركائز الولاية الخاصة 3- مقام الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة 4- مقامات المقربين الاثني عشرة 5- منازل السائرين 6- المُلك والملكوت والجبروت، والناسوت واللاهوت والرحموت 7- أنوار التوجه والمواجهة انطلاقا من جنود القلب والنفس الأمارة 8- أطوار النفس البشرية التي هي النفس والعقل والقلب والروح والسر المكمل 9- العبادة والعبودية والعبودة 10- العلم والمعلوم، السابق ص51-52.

(4) الأشعار (31)، الأحاديث (17)، الآيات (15).

(5) ابن عجيبة (15)، ابن عطاء الله صاحب الحكم (6)، الجنيد، الشاذلي (3)، ابن الفارض، أبو العباس المرسي (2)، الحسن البصري، داود الطائي، الكرخي، السري السقطي، القشيري، أبو علي الدقاق، (1). ومن الفقهاء: الشافعي، القرافي (1)، ويحال إلى ستة مؤلفات لابن عجيبة وواحد شارح لثلاث قصائد للمؤلف.

(6) مثل : «الإحياء»، «شروق أنوار المعارف في أفق سماء القلوب» لابن عجيبة.

(7) السابق ص57/ 59/ 61/ 63-71.

والمحبة إلى ثلاثة والألفاظ والمصطلحات تجعله أقرب إلى القواميس والمعاجم[1].

ك ـ رسائل السماع:

1 ـ «كتاب السماع» لابن القيسراني (508هـ)[2]: وهو كتاب في الفقه أكثر منه في التصوف كما أن كتاب «الأغاني» في الشعر وليس في الغناء. والصوفية تقرض الشعر وتتذوقه. وهناك الصوفية الشعراء كالحلاج وابن الفارض وابن عربي والتلمساني وغيرهم .ويقوم الكتاب على قسمة جدلية بين أدلة تحليل السماع وأدلة تحريمه بالرغم من عدم وضوح ذلك في التنفيذ[3]. إذ يشمل الكتاب بعد خطبة المؤلف على الكلام على الغناء على الإطلاق، والقول في حزب الدف بدون ترقيم. ثم يأتي الجزء الثاني. ويضم القول في استماع اليراع والكلام في استماع القضيب والأوتار، والقول في المزامير والملاهي. ثم يأتي فصل بلا ترقيم، الكلام على الأحاديث المحتج بها على تحريم السماع. وهو الفصل الثاني المعلن عنه مما يدل على أن السابق كله كان في الفصل الأول الذي يدل على التحليل. ثم يأتي فصل بلا ترقيم عن «مزاح الحسن مع المرأة التي جاءت تسأله». ويعتمد على الأدلة النقلية خاصة الحديث ثم القرآن ثم الشعر، دون الإسرائيليات[4]. ومع ذلك هناك الأدلة الذوقية المتضمنة في التحليل أو التحريم المستقلة عن الأحاديث أو التي ترتكز الأحاديث عليها. وتذكر الأحاديث مع رواياتها. فصحة الحديث متوقفة على السند دون المتن[5]. وأحاديث التحريم روايات أفعال. وهي أضعف من أحاديث التحليل، وهي روايات أقوال. ولا يذكر إلا الفقهاء والمحدثين والشعراء

---

(1) مثل: تعريف الشريعة والحقيقة والطريقة، المُلك والملكوت،والجبروت، الناسوت، واللاهوت، والرحموت، والنفس والقلب والروح والسر، والعبادة والعبودية والعبودة، والعلم والعلوم. . . .الخ.

(2) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1970م-1390هـ.

(3) «وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى في فصلين. الفصل الأول يشمل على جواز استماعه بالأدلة الصحيحة الواضحة، والفصل الثاني يشتمل على ما احتجوا به على تحريمه وبيان بطلانه»،ـ كتاب السماع ص33.

(4) الأحاديث (60)، الآيات (16)، الأشعار (15).

(5) من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن حـ3، ص53-165.

وأقلهم من الصوفية. فمن الفقهاء الشاذلي وأحمد ومالك. ومن الشعراء أبو نواس. ومن الصوفية سفيان بن عيينة وسفيان الثوري[1].

2 ـ «بوارق الإلماع إلى مسألة السماع» لأحمد بن محمد الغزالي (520هـ)[2]:

وهو موضوع في الوعي العملي في الطريق أو في الفقه. فهو من سلوك أهل الطريق. وفي نفس الوقت هو جدل بين فقهاء التحريم مثل أبي حنيفة والتحليل مثل جموع الفقهاء. وسبب التأليف كالعادة سؤال من بعض العلماء عن السماع فوائده، وشروطه اعتماداً على القرآن والحديث والرد على منكريه. والرد بعد الاستخارة وليس المبادرة بناء على قرار حر. وهو «عبد الله المفتقر إلى إنالة فيض فضل الله تعالى، الملتجئ إلى جنات الله»[3]. والسماع له زمان ومكان وإخوان. الزمان أوقات صفاء القلوب، والمكان الزوايا والخوانق والمساجد، والإخوان المؤمنون وإخوان الصغار والمواجيد والمعارف والتغاريد والذوق والشوق والكمال. وهم الإخوان بالحقيقة. ويعتمد على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[4]. ويذكر من الصوفية الجنيد والشبلي والكرخي وابن خفيف الذين يجيزون السماع. ومن الفقهاء أبو حنيفة الذي يحرمه وأبو البيان. وتؤيد الأدلة العقلية الأدلة النقلية، مثل حركة الأرواح في الأجساد، وتقوية القلب بالغذاء الروحي، والتوجه من الظاهر إلى الباطن، واتصال الصوت بالقلب. هو سكون في الباطن وحركة في الظاهر. وهو من النهايات الكمالية للمقامات. هو السماع المعتبر عند الأولياء أرباب الأحوال والمقامات لتحريك أرواحهم إلى عالم

---

(1) ويذكر أيضاً أبو عبد الرحمن الصوفي راوياً وأحمد بن علي بن الحسين الصوفي، كتاب السماع ص42/ 93.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م (7)، ص131-157.

(3) «سألني بعد العلماء المتوجه إلى الله في السراء والضراء أن أكتب لأهله خاصاً للطلاب عاماً رسالة في السماع وفوائده وشروط فعله لظهور فوائده مستشهداً عليه بالقرآن والحديث وأفعال الصحابة والرد على منكريه وما يلزمهم من المحذورات شرعاً. وأستدل بالكتاب والسنة والمنقول والمعقول، على أن من قال إن السماع حرام مطلقاً لزمه الاعتراف بأن النبي فعل حراماً ونظر بالحرام، وأقر غيره على الحرام. ومن اختلج في ظنه ذلك كفر بالإجماع، وسدت عليه طرائق المنائح والإلماع. فلما رأيت صدق رغبته أجبت سؤاله وحصلت نواله بتحرير هذا الكتاب من حضرة الملك الوهاب. . .» السابق ص131-132.

(4) الآيات (26)، الأحاديث (19)، الأشعار (8).

القدس وتذكارهم مقام الأنس[1].

3 ـ «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» للنابلسي (1143)[2]: وهو نموذج للنصوص الفقهية الصوفية بحيث يصعب التفرقة بين الفقه والتصوف كما كان الحال في البداية عندما كتب المحدثون في الشكر والزهد كما كتب الصوفية. والصراع بين الفقهاء الصوفية، بين «التنزيل» و«التأويل» هو صراع منهجي في التعامل مع النص بين الظاهر والباطن وليس صراعاً موضوعياً حول القيم الإسلامية كما هي في المقامات والأحوال. وإذا كان التصوف قد ارتبط بالشافعية نظر لاتفاقها في التطور وفي الرؤية وفي التصور للعالم إلا أن بعض الصوفية حنفية مثل النابلسي وبعضهم مالكية، والبعض حنابلة بالرغم من عداء السلفية للتصوف كما وضح عند ابن تيمية في «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وهجومه على وحدة الوجود عند ابن عربي والتلمساني والقونوي وعلى الشطحات عند الحلاج والبسطامي والشبلي. وتجتمع المذاهب الفقهية الأربعة على رأي واحد وهو رأي الصوفية في أن السماع حلال. ولا يعني السماع فقط الموسيقى والآلات بل أيضاً الشعر والأناشيد والابتهالات والمناجاة أي كل فنون الإيقاع. وإبطال السماع إبطال للقرآن لأنه فن صوتي في التجويد والتنغيم والقراءة.

وسبب تأليف الكتاب هو لغط الفقهاء بتحريم السماع. وهو جهل بالشريعة. هنا يتفق الصوفية مع الفقهاء، والحقيقة مع الشريعة. يعتمد على الأدلة النقلية من المذاهب الأربعة جميعها وعلى أقوال معظم الصوفية لرفض التحريم وإثبات التحليل[3]. ويعتمد على منهج يقوم على قاعدتين: الأولى: التمييز بين الإطلاق

(1) بوارق الإلماع ص147-149.

(2) دار الفكر، دمشق 1981م -1401هـ.

(3) «لما رأيت أكثر الناس أكثروا الكلام بين الخواص ومنهم العوام في مسألة سماع الآلات بالنغمات المطربات، وأطبق الجهال ألسنتهم بالحرمة من غير معرفة تفصيل ولا إطلاع على برهان في ذلك ولا دليل، وحملهم التقليد لبعضهم بعضا، واستباحوا لمن خالفهم في غلطهم ديناً وعرضاً فطلب مني بعض الأصحاب كتابة شيء في بيان هذه المسألة لأولي الألباب وإن كان العلماء المتقدمون والمتأخرون أكثروا فيها البيان على وجه الصواب. ولهم فيها الرسائل العديدة والعبارات المفصلة المفيدة، ولكن الجهال ما لهم إطلاع لعجزهم عن التحقيق في فقه الأحكام وقصر الباعة فكتبت هذه الرسالة لأهل الإنصاف من =

والتقييد. والثانية: معرفة وجه الحكم[1]. كما يعتمد على النوازل وما حل بدمشق ببلاد الشام[2]. ومازال الاستدلال يعتمد على القسمة العقلية ومعرفة وجوه الموضوع[3].

ويعتمد الكتاب على العديد من الأدلة النقلية من الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر. كما يعتمد على عديد من الأشعار التي تعبر عن التجارب الإنسانية العامة[4]. والاعتماد الأكثر على المصادر الفقهية المدونة[5]. ومن الأعلام يتقدم أيضاً ابن حجر العسقلاني بعد الرسول. ويُعتمد على الصوفية مثل ابن عربي، وشهاب الدين المقدسي، والشيخ العيني، وشهاب الدين الحديدي، والغزالي، والجنيد، والخواص، وأبي طالب المكي، والقشيري. والفقهاء مثل مالك والقاري والعماوي وابن حجر والشافعي وأبي حنيفة، والسبكي. كما يعتمد على أقوال الصحابة[6]. بل يخصص النابلسي جزءاً من الكتاب لرصد كلام الفقهاء

= الإخوان، إرشاداً إلى ما هو الحق والصواب في هذا الشأن، وإنقاذ الأصحاب من ورطة الجاهلين المعاندين في أحكام هذا الدين...»، إيضاح ص15-16.

(1) السابق ص19-20.

(2) «لاسيما أهل بلدتنا هذه دمشق الشام من دون سائر بلاد الإسلام»، السابق ص47.

(3) قسمة السماع إلى ثلاثة أقسام، السابق ص72-73

(4) الأحاديث (42)، الآيات (29)، الأشعار (19).

(5) حوالى 66 نصاً منها: «كف الرعاع» لابن حجر العسقلاني (10)، «الحاوي» للماوردي، «ربيع الأبرار» للزمخشري، «السماع» للحديدي، «صحيح البخاري»، «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، «الأغاني»، «اقتناص السوانح» لابن دقيق العيد، «تاريخ بغداد» للبغدادي، «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون، «تحفة الأكياس»، «جامع الفتاوى» للقاري، «السماع» للبغدادي، «صحيح مسلم»، «طبقات الشافعية» للسبكي، «الفتاوى البزازية»، «قنية الفتاوى» لابن مسعود، «المبتغى» للقوشهري (2)، «إحياء علوم الدين»، «آلام الإمتاع بحكم السماع» للخيضري، «البحر الرائق» للمصري، «البدائع» للكسائي، «البيان» للميني، «تنوير الأبصار» لابن تمرتاش، «التهذيب» للبغوي، «تحفة أولي الألباب في العلوم المستفادة من الناس والشباب» و «صخرة بابل وغناء البلابل» للنابلسي، «الرسالة» للشافعي، «روح القدس في مناصحة النفس» لابن عربي، «شجون المسجون» لابن عربي، «الطبقات الكبرى» للشعراني، «العقد الفريد» «المطالب الوفية في علم الصوفية» للنابلسي.....الخ (1).

(6) الرسول (55)، ابن حجر العسقلاني (12)، الشافعي، ابن قتيبة (1) عمر (9)، الزهري، أبو طالب المكي، عائشة، البغدادي، (7) معاوية (6)، أبو بكر، البيهقي، عبد الله بن جعفر، مالك (5)، ابن حنبل، البخاري، حسان بن ثابت، أبو حنيفة، سفيان بن عيينة، =

في المتصوفة ومراده منهم[1].

4 ـ «أحكام الذكر والسماع عند الصوفية» لسعيد بلبل (1388)[2]: وهو موضوع فقهي تقليدي درسه المعاصرون مع التمييز بين الذات والموضوع، بين الباحث وموضوع البحث، أسوة بالدراسات الجامعية الحالية التي ينفصل فيها الباحث عن موضوعه بدعوى الموضوعية والحياد. فالباحث شيخ صوفي يدرس موضوعا فقهيا عند الصوفية. ويشعر الباحث بالدونية أمام موضوعه، ويحقّر ذاته على عادة المحدثين في تسمية أنفسهم «العبد الفقير إلى رحمته تعالى»، «العبد الضعيف الذليل»[3].

وتضم موضوعات متفرقة متناثرة بلا أبواب أو فصول. ولا يستغرق موضوع أحكام الذكر والسماع، حلالاً أو حراماً مع الفتاوى إلا حيّزاً جزئياً من بين ثلاثة عشر موضوعاً في السماع كأصوات مثل الذكر والإنشاد وتجويد القرآن ومخارج الحروف، والهز والتمايل والرقص، والدف والأصوات، والتصفيق[4]. ثم تتحول الفنون السمعية إلى بصرية في الخرقة والحزام والراية، وعلاقة الشيخ بالمريد، والصوفية والمتشبهين بهم والسيرة الذاتية لبعضهم. ويعتمد على فتاوى السابقين واللاحقين[5]. وفي النهاية تذكر إجازة الشيخ تفاخراً[6]. وهي مجرد ذكر لمشايخه وتثبت بالنصوص والشروح والحواشي التي قرأها.

وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[7]. وتكثر الأحاديث القدسية لما فيها

= ابن عباس، عبد الله بن عمر، عمرو بن العاص، الأصفهاني (4)، البغدادي، المقدسي، الموصلي، النابلسي، النيسابوري، الزمخشري، سعيد بن المسيب، الشعبي، ابن عبد البر، ابن عوف، الغزالي، الماوردي، ابن عربي (3)، بلال، البيضاوي، ابن دقيق العيد، الجنيد، ابن الجوزي، الحجاج، حمزة، السبكي، شريح، المناوي، ابن الأرقم، الصديق، ابن جريج، قيس، مسلم، المغيرة (1).

(1) السابق ص74-112.

(2) المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 2002م.

(3) «جمعها أحقر الورى وأفقر الفقراء»، أحكام الذكر ص31.

(4) السابق ص49-53/ 64-65/ 79-87.

(5) السابق ص31.

(6) السابق ص105-108.

(7) الآيات (22)، الأحاديث (22)، الأشعار (18)، القدسية (4).

من طابع فني يتفق مع الموضوع. ويتم رؤية الرسول في المنام(1). وتطبق الآيات القرآنية عن العهد والولاية وعمل الصوفية(2). كما تعتمد على عديد من المصادر المدونة يُنقل منها حتى يبدو الكتاب وكأنه تجميع لبعض النصوص في الموضوع مع علامة «انتهى»(3). أو «أهـ»،(4). وتستعمل الشروح والحواشي(5). ولا يذكر إلا أعلاما قليلة من الصوفية(6).

ومع ذلك يعتمد الموضوع أحياناً على القسمة العقلية مما يكشف عن بقايا أعمال العقل والتصوف النظري(7). ويدل التمسك بالعقيدة والتوحيد على درأ الصوفية عن أنفسهم شبهات الخروج على العقيدة وقولهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود(8). وترد الرسالة على الشبهات التي قيلت حول الصوفية والتصوف(9). ويتوجه الخطاب إلى القارئ لتجنيده(10). وبالرغم من أن المؤلف سوري الأصل إلا أنه يدرك أهمية مصر المحروسة(11). وتبين المقدمة استعمال السلطة العثمانية للطرق الصوفية وأذكارها وسماعها للسيطرة على العامة(12).

---

(1) السابق ص66/ 80.

(2) السابق ص35/ 51/ 55/ 65/ 84/ 86/ 94.

(3) السابق ص74.

(4) السابق ص43.

(5) السابق ص59.

(6) مثل: إبراهيم بن أدهم، ثوبان، الجنيد، الحلاج، البسطامي، الغزالي، النابلسي، الشعراني، الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، أبو نعيم الأصفهاني، العسقلاني، ذو النون، الدقاق، الشعراني، السهروردي، ابن الفارض، الترمذي، الغزالي، الشاذلي، السنوسي، أبو طالب المكي، زروق. ومن الفقهاء ابن حنبل، الشافعي، الماوردي، السرخسي، ومن المتكلمين الباقلاني، ومن المفسرين القرطبي والرازي.

(7) أحكام الذكر ص32-33/ 64-66.

(8) السابق ص77-78.

(9) السابق ص91-96.

(10) السابق ص103.

(11) السابق ص88.

(12) السابق 14-19.

4 ـ علم الأخلاق:

وبالرغم من أن علم الأخلاق ليس علماً نقلياً من العلوم الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه، إلا أنه نظراً لاستناده على الأدلة النقلية فإنه أشبه بالعلوم النقلية. وهو ضمن الحكمة العملية نظراً لاستناده إلى الأدلة النقلية[1].

أ ـ «سر الأسرار وكشف الأنوار» لأحمد بن محمد الغزالي (520هـ)[2]: وهي مجموعة من المسائل النظرية على شكل أسئلة خمسة عشر. الخمسة الأولى عن الفقر والفقير الصادق، وعلاقة الفقير الكامل والفقير النافع وأحاديث الفقر، وهو أحد المقامات، والثلاثة التالية في السلوك الكامل للواصل وحقيقة السلوك ومراتبه وعلامة السالك. والخمسة التالية في الخلوة ومراتب الذكر، وأفضل آية للقراءة في الخلوة، وحضور السماع للخلوتي وضرورتها وأنواعها. والاثنان الأخيران ما ينفع الإنسان كالعلم وطريق السلامة الكلية. والمقدمة أشبه بالإطار العام وهو الارتقاء من حضيض البشرية إلى فنن الرحمانية، والوصول إلى الكمال الخلقي والتحرر من القوى الثلاث السبعية والغضبية والشهوية[3]. ومؤلفها العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي رحمة ربه الجليل القدير أخو حجة الإسلام. ولا يعتمد إلا على القرآن والحديث دون أشعار أو أقوال الصوفية أو محدثين أو فقهاء[4].

ب ـ «الورع» للإبياري (616هـ)[5]: وهو في التصوف الخلقي ينقسم إلى أربعة فصول. الأول في حقيقة الورع وحده وبيان لفظه في اللغة والشرع. والثاني في حكمه وتفاوت مراتبه ودرجاته. والثالث في بيان محاله ومعرفة مناط متعلقه. والرابع في بيان وساوس بعض الناس وتلبيس إبليس في جعل ما ليس بورع ورعا وهو الورع الكاذب. ويعتمد على الحديث والقرآن وحدهما دون الشعر والصوفية[6]. وتكثر الإشارة إلى الفقه وكأن الورع موضوع فقهي. كذلك يتقدم

(1) من النقل إلى الإبداع، مجـ3، الإبداع حـ3، الحكمة العملية. الفصل الأول: الأخلاق.
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (6)، ص105-127.
(3) سر الأسرار ص105.
(4) الآيات (15)، الأحاديث (4).
(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م، 1426هـ. 115-155.
(6) الأحاديث (10)، الآيات (8).

مالك وحده من الفقهاء[1].

حـ ـ رسائل ابن عربي (638هـ):

1 ـ **«الوصايا»**[2]: ولا تحتاج الأخلاق إلى المرور بتجاوز الفقه دائما بل يمكن أن تتجه إلى الأخلاق مباشرة عن طريق المواعظ الأخلاقية والنصائح العملية. وهي وصايا إلهية، نبوية، روحية، موسوية، عيسوية، محمدية، أو وصايا الصالحين والعارفين. وتتعدد أشكالها الأدبية بين الوصايا والحكاية والحكمة والنصيحة والموعظة والتوبيخ والتنبيه والتحذير والتحريض والتذكرة والتعريف والبيان. قد يكون الهدف منها اللطف أو المنفعة في طهارة الجوارح أو الأخبار أو الإقبال على شيء أو الإعراض عنه أو ترك الفضول أو رجاء شيء أو ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل أو الإجارة والاستجارة. وتعتمد على كثير من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار[3]. وقد تتوالى الآيات تباعاً في دفقة طويلة النفس[4]. وقد تكون الوصايا من القرآن وحده فليس هنا أبلغ أثراً منه[5]. وتكثر الأحاديث القدسية لما لها من خيال وإخراج مسرحي في أشكال أدبية متعددة وحوارات بين الله والأنبياء أو بين الأنبياء والرسول أو بين الله والملائكة أو بين الملائكة والأنبياء. وكل ذلك دون أسانيد تاريخية مضبوطة،ويكفي «وقد ثبت أن»، و«في الخبر» دون سند. وقد يطول الحديث مع نداءات مستمرة «يا أبا هريرة»[6]. وقد تتوالى الأحاديث تباعاً[7]. وقد تكون الوصية شعراً[8]. فالشعر يكفي. وهو ديوان العرب. وبه دونت العلوم الإسلامية للمساعدة على الحفظ في عصر الموسوعات الكبرى والشروح والملخصات خوفاً من الضياع بعد الغارات على العالم الإسلامي من الغرب ومن الشرق. وتدخل وصايا من التوراة طبقاً للإسرائيليات، ومن أقوال

(1) مالك (9).
(2) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د.ت).
(3) الآيات (325)، الأحاديث (270)، الأشعار (52).
(4) الوصايا ص218-226/ 292-294.
(5) السابق ص218-226/ 280.
(6) السابق ص212.
(7) السابق ص227.
(8) السابق ص92-201.

الأنبياء مثل لقمان[1]. ومن أعلام الصوفية يتقدم ذو النون، ثم أويس القرني، والبسطامي، والعريني، وأبو مدين، والغزالي، وابن طفيل صوفياً.

2 ـ «لطائف الأسرار» أو «تنزيل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك»[2]: وكما خرج التصوف من الفقه والأخلاق فإنه عاد إلى الفقه والأخلاق من جديد عندما ضعف التصوف النظري. وقد حدث ذلك في كثير من مؤلفات ابن عربي ورسائله، بالرغم من أنه في قمة التصوف النظري[3]. والكتاب له عنوانان، وكلاهما بعيد عن المضمون. الأول العنوان الأطول «تنزيل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك» ويعني نزول الحقائق وهي الملائكة من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وعالم الأرواح يرمز إلى الحقائق النظرية. وعالم الأفلاك يرمز إلى الواقع العملي[4]. وهو ما يتضح في العنوان الثاني«لطائف الأسرار» أي التحول من الفقه إلى الأخلاق عن طريق التأويل والانتقال من الشريعة إلى الحقيقة، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، كما كان التصوف في البداية.

والكتاب قائم على اللغز والرمز كي تصح المناجاة. لذلك سمي أيضاً «لطائف الأسرار»[5]. والهدف هو إخفاء المعاني الباطنية والعلوم الكشفية عن أهل الظاهر عقوبة لهم على إنكارها[6]. وينقسم إلى أربع وخمسين باباً متتالية. ولكن المحقق ردها إلى ستة فقط[7]. والكتاب كله تقريباً في الصلاة. وليس الفقه فقط

---

(1) السابق ص 260-273.

(2) دار الفكر العربي، القاهرة 1961م- 1380هـ.

(3) ويشبه «الأربعين في أصول الدين» للغزالي في الجمع بين الفقه والعقائد.

(4) «فبهؤلاء السادات في ستري لهذه العلوم تأسيت بهم، وفيها اهتديت. وسميت هذا الكتاب... على أوامر صفات العلام الإله المالك والقهار الفاتح على أرباب الألباب، الصافات عند الباب، السرائر صلوات أيام الليل الحالك والنهار الواضح»، السابق ص36.

(5) «فهو مبني على اللغز والرمز ليتحقق المدعي في مناجاة ربه عند وقوفه على هذه النتائج بالحصر والعجز»، السابق ص35.

(6) «وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في هذه الألغاز الخطابية غيرة من علماء الرسوم، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم. كما ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم. وجعل غشاوة على أبصارهم. فلم يدركوا من روائح الحقائق شمسه...»، السابق ص35.

(7) الباب الأول (8ص)، الثاني (4ص)، الثالث (9ص)، الرابع (7ص)، الخامس (52ص)، =

هو الأخلاق بل هو الكون كله. ولا تطابق الشريعة الحقيقة فقط بل تطابق الموجودات كما لاحظ إخوان الصفا من قبل. والأدلة النقلية كثيرة. الأشعار أولاً ثم الآيات ثم الأحاديث مما يدل على أولوية التجربة الشعرية[1]. كما يظهر القرآن الحر كجزء من الأسلوب. وبعض الفقرات موجهة إلى القارئ بنداء «يا أخي» مثل إخوان الصفا. فالتصوف دعوة وتجنيد للناس وليس فقط تأملاً نظرياً فردياً.

د ـ «تاج العروس المؤدي لتهذيب النفوس» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)[2]: وهو نص مجمل يبدأ بالتوبة. وينتهي ببيان للمعتبرين وهداية للمتبصرين وبفضل في مناجاة الحق لعبده وليس مناجاة العبد لربه. ويعتمد على الكتاب والسنة والشعر[3].

هـ ـ «بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس» لابن ميمون الغماري (917هـ)[4]: وهو أيضاً نص مجمل في الأخلاق صنو الفقه والمرحلة الأولى في التصوف. وموضوع الوسواس ينتمي إلى التصوف النفسي مع الخاطر. الغاية الوصول إلى درجة الإخلاص ومنع الرياء أشد أنواع الشرك. فالعمل عمل

= السادس (88ص)، الأول في ذكر اسم الكتاب وعنوانه. والثاني في التكليف والمكلف والتكاليف. والثالث في الشريعة، سبب وضعها، واتفاق الرسول مع المرسل إليه، ومقام الرسالة والرسول، وتلقي الرسالة وشروط أحكامها، وتقلي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة وهي الولاية. والرابع في الصلاة، الصلوات الخمس وعله أسمائها وشروط الإمام. والخامس في الطهارة وأركان الصلاة، سببها، والتيمم، والنية والغسل، والاستنجاء، والاستحمام، والمضمضة، والاستنشاق، والاستنثار، وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين، ومسح الرأس والأذنين كل ذلك من أجل نزول الروح على القلب ثم التشهد والانصراف إلى الصلاة، وطهارة الثوب وأركان الصلاة من تكبير ورفع اليدين والتوجه إلى الصلاة والوقوف والقراءة، الفاتحة، والسورة، والركوع والسجود، والجلوس والتشهد، والسلام وسجدة السهو. والسادس في الإمام وأيامه. وهو أكبرها. فلكل صلاة يوم، الإمام الأحد، والمأموم الاثنين، والعشاء الثلاثاء، والعصر الأربعاء، والظهر الخميس، والمغرب الجمعة، والصبح السبت، وأهمية الصلاة الوسطى ودوام الصلاة. والمقصود من ذلك كله بيان الاختصاصات والانفعالات.

(1) الأشعار (72)، الآيات (52)، الأحاديث (2).

(2) دار الكتب العملية، بيروت 2005م -1426هـ (1)، ص4-45.

(3) الآيات (61)، الأحاديث (15)، الأشعار (1).

(4) دار الكتب العملية، بيروت 2006م -1427هـ (3)، ص91-108.

القلب. ومنعاً أيضاً للعُجب، والرياء والعجب وسواساً من النفس. القلب سر العبد. لذلك حرم الفقه الرياء والعجب وما شابههما من الكبر والحسد والحقد والغضب وحب الرياسة والجاه وحب الدنيا مثل باقي المعاصي، شرب الخمر وقتل النفس والغيبة والنميمة. يدفع الوسواس إلى تجاوز المباح. والرياء والعجب يفسدان العبادة. ومعرفة ذلك بالعلم. والعلم بالمعلم. والوسوسة نوعان للخاصة في أعمال القلوب، وللعامة في أفعال الجوارح. والذريعة في الحالتين «هكذا وجدنا مشايخنا» أي الاستسلام لعادة العصر[1]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. ومن الصوفية الأوائل من التابعين يستدعي إبراهيم النخعي والجنيد[3].

و ـ **«أصول الهداية» لابن باديس (1359هـ)**[4]: موضوعه التوبة، عوداً إلى التصوف الخلقي. وهو أيضاً أول مقام في التصوف النفسي، تميزاً بين التوحيد العلمي والتوحيد العملي. الأول مرتبط بنظرية المعرفة ابتداء من الحواس والسمع والبصر والفؤاد. والثاني مرتبط بالأخلاق. والأخلاق تبدأ بالنفس وبالآخر، بر الوالدين. وأخلاق النفس صلاحها وطاعتها وتوبتها، وإيثار الحقوق لأربابها. والإنسان مدني بالطبع يتوق إلى المجتمع السعيد، وتكوين المجتمع الرشيد، مجتمع الحقوق، حق القريب وحق المسكين وحق ابن السبيل. والعدل في الإنفاق. والناس في الحظوظ، بين الأكثر والأوسط والأقل. والحد الأدنى مقاصد الشريعة، الحفاظ على النسل، وحفظ العرض، وحفظ الثروة، وحفظ العقل، وكرامة الإنسان. وواضح الموقف الإصلاحي الذي يأخذ التصوف أداة للإصلاح. ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر[5]. ومن الصوفية يتقدم

(1) «وقل من يلاحظ في هذا الزمان الصعب هذا، بل استولت النفوس على أربابها بطلب حظوظها الدنيوية. ولم يبق من يطلب طريق الآخرة على أصل الكتاب والسنة إلا قليلاً. بل ارتكب الشيء على الوهم والهوى، بدليل أنك إذا سألت أحداً ممن ينتسب إلى الآخرة في زماننا هذا عن أقواله وأفعاله يقول «هكذا وجدنا مشايخنا» وربما تكون أقوالهم وأفعالهم مخالفة للكتاب والسنة.. واتّبعوا المشايخ على غير الكتاب والسنة بل على مخالفتها بالظاهر والباطن»، السابق ص99.

(2) الآيات (62)، الأحاديث (11)، القدسية (2).

(3) إبراهيم النخعي (4)، الجنيد (1).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (1)، ص50-109.

(5) الآيات (81)، الأحاديث (23)، الأشعار (2).

الشاذلي ثم أبو العباس المرسي[1].

ز ـ **«ففروا إلى الله لا ملجأ من الله إلا إليه» لأبي ذر القلموني**[2]: وهو عنوان صوفي بالأصالة، اللجوء إلى الله وهو التصوف ولكنه بشروط بالفقه. فالتصوف في هذا العصر المتأخر ينشأ من الفقه من جديد كما نشأ أول مرة. والعجز قاسم مشترك في اللحظتين، العجز عن مقاومة ظلم الأمويين في الداخل، والعجز عن مقاومة الحاكم القاهر في الداخل والاستعمار في الخارج.

ويتكون من ثلاثة عشر باباً، ستة في الفقه وسبعة في التصوف على التداخل[3]. والخطاب موجه إلى القارئ والقارئة «وارباه»، «يا أختاه» نظراً لسيادة الخطاب النسوي المعاصر. كما تظهر الحياة العصرية وإغراءاتها من مال وسيارات وعقارات. وتظهر أحكام الجنس المعاصرة من الاستحاضة والريح والفرق بين المني والمذي والودي، عندما انزوى الإسلام إلى غرف النوم بعيداً عن الحياة العامة[4]. وتظهر أهمية الدعاء المستجاب لقضاء الحاجات، والتوسل بالأنبياء، وصلاة الحاجة والاستخارة لتحقيق المطالب ومعارضة ابن تيمية لذلك[5]. وفي الفقه أيهما أفضل التسبيح بالأصابع أم بالسبحة؟[6]. وفي الغناء ما الفرق بين مزمور الرحمن ومزمور الشيطان؟[7]. ومن آداب سورة النور جواز توصيل الرجل ابنة عمه أو عمته وكلها آداب جنسية مثل غض البصر، وحفظ الفرج، وخلوة الرجل بالمرآة دون محرم، وتغطية وجه المرأة، والحجاب وعمل المرآة خارج البيت ومقارنتها بالمرأة الأوربية وتعليمها.

---

(1) الشاذلي (2)، أبو العباس المرسي (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(3) ويتعلق الفقه بالصلاة والدعاء مع صلاة الحاجة والاستخارة، وحكم الإسلام في الغناء ورأي الفقهاء الأربعة، وحكم تغطية وجه المرأة، وعملها خارج البيت، وعلاج الصرع والسحر وفك الربط وهو الفقه عندما تحول إلى طب نبوي خرافي، والنصيحة وهي أكبر الأبواب. أما أبواب التصوف فتتعلق بالتوبة أول المقامات، وذم الدنيا وتذكر الموت، والذكر، والعشق داء ودواء، السابق ص41-45.

(4) السابق ص60-62.

(5) السابق ص65-86.

(6) السابق ص105.

(7) السابق ص116-117.

وتبدو بعض الظواهر الاجتماعية المعاصرة مثل البقشيش والقمار والهدية والرقية بالترتيل، ومواضيع أخرى كان ينبغي إدراجها في الكتاب. كما تذكر ظاهرة المهر (الدوطة). ويلاحظ سيادة السلفية، ابن تيمية وابن القيم. وتشفع بعض الرسوم التوضيحية مثل جدول محاسبة النفس[1]. ويوضع البرنامج أول الكتاب[2].

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. ويقتبس من مصنفات الفقهاء والصوفية، شروحها وملخصاتها[4]. ويذكر العديد من الصوفية والفقهاء والمفسرين. يتقدمهم ابن القيم، ثم ابن كثير، وأبو حنيفة، الشافعي، وابن تيمية[5]. ومع ذلك تظهر القسمة العقلية مثل شروط المعصية الثلاثية وآثار المعاصي الأربعة والأربعين، ومقامات البلاد الثلاثة القوي والمتوسط والضعيف[6].

رابعاً: علوم الحديث والسيرة

وهما من العلوم النقلية. إذ يعود التصوف إلى علم الحديث وعلم السيرة. ومنهما قد نشأ في مرحلة التصوف الخلقي. والآن يعود التصوف ليجد فيهما ملجأ وملاذاً للحقيقة المحمدية. ويبعد التصوف الخلقي إلا فيما ندر. وكما كان الأمر في البداية، لا فرق بين كتب الحديث وكتب التصوف، كذلك عاد نفس الأمر في النهاية. فقد أصبحت كتب التصوف مجموعات في علم الحديث. ثم أصبح علم السيرة هو الحامل للحقيقة المحمدية. وكلما تضخمت شخصية الرسول من علم الحديث إلى علم السيرة، من القول إلى الشخص كذلك تضخم علم السيرة من شخص الرسول إلى الحقيقة المحمدية، من محمد البشري إلى محمد الإلهي، من

(1) السابق ص189.

(2) السابق ص7-8.

(3) الآيات (290)، الأحاديث (155)، الأشعار (8).

(4) مثل: الجواب الكافي، إغاثة اللهفان، زاد المعاد، لابن القيم، مختصر منهاج القاصدين، أحكام القرآن لابن العربي.

(5) ابن القيم (6)، ابن كثير، الشافعي، ابن تيمية، أبو حنيفة، البوطي (4)، أحمد الشاطبي (3)، الشوكاني، أبو يوسف الألوسي (2)، النووي، مالك، ابن الجوزي، الرازي، الطبري، الجنيد، ذو النون، الصابوني، سفيان الثوري، النووي، الحنابلة (1).

(6) السابق ص13-24/ 67.

محمد الرسول إلى محمد الحقيقة، من محمد الظاهر إلى محمد الباطن، وبتعبيرات الصوفية من محمد إلى أحمد.

وبالرغم من أن الترتيب الزماني قد يقطع الموضوع الواحد المتصل بفقرات الزمان المتقطعة إلا أنه يحافظ على المسار التاريخي لمعرفة كيفية تخلق الموضوعات عبر الزمان المتصل. فالوعي الموضوعي يقوم بدور الوعي التاريخي والمنهج التاريخي. والجمع بين الاثنين، الموضوع والتاريخ يبرز الموضوع في تطوره التاريخي.

1 ـ علم الحديث

أ ـ «التوبة» لابن عساكر الدمشقي (571هـ)[1]: وهو موضوع بين التصوف الخلقي لأنه من أفعال القلوب، والتصوف النفسي لأنه أول المقامات. يغلب عليه علم الحديث، خمس عشرة فقرة في كل منها حديث. وواحدة فقط بها شعر. يحضر النقل ويغيب العقل كما هو الحال في الوعي العملي في التصوف المتأخر. معظم الأعلام من المحدثين والفقهاء والصحابة والتابعين. وأقلهم من الصوفية الأوائل مثل سعيد بن المسيب. وتعتمد على الحديث أولاً ثم الشعر ثانياً، دون القرآن، مما يدل على غلبة علم الحديث على علوم القرآن[2].

ب ـ «الذب عمن تاب من الذنب طالبا لمرضاة الرب» لابن ناصر الدين الدمشقي (842هـ)[3]: وهي رسالة في التوبة، أول مقام من مقامات الصوفية في التصوف النفسي. وهي أحد جوانب التصوف أيضاً. فالعودة إلى الأخلاق أحد مظاهر التصوف المتأخر في الوعي العملي، وتنقسم إلى ثلاثة فصول بلا عناوين. الأول وهو أطول الفصول أن التوبة أفضل من عدمها لآثارها النفسية الإيجابية وتخفيف الكرب والإحساس بالذنب. والثاني التلطف بالتائبين والإحسان إليهم، والثالث صدق التوبة. وهذا هو سبب تأليف الرسالة[4]. وأهم ما فيها عدم

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م (2) ص47-53.

(2) الأحاديث (14)، الأشعار (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (1) ص9-39.

(4) «فهذه رسالة في الذب عن من تاب من الذنب طلباً لمرضاة الرب، أردت بها موافقة الله تعالى ورسوله في جبر قلب التائب وردع المشنع عليه والعائب، ورد الخجل له والعاتب» السابق ص10.

الاحتجاج بالقدر على ارتكاب الذنب والتخلي عن المسؤولية عن الأفعال[1]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[2] كما تعتمد معظمها على أقوال الصحابة والتابعين والمحدثين والمفسرين والفقهاء كما هو الحال في الأشعرية. وأهل السلف بحيث يسود النقل على العقل وهو ما يميز الوعي العملي في التصوف المتأخر[3]. ولا يظهر من الصوفية إلا الأقل. وتورد اقتباسات آخرها «انتهى». وتحضر بعض الإسرائيليات في حديث آدم الطويل في الجنة ومخاطبة الله له باعتباره أول المذنبين وأول التائبين[4].

جـ ـ «جواب سؤال عن الصبر والحلم» للشوكاني (1250هـ)[5]: والجواب هو الحاضر دون السؤال. الصبر من المقامات، ومن أسماء الله الحسنى الصبور، والحلم من الفضائل. وهناك علاقة بين الاثنين الحلم أحد مظاهر الصبر، أي الهدوء والعقل وعدم الانفعال والأناة. ويقوم التحليل الخلقي للمقامات على أسس نفسية وتربوية. كما يعتمد أيضاً على بعض المفاهيم الأصولية مثل العموم والخصوص وبعض التعريفات اللغوية المعجمية. وتعتمد الرسالة على القرآن والشعر والحديث[6]. كما تعتمد على كثير من النقول خاصة «التعريفات» للجرحاني. وتوضح الاقتباسات بعلامة «انتهى»[7].

د ـ «هادي المريد إلى طرق الأسانيد» للنبهاني(1350هـ)[8]: وهو في أسانيد الصوفية بالرغم من نقدهم علم الرواية لصالح المعرفة «المباشرة»، «عن قلبي عن ربي أنه قال» والمؤلف هو الفقير، وكتابه ثبته. يتضمن أربعين سنداً وأربعين فائدة، وخمس إجازات، وحجة إثبات أجيز المؤلف بها. أحدهما يتضمن اثنين وأربعين

(1) السابق ص12.

(2) الآيات (23)، الأحاديث (22)، القدسية (2)، الأشعار (1).

(3) مثل ابن سيرين، أحمد،.مالك، ابن القيم. ومن الصوفية الحسن البصري.

(4) الذب عمن تاب . . . ص22-23.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م (4) ص73-78.

(6) الآيات (5)، الأشعار (2)، الأحاديث (1).

(7) صاحب التعريفات (4)، انتهي (2).

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (3)، ص161-195.

ثبتاً، تشمل أكثر أسانيد العلماء[1]. وتتكون من عدة إجازات. وهي النقل المدون في مقابل النقل الشفاهي في علم الحديث[2]. وتمثل نوعاً من تبعية المريد للشيخ، واقتفاء أثره، ونقل علمه. ويجمع المؤلف بين حياته ونقوله، بين أسفاره وأسانيده. ويعتمد على القرآن وحده[3].

هـ ـ «المنتقى المفيد من العقد الفريد في علم الأسانيد» للأروادي (1275)[4]

وهو كتاب في أسانيد الصوفية ومشايخهم كما يدل عليه العنوان، الأشياخ المصريون والشاميون. يبدأ بذكر أربعة أحاديث مروية عن الخلفاء الأربعة ثم بالأحاديث الأربعين متصلة بالإمام الحسين، متون دون أسانيد. ثم تأتي أسانيد الأئمة الأربعة وأسانيد الإصحاحات الستة والإحالة إلى باقي كتب الحديث المتصلة بالأسانيد، والمعاجم الثلاثة للطبراني والأحاديث التي اعتنى بها أصحاب الإثبات مع بعض السلسلات وأسانيدها، وفي أولها وأخرها والانتقاء، إجازة التلميذ الكُمشخاوي وانتقاء الكوثري. مؤلفه هو العبد الفقير والعاجز الحقير. ومصادره عديدة من مؤلفات الصوفية[5].

2 ـ علم السيرة

وهو أضخم علم دخل التصوف فيه، وعبر عنه «الحقيقة المحمدية» من خلاله حتى أصبح من الصعب التمييز بين علم السيرة والتصوف. ويصعب العرض التاريخي الخالص دون إبراز الموضوع. كما يصعب إبراز الموضوع دون تطوره التاريخي، وعرض الموضوع من خلال التاريخ.

تتضخم شخصية الرسول تدريجياً من البشرية إلى الإلهية، من مدح فعاله إلى

(1) السابق ص162.

(2) وهي إجازات الشيخ إبراهيم السقا، محمود أفندي حمزة، الشيخ محمد الحاتي، السيد محمد أبي الخير عابدين، الشيخ محمد أمين البيطار الشامي.

(3) الآيات (14).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (3)، ص115-124.

(5) مثل: ابن عربي والسيد البدوي والرفاعي والكيلاني وإبراهيم الدسوقي والشاذلي وابن عطاء الله السكندري. وشرح الحكم لابن عباد، ومنازل السائرين للهروي، وعوارف المعارف للسهروردي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وعشرات من شروح الأحاديث، السابق ص118-120.

مثاله الأخلاقي إلى سيرته الكاملة من الميلاد حتى تلقي الوحي. ثم يتضخم محمد الرسول إلى محمد الحقيقة من الصلاة عليه وقراءة الأوراد إلى مدحه وتعظيمه وتفخيمه إلى الاستغاثة به ورجاء الشفاعة منه إلى محمد الكوني القديم الذي خلق العالم منه وخرجت النبوة من ثناياه، خلق وآدم بين الماء والطين. وهو سيد ولد آدم ولا فخر.

أ ـ مدح النعال: ويعني «مدح النعال» التركيز على أحد جوانب لبس الرسول وهو النعل ومدحه. فكل شيء في لبس الرسول، نعله، وعمامته ورداؤه موضوع للكمال ومن ثم للمديح.

1 ـ **«فتح المتعال في مدح النعال (وصف نعال النبي)» للمقرئ التلمساني المغربي (1041هـ)**[1]: وتبلغ قمة تعظيم الرسول في مدح نعاله وهي جزء من لباسه، ولباس جزء من جسده. يجمع بين النثر والشعر بين الأدب والسيرة. و«النعل» لفظ قرآني ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾. وذكر أيضاً في الحديث. والمقصود المعنى الحرفي نعل الرسول وخفه. ما يوضع في القدمين، وليس المعنى المجازي، خلع النعلين حين وطأ المقدس، واحتراماً للمكان الطاهر.

والمؤلف على وعي بالموضوع وقسمته التي يذكرها في البداية[2]. وتتكون من أربعة أبواب: الأول النعال الشريفة في الروايات. والثاني المثال العظيم البركات والمنافع. والثالث القطعات والمقاصد في مدحه مرتبة على نحو أبجدي. والرابع الخواص والمنافع المجربة منه أي المعجزات والكرامات مع نقش مدحه في الصخر، كما هو الحال في الحجر الأسود[3]. أكبرها الثالث، الشعرى. وأصغرها الثاني في المثال العظيم[4]. والنعل مجرد علامة بحر الشعر واللحية والصبغة وغيرها من علامات الجسد. وهو خلط بين السنة والعادة، بين السنة القولية والسنة الفعلية. فالنعل عادة عربية في الشكل واللون مثل الخف المغربي

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ.

(2) السابق ص12-13.

(3) السابق ص272.

(4) الأول (61ص)، الثاني (27)، الثالث (136)، الرابع (67).

المعروف. وليس فيه من السنة والاقتداء مثل الشوارب واللحى. والعجيب أن يثير النعل كل هذا الخيال الشعري وهو ما يحدث في الأغاني الشعبية مثل «يا شبشب الهنا يا رتني كنت أنا» مع الغزل في الكعب العالي ورنة الخلخال في أحكام السوق. وفي شعر الأندلسيين حنين إلى الحجاز. وبركة الحذاء في حمايته لصاحبه وتوفير الأمن له كما تفعل الجند المهزومة في الصحراء وهي تخلع الحذاء وتسير حافية القدمين، بين نار الحذاء ونار الرمل في صورة الجندي المندحر حاملاً حذائه الميري عائداً إلى الوادي. وله ما يشبه في تاريخ الأديان في رداء المسيح الذي ظل يفعل المعجزات حتى بعد وفاته، وسيف علي، وشعرة النبي في معظم مساجد الهند. وينتقل النعل بمفرده من مكان إلى آخر حتى بعد أن يتوفى صاحبه[1]. هي الحقيقة المحمدية في أدنى مستوياتها هبوطا من الكون إلى النعل، ومن التاريخ إلى الخف، ومن السرمدية إلى الحذاء.

ويعتمد الكتاب على الشعر أولاً ثم الحديث ثم القرآن[2]. ولا توجد إسرائيليات أو أقوال صوفية. ومن الأشعار القصائد الطوال. وبها يختتم الكتاب. وتذكر الأسانيد في مثل هذا الموضوع حرصاً على عدم الاختلاف في المتون ورصد زياداتها. معظمها روايات وليس أقوالاً مباشرة. ففي الرواية ينشط الخيال. وقد تظهر الإسرائيليات عن بعد في لون النعل الأصفر مثل البقرة الصفراء لدى بني إسرائيل علامة القداسة[3]. وتضاف الرسوم التوضيحية لنعل الرسول ممن لم يرها[4]. كما يعتمد على عديد من المصادر المدونة واقتباسات منها تنتهي بعلامة «اهـ» أو بلفظ «انتهى». ويُستطرد في الحديث. ويتم التنبيه على العودة منه إلى الموضوع. وينبه أحياناً على الفوائد العملية للموضوع[5]. ولا يخلو الأمر أحياناً من تبرير عقلي ولو في حياء[6].

(1) فتح المتعال ص278-304.
(2) الأشعار (304)، الأحاديث (100)، الآيات (36).
(3) فتح المتعال ص72-73.
(4) السابق ص104/ 107/ 111-114.
(5) السابق ص68/ 82/ 87.
(6) السابق ص69.

2 ـ الكمال الأخلاقي: «ويعني الكمال الأخلاقي» وصف شمائل الرسول وحسن أخلاقه وصفاته، وأمانته، وصدقه، وإخلاصه، وورعه، وتقواه، وزهده، وكأنه أحد الصوفية في مرحلة التصوف الخلقي. وأهم متونها:

أ ـ «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية» للجيلي (832هـ)[1]: وموضوعه الحقيقة المحمدية التي بلغت مستوى الذات الإلهية. فالأسماء الإلهية أيضاً صفات لمحمد. أسماء الله هي أسماء الرسول. والإنسان الكامل هو الله والرسول.

وينقسم إلى أربعة أبواب في محمد كنسبة بين الله والإنسان، محمد كواسطة. والثاني في صفات الله وأسمائه وهو أكبر الأبواب[2]. والثالث اتصاف محمد بالصفات والأسماء الإلهية بل وتوحده مع الذات، تأليه محمد واستيعابه الكمالات الخلقية في هيكله المحسوس وأخلاقه الباطنية، واستيعاب الكمالات الإلهية صورة ومعنى، ظاهراً وباطناً، وصفاً وتحقيقاً، ذاتاً ونعتاً، جمالاً وجلالاً. والرابع ما في الإنسان من الأمور الكمالية من الصفات والأسماء الإلهية وكيفية التحقق من ذلك أي «تأليه الإنسان» و«تأنيس الله». فالله ومحمد والإنسان حقائق أزلية. الذات والصفات والأسماء والأفعال واحدة. والإنسان والعالم أيضاً شيء واحد نظراً لمظهرية الإنسان للعالم صورة ومعنى، علواً وسفلاً، ظاهراً وباطناً، فاعلاً ومنفعلاً. فالله والرسول والإنسان والعالم بنية واحدة. وهناك فصول فرعية بلا عناوين، وبعض ألفاظ التنبيه مثل: تنبيه، إشارة، وصل أو عبارة إشراقية مثل صدر الدين الشيرازي[3].

ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر[4]. كما يعتمد على الأدلة العقلية ويخصص لها قسماً من الباب الثالث، «في الدلائل العقلية المؤيدة عند الخواص بالكشف الصريح وعند العوام بالخبر ليعلم بذلك تفرده في تحققه بالذات الإلهية والكمالات الوجودية»[5].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2004.

(2) الباب الأول (4)، الثاني (79)، الثالث (53)، الرابع (18).

(3) فصل (6)، نكت (5)، إشارة (2)، وصل، درة يتيمة في لجة عظيمة (1).

(4) الآيات (198)، الأحاديث (75)، القدسية (6)، الأشعار (7).

(5) السابق ص115-117.

ومن الصوفية يحضر ابن عربي ثم الجنيد. ومن الصحابة أبو بكر. ومن الأنبياء بطبيعة الحال محمد وحده[1]. ويحال إلى ستة من مؤلفات الجيلي الأخرى وإلى مصدر آخر واحد[2].

2 ـ «شمس الآفاق بنور ما للمصطفى من كريم الأخلاق» للبكري الصديقي الشافعي المكي (1057)[3]: وهو عود إلى السيرة الخلقية للرسول توجيهاً من حديث «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي قطعة واحدة بلا قسمة إلى أبواب وفصول، موضوعات متناثرة بين حسن الخلق مثل الكرم والحياء والعفو والجود والشجاعة والتواضع والرضا والرفق وكظم الغيظ. ثم تأتي صفات سلوكه الشخصي مثل الضحك والبكاء والمنطق والألفاظ، والمشية والقول. ثم تأتي كيفية اللباس، القميص والجبة والإزار والرداء والحلة والبردة والعمامة والقلنسوة والسراويل والصوف واللباس والخف والنعل. ثم تأتي أدوات الحرب، القوس والرمح والسيف والدرع واللواء والراية والحربة والقضيب والكرسي والقبة والخيل والسرج والبغلة والحمار والناقة والشعار. ثم يأتي الفراش واللحاف والقطيفة والوسادة والسرير والحصير والاكتمال والمرآة. ثم تأتي عباداته، القراءة والقيام ليلاً والاجتهاد والتضرع. ثم يأتي الطعام والشراب المائدة والسفرة والصفحة وأكله السمن والعسل والرطب والتمر والتين وشرب النبيذ، وأكل القرع والخل والزيت وغسل اليدين، وحبه للنساء والطيب والصلاة، وعلاقاته الاجتماعية مثل عيادته المرضى واستعمال اليمين ومشورته لأصحابه وسلامه وتشييع الجنازة وجلوسه. وهو خلط بين السنة القولية والسنة العادية، بين السنة والعادة. وهو رسم لشخصية الرسول كما يفعل المخرج السينمائي أو المسرحي. يتكلم الفارسية والحبشية دون ذكر للقبطية التي كان يحتاج إليها للحديث مع مارية القبطية، هدية المقوقس له. وتتضح شخصية الحبيب الاجتماعي. يغلب عليه الضحك أكثر من الحزن.

---

(1) ابن عربي (4)، الجنيد (2)، أبو بكر (2)، محمد (4).

(2) من مؤلفات الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (4)، المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية (3)، حقيقة الحقائق، قطب العجائب وفلك الغرائب (2)، الخضم الزاخر والكنز الفاخر، جنة المعارف وغاية المريد والعارف، الكهف والرقيم في شرح باسم الله الرحمن الرحيم (1). ومن المصادر الأخرى «الشفاء» للقاضي عياض (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1425هـ.

ويعتمد على الحديث أولاً ثم القرآن دون الشعر وأقوال الصوفية[1]. وسبب التأليف هو السير في نفس التقليد في تقريظ الشمائل النبوية مثل «أخلاق النبي»، «النبأ العظيم للنبي في شرح أخلاق النبي» دون تطويل والتأسي بالأخلاق النبوية. ويعترف بالاعتماد على المصادر والزيادة عليها[2]. وتُذكر الأسانيد مع المتون.

3 ـ رسائل النبهاني (1350هـ)

أ ـ كتاب الأسمى للنبي الأسمى[3]: وهو نفس موضوع الرسالة السابقة. ولما كانت الأسماء الإلهية صفات خلقية وكان أحد تعريفات التصوف «التخلي عن الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية» أصبح موضوع شرح أسماء الله الحسنى على أساس خلقي أحد المداخل للتصوف الأخلاقي. ويضم أسماء الرسول مع فوائدها، عربية وأعجمية، مرتبة ترتيباً أبجدياً، والأعجمية في غالبيتها معربة من العهد الجديد والعهد القديم. وقد تحول كل فعل من أفعال الرسول إلى اسم. ولما كانت الأفعال لا نهاية لها فإن الأسماء أيضاً كذلك. ويشارك الرسول الله في ثلاثين اسماً[4]. ويتم شرح كل اسم لفظاً ومعنى عن طريق الاشتقاق والترادف. وهي إما عربية أو معربة من اليونانية أو الرومية أو العبرية أو السريانية نظراً لتبشير الكتب المقدسة السابقة بقدومه في التوراة والإنجيل[5].

وهي ثلاثمائة وتسعون اسماً يمكن تصنيفها إما لفظاً مثل الأمي، مع مترادفات ومشتقات منه قد تصل إلى العشرين[6]. وقد تكون لفظين، مضاف ومضاف إليه مثل «آخذ الصدقات» أو جاراً ومجروراً مثل «الآخذ بالحجرات». وقد تكون في صيغة أفعل تفضيل من الدرجة الأولى، «أفضل» مثل أحمد أو من الدرجة الثانية «الأفضل» مثل «الأزهر»، وقد تظهر صفة التفضيل مثل «أصدق

(1) الأحاديث (220)، الآيات (14).

(2) شمس الآفاق ص22-43.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت. كتاب الأسمى للنبي الأسمى، النبهاني 1350، ص40

(4) السابق، ص 158.

(5) مثل آخريا، القتّال في التوراة، البارقليط، حابنطا في الإنجيل، والبرقليطس بالرومية، سرخيطس بالسريانية، السابق ص132/ 135/ 137/ 141.

(6) السابق ص32/ 136-137.

الناس لهجة» و «أرجح الناس عقلاً». وقد يكون مذكراً وهو الأغلب أو مؤنثاً وهو الأقل مثل «تذكرة». وقد تكون عبارة شارحة مثل «الحائد لأمته عن النار»، «الحريص على أهل الإيمان»، «حجة الله على الخلائق»، «حامل لواء الحمد يوم القيامة»، «صاحب الدرجة العالية الرفيعة». وبعضها مستمد من القرآن لفظاً مثل «الجبار» من آية ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾، أو عبارة مثل ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وأقلها من الحديث مثل الرحمة في حديث «أنا رحمة مهداة». بل إن الحروف في أوائل السور أسماء مثل «طه»، «ياسين» حتى «ص»، «كهيعص». وبعضها مشتق من فعل واحد بصفتين تفيدان درجة شدة الفعل مثل «الضحاك»، «الضحوك»[1]. وكل ذلك تعظيم لشخص محمد، وتحول «الحقيقة المحمدية» من التصوف النظري إلى شخص محمد «المغيث» في التصوف العملي. وتعتمد الأسماء على القرآن والحديث والشعر[2]. وتتم رؤية النبي في المنام والرواية عنه. كما تعتمد على بعض المصادر المدونة[3]. ومنها للمؤلف نفسه[4]. وتؤخذ منها بعض الاقتباسات ووضع علامة «أهـ». ولا يوجد أي تحليل نظري. بل إن الفوائد السبعة من الأسماء مستخرجة من أحاديث[5].

ب ـ «أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل»[6]: وهي قصيدة تضم أسماء مزدوجة تقليداً لأسماء الله الحسنى في قصدية شعرية تتوحد فيها قافية الشطرين كما هو الحال في القصائد التعليمية المتأخرة في باقي العلوم للمساعدة على الحفظ بعد ما توقف الإبداع. وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام تسهيلاً للقارئ ودون أي معيار للقسمة والتصنيف الأبجدي أو المعنوي أو قياساً على أسماء الله الحسنى. ومجموعها ثمانمائة وأربع وثلاثون أسماً، عربياً ومعرباً، دون بيان لسبب هذا العدد ومصدره. وهل هي توقيف مثل أسماء الله الحسنى أم اصطلاح يشتق من أفعال الرسول. وفي هذه الحالة لا تنتهي الأسماء لعدم انتهاء الأفعال.

---

(1) كتاب الأسمى ص145.
(2) الآيات (30)، الأحاديث (4)، الأشعار (2). فائدة لرؤية النبي في المنام، السابق، ص159.
(3) مثل «شرح المواهب للزرقاني»، «الرياض الأنيقة» للسيوطي.
(4) مثل «الفضائل المحمدية»، السابق ص128/ 138.
(5) السابق ص127-134.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت، ص103.

حـ ـ الاستغاثة والشفاعة: وقد غلبت على الأدعية المتأخرة بحيث أصبح الرسول وسيطاً بين الحق والخلق. وتعني تحول الرسول من وصف خارجي جزئي لأحد مكونات ملابسه إلى كماله الخلقي إلى الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه. وتتحول الاستغاثة إلى أحزاب وأوراد للقلب اللاهي. يقضي الحاجات، ووسيلة الولد الملهوف، ويفرج الكروب ومفرح القلوب. والحمدلة لها فوائد، لا فرق بين التصوف والمنفعة، بين الوهم والعجز.

1 ـ «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام» للمزالي المراكشي (683هـ)[1]: ويصعب التفرقة في مثل هذه المؤلفات بين علم الحديث وعلم السيرة وعلوم التصوف. فالكتاب في الاستغاثة بالرسول في اليقظة والمنام. رواية منه في اليقظة أو رؤية له في المنام[2]. وهو مجموعة من القصص والروايات في ستة أبواب غير متوازنة كمّاً، وغير متضمنة لكل الموضوعات، استغاثة آدم بالنبي، شفاعته، استغاثة الموحدين به في النار، المستغيثين به عند القحط، الاستغاثة به حين الجوع، الاستغاثة به حين العطش. أكبرها السادس[3]. هناك إذن محوران. الاستغاثة بالرسول في خمسة محاور، والشفاعة به محور واحد. وكلاهما في الدنيا والآخرة. وبتحليل بدايات الروايات يأتي لفظ «ذكر» أولاً ثم «رواية» ثم «استغاثة» ثم «قصة»، و«ملاذ» و«شكوى»[4]. وسبب التأليف هو الاستمرار في تقليد التأليف في موضوع الاستغاثة في الأزمات بعنوان «الفرج بعد الشدة»[5]. والاستغاثة ليست فقط من الأحياء بل من الأموات،

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت (د،ت).

(2) السابق ص83/ 96/ 111/ 148/ 153/ 179/ 182/ 115.

(3) الأول (7ص)، الثاني (3)، الثالث (5)، الرابع (13)، الخامس (10)، السادس (174).

(4) «ذكر» (194)، «رواية» (24)، «استغاثة» (4)، «شكوى»، «ملاذ» «قصه» (1).

(5) «فإنه سبق جماعة من العلماء الأعلام إلى جمع أخبار من استغاث بالله في الأزمات ولجأ إليه عند الطلبات فبلغه الله تعالى طلبته وأمنيته، وفرج عنه كربته وشدته، فجمع في ذلك الإمام أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً سماه «الفرج بعد الشدة»، وكتابا سماه «مجابي الدعوة». وللإمام التنوخي وكنيته أبو القاسم في ذلك كتاب كبير سماه «الفرج بعد الشدة» أيضاً، ونسج على منوالها جماعة منهم الإمام أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث، محدث قرطبة والقاضي بها. ألف في ذلك كتابا سماه كتاب «المستصرخين بالله عند نزول البلاء»، وبلديه الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال. وألف بذلك كتاباً سماه =

وليست فقط من الحاضرين بل أيضاً من الغائبين. فقد استغاث آدم بالنبي للمغفرة. فالنبي مخلوق قبل آدم كحقيقة أحمدية وبعده كظاهر، كحقيقة محمدية[1]. كما يشفع لجميع الأنبياء في حديث يخضع لآليات الإخراج المسرحي وأساليب الحوار. وكما يستغيث المحتاجون بالله، يستغيث المستغاث به وهو الرسول بالله. كما يستغيث الحيوان بالرسول. ويتكلم البعير والحمار. وتتحقق المطالب والحاجات بالمعجزات والكرامات[2]. ويُعظم الصحابة إلى مستوى فوق البشر كالرسول[3].

ويعتمد الكتاب على الحديث أولاً ثم القرآن ثم الشعر دون أعلام الصوفية[4]. والأحاديث في النوم، وهي لا يعتد بها لأنها تفقد شروط التواتر الأربعة، وفي اليقظة[5]. وكلها أدلة نقلية. وتخلو من كل دليل عقلي. وكثير من الأحاديث قدسية غيبية يظهر الله فيها مع جبريل والرسول كمحاورين مما يسمح بتدخل الخيال. وهي أحاديث طويلة تخرج عن الهدف الموضوع لها، توضيح الغامض على المستوى النظري، وبيان أوجه وسلوك والممارسة على المستوى العملي. ويتداخل الحديث مع القرآن وكأنه شرح له ولتقويته. وتظهر أهميّة الحديث فإن يصبح عناوين مستقلة لبعض الموضوعات كما يعتمد على مصادر مدونة[6].

= «المستغيثين بالله». وهذا باب واسع. فإن باب الحق عن عبيده غير مسدود، وعطاؤه سرمداً غير مجذوذ ولا محدود. فقصدت أن أذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي «صلعم» ولاذ به في شدته وتوسل إلى الله عز وجل إذ هو خيرته من خليقته. ولم أر فيما علمت من جمع شيئاً من ذلك. فاستخرت الله تعالى. وذكرت ما وقع لي من ذلك بعد ما أقدّم ما شاهدته، مما نحوته. خُبراً إلا خَبراً، عيناً لا أثراً»، صباح الظلام ص15-16.

(1) السابق، ص26-35.

(2) السابق ص190/ 193.

(3) السابق ص79-91.

(4) الأحاديث (189)، الآيات (45)، الأشعار (35).

(5) من النص إلى الواقع حـ2، الباب الأول، الوعي التاريخي.

(6) السابق ص78-91.

2 ـ رسائل النبهاني (1350هـ)

أ ـ «حزب الاستغاثات بسيد السادات»[1]: ويضم استغاثات أربعين ولياً بالنبي. وهو أيضاً تجميع من القدماء[2]. والعدد أربعون مألوف عند الصوفية في علم الحديث كعدد لزبدة الأحاديث والصوفية. وتخترق هذه الاستغاثات المذاهب الفقهية حتى الحنابلة[3]. وقد أصبح حزباً أي جماعة وتياراً وفريقاً وليس مجرد اختيار أو سلوك أو حل شخصي. ولا يعتمد إلا على آية قرآنية واحدة[4]. والاستغاثة عجز عن درأ المخاطر وحل الأزمات وتفريج الكروب، والتخلص من الهموم. في المجتمعات التراثية، الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين. وفي المجتمعات العلمية نداء الاستغاثة بعلامات النجدة[5].

ب ـ «مفرج الكروب ومفرح القلوب» للنبهاني (1350)[6]: ويحتوي على مائة واثنين وخمسون دعاء لتفريج الكرب وقضاء الحاجة كما ورد عن النبي وغيره من الأنبياء والمرسلين والصحابة والأولياء مع تخريجها ونسبتها إلى قائلها. وتنقسم الأحزاب إلى أربعة حصون. الأول لابن عربي، والثاني للشاذلي، والثالث للنووي، والرابع لعبد القادر الجيلاني[7]. والسؤال هو: ما مقايس الاختيار؟ لماذا هؤلاء الأربعة دون غيرهم؟ وتكشف عن البعد النفسي والعجز عن مواجهة الواقع وحل مشاكله واللجوء إلى تخفيف الكرب وضيق النفس بالدعاء. وهو أشبه بالعلاج النفسي. وهو ما يدل عليه النصف الثاني من العنوان «ومبلغ الخائف» «من حصول الأمن وحصونه غاية المطلوب». تكثر الأدلة النقلية وتغيب الأدلة العقلية بتاتاً. ويصبح الكتاب أقرب إلى علم الحديث منه إلى التصوف لكثرة

(1) دار الكتب العلمية، بيروت.
(2) وأشهرهم الغزالي، والجيلاني، والدسوقي، والشاذلي، والديريني، والتاج، والسبكي، والسخاوي، ومحمد وفا، وعلى وفا، وأبو العباس المرسي، والشعراني، والنقشبندي، والمرغني...الخ، السابق ص 86-88.
(3) مثل الشيخ محمد تقي الدين الحنبلي، حزب الاستغاثات ص87.
(4) السابق ص89.
(5) تسمي SOS. اختصار العبارة Save Our Souls،
(6) دار الكتب العلمية، بيروت ط4 2006م -1427هـ.
(7) السابق، ص3/ 9-39.

الحديث فيه. ثم يتلخص علم الحديث إلى الأدعية وحدها دون غيرها من التفاصيل العملية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية. ويعاد توظيف الحديث من مصدر الخبر إلى وسيلة لتخفيف الهم، ومن دعوة إلى العمل إلى نداء للدعاء. وتتحول الحقيقة المحمدية النظرية الكونية إلى واسطة الرسول والدعاء له والاستغاثة به. ويتحول الحديث من الكلمة إلى الشخص، ومن القول إلى القائل، ومن الرسالة إلى الرسول. ويعود التصوف إلى علم الحديث الذي خرج منه. ولا يعود هناك فرق بين أدعية الرسول ومناجاته وأحزاب الصوفية وأورادهم وأدعيتهم. ويقع كل ذلك في إطار الاغتراب الديني، والتحول من الخارج إلى الداخل، ومن الفكر إلى النص، ومن العمل العام إلى الفعل الخاص، ومن التغير الاجتماعي والسياسي إلى الانكفاء على الذات والخلاص الفردي، ومن الحزب السياسي إلى الحزب أي الورد الصوفي، بحيث يصبح الدين «أفيون الشعوب» وليس «زفرة المضطهدين» بالتعبير الشائع في الوافد الغربي. ويدل على عجز الدولة العثمانية عن حل أزمات الداخل، القهر السياسي، وتفكك الدولة، والتخلف، وأزمات الخارج، الخطر من القوى الاستعمارية الكبرى في القرن التاسع عشر وضعف الخلافة. ويدخل أيضاً في علم الحديث لأن مادته أساساً من الحديث. لذلك يخصص القسم الثاني من الكتاب إلى تخريج الأحاديث[1]. وهو أكبر من الأول مما يدل على أولوية السند على المتن. لذلك تأتي الأحاديث أولاً من حيث الكم، ثم الآيات ثم الأشعار[2]. ويدل على أن الكتاب يقوم على الجمع والنقل والتجميع وهو ما يدل عليه الجزء الثالث من العنوان «جمع يصحح هذه اللطيفة...» مع إعلان ذلك الجامع «الفقير يوسف». وفي كل حصن أي مجموعة من الأدعية للصوفية الأربعة، يُذكر أولاً أدعية الأنبياء ثم أدعية الصالحين من الصحابة ثم أدعية الصوفية.

ويعتمد على عديد من المصادر، وكتب الحديث خاصة[3]. كما يعتمد على

(1) السابق ص41-81.

(2) الأحاديث (80)، الآيات (32)، الأشعار (4).

(3) مثل «حل العقال» للحلبي، «الجامع الكبير» للسيوطي، «الإحياء» للغزالي، «غاية المغنم» للموصلي، «أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب» لابن جماعة، «الجواهر =

كتب المؤلف الأخرى لبيان وحدة الرؤية والموقف[1]. وكثير من الأدعية يرويها الرسول في المنام بلا سند إلا الرؤية الشخصية مما يُضعفها ويجعلها عرضة لتدخل الخيال الشعبي[2]. بل إن الرسول يملي على الصوفي في المنام دون سند تاريخي. وهو موضوع دراسة في علم تفسير الأحلام الذي بدأه سيسرون ثم استأنفه ابن سيرين ثم أحكمه فرويد لكشف المكبوت النفسي[3]. وكثير منها قدسي. وهي أيضاً أقل يقيناً وأكثر ظناً نظراً للطابع الغيبي لها، وهو ما يخرج عن مهمة علم الحديث العملية التفصيلية في أوجه السلوك. فكيف ينقل دعاء يونس وهو في بطن الحوت ولم يسمعه أحد؟ بل إن بعض الأحاديث تأتي من أصوات مجهولة في السجن كما فعل السيد المسيح عندما ظهر لتلاميذه في الغرفة العليا بعد صعوده إلى السماء[4]. بل إن إحصاء الفوائد في خاتمة الرسالة امتلأت أيضاً بالأحاديث دون أي قدرة على عدها عقلياً في صياغات نظرية[5]. ويظهر الخضر أيضاً كمحاور في علم الحديث مع باقي الأنبياء خاصة مع موسى. والخضر هو إمام الصوفية. ويمثل الباطن أمام موسى الذي يمثل الظاهر. وهو الحاضر الغائب، مصدر العلم المباشر عند الصوفية[6].

3 ـ «إغاثة القلب اللاهي بالصلاة على أكرم رسل الله» لمحمد بن حمزة الكتاني[7]: وهي ثمان وعشرون صلاة مرتبة ترتيباً أبجدياً، تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث نظراً لاتفاق الشعر مع الصلاة، والتجربة الشعرية مع التجربة الصوفية[8]. وتكثر أسماء الرسول أحمد ومحمد وصفتا محمدي وأحمدي[9]. كما

= الخمس» لخطير الدين، «الإرج» للسيوطي....اله، مفرج الكروب ص43/ 58/ 62/ 80.

(1) مثل «المعدة الواقية والجنة الوافية».
(2) مفرج الكروب ص51/ 57/ 66-68.
(3) السابق ص158.
(4) السابق ص68.
(5) السابق ص79-80.
(6) السابق ص76.
(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1424هـ (3)، ص67-99. (من جمع الناسخ محمد ابن مصلوح الكدواني).
(8) الأشعار (34)، الآيات (11)، الأحاديث (1)
(9) أحمد (26)، محمد (2)، أحمدي، محمدي (1)، آدم (1).

يظهر آدم صنوان محمد أول الخلق الباطن، وأول الخلق الظاهر. ويوصي في الصلاة بأهل مصر الأقباط وبلاد الأردن أرض الحشر والرباط، والطائفة التي على الحق في المغرب ذي الاغتباط[(1)]. وهذا يدل على أن غم الأمة لم يكن غائباً عن الوعي الصوفي.

4 ـ **«فائدة استعمال القافات لقضاء الحاجات»**[(2)]: ويدل العنوان على الفائدة من الصلوات لقضاء الحاجات. فالصلاة في الظاهر تعبير عن إيمان، وفي الباطن قضاء مصلحة. وهي أقرب إلى الخرافة باستعمال الأحجية والرسوم التوضيحية في مربع من ست أقدام طولاً وعرضاً. في كل مربع حروف أو أعداد انتساباً إلى البوني تلميذ الغزالي. وتعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[(3)].

5 ـ **«وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف» لعبد الحي الكتاني (1382هـ)**[(4)]: وهي مجموعة من الصلوات مرتبة ترتيباً أبجدياً تسعة وعشرين حرفاً، أولها «عالية غالية» و«إعذار وإنذار»، وآخرها «خاتمة وتنبيه» دون دلالة واضحة على الربط بين الصلوات والحروف الأبجدية. وهي قطعة واحدة من النثر الفني، تتكرر لازمته «سيدنا محمد» في كل فقرة مئات المرات. ويتغير اسم محمد إلى طه. ويُنوع اسم محمد تدليلاً بأحمد وأحمد[(5)]. ولا فرق بين مدح النبي ومدح المؤلف[(6)]. وتتداخل الحروف فيما بينها لأنها غير جامعة مانعة[(7)]. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية[(8)]. وفي آخر بعض الصلوات سور بأكملها، وتخرج بعض الأحاديث بالرغم من النقل الخاص عند الصوفية، «عن

(1) «فأوصى خيراً بأهل مصر الأقباط. وأخبر أن بلاد الأردن أرض الحشر والرباط، وأن الطائفة التي على الحق لا يضرها عن من خذلها في المغرب ذي الاغتباط. . .ـ» إغاثة القلب، ص86.

(2) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (2)، ص105-107.

(3) الآيات (19)، الأشعار (2)، الأحاديث (1).

(4) الصلوات الكتانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1424هـ (4)، ص103-145.

(5) السابق ص127.

(6) السابق ص138.

(7) السابق ص246.

(8) الآيات (11)، الأشعار (10)، الأحاديث (1).

ربي عن قلبي أنه قال»، «ويُحال إلى بعض المحدّثين وإلى بعض المصادر»[1].

6 ـ «غنية العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب»[2]: وموضوعها التوسل بالنبي بالصلاة عليه. وهي مرتبة ترتيبا أبجدياً طبقاً لآخر حرف في العبارة، وفي كل حرف خمس وثلاثون صلاة. وتتراوح الحروف فيما بينها كمًّا دون أن تحتوي على أي فكر أو هدف أو إحالة خاصة إلى التصوف. تظهر فيها اللازمة النثرية فوق الألف مرة[3]. فالغاية هو الإيقاع من أجل الإنشاد وترديد المستمعين وراء المرشد.

7 ـ «فائدة الحمد لله» للشيخ محمد بن عمران[4]: وهي رسالة قصيرة. ويتضح من العنوان أن للعلامات والدعوات والابتهالات والنداءات فوائد. فالموضوع فائدة الحمدلة. يقوم على الحديث، والشعر دون القرآن[5]. وتعتمد على اقتباسات من مصادر سابقة وخاصة القطب الرازي الذي يجمع بين الحكمة والتصوف في «المباحث الشرعية» أو الفلسفة الإشراقية.

د ـ الصلاة والسلام:

1 ـ «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على المصطفى» للقسطلاني (923هـ)[6]: ومع الاستغاثة والشفاعة بالرسول تأتي الصلاة عليه والتوجيه من آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. وكيف يصلي الله وهو الكل على النبي وهو الجزء؟ وكيف تصلي الملائكة على الأنبياء وهم أفضل منهم؟ وسبب التأليف التعرف على مسالك الحنفاء لمشارع الصلاة على الرسول كما يدل العنوان[7]. وقد أتاه إلهاماً وليس تجميعاً مع أن كلها

---

(1) وسيلة الولد الملهوف ص140-142.

(2) مجموع رسائل صوفية (1)، ص11-103، مجهول المؤلف.

(3) وهي «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد (1041)مرة.

(4) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425 هـ، ص203-205.

(5) الأحاديث (4)، الأشعار (2).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(7) «يعتني باعث التزاحم للتراحم في «السلوك في مسالك الحنفا لمشارع الصلاة» على السيد المصطفى. فسرت مسرور السرائر إلى مصون بطون الدفاتر، مقادها للفكر في مجالس =

تجميع من مصادر مدونة يشار إليها[1]. والمؤلف على وعي بخطط الكتاب المعلن عنها في البداية[2]. إذ تتكون من أحد عشر مسلكاً. أطولها الأخير. وفيه عشرة مطالب. والخامس منها به وصلان. والثامن به أنواع. وموضوع المسالك سبب نزول الآية الموجهة. ومعنى الصلاة لغة واصطلاحاً، واشتقاق الملك والنبي وإعرابها وما بها من علم المعاني وأصول الفقه والكلام والقراءات والأسئلة والأجوبة والإشارات الصوفية والأحكام الشرعية. أما المطالب فهي الأعلام بتشريفه وشرفه وعظيم منزلته، ومشروعية الصلاة عليه وجوباً وندباً، والجمع بين الصلاة والسلام، فوائدها وثمراتها، وتخصيصها بالصلاة وفي أوقات مخصوصة. وهي على أنواع كثيرة. وتتم في اليقظة والمنام وعلى باقي الأنبياء. وتتضمن الخاتمة آداب الصلاة.

ويعتمد الكتاب على الحديث والقرآن والشعر[3]. وتتكرر الأحاديث في أكثر من صيغة. ويدخل بعضها مع القرآن في تركيب مصطنع من أجل تقويته. ودرء الظن باليقين. وكثير منها يتعلق بالغيبيات مع إصدار حكم، «حديث غريب»[4]. وكثير منها رؤي الرسول في المنام وهو ما يناقض شروط التواتر[5]. ونظراً لغرابتها يتم توضيحها بألفاظ «ومن المعلوم»، «يوضحه» «تنبيه»، مع شرح الاقتباسات[6]. وتحيل إلى المصادر التي يتم الاقتباس منها. كما تظهر بعض الإسرائيليات[7]. وتبرز بعض المصطلحات الصوفية كالأوتاد من داخل الحديث[8]. ومن أعلام

= الذكر، مصلياً مسلّماً، مفوضاً إلى الله ومسلماً. وجمعت هذا الكتاب مستعيناً بالملك الوهاب، مبتدأ بآية الصلاة على صفوة خلق الله تعالى. وسلكت في مشارع الوصول إلى حقائق دقائق كنوزها مسالك مقربة، إن شاء الله تعالى للقاصد والسالك». السابق ص36.

(1) السابق ص36.
(2) السابق ص36-40.
(3) الأحاديث (620)، الآيات (260)، الأشعار (28).
(4) مسالك الحنفا ص 178.
(5) السابق ص 159/ 162-163/ 213.
(6) السابق ص93-94.
(7) السابق ص190.
(8) السابق ص248.

الصوفية يظهر الحسن البصري ثم الغزالي ثم المحاسبي والخدري والسبكي. ومن الفقهاء أبو حنيفة ثم مالك وابن العربي. ومن المتكلمين الأشعري[1].

2 ـ رسائل مصطفى البكري (1410هـ)

أ ـ «الصلات البرية في الصلاة على خير البرية»[2]. وهي نفس الشكل الأدبي، صلوات على الرسول، ألف واثنا وأربعون صلاة، مرتبة ترتيباً أبجدياً. معظمها أحاديث للرسول في هذه الصيغة. «وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد القائل» ثم يوضع حديث. وهي في معظمها أحاديث أقوال أكثر منها أحاديث أفعال، سنن قولية أكثر منها سنن فعلية[3]. وهي أكبر من الرسالة الأولى[4].

ويكتب المؤلف عملين من نفس النوع لمجرد التمرين والشهرة وكثرة التأليف والتقرب إلى الناس، والقرب من السلطان الذي يسعد بتركيز كل صفات الكمال في شخص الممدوح، لا فرق بين الله والسلطان في الإنسان الكامل، ولا بين الرسول والسلطان في الصلوات النبوية. فالنبي والسلطان كلاهما خير البرية. وتتبع نسب المؤلف إلى الرسول، اقتفاء أثر في الظاهر، وجاهلية في الباطن. وتظهر المحسنات البديعية في التوليف بين صياغات الحديث بحيث يظهر الجناس والطباق. وتبدو النمطية إلى حد الملل في صياغة أكثر من ألف صلاة على هذا النحو إلى حد السؤال: ما العبقرية في مثل هذا التأليف، وما الفائدة؟ ويمكن بدراسة أخرى لصفات الأقوال والأفعال معرفة حاجات المجتمع التي لم يتم إشباعها في الواقع، وتحويلها إلى أمنيات في الصلوات على الرسول القادر على تحقيق المطلق ما عجز عنه الناس في الزمان والمكان. ولا توجد آية قرآنية واحدة، بالرغم من وجود آيات تتعلق بالرسول بأشكال متعددة، وفي ألفاظ شتى مثل

---

(1) الحسن البصري (4)، الغزالي (2)، المحاسبي، الخدري، القاضي عياض، الشبلي (1)، ومن الفقهاء أبو حنيفة (3)، مالك، ابن عربي (1)، ومن المتكلمين الأشعري (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (2)، ص67-207.

(3) أحاديث القول (706)، أحاديث الفعل (336)، المجموع (1042حديثا).

(4) الدر الفائق (39ص)، الصلات البرية (141).

الرسول، النبي، محمد... إلخ. ومن الأنبياء يظهر موسى وإدريس في الأحاديث.

ب ـ **«الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق»**[(1)]: وهي مجموعة من الصلوات على النبي مرتبة ترتيباً أبجدياً، تبلغ حوالي ثلاثمائة وستين صلاة بنفس الصياغة «اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد». ثم تتنوع الصفات بين الحبيب والمجيب الطبيب والعريق... إلخ». ومعظمها صفات أفعال لا أقوال أي سنة فعلية وليست قولية. كلها متمركزة حول الرسول وليس حول الله. والأبجدية طبقاً لآخر حرف في الصفة وليس أولها كما هو الحال في القواميس العربية القديمة. وسبب التأليف هو تقليد هذا النوع الأدبي مع ترتيبها أبجديا ليسهل حفظها. وهو سبب غير كاف لأنه مجرد تكرار لما هو موجود سلفاً[(2)]. الوسيلة التجميع، والهدف الحفظ، والمبادرة استخارة من الله وليست قرارا حرا من الإنسان. وأحياناً تتحول الصلوات إلى نوع من الجذب الصوفي بتكرار لفظ «هو»[(3)]. وتعتمد على القرآن دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[(4)]. فالأحاديث من الرسول توجيها للناس وليست مدحاً وتعظيماً لذاته. والشعر لا يكفي في التعظيم بالرغم من المدائح النبوية. وأقوال الصوفية هي التي تم تجميع هذه الصلوات منها دون الإحالة إليهم.

حـ ـ **«الفتح القدسي والكشف الأنسي والمنهج القريب إلى لقاء الحبيب المسمى ورد السحر»**[(5)]: وهو عنوان متكلف مسجوع يجمع بين النثر والنظم.

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (1)، ص25-63.

(2) مثل «اللهم أني أسألك يا الله، يا الله، يا الله، يا هو، يا هو، يا هو، يا هو، يا من هو هو، يا من ليس هو هو»، السابق ص61.

(3) «فإني لما رأيت كثيراً من الناس قد صنفوا في الصلاة على النبي وأفاضوا علينا من عجائب تلك الصلوات الشريفة سحباً أردت أن أشاركهم فيما يمنحونه بسبب ذلك من الإمداد. فعسى ببركة الصلاة عليه أحظى بنيل القبول والإسعاد. ثم إني لم أرد أن أتطفل على جنابه الشريف وإن لم أكن أهلاً لمثل ذلك استخرت الله تعالى وسألته أن يسلك بنا أحسن المسالك ورتبت هذه الصلوات على حروف المعاجم ليسهل حفظها على الطلاب من أهل الرغبة في الصلاة والتسليم عليه من الأحباب». السابق ص25.

(4) الآيات (5).

(5) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (8)، ص153-163.

تتحول فيه الصلوات على النبي إلى الأوراد والأذكار لتعليم المريدين[1]. تظهر لازمتان «إلهي» و«اللهم». ويختتم «بأن» ودعاء الخضر[2]. يعتمد على القرآن والشعر دون الحديث لأنه أقل صياغة أدبية[3].

3 ـ «المسبعات والصلوات» للشيخ الدردير (1201هـ)[4]: وهي ضمن «مجموع رسائل صوفية في الصلوات على خير البرية» تشمل خمس عشر رسالة لمعاصرين حول موضوع واحد، الصلاة على النبي. لا يهتم مؤلفوها بقدر ما يهم النص نفسه. وهو نص مجمل يتضمن الصلوات على الرسول مرتبة ترتيباً أبجدياً. يعتمد على الآيات وحدها دون النظر إلى الأحاديث و الأشعار وأقوال الصوفية[5]. ولا يذكر سبب التأليف. والتكرار إيقاع موسيقي رتيب ولكنه يفيد في الرياضة الروحية في إيقاع ثلاثي يسهل تذكره. والعدد سبعة عدد رمزي في حضارات الشرق القديم الذي نشأ التصوف فيها. وهي مملوءة باللاّزمات الطويلة والقصيرة[6].

4 ـ «ثلاث صلوات صغرى» لأبي الفيض الكتاني (1327هـ)[7]: وهي صلوات ذات مستوى عال من التجريد باسم الأحدية. ولكل صلاة اسم. الأولى صلاة المرتدي، والثانية الأنموذجية. والثالثة صلاة القاسم، مزج الأنموذجية. وتعتمد على القرآن وذكر أحمد ومحمد[8].

5 ـ «جامع الصلوات ومجمع السعادات في الصلاة على سيد السادات» للنبهاني (1350هـ)[9]: وقد تحولت الحقيقة المحمدية من موضوع نظري إلى

(1) مجموع رسائل صوفية ص163.
(2) إلهي (37)، اللهم (4).
(3) الآيات (10)، الأشعار (2).
(4) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (1)، ص165-175، وطبعة أخرى في دار الكتب العلمية، بيروت 2006-1427ه، (4)، ص201-214.
(5) الآيات (12).
(6) اللاّزمات الطويلة مثل «اللهم، إني أعوذ بك من . . . .» (9)، «اللهم صل وبارك على سيدنا محمد» (55). والقصيرة مثل «اللهم» (15).
(7) الصلوات الكتانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1424هـ (2) ص61-63.
(8) الآيات (3)، أحمد (2)، محمد (1).
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1425هـ.

موضوع عملي في الصلوات والابتهالات والأوراد والأدعية له كواسطة بين الحق والخلق. وهو ما شاع في المدائح والموالد النبوية، وكأن محمد هو الله، وكأنه المفتاح السحري لكل المشاكل، والمخلص من كل الكروب، لا تتضمن أي فكر. ولا تقوم على أي أساس. وهي سبعة أوراد. يُعلن عنها في البداية[1]. ثم يفصل بعد ذلك[2]. ولا توجد عناوين خاصة لها بل هو نفس العنوان الذي يتغير مع تغيير العد من الورد الأول حتى السابع[3].

وهو تأليف تال لمؤلف سابق، بنفس العنوان تقريباً «أفضل الصلوات على سيد السادات»[4]. وهو تجميع من صلوات سابقة ثم جمعت صلوات أخرى في الباب الثامن من «سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين»[5]. ثم أعيد تجميع الصلوات في هذا الكتاب مع ترتيب جديد من الصعب التعرف عليه. وقسمت على أيام الأسبوع. وبهذا الطريقة يمكن عمل عشرات الكتب لا يكون الدافع إليها علماً بل ربما التجارة أو شهرة أو المنصب أو كثرة التأليف في المدائح النبوية لنيل الحُضوة لدي الناس. ثم يتفرع منها كتاب آخر «صلوات الثناء على سيد الأنبياء» مثل إعادة توزيع أوراق اللعب. والغريب أن المؤلف يعتبره أفضل كتاب[6].

وتكشف هذه الصلوات على ما وراءها من حاجات ومطالب للناس تعجز عن تحقيقها فتضعها في صلوات وأدعية وابتهالات للرسول. وهو ما يعترف به المؤلف نفسه. فالتعبير عن الرغبات ووهم تلبيتها أحد طرق إشباعها[7]. وبالتالي تلحق هذه الصلوات بالاستغاثة والشفاعة والوسيلة وقضاء الحاجات. وتبدأ كلها بنفس الآية[8].

---

(1) السابق ص13-26.

(2) السابق ص27-155.

(3) مثل «الورد الأول من جامع الصلوات، ومجمع السعادات في الصلاة على سيدنا محمد سيد السادات»، السابق ص27-46.

(4) السابق ص11.

(5) «حوالي مائتي صلاة، سبعون في الكتاب الأول، ومائة وثلاثون في الثاني.

(6) «والقول الفصل في هذا الكتاب أنه لا نظر له في هذا الباب، وأنه أعلى وأرفع من كل هذه العبارات، وأجمع وأنفع الكتب المؤلفة في الصلوات»، السابق ص12.

(7) «وقدمته مني أعظم هدية لجميع الأمة المحمدية. يتكفل لقارئه بدفع كل بلية وبلوغ كل أمنية من الأماني الدنيوية والأخروية»، السابق ص 12.

(8) وهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

والغاية تمثل الأمر الإلهي في تعظيم النبي والصلاة عليه. فإن التمثل والإخلاص هما قطب الأعمال الصالحة وروح جميع العبادات[1]. وتعتمد على القرآن وحده دون حديث أو شعر أو قول صوفي[2]. وفي المقدمة تذكر عشرات المصادر التي تم استيفاء الأوراد السبعة منها[3]. فالأحاديث من الرسول المطلوب الصلاة عليه من مصدر أعلى وهو القرآن وليس من الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.

6 ـ **«كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار» للخياط الفاسي**[4]: فالصلاة أسرار، ولها كنوز. وكلها في الصلاة على النبي التي تفعل الأعاجيب. تبين كيفية الصلاة على الرسول، الشجرة الأصلية النورانية، سيد السادات، ومراد المرادات، فاتح الدورة الكلية الربانية الإلهية القدسية بالخاتمة العنبرية النية المسكية. وألقابه «النبي المختار»، «سيد الخلائق»، «سيد السادات» «أشرف الخلائق»، «خير البرية»، «المصطفى»... إلخ. وهي مقسمة صورياً إلى أربعة أرباع دون أن يكون لكل ربع موضوع خاص متميز. لا يعتمد إلا على القرآن دون الحديث أو الشعر وأقوال الصوفية[5].

7 ـ **«أفضل الصلوات العشر» لأبي القاسم الجنيد اليماني**[6]: وهي صلوات عشر تقرأ صباحاً ومساء لاستجابة الرضا الأكبر والأمن من السخط، وتوالي الرحمة والحفظ الإلهي. وكلها صلوات على الرسول، فهي وسيلة لاستدراج الفعل الإلهي. ولا شيء دال فيها. ولا صعوبة في عمل عشرات صلوات أخرى على نفس المنوال.

8 ـ **«رسالة» للفقيه أحمد عبد العزيز الهلالي**[7]: وهي مجرد رسالة إلى

---

(1) «وقد ابتدأت كل ورد من الأوراد السبعة بالآية الشريفة ليكون القارئ من أول الأمر ممتثلاً لأمر الله تعالى في تعظيم النبي والصلاة عليه بهذه الصلوات. فإن امتثال أمره تعالى مع الإخلاص هو قطب الأعمال الصالحات وروح جميع العبادات»، السابق ص12.

(2) الآيات (65).

(3) جامع الصلوات ص13-26.

(4) مجموع رسائل صوفية، بيروت 2004م -1425هـ (3) ص109-130.

(5) الآيات (22).

(6) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ، (5)، ص147-148.

(7) السابق (6)، ص149-150.

السادات الأشراف بإذن السيد والمولى القوت الجامع. لا تتضمن إلا بعض التوصيات العامة الساذجة مثل خطب المساجد. تعتمد على الشعر ثم القرآن دون أحاديث أو أقوال صوفية[1].

9 ـ **«رقية» للفقيه العلامة عبد الهادي بن علي بن طاهر**[2]: هنا تتحول الصلوات إلى دعوات، والدعوات إلى رقيات لإسكان الأوجاع للصابرين الشاكرين. يعتمد على آية قرآنية واحدة. وتظهر اللازمة مع البسملة[3].

10 ـ **«صلوات الشيخ الحضرمي»**[4]: وهي قصيدة واحدة تتلوها نظرة شارحة. تعتمد على الحديث دون القرآن أو أقوال الصوفية[5]. والصلاة على محمد لازمة في معظم الأبيات في الشطر الثاني.

11 ـ **«ورد الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب» للجزولي**[6]: وهنا أيضاً يبدو من الصعب التميز بين الصلاة على الرسول والورد والدعاء. وينقسم إلى فصلين، الأول بعض فضائل ما احتوت عليه الصلوات والأدعية. وفيها ما يقرأ ثلاث مرات أو سبع مرات أو عشر أو مائة أو ألف أو عشرة آلاف مرة. في حين أن التكرار يدل أيضاً على الرتابة والنمطية[7]. والثاني الشروع في المقصود. فالغاية من الصلاة على النبي تحقيق الحاجة وتلبية المصلحة. وهي مئات الدعوات تبدأ معظمها بنداء «اللهم» والبعض الآخر بنداء أطول «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد» أو «الله صلِّ على سيدنا محمد» أو «اللهم صلِّ على محمد». وتوزع على ثلاثة أقطاب.

12 ـ **«صلوات العارف بالله سيدي علي بن وفا»**[8]: وأحياناً تكون الصلاة

(1) الأشعار (2)، الآيات (1).
(2) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1424هـ.
(3) من الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (4مرات).
(4) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1424هـ (10)، ص181-183.
(5) الأحاديث (4)، الأشعار (3).
(6) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1424هـ.
(7) ويعطي نموذج أربعين صلاة.
(8) مجموع رسائل الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (14)، ص227-228.

غير دالة على شيء، لا من عنوانها، ولا من مضمونها، ولا من عناصرها المكونة لها، ولا على دلالتها في هذا الشكل الأدبي، مجرد صلاة ودعاء من أحد أعلام الصوفية.

13 ـ «صلاة الشيخ العالم العلامة أبي شامة الركابي»[1]: وتقسم الصلوات على فترات زمان اليوم، وهي سبعة: الغداة، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والنوم. ويعتمد على القرآن وعلى رؤية الرسول في المنام[2]. ويصعب التفرقة في كثير من الصلوات بين الأحاديث والدعوات المستقلة نظراً لغياب الأسانيد وأفعال القول كمقدمات للأحاديث.

14 ـ «نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب» للمختار الكنتي[3]: وهي مجموعة من الصلوات تقسم صورياً إلى أربعة أرباع بلا سبب. سبب التأليف رؤية الرسول في المنام وطلبه الصلاة عليه[4]. وتبدأ عدة لازمات في أول الفقرات بصيغ قصيرة أو طويلة[5]. ويعتمد على القرآن ثم الحديث، دون أشعار أو أقوال صوفية[6].

هـ ـ المدائح النبوية:

1 ـ «القصائد الوترية في مدح خير البرية» للبغدادي الشافعي (962هـ)[7]: وهي من أقدم المدائح. تمت صياغته في حلم ظهر فيه النبي مع أبي بكر وهو معجب بها يمررها على أصحابه. وظهر له مرة ثانية بخبره بأن الله شفعه في أهله

(1) مجموع رسائل الصوفية، ص229-245.

(2) الآيات (54).

(3) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (13) ص207-226.

(4) «وسبب تأليفه له أن النبي «صلعم» أتاه فيما يحكي النائم فقال له مالك لا تصلي عليّ؟ قال: كنت أصلي عليك في كتبي كلها فقال «ماذاك أريد؟ قال: ما تريد؟ قال: أريد أن تفرد لها تأليفا على حدة» السابق ص207.

(5) اللهم (15)، اللهم صلِّ (2)، اللهم صلِّ وسلم (60)، اللهم صلِّ عليه (61)، اللهم صلِّ على سيدنا محمد (54)، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد (51)، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد (2).

(6) الآيات (20)، الأحاديث (2).

(7) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3)، ص571-594.

وزوجه وخادمه وجميع أصحابه. أكمل النظم بالأندلس (عام 652هـ)، ثم هذبت في مصر (عام 661هـ). وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً طبقاً للقافية. لا تنقسم إلى موضوعات بل تشمل موضوعات السيرة كلها من المولد حتى البعث بما في ذلك مدح القبر والشفاعة والجسد والروح. وفي النهاية «تمت وبالخير عمت».

2 ـ «قصيدة البردة»، و«القصيدة الهمزية» و«القصيدة المضرية» و«القصيدة المحمدية» للبوصيري (608هـ)[1]: وكلها قصائد في مدح الرسول. الأولى الأشهر[2]. وقد تم تحليل «البردة» من قبل في الأشكال الأدبية[3]. وتقسم طبقاً لموضوعاتها: التحذير من هوى النفس، مدح النبي، مولده، معجزاته، شرف القرآن ومدحه، الإسراء والمعراج، جهاده، التوسل به، مناجاته، وعرض الحاجات، ثم تذييل لغير الناظم، وأبيات في النهاية[4].

أما «القصيدة الهمزية» فهي قطعة طويلة واحدة، لم يقسمها الناظم أو أحد الشراح إلى موضوعات. تمدح الرسول في كل مراحل سيرته[5]. و«القصيدة المعزية في الصلاة على خير البرية»، و«القصيدة المحمدية» مثلها[6]. أما «القصيدة البرعية» فتظهر اللازمة في الخماسي. وتنتهي المجموعة بمنهج البردة الشهيرة لأمير الشعراء، تواصلاً مع الماضي وجمعاً بين القديم والجديد[7].

3 ـ رسائل النبهاني (1350هـ):

أ ـ «صلوات الثناء على سيد الأنبياء»[8]: وموضوعها صلوات الثناء على محمد[9]. وهي أوراد على أربعة أنواع حسنة الترتيب والتقدير والتقارب الكمي.

---

(1) السابق (30) ص529-568.
(2) رابعاً: الأشكال الأدبية.
(3) مجموع لطيف أنسي، ص529-536.
(4) السابق ص537-553.
(5) السابق ص554-556.
(6) «وهي: فبحقه صلوا عليه وسلموا (40مرة)، وهي لعبد الرحيم البردعي» السابق ص557-561.
(7) السابق ص562-568.
(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (1)، ص7-151.
(9) السابق ص67-91.

الأول الثناء عليه في القرآن. والثاني في الحديث. والثالث والرابع عند العلماء الصوفية دون تمايز بينهم[1]. والثناء عليه في الحديث يتضمن الثناء عليه في الكتب السماوية السابقة، وفضائله وقبل وجوده أسوة بالسيد المسيح، وفي الآخرة، ومحاسن صورته وأخلاقه وعباداته، ودلائله ومعجزاته. ويشمل الثالث ثناء الصحابة والفقهاء والصوفية، والرابع أصحاب الطرق[2]. وقد أثبت هذه الثناءات من رؤية الرسول في المنام. هدفها واحد بيان صفات الرسول مع اختلاف الصيغ. وتوضح المقدمة طرق الصياغة ومصادرها من الكتاب والسنة والشروح السابقة[3]. كما تشمل فوائد الصلوات. تعتمد على أربعين حديثاً في فضل الصلاة على النبي[4]. كما تضم المقدمة اثني عشر مطلباً في فضل الصلاة عليه ومعنى الصلاة والمقصود منها التعظيم والتوقير، والفرق بين صلوات المخاطبات وصلوات المعجزات، ومحبته والتعلق به، وإثبات سيادته وتواضعه ورفض إطرائه والصلوات كلها إطراء[5].

وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية لأنها تجارب مباشرة بلا وسيط[6]. ووضع القرآن داخل الورد إقلال عن شأنه، وانتقاء الآيات حول محمد رد الكل إلى أحد أجزائه، وتحكم بالأهواء في التفسير. ويذكر بعض الصوفية مثل محمد وفا، وبعض الأحاديث كرؤيته في المنام. وهي تقليد لأسماء الله الحسنى واستنباط الرسول منها.

(1) وهم ستة وعشرون: علي، ابن مسعود، زين العابدين، ابن عباس، الشافعي، النقشبندي، محمد وفا، علي وفا، أبو المواهب، الرازي، الفاكهاني، ابن ظهيرة، ابن عجيل، المسرعي، النعماني، المسالك، ابن عراق، الشوقي، السابق ص92-119.

(2) وهم حوالي سبعة عشر: أبو الحسن البكري، محمد البكري، زين العابدين البكري، أبو سلعة الخلوتي، محمد غوث الله، محمد المكي، عبد الله الشعاف، محمد السمان، التيجاني، ابن إدريس، الميرغني، الدرقاوي، الفاسي، النووي، القسطلاني أبو المواهب، المواهبي..

(3) صلوات الثناء ص11-15.وهي حوالي 445 صيغة، منها عشرون صيغة حول دلائل الرسول ومعجزاته مكررة، وخمس وثلاثون أخرى مكررة، فتكون مجموع الصيغ خمسمائة، السابق ص11.

(4) السابق ص16-23.

(5) السابق ص15-40.

(6) الآيات (182)، الأحاديث (63)، القدسية (1)، الأشعار (11).

ويخلو من أي تحليل عقلي أو أدلة نظرية. كله تجميع من مصادر سابقة واقتباسات منها بالعشرات، ينتهي بعلامة «انتهى». وقد كتب المؤلف من هذا النوع عشرات الكتب الأخرى حتى أصبحت الصلوات على الرسول تجارة رائجة شعبياً وسياسياً لغلبة المديح عليها. وتتدخل الأمثال العامية كالأحاديث كحجة سلطة(1). ويحال إلى عشرات المصادر لنفس المؤلف أو لآخرين(2). ويحال إلى بعض الصوفية وعلى رأسهم ابن عربي. ومعظمهم من المتأخرين ومن مشايخ الطرق(3).

ب ـ **«جامع الثناء على الله»**(4): وهو أيضاً في علم الحديث مع أن موضوعه هو الله. هو الثناء على الله ومن صوفي علم التوحيد من خلال علم الحديث. وللكتاب بنية منطقية في تصنيف الأحاديث في الثناء على الله: فصول أربعة. الأول لأربعين حديثاً قدسياً. والثاني لأربعين حديثاً نبوياً. والثالث في أقوال أربعين ولياً. والرابع الأوراد السبعة ونسبتها إلى أصحابها. ويتضمن كل ورد الأحاديث النبوية فيه، ثم أوراد أحد الصوفية الأولياء، ثم أدعية السلف الصالح. في الورد الأول الجيلاني والإمام الليث وأوراد «الإحياء». وفي الثاني أوراد ابن عربي ومناجاة الدريني. وفي الثالث ثناء الشاذلي. وفي الرابع دعاء أبي العباس المرسي، ومناجاة ابن عطاء الله السكندري. وفي الخامس ثناء محمد وفا وعلى وفا والشاذلي. وفي السادس ثناء أبي الحسن البصري وزين العابدين البكري. وفي السابع ثناء الشعراني وأبي السعود الخارجي، وثناء الحزب السيفي. وهم أربعة عشر صوفياً.

---

(1) مثل: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره».، صلوات الثناء ص31

(2) ابن عربي (3)، السخاوي، الشعراني، الشاذلي، الجيلاني، البدوي، العيدروس، البكري، التجاني، الدردير، البلقيني، الدباغ.

(3) لنفس المؤلف مثل: «سعادة الدارين (4)»، «أفضل الصلوات»، «الفضائل المحمدية»، «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين»، وللآخرين مثل: «القول البديع» للسخاوي (2)، «الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة» للسيوطي، «المواهب اللدنية» للزرقاني، «الدر المفصود» لابن حجر، «اليواقيت والجواهر» للشعراني، «مسالك الحنفاء» للقسطلاني، «لوائح الأنوار القدسية» للشعراني، «كنوز الأسرار» للهاروشي، «الرماح» للغوثي، «شرح دلائل الخيرات» للفاسي، «تذكرة الخواص وعقيدة الاختصاص» لابن عربي. . . .الخ.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م -1424هـ.

وللمؤلف مجموعة من الألقاب مثل «خادم السنة وقامع البدعة فقيد الإسلام» ملتزما بالقدماء ضد المحدثين. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. والأحاديث القدسية أضعف الأحاديث لما بها من خيال يتفق مع الثناء. وتعظيم يتفق مع المديح[2]. وإذا كان الورد مجموعة من الآيات المتتالية فإن قراءة القرآن تغني عنه[3]. والسؤال هو: هل الثناء على الله في حاجة إلى أدلة نقلية؟ وإذا كان في حاجة إليها فهل يجوز إثبات الثناء على الله بالحديث وهو فرع للقرآن أم من القرآن نفسه؟ كيف يثبت الفرع الأصل؟ وإذا كان الحديث يحتاج إلى تقوية من أعلى القرآن، فهو لا يثبت شيئاً بمفرده؟ الأدلة كلها نقلية من القرآن والحديث. ويغيب التحليل العقلي كما تغيب التجارب الإنسانية التي تعبر الأشعار عن بعضها. الأدلة النقلية مجرد رصد كمي دون تحليل موقف أو لجوء إلى أسباب نزول. وهل الأولياء حجة على الله إذا كان الحديث ليس كذلك؟ وبهذه الطريقة يمكن تأليف مئات الكتب من جمع مادة القدماء. فالكتاب «جامع» سواء للثناء أو للكرامات من قبل. ألا يؤدي في النهاية الثناء على الله إلى الثناء على السلطان؟ فالله والسلطان يقومان بنفس الوظيفة الأبوية في الوعي، مصدر السلطة الدينية والسياسية. وكل ذلك يؤدي إلى تعظيم الحديث وصاحب الحديث، استئنافاً للحقيقة المحمدية على مستوى الخبر مما يبرر ثورة الوهابية على الوساطة بين الحق والخلق، ورفض السلفية للحقيقة المحمدية عند الصوفية.

جـ ـ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية[4]: وهي أكبر مجموعة من المدائح النبوية مرتبة ترتيباً أبجدياً طبقاً لقافية القصائد. لذلك قد يتكرر الشاعر في أكثر من حرف أبجدي طبقاً لقافية القصيدة. ومعظمهم من الشعراء المداحين وليسوا من كبار الشعراء مثل المتنبي والذين كانوا يقومون بالمديح والهجاء للخلفاء والأمراء والحكام وعمال الأمصار. الممدوح مختلف والمدح واحد. ولا يوجد سبب للتأليف إلا الإكثار من الإنتاج. فالجامع له ما يزيد على المائتي مصنف.

(1) الآيات (24)، الأحاديث (5)، الأشعار (5).
(2) جامع الثناء ص11-20.
(3) السابق ص51-52.
(4) دار الكتب العلمية، بيروت 1996م- 1417هـ (4 أجزاء).

كلها في العلوم النقلية، خاصة الحديث والسيرة. كان يمكن تصنيفها في الأشكال الأدبية وفي الوعي النظري، ولكن ينقصها وحدة الديوان. وأهم ما فيه المقدمة النظرية التي كانت في البداية رسالة «الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية، ومقدار ما لكل واحد منهم فيها من المدائح النبوية»[1]. وتضم اثني عشر فصلاً. يذكر في المقدمة الشعراء والمداحون من الصحابة وغير الصحابة. وتقدم معلومات مفيدة عن حياة الشعراء، مولدهم، ووفاتهم، ونبذة عن حياتهم وأعمالهم. تتناول دوام منح الله الرسول أنواع الفضائل والكمال، وديوان نفحة القبول للنابلسي، وغنى النبي عن المديح بالرغم من الفيض فيه، وضرورة مدح الحجاز مهد النبوة. والشعر سجية عربية. والتجربة الصوفية تجربة شعرية، وقصائد التشبيب بالولدان والنساء، وكثرة المداحين، وعدم مدح كبار الشعراء كالمتنبي وفوائد المديح بالرغم من عيوبه ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾، وقول الرسول عندما سمع أحداً يمدح أحداً آخر «لقد قتلتم صاحبكم»، وأوزان البحور الستة عشر في مدح النبي[2]. وتعتمد على الاقتباسات وفي أخرها لفظ «انتهى». وقد اشتملت المجموعة على 25069 بيتاً، وشعراؤها 213 شاعراً جمعت وطبعت أيام خلافة السلطان عبد الحميد مع كيل المدائح له مثل الرسول[3].

و ـ **المولد النبوي**: وتبدأ الحقيقة المحمدية قمة تشخيص النبي في الكون كله بالتركيز على المولد. ويشمل المولد سيرة النبي حتى نزول الوحي، بشائره وعلاماته، ومولده ورضاعته وتربيته وأحداث عصره مثل حرب الفجار وحلف الفضول، وتحنثه في الغار، ورعيه وكراماته حتى نزول الوحي عليه ونهاية بالإسراء والمعراج، وزواجه الأول ورحلاته إلى الشام، مما تزخر به كتب السيرة التقليدية.

---

(1) السابق حـ1/ 3.

(2) السابق حـ1/ 3-76.

(3) «وكان تمام جمعها وطبعها في أيام خلافة السلطان الأعظم والخاكان الأفخم، مجدد الدولة العثمانية، ومؤيد الملة الإسلامية المحمدية حضرة سيدنا ومولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني أمير المؤمنين وخادم الشرع الشريف والدين المبين. أدام الله به عز الدولة والدين، وأطال عمره بالعز والنصر والتأييد والتمكين، بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين»، السابق حـ4/ 360.

1 ـ «حسن المقصد في عمل المولد» للسيوطي (911هـ)[1]: وهو في السيرة الفقهية، وليس الصوفية كرد فعل على الحقيقة المحمدية. وإن لم تختلف السيرتان كثيراً خاصة بالطابع الإعجازي لها، في المولد والحياة والممات مثل الأنبياء السابقين خاصة السيد المسيح. فقد بشرت الكتب السماوية، بمولده ونسبه الطاهر وبعثه. وكرد فعل على الموالد الشعبية وما يتم فيها من أعمال منكرة هناك المولد الفقهي. وهذا هو سبب تأليف الرسالة، سؤال عن المولد النبوة في شهر ربيع الأول محمود أم مذموم، أي مندوب أو مكروه وهل يثاب فاعله أم لا؟[2]. وهي مثل فتوى ابن رشد عن النظر هل هو واجب بالشرع أم محرم أو مندوب أو مكروه أو مباح في «فصل المقال»؟ ويأخذ صف التحريم[3]. وقد دخله العديد من العادات الاجتماعية[4]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. كما يعتمد على الفقهاء أكثر من اعتماده على الصوفية، كما يحيل إلى بعض المصادر الفقهية[6].

2 ـ «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق» للحسني

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1985م-1405هـ.
(2) السابق ص41.
(3) «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين. بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون»، السابق ص46.
(4) «ولا سيما إن انضاف إلى شيء من الغناء، مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشبابات، واجتماع الرجال مع الشباب، والمرء مع النساء الفاتنات إنما مختلطات بهن أو مشرفات، والرقص بالثني والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف. وكذلك النساء إذ اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتنهيد والتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع وعن الأمر المعتاد»، السابق ص48. «أن يكون المغني حسن الصوت والكسوة والهيئة فينشد التغزل ويتكسر في صوته فيفتن بعض من معه من الرجال والنساء فتقع الفتنة في الفريقين، ويثور من المفاسد ما لا يحصى. وقد يؤول ذلك في الغالب إلى فساد حال الزوج وحال الزوجة. ويحصل الفراق والنكد العاجل وتشتت أمرهم بعد جمعهم»، السابق ص60.
(5) الآيات، الأحاديث (2)، الأشعار (1).
(6) الفقهاء مثل العز بن عبد السلام (3)، ابن الحاج، الشافعي، اللخمي (2)، ابن كثير، ابن خلكان، الفاكهاني، تاج الدين، ابن رجب، ابن عمر (1).

(1345هـ)[1]: وهو مجرد جمع أحاديث معظمها ضعيف بما في ذلك الأحاديث القدسية عن خبر ولادة الرسول. كلها تمجيد وتعظيم ومدح. تتخللها لازمة واحدة للصلاة والسلام على المولود[2]. تعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن. فالشعر أقرب إلى المدح. والحديث يسهل فيه الوضع[3].

3 ـ «جواهر النظم البديع في مولد الهادي الشفيع» لإسماعيل النبهاني[4]: وهي ثمان قصائد من شعر المديح. تظهر فيها موضوعات: تحية النبي عند القيام، وتحية أخرى عند القيام عند قراءة مولده. تتخللها لازمة قرآنية، الآية التي وجهت كل هذه الأدبيات عن الصلاة على النبي[5].

4 ـ «ابتهالات النصر والفرج للداعي إلى الله تعالى» للحسن اليماني[6]: تقال عند ابتداء المولد الشريف، وهي قصيدة: قد تدخل في الأشكال الأدبية في الوعي النظري مع دواوين ابن الفارض وابن عربي والتلمساني، وقد تدخل هنا في علم السيرة. وهي إلى السيرة أقرب لأنها تخلو من الإبداع الأدبي. وأقرب إلى المدح المباشر.

5 ـ الكبريت الأحمر في الصلاة على **من أنزل عليه** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ **لابن عجيل اليمني**[7]: وهي أقرب إلى الصلوات والدعوات الإنشائية. مجرد خطاب إنشائي لا يعتمد إلا على آية قرآنية واحدة.

6 ـ «تحية معجزة إسراء ومعراج خاتم النبيين» لمحمد بن عبد الهادي العجيل[8]. تقرأ في المولد الشريف تبركاً بها. وتحتوي على الميلاد والإسراء وسائر الأحداث

(1) السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (2)، ص55-83.

(2) وهي «عطر الله مجالسنا بأعطر صلاة وأطيب تسليم على أكمل مولود وأجل مودود وأفضل كليم. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله واجعلنا يا مولانا من أعظم المخصوصين لديه والمتعلقين بأذياله». (25 مرة).

(3) الأشعار (22)، الأحاديث (9)، القدسية (2)، الآيات (1).

(4) مجموع لطيف أنسي، بيروت 2005م -1426هـ (17) ص374-389.

(5) وهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (5 مرات).

(6) السابق، مجموع لطيف أنسي، بيروت 2005م -1426 هـ (18)، ص371-373.

(7) السابق (19) ص390-402.

(8) السابق (20). ص394-401.

الإسلامية. وهي مجرد قصيدة تخلو من أي قسمة للموضوعات وتنتهي بدعاء «الدعاء بعد القيام»[1]. ومعها «حصن الأمان في مناجاة الرحمن» تقرأ بعد ختام المولد وبداخلها سورة الصمدية[2].

7 ـ **«بلوغ القصد والمراد بقراءة مولد حي الأنام» للحجوني الحسنى**[3]: وهي قراءة للمولد أي وجهة نظر. فالمولد ليس حادثة موضوعية بل رؤية ذاتية. ومركزية محمد هي مركزية بني هاشم ومركزية قريش ومركزية العرب. «لو كان محمد كل العرب فإن كل العرب محمد». فُتحت أبواب الجنان، وأُغلقت أبواب النيران ساعة مولده. ويتحول الخطاب إلى دعاء بالسلام[4]. وتظهر لازمة تتكرر[5]. وأوائل بعض العبارات نفسها لازمة مثل «السلام عليك». وتعتمد على الشعر أولاً ثم الحديث ثم القرآن[6]. والأحاديث كلها نظرية تتداخل فيها القدسية والنبوية. تدور حواراتها خارج الزمان والمكان بين الله والملائكة والأنبياء ومحمد الأحمدي. كما تعتمد على بعض المصادر بالإضافة إلى كتب الحديث[7].

8 ـ **«شفاء السقيم بمولد النبي الكريم» لمزور**[8]: وهو أقرب إلى النثر الفني. يعتمد على الجانب الأدبي أكثر من الوصف التاريخي. والأدب يسمح بالخيال وتحويل الواقع إلى مثال، مملوء بالخرافات والأساطير كما هو الحال في معظم الديانات مثل أساطير ميلاد المسيح، وميلاد أي زعيم، قراءة للحاضر في الماضي. وسبب التأليف هو شيوع التأليف في الموضوع. المولد النبوي له ألف اسم، مثل بوذا عندما تتكرر صوره[9]. ويذكر مولده ووطنه وشأنه بالرغم من قوله

---

(1) السابق ص399.

(2) السابق ص400-401.

(3) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (4)، ص83-90.

(4) السابق ص87-88.

(5) وهي: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» (7مرات).

(6) الأشعار (7)، الأحاديث (5)، الآيات (3).

(7) مثل: «الدلائل» للبيهقي، «الأوسط» للطبراني، «الأمالي». لابن حجر

(8) مجموع لطيف أنسي، بيروت 2005م-1426هـ (5) ص93-141.

(9) السابق ص100.

«لا ترفعوني فوق عدنان». يذكر نسبه من ناحية أمه وأبيه على طريقة الجاهلية التي استبدل بها الإسلام الأعمال.

يعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن[1]. كما يعتمد على عديد من الاقتباسات من مصادر سابقة تتلوها علامة «اً هـ». وفي النهاية يتحول التاريخ إلى أدعية. ويذكر الرازي في أدعية الصوفية. وهو أكثر الفلاسفة ذكراً نظراً لـكتابه «المباحث المشرقية». والأسانيد ضعيفة والأحاديث غريبة[2]. وتظهر اللازمة المعتادة في أول النص وفي وسطه وفي آخره[3]. وتظهر لزمات أخرى جزئية في أول العبارات مثل «السلام عليك»[4]. وتحيل إلى بعض المصادر سواء بمفردها أو مع مؤلفيها[5]. وقد دخل فيها الأعاجم، الأتراك والفرس، والذين عرفوا بتعظيم الكياسرة والقواد. وتعتمد على كتب السيرة التي عظمت الرسول كما فعل أهل الكتاب مع أنبيائهم، بالرغم من قول الرسول «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم»، وظهرت على يديه المعجزات والخوارق على طريقة الأنبياء السابقين بالرغم من تصريح القرآن ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾. ورفض الرسول الاستجابة لمطلب المعجزات ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم

---

(1) الأشعار (25)، الأحاديث (18)، الآيات (17).

(2) السابق ص115.

(3) وهي «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم ـ وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» (14مرة).

(4) مجموع لطيف أنسي، ص108-111.

(5) مثل المواهب اللدنية «شرح البردة» لابن مرزوق، «الدر النظيم في مولد النبي الكريم» لابن طغر بك، «التفسير الكبير» للرازي، «سيرة ابن اسحق، الدلائل» لأبي نعيم، «شرح المواهب» للزرقاني، «روح السير» لإبراهيم الحلبي، «التنوير بمولد النبي البشير» لابن دحية «المدخل» لابن الحاج، «شرح القرطبية» لزروق. . . إلخ.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾. وبشر به المنجمون والرهبان كما فعل المجوس مع المسيح. وتذكر رحلاته المتعددة إلى الشام ومقابلاته وحجاجه مع الرهبان والتي اعتمد عليها المستشرقون لبيان مصادر نبوته[1]. وتذكر أزواجه الأربعة عشرة[2]. ومن الصوفية يذكر جعفر الصادق والتستري. وتظهر ظروف العصر مثل محاصرة الإفرنج مدينة عكا عام 630هـ[3].

9 ـ «مجموع مبارك في المولد الشريف نثراً وشعراً» للزبيدي[4]وهي قصيدة مقسمة على موضوعين. «لا إله إلا الله» و«محمد رسول الله». الشطر الأول من كل بيت لازمة «اللهم صل على محمد» ثابتة. والشطر الثاني متغير[5]. ثم تأتي أربعة آيات قرآنية كفاصل يتلوه قصيدة ثانية. لا تتعلق بالمولد بل مجرد مديح نبوي.

10 ـ «مولد الدبعي أو مختصر في السيرة النبوية» لابن الربع الشيباني[6]. وينسب المولد لمؤلف وليس للمولود ونظراً لأهمية التأليف في المديح. والموضوع ليس لحظة الميلاد بل مجموع السيرة النبوية. يجمع بين النثر والنظم. ويبدأ بحديثين الأول عن بحر العلم الدافق، والثاني عن السيرة. الأسلوب أدبي إنشائي. يقول كل شيء ولا شيء. تدخل الملائكة في الحوار وحليمة. تُمدح صفاته وأخلاقه. وتقتبس عدة أدعية من آخرين أو عدة قصائد[7]. فالمدح عمل مشترك، المقصود هو المديح وليس المداح. ويلحق القصيدة الجواب أي التأكيد على ما جاء فيها وكأنه موافقة السامعين. وكل مداح هو «السيد» أو سيدنا بالرغم من قول الرسول «لا تسيدوني». والقصائد لا موضوع لها إلا المديح، والتنقل من

(1) السابق ص127-128.
(2) السابق ص131-132.
(3) السابق ص134.
(4) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (6) ص145-147.
(5) الشطر الأول مكرر (19) مرة.
(6) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005من -1426هـ (7)، ص151-186.
(7) مثل دعاء محمد علوي المالكي الحسيني، السابق ص157-158، وقصيدة عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، السابق ص173.

موضوع إلى موضوع طبقاً للإبداع الشعري، يدخل فيها كل شيء، مقارنة بالأنبياء السابقين آدم وموسى ثم نوح وإبراهيم وعيسى[1]. الشعر فيه أكثر من الأحاديث[2].

11 ـ فتوى في إباحة الضرب بالدفوف عند الاحتفال بالمولد الشريف[3]: تجمع بين الفقه والتصوف. وهي فتوى العلماء دون تعيين أحدهم. تقوم على الاقتباسات. والحكم الإباحة مطلقاً. وهو حكم السماع وكل ما يلحق من رقص وغناء. وهو الذي تحول إلى ممارسات شعبية في المولد النبوي من الطرق الصوفية بكل أنواع الدفوف والتمايل على إيقاعها. وتعتمد على الحديث والقرآن[4]. كما تعتمد على أقوال الطرق الصوفية والصوفية[5]. ويضاف إليهم الفقهاء[6]. وهناك العديد من المصادر التي ينقل بعضها عن البعض الآخر. ومعظمها مجموعات الفتاوى[7]. والأسلوب هو السؤال والجواب.

12 ـ «قصة المولد النبوي لخير البرية ملخصة من سيرته الزكية» للهواري الصوفي[8]: ويدل العنوان على تقليص السيرة الكلية في المولد الجزئي. تجمع أيضاً بين النثر والنظم، تذكر نسبه، وحمله وولادته وصفاته وصلته بسلسلة الأنبياء السابقين، إبراهيم وعيسى. كما تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث دون ذكر لأقوال الصوفية[9]. لها لازمة متكررة[10]. ولا تعتمد على مصادر سابقة. فهي أقرب إلى الإبداع الخالص.

---

(1) آدم، موسى (2)، نوح، إبراهيم، عيسى.

(2) الأشعار (51)، الآيات (4)، الأحاديث (2).

(3) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (8)، ص189-193.

(4) الأحاديث (3)، الآيات (2).

(5) الطرق الصوفية: البسطامية، القادرية، السعدية، الصمادية، الرفاعية (1). ومن الصوفية البسطامي، الرفاعي، الجيلاني (1).

(6) الفقهاء: عز الدين بن عبد السلام، البراء بن مالك.

(7) مثل مختصر الشافعي، المحرر للرافعي، فتاوى أبي الليث، الشرح الكبير للسيوطي، وهو شرح الجامع الصغير، الإحياء للغزالي، الرسالة القشيرية.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (9)، ص197-202.

(9) الأشعار (7)، الآيات (5)، الأحاديث (2).

(10) «اللهم صل على هذا النبي الكريم، صاحب الخُلق العظيم، صلاة لا نهاية لها. كما لا نهاية لكمالك وعد كماله» (5مرات).

13 ـ **«المولد النبوي الشريف» للعلمي الفاسي**[1]: وهو نص متصل أقرب إلى الإبداع منه إلى النقل عن القدماء. به أحاديث آمنة عن الملائكة. ومع ذلك يعتمد على الحديث، ورؤية الرسول في المنام[2]. والحديث المروي عنه لا تتوافر فيه شروط التواتر. وله مصادره[3].

14 ـ **«مولد إنسان الكمال» للشنجيطي التيجاني**[4]: وموضوعه الإنسان الكامل كما يوحي بذلك العنوان. وهو نص واحد بالرغم من قسمته إلى ثلاثة أقسام. يبدأ كل منها بالبسملة. موضوعه تجليات النور المحمدي ومحمد الذبيح الثاني بعد إسماعيل الذبيح الأول. ويضم مدح آمنة وحملها وولادتها النور، ورضاعه، والرعي في الفيافي، ورحلاته إلى الشام للتجارة والعلم. ففي الأسفار سبع فوائد، ونزول الوحي عليه في سن الأربعين، وإسرائه ومعراجه، وأخيرا شمائله وخلقه، وعلمه ثم الصلاة عليه. ثم تأتي الخاتمة، قصيدة في مدحه. وتأتي اللازمة عدة مرات في البداية والوسط والنهاية[5]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية أو من الإسرائيليات[6]. ولا تعتمد على مصادر سابقة.

15 ـ **«فيض الأنوار في ذكرى مولد النبي المختار» لبا عمر**[7]: وهي قصيدة واحدة يذكر شطر البيت الأول كلازمة[8]. وفي قصيدة أخرى تتغير اللازمة[9]. ويتخلل القصائد عنوانان: محل القيام، ومحل الدعاء[10]. ويعتمد على القرآن والشعر في صلب الموضوع وليس استشهادا به[11]. ويخلو من الحديث لأنه خال

(1) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (10)، ص205-209.
(2) الأحاديث (3).
(3) مثل «المواهب اللدنية».
(4) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (11)، ص213-228.
(5) اللازمة هي «اللهم صل على الفاتح لما أُغلق من التعيينات العينية والخاتم لما سبق منها في علم ذي الجلال» (14مرة).
(6) الآيات (14)، الأشعار (13)، الأحاديث (2).
(7) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (14)، ص305-320
(8) وهي يا رب صلِّ على محمد (11 مرة).
(9) وهي «اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه» (12 مرة).
(10) فيض الأنوار ص309/ 315.
(11) الأشعار (17)، الآيات (4).

في معظمه من التركيز على الشخص المتعالي إلا نادراً. وينتهي النص بتقريظ شعري من الآخرين [1].

16 ـ «البيان والتعريف في ذكر المولد النبوي الشريف» لمحمد بن علوي المالكي الحسني[2]: وهو نص موضوعي يضع المولد الجزئي في إطار السيرة الكلية[3]. ويقسم المولد إلى عدة موضوعات: اليوم، القيام، الحامد والمحمود، بشر ليس كالبشر، الشفاعة، الأخلاق، العقود والصبر، الأطفال، إصلاح المجتمع معاملة الذميين، الجود، التواضع والحياة المعيشية، الحروب والشجاعة، السياسة، المعجزات، ثناء الله عليه في القرآن. يتحول المولد إلى الرسول، والرسول إلى الرسالة. وتمتد الرسالة إلى قراءة عصرية في إصلاح المجتمع ومعاملة الذميين وحقوق الأطفال ووضع السياسات وقيادة الجيوش. فالرسول نبي عصري. في العدالة الاجتماعية أنصف الضعيف من القوي، والفقير من الغني بديلاً عن الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية وغيرها من القوانين الوضعية. وينقذ البشرية من شرور الإباحة. شخّص أمراض المجتمع ووضع علاجها. حرّم الخمر والقمار والإسراف والحمية الجاهلية. ودعا إلى العفاف والشهامة والإخاء وحسن الجوار. ثار على الخرافات والتواكل والجمود، أخذ بالأسباب. ومنع الطمع والبخل والبطالة والرشوة والغش والاحتكار. أقر حقوق الإنسان، وأزال الفوارق العنصرية. منع الحرب وأرسى السلام. منع استبداد الحكام، وأقر الشورى. أعلن المساواة بين الناس والحرية للجميع. حرر المرأة واحترم الأم وحقوق الزوجة. فرض العلم على الجميع وحرر الرقيق. وحارب المرابين والمستغلين[4]. وتظهر اللازمة الموسيقية[5]. وتبرز لازمة أخرى تنتهي بآية قرآنية[6]. وتخرج لازمة شعرية ثالثة في الشطر الأول من القصيدة. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر طبقاً لنظام الأولويات التنظيري[7].

---

(1) السابق ص316-320.

(2) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (16) ص341-368.

(3) السابق ص357.

(4) وهي «اللهم صل وسلم وبارك عليه» (4 مرات).

(5) وهي «الصلاة و السلام عليك يا من قال في حظك»، السابق ص362-365.

(6) وهي «السلام عليك» (47مرة)، السابق ص 366-367.

(7) الآيات (56)، الأحاديث (12)، الأشعار (11).

17 ـ «نظم مولد الحافظ عماد الدين بن كثير» لأبي بكر بن سالم[1]: وهو مجرد إعداد من مؤلف مجاور بالكعبة لنظم ابن كثير (774هـ)، إعجاباً به ودرءاً للشبهات ضده ممن ينكرون المولد من السلفيين أتباع ابن تيمية من أجل إجازته ومنع الحرج عنه. وهذا هو سبب التأليف[2]. فالمتن من القرن الثامن. والتقديم من القرن الرابع عشر (1384هـ). تبدأ القصيدة بآية قرآنية[3]. وموضوعات القصيدة ثلاثة: صفة الرسول، ومولده، ورضاعة وإرضاع حليمة السعدية له. وله لازمة تقطع القصيدة[4].

18 ـ مولد البرزنجي (نثراً)[5]: وهو نص واحد نثري بلا موضوعات إلا المولد. وينسب إلى مؤلفه أكثر مما ينسب إلى موضوعه. يذكر اسمه ونسبه وحقيقته المحمدية، حمله ووضعه وخوارق الطبيعة، وأسفاره، وزواجه، ونزول الوحي عليه، وأول من آمن به من النساء والرجال والصبية، والإسراء والمعراج والهجرة. يعتمد على القرآن وحده[6]. واللازمة شعرية ثلاثية بيتا وشطرا[7].

19 ـ مولد البرزنجي (شعراً)[8]: وهو نص واحد شعري بعد النص النثري. يبدأ بيت من الشعر كالعزف المنفرد[9]: موضوعها الجنة ونعيمها. سعد لمن يصلي ويسلم ويبارك عليه ومحل القيام. تتعرض لنفس الموضوعات منذ الولادة حتى البعثة. وتظهر اللازمة الشعرية التي يرددها المستمعون[10].

20 ـ «سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر وماله من أخلاق وأوصاف

(1) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ (12)، ص423-437
(2) السابق ص423.
(3) ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ۞ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ۞ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، السابق ص425.
(4) يـا ربـنـا صـل وسـلـم أبـدا   على النبي الهاشمي أحمدا (8مرات).
(5) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (23)، ص441-451.
(6) الآيات (4).
(7) عـطـر الـلـهـم قـبـره الـكـريـم   بـعـرف شـذى مـن صـلاة وتـسـلـيـم
اللهم صل وسلم وبارك عليه (21مرة).
(8) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (24).
(9) السابق ص453.
(10) إلهي روّح ضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان (18مرة).

وسير» للحبشي[1]: يجمع بين الشعر والنثر. عنوان طويل يجمع بين الولادة العضوية والصفات الخلقية. يتناول الصلاة الأولى والصلاة الثانية ومحل القيام. لازمتها شعرية[2]. كما يتوحد الشطر الأول من القصيدة الأولى[3]. يعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثم الحديث[4].

21 ـ **«مولد النبي محمد» للشاذلي اليشرطي**[5]: وتضم ستة أحزاب بالإضافة إلى محل دعاء. وتعتمد على القرآن وحده[6].

22 ـ **«مولد العزب» لمحمد العزب**[7]: وهي مجموعة من القصائد تقرأ عند المقام في المولد لشعراء متعددين[8]. واللازمة شعرية[9].

23 ـ **«فوائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية» لمصطفى نجا**[10]: ويتضمن ثلاثة فصول: ولادة النبي، قدومه إلى المرتبة المعزوة، بشائر مولده. ليس بها جديد إلا التعبير بالنثر الفني. تعتمد على الحديث ثم القرآن[11]. بميلاده زالت دولة كسرى وقامت دولة التوحيد ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. وتتداخل الصلوات مع الميلاد، الترانيم مع القداس. وتعود الرسالة مع الرسول. فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً. فالميلاد حركة في المجتمع والتاريخ.

---

(1) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (25)، ص469-479. (والاسم بالكامل الإمام العارف بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي).

(2) اللهم صل وسلم أشرف الصلاة والتسليم   على سيدنا ونبينا محمد الرءوف الرحيم (13مرة).

(3) يا رب صل على محمد (29) مرة.

(4) الأشعار (8)، الآيات (4)، الأحاديث (2).

(5) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (26)، ص483-486.

(6) الآيات (6).

(7) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (27)، ص489-500.

(8) هم الشيخ عمر، عبد الله الحداد، أحمد بن محمد المخضار، عبد الله بن حسين بن طاهر، علي بن محمد بن حسين الحبشي.

(9) يا رب عطر بالصلاة ضريحه   وأدم عليه سلام ذاتك سرمدا (8مرات)

(10) مجموع لطيف أنسي، بيروت 2005م -1426هـ (28)، ص503-508.

(11) الأحاديث (6)، الآيات (3).

24 ـ **«مولد المصطفى» لخير الدين وائلي**[1]: والغاية منه ليس فقط رصد الماضي بل تغيير الحاضر. ليس المقصود الحشو والغلو بل البساطة والوضوح. ولا يُحتفل به في مناسبات خاصة بل يتم التأسي بها في كل لحظة[2]. وتشمل أخلاقه، عفوه وصبره، جوده وتواضعه، بساطته، وتوحيده لربه، مولده ومعجزاته، الصلاة عليه وصيغتها. ويتم ذلك في إطار دعوته الكلية في علاقاته الاجتماعية والسياسية، وحبه للأطفال، وحسن معاملته لأهله وللذميين، وإصلاح المجتمع، وسياسته وحروبه، وشجاعته، ونداء إلى المسلمين عن حال الأمة «أيها المسلمون». وأهمها الإصلاح الاجتماعي[3]. وهي نفس الدعوة في رسالة «البيان

(1) مجموع لطيف أنسي، بيروت 2005م -1426 هـ (29)، ص511-525.

(2) «فلم تعد أكثر الموالد تفي بحاجة العصر، تبعاً لسنة التطور. لذا رأينا أن نعرض سيرة الرسول العظيم محمد ﷺ عرضاً جديداً، يأخذ منها القارئ عبرة وتوجيها. وقد توخينا أن نسرد ما صح من سيرة النبي صلعم وأقواله بأسلوب مبسط سهل ليس فيه تعقيد ولا حشو. وقد حافظنا فيها على النهج القديم في الموالد المقفاة التي يسهل إنشادها وحفظها. وإنا نلفت أنظار المسلمين إلى أن تلاوة سيرة الرسول صلعم لا ينبغي أن تقتصر على وقت مولده أو في مناسبات معينة فقط بل يجب علينا دراسة هذه السيرة العظيمة من عدة كتب صحيحة على الدوام لنستفيد نحن وأهلونا بما فيها من توجيهات كثيرة منها حماية الإيمان وقوة العزيمة والجرأة في الحق للاندفاع في طريق الجهاد والإصلاح الاجتماعي»، السابق ص511.

(3) «إصلاحه للمجتمع. دعا الناس إلى التعاون والتحابب والعدالة الاجتماعية. وأنصف الضعيف من القوي. وقارب بين الفقراء وذوي اليسار. جاء بدين يغني عن الشيوعية، وينقذ من شرور الإباحية، ويشخص أمراض المجتمع. فيصف أحسن علاج في هذا المضمار. حرم الخمر والزنا وحسن الجوار.ثار على الخرافات والتواكل والجمود، وأمر باستخدام القوى الكونية، ومنع الطمع والبخل والبطالة والرشوة والغش والاحتكار، كان أول من قرر حقوق الإنسان. وأزال الفروق العنصرية، فمنع بذلك الحروب، ووطد السلام في الديار. هل تعرفون الذي منع استبداد الحكام، وقرر الأصول الشورية، وأعلن المساواة بين الناس، فكلهم متساوون أحرار، وأنقذ المرأة بمنع الوأد واحترام الأم وحفظ الحقوق الزوجية؟ هل تعرفون الذي فرض طلب العلم على الكبار والصغار؟ وأنصف العمال والكادحين، وخلص الرقيق من المعاملة البربرية، ودعا للرفق بالإنسان والحيوان ومنع الاستعمار؟ لا شك أنكم تعرفونه. فهو محمد رسول الرحمة والإنسانية. وهو الذي لولاه لسار الكون إلى الانهيار. أعلن الحرب على المرابين الذي يسببون الضائقات الاقتصادية، ويمتصون دماء الفقراء بالظلم والاستئثار. حض على الرياضة. وأمر بالصلاة وهي رياضة روحية وجسمية. ودعا للنظافة والمداواة والبعد عن الأمراض والانتحار. نهى عن التقليد =

والتعريف في ذكرى المولد النبوي الشريف» للمالكي الحسني. وتضف الرسالة مقتبسة منها دون الإشارة إليها. إنما أضافت الثانية فقط بعض الفقرات وبعض الأشعار. وتعتمد الرسالة كالعادة على الحديث ثم الشعر ثم القرآن[1]. ولا يحال إلى أقوال صوفية أو إلى مصادر مدونة مع أن بها بعض النقول من رسائل سابقة دون الإعلان. وفي أخرها أربعة تقارير مادحة للنص، وقصيدة «بانت سعاد» في مدح خير البرية[2].

ز ـ رسائل الحسني:

أ ـ «روضات الجنان في مولد خاتم الرسالات»[3]: وتتكون من ثلاث وعشرين روضة. تتعرض للنور المحمدي وخلق الكون منه، ونهل النبوة. ثم تأتي السيرة الفردية، ميلاده وعجائبه، ونسبه، وزواج أبويه ووفاتهما، وكفالته، ورحلاته إلى الشام مرتين حيث كسب الخبرة والمعرفة، وزواجه، وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول لنصرة المظلوم ضد الظالم، وهو الإسلام الفطري الطبيعي، وخَلقه وخُلقه ورؤيته لوحدة العرب، وإرهاصات النبوة، ونزول الوحي عليه. وأهم من ذلك كله إصلاحه الاجتماعي ودور أمته في التاريخ[4]. فللرسالة المحمدية فضل

= الأعمى. ورفع شأن العقل والشجاعة الأدبية. وأمر بالتيقظ. وحرم الإشاعات الكاذبة والخيانة وإفشاء الأسرار. حث على الدعوة إلى الله بالطرق السلمية. ولم يُكره أحداً على الإسلام بل ترك للناس الخيار. وآمن النبي ﷺ بما تقدمه من رسائل سماوية. ولقد بشرت به الأنبياء والكتب وعرفه الرهبان والأحبار. جاء الناس بالتسامح والتكافل والآداب الاجتماعية. وأمر بالعدل والإحسان والتناصح والإيثار. صلوات الله وسلامه على من قال «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه». صلوات الله وسلامه على من قال «ليس بالمؤمن من يشبع وجاره جائع إلى جنبه». صلوات الله وسلامه على القائل «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى»، السابق ص514-515.

(1) الأحاديث (18)، الأشعار (7)، الآيات (4).

(2) السابق ص521-525.

(3) مجموع لطيف أنسي،دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (31)، ص597-635.

(4) وهي: أولوية النور المحمدي، نوايا الحضرة النبوية والحقيقة الأحمدية، سر إيجاد الخلق وبعثة الرسل، النور النبوي في ظهر آدم وفضل العرب وتقلب الرسول في الساجدين. نسبه، زواج أبويه، اصطحاب روحانيته بجسمانيته، إشراق شمسه على الكون، السلام عليه، عجائب ليلة ميلاده، رضاعه، شرح صدره، وفاة أمه وجده وكفالة عمه، خروجه إلى الشام أول مرة وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول، خروجه ثاني مرة وزواجه =

على المجتمع البشري[1]. غيرت مسار التاريخ من النقص إلى الكمال، ومن الفرقة إلى التوحد. وتعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر[2]. كما تعتمد على النقل والاقتباسات. وتتخللها أدعية. وتظهر اللازمة في الروضة التاسعة[3]. وتظهر لازمات أخرى في مآثر محمد[4].

ب ـ «نيل المنى وغاية السؤل بذكر معراج النبي المختار الرسول» للحسني[5]: وهي سيرة من الولادة إلى المعراج. وكلاهما معجزان، تعتمد على القرآن والحديث والشعر، وأكثر الأحاديث ضعيفة. أحاديث جرت بين الله وجبريل ومحمد في المعراج[6]. ويحيل إلى ابن عربي في «الفتوحات». وتتكرر اللازمة ثمان مرات[7]. وتنتهي الرسالة بدعوات لله لتفريج الهم، وقسمة الدنيا، ومغفرة

= بخديجة، موقفه الحكيم أثناء إعادة بناء الكعبة، إرهاصات نبوته، بدأ الوحي عليه، المجتمع البشري قبل البعث، خلقه، خلق مآثره، خصائص أمته.

(1) «نعم، وبعد أن مرت على الإنسانية عدة قرون لم تر فيها رسولاً يعرفها بخالقها وممدها، ويهديها سواء السبيل فكثر فيها الضلال وعم الكلام واشتد العمى وانتشر الجهل في جميع الدول والشعوب حتى عُبدت الشمس والقمر، والنهار والبقر، واتخذت كل قبيلة لنفسها صنما تعبده، وتقدسه وتنحر له الذبائح كل سنة وعمت الفرقة بين الشعوب والأقطار والبلدان والقبائل والعائلات وفشا نظام الطبقات فشوا ما عليه من مزيد. وأصبحت الكلمة الأخيرة للسيف فظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس... ووضع لهم من القوانين ما يصبحون به أعزاء بعد أن كانوا أذلاء، وسادة بعد أن كانوا عبيداً، وموحدين بعد أن كانوا مفرقين ومثلاً علياً للخير بعد أن كانوا مثلاً دنيا للشر. وهكذا شهدت الإنسانية ميلاد الأمة الإسلامية في وقت هي أحوج ما تكون إليها بقيادة خاتم الأنبياء لتضمن كل من استضاء بنورها كل خير ديني ودنيوي وأحمدي، وتسلكه في عقد خير أمة أخرجت للناس، وتجعله هاديا مرشدا موثور الكرامة عزيز الجانب مشاركاً في بناء صروح المجد والفخار لجيله وللأجيال التالية بعده إلى يوم الدين...»، السابق ص624-625.

(2) الآيات (41)، الأحاديث (30)، الأشعار (8).

(3) وهي «صلّ الله عليك وعلى آلك وسلم»، السابق ص609-611.

(4) هي «سيدنا محمد» في أول كل عبارة (6 مرات)، وكذلك «يا رب إني أجد في الألواح أمة» ـ السابق ص630.

(5) السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (4)، ص131-150.

(6) الآيات (9)، الأحاديث (4)، الأشعار (2).

(7) وهي «عطر اللهم مجالسنا بذكره وطيب ربّاه، ومُن علينا بلثم راحته الكريمة وتقبيل محياه. وصل وسلم وبارك وأسعد وأنهم به وعليه صلاة تقريباً منه وإليه، وتزيدنا فيه محبة =

الذنوب، ونصره سلطان المسلمين، وقهر أعدائه الظالمين[1].

ح ـ من السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية:

وتعني «السيرة الموضوعية» السيرة بالمعنى التقليدي التي يصف حياة الرسول منذ الميلاد حتى الوفاة، كما يفعل المؤرخون تتخللها باستمرار بعض العجائب والغرابات والعلامات خاصة في الميلاد وهي بعض عناصر الحقيقة المحمدية. وأهم نصوصها:

1 ـ «نسيم السحر» للجيلاني (561هـ)[2]: والعنوان شاعري. والموضوع سيرة الرسول في اثني عشر فصلاً ابتداء من اعتزاله الناس ورعايته للأغنام، وسفره للتجارة بالشام حتى إيثاره بالعلم الإلهي والكتاب المبين واللوح المحفوظ.. ثم تتحول السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية، والمنزلة الذرية وبطون الأمهات والعالم الدنيوي والبرزخ والحشر والجنة والنار والأعراف. ثم تعود الحقيقة المحمدية إلى السيرة الذاتية، في الرزق تحت الرمح ووضع المرأ لنفسه، وتحبب النساء إليه والطيب والصلاة، وشوقه إلى الأصحاب. ثم يتم التحول من السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية من جديد في قربه إلى الله أكثر من ملك مقرب أو نبي مرسل، والثناء على الله، والانتقال إلى الرفيق الأعلى. وتعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[3]. والشعر له الأولوية لقدرته على المدح. وهي تجربة شخصية لا تحتاج إلى الاعتماد على أقوال الصوفية.

2 ـ «مولد العروس» لابن الجوزي (597 هـ)[4]: وهي تورية. فالعروس هو الرسول. ومنذ البداية يحتاج إلى الزفاف، وكل مظاهر التكريم والترحاب. يجمع بين النثر والنظم. المولود صاحب الناموس أي واضح الشريعة مع أن الشريعة

= وشوقاً، وتكسبنا بجانبه العظيم تعلقاً وعشقاً على صحابته وآله، وكل من له تعلق بأذياله».

(1) «اللهم انصر سلطان المسلمين ودولتهم، وأعْل بفضلك وكرمك على كل معقل كلمته، وأخذل الفجرة والفسقة الماردين ودعوتهم. واقطع دابرهم وصولتهم، وأصلح اللهم ولاة أمور المسلمين، ووفقهم لسلوك سبيل رضاك أجمعين، وخلقهم بالرحمة التي خلقت بها نبيك وحبيبك سيدنا محمد الأمين.....»، نيل المنى، ص150.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (3)، ص65-106.

(3) الشعر (44)، الآيات (45)، الحديث (14).

(4) مجموع لطيف الأنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (13)، ص277-302.

وضعية قائمة في مجال السلوك البشري كما قال الشاطبي. ليلة مولده انشق إيوان كسرى، ومنعت الشياطين من الصعود إلى السماء. ولد مكحولاً مدهوناً مطيباً مختوماً مسوراً. من نوره خرج نور الأنبياء، ومنه خلق العرش والكرسي واللوح والقلم كالشمس والفجر والكواكب والإيمان ومحمد. أخبر آدم آمنة بحملها. سنة مولده انتهى القحط. وينتهي المولد باستغفار الشيخ العلمي وبنهج البردة لأحمد شوقي. يعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن دون ذكر لأقوال الصوفية أو اعتماد على الإسرائيليات[1]. وتظهر اللازمة الشعرية في الخماسي في مقاطع القصيدة[2].

3 ـ **«فتح الله في مولد خير خلق الله» للبناني (1310هـ)**[3]: وهو كتاب في المولد النبوي كما يدل على ذلك العنوان. البداية الإعجازية للرسول قبل النهاية في الحقيقة المحمدية. ويضم أحد عشر مبحثاً بلا ترقيم عن محبة الرسول وعلاماتها. وأول ما خلق الله نوره، هو أحب الناس إليه وامتداده لآدم. ويذكر نسبه وطهارته وإسلام أبويه ورد كيد أبرهة الفيل، وصفات حمل النبي وولادته والوقوف والقيام حين سماع اسمه ووصفه، والفرح والاحتفال بمولده والتوسل به[4]. وهو تصور ميتافيزيقي كوني شخصي للرسول. أقدم من آدم وسيد البشر. وظهرت بعض الخوارق والآيات والدلائل والعلامات حين ولادته. والتوسل به كواسطة بين العبد والخالق. ويعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن[5].

4 ـ رسائل الكتاني (1327هـ):

أ ـ «فتوح الجوارح (أول الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات)»[6]: وهي دراسة في الثمان حواس للرسول: العقل والسمع والبصر واللسان والشم واليد (اليمني) والنفس والقلب وما بها من فتوحات أي قدرات إدراكية أعلى من حواس

---

(1) الأشعار (29)، الأحاديث (5)، الآيات (3).

(2) وهي «صلوا عليه وسلموا تسليما» (8).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1424هـ. وهي طبعة أزهرية قديمة مصورة حديثا.

(4) السابق ص1-4.

(5) الأشعار (100)، الأحاديث (57)، الآيات (41).

(6) الصلوات الكتانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م - 1425هـ (1) 21-58.

البشر. وتعتمد على القرآن وحده تقريباً. ومرة واحدة حديث ضعيف ومرة واحدة شعر دون حديث أو أقوال للصوفية[1]. ويذكر محمد وحده كاسم وصفة، وأحمدي كصفة[2]. وكلها دعوات وابتهالات وطلبات وأسئلة واستنجادات وشحاذات.

ب ـ **«السانحات الأحمدية والنفثات الروعية في مولد خير البرية»**[3]: وهو أيضاً في الحقيقة المحمدية أو بالأحرى الأحمدية. فالجانب القدسي في هوية الهويات. في الكون، وهو الحقيقة الأحمدية ضمن مراتب الوجود وانطباعها في جميع الصور، روحاً وجسماً. ثم بعد ذلك يأتي ضمن ولادته والسلام عليه وشرح صدره. ومع ذلك فالباطن هو الأغلب على الظاهر. ومراتب الوجود أربعون. تضم الألوهية والأفلاك والأرض والإنسان والمعاد[4]. مولد الرسول ليس بجسده أو حتى بشرح صدره بل بروحه. فقد كمنت الجناية الأقدس في هويته فبرزت الحقيقة الأحمدية مرتبتها في الوجود، وانطباعها في كل الصور. وبالتالي تغلب حقيقته الباطنية على حقيقته الظاهرية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. وتخلو من أسماء الأعلام، صوفية وفقهاء. وتعتبر نموذجاً للنثر الفني. تتخلله صلوات على الرسول أشبه بالشعر. ويتكرر الشطر الثاني للبيت كلازمة.

حـ ـ **«رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين، وأن كل نبي أب**

---

(1) الآيات (51)، والحديث «ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن»، السابق ص21.

(2) محمدي (61)، أحمدي (11)، محمد (7).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (4)، ص417-238.

(4) وهي: للألوهية البطون الذاتي، العماء، الأحدية، الواحدية، الألوهية، الرحمانية، الربية، وللكون: الجسم (العرش)، القلم الأعلى، النفس الكلية، العقل الكلي، الهيولى، الهباء. وللأفلاك: فلك العناصر، موكب الكواكب، أفلاك البرزخ، زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر، الأثير، الهواء، الماء، التراب، المولدات البسيطة، الجوهر الكوني. المعادن: النباتات، الحيوانات، ثم عالم الإنسان مثل: الإنسان، عالم الصور الذي فيه تلحق بالدنيا، عالم المعاني الذي منه يلحق البرزخ، عالم الحقائق الذي يلحق به يوم الدين، المحشر والجنة والنار، الكثيب الأبيض الذي تقع فيه الرؤية لأهل الجنة، السابق ص223-224.

(5) الآيات (64)، الأحاديث (5)، الأشعار (4).

لأمته»[1]: وهو نص واحد مجمل صغير لا ينقسم إلى أبواب أو فصول. يبين أن الرسول أب للأمة كما أن كل نبي أب لأمته دون دفع الأمور إلى حد أن الرسول أب لكل الأمم طبقا لآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾. وهي صورة فنية. فلكل أمة زعيم أو قائد، وللأمة الإسلامية أيضاً قائدها. وهي وظيفة اجتماعية سياسية للرسول. هي أبوة معنوية وليست أبوة حرفية. وتشتد المغالاة بأن يصبح أبا للوجود كله، الحيوان والنبات، والجماد، وليس للبشر وحدهم وقد تصل الأبوة إلى حد الاسترقاق الشرعي، بالواسطة والعقلي بالضرورة والطبيعي بالطبع الإنساني. ويعتمد على القرآن، والحديث والشعر[2]. ويحال إلى عديد من أعلام الصوفية وشعرائهم مثل البوصيري. كما يحال إلى عديد من الفقهاء مثل الشافعي، ومذهبه[3]. كما يحال إلى مصادر عدة[4].

د ـ **«الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية»**[5]: وتعني الديوانة، وهي من أصل فارسي، مجموعة الصحف أو السجلات الروحية التي سُطر فيها العلم اللدني. وهي في الحقيقة المحمدية، وتحول علم السيرة من محمد الرسول إلى محمد الحقيقة، من المحمدية إلى الأحمدية. وهو سبب تأليف الكتاب[6]. وهو إلهام ورؤية. متى يبدأ محمد، منذ الخلق أو منذ الولادة أو بكمال الأربعين؟ محمد الرسول هو الظاهر، ومحمد الحقيقة هو الباطن. ارتقت روحه في المعارج الإلهية. وشاهدت الجمال والجلال. فهو كامل البشرية وكامل الروحية. ثبت الفتح

---

(1) دار الكتب العلمية 2004م -1425هـ (3)، ص205-213.

(2) الآيات (16)، الأحاديث (4)، الأشعار (1).

(3) ومنهم الشافعي (1)، الشافعية (1)، البغوي، البيضاوي النيسابوري، الفخر الرازي، ابن كثير، الراغب الأصفهاني

(4) مثل: المواهب نقلاً عن عنقاء عقرب، شرح الهمزية لابن حجر، «الروضة»....الخ.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (1) ص57-114.

(6) «وقع بينه وبين بعض الخلان ممن له المشرب الصافي في هذا الشأن نزاع في وقت ثبوت الفتح لذاته صلى الله عليه، وزوال الحجاب بينها وبين الروح، هل من أول قدم أم بعد كمال الأربعين فوقع لي إذن باطني في أن أسطر ما به أخبر الراوي وهو النون العرشي. فقدمت بين يدي نجواي مقدمة. وبعدها نشرع في المقصود. وسميته «الديوانة»، السابق ص58.

لذاته وزال الحجاب بينها وبين الروح. وهو المقصد من الكتاب، العنوان الأوحد فيه. واصطحبت الأحمدية المحمدية منذ الأزل. والخاتمة صوفية خالصة في الفناء والبقاء، ومقامات الحب، وبحار الأحمدية ووصوله إلى غيب مفتاح بطون الماهية. هي رسالة في توقيت الفتح أي العلوم الكشفية وليس الوحي، الباطن وليس الظاهر. للذات المحمدية وليس لمحمد الرسول. وهو سبب التأليف. وهو الفرق بين محمد الرسول البشري وصاحب الشريعة، وأحمد الرسول الإلهي القادر على الارتقاء في المعارج الإلهية ومشاهدة الجمال والجلال. تجليها وبرزخها واصطحاب الاثنين مع، زوال الحجاب بين الذات والروح ضد من زعم أن جسم الأنبياء هو نهاية كل شيء. ويعتمد في ذلك على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية[1]. وتتكرر صفتا المحمدية والأحمدية على التساوي[2]. وتخاطب الرسالة القارئ وتعيب بوجدانه وإدراكه.

5 ـ «النائب العام عن كل ما تقدم من الحكم والأحكام» للرواس(1287هـ)[3]: والنائب العام هو أحمد والوارث هو محمد، الباطن والظاهر، التصوف والفقه، وهو نوع من النثر الفني دون موضوع معين إلا العهد الصوفي[4]. يعتمد على الشعر وشرحه، وأقل القليل من القرآن دون الحديث[5]. والشعر قصائد طوال يشرحها صاحبه أو المؤلف. ويحال إلى بعض المصادر مثل «رفرف العناية» للرفاعي، و«مراحل السالكين» للرواس.

6 ـ محمد الكتاني (1345هـ)[6]:

أ ـ «جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته بالعلوم الكونية»: ويهدف

(1) الآيات (102)، الأشعار (17)، الأحاديث (15).

(2) المحمدية، الأحمدية (15).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (2)، ص55-87.

(4) «أفاض عليّ حبيبي عهداً جامعاً في حضرة قربه، بين الحجاجمة الأعيان عن آله وصحبه، وخلّص أتباعه وخاصة حزبه، في مشهد مشاهدة، ومحضر مكافحة، ومحاضرة في سدرة مشافهة. استغرقت بنورها، وانغمست بسرورها.وهذا نص العهد المبارك المتمثل المطابع المؤيد المؤبد الذي لا ينحل إن شاء الله عقده ولا ينقض عهده»، النائب العام ص55.

(5) الأشعار (22)، الآيات (3).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (جزءان).

إلى الإقناع بإحاطة الرسول بجميع العلوم الكونية. والسبيل إلى معرفة ذلك هو جلاء القلوب من صداها. والعلوم ثلاثة: علم الشريعة الظاهرة، وعلم الحقيقة الباطنة، وعلم الغيب[1]. ولا يتضمن الكتاب أبواباً أو فصولاً بل مقصدين. الأول في بيان إحاطه الذات المحمدية بالعلوم الكونية وهي أقرب إلى علوم الغيب مثل القدر باستثناء الروح والساعة. ومنها أمور الآخرة، ومسائل الذات والصفات والأسماء وتجلياتها ومراتبها ووحدة الوجود، وعلم الجفر والحدثان أي التنبؤ بالمستقبل[2]. والموضوعات متعالية مثل الإسراء والمعراج والحقيقة المحمدية والميلاد المعجز للنبي كما هو الحال في الطرقية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[3]. وتتكرر الآيات والأحاديث لأنها هم متصل. وتتوالى بحيث يبدو الكتاب وكأنه مجموعة من الأدلة النقلية[4]. وللأحاديث أكثر من صياغة. ومن الصوفية يحضر ابن عربي بوضوح. وتوضع له ترجمة في المقدمة[5]. وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. يليه تلاميذه مثل النابلسي مع تقديسه لأشخاص الصوفية المتأخرين. ويحال إلى «الفتوحات» و«فصوص الحكم» لابن عربي وإلى «الحكم العطائية» و«لطائف المنن»[6]. ومن هذا الباب خرج موضوع الإسلام والعلم. فالقرآن به كل شيء. والثاني في كونه خليفة الله الأكبر. وهي أيضاً علوم غيبية مثل العماء والعقل الأول والروح الأعظم وتفضيل الأنبياء على الملائكة والختم المحمدي وتصرف الولي. تتخللها عناوين جانبية مثل «الكلام

---

(1) جلاء القلوب ص61-70.

(2) السابق حـ1/ 115-119.

(3) الآيات (638)، الأحاديث (214)، الأشعار (106).

(4) جلاء القلوب حـ1/ 155-158/ 179-200، حـ251/ 54-55/ 144-147، تتوالى الأحاديث حـ2 121-124/ 195/ 201/ 203-204-208-209.

(5) ابن عربي (20)، النابلسي (8)، السهروردي، صاحب عوارف المعارف، الشاذلي، المناوي، الشعراني (4)، البكري، الغزالي، القشيري، الجنيد، التستري، أبو نعيم، الجيلي، علي الخواص، أحمد الرفاعي، إبراهيم الدسوقي، الجيلاني، السيوطي، الكاشاني، الترمذي، وهب بن منبه، ابن عطاء الله (2)، ومن الفقهاء السيوطي (4)، العز بن عبد السلام. ابن حجر، الشافعي، ابن الجوزي (2). ومن الفلاسفة ابن رشد فقيها (2)، ومن المتكلمين الجرجاني (2)، وهناك عشرات من المحدثين.

(6) الفتوحات، فصوص الحكم (4)، الحكم العطائية، لطائف المنن (2).

في»، «الدليل»، «فصل»، «مسألة»، «أجوبة»، «بحثان»، «رأي الجمهور»[1].

ويقوم على التجميع كما هو الحال في التأليف المتأخر مثل الكتب المدرسية التعليمية والمقررات الجامعية، مملوءة بالنقل وتخلو من الإبداع ودون معايشة للتجربة الصوفية[2]. وتؤخذ اقتباسات عديدة بعلامة «اهـ» أو بعبارة «انتهى» بلفظة أي النقل الحرفي جسد بلا روح، مجرد هيكل عظمي بلا لحم ودم بالرغم من مخاطبة القارئ[3]. ويعتمد على المعاجم والقواميس والشروح السابقة. وفي نفس الوقت الذي يعتمد فيه على العلوم الغيبية يعتمد أيضاً على الفقه والحديث لبيان اتفاق التصوف، موضع الشبهة، مع العلوم النقلية. فقد خرج التصوف من الفقه والحديث ثم عاد إليهما. ونظراً لضعف الأحاديث فإنها تأتي من التجميعات المتأخرة بعد الإصحاحات الخمسة. فتتكرر الأحاديث، وتختلف صياغاتها دون تحليل لمنطق الزيادة والنقصان بين الروايات[4].

وبالرغم من عدم وجود مقدمة نظرية أو سبب للتأليف. فالمقدمة مجرد مدح وتقريظ للصحابة، والاعتذار عن وحدة الوجود وفهمها فهما مطابقا للشرع إلا أن القسمة العقلية شائعة[5]. وتستعمل بعض المصطلحات الصوفية التي تحتاج إلى شرح مثل[6]. «البرزخ»، بالرغم من «التنبيهات» وأسلوب القول فإن قال... قلت. ومن الوافد يظهر «أفلاطون» لاستكمال علم المؤلف بالداخل والخارج، بالموروث والوافد[7].

ب ـ «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق» لمحمد الكتاني[8]: وهو أيضاً في المولد النبوي. يجمع بين الابتهالات والروايات. يركز

(1) الكلام في (4)، الدليل (3)، بحثان، مسألة، أجوبة، فصل، رأي الجمهور (1).

(2) جلاء القلوب حـ1/ 193.

(3) «سنذكر شيئاً من علومهم». السابق ص59.

(4) انظر دراستنا ظاهريات التأويل (الترجمة العربية)، ص157-222.

(5) جلاء القلوب حـ1/ 399-411.

(6) السابق حـ1 / 211/ 218.

(7) السابق حـ2/ 39.

(8) مجموع لطيف الأنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (2) ص35-49 (اسم المؤلف بالكامل محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (المغرب)).

على الميلاد العضوي ومدة الحمل التي يجب أن تكون فريدة بين المدد المعروفة السبعة والتسعة أشهر. ويكرر نفس الأحاديث الغيبية المعروفة التي يروي فيها الرسول عن خلقه الكوني الأول دون معرفة مصدره المعرفي الله أو جبريل أو «هو نفسه»، هل هو قدسي أم نبوي؟ ويحيل الميلاد إلى البعث وأمور المعاد بنفس التفرد الأول والآخر. ويظهر محمد البشري الذي خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح. وكل الأنبياء كذلك. في حمله عجائب، وفي وضعه غرائب. تحدثت السماء والأرض به، وعجبت من هذا النور، وهما منه. وتتحدث الملائكة لأمته كما بشرت اليصابات أم مريم، وكما بشر جبريل مريم بحملها.

ويعتمد على الحديث أولاً ثم الشعر ثانياً ثم القرآن أخيراً[1]. ويتكلم الله محاوراً. ويدخل جبريل في الحديث. كما تظهر الإسرائيليات في حديث الله مع عيسى وأمره بالإيمان بمحمد[2]. وتبدأ «اللازمات» في الظهور في فن التأليف». و«اللازمة» هي عبارة أو فقرة أو صلاة أو دعاء أو ابتهال يتكرر عبر التأليف عشرات المرات كما هو الحال في فن الغناء وفن الشعر، وكما هو شائع في ردود المستمعين على المنشدين[3]. وتعتمد على بعض المصادر المدونة بالإضافة إلى كتب الحديث والتاريخ[4].

7 ـ **«اليُمن والإسعاد بولادة خير العباد» للحسني (1345هـ)**[5]: وهو أيضاً في ولادة الرسول. ويتكون من أربعة عشر فصلاً عن كونه أول مخلوق، وأصل خلقته من الكمال، وإرهاصات الحمل به، وما وقع أثناء الحمل، والوضع الشريف، وجعل الأئمة المولد عيداً سنوياً، والقيام عند ساعة الولادة، والرقص إذا كان المولود ذكراً، وهو من بقايا العادات الذكورية قبل الإسلام، وتاريخ الولادة، ومرضعاته ونشأته وتطوره في مراقي العز، وهو اليتيم حتى نبوته، وأحواله الخلقية

---

(1) الأحاديث (11)، الأشعار (10)، الآيات (1).

(2) مجموع لطيف أنس ص40.

(3) مثل «عطر اللهم مجالسنا بأعطر صلاة وأطيب تسليم على أكمل مولود وأجل مودود وأفضل كليم. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله واجعلنا يا مولانا من أعظم المخصوصين لديه والمتعلقين بأذياله»، (14مرة).

(4) منها «شرح البردة» لابن مرزوق، شارح الاكتفاء.

(5) السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3)، 87-127.

والخُلقية. وصفاته الباطنة، وأفضليته على سائر الخلق، ووجوب محبته وآل بيته، والدعاء له. وفي بداية الأبواب لازمة واحدة تتكرر خمس عشرة مرة[1]. وتبدو بدايات التأليه الوثني. والسؤال: ما قيمة وصف الجسد النبي في النبوة؟ ويعتمد على الأحاديث الحقيقية ثم الأشعار. وأقلها القرآن الذي يؤكد كالحديث على بشرية الرسول[2].

8 ـ «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» (1350هـ)[3]: وكما جمع المؤلف من قبل كرامات الأولياء فإنه يجمع هذه المرة معجزات الأنبياء. وتعتمد كلها على علم الحديث. وأقلها على القرآن. فالقرآن لم يذكر إلا الإسراء والمعراج وليس عشرات الأحاديث عن المعجزات الواردة في أخبار الآحاد.

بنيته محكمة. تضم أربعة أقسام[4]. وينقسم كل قسم إلى أبواب وفصول أو مباحث. الأول عن البشائر، نبوة الرسول في الكتب المقدسة السابقة، وفي أخبار اليهود والرهبان والكهان مع الجن والأصنام وبشائر أخرى متنوعة. وكيف يتم الاعتماد على الكتب المقدسة السابقة وهي محرفة؟ وكيف يمكن الحديث مع الجن والأصنام؟ والقسم الثاني في انتقال نوره في الأصلاب من الأجداد إلى الأحفاد من خلال الأم وآيات الحمل والولادة والرضاع والحياة قبل البعثة. وهو مقصود بيولوجي للنبوة، عيني حسي. والنبوة ليست ضرورة في الذرية ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وكيف يُعرف النور من خلال الأرحام للآباء والأجداد؟. والثالث المعجزات على النبوة أثناء البعثة، معجزة القرآن، والمتعلقة بالعالم العلوي، وإحياء الموتى، وشفاء الأمراض، وتبديل الأعيان، وتكليم الجماد، والغزوات. والرابع المعجزات بعد وفاته أسوه بالسيد المسيح في منامات الصالحين وقضاء حاجات المستغيثين، وأشراط الساعة وعلاماتها. والكتاب على هذا النحو

(1) وهي «عطر اللهم مجالسنا بطيب ذكر حبيب الله الأعظم وثناه، ومُن علينا بسلوك سبيله وهُداه. وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله صلاة وسلاماً تتخلص بهما من محن الوقت وأهواله.

(2) الأحاديث (37)، الأشعار (4)، الآيات (3).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 1996م-1417هـ.

(4) أكبرها الثالث (301) ثم الثاني (139)، ثم الرابع (127)، ثم الأول (57).

يجمع بين عدة علوم، السيرة والحديث، والتصوف.

والعنوان نفسه غريب «حجه الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين». وهل يحتاج الله إلى حجج لإثبات معجزات الرسول بعد إيمان الناس بالرسالة؟ ولم اجتزاء جزء من حياة الرسول وهي المعجزات دون باقي جوانب حياته في تقديس العمل، وقوانين الحياة، والعقل، والمعرفة؟ بل إن القرآن نفسه لم يعتمد على المعجزات كدليل لإثبات النبوة ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾. ولا يستطيع الرسول أن ينزل من السماء كسفا أو أن يقيم صرحا يصعد إليه إلى السماء ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾.

وكثير من أخبار المعجزات تمت صياغتها قياساً على روايات معجزات السيد المسيح خاصة الميلاد وإحياء الموتى ومعجزاته بعد البعث[1]. ومعظمها روايات لا أقوال، حكايات وقصص عن أفعال شاهدها الرواة مباشرين أو غير مباشرين، وليست كلمات مباشرة من الرسول. ومعظم أحاديث الإسراء والمعراج أقوال مباشرة يغلب عليها الخيال والتصوير والإخراج المسرحي وكل عناصر التشويق والإبهار بالضخامة للبراق وأجنحته وأنواع الأحجار الكريمة والحوار مع الأنبياء السابقين. وتطول بحيث لا تستطيع الذاكرة استدعاءها. ومعظمها تفصيلات من إبداع الخيال الشعبي الجماعي، فالقرآن لم يذكر إلا الإسراء في آية واحدة دون المعراج. وهناك روايات أخرى من إحدى زوجات الرسول تنفي أنه ما فارقها هذه الليلة قط. وقع في أول البعثة تشجيعا للرسول وتقوية له ضد خصومه وقومه الذين ما زالوا ينكرونه ولا يصدقونه، وتدعيماً له ضد جماعات اليهود والنصارى[2]. فقد حاور الأنبياء السابقين جميعاً. ونال درجة أعلى من درجاتهم. يصلي كل نبي بأمته

(1) حجة الله على العالمين ص18.

(2) حجة الله على العالمين ص269.

ويصلي الرسول بالأمم جميعا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. صلّى بالأنبياء جميعاً يؤمهم في المسجد الأقصى، والمعراج من الأرض إلى السماء، ثم الصلاة من السماء إلى الأرض. وإذا كانت الصلاة قد فرضت أثاء المعراج فكيف صلى الرسول بالمسلمين وهي لم تفرض بعد وتقنن في خمس؟ والمعجزة في الحقيقة هي رد فعل على العجز عن تغيير الواقع وتطبيق الرسالة، والتحول عن الرسالة إلى الرسول، ومن القول إلى الفعل. أنكرها المعتزلة[1]. فالكتاب يأخذ جانب رأي دون رأي. ولا يوجد أي نقد تاريخي للروايات كما فعل القدماء مثل ابن حزم وكما فعل ابن خلدون في بيان أغلاط المؤرخين. ومازالت الأحاديث تروى لصحة سندها وليس لصحة متنها واتفاقه مع الحس والعقل ومجرى العادات وقوانين الطبيعة[2]. وتروى أحاديث المعراج ممن لم يعاينها ويشاهدها وهو ما يتنافي مع أحد شروط التواتر، الإخبار عن حس.

وأهم ما فيها هي المقدمة النظرية التي تضم أربعة مباحث: معنى المعجزة والفرق بينها وبين خوارق العادات، تفوق معجزات الرسول على باقي معجزات الأنبياء وخروجها منها، ظهور وكثرة ودوام معجزاته على معجزات سائر الأنبياء، طرق المعرفة بها وإفادتها للعلم[3]. وكلها قائمة على أفعل التفضيل، فضل معجزات الرسول على معجزات سائر الأنبياء كماً وكيفاً. وتدور الخاتمة حول الصدق والكذب في الإخبار عن المعجزات في ثلاثة مباحث، مدح الصدق وذم الكذب، وذم الكذب على الرسول، وتحريم رواية الحديث المكذوب[4]. ويُلحق بالكتاب رسالة المؤلف، «خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام»[5]. تكشف عن قصد التقريظ والمدح للرسول، وترجيح دين الإسلام على سائر الأديان، وتكشف المعجزات عن الدين الطبيعي الفطري وأنه لا حاجة لإثباته عن طريف أفعال خارقة للعادة[6]. وبالرغم من أنها مقدمة نظرية إلا أنها تعتمد أيضاً على الأدلة النقلية

(1) السابق ص40.
(2) السابق ص271.
(3) السابق ص7-63.
(4) السابق ص625-928.
(5) السابق ص929-635.
(6) السابق ص195-196.

وليس على التحليل العقلي أو مناهج الاستدلال. صحيح أن الموضوع سمعي فإذا كان المنهج أيضاً سمعياً، فيزدوج السمع بدلاً من الاعتماد على العقل تطويراً لما تركه القدماء سمعياً خالصاً.

ويعتمد الكتاب على كثير من الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر[1]. فهو مجرد تجميع لها دون ربط أو تحليل عقلي أو استدلال أو برهان. وتتوالى أحياناً الآيات القرآنية في زخات متتالية مثل المعجم المفهرس[2]. والأحاديث كثير منها ضعيف أو مشهور. ويُطعّم كثير منها بالقرآن لتقويتها. والقدسي منها يغلب عليه الطابع الغيبي وهو ما يخرج عن وظيفة علم الحديث في إعطاء التفصيلات العملية للأحكام وأوجه تطبيقها. وقد تتوالى الأشعار في قصائد طوال[3]. بل إن الشيطان نفسه يقرض الشعر. كما يعتمد على عشرات من المصادر المدونة من كتب الحديث[4]. ومنها ما للمؤلف نفسه[5]. وتؤخذ منها عدة اقتباسات يشار إليها بلفظ «انتهى» أو بالحرفين «اً هـ»[6]. والتجميع ليس عيباً في حد ذاته في حضارة يغلب عليها الإبداع الجمعي وليس حقوق الملكية الفردية. فالثقافة والعلم كالماء والهواء، مشاع بين الناس، لا يجوز امتلاكها ملكية فردية كما هو الحال في الغرب الحديث. وتظهر الإسرائيليات في عديد من روايات البشارة بقدوم الرسول في روايات الكتب المقدسة السابقة[7]. ويجمع أربعون حديثاً لبيان فضل سيد المرسلين طبقاً للعدد النبوي المفضل والذي على أساسه تم نسج عديد من كتب الأحاديث مثل «الأربعون النووية»[8]. وتتحول كثير من المعجزات المبهرات إلى قصائد شعرية في المديح النبوي أشبه بالقصائد الشعبية في مدح أبطال الأساطير

(1) الآيات (190)، الأحاديث (100)، الأشعار (95).

(2) السابق ص50-51.

(3) السابق ص178-179/ 142.

(4) مثل «المواهب اللدنية»، «القاموس»، وعديد من الشروح لابن الحاجب، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية، السابق ص13/ 243/ 387.

(5) مثل «أفضل الصلوات على سيد السادات»، السابق ص43.

(6) حجة الله على العالمين، ص13/ 24/ 38/ 40/ 43/ 206/ 249/ 287.

(7) السابق ص24.

(8) السابق ص25-31.

الشعبية مثل أبو زيد الهلالي والزيناتي خليفة. وتتكرر الأشعار كما تتكرر الأدعية[1].

9 ـ «روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات» للكتاني الحسني (1384هـ)[2]: وهو كتاب في السيرة. يتكون من ثلاث وعشرين روضة عدد سنين بعثته حول النور المحمدي السابق على الخلق، ثم ولادة محمد الرسول، وعجائب ليلة مولده، ورضاعه، وشرح صدره، ووفاه أبويه وكفالة عمه، وخروجه إلى الشام، وحكمته أثناء بناء الكعبة، وإرهاصات نبوته، ثم نزول الوحي في ظروف خاصة، ثم وصف خلقه ومآثره وخصائص أمته، ثم اللجوء إليه كوسيلة إلى الله[3]. ويختم المؤلف رسالة لوزير العدل ضد تعيين ذوي الثقافة الأجنبية في القضاء[4]. وهناك لازمة مكررة في آخر كل روضة[5]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. وسبب التأليف سؤال أحد الإخوان[7].

---

(1) السابق ص92/ 196.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ.

(3) وهي على النحو التالي: 1- أولوية النور المحمدي. 2- بعض مزايا الحضرة النبوية والحقيقة الأحمدية. 3-سر إيجاد الخلق وبعثة الرسل. 4- النور النبوي في ظهر آدم وفضل العرب. 5- نسبه. 6- زواج أبويه. 7- روحانيته في جسمانيته. 8- إشراق شمسه على الكون. 9- السلام عليه. 10- العجائب ليلة مولده. 11- رضاعه. 12- شرح صدره. 13-وفاة أمه وجده وكفالة عمه. 14- خروجه إلى الشام. 165- خروجه إلى الشام للمرة الثانية وزواجه من خديجة. 16- حكمته أثناء بناء الكعبة. 17- إرهاصات النبوة. 18- بدأ الوحي. 19- المجتمع وقت النبوة. 20-خلقه. 21- خُلقه. 22- مآثره. 23- خصائص أمته.

(4) السابق ص75-77.

(5) وهي «طيب اللهم مجالسنا بالصلاة والسلام على سيدنا محمد. وثبت اللهم قلوبنا على محبة سيدنا محمد. وأجمع اللهم أتباع سيدنا محمد. وأظهر اللهم دينه على البرايا. وباعد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزنة ما علمت».

(6) الآيات (43)، الأحاديث (9)، الأشعار (7).

(7) فقد سألني جماعة من الإخوان.. أن أكتب لهم قصة المولد النبوي المحمدي تيمنا واهتداء بالرسول الكريم الهادي. وبأسلوب يهيج القلوب إلى حضرة علام الغيوب، ويشوق الظمآن للارتواء من بحور العرفان...». ورتبته على ثلاث وعشرين روضة على عدد سنين من حين البعثة إلى حين الوفاة...». السابق ص30.

وتبدو روح العصر في الروضة التاسعة في «السلام والصلاة» عليه «يا أول داع إلى الوحدة العالمية»، «يا من رفع مستوى المعيشة بين العباد»، «يا من حقق أسمى مظاهر العدالة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات»، «يا من كافح الجهل والغش والبطالة»، «يا من قاوم المرض والفقر والرذيلة»، يا رافع منار اللغة العربية، «يا بطل المعارك الفكرية»، «يا بطل المعارك الاجتماعية»، «يا بطل المعارك الحربية». وماذا عن النداء عليه في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وسبته ومليلة وباقي أراضي المسلمين المحتلة؟[1].

10 ـ «مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي (نثرا ونظما)» جمع عاصم الكيالي[2]: ويحتوي على ثلاثين مولداً نبوياً شريفاً لمجموعة من العلماء العارفين بالله والمعاصرين. وقد يضم عمل واحد أكثر من شكل أدبي، النثر والنظم. ويمكن عرضها جميعاً كعمل واحد، وشكل أدبي واحد، وموضوع واحد وهو المولد النبوي. وبالتالي يفقد كل عمل خاصيته وعناصره التي تكونه وخصائصه بل ورؤيته التي يتميز بها. لذلك كان من الأفضل عرض الأعمال، كل على حدة للإبقاء على فردية كل واحد منها.

ولا يعني المولد النبوي ما يحدث في الحياة الشعبية من مظاهر الاحتفال به كموالد الأولياء والقديسين والصالحين والزعماء السياسيين «وعروسة المولد» و«حصان المولد»، و«زفة المولد» وأروقة الطرق الصوفية، والأعلام والبيارق، والمسارات الشعبية، والإعلام الديني والوظيفة السياسية بل يعني المولد الكوني، انبثاق النور الأول القديم الذي فيه نشأ الكون، وصدرت النبوات. يعني «الحقيقة المحمدية»، الأبدية الأزلية السرمدية. تعني الأحمدية وليس المحمدية. محمد الباطن وليس محمد الظاهر، تعني مركزية الشخص، وعبادة الشخص، والتحول من الرسالة إلى الرسول، ومن النبوة إلى النبي، ومن المبدأ إلى الفرد كما يحدث في الحياة السياسية. تقوم الحقيقة المحمدية، على «عبادة الشخص» في الدين أولاً وفي السياسية ثانياً كما حدث في المسيحية، وتحول المسيحية من المواعظ على الجبل الخلقية إلى عبادة المسيح وتأليهه.

(1) السابق ص45-46.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

وتتفاوت بين الكبر والصغر. أكبرها الخامسة «شفاء السقيم بمولد النبي الكريم» وأصغرها الثانية «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق»، والتاسعة عشر «حصن الأمان في مناجاة الرحمن»[1]. ويصعب عرضها حسب الترتيب الزماني لمعرفة تطورها لأن بعض مؤلفيها ما زالوا أحياء. ويصعب ترتيبها حسب موضوعاتها لتداخل الموضوعات بين الرسول الكوني، والرسول الطبي العلاجي، بين الرسول الإلهي والرسول البشري. ولا يهم المؤلف بقدر ما يهم العمل. فالمؤلفون غير معروفين في حين أن العمل دال. معظمهم من المغرب العربي، خاصة المغرب الأقصى أحد بقاع التصوف الرئيسية مع مصر والعراق.

والدافع على التجميع هو التعبير عن الفرح والاستبشار والسرور بيوم مولده. في حين أن الطفل لا يولد إلا في ولادته الثانية عندما يصبح وعياً، وجوداً واعياً. ويتحقق الوعي إما بنزول الوحي أول مرة أو بالهجرة حيث انتصار الرسالة، والتحول من السر إلى العلن. ونزول الوحي أفضل لأنه يمثل الوعي الفردي في حين أن الهجرة تمثل الوعي الجماعي. وجعل الولادة العضوية بداية التاريخ الهجري هو خلط بين الوجود العضوي والوجود الواعي. والمولد النبوي هو احتفال بالوجود العضوي للنبي. والاحتفال بنزول الوحي هو احتفال بالوجود الواعي، وجعل التاريخ الإسلامي يبدأ بالهجرة من عذاب مكة إلى نصر المدينة.

11 ـ «إعلام جهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق» لابن أبي جماعة[2]: والعنوان دال إعلام الجهال بالرسول الكوني بنصوصه وأحاديث سيد الخلائق وهو أحد ألقابه وكأن وظيفة الحديث تأسيس ميتافيزيقا كونية وليس توضيح معنى أخلاقي أو بيان تطبيق عملي وهما الوظيفتان الرئيسيتان للحديث. وهو ما دفع بعض المستشرقين إلى القول بآثار الأفلاطونية المحدثة في تدوين نظر الوجود لغة النور والفيض والواحد والمراتب الكونية. ويعتمد على الحديث ثم

(1) السابق، الخامسة (ص53)، الثانية، التاسعة عشر (2).

(2) مجموعة لطيف أنسي، بيروت 2005م -142هـ (1) ص11-31. والعنوان الكامل «إعلام جهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق ممزوجا بالمولد النبوي في مدح أصل النبي المولدي» لمؤلفه العالم العلامة فريد عصره وأعجوبة دهره سيدي الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة السوسي البيضاوي (تونس).

القرآن ثم الشعر[1]. ولا يحال إلى أي من الصوفية السابقين. وتتداخل الأحاديث القدسية مع النبوية وحوارات الله مع جبريل والرسول والملائكة والأنبياء. وهي طويلة غيبية. تتحدث عن عوالم مفارقة خارج نطاق وظيفة الحديث العملية للتوضيح النظري والبيان العملي. تخلو من الأسانيد لضعفها.

محمد نور. بل هو نور الأنوار خرجت جميع الأنوار منه. نور قبل الخلق. ومنه خلق القلم ثم اللوح ثم العرش. ومن القسم الرابع خلق الكون، السماء والأرض والجنة والنار ثم المعرفة والبصيرة والرؤية والتوحيد. وتختلف صياغات الحديث لتعطي نفس القصد مما يدل على قدر كبير من الإبداع والخيال، وتتضارب الروايات عن أول الخلق: القلم أو الروح أو العرش أو اللوح المحفوظ أو النور المحمدي. وهو سيد ولد آدم، وخلق آدم بين الماء والطين. هو حضرة الجمع وحضرة الوجود وحضرة الأحدية. وهو الإنسان الكامل. هو أبو الأرواح وآدم أبو الأشياخ، هو التعين الأول والفتح الأكبر إلى آخر هذه التعبيرات الأدبية للتفخيم والتعظيم، وكما تتضارب النظريات في البداية تتضارب أيضاً في النهاية. فهو أول المبعوثين أو آخرهم. كلها تعبير عن نظرية الفيض كما هو الحال في «هياكل النور» للسهروردي. الأنبياء كلهم منه. له مصادر كثيرة، متون وشروح. البعض العمل ومؤلفه، والبعض الآخر العمل دون مؤلفه. والبعض الثالث آراء المؤلف دون عمله[2]. كما يتم الاعتماد على الإسرائيليات، خاصة التوراة في نظرية الخلق، من «سفر التكوين»، وحديث موسى وكلامه مع الله[3].

12 ـ «اليمن والإسعاد بمولد خير العباد» لجعفر الكتاني[4]: ويدل العنوان

(1) الأحاديث (37)، الآيات (23)، الشعر (2).

(2) مثل «كشف الكشاف في شرح البردة» للشيخ الأكبر، «تأويلات سورة الإسراء» لنجم الدين كيري. «الوفا» و «بهجة النفوس» لابن الجوزي، «الأسماء والصفات» للبهتيمي، «الخصائص» للسيوطي، «المواهب» للقسطلاني، «الدرر النظيم في مولد النبي الكريم، «المواهب اللدنية»، «الدر المنثور» وآراء جعفر الصادق والحليمي والبيهقي والكرماني.

(3) السابق ص15.

(4) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3) ص5-79 (الاسم بالكامل الشريف العلامة المحدث الكبير سيدي محمد بن شيخ الجماعة سيدي جعفر الكتاني الحسيني حفظة الله «المغرب»).

على مدى التبرك بالمولد العضوي للرسول الذي يحضر اليُمن والإسعاد للخلق. وهو الرسول الكوني، رسول كل الأنبياء. وهو مملوء بالإنشادات والعجائب قبل النبوة، والأهم بعدها. ويتم التركيز على الحمل، ومدته، والرضاعة، والصفات الخلقية التائهة وسط مركزية الرسول التي يطلبها لنفسه. وهو ما يتنافي مع بشريته وبساطته في تقليد آخر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، «ما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد». وهو أقرب إلى مدح الرسول مثل «البردة»، وأقرب إلى الخيال منها إلى التاريخ، وإلى التمني منها إلى الواقع. ويشارك الشعراء في مدحه مثل الجزي وأبي تمام[1]. تتخللها لازمة تتكرر عشرات المرات[2]. ويعتمد كالعادة على الحديث ثم القرآن والشعر[3]. كما يعتمد على الإسرائيليات وأحاديث موسى[4]. ويحيل إلى بعض المصادر المدونة، بالإضافة إلى كتب الحديث المغايرة للإصحاحات الخمسة والتي جمعت العديد من الأحاديث الضعيفة والغريبة[5] ويدعو للحفاظ على النفس من نوائب الزمان وسطو السلطان ووسوسة الشيطان حيث يختلط التاريخ بالسياسة بالوهم.

13 ـ الأسرار الربانية في مولد النبي لمحمد عثمان الميرغني[6]: وتجمع بين النثر والنظم. والقصائد موضوعات مثل «تحية لقدومه تقال بعد وضعه» و«المنبهجة التي تقرأ قبل المولد الشريف عند الجلوس لقراءته قبل التهليل»[7] ويُعرض خلقه ونسبه إلى آدم ونوره الذي منه فاض الخلق كله، وعجائب يوم مولده، ورضاعته وتحنثه في الغار، والصبر على خبائث قومه، وشمائله الخلقية، والخطاب موجه

---

(1) السابق ص73.

(2) هي: «عطر اللهم مجالسنا بطيب ذكر حبيب الله الأعظم وثناه. ومنّ علينا بسلوك سبيله وهداه، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله صلاة وسلاما نتخلص منها من محن الوقت وأهواله» (14 مرة).

(3) الأحاديث (25)، الآيات (3)، الأشعار (3).

(4) مجموع لطيف أنسي ص61.

(5) مثل: «مطالع المسرات» للعمراني، «الرسائل الكبري» للنفري، «شرف المصطفى» للنيسابوري.

(6) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (15)، ص323-338.

(7) السابق ص333.

إلى الحاضرين. وتنتهي بقصيدة لابن عربي بثلاث قصائد للمؤلف. أخرها يحتوي على لازمة في الشطر الثاني(1). تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث(2).

14 ـ «مولد المناوي» للمناوي (1021هـ)(3): والنص ملحق بمؤلفه وليس بموضوعه وكأن المناوي هو الذي يولد وليس الرسول. يجمع بين النثر والنظم. يحلل اسمه وحروفه الأربعة وأسرارها. يرى المؤلف الرسول في المنام ويسر بالذات المحمدية. ويبين أسرار الصلاة عليه وارتباطه بالكائنات العلوية وأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومولد محمد مناسبة لقصة خلق آدم من طين وحواء من ضلعه كما هو الحال في الأساطير الشعبية. ويتخلل الشعر النثر، عتاب آدم بالشعر وهبوطه إلى الأرض بالنثر. ثم ينتقل نوره من صلبه إلى نسبه كما تقول الشيعة في الأئمة. حملت أمه من نوره، وتلألأت الكائنات منه. وظهرت العجائب بمولده وبرضاعه. وبدت إمارات النبوة عليه منذ طفولته، رعي الغنم. وبدت حكمته وأمانته وصدقة. تزوج ورحل إلى الشام ليتعلم من الأسفار وقام برحلته الروحانية وهو في سن الواحد والخمسين. ورأى ما لا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وتظهر اللازمة الشعرية التي تضبط إيقاع النص(4). ويعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث(5). والحديث أقل لأن الرسول هو صاحبه. وشخصه له الأولوية على قوله.

15 ـ «قرة العين بجواب أسئلة وادي العين» للعلوي الحسنى(6): تجمع بين الفقه والتصوف. وهي إجابة على أسئلة ثلاثة. الأول عن بدع مولد الرسول. والثاني ختم القرآن على الميت. والثالث الاستغفار والتشهد، عقب الصلاة جهراً.

---

(1) وهي «صلى الله عليه (24 مرة)، السابق ص337-338.

(2) الأشعار (6)، الآيات (5)، الأحاديث (1).

(3) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (12) ص231-273.

(4) وهي «اللهم عطر خبره بالتعظيم والتحية وأغفر لنا ذنوبنا والآثام (38 مرة). السابق ص232.

(5) الأشعار (16)، الآيات (7)، الأحاديث (3).

(6) مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (21)، ص411-420. (والاسم الكامل للمؤلف: العبد الفقير إلى الله محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحسنى. عفا الله وتقبل منه آمين. وتدخل مع الرسائل =

وهذا هو سبب التأليف. يبدأ بتوضيح معنى البدعة وأقسامها. والثانية قراءة القرآن العظيم للأموات. والثالث الجهر بالاستغفار والتشهد عقب الصلاة، والحكم بالجواز. وما روى عن المولد بدع حسنة لأنها ليست محرمة ولا مكروهة. وروايات المولد مثل قصص الأنبياء. وقد أباحها السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد»[1]. وتقوم على الاقتباسات والإشارة إليها بلفظ «انتهى». وتعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر[2]. وتستعمل أحياناً القسمة العقلية[3].

خامسا: الاغتراب في السحر والخرافة

وقد سمحت الحقيقة المحمدية «بفتح الباب على مصراعيه لاغتراب التصوف في السحر والخرافة والأسطورة حتى تحول إلى أحجيات ووصفات سحرية للعلاج الجسدي والنفسي إيجابا أو الربط بالكواكب سلباً، وجلب المنافع أو دفع المضار».

1 ـ مؤلفات البوني (622هـ):

أ ـ «شمس المعارف»[4]: وبتناثر البنية وضعف النظر وقع التصوف في أعمال السحر والخرافة في علم الحروف أو علم التنجيم. ويتكون الكتاب من أربعين فصلاً متكررة الموضوعات مثل الحروف المعجمة وما فيها من أسرار وإشارات، والكسر، وأسرار البسملة، ما بها من ضواحي وبركات، وأسماء الملوك الذين يريدون الزمان مع أسماء الله الحسنى، لا فرق بين أسماء الملوك وصفات الله، وأوائل السور والربانيات والقدسيات، وأسرار الفاتحة[5]. وتضاف فوائدها وما لها من الدعوات المستجابة، وآية الكرسي وما لها من البركات وتحويل بعض

= التالية تحت عنوان: «باقة عطر من صيغ الموالد والمدائح النبوية الكريمة» لنخبة من علماء الإسلام وشعرائه مع مقدمة إضافية عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لفضيلة العلامة الجليل السيد محمد بن علوي المالكي الحسنى، خادم العلم في بلد الله الحرام)، السابق ص403.

(1) السابق ص415-416.

(2) الأحاديث (16)، الآيات (7)، الأشعار (1).

(3) السابق ص411.

(4) طبع على نفقة عباس عبد السلام شقرون بالفحامين بمصر (د.ت).

(5) الفصول 1/ 5/ 8/ 9/ 10/ 13/ 17/ 18/ 19/ 21/ 23-31/ 33-34/ 39.

الآيات إلى طلسمات ناقصات، وأسماء الله الحسنى وأنماطها وما لكل نمط من الدعوات. ومنها حروف خاصية لا تعرف إلا بالقواعد الجغرافية. وتحيل الحروف إلى الأفلاك والبروج الإثني عشر[1]. وتُحلل أسماء الله الحسنى وخفاياها كالجلجلوتية والرحموتية[2]. وتُحدد أوقاتها النافعة للأوراد والتوحيد، والأذكار والأدعية المستجابة. وتظهر معجزات الأنبياء في إطار السحر والخرافة مثل الأسماء التي كان عيسى يحيى بها الأموات[3]. وتبرز الطرقية وموضوعاتها مثل الخلوة والاعتكاف[4]. ثم يظهر التجسيم في العروش المعنوية التي تقابل الأفلاك والحروف[5]. وتتجلى نظرية الفيض الرباني والنور الشعشاني المستمدة من الفلسفة[6]. وتظهر علوم السحر مثل أعمال السيميا[7]. أما النصر على الأعداء فيتحول إلى فصيل، جزء من فصل عن خواص بعض الأوقات والطلسمات النافعات عن طريق آية ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ وآية ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾[8]. وهناك أيضاً فصل لرد الآبق ولو كان في السلاسل والأغلال، رده إلى العبودية دون تحريره[9]. وتذكر بعض الحكايات عن مشايخه[10]. ويستشهد بأقوال الصوفية مثل ذي النون المصري[11].

ب ـ **«منبع أصول الحكمة»**[12]: وهو مجموعة من أربع رسائل في «العلوم

(1) الفصول 2/ 3/ 4.
(2) الفصول 11/ 12/ 16.
(3) الفصول 7.
(4) الفصول ص6/ 14/ 15/ 40.
(5) السابق، الفصول 32.
(6) السابق، الفصول 36.
(7) السابق الفصول 37. وقد ألحق بالكتاب أربع رسائل من نفس النوع لعبد القادر الحسيني. أ- رسالة ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل. ب- رسالة فواتح الرغائب في خصومات أوقات الكواكب. حـ- رسالة زهر المروج في دلائل البروج. د- رسالة لطائف الإشارة في خصائص الكواكب السيارة. السابق ص538-576
(8) شمس المعارف ص235-243.
(9) السابق ص242-248.
(10) السابق، ص214.
(11) مثل أبي عبد الله السبتي، السابق ص250-251.
(12) التزام مكتبة ومطبعة عباس عبد السلام بن شقرون الحمزاوي بمصر 1956م-375هـ. =

الحرفية والوفقية والدعوات والأقسام» وغير ذلك. الأولى «الأصول والضوابط المحكمة»، الثانية «بغية المشتاق في معرفة وضع الآفاق»، الثالث «شرح البرهنية المعروف بشرح العهد القديم»، الرابعة «شرح الجلجلوتية الكبرى». وتقل الرسائل واحدة واحدة في الرؤية ووسائل التعبير. ويتم إحالة بعضها إلى البعض الآخر[1]. ومؤسسو هذا التيار هم الشيعة والصحابة والملائكة. وهنا توحد علوم الأسرار الفرق، سنة وشيعة، والخلق بشراً وملائكة.

وتتحول الفلسفة الإلهية إلى خرافات. وتزدهر الفلسفة الإشراقية. ويُعتبر أرسطو المعلم الأول ومؤسسها وليس مؤسس المنطق والطبيعة والميتافيزيقا. ويتحول التصوف النظري إلى علوم سبعة: «علم الأعداد، وعلم الأوفاق، وعلم الحروف، وعلم الطبائع الأربع، وعلم الكواكب والأفلاك والبروج والمنازل، وعلم الاختيارات النجومية وسعدها ونحسها وشرقها واتصالاتها، وعلم الأسماء والرقي والدعوات»[2]. ويتحول التصوف النظري إلى نصائح عملية سحرية ووصفات بلدية. وهو مازال سائدا حتى الآن.

الرسالة الأولى «**الأصول والضوابط المحكمة**» كلها رموز[3]. وهي مملوءة بالجداول الرقمية والأبجدية والرسوم البيانية والتخطيطات الإنسانية. فلا فرق بين جسد الإنسان وجسم الطبيعة[4]. لم ترتب الرسالة على أبواب أو فنون أو مقالات بل إلى فصول أسوة بالحكماء الأقدمين[5]. ومع ذلك الرسالة مقسمة إلى عشر تحف[6]. وتظهر المصادر اليونانية وتغلغل الفلسفة اليونانية في هذا التصوف

= ويليها رسالتان أخريان من نفس النوع: الأولى، السر المظروف في علم بسط الحروف للشيخ محمد الشافعي الخلوتي الحنفي. والثانية الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية لعلى بن محمد الطنتائي القاري.

(1) منبع أصول الحكمة، ص34-36.

(2) السابق ص3 .

(3) السابق ص5-55.

(4) السابق ص30-31/ 33/ 40/ 42/ 44.

(5) السابق، ص5.

(6) علم الحروف، الأوقات المختارة لأعمال الخير، اختيار الأوقات والكواكب ومعادنها وحروفها، البسط والتكسير، كيفية استخدام الملائكة على العموم، ما كان منها مشهوراً =

السحري. ففي شرح الجلجلوتية يأتي في المقدمة هرمس مثلث العظمة ثم أرسطو وأفلاطون، ثم سقراط ثم بوقراط، ثم الإسكندر، ثم بطليموس، وجالينوس وفيثاغورس، ودمرغاس[1]. ومن المجموعات يتقدم الحكماء ثم حكماء الهند، ثم الحكماء الأقدمون، ثم حكماء الروم. فالحكمة تتجاوز اليونان إلى الهند والرومان. والحكيم والحكمة والحكماء من الألفاظ الأكثر تكراراً. كما تستعمل المنتحلات مثل وصايا أرسطو إلى الأسكندر[2]. ومن المصادر الخرافية الأخرى كتابة الحواريين لبعض الحكماء[3]. وتعتمد على كثير من الاقتباسات التي يشار إليها بنهايتها «أهـ»[4]. ولا تخلو الرسالة من الآيات والأحاديث بالرغم من الوافد اليوناني أو الموروث الإسلامي[5]. وتعمل الآيات القرآنية سحرها وأثرها وليس بالعمل بمقتضاها. وتظهر الإسرائيليات من خلال قصص الأنبياء وأحاديث الله والرسول معهم كما هو الحال في كثير من الأحاديث القدسية، وبالتالي يعود الإسلام إلى الوراء. ويُفسر باليهودية والمسيحية ولا تفسر اليهودية والمسيحية بالإسلام. ويُعاد إلى العبرية السريانية أصل العربية. ولا تفسر العربية السريانية والعبرية. كما تظهر الأشعار العربية، فالشعر متمم للقرآن ووارث له[6]. ويظهر الموروث الداخلي مثل صاحب المشتور ثم الإمام علي مع محمد الرسول والنبي إدريس، ثم الحسن بن علي ومحمد بن الحنفية، وعيسى، والحسن البصري[7].

= بين الحكماء أو عرف اسمه مشافهة، صفة استخدام الخدمة السفلية الحكام على قبائل مثل الجن، ما ذكره الحكماء في الزواج وما يقوم مقامها، وضع الآفاق وتنزيل الأعداء فيها واستنطاقها، ذكر أسماء الله الحسنى، وصايا الحكماء لأولادهم وتلاميذهم.

(1) هرمس مثلث العظمة، أرسطو (15)، أفلاطون (14)، سقراط، ديمقريطس، ذو مقراط، ذي مقراطليس (7)، بقراط (3)، الأسكندر، أبو معشر (2)، جالينوس، بطليموس، فيثاغورس، مرغاش (1).

(2) الحكماء (14)، الحكيم (4)، حكماء الهند (2)، الحكماء الأقدمون، حكماء الروم (1).

(3) منابع أصول الحكمة، ص54، وأيضا من النقل إلى الإبداع مجـ1، النقل جـ1 التدوين فصل الانتحال ص299-395.

(4) منبع أصول الحكمة ص41.

(5) الآيات (14)، الحديث (3).

(6) منبع أصول الحكمة ص48.

(7) صاحب المشتور (3)، محمد الرسول، الإمام علي، النبي إدريس (2)، الحسن بن علي، دمرغاشي، عيسى، محمد بن الحنفية، الحسن البصري، عيسى.

ويظهر أسلوب إخوان الصفا بالدعوة للقارئ «يا معشر الإخوان»، «فاعلم أيها الطالب»[1].

وفي «**بغية المشتاق في معرفة وضع الآفاق**» تعود البنية إلى الضبط والتحديد في مقالات ثلاث[2]. كل منها فصلان أو ثلاثة فصول. المقالة الأولى في وضع الأوفاق الطبيعية وهي في الرياضيات، ووضع الأعداد وأشكالها في الفرد والزوج. والثانية في أصول الأوفاق، ووضع الأسماء والآيات، والانتقال من الأعداد إلى الأسماء والآيات، ووضعها بطريق التكسير وطريق التكعيب. والثالثة في عمل الأوفاق، واستخراج نتائجها. وهو الانتقال من الكتابة إلى الخير والشر، والتوازي بين طبائع الأعداد، وموازين الحروف، ثم التحول إلى الخرافة في استخراج الملائكة والبحورات. والقسم. ثم تأتي الخاتمة في شروط الخلوة والتلاوة والمناسبة للوفق وهو التحول من الإعداد والحروف والأسماء والآيات إلى الطرقية والخلوتية. وتزداد الجداول العددية والأبجدية.وتدخل العناصر الأربعة ضمن التوافقات. وتختفي الآيات والأحاديث وأسماء الأعلام، فالخرافة لا تحتاج إلى دليل نقلي أو عقلي بل إلى استعداد نفسي.

وفي «**شرح البرهتية المعروف بشرح العهد القديم**» تتضح سيادة الإسرائيليات وما بها من سحر وخرافة[3]. فميثاق العهد القديم ينتقل إلى ميثاق الصوفية، ميثاق ﴿أَلَسْتُ﴾، وتعرض لثمانية وعشرين اسماً مع أوزانها العربية[4]. وكلها أسماء سريانية أو عبرية مع عبارات من اللغتين أو من لغة ثالثة لمزيد من التعجب والدهشة. وتمتلئ بالجداول العددية والأبجدية مع جداول بحروف ورسومات وأسماء الملائكة في مربعات وخطوط مائلة أو مستقيمة، واسم الجلالة، وعبارات عن التوكل «توكلوا يا خدام». وتقل الآيات القرآنية إلى الحد الأدنى. ويختفي

(1) منبع أصول الحكمة، ص5/ 67.
(2) السابق ص56-66.
(3) منبع أصول الحكمة ص67-90.
(4) وهي: البرهتية، كربر، تنليه، طوران، فرجل، يزمل، ترقب، برهش، غلمش، خوطبر، قلنهود، برشان، كظهير، نمو شلح، برهيولا، بشكيلخ، قزمز، أنغلليط، غياها، كيدهولا، شمخاهر، شمخاهير، بكهاطهرنية،بشارش، ملونش، شمخاباروخ.

الحديث. وتظهر الأشعار العربية خاصة لشرح الإلغازات النثرية، ويظهر قصص الأنبياء عن سليمان وداود. فالرسالة شرح على العهد القديم، ويظهر بعض أسماء الأعلام من التصوف السحري الخرافي[1].

وفي «**شرح الجلجلوتية الكبرى**»، وهي أكبر الرسائل، تتناثر البنية فيها في موضوعات متناثرة بلا أبواب أو فصول أو أقسام أو مباحث[2]. وهي أشبه بالوصفات العملية لتصريف شؤون الحياة العملية والصحية والعمرانية والروحانية والإيمانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فمن الموضوعات العملية معرفة الأسماء العربية والسريانية وخواص البسملة وأسماء الله الحسنى والحروف وفهم العلوم وزوال البلادة والمعرفة. وهناك عدة طرق لذلك[3]. وهناك الموضوعات الأخلاقية مثل تجسيد الأخلاق، وإحياء القلب بنور المعرفة وطرد الخوف والفزع ودرأ الحسد، والمحبة وتأليف القلوب. وهناك الموضوعات الإيمانية لتقوية اليقين وتثبيت الإيمان وتنوير القلب وإصلاح المفاسد. وهناك طرق لمنع أذى الجن والوسواس. وهناك الموضوعات الاقتصادية مثل الغنى والصلاح والفلاح وتيسير الأرزاق وزيادتها. وهناك الموضوعات السياسية للعز والرفعة، والهيبة والوقار. وهناك موضوعات المقاومة للظالم، وقهر الأعداء وكفاية شرهم، وتحريق شمل العدو وفتح داره، وغلبة الأعداء ونهر الجبابرة أو تسخير الحاكم الجبار لقضاء الحوائج للفتح والتيسير ومنع التعب وحصول الخير والبركة والحفظ من الجن واللصوص، وتسخير الملوك للانتقام من الظالم، والخلاص من السجون، والخلاص من الشدائد، وتسليط الحمى على الظالم. وهناك الموضوعات الاجتماعية لقضاء الحوائج وجلب الزبائن. وهناك الموضوعات الطبية لدواء الأمراض وطرق العلاج، وتجنب أمراض البرد ولمنع السوس من الحبوب وطرد البق، ومنع الحمى والنزيف ومنع الصداع ووجع الرأس. ولا يعتمد على قرآن

---

(1) مثل: الإمام شمس الدين البهنساوي، الأستاذ الكبير جمال الدين القيرواني، أبو العباس المرسي.

(2) منبع أصول الحكمة، ص91-325.

(3) طريقة الكشف والاستخبار لقضاء كل أمر، وطريقة الهواتف الباطنية لعطف القلوب، وطريقة المحبة، وطريقة المثلث، المطرق، والطريقة الذاتية.

وحديث، ولا على وافد ولا موروث، باستثناء ذكر بعض الطرق العملية النافعة[1]. ويمتلأ بالجداول الرقمية واللفظية[2]. ويدعم بالشعر. وهو مملوء بالألفاظ السريانية والعبرية[3]. ومنها قصيدة طويلة[4].

2 ـ رسائل ابن عربي (638هـ)

أ ـ «المقصود من الوصل المحمود»[5]: وهو عنوان يوحي بالتأويل المثالي للنصوص ويدفعها خارج عالم الشهادة إلى عالم الغيب بالتأويل البعيد وليس بالتفسير القريب. يبدأ بخلق آدم وحواء كواقعة تاريخية وليس كرواية. فخلق آدم فعل يشمل على الأمر والروح والخلق والعقل والرزق والنفس والعمل والقلب والعلم والسرد والمكان والحس[6].

والرسالة تفسير للمصطلحات مثل المجيء وهو مجيء الرسول إلى الولي المقبول، والإتيان وهو إتيان الله، والوضع وهو وضع الولي في الولي[7]. وكذلك تعريف القدرة والسواد والظلمة. وتوضع الحقائق مثل أن أول الكلام الإرادة ثم العلم ثم الفعل[8]. وسر الكلام في «لا» النفي، وسر العلم في «اسم الإله». وسر

(1) وهي طرق الإمام عليّ، والسيد كهيال، وشمس الدين الأصفهاني، والخوارزمي.

(2) مثل اسم الملك وفلان والمربعات وبداخلها رسوم هلالية ونجمية، ودوائر بها بعض الآيات القرآنية على محيطها، وجداول بها البسملة موزعة كألفاظ طولاً وعرضاً. وجداول أخرى لأسماء الله الحسنى، ودوائر بصورة الآيات القرآنية ومربعات بداخلها دعوات للتوكل، «توكل يا كهيال»، ومثلثات بها حرف الهاء في شكل هرمي أو دائري، أو مستقبل، ومكملات بلا أطر رياضية بل مكتوبة بأشكال بيضاوية والأشكال حوالي 260 شكلاً.

(3) الأشعار حوالي 68 مقطعا.

(4) منبع أصول الحكمة، ص183-195، والقصيدة بعنوان: الطريقة الكبرى أيضاً، ص95-97، بعنوان الطريقة الصغرى.

(5) المختار من رسائل ابن عربي (2)، دار الكتب العلمية، بيروت 2005ص64-89.

(6) مخرج الروح الأمر، ومخرج العقل الخلق، ومخرج النفس الرزق، ومخرج العلم القلب، ومخرج السر العلم، ومخرج الحس المكان، السابق ص64.

(7) السابق ص65/ 81-84.

(8) السابق ص65. ومثله «للعبد مستقر في المسح، ومستقر في الاستخراج، ومستقر في الرد والإعادة، المستقر للنفس في الرد، والمستقر في المسح للمدح، والمستقر في الاستخراج للعقل والأمر والنبأ»، السابق ص67، والنقاط ثلاثة: أبيضية وأسودية، وأحمرية، السابق ص74.

الكلام في العلم في لفظ «لا». وسر الفعل في حقيقة كلمة «الله» في شرح «لا إله إلا الله». ويركز على النساء. وهن من صورة الغيرة والسماع والمعارف والعبادات والتي لا يُعقل معناها[1]. والخلق ستة. رئيسهم النبي المصطفى وخاتم الأنبياء، وإبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله، وآدم وداود. كل اثنان موضوعان لبعضهن[2]. ولله عباد آخرون ستة: عيسى وإدريس ونوح والخضر وذو القرنين ومالك رضوان الجنة. ومن الصحابة عمر. ومن الرواة ابن عباس ومقاتل[3]. ويذكر كثير من الأنبياء، آدم ثم حواء ثم إبراهيم، موسى، وعيسى، ونوح، والخضر، وإدريس، ثم هود، ويوسف. ولا يكاد يذكر محمد. ومن الملائكة مالك الرضوان[4]. ومن الملوك عزيز مصر وذو القرنين[5].ويعتمد على القرآن والحديث[6]. كما يعتمد على التحليل العقلي القائم على القسمة[7]. والكلام موجه إلى القارئ بصيغة «اعلم».

ب ـ **«تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب»**[8]: وهو عنوان غريب يحيل إلى عالم السحر والغرائب. وهو نثر فني حول نشأة الإنسان. إذ تخاطبه الرسالة «اعلم أيها الإنسان». فقد اقتضى واجب الوجود اقتفاء ظهور الإنسان في عين الشهور، الإنسان من حيث إخلاده إلى سجن الطبيعة ظالم ومظلوم، ومن حيث حقيقته حاكم ومحكوم. ويوفي الإنسان بعمل يوم القيامة. فإذا كبر صار هو الإمام القائم وهو معشوق لأنه جامع لحقائق الوجود ورقائق

(1) السابق ص72-73.
(2) السابق ص76.
(3) ابن عباس (2)، عمر، مقاتل (1).
(4) آدم (18)، حواء (11)، إبراهيم (1)، خليل الرحمن (1)، موسى (1)، كليم الله (1)، عيسى، نوح، الخضر،إدريس (1)، داود، هود، يوسف (1).
(5) العزيز، ذو القرنين (1).
(6) الآيات (31)، الأحاديث (8)، القدسية (1).
(7) «المسحات خمسة، والإفراجات خمسة، والاستخراج استخراجتان، والصلب صلبان، والظهر أربعة ظهور، والبطن أربعة وعشرون بطناً، والصفحة صفحتان، والرد على ثلاثة أنواع، والإعادة» ثلاثة. . . وأصل فعل الإنسان فعلان. . . . .»، السابق ص85.
(8) رسائل حـ6 (6)، ص111-120.

الشهود. يكفر الإنسان إذا بقي في مقام الطبيعة. وتنتهي الرسالة بنصح الإنسان بتصفية نشأته وفطرته[1].

جـ ـ **«كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى»**[2] وهو من أكبر الرسائل، وصف للإسراء والمعراج على نحو صوفي. وهو ما يخرج عن نطاق الحس. ولا يعتمد إلا على الرواية. وينقسم إلى أبواب لها عناوين جانبية لبيان أقسام الموضوع[3]. ثم يأتي بعض مصطلحات المعراج[4]. وتبدأ بعض المناجاة بالبسملة أو بعناوين أخرى مثل «حضرة أوحي» أو بباب «الأخبار ببعض ما حد لي الستار». ويتم الانتقال من المناجاة إلى الإشارات مثل مناجاة إشارات أنفاس النور وهي تمحيض متفرقات الإسراء. والإشارات من الأنبياء أدعية وموسوية وعيسوية وإبراهيمية ويوسفية ومحمدية. وتعتمد على القرآن نصاً أو روحاً ثم الشعر ثم الحديث[5]. ويذكر الأنبياء، محمد، ثم موسى، ثم إبراهيم، ثم يوسف، ثم عيسى، ثم نوح وزكريا وإسماعيل ومريم وإدريس، وهارون، والخليل، ويحيى[6]. وتتحول الأسماء إلى صفات محمدية ثم موسوية وإبراهيمية، ويحيوية، ويوسفية، ثم آدمية[7]. ومن الصوفية يذكر الغزالي. ويحال إلى «جواهر القرآن» له.

---

(1) «فاجهد في تصفية نشأتك الإنسانية، وفطرتك المطهرة الأصلية القائمة بحقائق الوجود الأزلية، ورقائق الشهود الأبدية عند اضمحلال الأعيان والأكوان، وبقائك بالحق وشهودك له على ما عليه كان. وهذا آخر ما تكلمنا به في نشأة الإنسان»، السابق ص120.

(2) رسائل (1) حـ1 (13) ص1–92.

(3) مثل: سفر القلب، عين اليقين، صبغة الروح، الكلي، الحقيقة، العقل والأهمية للإسراء، النفس المطمئنة وهو البحر المسجور، ثم تتوالى السموات السبعة ولكل سماء نبي: سماء الوزارة لآدم، سماء الكتابة لعيسى، سماء الشهادة ليوسف، سماء الإمارة لإدريس، سماء الشرطة لهارون، سماء القضاة لموسى، سماء الغاية لإبراهيم دون ترتيب زماني للأنبياء.

(4) مثل: سدرة المنتهى، حضرة الكرسي، والرفارف العلا، والأخيران يبدأن بالبسملة. ثم تبدأ المناجاة بعناوين قرآنية مثل مناجاة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مناجاة ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، أو آيات مناجاة أبي حامد، ومناجاة اللوح الأعلى، ومناجاة الرياح، وصلصلة الجرس وريش الجناح، ومناجاة التقديس، ومناجاة المنة، ومناجاة التعليم، ومناجاة أسرار مبادئ السور. ومناجاة جوامع الكلم، مناجاة السمسمة، ومناجاة الدرة البيضاء.

(5) الآيات (65)، القرآن الحر (13)، الأشعار (28)، الأحاديث (7).

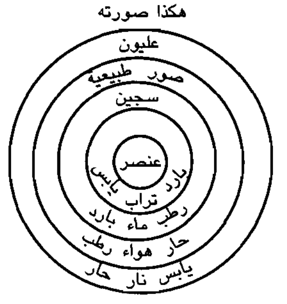
(6) محمد (30)، موسى (7)، إبراهيم (5)، يوسف (4)ـ آدم، عيسى (3)، نوح، زكريا، يحيى، مريم، إدريس، هارون، الخليل (2).

(7) محمدية (5)، موسوية، إبراهيمية، عيسوية، يوسفية (2)،ـ آدمية (1).

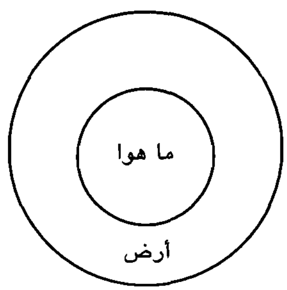
د ـ **«عقلة المستوفز»**[1]: وهو عنوان غريب، لا يعرف معناه على وجه التحديد ولكنه يضم أربعة عشر باباً. الأول في نظم ما يحتوي عليه الكتاب شعراً. وآخر في الكمال الإنساني. واثنان في الخلق، خلق الأرواح. وخلق العقل الأول، وأربعة في العروش، العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ، والعرش الرحماني في الجامع للموجودات الأربعة[2]. والعرش الكريم وهو الكرسي لوضع القدمين[3]. وبابان في الفلك، فلك البروج، وهو الأطلس، وباب فلك الكواكب الثانية، وأربعة كواكب في الخلق، خلق الدنيا، في الاستحالات، والنكاح والتوالد، ونشأة الإنسان الأول. وهو موجه إلى القارئ بلفظ «اعلم». يعتمد على القرآن والحديث النبوي والقدسي والشعر[4]. كما يذكر من الصوفية جعفر الصادق وابن مسرّة وأبو مدين[5]. ومن الأنبياء إسرائيل ثم جبرائيل وميكائيل، ورضوان، ومالك[6]. ومن الأنبياء آدم وإبراهيم، ومحمد، وعيسى، والمجتبى[7]. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية «للعناصر الطبيعية»[8]. ومن مؤلفاته الأخرى يحال إلى «كتاب النفس» و«كتاب الزمردة الخضراء» «الدرة البيضاء».

(1) رسائل ابن عربي حـ2 (2)، ص69-130.
(2) وهي: الطبيعة، الهباء، الجسم، الفلك.
(3) والعروش أيضاً خمسة: عرش الحياة وهو عرش الهوية، وعرش الرحمانية، والعرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد، عقلة المستوفز، ص84.
(4) الآيات (79)، الحديث (10)، القدسي (3)، الشعر (7).
(5) ابن مسرّة، جعفر الصادق، أبو مدين، موسى الداراني، يوسف بن يخلف (1).
(6) إسرافيل (3)، جبرائيل، ميكائيل، رضوان، مالك (2).
(7) آدم (3)، إبراهيم، محمد (2)، عيسى، المجتبى (1).
(8)

هكذا صورته



هكذا صورته



هـ ـ «رسالة المراثي المسماة بالمبشرات»[1]: وهي رؤية الرسول في المنام. انتهت النبوة ولكن رؤية الرسول في المنام مستمرة، وهي على ثلاثة أقسام. رؤية من الله وهي المبشرات، ومن النفس يحدث بها الإنسان نفسه في اليقظة، ومن الشيطان يحزن الإنسان. ويذكر ابن عربي عدة مبشرات وقعت له ولغيره[2]. والسؤال هو ما الضامن على صدق الرؤية؟ وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[3].

و ـ «معقل العقول في انشقاق القبر عن الرسول»[4]: وهو موضوع عام. وهو بداية البعث تحول إلى موضوع خاص بالنسبة للرسول تعظيما له. وهو ما يتنافي مع الحقيقة المحمدية الخالدة الأبدية القديمة الباقية مثل الله. تعتمد على العقل كما يوحي بذلك العنوان بالرغم من الاعتماد على آيتين قرآنيتين[5]. وهو العقل الخرافي الذي يتكون من خمسة أشكال طبقاً لتغير الحروف الثلاثة ع ق ل ليطابق غيبيات خمسة[6].

ثم يخرج عن الموضوع إلى قسمة أسماء الله إلى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال كما هو الحال في علم الكلام. وتشتق الأسماء أيضاً إلى تشقق الصورة، وتشقق المعاني، وتشقق المسمى. وهو ما يتناقص مع قدم الأسماء. وفي كل مرة تتشقق الأسماء تتشقق الأشياء كالسموات واللحد والجبال والحجب والقلم واللوح. ويصعد الأنبياء. وتتشقق الأشياء بالعمل الصالح في مشارق الأرض ومغاربها. ويتشقق الإنسان إلى أطراف. ونفس الإنسان أولاده، وقبره أهله، ولحده ماله[7].

3 ـ «بُغية الطالب على ترتيب التجلي لكليات المراتب» للأمير عبد القادر

---

(1) رسائل حـ (13) ص209-216.
(2) حوالي سبع عشرة مبشرة في الزمان والمكان والشخص.
(3) الآيات (9)، الأحاديث (3).
(4) رسائل حـ (4) ص108-119.
(5) السابق ص112.
(6) العقول: علق -قلع -لعق- لقع - قعل.
(7) الغيبيات: القبر - النفس - اللحد - القلم - الدواة.

الجزائري (1300هـ)[1]. وهو عنوان مركب، صعب الفهم ولكنه في الحقيقة تلخيص للموقف المائتين والثامن والأربعين من كتابه «المواقف الروحية والفيوضات السبوحية». وهي بدورها عروض على «الفتوحات المكية» لابن عربي. وهو ما يفسر المضمون الطاغي لابن عربي واستعمال مصطلحاته مثل الألوهة وإبراز اقتباساته بلفظ «انتهى»، وإعطائه ألقاب «إمام أهل الكشف» و«إمام أهل الله»[2]. ووضعت تقسيماته التي استعملها أيضاً صدر الدين الشيرازي وكل الفلسفة الإشراقية.

بنيته إشراقية خالصة مع مصطلحاتها وعناوينها الفرعية[3]. كلها رموز وكنوز، وطلاسم وأغطية، وأسرار وأستار وأسرار. يتحدث عن موضوعات غيبية خالصة مثل الكرسي والعرش وعن الأفلاك، فلك الأرض وفلك الثوابت، والسموات السبع والعناصر الأربعة والاستحالات والمولدات والنبات والحيوان. بل إنه يعقد فصلاً عن الجان، مادته، وحياته، وتناسله، وغذاؤه واستخدامه وأنواعه والفرق بينهم وبين الشياطين[4]. وهي كلها موضوعات غيبية لا سبيل إلى معرفتها إلا قياساً للغائب على الشاهد. ولا يوجد معيار لصدقها أو وسيلة للتحقق من صدقها. تتداخل مع الأشعرية كما يمثلها إمام الحرمين. ولا جديد فيها. وهل التصوف علوم طبيعة أم علوم روح؟

تعتمد على القرآن والحديث والشعر بغزارة[5]. وبقدر ما تكثر الأدلة النقلية يغيب التحليل العقلي المجرد والبرهان النظري الخالص. كما يعتمد على بعض الأمثال العامية كحجج سلطة. كما تعتمد على أقوال صوفية آخرين مثل الغزالي والجيلي في «الإنسان الكامل»، وفلاسفة مثل أبو بكر الرازي، ومتكلمين مثل

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2004.

(2) السابق ص97/ 99.

(3) مثل فصل (8)، فصل بلا وصل (4)، كسر طلسم وإيضاح مبهم، حل مشكل وفتح مقفل، امتثال سر وهتك ستر، إقامة جدار لإخراج كنوز وأسرار، أنك رمز وفتح وطاء وكشف غطاء، إشارة لأهل البشارة، مثال لمن ليس له مثال، إفصاح وإيضاح (1)، تنبيه (4)، تكميل، تدقيق، تتميم، تحقيق، لطيفة (1).

(4) بغية الطالب ص146-149.

(5) الآيات (204)، الأحاديث (41)، القدسية (3)، الأشعار (1).

الجويني في كتاب «البرهان». ومن الفقهاء أحمد. ومن الفرق المعتزلة[1]. ومن الألفاظ الوافدة القديمة السوفسطائية[2]. ومن العلم الغربي الحديث الذرة والفوطوغراف[3].

والسؤال هو: كيف يأتي ذلك من مصلح اجتماعي وقائد عسكري، ومؤسس دولة ومناضل ضد الاستعمار؟ وهو نفس الخلف في الثورة الإسلامية في إيران بين ثورية النظام وتقليدية الأيديولوجيا[4].

سادساً: المناقب والكرامات

ازدهر التأليف في المناقب والكرامات في العصور المتأخرة في المرحلة الطرقية عندما تحول التصوف من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وهي على أنواع: مناقب ولي واحد مثل البياع أو التجاني مثل: محمد التجاني عن أحمد التجاني في «غاية الأماني»، أو حسن الرفاعي عن الغوث الرفاعي في «قلادة الجواهر». أو مناقب اثنين مثل «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري، وبها مناقب أبي العباس المرسي، وشيخه أبي الحسن الشاذلي أو مناقب مجموعة من مشايخ إحدى الطرق الصوفية كالرفاعية والقادرية. وقد تكون عن مجموعة من الصوفية وليس واحدا فقط مثل اليافعي في «نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية»، أو النبهاني عن آلاف من الأولياء في «جامع كرامات الأولياء». ومناقب النفس قد يكتبها الصوفي ذاته مثل «روح القدس في محاسبة النفس» لابن عربي، و «المجالس السبعة» للرومي أو «تحفة الكرام» لابن قوام أو قد يكتبها غيره مثل: «مقامات أبي سعيد» للمهيني، «الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري» لابن عربي، «مناقب النووي» للسخاوي، و«مناقب الغواص» للشعراني. أو القاري عن أويس القرني في «المعدن الصوفي» وهو الأكثر شيوعا.

---

(1) ابن عربي (8)، الغزالي (2)، الرازي (أبو بكر)، الجيلي، الجويني.

(2) مثل «ولا عطر بهدفه وبس»، بغية الطالب ص59.

(3) بغية الطالب ص80/ 166/ 42.

(4) انظر دراساتنا: «من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية»، عند صدر الدين الشيرازي، حصار الزمن، حـ3 ص697-730.

1 ـ مناقب النفس

أ ـ «روح القدس في محاسبة النفس» لابن عربي (638هـ)[1]: وهي نوع من السير الذاتية يكتبها أصحابها لأنفسهم كما فعل ابن عربي في هذه الرسالة. وهو نوع من الاعترافات أو التربية الذاتية، أو سيرة يكتبها صوفي عن آخر.

وهي خليط من السيرة الذاتية، والمناقب والطرق والمقامات والأحوال والشعر والفقه والتراجم دون ترتيب. تأتي السيرة الذاتية لابن عربي في وسط الرسالة بعد مناقب الشيخ القرشي[2]. ثم تأتي مناقب أويس القرني بعد الطريق والمقامات والأحوال[3]. ثم تأتي التراجم في النهاية لأربع وخمسين صوفياً[4].

والسيرة الذاتية نوع من الاعترافات ومناصحة النفس أو محاسبتها في زمان رديء لا حل لأزمته إلا سلوك الطريق المطابق للكتاب والسنة ولحال أهل الصفة[5]. ويتخلل حديث النفس تحليل بعض الأعمال وسبب كتابتها مثل «عنقا» مغرب[6].

وأويس القرني هو القطب في عصر التابعين طبقاً لحديث الرسول، والتراجم لصوفية العصر ومنهما سيدتان[7]. ثم يعود حديث السيرة الذاتية في حوارين الأنا والآخر بين الفرد والجماعة[8]. والمادة من القرآن أولاً والشعر ثانياً والحديث ثالثاً[9]. فابن عربي شاعر أيضاً. والتجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان.

ب ـ المجالس السبعة للرومي (672هـ)[10]: وهو كتاب نثري يدون مجالس

(1) دار الكتب العلمية، بيروت.
(2) روح القدس، السيرة الذاتية ص30-41،مناقب الشيخ القرشي ص21-31.
(3) السابق ص 68-75.
(4) روح القدس ص75-126.
(5) السابق ص22-42.
(6) السابق ص122.
(7) هما شمس أم الفقراء وفاطمة بنت ابن المثنى، السابق ص126.
(8) السابق ص127.
(9) الآيات (121)، الأشعار (16)، الأحاديث (9).
(10) دار الفكر، دمشق 2004م -1425هـ.

سبعة للرومي مثل «الإمتاع والمؤانسة» و«المقابسات» للتوحيدي، و«ليالي ألف ليلة وليلة» في الأدب الشعبي[1]. وقونية تربط بين إيران وتركيا. توحد ما فرقته السياسية والصراع بين الصفويين والعثمانيين كل مجلس حكاية حول موضوع، أشبه بمحاورات أفلاطون. وتتخللها بعض الأشكال الأدبية كالمناجاة والحكاية والحديث[2].

والموضوعات سبعة تذكر مناقب الرومي، فوائده، وكلامه، وأسراره، وبيانه، ومعارفه. وتتكرر الفوائد في المجلس السابع. والمجلس الأول بلا موضوع، مجرد تمهيد. وفي كل مجلس دعوة بالرزق من فوائد الفوائد، والفيض من أنعام كلامه، والنور من أسراره، والعرفان من بيانه، وفيض اللطائف من المعارف[3].

ويعتمد على الأشعار والآيات والأحاديث[4]. والشعر غنائي. وبعض الحكايات رمزية على لسان السماك[5]. ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن البصري[6].

جـ ـ «تحفة الكرام في مناقب سيدي أبي بكر بن قوام» لابن قوام (718هـ)[7]: وهو تاريخ حياة لأحد الأولياء، ابن قوام من أصحاب الكرامات. تعتمد على روايات أكثر مما تعتمد على أقوال مباشرة. يظهر فيها الرسول والخضر في المنام مما يدل على السياق الخيالي للتاريخ بذكر البداية والنهاية. كيف بدأ الولي الطريق وإلى أي شيء انتهى. وهو ما حاوله الفارابي من قبل في كتابة «سير ومذاهب أفلاطون وأرسطو»[8]. وبين البداية والنهاية ما فتح عليه به من أحوال

---

(1) «لا يجوز للمترجم وضع عنوان فرعي من عنده مثل «آفاق جديدة ورائعة في الرمزية الإسلامية».

(2) أكبرها المجلس الأول (55)، وأصغرها السادس (6).

(3) مثل مناجاة، المجالس السبعة ص16/ 70/ 90/ 123/ 137. حكاية ص40/ 98. حديث ص72، حكاية وحوار.

(4) الأشعار (159)، الآيات (157)، الأحاديث (6)، القدسية (2).

(5) المجالس السبعة ص153-154.

(6) السابق ص43.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م -1426هـ (2) 89-117.

(8) من النقل إلى الإبداع مجـ2، التحول حـ1 العرض.

وكرامات. يعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. والأعلام المذكورة مؤرخون وفقهاء أكثر منهم صوفية. ويظهر الخضر وحده نموذج القطب صاحب الكرامات.

2 ـ مناقب الآخر

أ ـ «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد» لمحمد بن أبي سعيد بن أبي الخير الميهني (القرن الخامس)[2]: وهو أول كتاب تقريباً في السير وتدوين المناقب لمشايخ الصوفية. كتبه الميهني أحد أحفاد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (440هـ)، وذكراه مازالت حية في وجدان الأحفاد. كتبه بالفارسية. واعتمد على بعض المصادر المدونة والروايات الشفاهية.

ب ـ «الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري» لابن عربي (638هـ)[3]: ومن كتب المناقب ما يكتبه صوفي لاحق عن صوفي سابق اعترافاً بفضله مثل كتاب ابن عربي عن ذي النون. لفظ «مناقب» في العنوان، فلماذا اختار ابن عربي ذا النون؟ هل قرأ نفسه فيه خاصة فيما يتعلق بالتوحيد والمحبة والحقيقة المحمدية؟ هل هي دراسة تاريخية لذي النون أم قراءة ابن عربي له؟ذو النون هو ابن عربي قبل الأوان، في القرن الثالث الهجري. وابن عربي هو تجسيد بعدي لذي النون في القرن السابع أي بعد أربعة قرون. هل هو تاريخ ذي النون أم تاريخ ابن عربي؟ لماذا اختار ابن عربي ذا النون دون غيره، خاصة وأن ذا النون لم يكتب شعراً كابن الفارض. ولم يفرض نفسه على صوفية القرنين الثالث والرابع كالحلاج، والبسطامي، والشبلي، والتستري، والترمذي، وفي القرن الخامس كالغزالي.

كان ذو النون مجرد مناسبة لعرض التصوف. لم يكن المقصود به شخصه. يبدأ باسمه ونسبه وبلده ونعته، وفضله وكماله، ووفاته وتربيته، وبدأ نشأته، وأنه كان من أهل الحديث. ثم يذكر محنته مع الخليفة وهجرته وفنونه وأحواله ومناجاته وكراماته وكلامه. ثم يعرج على التصوف ذاته جمعاً بين الأخلاق والمقامات

---

(1) الآيات (5)، الأشعار (3)، الأحاديث (1).

(2) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

(3) رسائل حـ3، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 2002م.

والأحوال بلا تميز أو ترتيب[1]. ثم تعود سيرة ذي النون في ذكر من لقي من العابدين المجتهدين.

ويعتمد في كتابة السيرة على الشعر أولاً ثم القرآن ثانياً والحديث ثالثاً[2]. فالشعر مصدر للتجارب الوجودية التي على أساسها تقوم التجارب الصوفية. والقرآن تفسيره في الشعر. كما يعتمد على بعض الإسرائيليات في قصص الأنبياء[3]. ويقوم كل ذلك على التوثيق. لذلك تتكرر كلمة بإسناد وليس «عن قلبي عن ربي أنه قال». كما يحال إلى باقي مؤلفات ابن عربي مثل «أنس المنقطعين إلى الله تعالى[4]. ويذكر ابن عربي في البداية مصادره كما يفعل المحدثون حين يضعوها في آخر دراساتهم. وهي حوالي عشرة[5].

جـ ـ «غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر» لابن حجر العسقلاني (852هـ)[6]: وهو أول نص في «السفينة القادرية» للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (561هـ). وهو عنوان خادع لا وجود له. هو مجرد عنوان يجمع بين نصوص أربعة، ترجمة للشيخ وثلاثة شروح على الصلاة الصغرى، وتسع صلوات أخرى، وحزب الوسيلة للجيلاني.

والعنوان دال، «غبطة الناظر» أي سرور القارئ لترجمة الشيخ. ويتكون من

---

(1) من الأخلاق: الورع، الثقة بالله، الجوع، القناعة، الصمت، اليقين، التقوى، الإخلاص، التواضع، الجود، الخلق، السخاء، الرحمة، الحياء، الحلم، الصدق، الأدب، الفتوة، العطف، الحياة، الغنى، التسليم، المراقبة، حسن الظن. . .الخ. ومن المقامات: التوبة، الزهد، التوكل، الصبر، الشكر، المحبة، أو الفقر، الرضا. . . .الخ. ومن الأحوال: الخوف، الرجاء، الهيبة، الأنس. . .الخ. ومن الطريق: المجاهدة، الصمت، الابتلاء، قصر الأمل، الذكر، الولاية، الأخوة، الإرادة، التفرد، والعزلة، الخلوة، السماع. ومن الفقه والشريعة: العبادة، العبودية، الإسلام والإيمان، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ومن المعرفة: العقل، العاقل، قول العارفين. . .الخ.

(2) الأشعار (86)، الآيات (25)، الأحاديث (9).

(3) روح القدس ص172.

(4) السابق ص54.

(5) السابق ص55-56.

(6) السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1426هـ (1) ص19-46.

ثمانية أبواب تعرض مولده، ونسبه وصفته، ونشأته وسعة علمه، ومشايخه، وأحواله، وثناء الناس عليه، وما تقبله أهل عصره من الكرامات والخوارق مع سند الروايات لمزيد من اليقين، ونبذة من بليغ كلامه، وأخيراً وفاته. ومعظمها روايات على لسان الجيلاني مع ذكر مصادرها التي تبلغ المئات. تخلو من الأدلة النقلية، قرآناً أو حديثاً أو قولاً صوفياً. وهو تاريخ بارد للشيخ باستثناء الباب السادس عن كراماته وخوارقه[1]. وسبب التأليف هو الاستجابة لطلب. والتبويب الثماني طبقاً لعدد أبواب الجنة. والاعتماد على الله هو المنهج وليس منهج كتابة السير[2].

د ـ «المنهل العذب الرَّوي في ترجمة قطب الأولياء النووي» للسخاوي (902هـ)[3]: وهو إثبات لمناقب أحد المشايخ، النووي. داخل سيرته ميلاده ووفاته ونسبه وأقاربه، ومشايخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، وأقواله، وخصاله وشمائله، وعجائبه وكراماته. وهو نص متصل. به أقسام، أبواب أو فصول. ويعتمد أساساً على كتب التاريخ والفقهاء والمحدّثين،وليس بالضرورة من كتب الصوفية. هو أشبه بكتب الطبقات مع تضخيم أحد الأعلام والتركيز عليه. يغلب عليه جمع المعلومات والاقتباسات بعلامة «أهـ » أو بلفظ «انتهى». كما يجعل حياة الشيخ تمتلأ بمجموعة من الآيات والأحاديث والأشعار[4]. والأشعار أكثر من الأحاديث لما لها من دلالات على التجارب البشرية. ويبين احتياجات التأليف مثل فراغ البال، وجمع الكتب، وحسن النية[5]. ويستعمل أسلوب القول لتظهر الحاجة وطرق الاستدلال. ويختم ببعض الأحاديث والتركيز عليها. فحياة الولي تجسيد لمتطلبات الحديث.

---

(1) السابق ص39-45.

(2) «فهذا تعليق موجز في ترجمة شيخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني كتبها إجابة لطلب من يتعين إسعاف طلبة والمسارعة إلى تحصيل رغبة. وقد رتبتها على ثمانية أبواب بعدد أبواب الجنة، واتخذتها فخرا لتكون لي ببركته من كل محذور أحصن جنة، وعلى الله اعتمادي وعوني وإياه أسأل عن الخطأ صوني، لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب»، السابق ص19.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (1) ص9-79.

(4) الآيات (37)، الأشعار (19)، الأحاديث (10).

(5) السابق ص30.

هـ ـ «درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص» للشعراني (973هـ)[1]:
ونظرا لعودة التصوف إلى الفقه، والتأويل إلى التنزيل، والحقيقة إلى الشريعة، أصبح من المناقب فتاوى الصوفية كما فعل الشعراني مع شيخه علي الخواص في فتاويه. وفي صيغة السؤال والجواب. واحد وخمسون سؤالاً والجواب عليها. والموضوع مائة وست وعشرون سؤالاً. وهي مقطعة بألفاظ «سألت» «سمعت»[2]. وبعض الأسئلة مكررة مثل السؤال عن التفكر في القرآن، وأرباب الأحوال، وسريان الأحدية في الوجود. وكان الشيخ أمياً لا يقرأ. ومع ذلك جمع التلميذ فتاويه طبقاً لما أداه إليه سمعه وحفظته ذاكرته واختار الألفاظ لأدائه[3].

وتتناول الأسئلة موضوعات رئيسية. الأول حول القرآن، مثل النسخ، والتفكر، والتدبر، وتفسير سورتي التكوير والانفطار. والثاني حول الفقه مثل الصلاة، والتكليف، والقبلة. والثالث حول التصوف وهي أكبر الأسئلة مثل طرق الأولياء وتنوعها، والدعاء على الظلمة، والنور على وجوه قوام الليل، وأرباب الأحوال والخوارق، والزهد والورع والصوفية، والعلاقة بين الشيخ والمريد. والرابع حول التوحيد، وهو أقرب إلى علم الكلام الصوفي مثل الأحدية السارية في الوجود وظهورها مع خفائها، وعلاقة الصفات بالذات، ونزول الحق في الثلث الأخير من الليل، وماهية التوحيد، وصحة توحيد العبد لله، والحكم بعدم العبد لإثبات وجود الحق. والخامس حول الإنسان مثل ادخار القوت، والاستحقاق، والميزان، والقهر والمنازعة، وكامل الأوصاف. والسادس حول الأخرويات مثل مقام المجاذيب في الجنة، واشتياق الجنة إلى أربع، وحقيقة الشجرة التي أكل منها آدم، والجن والأنس، والبرزخ هل هو عالم الخيال؟ وهل يتم الوصول إليه؟ والنور المنبثق منه، ومفارقة الروح الجسد. والسابع قول المعرفة مثل العلوم، والغيب والشهادة، وخوارق العادات، والخيال والوهم وكمال العالم، والخواطر، والعلوم المدونة، والعلوم القلبية، والفن والمكاتب. والثامن الطبيعيات مثل السببية، أمراض الأطفال، والبهائم، قساوة العبد أحياناً، وسببها كفر. وهي موضوعات طبيعية وإنسانية.

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1999م -1420هـ.
(2) السابق ص25-27/ 38/ 48/ 16/ 55.
(3) السابق ص5-6.

والمادة مستمدة أساساً من القرآن والحديث والشعر[1]. وتستعمل بعض أقوال الصوفية الفقهاء مثل ابن عربي والمتبولي. وتؤخذ بعض الاقتباسات ووضع علامة «انتهى» في نهاية بعضها، وأحكام الفقه نسبية لأنها تقوم على الاجتهاد. والخطاب موجه إلى القارئ بلفظ «فافهم».

و ـ «قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني» للتازي (693هـ)[2]: وهو كتاب في مناقب عبد القادر الجيلاني، وتوحي ألقابه بدرجته التعظيم. من مؤلف عظيم أيضاً، وألقابه «العلامة الشيخ». وسبب التأليف أن التأليف السابق في مناقبه كان مختصراً لا يفي بدرجة التعظيم. فأطنب التأليف الجديد في المناقب والآثار[3]. يقوم الكتاب كله على الاقتباسات التي تنتهي بعلامة «انتهى»، وكثرة أسماء الأعلام. وسلسلة المشايخ مثل سلاسل الرواة في علم الحديث. شُخص التصوف في الصوفية، والطريق في الطريقة، والشيخ في أحد المشايخ. كما تم تشخيص الحديث في السيرة ثم تأليه السيرة في «الحقيقة المحمدية».

وتقل الأدلة النقلية والعقلية نسبياً باستثناء الشعر الذي يفوق القرآن والحديث لأنه أقرب إلى المديح على عادة العرب قبل الإسلام وبعده[4]. كما يعتمد على كثير من الحكايات الشعبية التي يظهر فيها المزج بين الواقع والخيال. ويتردد الوعي التاريخي بين العام وهو التصوف والخاص وهو الطريقة. ولذلك لا يذكر من الصوفية إلا الجنيد. ويخلو تماماً من الفكر وأي عرض نظري.

(1) الآيات (74)، الأحاديث (24)، الأشعار (2).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3) ص185-398.

(3) « فإني لما اطلعت على «التاريخ المعتبر في أنباء من غبر» تأليف قاضي القضاة مجير الدين عبد الرحمن العليمي العمري المقدسي الحنبلي تغمده الله برحمته وجدت المؤلف قد اختصر في ترجمة سيدنا ومولانا وشيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي رضي الله عنه، ولم يذكر إلا اليسير من مناقبه فتعجبت من ذلك. وقلت في نفسي لعله اكتفي بشهرته فاختصر. . . . فحركتني الإرادة لنيل السعادة أن أجمع مما وقفت عليه في كتب متفرقة ومما سمعته من الثقات ومما هو على خاطري من مناقبه. . . .»، السابق ص185.

(4) الأشعار (88)، الآيات (20)، الأحاديث (5).

يخلو من أي قسمة إلى أبواب أو فصول. فالنص وحدة واحدة، حول شخص صاحب المناقب، وأزواجه، وأولاده، وذرياتهم. خلطاً بين الخاص والعام، مع جمع بعض أقواله في العمل الصالح، والفناء، والخلق، والاسم الأعظم، والفقه، والورع(1). ثم يذكر المشايخ الذين أثنوا على مناقبه(2). وتذكر أيضاً مناقبهم وأشعارهم.

ز ـ «مناقب سيدي أبي العباس السبتي» لعبد الرحمن العمادي (1051هـ)(3): وهي أيضاً سيرة أحد الأولياء، السبتي، كيف ابتدأ وإلى أي شيء انتهى. تضاف إلى كراماته بركاته.وتعتمد على القرآن والشعر دون الحديث أو أقوال الصوفية (4).

ح ـ «المعدن القرني في فضل أويس القرني» لمحمد القاري (1123هـ)(5): وهو كتاب مناقب وكرامات بناء على حديث للرسول. يتنبأ فيه لأويس القرني بحسن الحال. وهو نص صغير إلا أن هوامش المحقق ومقدمته وشروحه فاقته عشرات المرات. يعتمد أساساً على الأحاديث(6). وهو القطب زمن الرسول كنوع من قراءة الحاضر في الماضي. والموضوع الثاني إمامية أبدال الشام وأقوال الصوفية عنهم.

ط ـ «الإبريز من كلام العارف بالله تعالي سيدي عبدالعزيز الدباغ» لأحمد المالكي (1256هـ)(7): ويتضمن ثلاثة فصول: الأول مناقبه قبل الولادة. والثاني سيرته حتى الفتح. والثالث كراماته بعد الفتح، وهو أكبر الفصول(8). ويطابق ذلك التقييم الثلاثي لسيرة النبي، قبل المولد، وقبل البعثة، وبعد البعثة، فهناك موازاة بين سيرة النبي وسيرة الولي. وتشمل الكرامات الردود على معاني الأحاديث والآيات وكلام الأولياء وديوان الصالحين.كما تشمل تفسير دلالات الأشياء مثل الظلام الذي يدخل على ذوات العباد وأعمالهم وهم لا يشعرون، والتشايخ

(1) قلائد الجواهر ص274-303.

(2) وهم حوالي ثمانية وعشرون شيخاً.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3)، ص125-142.

(4) الآيات (3)، الأشعار (1).

(5) دار نهضة الشرق، القاهرة 2002م.

(6) الأحاديث (128)، القرآن (2)، الحديث القدسي (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(8) الأول (8ص)، الثاني (13ص)، الثالث (579ص).

والإرادة، وشيخ التربية، وخلق آدم، والفرق بين الفتح النوراني والظلماني، والبرزخ وحلول الأرواح فيه، والجنة والنار. ويدخل العلم أيضاً مع المناقب والكرامات أي كل شيء حسن في الممدوح. ويُذكر نسب الشيخ، والنسب جاهلي، مولده، وسيرته، ومؤلفاته، ومشايخه، وتلاميذه، وكراماته، ومناقبه، وبركاته، وآثاره. تعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[1]. الأحاديث روايات أكثر منها أقوالاً، وحكايات أكثر منها أحكاماً. وكلها ظنية ينقصها شروط التواتر بل والآحاد لأن معظمها من وضع الخيال[2]. تخلو من الأسانيد لعدمها أو لعدم وجودها. ويستبدل بها رؤية الرسول في المنام. وتعطى كل الصياغات للحديث كبديل عن السند الضعيف[3]. وتعتمد على اقتباسات من عدة مصادر يشار إليها بلفظ «انتهى». تطول أحياناً ثم يُعاد إلى الموضوع[4]. ويُذكّر بالاستطرادات. وتظهر موضوعات صوفية خارج موضوع الكرامات مثل المقامات والأحوال والحروف[5]. ويستعمل أسلوب القول لإدخال بعض الحجج وأساليب الإقناع. لذلك تظهر القسمة العقلية أحياناً[6].ويحال إلى عديد من الصوفية في مقدمتهم الغزالي ثم السهروردي صاحب عوارف المعارف وابن عربي[7]. وتذكر «الرسالة النظامية» لإمام الحرمين، و «الانتصار» للباقلاني، و «الإتقان» للسيوطي، و«القسطاس» للغزالي. وتذكر أسماء مئات من المشايخ والفقهاء وأقلهم من الصوفية حتى غلب المحدثون على القدماء، والمشايخ على العلماء، ومشايخ الطرق على الحكماء في نظرة متدرجة للتاريخ ابتداء من القرن الثالث الهجري[8].

---

(1) الآيات (430)، الأحاديث (216)، الأشعار (35).

(2) الإبريز ص30-35.

(3) السابق ص154-155.

(4) السابق ص123.

(5) السابق ص109-110/ 260-265.

(6) السابق ص101.

(7) الغزالي (14)، السهروردي، ابن عربي (4)، أبو طالب المكي، زروق (2)، البسطامي، ذو النون، السلمي، الداراني، الجيلي، الشعراني (1) ومن الأصوليين القرافي (1)، ومن المذاهب الفقهية الحنفية (1)، ومن الفرق الكلامية المعتزلة (1)، ومن الأنبياء موسى، وعيسى، ويوسف (1).

(8) الإبريز ص38.

ويحال إلى فلاسفة الكفر. فلاسفة اليونان: سقراط، وبقراط وجالينوس، وأفلاطون مع أن أفلاطون إمام الصوفية، وسقراط أحكم البشر، واضع «أعرف نفسك بنفسك» التي نسج عليها يحيى بن معاذ «من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو ما ينسب أيضاً إلى الرسول. وبقراط وجالينوس من دعائم الطب عند الحكماء[1].

ي - «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» لعلى حرازم الفاسي(القرن الثالث عشر)[2]: وتركز على ولي واحد في خمسة أبواب. التعريف به وبمولده، مواجيده وأحواله وكمال سيرته، وعلمه، وكرمه، وسخاؤه، ترتيب أولاده وأذكاره، أجوبته عن الآيات القرآنية، كراماته وتعريفاته. وتفسير القرآن هو أكبر الأبواب عن التفسير الإشاري[3]. يعطي الأولوية للأقوال على الشخص. وسبب التأليف هو التعريف به لاستفادة الناس من سيرته[4]. تكفي ألقابه لمعرفة مدى ما يصل إليه المدعي[5]. ومنهج التأليف هو التجميع من المدونات السابقة[6]. وتُعرض الأبواب والفصول منذ البداية[7]. ويتم الاستعراض لمعرفة تعريف التصوف وعلوم الذوق.

(1) السابق ص549.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 1997م -1417هـ (جزءان في مجلد واحد).

(3) التعريف به (22)، مواجيده (23)، علمه (21)، أولاده وأذكاره (39)، تفسيره للآيات القرآنية (266)، كراماته (60).

(4) «وإني لما منَّ الله عليّ بمعرفته والانحياش إلى حزبه وزمرته، ورأيت من شيمه وشمائله ومحاسنه وفضائله، وسمعت من كلامه ومعارفه وإشاراته ولطائفه ما عز وجوده وقلّ وروده وعدم مثله وفقد شكله مما هو جدير أن يفاد ويستفاد، ويقصد إليه ويراد، وتسطره في الكروس والأقلام، وتدونه في الدواوين الأعلام، حدا في ذلك مع ما طلبه مني بعض الإخوان والأحبار والأعيان أن أتعرض لما تيسر لدي وساقه الله إليَّ من التعريف به وبطريقته وعرفانه وتحقيقه ونشأته وسيرته وخلقه وشيمته وكلامه وإشارته ومكاشفته وكرامته وغير ذلك من مآثره وآيته»، السابق ص7.

(5) «شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا، الشيخ الواصل القدوة الكامل، الطود الشامخ، العارف الراسخ، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمعتدين، العلامة الدراكة المشارك الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائض النور والبركات على سائر الخليقة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، البحر الزاخر، الطام المعترف بخصوصيته الخاص والعام، نادرة الزمان ومصباح الأوان، الشريف العفيف ذي القدر المنيف. . . .»، السابق ص7.

(6) «فجمعت في هذا التأليف ما استحضرته من ذلك مما هو بعض ما هناك»، السابق ص7.

(7) السابق ص10-11.

يعتمد على القرآن والحديث والشعر[1] ويفرض جزء لحل التناقض بين الأدلة النقلية خاصة بين الأحاديث بالنسبة لمحمد، مرة حقيقة أبدية أزلية خالدة، ومرة ابن امرأة كانت تأكل القديد. يحرم التسييد «لا تسيدوني»، والأطراء «لا تطروني». ومن ألقابه «سيد الوجود». كما يحال إلى بعض الصوفية يتقدمهم الجنيد، والجيلاني، ثم الشعراني وزروق والقشيري[2] وتكثر الأدلة النقلية. وتتوالى بالعشرات كما تُستعمل نصوص من الكتب المقدسة السابقة. ويُرى الرسول في المنام.

وقد تضم المناقب النظرات الفلسفية للولي بحيث ينضم الكتاب إلى التصوف النظري[3]. مثل الأسماء الإدريسية[4]. فالمناقب أفكار وليست فقط أفعالاً. لذلك تظهر المحاجة العقلية والقسمة المنطقية[5]. وهنا تبرز الحقيقة المحمدية كعقيدة مركزية، أساس الإيمان. ويُخاطب القارئ «واعلم». ويستعمل فعل القول لإبراز الحجاج والرد على المعارض. وتبرز ألفاظ «فائدة»، «تنبيه وبيان»، «لطيفة» أمام بعض الأفكار للتركيز عليها[6]. وتبدأ النغمة الإصلاحية في نقد ممارسات الطرق الصوفية خاصة المشيخة[7]. وكما أن مدح الرسول مقدمة لمدح الأشايخ فإن مدح الأشايخ مقدمة لمدح السلاطين.

ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «الفتوحات» لابن عربي[8]. والكثير من الإملاء المباشر لصاحب المناقب أو إجابة على أسئلة ومضاهاتها بأجوبة

(1) الآيات (600)، الأحاديث (150)، القدسية (4)، الأشعار (101).

(2) الجنيد، الجيلاني (3)، الشعراني، زروق، القشيري، الجريري، البسطامي (2)، الخراز، الشاذلي، أبو العابس المرسي، إبراهيم الدسوقي، ابن عطاء الله، ابو مدين، أحمد التجاني (1).

(3) السابق ص53/ 109/ 314.

(4) السابق ص29.

(5) السابق ص138-139/ 114/ 297/ 299-300/ 404.

(6) السابق ص108/ 142/ 148.

(7) «كلنا واحد في الانتفاع. فلا فضل لأحد على الآخر في دعوة المشيخة لأسوء الابتداع»، السابق ص29.

(8) وأيضا «روض الرياحيين».

الرسول[1]. وتضاف نصوص من صاحب المناقب، رسائل أو مكاتبات. والخاتمة في محبة الرسول والصلاة عليه[2].

ك ـ رسائل عبد السلام العمراني الخالدي:

1 ـ **«كرامات سيدي عبد القادر بن عجيبة أو الكرامات الربانية المتعاقبة على الشيخ سيدي عبد القادر بن عجيبة المنامية واليقظية في حياته الدنيوية والبرزخية»**[3]: وهو عنوان طويل للتأكيد على موضوع الكرامات ووصفها بالربانية في اليقظة والمنام، في الدنيا والآخرة. وبعد مدخل نظري قصير للكرامات، تصنف إلى منامية ويقظية[4]. ثم يأتي كلامه وأقواله في الحقائق والوصايا النورانية والمحبة والتربية والتقرب إلى الله، وإفراد القلب له، وسوق النفوس إلى الخير، وبعض وصاياه للمريدين والفقراء، وطرق العادة بفعل «كن»[5]. وهناك حديث عن بعض الموضوعات المتعالية مثل كيفية قبض عزرائيل الأرواح[6]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[7]. ولا تذكر أقوال الصوفية أو الرواية عنهم للاعتماد على التجارب الشخصية.

2 ـ **«قطرات جبروتية متعاقبة من كرامات سيدي عبد القادر بن عجيبة قدس الله سره»**[8]: وهي في المناقب والكرامات. وهي روايات مسموعة في أزمنة متداخلة ومتلاحقة. تمت في اليقظة والمنام. ولا تعتمد إلا على شاهد شعري واحد دون القرآن أو الحديث. كلها روايات ظنية لا يمكن إثباتها بنقل يقيني من الكتاب والسنة.

ل ـ «جواهر الدرر في مناقب ابن حجر» لعبد الله الشافعي[9]: والمناسبة تقديم ابن حجر (974هـ) في «شرح أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل» للترمذي

---

(1) السابق ص280.
(2) السابق ص396-402.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (2) ص163-198.
(4) السابق ص163.
(5) السابق ص164-188.
(6) السابق ص191.
(7) الآيات (13)، الأحاديث (4)، الأشعار (2).
(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (5) ص321-340.
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 1998م-1419هـ (1) ص19-27.

الضرير (279هـ) إعجاباً من أحد المحدثين بالشارح، وتقليداً للقدماء في أدبيات المناقب[1]. وهي مجرد أخبار قاموسية عن ميلاده وحياته ووفاته. لا يستشهد بآية أو حديث إلا من تسعة قصائد قصار وطوال. لا يذكر مناقبَ ولا يبدع من خيال.

م ـ أبو الهدي الصيادي (1327هـ):

1 ـ «روح الحكمة»[2]: وهو نص واحد بلا أبواب أو فصول. يريد أن يكون تحليلاً نظرياً خالصاً أو حكمة نظرية أو تصوفاً نظرياً ولكنه يتحول إلى وجدانيات وانفعالات أشبه بالنثر الفني عند أبي حيان. فالإنسان من ماء وطين. والكلمات الحكمية الأحمدية سر. والوجود أسرار، والروح إشراقات، والآثار لطيفة، والإنسان وجود، وللأنبياء آداب، وللحروف دلالات، وفي الفؤاد معاني، وللعقل صفاء، وللآيات دلالات، وللواحدية سر. وتبرز بعض الموضوعات بلفظ «تنبيه». وتتضمن في نفس الوقت مناقب أحمد الرفاعي وتقريظه وتمجيده واقتباسات من كلامه المبارك وأقواله الشريفة[3]. وللرسول ألقابه للتنظيم والتجريد.

يعتمد على القرآن ثم الحديث والشعر[4]. ويحال إلى أحمد الرفاعي ثم محمد مهدي الصيادي الرفاعي ثم الرواس والشعراني والمناوي وآخرون. ومن الفقهاء الشافعي وأحمد وبعض المتكلمين[5]. وتبرز صورة علي بن أبي طالب زعيما للصوفية. ويحال إلى «طي السجل» للرفاعي.

2 ـ «راحة الأرواح»[6]: وموضوعها مناقب الشيخ الرواس. ومصدرها الإلهام. وتستطرد في عدة موضوعات متناثرة من التوطيد النظري إلى الفضائل العملية[7]. ومنها التخلص من الدنيا ومن آفات العصر. ومنها كسب الفضائل مثل

---

(1) وهو حاصل على ليسانس الحديث من كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، وعنوانه الأندلس: الهرم، القاهرة. وواضح الرغبة في الجمع بين التقليد والحداثة.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(3) السابق ص88.

(4) الآيات (65)، الأحاديث (39)، الأشعار (39).

(5) أحمد الرفاعي (15)، محمد مهدي الصيادي الرفاعي والرواس (9) الشعراني، المناوي (1)، ومن الفقهاء الشافعي، أبو حنيفة، أحمد (1).

(6) المكتبة العلمية، بيروت.

(7) «هذه رسالة لطيفة ذات فصول شريفة. انتقيتها من كلمات شيخي وسيدي خاتمة =

الفقر والإخلاص والصدق والصفح والنصيحة والتخلي عن الرذائل مثل الحسد والادعاء والغرور. ومنها موضوعات العقل والعاقل، والمعرفة والعارف، والمعاني والصور والقلب والنفس والروح. والعلم النافع، والإلهام الصحيح، والعلم الصريح، والحكمة، والكشف. ومنها موضوعات الطريق مثل جمع الهمة، والتوسط بين الخوف والرجاء، والأحوال. ومنها موضوعات النبوءة والإلهام، والمعجزات والكرامات، وعصمة المرسلين. ومنها موضوعات التوحيد مثل التسليم للقدر، والرضا بالمقدور، والإيمان بالغيب. ومنها آداب الشيخ والمريد، وتقاليد الصحبة. وقد يكون ذلك كله طريقاً للإصلاح ضد المتفيهقة، دعاة الفقه، والمتصوفة، دعاة التصوف، والمتقيشفة، أدعياء التقشف[1].

ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث. والأولوية للشعر بالرغم من اعتقادات بعض الفقهاء. وتختم الرسالة بقصيدة طويلة[2]. وتكاد تخلو من الأدلة العقلية في صورة قسمة أو برهان باستثناء مشتقات فعل القول التي تدل على السؤال والجواب مثل «قلت». وتتم رؤية الرسول في المنام. كما تعتمد على كثير من المصادر المدونة[3]. وتؤخذ عدة اقتباسات منها بعلامة «انتهى»[4]. وتظهر كثير من ألفاظ

= الزاهدين، تاج الحكماء الربانيين، فخر العلماء العاملين، درة قلادة الأولياء العارفين، بهاء الملة والشريعة والدين، المقبل على الله المعرض عن الناس، القطب الفرد الكبير. . . . قدس الله روحه وسره وأفاض علينا بره. ومزجتها بشيء من كلمات كانت وردت عليّ أو هبطت من حضرة الإلهام إليّ. وفيها استطرادات تتضمن شيئاً من كلام خواص الزمان، مظهر المجد المصان، لسان العرفان. . . رسالة يستل منها ينابيع الحقائق النبوية. وتلمع فيها بوارق الرقائق الوجدانية، تفيض بيد العزم الرباني بركة الذوق الطيب لإفهام الموفقين. تطلع بجذوة المدد الرجائي صبح العرفان في سموات الباب المخلصين. وسميتها «راحة الأرواح» وذلك المعنى يشير إلى مضامينها الشريفة ودقائقها اللطيفة التي تبهج بها أسرار المحققين، وترتاح لها أرواح أهل العرفان واليقين»، راحة الأرواح ص5.

(1) «أرى أناساً من المتفيهقة اليوم ينكرون على من يزور القبور ويشنعون عليه. . .»، السابق ص42، «فإن ذلك من التدليس في مصلحة الأمة»، السابق ص43.

(2) الأشعار (70)، الآيات (42)، الأحاديث (8)، القدسية (1). أهلك القرآن والأخبار حتى تأتي بالشعر؟ راحة الأرواح ص50–53/ 80.

(3) مثل «القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية» للشعراني، «الوحيد في سلوك أهل التوحيد» للقوصي، «كشف النقاب». للطبري، السابق ص34–57/ 61.

(4) السابق ص10/ 43.

الانتباه للتركيز وشد الانتباه نحو الموضوع مثل: فائدة، تحفة، لطيفة، نكتة طريفة، تمغةَ عظيمة، استطراد لطيف[1]. ومن الصوفية يحال إلى الرفاعي ثم الشعراني والقوصي. ومن الشعراء إلى حسان بن ثابت. ومن الأئمة إلى جعفر الصادق. ومن المفسرين إلى السيوطي والطبري. ومن اللغويين إلى الفيروزبادي. ومن المؤرخين إلى الذهبي[2].

وتتعدد الألقاب بالعشرات مما يدل على تعظيم الشيخ إلى درجة التأليه[3]. وتكثر الدعوات له بالرضى والرحمة والغفران ونفع الأمة بعلمه[4]. ولا يقتصر ذلك على الرفاعي وحده بل يمتد إلى سائر المشايخ [5].

ن ـ «السيف الرباني في عنق المعترض على القوت الجيلاني» للإدريسي (1334هـ)[6]: ويقوم على ذكر المناقب سلباً أي الرد على الاعتراضات والانتقادات

(1) السابق ص32-33/ 38/ 39/ 65/ 78.

(2) الرفاعي (7)، الشعراني، القوصي، جعفر الصادق (2)، حسان بن ثابت، السيوطي، الطبري، الذهبي، الفيروزبادي (1).

(3) منها: قطب الوقت، مرشد الزمان، خواص الوقت، عارف زمانه، سيد العارفين في أوانه، خواص الزمان، الغوث الأمل، عارف الوقت، غوث الزمان، مرشد الأوان، مرشد الوقت، علامة العصر، عارف الزمان، العارف الكبير، القطب، الغوث الجامع، الإمام الجليل، العلم الطويل، إمام أولياء العصر، العلامة الخطير، ملاذ القطب، القوت الأكمل، الوالد الماجد، سيدي وشيخي، سيدنا وملاذنا.

(4) رضي الله عنه، ونفع المسلمين بعلمه، طيب الله ثراه، طاب مرقده، سقى الله ضريحه بوابل الرحمة، قدس الله سره، قدس الله سره وروحه.

(5) الإمام الهمام، شيخ المشايخ الإسلام، حجة الله على الأولياء والأعلام الأتم يد جده المصطفى . . .سلطان الأولياء، برهان الأصفياء، كعبة القرب، ندبة المكروب، وسيلة كل داعي. . . الغوث الأكبر، والإمام الجامع، الأمرد الأشهر، شيخ الشيوخ، سيد أهل التمكن والرسوخ، حبيب رسول الله، تاجر أولياء الله. . .»، السابق ص54 «شيخي وسيدي وتاج رأسي ونور باصرتي وملجأي وعمدتي وولي نعمتي، القطب الغوث الجامع، والبدر المتلالي الساطع العلامة النحرير الفهامة الخطير، رب التحبير والتقرير، علم المعارف، بحر العوارف، شيخ الحضرات في العصر، صاحب الخوارق التي تجل عن العصر، وارث علوم سيد جده سيد الكونين، نائب أبيه أبي العلمين المرشد الذي ترفع في زمنه عن القياس»، السابق ص217.

(6) دار الكتاب العليمة، بيروت 2005 -0-1426هـ.

التي وجهت إلى القطب الغوث، كامل الأوصاف، صاحب المناقب والكرامات بطريقة ذبح المعترضين ووضع السيف في أعناقهم. يقع في بابين. الأول نسب الشيخ وعشيرته، والثاني في حاله وطريقته. يعتمد على الأدلة النقلية والشعر والقرآن والحديث(1). وتظهر بعض روايات الإسرائيليات(2). ولا يعتمد على الصوفية السابقين. وينتهي الكتاب بقصيدة مدح في الغوث صاحب المناقب دفاعاً عن غوثيته في «ختام نافع وإلهام رافع»(3).

3 ـ المناقب الجماعية

أ ـ «لطائف السنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)(4): صوفي، وهو ابن عطاء الله، يكتب عن صوفي هو أبو العباس المرسي وعن شيخه الشاذلي تعظيماً وإجلالاً من اللاحق للسابق(5). ويضم أيضاً عشرة أبواب، ربّما تيمناً بالعشرة المبشرين بالجنة. المقدمة في أن الرسول أفضل البشر وهو خارج الموضوع. والفصل الأول دون فصول أخرى عن الكرامات مما يدل على أنها المنظور الأول في كتابة المناقب. والباب الأول في شهادة الشيخ له. والثالث في مجرياته ومكاشفاته من خلال رؤية الأصحاب له وإدراكهم لأفعاله اعتماداً على الروايات وليس الأقوال. والرابع في علمه وزهده. والخامس في تفسيره للآيات، والسادس في تفسيره للأحاديث. والسابع في تفسيره لأقوال أهل الحقائق، وهم الصوفية. والثامن في كلامه في الحقائق والمقامات. والتاسع في شعره. والعاشر في أذكاره وأدعيته. أكبرها بعد المقدمة الثامن، وأصغرها العاشر(6). وينتهي الكتاب بحزبين أي وردين: الأول لأبي العباس، والثاني للشاذلي وبدعاء الشاذلي(7).

---

(1) الأشعار (55)، الآيات (49)، الأحاديث (23)، القدسية (3)

(2) السيف الرباني ص453.

(3) السابق ص490-491.

(4) عالم الفكر، القاهرة 1972.

(5) توفي أبو العباس المرسي عام 606هـ. وتوفي أبو الحسن الشاذلي عام 656هـ.

(6) المقدمة (35)، الفصل الأول (9)، الباب الأول (16)، الثاني (10)، الثالث (9)، الرابع (19)، الخامس (14)، السادس (12)، السابع (4)، الثامن (29)، التاسع (10)، العاشر (2).

(7) حزب المرسي (7)، حزب الشاذلي (5)، دعاء الشاذلي (2).

تكثر الأدلة النقلية وتغيب الأدلة العقلية. فالمناقب والكرامات لا دليل عقلي عليها إلا الرواية كما هو الحال في النبوات أو السمعيات في علم الكلام. والآيات أكثر من الأحاديث، والأحاديث أكثر من الأشعار[1]. وتتكرر الآيات والأحاديث، وتكثر في الحزب الثاني حتى يتحول الحزب إلى مجرد رصد متتال للآيات. وتطبق بعض الآيات على الكرامات. وينظر إلى الكرامات من خلال الآيات وكأنها تحقيق لها مثل اعتبار الخليفة في الأرض ليس آدم أو داود أو الإنسان بل الصوفي الولي صاحب المناقب والكرامات. وكل الفوائد مستنبطة من النص وليس من تحليل تجريبي[2]. وتقل الآيات والأحاديث في المناقب. وتكثر الروايات الشفاهية من الآخرين التي تخضع لإدراك التعظيم والتبجيل لدرجة التقديس للشيخ. ومن الأحاديث ما يتم في المنام لإفساح المجال للخيال للوضع[3]. والمناقب بالضرورة كرامات وليست آثاراً طبيعية على المريدين أو في الواقع الاجتماعي. وعندما تعز السيطرة على الطبيعة بالعلم أي بالذهن فإنه يتم السيطرة عليها بالكرامة أي بالإرادة. وهو نفس الصراع بين ابن رشد الذي يريد إعطاء الأولوية للحكمة لتدبير العالم، والغزالي الذي يريد إعطاء الأولوية للإرادة. وتظهر أحياناً القسمة العقلية التي تدل على محاولة إيجاد بنية عقلية للموضوع دون برهان[4]. كما تعتمد السيرة على أقوال صاحب السيرة وعلى مؤلفاته مثل «الحكم»[5]. وتعتمد على أقوال بعض الصوفية مثل الغزالي وبعض الشعراء مثل ابن العطار[6]. وتحيل إلى بعض الإسرائيليات في قصص الأنبياء وحواراتهم مع الله أو الملائكة أو مع أنفسهم أو مع الرسول[7]. وتوضع بعض العناوين للتركيز مثل: «تنبيه»، «إعلام»، «وصية وإرشاد»[8]. ويتوجه الخطاب إلى القارئ بلفظ «اعلم». فالغاية من المناقب والكرامات الوعظ والإرشاد والتأسي بل وطلب العزة والنصر حتى عن طريق الوهم، وليس عن طريق الفعل،

---

(1) الآيات (170)، الأحاديث (75)، الأشعار (47)، الأحاديث القدسية (3).
(2) لطائف المنن ص184-186/ 124-132.
(3) السابق ص144.
(4) السابق ص97-99/ 114-132.
(5) السابق ص144.
(6) السابق ص169.
(7) السابق ص157.
(8) السابق ص93/ 166.

عن طريق النص وليس عن طريق الواقع [1].

ب ـ **«أخبار الأولياء ومناقبهم» للأزدي (657هـ)**[2]: ويعطي أخبار الأولياء بناء على مشاهداتهم وليس الروايات عنهم، ومعايشتهم ومعرفتهم ومشاركتهم في تجاربهم الصوفية[3]. وهو الوعي التاريخي الزائف أي أخبار الصوفية الخاصة بالمناقب والكرامات. يخلو من الأبواب والفصول والأقسام. تقوم على الحكايات وليس على الأدلة النقلية أو العقلية والتحليلات النظرية. والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية. والدليل النقلي مجرد تطابق بين الحدث والآية كما هو الحال في الإنجيل وتنميط الحوادث طبقاً لآيات العهد القديم. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. وتذكر عشرات الأسماء من المشايخ مثل القرشي وابن عربي وابن الدقاق[5]. ومن الأنبياء يظهر الخضر. ومن الحضارات المجاورة الشيخ الولي الكبير اليوناني[6]. ويظهر الشيخ حاضراً في النص ثم الرسول ثم الأستاذ ثم العرش، وأبو مدين والخضر وأبو العباس[7]. وواضح تمركز المشايخ في مصر والمغرب والشام والعراق[8]. وهم مع الناس والملوك والأمراء والأولياء[9]. ينتسبون فيما بينهم برباط المصاهرة، الزواج من ابنة الشيخ لتكوين مجتمع مغلق. وتوجد رسالة داخل النص. فالكتاب وثيقة وسيرة ذاتية. ولا حرج من الكشف عن العلاقة بالسلطان أو ببلاد الكفرة.

---

(1) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، السابق ص94.

(2) دار كنعان للنشر والتوزيع، دمشق 2006م –1426هـ.

(3) « يسألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم فاستخرت الله تعالى. . .» السابق ص7.

(4) الآيات (8)، الأحاديث (1)، الأشعار (1).

(5) ابن عربي، القرشي، ابن الدقاق (2)، أبو العباس، الشاذلي (1).

(6) الخضر (3)، الشيخ الولي الكبير اليوناني (1).

(7) الشيخ (87)، محمد (26)، الأستاذ (20)، القرشي، أبو مدين (8)، الخضر (7)، أبو العباس (5)،.

(8) ديار مصر (64) دمشق (20)، مصر (19)، القاهرة (11)،الجليل، القرافة، الإسكندرية، مكة، المغرب، الأرض (10)، ديار مصر (8)، العراق، البلد (8) أشبيلية (6)، الرباط (4)، الشام (3)، بلاد الصعيد (3).

(9) الفقراء (20)، أكابر (19)، أعيان الناس، الرجال (16)، الملوك، الفقيه (13)، الكامل (9)، الخلوة (8)، الأمراء (5)، الطائفة (4)، السلطان (3).

جـ - «النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم» لعمر بن أرسلان (670هـ)[1]: وهو من مناقب الأولياء كما يدل عليه العنوان. وهي القدرة على فهم لغة الطير والحشرات والجماد والنبات والحيوان. وينقسم إلى سبعة أقسام، وكل قسم إلى أبواب، وكل باب إلى فصول[2]. فالعالم لغة وعلامة وإشارة. ويعيش الإنسان في عالم من الرموز. ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾. والصمت عند الصوفية لغة. يفضلون لغة الإشارة والكناية على لغة الكلام والتصريح. ومن هنا يأتي جمال العنوان. البنية محكمة والقسمة معلنة منذ البداية[3]. تدور كلها حول معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. والحديث مع الحيوانات مثل حمار النبي وناقته بالكلمات. تعتمد على الإسرائيليات وعلى أحاديث ضعيفة أو خالية من الأسانيد. معظمها روايات وليست أقوالاً مباشرة. بعضها أقرب إلى الخيال الشعبي والأمثال العامية. تعبر عن حديث الضمير وأمنيات النفس. تخلو من أي تحليل نقدي للرواية. تعتمد على الأحاديث أكثر من الآيات والأشعار[4]. ومن الأعلام يذكر من

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ.

(2) القسم الأول نطق الحيوان في نطق آدم، نطق الأجنة والأطفال، والخرسان والمسوخ. ونطق الوحوش: الأسود والدب والذئاب والضب والظباء والفيل والقنفذ. ونطق الأنعام: الإبل والبقر والغنم. ونطق الدواب: الخيل والحمير والكلاب. ونطق الحشرات: الحيات والدود والنمل. ونطق الحيوانات المائية: السمك والضفادع. ونطق الشجر: التين والخروب والرمان والورد. ونطق النبات: التمر والحشائش والزرع. ونطق الطير المعروف من كل ذلك والمجهول (المعروف: البعوض، البلابل، الخطاطيف، الدجاج، الديوك، الطاووس، العصافير، العقارب، الغراب، التنير، النسور، الهداهد، البعوض، الجراد، الحدأة، الحمام، العنقاء، غيرها). وهو أكبر الأقسام. والقسم الثاني النطق بعد الموت من بني آدم قبل القبر أو بعده والرؤوس المقطوعة والجماجم النخرة، ونطق الشاة المسمومة ونطق الخشب مثل عصى موسى وجذع الشجرة، والعود. والثالث ونطق الجماد مثل السحاب والأرض والمال والأبنية والأحجار والصخور والأواني. والرابع نطق الفيافي مثل البحر والطعام والنار والوحش والسفينة والمال والسوط والسبحة والخبز والبكرة وغيرها. والخامس أنين النبات مثل الشجر والتفاحة، وأنين الموت وأنين الجماد. والسادس إشارات تقوم مقام النطق إشارات الحيوان، بني آدم وكل الكائنات الحية.

(3) السابق ص5-6.

(4) من الأنبياء عيسى (3)، سليمان (2)، يوسف، موسى، إبراهيم، داود، إدريس، يونس، الخضر (1). ومن الصوفية إبراهيم الخواص، الخراز.

الأنبياء خاصة عيسى وسليمان. وأكثر مما يذكر من الصوفية خاصة إبراهيم الخواص وأبي سعيد الخراز [1].

د ـ «روض الرياحين في حكايات الصالحين» لليافعي اليمني المكي (768هـ)[2]: ويضم في لبه خمسمائة حكاية لصوفية متعددين. عبد الواحد بن يزيد له أكثر من حكاية. وكلهم أولياء أصحاب كرامات. والكتاب غريب في تبويبه. مقدمة بها فصلان: الأول عن فضائل الأولياء في الأخبار. والثاني عن كراماتهم في الحكايات. وهو أكبر الفصول. وخاتمة بها فصلان: الأول الرد على إنكار بعض الفقهاء هذه الفضائل والكرامات، والثاني عقيدة المشايخ العارفين الربانيين المكاشفين المحققين المدققين. ثم فصل أخير ختام الخاتمة، في توحيد الرحمن ومدح خاتم الأنبياء بقصيدة طويلة[3]. ويبدأ بفضيلة الفقر [4].

ويعتمد الكتاب على الأشعار ثم الآيات ثم الأحاديث. وواضح غلبة الشعر وعود له، وهو ديوان العرب[5]. وتتوالى الأشعار، والآيات، والأحاديث في زخات متتالية. وتؤول كلها بحيث تنطبق على كرامات الأولياء. والكرامة مثل المعجزة حدث طبيعي. ومعظم الحكايات مطعمة بالأشعار والآيات، والأحاديث سند لها وللإيهام بصحتها وحدوثها وتسويقها بالشعر. ويُرى الرسول في المنام وكذلك الخضر وجبريل[6]. يبدأ الكتاب بأحاديث وينتهي بأخرى عن الجنة لمزيد من التشويق[7]. وبعض الحكايات على الإطلاق لبعض العارفين. وليس لكل

---

(1) التستري، الشبلي، الروزباري (2)، الخدري، البسطامي، الجنيد، ذو النون (1)، ومن الفقهاء أحمد بن حنبل (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 200م- 1421هـ. و الكتاب له اسم ثان طويل هو «نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر، في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر» روض الرياحين ص434-439.

(3) المقدمة. الفصل الأول (56)، الثاني (365)، الخاتمة الفصل الأول (15)، الثاني (17)، الخاتمة (18).

(4) السابق ص 11-36.

(5) الأشعار (600)، الآيات (210)، الأحاديث (108)، القدسية (2)

(6) روض الرياحين، توالي الأشعار ص401-399، توالي الآيات ص11/ 294، توالي الأحاديث ص12-46/ 426.

(7) السابق 125-126/ 157/ 160/ 189/ 302/ 408.

الصوفية حكايات وكرامات ومناقب مثل الغزالي[1]. في حين أن لبعض الفقهاء حكايات مثل بعض أصحاب أحمد بن حنبل[2]. وبعض الحكايات أبطالها الخلفاء والأمراء الذين يشاركون أيضاً في كرامات الأولياء[3]. ومعظمها روايات من الصوفية عن أنفسهم مما يجعل نسبة تصديقها قليلة. والمؤلف له حكايات رآها ويرويها أو هو موضوعها. وليست مرتبة ترتيباً زمانياً. ولا تصنف طبقاً لأنواع الكرامات كما فعل النبهاني[4]. وتعتمد الحكايات على اقتباسات من آخرين مع الإشارة إليها بعبارة «انتهى كلامه»[5]. ولا تخلو من الإسرائيليات[6]. وهي مصدر حكايات يونس، داوود، وسليمان، وموسى، ويحيى، وعيسى، وبني إسرائيل[7]. ويعتمد على بعض المصادر المدونة [8].

ويذكر كثير من أعلام الصوفية يتقدمهم ذو النون ثم الجنيد، ثم عبد الواحد ابن يزيد، ثم الشبلي، ثم إبراهيم الخواص، من القدماء والمحدثين ثم السري السقطي، ومالك بن دينار، ثم التستري، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم من الصوفية[9]. ومنهم بعض النساء[10]. وبعض الحكايات مجهولة المصدر وهي الأكثر. والبعض الآخر يرويها المؤلف نفسه. والبعض الآخر من الصالحين أو بعض أهل العلم أو بعض الناس. والبعض عن الملوك والأمراء والمشايخ

(1) السابق ص441-446.
(2) السابق ص53/ 55.
(3) السابق ص187-188.
(4) السابق ص188.
(5) حكايات هارون الرشيد، السابق ص62-66.
(6) السابق ص34.
(7) السابق ص3/ 19/ 94/ 199/ 233-234/ 242/ 258/ 270-271/ 281/ 295-296.
(8) السابق ص7-9.
(9) ذو النون (36)، الجنيد (15)، عبد الواحد بن يزيد (10)، الشبلي (9)، إبراهيم الخواص (8)، السري السقطي، مالك بن دنيار، أحمد بن مقاتل (7)، التستري، إبراهيم بن أدهم (6)، محمد بن السماك، شقيق البلخي، أبو سعيد الخراز، كعب الأحبار (3)، الشاذلي، بشر الحافي، الدقاق، علي بن الموفق، بشر بن الحارث، ابن الجلاء، الحسن البصري، الكرخي، الرفاعي (2)، القرشي، الجريري، الضحاك، ابن مسروق، رابعة، الغزالي، أويس القرني، الروزباري، حفار القبور.... (1).
(10) مثل زيتونة، شعوانة، عمرة، فاطمة، روض الرياحين ص176/ 192/ 218/ 250/ 378.

والسلف[1]. ولا توجد حكايات لابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والسهروردي في التصوف النظري. معظمها في التصوف الأخلاقي أو في التصوف العملي.

هـ ـ «نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» لليافعي (768هـ)[2]: وقد تكون السير أحياناً للجماعات وليس للأفراد دون تمييز بينهم. فهم جميعاً سواء في المناقب والكرامات كيفاً وإن اختلفوا كماً. وهو ما يدل عليه عنوان «نشر المحاسن الغالية» لليافعي. تجمع السيرة عدة موضوعات في صيغة أسئلة وردود، النوع الأدبي الفقهي الشائع. وتتنوع الأقسام بين فصول عشرة، وأنواع عشرة، ومقامات عشرة، وحكايات سبع، ومهام أربع، ومسالك سبعة، وأجوبة أربعة، بالإضافة إلى الذكر والبيان والإشارة والمقدمة والخاتمة. القسم الأول عن الكرامات والفرق بينها وبين المعجزات. والكرامات متداخلة مع المعجزات على أنواع[3]. أما مقامات السالكين فهي: التوبة، والورع والزهد (في المطعم والسكن والأثاث والمنكح) والصبر والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضى، جمعاً بين المقامات والأحوال[4]. ثم يأتي قسم رابع للدفاع عن الصوفية والاعتذار عنهم بالسكر وبالحكاية عن الله وبالأمر، وبإرادة النفع للخلق، وبتأويل الظاهر، وبالإذن في التصريف، وبالتخريب أو اقتضاء الإنكار، وبسماع القول والحركات، وبعزلتهم عن الناس[5]. والخامس في ذكر كلامهم في المعارف والحكم والآداب والمحبة والإسراء والخطاب[6]. والسادس في بيان ماهية التصوف وتسمية الصوفية بهذا الاسم ومتى بدأ ومن هم الصوفية، والفرق

(1) وقال بعضهم (50)، بعض الصالحين (27)، المؤلف نفسه (22)، بعض المشايخ (12)، بعض السلف، (7)، بعض الملوك (6)، بعض أهل العلم (3)، بعض الناس (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م- 1421هـ.

(3) مثل: إحياء الموتي وكلامهم، انغلاق البحر وجفافه، انقلاب الأعيان، العلم المسبق بالحوادث قبل وقوعها والإطلاع على ما في الضمائر، زوي وجه الأرض لهم من غير حركة منهم، انفجار الماء، كلام الجمادات والحيوانات إبراء العلل، طاعة الأشياء، نشر المحاسن العالية ص14-129.

(4) السابق ص129-278.

(5) السابق ص278-323.

(6) السابق 357-374.

بين التصوف والزهد والفقر، وبين الصوفي والمتصوف والمتشبه به، وفضل الطائفة على سائر الطوائف، وسماتهم، وشرف الرسول زعيمهم[1].

وتبدأ السير بالأدلة العقلية على إثبات المعجزات والكرامات ضد المعتزلة وإنكارهم لها[2]. وهو سبب التأليف[3]. ثم تتلو الأدلة النقلية في جدال كلامي تقليدي، الأدلة ثم تفنيد الأدلة المضادة للخصوم والرد على تفنيدهم لأدلة الإثبات، ثم تفنيد الأدلة المضادة في جدل رباعي بين الإثبات والنفي. وينفصل النوعان من الأدلة العقلية والنقلية[4]. ويظهر أسلوب الحجاج في فصل القول «فإن قلتَ . . . قلتُ». وتكثر الآيات ثم الأشعار ثم الحديث[5]. وأحاديث الرسول في المنام. وتتكرر بعض الأحاديث[6]. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية والمتكلمين وعلى رأسهم القشيري ثم الغزالي والسهروردي والباقلاني والرازي والبيضاوي والطوسي، وتذكر بعض الاقتباسات بعلامة «انتهى»[7].

و ـ «الروض الفائق في المواعظ والدقائق» لشعيب المصري الحريفيشي

---

(1) السابق ص375-406.

(2) نشر المحاسن الغالية ص5-8.

(3) «ما تقول السادة الفقهاء، أئمة الدين، ومصابيح المسلمين، وفقهم الله تعالى لاتباع الحق في العلم والعمل، وحفظهم من الزيغ والزلل في كرامات الأولياء، هل هي حق أم لا؟ فإن قلتم هي حق، فهل يجوز أن تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة في حسنها وعظمها؟ وما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ وكذلك ما الفرق بينها وبين السحر؟ وهل ظهرت الكرامات وكثرت في زمن الصحابة كما ظهرت وكثرت فيما بعد؟ فإن قل ظهورها فيما بعد أكثر فلم ذلك والصحابة أفضل الأمة؟ وهل يقال بكفر من قال المؤمن يعلم الغيب أم لا يقال به حتى يسأل ماذا أراد بذلك فإن قلتم يسأل فسئل ففسر ذلك بشيء يقولون بجوازه، في الجواب عن قوله عز وجل ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟ وهل أصحاب الكرامات من الأولياء أفضل أم بقية الأولياء أفضل أم بقية الأولياء الذين ليس لهم كرامات؟ وهل علماء الباطن العارفون بالله أفضل أم علماء الظاهر أعني علماء الشرع؟ وهل بين الشريعة والحقيقة فرق أم لا؟ أفتونا مأجورين إن شاء الله تعالى»، نشر المحاسن ص9.

(4) السابق ص80-86.

(5) الآيات (341)، الأشعار (260)، الأحاديث (120).

(6) السابق ص234.

(7) السابق ص289-342.

(810هـ)[1]: ولا يتعلق بالمناقب والكرامات للأولياء وحدهم بل أيضاً للأماكن مثل الكعبة والنيل. وتتكون من ستة وخمسين مجلساً مثل الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي. تبدأ بالصلاة على النبي ومولده وزيارة قبره، ونزول الوحي عليه. وتدور المجالس الأخرى حول عدة موضوعات مثل مناقب الصالحين والأولياء وإثبات كراماتهم خاصة الفقهاء، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، والخلفاء الأربعة، والخليفة عمر بن عبد العزيز، وأقلهم من الصوفية مثل الكرخي. كما تذكر مناقب رمضان وليلة القدر والحج والكعبة وأنواع الصدقات ويوم عاشوراء بمعنى الفضائل. كما تذكر مناقب الفقراء والبكائين والصالحات التائبات الصابرات من النساء[2]. كما تظهر بعض فضائل ذكر الموت. وجلاء القلب والمحبة والتزيد والشهادة بالتوحيد. لا فرق بين الصوفية والفقهاء، بين الشبلي والكرخي والسري ومالك وأبي حنيفة والشافعي وبين العلماء والخلفاء[3]. ويعتمد على الشعر قبل القرآن والحديث[4]. وتؤخذ بعض الآيات عناوين للمجالس. ولا يوجد إلا باب واحد في صفة الفقير[5]. وكلها حكايات وروايات. تخاطب القارئ. وتدخل الإسرائيليات كمصدر لتاريخ الأنبياء[6].

ز ـ «نسمات الأسحار في المناقب وكرامات الأولياء الأخيار» للشيخ علوان (936هـ)[7]: والمناقب هنا بالمعنى الواسع، فضائل كل شيء في الموضوع ومدح كل شيء من الذات. فالمناقب ليست للصوفية وحدهم بل للخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز والسفاحين مثل الحجاج وللحكام وكيفية الدخول عليهم. وقد تكون المناقب في الوالدين والأرحام كما هي في الإبدال. وقد تكون في الشعائر والعبادات، الوقوف بعرفة وفضائل الكعبة، وفضل الجمعة، والصلاة على الرسول. وقد تكون لسيد الأنام وأفضل الخلق. المناقب والكرامات مدح أي

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1425 هـ.
(2) السابق ص347-354.
(3) السابق، المجالس 2/ 16/ 18/ 21/ 28.
(4) الأشعار (515)، الآيات (372)، الأحاديث (245).
(5) الروض الرائق ص110-111.
(6) السابق ص153-154.
(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2001م -1421هـ.

شيء، حجر أو مدر أو بشر. وتعتمد على نقل المعلومات من بطون الكتب وتجميعها مع إبراز بعض النكات والتنبيهات والفوائد[1]. وتطول الحكايات[2]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. وتدخل بعض الإسرائيليات[4]. ويحال إلى عديد من المصادر الصوفية مثل «الإحياء» الغزالي[5]. كما يحال إلى بعض الصوفية الآخرين مثل إبراهيم بن أدهم، والقشيري، والفضيل بن عياض، والحسن البصري، والجيلاني، وغيرهم[6]. ولا تخلو من القسمة العقلية[7].

ح - «المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية» للأبشيهي(1021هـ)[8]: وهو في موضوع المناقب والكرامات مع تعرض للأولياء وآداب الشيخ والمريد دون أبواب وفصول. فالنقابة خدمة لا صحبة. لها شروطها وتعريفها والقيام بوظائف القرآن وآدابها وتوبتها، والتمييز بين المشايخ، وسلوك طريق المريدين. الصوفية هم السالكون لطرق الله وإتباع أوامره، وما يقوله الشيخ توحد بين الله والشيخ. وفي الولاية كرامات الأولياء وعلاماتهم. ويتطلب ذلك طرق وأساليب طرد الشيطان والتمسك بالصدق كمفتاح لأبواب المعارف، وخدمة الفقراء، ومحاسبة النفس، والابتعاد عن التكلف واللغو في المساجد، وسبب التأليف أقرب إلى منهجه المعتدل المختصر دون إطالة، وكتابة ما يفهم من المصادر دون إعجام أو شطح[9].

---

(1) فائدة (10)، تنبيه، نكتة (3).

(2) نسمات الأسحار ص172/ 187.

(3) الآيات (463)، الأحاديث (347)، الأشعار (88).

(4) نسمات الأسحار ص268.

(5) الإحياء (16)، روض الأفكار (2)، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، الدرة الفاخرة (1).

(6) الغزالي (19)، إبراهيم بن أدهم، الفضيل بن عياض، القشيري، الحسن البصري، الجيلاني (2)، سفيان الثوري، الكرماني، المحاسبي، سفيان بن عيينة، البسطامي، الطرطوسي، عمران بن سيناء، إبراهيم الخواص، الروزباري، بشر الحارث...الخ (1)، ومن الفقهاء والمفسرين والمتكلمين: الشافعي، الباقلاني، الآمدي، الأوزاعي، العز بن عبد السلام (1)، ومن الفرق: المعتزلة (3)، الشيعة (1).

(7) الروض الرائق ص175-176.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(9) «وقصدت الاختصار. وأخذت من كل مسألة يحصل بها الاختيار. وحذفت ما جاء في =

ويعتمد على الأدلة النقلية من الحديث والقرآن دون الشعر بحيث يصبح الموضوع أقرب إلى علم الحديث[1]. ويذكر العشرات من أعلام الصوفية في مقدمتهم الجنيد ثم الغزالي[2]. ومن الفقهاء يتقدم أحمد. ومن المتكلمين إمام الحرمين. ويعتمد على اقتباسات من «المنقذ» و «منهاج العابدين» و«الإحياء» للغزالي وكتاب «التوابين» لابن الجوزي[3]. وفي آخرها لفظ «انتهى».

ط ـ «الروضة الريا فيمن دفن بداريا» لعبد الرحمن العماوي (1051هـ)[4]: وهي سيرة مجموعة من الصالحين يجمعهم مكان واحد في الموت. وسبب التأليف زيارة قبور الصالحين والتبرك بهم. ومن ثم لزم التعريف بهم[5]. الهدف إبراز كرامات الأولياء ـ وتعتمد على مصنفات المؤرخين والفقهاء. كما تعتمد على الحديث قبل القرآن والشعر[6]. فالأحاديث بداية للخيال. وتذكر بكل صياغاتها[7].

= ذلك من التطويل. وأبطلت القال والقيل. وليس ذلك والله من ملالة وإنما هو خوف الإطالة، وذلك لقصر همة الطالبين ورغبة الراغبين. فأخذت من كل دليل معناه لأنه من دخل فيه أعناه. ومن عاب له أفناه. وحذفت الأقاويل المعجمة...»، السابق ص7.

(1) الأحاديث (97)، الآيات (73)، القدسية (2).

(2) الجنيد (7)، الغزالي (4)، الحسن البصري، الشعراني (3)، البسطامي (2)، بشر الحافي، ذو النون، يحيى بن معاذ، ابن الفارض، ابن عربي، الرفاعي، الطوسي، الكاشاني، الهروي، إبراهيم الدسوقي،... (1)، ومن الفقهاء أحمد السبكي (2)، مالك، الشافعي، الأوزاعي، أبو حنيفة، الواسطي، ابن الهمام، ابن تيمية، ابن حجر، ابن الجوزي، السيوطي (1)، ومن المتكلمين إمام الحرمين. ومن الصحابة أبو ذر.

(3) ويعتمد أيضاً كما صرح في المقدمة على «موارد الإسلام»، «أدلة القوم»، «الإنسان الكامل» (للأستاذ الأعظم)، «الطينة» للشعراني، «كتاب الوحيد في ترجمة أهل التوحيد»، «الاعترافات القدسية في الخواطر الرحمانية» لابن عربي، السباق ص7.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (4)، ص149-165.

(5) «إن زيارة الصالحين من أقرب القربات. وهي لاستمطار سحائب البركات من الأمور المجربات. وقد أمرنا بالتعرض للنفحات. ولا شك أن مواطنهم من أكبر مظنات إجابة الدعوات. ثم لما كان من أعظم مزارات الشام الموضوعة مزارات داريّا الكبرى، القرية المعروفة. جمعت هذه النبذة في شأنها تعريفاً بعظم قدر سكانها وتشنيفاً للأسماع بذكر من دفن بمكانها..»، السابق ص149.

(6) الأحاديث (10)، الآيات (3)، الأشعار (1).

(7) الروضة الريّا ص163-165.

وتعتمد من كتب الصوفية على «الأحياء» للغزالي و«عوارف المعارف» للسهروردي. ويذكر الداراني والقسطلاني[1].

ي ـ «غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني» لمحمد السعيد التجاني (1230هـ)[2]: وهو تأليف أُسري سوداني لإبراز كرامات شيخ الطريقة وأصحابه. يجمع بين السيرة للفرد والسير للجماعة، وإن كان إلى السير الجماعية أقرب. يذكر ثلاثة وأربعين ولياً. لكل ولي نسبه وفضله وشيوخه وأقاربه وأصدقاؤه وألقابه وكراماته ومؤلفاته ونماذج من كتاباته ومراسلاته وحكاياته وأشعاره وطريقته. ولا يتوزعون في طبقات ولا طبقاً للحروف الأبجدية ولا طبقاً للأهمية. يتفاوتون في الكم وإن كانوا متساوين في الكيف. فالكل أصحاب كرامات.

ويتخلل الأولياء بعض الاستطرادات، قصائد في مدح الشيخ أو بشارات وضمانات من حضرة النبي، وشاردة، ولطيفة فيها فائدة عظمى، ولطيفة في شأن عدم الاحتلام لمن ابتلي به أو فوائد جليلة من رسائل أو بعض المسائل القديمة مثل البسملة، جزءاً من السورة أم لا أو في نفيسة مثل حياة الذكر بعد الموت أو فائدة لقضاء الدين عن المدين تلبيهة للحاجات وتفريجاً للكروب أو لمغفرة الذنوب أو التصدق جزاء التصرف بالكرامات أو جعل الشهوات لضعاف الخلق. وقد تتحول هذه الموضوعات العرضية إلى قسم بأكمله بين وليين[3]. يضم موضوعات في الطب النبوي، والرياضة الروحية، وكيفية قضاء الحاجات[4]. والمادة الرئيسية من الشعر أولاً ثم الحديث ثانياً، ثم القرآن ثالثاً[5]. فالشعر مادة خصبة للخيال.

---

(1) «الإحياء» للغزالي، الداراني (2)، «عوارف المعارف» للسهروردي، القسطلاني (1).

(2) مكتبة القاهرة، (د.ت).

(3) غاية الأماني ص11-13/ 45-5/ 107-110/ 113-122.

(4) مثل فائدة من إملاء الولي، والطب النبوي دواء البياض والدمعة النازلة من العين، وخواص أسماء أهل الكهف، وبعض شروط الرياضة، ووصية في حقوق الأخوة، وفوائد النظر إلى البدر، وتخفيف سكرة الموت، وفائدة من دخل بلداً ولم يعرف فيها أحداً، والوصول إلى الكمال، وزيارة الشيخ ورؤيته، وأذكاره، وكتبه، ومشايخه، والترغيب في قيام الليل، وختم الولاية، وتحريم التبغ، وفضائل ليلة الجمعة، والأذكار روح الأعمال، وذكر أشياء لرؤية الرسول واستدعائه في النوم، وإهدائه الصلاة عليه، السابق ص63-101.

(5) الأشعار (32)، الحديث (26)، الآيات (3).

والحديث مناسبة ميسورة للوضع ورؤية الرسول في المنام. والقرآن هو الأصعب. ويستشهد ببعض آراء الصوفية السابقين كالبسطامي[1]. وتوضع اقتباسات عديدة من مصادر مدونة مع علامة «أهـ » أو «انتهى» وتظهر أوربا ونفائسها قبل ظهور التبغ لديها ونقل المسلمين منها وهو ما قد حرمه الأفغاني بفتواه الشهيرة لتحريمه لمقاطعة بضائع الأوربيين[2].

ك ـ رسائل الرواس (1287هـ):

1 ـ «بوارق الحقائق» (تجلي الأسرار الروحية من وراء حجب المشاهد القدسية)[3]: وهي سياحة في مدن الشام والعراق والحجاز ومصر مهبط الأنبياء ومنبع الأولياء، وكشف الحجاب عن الأماكن التي تظهر فيها بوادر الحقائق، وتتجلى الأسرار الروحية من وراء حجب المشاهد القدسية وهي الأضرحة والقباب وأنوار النبي تسطع في كل مكان. ولقبه «سيد الوجود»[4]. والعنوان ضخم وطويل ولكنه يكشف عن مضمونه. وهي قطعة من النثر الفني تجعلها بين التصوف والأدب. فهي تأملات حول المدن والأضرحة بداية بالنبي ورؤيته في المنام، وعقد حوار مع الصوفية، وردود على مغالطات الشيطان[5]. ومحمد هو كل شيء، وكل شيء محمد[6]. تتضمن خطوطاً بلغة غريبة أقرب إلى السريانية حيث تظهر فيها كلمة محمد في أشكال متعددة[7]. كما تتضمن خطابات ورسائل مدونة[8]. وتُسمع أصوات مجهولة. وتقرأ ألفاظ كردية مثل «هيوها يا»[9]. وتُشفع به رسوم سحرية

---

(1) غاية الأماني ص37.

(2) السابق ص92.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ.

(4) واسم لمدن دمشق، حمص، حماه، معرة النعمان، حلب، البيرة، الرها، ماردين، بغداد، طوس، سر من رأى، مصر، المدينة. . .الخ أنوار النبي، السابق ص70-71.

(5) بوارق الحقائق، ص77.

(6) «وهي عبارة مشهورة لميشيل عفلق في خطابه الشهير في ذكرى المولد النبوي: لو كان محمد كل العرب، فإن كل العرب محمد» السابق ص82.

(7) بوارق الحقائق، ص92-97.

(8) السابق ص92/ 100.

(9) السابق ص106-107.

توضيحية[1]. فهو كتاب صوفي ملغز، به بعض الشطحات يبايع فيها المؤلف الأولياء بعبارة نمطية «بويعت في الحضرة» مع استبعاد أشياء أخرى «ما لا يلتفت إليه»[2]. ويُستمد كثير من الإسرائيليات واقتباسات من التوراة[3]. محوره وليان أحمد الرفاعي وأحمد التجاني». وكلاهما أحمد باطن محمد، يعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[4]. ويقتبس كثيراً من أقوال الصوفية مع إبراز «فائدة»، «تحفة»[5]. وينتهي بالإجازة للرواية [6].

2 ـ «الدرة البيضاء»[7] وهي رسالة تضم ثلاثة موضوعات، الله والرسول والأولياء[8]: وتنتهي ببعض الوصايا والمواعظ الأخلاقية[9]. وهي مفصلة إلى تسعة أبواب. وتطول عناوين بعضها في الرسول، مما يدل على غياب التصورات وحضور العبارة الشارحة[10]. الغرض منها تجميع موضوعات عدة لطلاب الحق[11]. وتعتمد الرسالة على عديد من الآيات والأشعار والأحاديث يسبق الشعر

---

(1) السابق ص123.

(2) السابق ص125-170.

(3) السابق ص76.

(4) الآيات (160)، الأشعار (142)، الأحاديث (89).

(5) فائدة (3)، تحفة (1)، السابق ص93/ 190/ 241.

(6) مشايخ الطرق الصوفية يظهر أحمد الرفاعي (15)، الشبلي (2)، أويس، أبو الدرداء، الحسن البصري، وكثير من الرفاعية، الرفاعي الإشبيلي، نور الدين الرفاعي، شمس الدين الرفاعي. . .الخ (1)، ومن الفقهاء ابن تيمية، ومحمد الغزالي، ومن الأنبياء عيسى. بوارق الحقائق ص242-244.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت.

(8) التوحيد ص108-116، الرسول ص116-120 (4)، الأولياء ص120-133 (13).

(9) رقائق الحكم السابق ص133-136 (4).

(10) «باب في معرفة مقادير آل النبي وأصحابه الكرام، ووجوب محبتهم وحرمتهم ومحبة الصالحين والعارفين والعلماء العاملين والنظر إلى المسلمين بعين الرعاية والحرمة إجلالاً لشأن النبي، هذا مع الشفقة على خلق الله كلهم على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومعارف ذواتهم»، الدرة البيضاء ص118.

(11) «هذه رسالة مباركة سميتها «الدرة البيضاء»، جمعت والحمد لله لباب أسرار الشريعة السمحاء والطريقة الغراء، ينهج بها الصالحون ويهرع لها طلاب الحق المرضيون، ويصد عنها المخذلون. وما هي إلا آية حق، مقتبسة من كتاب الله وسنة رسول الله. خلصت نقية كاسمها. فاغتنمها أيها المحب اللبيب فإنها من لطائف النفحات النبوية ومن =

فيها الحديث[1]. وهي إلهام من الرسول. ويتم فيها تقليص العلم والعلماء إلى العرفان والعارفين[2]. وتتنوع أشكالها الأدبية بين اللطيفة والإشارة الافتتاحية[3]. وتزداد الألقاب تعظيما للشيخ الذي يصل إلى درجة التأليه [4].

ل ـ «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» للرفاعي (1328هـ)[5]: وهي سيرة تجمع بين الفرد والجماعة، بين الشيخ «الرفاعي» والطريقة «الرفاعية». وهو مقسم أيضاً إلى عشرة أبواب تيمناً بالعشرة المبشرين بالجنة، الأول في نسبه الطاهر تعظيماً له وإجلالاً ورفعاً إلى مستوى الأنبياء. والثاني ولادته وظهور النور كما حدث لمحمد والمسيح ولكل العظماء. والثالث أخلاقه ومواهبه وكأنه أكمل البشر بلا نقائص. والرابع كراماته العلية التي تعادل معجزات الأنبياء. والخامس عبوديته والتزامه وطاعته لدرجة الذل. والسادس كلماته الشريفة وأجوبتهم الصائبة مع أنها اجتهاد يخطئ ويصيب. والسابع أدعيته وصلواته لحصول الفرج وحل العقد ودفع الضرر ورفع الكرب حين العجز الفعلي عن تحقيق ذلك في الواقع فيتحقق في الوهم والخيال. والثامن مشايخه وآداب طريقته وتربيته رضوان الله عليه وكأنه من المبشرين بالجنة. والتاسع أعيان ذريته وأصحابه مع أن النبوة لا تورث ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. والعاشر بركة التشبث بأذياله مع أن التقليد لا يجوز، وليس مصدراً من مصادر العلم. ثم يذكر أصحابه من أكابر القوم والأعيان وأشياخ الطريق وأهل العرفان وأشياخ الفرقة وقادة وسادة فرسان الحنفية. ومنهم القطب الغوث وحامل لواء المعاني، وقائد ركب الأعالي

= عوارف البركات المصطفوية. أمرني بكتابتها وإذاعتها... حبيبي (صلعم). فهي منصوصة مخصوصة، جملها جميلة، وكلماتها خليلة، وبركاتها جزيلة، وسجلها كنز فضيلة. وها هي في مجلاها درة بيضاء...»، السابق ص107.

(1) الآيات (27)، الأشعار (14)، الأحاديث (7)، القدسية (1).

(2) الدرة البيضاء ص120.

(3) لطيفة تناسب هذه الجمل الشريفة، السابق ص127، فائدة ص114، إشارة ص132، إشارة افتتاحية 129، تتمة لهذه الخاتمة المباركة ص139.

(4) شيخ مشايخنا الجد الأمجد القوت المفرد مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به، السابق ص113.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 1999م- 1420هـ.

الواقف منذ المنهاج الحقيقي[1]. وقبل ذلك المقدمة. وينتهي الكتاب بثلاث قصائد للتوكل على الله ومدح الرسول ومدح الرفاعي صاحب المناقب والكرامات.

ويعتمد على الأشعار أولاً ثم الآيات ثانياً ثم الحديث ثالثاً[2]. وكثرة الاعتماد على الشعر في المناقب طبيعي فكلاهما مدح مع أن «المدح هو الذبح». والخاتمة شعر[3]. وتأتي الأبيات في زخات متتالية حتى يبدو الكتاب وكأنه مجموعة من القصائد[4]. وأحاديث الرسول رؤى في المنام تتجاوز منطق الرواية، التواتر والآحاد[5]. وينتهي النسب إلى الرسول. فكل الأولياء أشراف. ومن ثم لا يمكن تناول الولي بالنقد. يُحاط بهالة من التقديس. وتجب له الطاعة. فطاعته من طاعة الرسول. وإذا كان المجتمع كله يقوم على الطاعة. فلا فرق بين طاعة السلطة الدينية وطاعة السلطة السياسية[6]. وفن السيرة للأولياء مشتق من سيرة الرسول في علم السيرة. وكلام الولي أشبه بكلام الرسول. ورواياته أشبه بروايات الرسول. وكراماته مثل معجزات الرسول، بل تتم مطابقة أقوال الرفاعي مع أقوال الرسول لبيان مدى قربهما لأنهما من مصدر واحد، لا فرق بين إلهام الولي ووحي النبي. ومعظمها روايات شفاهية تسمح بسرحان الخيال مثل روايات الكتب المقدسة[7]. لذلك تظهر بعض الإسرائيليات وروايات موسى وعيسى. وتتضمن كثير من الروايات حكايات عن الكرامات، السيطرة على مظاهر الطبيعة والقدرة على فهم لغة الحيوانات أشبه بقصص الأطفال[8]. وتُعتمد على بعض المصادر المدونة مثل «جلاء الصدر»[9]. ويؤخذ منها كثير من الاقتباسات وفي نهايتها علامة «أهـ» أي انتهى[10]. ويشد الانتباه

(1) مثل أبو سليمان داود ابن نصير الطائي الكوفي، أبو محمد محيي الدين عبدالقادر، الحسيني الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، السابق، ص448-476

(2) الأشعار (275)، الآيات (91)، الأحاديث (81).

(3) قلادة الجواهر ص470-476.

(4) السابق ص127-241.

(5) السابق ص35.

(6) السابق ص16.

(7) السابق ص210-211.

(8) السابق ص138.

(9) قلادة الجواهر ص21.

(10) حوالى 35 اقتباساً.

نحو موضوعات معينة يشار إليها بلفظ «تنبيه».

م - **«جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (1350هـ)**[1]: وهو عود إلى الوعي التاريخي عن طريق أسماء الأعلام من منظور الكرامات، كما يدل على ذلك العنوان، وطبقاً للترتيب الأبجدي وليس لأنواع الكرامات الطبيعية، الجماد والحيوان، أو الإنسانية، الحياة والموت والرزق. ويتكرر الاسم مرة بالكنية أو اسم العائلة. ومرة بالاسم الشخصي فيحال إلى اسم العائلة[2]. ويتم التوحيد بين الصوفية والأولياء أصحاب الكرامات، ودون طبقات أي عصور متتالية أسوة بالسابقين المتقدمين مثل أبي نعيم والمتأخرين مثل المناوي. وداخل الحرف يتم الترتيب طبقا للعصور.

ومع ذلك يبدأ بالصحابة، الأولياء أصحاب الكرامات الأوائل[3]. ويضم الصحابة الخلفاء الأربعة، وذرية علي والفقهاء والقادة، ثم يُثني بكرامات من يبدأ اسمه بمحمد تيمناً باسم الرسول[4]. ثم تبدأ الحروف الأبجدية بعد ذلك. أكبرها الألف اسماً اسماً حتى الثاء، ثم ابتداء من الجيم حتى الياء مجرد حروف دون أسماء. وكثير منهم غير معروفين. والمشهورون قليلون. وعددهم بالآلاف. وهل الكرامات شائعة إلى هذا الحد؟ بل إن الفقهاء كأحمد والشافعي أصحاب كرامات[5]. بل إن أم أحمد الداية صاحبة كرامة في التوليد[6]. ويختلفون فيما بينهم من حيث الكم وتوفر المادة

---

(1) المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت)، (جزءان).

(2) تم ذلك في أكثر من ستين اسما.

(3) «هذه كرامات أربعة وخمسين ولياً من أصحاب رسول الله مرتبين على الحروف»، جامع كرامات ص129-166.

(4) وهم 245 ولياً، ذكر كرامات من اسمه محمد من الأولياء، السابق ص166-386.

(5) مجموع عدد الأولياء حـ1 646، حـ2 713= 1359 ولياً.

(6) وهم: السيدة زينب، أم كلثوم، أم أيمن، الزنيرة، أم شريك، الدوسية، الفريعة الأنصارية، آمنة بنت موسى الكاظم، آمنة الرملية، أم أحمد القابلة، أم ربيع الزبيدة، أم سطل السعيدة الشريفة العابدة الزاهدة، السابق ص164-166/ 386/ 602-604. رابعة العدوية، رابعة بنت إسماعيل، رؤية بنت الشيخ داود العماوي، زهراء الوالهة، شعوانة، عائشة بنت أبي عثمان النيسابوري، عائشة بنت عبد الله البكرية، عروس الصحراء، فاطمة النيسابورية، فاطمة العيناء ابنة قاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق، فاطمة بنت عباس، السيدة مريم بنت عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم المرسي بن طباطبا، =

التاريخية[1]. ويضم الأولياء عدداً من النساء فالولاية ليست خطراً على الرجال[2]. والنجاشي من الأولياء سواء كان أسلم أم ناصر المسلمين وبقي على نصرانيته[3]. فالكل له كرامات. ومن ليس له كرامات؟ وأحياناً تأتي بعض الاستطرادات في نهاية بعض أسماء الأعلام وهم قلة مثل الشافعي والغزالي، الشافعي دفاعاً عن مذهبه ضد فتاوى ابن الصلاح بتكفير العالم كله باستثناء أهل السلف، والغزالي فيما يتعلق بالقصيدة المنفرجة[4]. وهو ما يكسر حدة الملل وتكرار أسماء الأعلام. ويزداد عدد الأولياء بتقدم الزمان. فكلما ضعفت الأمة وانهار التاريخ زاد عدد الأولياء كرد فعل من النصر الروحي على الضعف الجسدي. وتظهر ألقاب الأولياء مثل «المجذوب» ومعظمهم عرب وأقلهم ترك وفرس.

والمنهج المتبع في جمع الكرامات هو المصادر المدونة أو الروايات الشفاهية. ويذكر النبهاني في المقدمة أسماء الكتب التي نقل منها، حوالي واحد وأربعين كتاباً[5]. وتسند كل كرامة لصاحبها إن كان معلوماً وهو الأكثر أو إلى راويها إن كان مجهولاً وهو الأقل أو إلى المشاهدة العيانية المباشرة[6]. والقصد منها إثبات صحة هذا الدين[7]. فكرامات الأولياء من معجزات الأنبياء في حين أن الإسلام صادق بتصوره للعالم، العقيدة، وبنظامه الاجتماعي، الشريعة، وهناك كرامات مجهولة ليس لها أصحاب معظمها مستمد من القشيري وهي من نسج

= نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، السابق ص75/ 80/ 87/ 124/ 320/ 461-463/ 495/ 451/ 544 (23 ولية).

(1) على العمري (24)، عبد العزيز الدباغ (12)، النقشبندي (13)، ابن عربي، مصطفى البكري (12)، الموصلي (10)، الشعراني (9)، السابق حـ1 ص483/ 168-170.

(2) السابق حـ1/ 602.

(3) السابق حـ1/ 164.

(4) «فائدة مهمة تتعلق بمذهب الشافعي، السابق حـ1/ 168-171.، «مبشرة تتعلق بالقصيدة المنفرجة للإمام الغزالي، السابق حـ1/ 184-188.

(5) جامع كرامات جـ1/ 9-11.

(6) «وأسند كل كرامة إلى صاحبها إن كان معلوماً، وهو الغالب أو إلى راويها إن كان الولي مجهول الاسم، وهو قليل، وعزوت كل واحدة منها إلى الكتاب الذي نقلها منه، سوى ما شاهدته أو حدثني به من شاهده»، السابق حـ1/ 10.

(7) السابق حـ1/ 13.

الخيال الشعبي كما هو الحال في الأمثال العامية التي لا يُعرف قائلها[1].

وتعتمد كرامات الأولياء على عدد من الآيات والأحاديث والأشعار[2]. معظمها في المقدمة النظرية الأولى. وقليل منها يدخل في رسم شخصيات الأعلام. فكثرت في أولياء الصحابة وتقل تدريجياً كلما بعد الزمن. ثم يظهر الرسول يغير ذلك في المنام لاستئناف الحديث في العصور المتأخرة التي يشتد فيها الضنك، وينشط الخيال. ومما يدل على صعوبة التمييز بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء إيراد مائة حديث عن معجزات الرسول كدلائل على نبوته لا تستوي كلها في درجة اليقين لأنها بين الصحيح والحسن، أقل من ذلك أو أكثر[3]. معظمها روايات وحكايات عن الآخرين وطبقاً لرؤاهم وإدراكاتهم للرسول بين التبجيل والتعظيم والتي تصل إلى حد التقديس. وإن كانت روايات أقوال فإنها تكون قصيرة. ويتحول الحديث أحياناً إلى حكاية قصيرة أو إلى قصة طويلة تتدخل فيها ملائكة وأصوات مجهولة كما هو الحال في روايات الأناجيل.

والكرامة تحقيق للآية وتصديق للحديث. تقع الكرامة إثباتاً بصحة الدين وصدق الرسول[4].

وهناك مقدمة نظرية لإثبات كرامات الأولياء ضد المنكرين لها من المعتزلة باستثناء الحسن البصري وصاحبه محمود الخوارزمي[5]. والأدلة نقلية في معظمها، بل إن الأدلة العقلية هي أدلة نقلية[6]. وهي ليست أدلة لإثبات افتراض بل لإيجاد شرعية للاعتقاد بالكرامات سلفاً. فهي أدلة تشريعية وليست أدلة برهانية. وتفسر آيات «الولاية» في القرآن بأنها الولاية الصوفية كما تفسرها الجماعات الإسلامية الحالية على أنها أعضاؤهم في خلاياهم الذين لا يحتاجون إلى دفاع لأن ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. الولي ليس فقط اشتقاق لغوي بل هو الذي يظهر عليه الفعل

---

(1) السابق حـ2/ 574-576.

(2) الآيات (192)، الأحاديث (160)، الأشعار (71).

(3) «مائة حديث عن معجزاته، دلائل نبوته فيما بين صحيح وحسن. وأكثرها من الصحاح»، جامع كرامات حـ1، ص100-129.

(4) السابق حـ1/ 75.

(5) «المطلب الأول في إثبات كرامات الأولياء»، جامع كرامات حـ1/ 15-26.

(6) السابق ص20-23.

الخارق للعادة لإثبات أو دون إثبات دعوى. والدعوى إما أن تكون إلهية أو نبوية أو ولايتية أو سحرية من الشيطان. وتظهر الكرامة دون دعوى على أيدي الأولياء الصالحين. وهي مشروطة بطاعة الله وإلا فهو الاستدراج. ومعظم الأحاديث روايات لا أفعال، وحكايات لا أقوال. وبعضها أحاديث قدسية بها كثير من الخيال وعنصر التشويق والإخراج المسرحي والفن القصصي.

ولا يعني إنكار الكرامة أي نيل من قدرة الله أو عظمة الإيمان. فقدرة الله في الخلق العام وليست في خلق الأفعال. والإيمان يتجلى في السيطرة على قوانين الطبيعة بعد اكتشافها. وما يؤكده العرف من القيام بأفعال تفوق الطاقة مخالفة لقاعدة شرعية وهو عدم جواز تكليف ما لا يطاق. والطاقة بلا حدود. قد تأتي بأفعال غير متوقعة كما هو الحال في الحروب والقدرة على تجاوز العقبات. والكرامة ليست فقط فعل الروح. فالروح لا تفعل إلا من خلال البدن وفي عالم يخضع لقوانين طبيعية. وتظل الشبهات لإنكار الكرامة قائمة وهي أن المعجزة دليل على النبوة وليست الكرامة دليلاً على الولاية. ولا دليل عليها، ولا يمكن اقتصارها على البعض دون البعض الآخر.

والتمييز بين الكرامة والاستدراج لا يؤدي إلى إثبات الكرامة بل إلى نفيها نظرا لأنها يمكن أن تكون استدراجاً أي تحايلا والله يستدرج كما يستدرج الولي المحتال ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الله يمكر ويخادع ويملي، ويأخذ بغتة. ولا يوجد دليل قاطع على الكرامة. فالفرق دقيق بين الاستحقاق والغرور. والكرامة مغايرة للحق وكذلك الفرح بها. والغرور جهل حتى وإن كان الغرض من الكرامة إثبات التواضع وخدمة الناس. والشيطان قادر على إظهار الأفعال الخارقة للعادة. يستغني عنها الكريم دون افتخار. وليست من صفات الأنبياء وحب الأولياء لذواتهم وليس لكراماتهم. والتقوى أساس الأفعال وليست القدرة على فعل خوارق العادات[1]. وكما أن من شرط الصوفي ألا يعرف الناس أنه صوفي كذلك من شروط الولي ألا يعرف الناس عنه أنه ولي[2]. والكرامة تظهر الولاية. وظهور الولاية يبطلها. الولاية اختيار من الله وليست كسباً للعبد. يعرفه الآخرون ولا

(1) السابق جـ1/ 25-29.

(2) «مسألة في أن الولي هل يعرف كونه ولياً»، السابق جـ1/ 29-51.

يعرف هو نفسه. وشيوع الكرامة ليس دليلاً على إثباتها. فالشيوع مثل الشهرة في الحديث لا يعطي خبراً يقينياً بل يخضع للخيال الشعبي وقوانين تمدد الرواية في القصص الشعبي، وهي جزء من الفن القصصي في القرآن في الماضي وليس في الحاضر مثل قصص الأنبياء وأهل الكهف وغيرها.

والكرامات على أنواع. وهي أساس تصنيف الأولياء، وليست الحروف الأبجدية. منها ما يتعلق بالموت والحياة مثل إحياء الموتى كما فعل السيد المسيح، وكلامهم وهو ما لم ترد به رواية أو يشاهده أحد. ومنها انقلاب الأعيان، وانقلاب البحر وانزواء الأرض وقوانين الطبيعة ثابتة ومطردة. ومنها كلام الجماد والحيوان وهو موضوع لعلم اللغة باعتباره علم الإشارة، ولكل لغته، الطير والحيوان والنبات والجماد ذرات حية. ومنها إبراء العلل وهو ما يخضع لعلم الطب النبوي وعلم الطب النفسي. وطاعة الحيوانات، وطي الزمان ونشره، واستجابة الدعاء والإخبار عن الغيب، والتصريف، والقدرة على الصبر عن الغذاء أو الإكثار منه، ورؤية المكان البعيد... إلخ[1]. كل ذلك قدرة على الرؤية والتأثير والتبصر والاحتواء والتحكم في النفس. أما إمساك اللسان وتأليف القلوب، والهيبة والأمان فإنها ثقة بالنفس وقدرة على التعامل مع الآخر[2].

والكرامات نتائج الطاعات. ولا تكون الطاعات للجوارح، بل للقلوب والأفعال[3]. فالجوارح لا تعقل. وهي موجهة بالإرادة والقصد. طاعة العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والقدم من طاعة القلب. والكرامة المعنوية هي القدرة على التأثير على الآخرين وفرض احترام الذات وهيبتها عليهم وأثرها على مسار الحوادث.

وللأولياء طبقات أي مكانات ومراتب[4]: الأقطاب، الأئمة، الأوتاد، الأبدال، النقباء، النجباء، الحواريون، الرجبيون، والختم،... إلخ، ولكلٍّ وظيفة

---

(1) «المطلب الثاني: في أنواع الكرامات»، السابق حـ1/ 51-63.

(2) يذكر النبهاني خمسة وعشرين نوعاً من مائة نوع، السابق ص55-63.

(3) المطلب الثالث: «في أن الكرامات هي نتائج الطاعات، ولابد أن تكون بينها وبين الأعضاء المطيعة التي تصدر عنها مناسبات»، السابق ص93-71.

(4) المطلب الرابع في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم»، جامع كرامات ص71-83.

معرفية. وهناك أيضاً مجموعات على قلوب الأنبياء: نوح، الخليل، داود. والملائكة: جبريل، ميكائيل، إسرافيل. ومنهم مجموعات أخرى مثل رجال الغيب والظاهرون بأمر الله، ورجال الجنان والعطف الإلهي ومنهم نفوس في كل مكان مجموعات أو أفراد[1]. والدلالة العامة هو خلق أفراد متميزين لقيادة العمل الروحي وللعيش في مجتمع مثالي بديل عن المجتمع الواقعي. وهناك مجموعات أخرى لا يحصرها عدد[2]. وهناك أيضاً أهل الولاية من البشر[3].

ن ـ «بيت السادة الوفائية بالديار المصرية» لتوفيق البكري (1351هـ)[4]: وهو كتاب في الطرقية، السادة الوفائية، أنسابها وتراجمها، وزواياها وبيوتها وكنياتها

(1) «أربعة أنفس في كل زمان، وأربعة وعشرون نفساً في كل زمان، هم رجال الفتح، أنفس في كل زمان، واحد وعشرون نفساً وهم رجال الفتح وسبعة أنفس في كل زمان، واحد وعشرون نفساً وهم رجال التحت الأسفل، وثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان. منهم رجلان هما رجال الغني بالله، ورجال عين التحكيم والزوائد، ومنهم اثنا عشر نفساً بدلاء وليسوا كذلك، وخمسة أنفس رجال الاشتياق، من ملوك أهل طريق الله، وستة أنفس في كل زمان. ومنهم رجل واحد أو امرأة في كل زمان، ورجل واحد مركب في كل زمان، ورجل أو امرأة له رقائق ممتدة إلى جميع العالم، ورجل واحد هو سقيط الرفرف أو ساقط العرش، وشخص واحد يتكرر بقلبه في كل نفس».

(2) مثل الملامتية، والفقراء، والصوفية، والعباد، والزهاد، ورجال الماء الذين يعبدون الله في قصور البحار، والأفراد وهم المقربون بلسان الشرع، والأمناء، والقراء، والأحباب، والمحدثون مثل عمر بن الخطاب، والأجلاء مثل إبراهيم، والسمراء وهم الذين يحادثون الله والورثة، السابق حـ1/ 83-89.

(3) وهم الأنبياء. فأصبحت النبوة فرعاً من الولاية، والرسل، والصديقون، والشهداء، والصالحون، والمسلمون، والمسلمات، أي الأمة كلها، والمؤمنون، والمؤمنات، والتائبون، والتائبات، والصادقون، والصادقات، والصابرون، والصابرات، الخاشعون، والخاشعات، والمتصدقون، والمتصدقات، والصائمون، والصائمات، والحافظون لحدود الله والحافظات، والذاكرون لله كثيراً والذاكرات، والتائبون، والتوابون، والتائبات، والمتطهرون، والمتطهرات، والحامدون، والحامدات، والسائمون، وهم المجاهدون في سبيل الله، والسائمات، والراكعون والراكعات، والساجدون والساجدات، والحلماء، والأواهون، والأجناد الإلهيون وهم الذين لهم غلبة على الأعداء، والأخيار، والأوابون والمنبتون وهم المطمئنون، والمنيبون، والمبصرون، والمهاجرون، والمشفقون، والموفون بعهد الله، والواصلون ما أمر الله به أن يوصل، والخائفون، والكرماء كل ذلك رجالاً ونساء، السابق ص89-99.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت (1) ص7-80.

واختصاصاتها. وكلهم أصحاب مناقب وكرامات. يشوبهم التعظيم والإجلال والتقديس. ويتوارث الشيخ، أباً عن جد، وابناً عن أب حتى تبقى السلطة المشيخية في الأسرة الواحدة كما هو الحال في أنظمة الحكم الوراثية. والسؤال إذا كان في الأمّة كل هؤلاء الأولياء القادرين على صنع المعجزات فلماذا انهارت الأمة، وعجزت عن المقاومة،واحتلت أراضيها وتخلفت وتجزأت ووقع عليها القهر والتسلط من الداخل والخارج؟ ولا يذكر أحداً إلا الشيخ حسن العطار، له بنية ممكنة. فهو مقسم إلى ثلاثة أبواب: الإنسان، والتراجم، والوظائف والزوايا والمواسم[1]. وتعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[2]. فالشعر أقرب إلى المدح والقرآن أقرب إلى النقد، والحديث أقرب إلى التوجيه.

ق ـ «لوامع الأنوار وروض الأزهار في الرد على من أنكر على المتكلمين بالسنة الأحوال والأسرار» لعبد الحافظ بن على الأزهري (1303هـ)[3]: وهو كتاب للدفاع عن الأحوال والأسرار بما في ذلك المناقب والكرامات والشطحات ضد المنكرين لها من الفقهاء. والعنوان طويل ولكنه كاشف عن مضمونه السجالي.

والمؤلف مالكي المذهب خلوتي الطريقة، راجي عفو ربه. سبب التأليف الدفاع عن الأحوال. فعند ذكر السماع وصفاء الوقت، تهب عليهم رياح روحانية وتنهار منهم فيوضات، طرب ونشوة من القرب من الله، ورقص وتمايل وشق ثياب، وصياح ولسان أعجمي. فيحكم أهل الظاهر بأنها بدع خارجة على الإسلام[4].

تعتمد على كثير من نقول الغير خاصة «لوائح الأنوار» للشعراني، وهو مملوء

(1) السابق ص7.
(2) الأشعار (41)، الآيات (17)، الأحاديث (14).
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005.
(4) «تكرر على المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، وفي مدة مديدة وأعوام عديدة من جم غفير وجمع كثير من الفقراء أرباب الأحوال أجزأ الله لي ولهم الفضل والنوال، أنهم عند الذكر والسماع وطيب الوقت وصفائه من النزاع تهب عليهم نسمات رجائية، وجذبات ربانية، وفيوضات وافرة، وسطوات عز باهرة، وسكر من صافي الشراب، وطرب من شهود نور الاقتراب، وحال من الله غالب لا دافع له ولا مغالب، فتارة يرقصون ويتمايلون،وتارة يشقون الثياب، ويصيحون، وتارة يتكلمون بلسان الحال المفاض عليهم من ساحة =

بأسماء المشايخ وأصحاب الكرامات بالمئات. كما يعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. والخطاب موجه إلى القارئ ويذكر الكثير من أعلام الصوفية [2].

بعض الأبواب والفصول لها عناوين، والبعض الآخر خلو منها. ومع ذلك الكتاب ذو بنية محكمة خمسة أبواب، في كل باب من البابين الأوليين ثلاثة فصول. وفي الباب الثالث فصل واحد. وفي الرابع أربعة. وفي الخامس ستة. كل الأبواب والفصول تسير نحو هدف واحد، الدفاع عن الأحوال والأسرار لدى أهل الجذب والمناقب والكرامة. فالباب الأول عرض لهذه الأحوال التي لم يفهمها أهل الظاهر[3]. يتم عرض هذه الأحوال وإثبات شرعيتها[4]. عليهم الستر من الله وحمايتهم من أعدائهم[5]. من الناس من رماهم بالكفر والسحر والإلحاد

= الجود والفضل، وتارة يقع منهم غير ذلك مما لا يحيط بكنهه إلا السيد المالك، فيراهم الأغبياء الجهال، وهم على هذه الصفات والأحوال فيعترضون على أحوالهم، ويخوضون بجهلهم في مقالهم، ويمزقون أعراضهم كل التمزيق، ليس لهم من يرد عنهم من حميم ولا صديق. فتارة يرمونهم بالفجور والزور والكذب والبهتان، وتارة يرمونهم بالجنون والمجون والسفه وارتكاب المحرم وعدم الإيمان، وتارة يتوعدونهم بضرب النعال. ويقولون لهم من أين لكم هذا اللسان وعمّن أخذتموه، وهل لكم عليه دليل؟ فطلبوا مني هؤلاء أن أجعل لهم رسالة في شأن ذلك لتكون عوناً لهم على رد هؤلاء الخائضين في تلك المهالك...»، السابق ص6.

(1) الآيات (60)، الشعر (50)، الحديث (16)، القدسي (1).

(2) مثل: ابن عربي، ابن الفارض، الغزالي، الحلاج، الشعراني، الشاذلي، أحمد الرفاعي، ذو النون، الخراز، سمنون، البسطامي، الجيلي، الشبلي، التستري، الجنيد، أبو طالب المكي، إبراهيم الدسوقي، محمد وفا، رابعة، يحيى بن معاذ، الحسن البصري....الخ. ومن الفقهاء الأئمة الأربعة، والسبكي، والنابلسي، والجويني، والسيوطي.

(3) الباب الأول: «في بيان أحوال الأخيار وما وقع لهم من المنكرين الأشرار الذين سد عليهم الجهل والحقد والحسد باب الإنصاف، وأفضى بهم الله إلى التعصب والجور الاعتساف»، لوامع الأنوار ص8-27.

(4) الفصل الأول: «في ذكر أقوال وأحوال السادة الأقدمين الذين جعلهم الله رحمة للأمة، وهداة للعالمين، بها يتبين صدق أحوال المحبين المحبوبين، ويتضح بها فساد أقوال الجهلة المحجوبين، وتحصل لهم الرهبة والارتداع والانزجار، وللمحبين الرغبة والإتباع والتأسي بمن سبق قبلهم من الأخيار»، السابق ص8-14.

(5) الفصل الثاني: «في بيان ستر الله تعالى لأوليائه عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ولرحمته بعباده، إذا لو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسان لكان قد بارز الله بالمحاربة فيهلكه»، السابق ص15-18.

والزندقة[1]. وفي الباب الثاني تثبت الأحوال والرد على منكريها[2]. واعتبار الجهل وعدم التمييز بين الحال والمقام هو السبب[3]. ومن ثم لا يُعتد بأقوالهم وظنونهم[4]. والحال له أهله من الصديقين وليس من الجاهلين[5]. ثم يأتي في الباب الثالث في السماع[6]. والرابع في المحبة والشوق والعشق والجذب[7]. والخامس في الخلوة بشرط آدابها[8]. وأدلتها في الكتاب والسنة، والخواطر التي ترد على القلب، وفائدتها من واقعات ومشاهدات وتجليات ومكاشفات ووصول. وكلها حكايات عن الجن والمناقب والكرامات.

4 ـ الطرقية

ونظراً لطول فترة التصوف العملي من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر حوالي سبعة قرون فإنه يمكن التفكر في مرحلة رابعة مستقلة للتصوف تاريخاً وبنية[9].

(1) الفصل الثالث: «في ذكر من رمي من أكابر هذه الطائفة بالكفر والسحر والإلحاد والزندقة، وما دفع لهم من الفتن والمحن وغير ذلك»، السابق ص19-27.

(2) الباب الثاني: «في إثبات الحال والرد على منكريه. وفي بيان ما تشيره الأحوال من البكاء والصيام والاعتزاز والرقص وشق الثياب والتحكم بلسان الحال من سريانية أو غيرها من السنة الأعاجم»، السابق ص28-79.

(3) الفصل الأول: «في بيان الحال والمنام، وفي أرباب الأحوال والمنكرين عليهم الذين كان سبب إنكارهم الجهل وعدم التفرقة بين الحال والمقام»، السابق ص28-40.

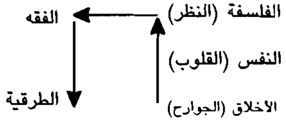
(4) الفصل الثاني: «لا تغتر بما تقوله الجهلة المبطلون الذين قست قلوبهم، وفشت عيوبهم، وسارت منهم الظنون، وكثرت جرائمهم، وانحلت عزائمهم،وبطل ما كانوا يعملون، وحكموا بما تهواه أنفسهم من الزور والبهتان وتشاغلوا بما لا يجدي إلا الخزي والحرمان..»، السابق ص41-55.

(5) الفصل الثالث: «في الكلام على لسان الحال وفي من تكلم به من الرجال، وفي الرد من الصديقين، والإبطال على من أنكره من المتمردين الحسدة والفجرة الجاهلين الذين كذبوا بما لم يحيطوا به علماً وخاضوا فيما لا يعنيهم طغياناً وظلماً، وخلطوا الحق بالباطل، وباءوا بحرمانه يقيناً لا شكاً ولا هماً..»، السابق ص56-79.

(6) السابق ص80-88.

(7) السابق ص89-111.

(8) السابق ص111-172.

(9) 

والتصوف العملي رد فعل على التصوف النظري، وعود من الفلسفة إلى الأخلاق، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح، ومن التأملات الفردية إلى الممارسات الجماعية، لخلق مجتمع مثالي جديد بديلاً عن المجتمعات المعاصرة، وكما تفعل الجماعات الإسلامية الحالية طبقا لمبدأ «المفاصلة».

وتتنوع مؤلفات التصوف العملي بين ثلاثة اتجاهات: الأول وصف الطريق وصفا نظريا قبل أن يتحول إلى طريقة عملية. والثاني الطرق الصوفية، مشايخها وتلاميذها، والثالث آداب الشيخ والمريد،والعلم والمتعلم.

1 ـ «كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب» للعياشي سكيرج القاضي (القرن الرابع عشر)[1]: إذا كانت المناقب والكرامات للأفراد أي مشايخ الطرق أو للجماعات أي الأصحاب والطريقة والأماكن الطاهرة والمدن المكرمة والبقاع الشريفة مثل مكة والمدينة مهبط الأنبياء، وللعبادات والشعائر بمعنى فضائل الصلاة والصوم والزكاة والحج. . .الخ، فهذا نموذج طبقات الأصحاب، مائتان وخمسة عشر صاحباً للتجاني، بالإضافة إلى اثنين وخمسين، مجرد ذكر لأسمائهم لغياب المعلومات التي تسمح بالكتابة عنهم. فالكتابة تجميع لمعلومات قديمة وليست بحثاً عن معلومات جديدة كما تقتضيه مناهج البحث العلمي، ومنها بعض الإملاءات المباشرة من أصحاب الشيخ بعد وفاته بقرن من الزمان تقريبا [2].

والتبويب طبقاً لأسماء الأعلام وليس الموضوعات كما هو الحال في كتب الطبقات. ولولا أنهم من طريقة واحدة حول شيخ واحد لكان أدخل في «العود إلى التاريخ»، أول بُعد في الوعي العملي. وتختلف كم الكتابة عن كل علم من واحد إلى خمسين ضعفاً[3]. ويذكر الشيخ، أبناؤه ومشايخه وتلاميذه أي محيطه في القرابة والعلم، وتسعة منهم استطراداً[4]. ومنهم سيدتان[5]. ويذكر لكل علم

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1999م-1420هـ.

(2) تمتد هذه الإملاءات من 1306 حتى 1324. وقد توفي التجاني في 1230هـ.

(3) أكبرهم الخليفة الأكبر سيدي الحاج علي حرازم برادة (22). وأصغرهم سيدي مسعود بن قوتية، وخمسة وخمسون آخرون (أقل من صفحة واحدة).

(4) كشف الحجاب ص152-163/ 167-170/ 200-202/ 236-248/ 252-258.

(5) هي السيدة صفية لبادة، لالة منانة، السابق ص382-383/ 144.

حياته، مولده ووفاته، كراماته ومناقبه، نسبه، أخوه وابن عمه، وأبواه وأبناؤه وأعمامه. لكلٍّ ألقاب، بل وأكثر من لقب، والقاسم المشترك هو «سيدي» ثم «السيد بالرغم من قول الرسول «لا تسيدوني» على شخصه فما بال الأشايخ؟. ثم يأتي لقب «الحاج» وهو ختم النسر للولاية، ثم «الفقيه»، لبيان عدم التعارض بين الفقه والتصوف، ثم «المقدم» وهي رتبة في الجيش والشرطة أيضاً فلا فرق بين مشايخ الصوفية وعسكر السلطان، بين مدح شيخ الطريقة، ومدح السلطان، ولقب «سيدي» شائع في المغرب العربي، «سيدي علي»، «سيدي حرازم» منابع مياه وأضرحة أولياء مثل «كفر» في فلسطين، و«أبو» في مصر. وقد أخذ مؤسس الطريقة التجاني أكبر قدر ممكن من ألقاب التعظيم(1). ومن ألقاب الرسول «سيد الوجود»، ولا فرق في المديح بين الثناء على الله ومدح الرسول وتعظيم شيخ الطريقة ومدح السلطان(2). وتتكرر الصلاة على النبي وزوجه(3). والرسول هو الذي أعطى المؤلف وصاياه. وسبب التأليف من العبد الفقير الذي مازال يعرج على أبواب فضل ربه، ويدعو غفران الزلل. وتقبل العلم هو اقتراح أحد الأصدقاء بالكتابة عن محيط الشيخ المعاصرين له (4).

---

(1) الألقاب: سيدي (80)، السيد (42)، الحاج (17)، الفقيه (14)، المقدم (12)، الشيخ، العلامة، مولاي (4)، عم، الشريف، سيدي الحاج، شيخ الإسلام، الخليفة الأكبر، القاضي، البركة، المحب...الخ (1).

(2) «ونصلي ونسلم على الواسطة فيها للأنام شمس المعرفة البازغة في أفق المكونات لاستنارة كل ظلام سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله والطيبين الطاهرين وجميع أصحابه الهادين المهتدين إلى يوم الدين، ورضي الله عن سيدنا وسندنا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، والقطب المكتوم، والختم المعلوم.

سيدنا أحمد التجاني شمس الهدى ملجأ الأنام
من حاز في ذروة المعالي برفع شأن أعلى مقام

كشف الحجاب ص5.

(3) السابق ص71-73.

(4) «وقد حملتني سيادتك أيها الأخ في الله ما لا أقدر على حمله.من هذا الاقتراح الذي لست أنا من أهله حيث كلفتني أن أذكر لك بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه المعاصرين له ممن أخذ عنه مشافهة أو بواسطة من تقدمه فيه لكنه اجتمع به وتبرك بالنظر إليه. فلم يسعني إلا امتثال أمرك لما أعلمه من صدق محبتك في هذا الجناب مع انشراح صدرك حتى طالبت مني ألا أذكر اسمك في الجواب طلبا للخمول بين الأصحاب. فهاأنذا أذكر لك من ثبتت عندي صحبته لسيدنا رضي الله عنه، واجتماعه به على وجه التبرك =

والمؤلف على وعي بمنهجه الذي يقوم على خمس قواعد:

أ ـ تجاوز المنهج التاريخي في كتب الطبقات بذكر تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة، بالرغم من الفائدة من معرفتهما دون سماع مباشر، فالروايات قد تخطئ. والتأكد من صدقها لقاء دعوة صالحة وليس توخيا لمقتضيات البحث العلمي وقواعد النقد والتاريخ.

ب ـ انتقاء البعض دون البعض الآخر، بعد أن امتد الأصحاب عبر الأرض شرقا وغربا(1). وهم عامة الأصحاب(2).

جـ ـ التركيز على الخاصة الدين خلفوا شيخ الطريقة واتبعوا سنته(3). لذلك يُحذر من وقوع هذا التأليف في أيدي العامة.

د ـ نقل ما تستوعبه العقول وتصفية الروايات من الخرافات والأساطير الشعبية، ودون إقلال من شأن أحد(4).

= بأسماء الجميع قدس الله أرواحهم في الجنان لما قيل:

أسرد حديث الصالحين وسمهم ... فبذكرهم تتنزل الرحمات

وأحضر مجالسهم تنل بركاتهم ... وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

السابق ص5.

(1) «ولم أسلك في هذا التقييد. سلك المؤرخين في ذكر تاريخ الولادة أو الوفاة. فإن ذلك وإن كان من أحسن الأمور وأوكدها في تواريخ الدهور لكن لعدم المعين على ذلك في هذا الزمان ولسوء الحظ في عدم ملاقاتي بعد تمييزي لواحد من أصحاب سيدنا رضي الله عنه أو لأحد من معاصريه حتى أتلقى ذلك على لسانه ولكني إسعافاً لك ولمثلك من الإخوان ذكرت بعض ما قدرت على جمعه من التثبيت في النقل رجاء دعوة صالحة من أخ صالح. والأعمال بالنيات»، السابق ص6.

(2) « لم أذكر إلا القليل منهم، ولم آت بما اختص به كل واحد منهم من المزايا إلا بالتافه اليسير فإن سيدنا رضي الله عنه لم يخرج من الدنيا بأصحابه رضي الله عنهم ولا يوجد مكان شرقاً وغرباً خالياً منهم كما يشهد بذلك تواتر الأخبار»، السابق ص6.

(3) «وقد تلقينا عن بعض الخاصة من أهل الفتح في الطريقة أن سيدنا رضي الله عنه ترك من أصحابه عند وفاته عدد الصحابة الكرام لأنه محمدي الطريق ومقام الخلافة المحمدية يقتضي ذلك. وهذا من الأمر المكتوم على غير أصحاب سيدنا رضي الله عنه أن من فيه رائحة التسليم لا يستبعد هذا منه. ولولا أن هذا التأليف يقع في بعض من لا إلمام لهم بالإطلاع على ما خص الله به الأكابر من أصفيائه لذكرنا ممن أخذ عن سيدنا رضي الله عنه ما يقتضي العجب أو يسارع إلى إنكاره المؤدي به إلى العطب»، السابق ص6.

(4) «وقد وقفنا في مشاهد الخليفة الأكبر أبي الحسن سيدي الحاج علي حرازم رضي الله =

هـ ـ استعمال بعض المصادر المدونة من كبار السن بخطهم بالإضافة إلى الروايات الشفاهية[1].

وتشمل المقدمة المولد ووفاة الأبوين وبداية شيخ الطريقة ووفاته والزاوية التي عاش فيها والتبرك بها، والاحتفال بالمولد النبوي فيها، وحفر الاسم الأعظم. عليها، والاحتفال بليلة القدر، وأخيراً الحديث عن أولاد الشيخ. وبالتالي أصبح الضريح مركزاً للاحتفالات الدينية، لا فرق بين الرسول والشيخ[2]. تُمدح زخرفتها، وتعقد لها رسوم توضيحية ومواعيد زيارتها، لا فرق بين أعتاب الزاوية وأعتاب القصر[3]. ويصل التبرك إلى حد التبرك بخشب التابوت بعد تقطيعه إلى قطع صغيرة. ومدح الأموات يؤدي إلى مدح الأحياء. ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث. والشعر أفضل وسيلة لفن المديح كما هو الحال في الشعر العربي القديم[4]. ويعتمد على عديد من الاقتباسات من الرسائل والمكاتبات وتنتهي بعلامة «أهـ.»[5]. وتخلو بعض الأعلام من الأدلة النقلية، ويحال إلى بعض أعمال المؤلف السابقة[6].

ويعتمد الأسلوب على السجع. فلا فرق بين الانغلاق في المجتمع الديني والانغلاق في فن الكتابة. فالنثر أصبح كالزاوية. وتظهر أسماء عبرية مثل صلصائيل، وبعض الحروف السريانية والسحرية[7]. ويظهر موضوع الحروف الأثير عند ابن عربي[8]. ولا توجد أي دعوات للإصلاح. ومازال وضع المرأة كما هو.

= عنه على من أخذ عن سيدنا رضي الله عنه من الخلائق ما تقف عن الخوض فيه العقول، وتعجز عن إدراك حقيقته الفحول. فلذلك رأيت أولاً عدم الخوض في جمعهم هو الأولى»، السابق ص6.

(1) «وقد استعنت في ذكر بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه بأخبار بعض المتقدمين وبعض المسنين الأكابر المتقين وتقاييد وقتها بخط بعض الإخوان في الله»، السابق ص6.

(2) السابق ص7-54.

(3) السابق ص40-44.

(4) الأشعار (328)، الآيات (49)، الأحاديث (25)

(5) كشف الحجاب ص69-70.

(6) السابق ص66-67/ 89.

(7) مثل «نور السراج»، السابق ص214.

(8) السابق ص81-89/ 135-140.

فالإماء إما للتسري و للتزويج أو للبيع أو للتحرير. والحديث عن المجاذيب بلا حرج. ويذكر الفرنسيون دون إشارة إلى الاستعمار، والطريقة تنتقل من المغرب إلى تونس[1]. والزاوية عالم مغلق، والاستعمار في العالم الفسيح. ومع ذلك يتم إبراز بعض الفوائد المحدودة [2].

2 ـ «أعلام في التراث الصوفي من آل بيت النبي (صلعم)» للحاج روايدة[3]:
وهو تأليف حديث على طريقة القدماء بالإضافة إلى بعض المقارنات مع الوافد الغربي، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن التصوف. فأصحاب المناقب والكرامات مجرد مناسبة لتجميع المعلومات، وخيط يجمع التصوف. مؤلفه أحد الأحياء من الهواة الذي يريد ترك بصماته واسمه في تاريخ التصوف.

ويضم ثلاثة مشايخ، الأول أبو الحسن الشاذلي، والثاني محمد العربي الدرقاوي، والثالث مصطفى عبد السلام القيلاني[4]. ويتم العرض بنفس الطريقة. الأول عرض النسب، والولادة، والوفاة، والآثار، والصفات، والمسائل، والمشايخ، والتلاميذ.بل ويوصف كمال جسده وجماله. فهو كامل الأوصاف. والثاني علمه وفلسفته، ومؤلفاته، ومحبته للنبي، وحكمته، وتوجيه كل شيء في حياة الولي إلى الله. والثالث شخصيته، وما في حياته من ابتلاء واغترار وفتنة، وقضاء للحاجات. والرابع الطريق الصوفي والذكر والعلم، والمذاكرات والتلاميذ، والسلوك والتجريد والزهد والفناء ومعالجة النفوس. والخامس المعارج والمراثي، والذكر والدعاء، والأحزاب والأوراد،والنصائح والوصايا والكرامات، ومؤلفاته ومراسلاته وزواياه. والسؤال هو: لماذا هؤلاء المشايخ الثلاثة دون غيرهم من كبار مشايخ الطرق الصوفية؟.

وهو كتاب هادئ مدرسي. يقوم على التفريط التقليدي.مؤلفه صوفي يكتب عن صوفية، وطرقي يكتب عن الطرقية. والكل إلى رسول الله منتسب، كما يدل

---

(1) السابق ص99.
(2) السابق ص284/ 309.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ، دار الكتاب الثقافي، دار المتنبي، إربد الأردن. وثلاثة ناشرون يدعو إلى التساؤل.
(4) الأول ص25-153. والثاني 157-263. والثالث 267-365.

على ذلك العنوان «من آل بيت النبي «صلعم». وهو أقرب إلى الدعاية منه إلى التصوف والدعوة إلى الانخراط فيه. ويُعتبر نموذج انهيار التأليف في التصوف. وتبدو أحياناً كخطبة مسجد. والمدح خطاب متصل. لا فرق بين الثناء على الله، ومدح الرسول، وتبجيل مشايخ الطريقة، وتعظيم السلطان. فالموقف النفسي واحد. وبنية الخطاب واحد. والأسلوب إنشائي مدرسي ساذج. ولا يوجد نقد واحد موجه إلى المشايخ الثلاثة الذين بلغوا أقصى درجات الكمال.

والخاتمة في التصوف والصوفية، معارجهم ومراتبهم وأقوالهم في التفسير والتأويل،وطريقهم الصوفي، ومعالجتهم للقلوب والنفوس، والمحبة للنبي والمناجاة والحكم والكرامات، والعلم والزهد والورع، والمراسلات والأسئلة والأجوبة،والأبحاث في العلوم الكونية (الفلك)، والعقائدية والفكرية والعقلية (الفكر والفلسفة)، وهي ضعف الحديث كل طل شيخ من المشايخ الثلاثة[1]. ولفظ تصوف من أربعة حروف رمز التوبة والصفاء والولاية والفناء [2].

يعتمد على القرآن والحديث والشعر[3]. وتتكرر الأدلة النقلية أكثر من مرة. والأولوية للقرآن باعتباره المصدر الرئيسي للتصوف كما يقرر الصوفية دون واقع اجتماعي سياسي فرض قراءة القرآن على نحو صوفي، وانتقى آيات دون غيرها، ورد الكل إلى أحد أجزائه. وتتوالى الآيات تباعاً في زخات[4]. كما يتم الاعتماد على الكتب المقدسة الأخرى وعلى بعض الآثار المدونة. كما يحال إلى بعض أعمال المؤلف السابقة[5] تكثر أسماء الأعلام قدماء ومحدثين، صوفية ومؤرخين وفقهاء محدثين ومفسرين. وتتكر المادة العلمية من أجل تضخيم الكتاب[6]. والاعتماد الأكثر على الذاكرة بالإضافة إلى المدونات مع تحليل بعض التجارب الشخصية ويداخلها حوار بالعامية[7]. وسلسلة المشايخ مثل سلسلة الرواة.

(1) السابق ص369-8-583.
(2) السابق ص495-496.
(3) الآيات (670)، الأحاديث (200)، القدسية (4)، الأشعار (60).
(4) أعلام التراث الصوفي ص144-149/ 358-365/ 397.
(5) السابق ص20.
(6) يقع الكتاب في 592ص.
(7) أعلام التراث الصوفي ص331/ 334.

ونظراً لأن المؤلف مازال على قيد الحياة يحضر لديه الوافد بوضوح[1]. ويتجلى الوافد في الرد على المستشرقين ضد إنكار المصدر الداخلي للتصوف، والدفاع عن التصوف ضد منتقديه، والدفاع عن المعجزات ضد منكريها[2]. ويدافع عن رينيه جينو، المفكر الغربي الذي اعتنق الإسلام، ومارتن ليمز الذي أصبح الحاج أبو بكر سراج الدين.

ويعتمد على المصادر القديمة والحديثة، على المصادر والمراجع. والحديث كله مترجمات جامعية لنصوص ودراسات[3]. وتتم المقارنات مع الغرب الوسيط والحديث[4]. الفلسفة الإسلامية القديمة يمثلها الغزالي وهو معاد للفلسفة، وهي فلسفة ابن سينا أساساً. ويكتب بالهمزة ابن سيناء والفلسفة اليونانية هي فلسفة سقراط، وأفلاطون وأرسطو، وجالينوس.

ويكثر من ذكر أعلام الفلسفة الغربية[5]. ويشير إلى بعض إنجازات العلم الحديث في الغرب مثل وصول أرمسترونج إلى القمر، ويحيل إلى بعض المؤلفات مثل «حكمة الغرب» لرسل في ترجمته العربية دون ذكر اسم المترجم[6]. ويدل ذلك كله على التعالم والتباهي والتفاخر بالمعلومات القديمة والحديثة مع إطلاق الأحكام العامة الشائعة على تاريخ الفلسفة في الكتب المدرسية والمقررات الجامعية. ويضع البعض منها في صورة سؤال وجواب وكأن المؤلف فيلسوف حوار[7]. ويوضع التاريخ الميلادي مع الهجري لتقابل المسارين الإسلامي والغربي في اللحظة المعاصرة. وتوضع صور للمؤلف في عصر الكاميرا. ويظهر بعض الألفاظ المستحدثة مثل السيارة.

---

(1) المؤلف من مواليد 1941 من أربد - الأردن.

(2) أعلام في التراث الصوفي ص13-16/ 18/ 32.

(3) أعلام في التراث الصوفي ص51.

(4) السابق ص44، الفلسفة الإسلامية، السابق ص527-579.

(5) مثل: ديكارت، بيكون، هيوم، هوبز، اسبينوزا، هيجل، رسل، هاملتون، الوضعية.

(6) أعلام التراث الصوفي ص562.

(7) السابق ص46-51/ 504/ 507.

سابعا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

ويستمر التصوف العملي على مدى تسعة قرون منذ القرن الخامس حتى الآن، منذ الغزالي وهو نقطة تجمع التصوف الأخلاقي والتصوف النفسي والتصوف النظري والتصوف العملي حتى الطرقية منذ العصر العثماني حتى اليوم عندما أصبحت مشيخة الطرق الصوفية جزءاً من رياسة الجمهورية. يعين رئيسها بقرار جمهوري. وتحضر الاحتفالات في المناسبات الدينية والسياسية مع الحزب الحاكم كجزء من مؤسسات الدولة الحديثة التي ترفض خلط الدين بالسياسة، وتأسيس أحزاب سياسية على أسس دينية.

ويبدأ الطريق كمسار روحي وجداني، داخلي باطني. ثم يتحول إلى طريقة خارجية جماعية. تتحدد في علاقة الشيخ بالمريد. وتكوين مجتمع مثالي من الأقطاب والأبدال والنقباء والأوتاد كمجتمع بديل عن المجتمع الذي يعيش فيه الناس، مجتمع مفارق مغاير للمجتمع الإنساني.

1 ـ الطريق

ويعني مسار الروح الرأسي من أدنى إلى أعلى كتوجه وقصد ويظهر ذلك في:

أ ـ مؤلفات الغزالي (505هـ):

1 ـ «**منهاج العابدين**»[1]: ويكشف العنوان أنه في الطريق. فالمنهاج أسلوب حياة وطريقة سلوك. وهو لفظ قرآني ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2]. وهو آخر ما صنفه الغزالي مع «المستصفى»[3]. وألقابه العلامة الإمام حجة الإسلام. ويدور حول تخطي سبع عقبات: العلم، والتوبة، والعوائق، والعوارض، والبواعث، والقوادح، والحمد والشكر. وأكبرها الثاني. وأصغرها العلم والتوبة[4].

(1) مكتبة الجندي، القاهرة 1954م- 1373هـ (1) ص3-194.

(2) وهو العنوان الأثير للجهة الثابتة لمشروع «التراث والتجديد» عن التنظير المباشر للواقع (نظرية التفسير).

(3) منهاج العابدين ص1.

(4) العلم (6)، التوبة (6)، العوائق (7)، العوارض (34)، البواعث (20)، القوادح (27)، الحمد والشكر (25).

وتعرض المقدمة المعوقات الأربعة: الدنيا والخلق والشيطان والنفس. تجمع بين الواقع والرمز[1]. ويتم تجاوزها بأربعة وسائل: التجرد من الدنيا، والتفرد عن الخلق، والمحاربة مع الشيطان، والقهر للنفس. ثم تظهر عوارض أخرى مثل: طلب الرزق، الخوف من الأخطار، شدة المصائب، مر القضاء. ويمكن تجاوزها مرة ثانية بأربعة وسائل: التوكل، والتفويض، والصبر والرضا. ثم تظهر صعوبات غياب البواعث الذي يؤدي إلى الفتور. وتظهر آفتا الرياء والعجب. ثم تظهر عقبة القوادح التي يمكن تجاوزها بالإخلاص وذكر المنة. ثم تظهر عقبة غياب الحمد والشكر. وسبب التأليف هو كتابة نص يحظى بالإجماع ويحصل به الانتفاع[2].

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث والإسرائيليات[3]. وتتوالى الآيات. وتطول الأحاديث[4]. كما يعتمد على العديد من أقوال الصوفية في مقدمتهم الحسن البصري ثم سفيان الثوري ثم البسطامي، والفضيل بن عياض، وأويس القرني، وإبراهيم بن أدهم، ومحمد بن واسع، ثم يحيى بن معاذ، وسهل التستري، وأبو سعيد الخدّري، وإبراهيم الخواص، ومالك بن دينار. ومن المتكلمين يذكر إمام الحرمين، والباقلاني. ومن الفرق يذكر المعتزلة أو القدرية ثم الكرامية. ومن الفرق غير الإسلامية اليهود. ومن الشعراء امرئ القيس[5]. وتذكر روايات الصوفية وكراماتهم. ويحيل الغزالي إلى باقي مؤلفاته مثل «الإحياء» وغيره[6]. ويعتمد الكتاب أيضاً على التجارب الذاتية كما هو الحال في «المنقذ من الضلال» فترتيب العقبات إلهام[7]. وهي تجارب في اليقظة وفي النوم. كما يعتمد

---

(1) «تصنيف كتاب يقع عليه الإجماع، ويحصل بقراءته الانتفاع»، منهاج العابدين ص2.

(2) منهاج العابدين ص4.

(3) الآيات (245)، الأشعار (64)، الأحاديث (53)، الإسرائيليات (7).

(4) توالي الآيات، منهاج العابدين ص41-44/ 91/ 130-131. طول الأحاديث ص165-166.

(5) الحسن البصري (4)، سفيان الثوري (3)، البسطامي، الفضيل بن عياض، أويس القرني، إبراهيم بن أدهم، محمد بن واسع (2)، يحيى بن معاذ، أبو سعيد الخدري، سهل التستري، إبراهيم الخواص، مالك بن دينار (1)، ومن المتكلمين إمام الحرمين، الباقلاني (1)، ومن الفرق المعتزلة، القدرية (2)، الكرامية (1)، ومن الشعراء امرئ القيس (1)، ومن الملوك المقوقس ملك الإسكندرية.

(6) الإحياء (6)، القربة إلى الله تعالى، الغاية القصوى، أسرار معاملات الدين (1).

(7) «فهذا هو الترتيب الذي ألهمني مولاي في طريق العباد» منهاج العابدين ص6، وأيضا ص16/ 111.

على القسمة العقلية[1]. وهو كتاب مختصر غير مطول. وهناك إحساس عام بالاستطراد[2]. ويتبع أسلوب القول، السؤال والجواب، والرد المسبق على الاعتراض، ويخاطب القارئ، ويناجي النفس.

2 ـ **«الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين»**[3]: وهو كتاب في آفة الغرور لأصناف المغرورين وكيفية التخلص منه. يقوم على القسمة العقلية المحكمة والتأليف القائم عليها والتحليل النظري العقلي الخالص أكثر من الاعتماد على الأدلة النقلية، القرآن أو الحديث دون أشعار أو إسرائيليات[4]. ولا يعتمد على أقوال الصوفية بل على تحليل التجارب الحية تحليلاً مباشراً[5]. ويقوم على الاختصار والتركيز الشديد[6].

3 ـ **«بداية النهاية»**[7]: ويوحي العنوان بالطريق. ويتأرجح بين الفقه والتصوف، بين الشريعة والحقيقة. إذ ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول في الطاعات، والثاني في اجتناب المعاصي، والثالث في آداب الصحبة. أكبرها الأول، وأصغرها الثالث[8].

---

(1) السابق ص159.

(2) «ولهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر»، السابق ص16، ولنرجع إلى المقصود ص93.

(3) مكتبة الجندي، القاهرة 1954-1373هـ (2)، ص196-223.

(4) الآيات (21)، الحديث (5).

(5) مثل: الخلق حيوان وغير حيوان. والحيوان مكلف وغير مكلف، والمكلف مؤمن وكافر. والمؤمن طائع وعاصي، وكل منهما عالم وجاهل. ويشارك الكل في الغرور. والمغرورون أربعة: علماء وعباد وأغنياء ومتصوفة، بالإضافة إلى غرور الكفار. وغرور الصوفية للمبتدئين والمخدوعين والمتمشيخين منهم. وغرور الشيوخ في مجالس الذكر والمتسكعين حوله. ويشمل غرور العلماء غرور العباقرة والفقهاء والمتكلمين والمحدثين اللغويين والقراء. ويشمل غرور العباد غرور الحجاج والوعاظ ومجاوري مكة. ويضم غرور أرباب الأموال غرور الأنبياء والمتصدقين والبخلاء. ويرتبط الغرور بأحوال النفس كالمبالغة في التخوف منه والوسوسة.

(6) «وإنا إن شاء الله تعالى أكشف عن غرورهم، وأبين الحجة فيه، وأوضحه غاية الإيضاح، وأبينه غاية البيان. وأوجز ما يكون من العبارة، وأبدع ما يكون من الإشارة»، الكشف والتبين ص197.

(7) مكتبة الجندي، القاهرة 1954م- 1373هـ (3) ص224-280.

(8) الطاعات (29)، اجتناب المعاصي (12)، آداب الصحبة (9).

تتحول الطاعات من الفقه إلى الذكر، واجتناب المعاصي من الجوارح إلى القلب، وآداب الصحبة عند الصوفية[1]. وينتهي الكتاب بالحذر من أهل هذا الزمان ومثقفيه المشغولين بالخلاف والجدال مما يدل على أن التصوف رد فعل على العصر[2].

ويعتمد على الحديث والقرآن والشعر والإسرائيليات[3]. وتتوالى الأحاديث في زخات[4]. ويطول أحد الأحاديث بحيث يكون مدعاة للشك في صحته[5]. وتذكر حكاية موسى والخضر للتمييز بين الظاهر والباطن. ويذكر الحكماء مرة واحدة. ولا يذكر أحد من الصوفية نظراً لاعتماد الكتاب على التحليل العقلي الخالص والتجارب الذاتية دون ما حاجة إلى الاستعانة بروايات الصوفية. ويتبع أسلوب القول للرد مسبقاً على المعارضة العقلي. وفي نفس الوقت هو أقرب إلى الدعوات والمواعظ في كل خطوة وأثناء كل فعل[6]. ويُحال إلى «الإحياء» لبيان وحدة المشروع[7].

---

(1) تشمل الطاعات آداب الاستيقاظ من النوم، والخلاء، والوضوء، والغسل والتيمم، والمسجد. ويشمل فقه الصوفية الذكر والمراقبة، واجتناب المعاصي للعين والأذن واللسان واليدين والرجلين والفرج، والغيبة، والكذب، والمراء والجدل،وتزكية النفس ولعن الناس والدعاء عليهم وأكل الحرام. وعند الصوفية طهارة القلب واجتناب الحسد والرياء والعجب. وتشمل آداب الصحبة مع الشيوخ والوالدين والجهلة والأخيار والحذر من مخالطة متفقهة الزمان.

(2) «وأحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال. واحذر منهم فإنهم يتربصون بك بحسدهم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون. ويتغامزون وراءك بالعيون. ويمضون عليك ثمراتك في عشيرتهم حتى يهجوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم. لا يقبلون لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة. ولا يسترون عليك عورة. يحاسبونك على النقير والقطمير. ويحسدونك على القليل والكثير. ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان. إن رضوا فظاهرهم الملق. وإن سخطوا فباطنهم الحنق. ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب. هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمهم الله تعالى. فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة» السابق ص278.

(3) الأحاديث (22)، الآيات (14)، الأشعار (6)، القدسية (2)، الإسرائيليات (1)، الحكماء (1).

(4) بداية النهاية ص225.

(5) السابق ص169-170.

(6) وهو ما يحدث أيضاً في الأرثوذكسية اليهودية.

(7) إحياء علوم الدين (5).

4 ـ **«ميزان العمل»**[1]: وهو كتاب في اقتران العلم بالعمل بالسعادة. وهو سبب تأليفه[2]. ويدور حول عدة موضوعات[3]. والصوفية نموذج الاقتران بين العلم والعمل والسعادة. وهم يفارقون غيرهم في العلم[4]. ويطابق مذهب الأشعرية. فالمذاهب إما أن تكون تعصباً في المباهاة والمناظرات أو ما تساويه في التعليمات والإرشادات أو ما يعتقد الإنسان في نفسه مما انكشف له من النظريات. والأغلب هو المعنى الثاني[5].

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. ولا يُذكر أحد من أعلام التصوف اعتمادا على التجارب الذاتية والتحليل العقلي بالإضافة إلى الأدلة النقلية. وتُذكر

---

(1) مكتبة صبيح، القاهرة 1963م-1382هـ.

(2) «لما كانت السعادة التي هي مطلوب الأولين والآخرين لا تنال إلا بالعلم والعمل، وافتقر كل واحد منهما إلى الإحاطة بحقيقته ومقداره ووجب معرفة العلم والتمييز بينه وبين غيره بمعيار وفرغنا منه، وجب معرفة العمل المسعد، والتمييز بينه وبين العمل المشقي. فافتقر ذلك أيضاً إلى ميزان. فأردنا أن نخوض فيه ونبين أن الفتور عن طلب السعادة حماقة. ثم نبين أن لا طريق إلى السعادة إلا بالعلم والعمل. ثم نبين العلم وطرق تحصيله، ثم نبين العمل المسعد وطريقه. وكل ذلك بطريقة يترقى عن حد التقليد إلى حد الوضوح لو استقصى بحقيقته وطول الكلام فيه اًرتقى إلى حد البرهان على الشروط التي ذكرناها في «معيار العلم». وإن كنا لسنا نطول الكلام ولكن نرشد إلى أوله وقوانينه»، ميزان العمل ص3.

(3) مثل الصلة بين العلم والعمل وأنهما طريق السعادة، وشرف العقل والعلم والتعليم، وأنواع الفعل، ووظائف المتعلم والمعلم، وأحوال العلم وصنيع القدماء فيه، والتحذير من الفتور في طلب الإيمان والسعادة، وتزكية النفس وقواها وأخلاقها، وارتباط قواها بعضها بالبعض الآخر، ومراتب النفس في مجاهدة الهوى والفرق بينه وبين الفعل، وإمكانية تغيير الخُلق، وطريق تهذيب الأخلاق والبواعث عليها والصوارف عنها، والأخلاق في مرتبة الفقه، والفضائل التي بها تتحقق السعادة وأمهاتها مثل الشجاعة والعفة والحكمة، وأنواع الخيرات ومراتب السعادة، والمحمود والمذموم من أفعال شهوة البطن والفرج والفضل، وكسب المال من الوظائف، وطبقات الناس في الدين، ومراتبهم بين المنهمكين في الدنيا، والغارقين في الدين، والجامعين بين الدنيا والدين، وكيفية نفي الغم في الدنيا ونفي الخوف من الموت، وأخيراً منازل السائرين إلى الله وحقيقة القرب منه وعلامات المنزلة مثل الاتفاق مع الشرع وحضور القلب مع الله.

(4) ميزان العمل ص23-29.

(5) ميزان العمل ص124-126.

(6) الآيات (85)، الأحاديث (75)، الأشعار (7).

الفرق الكلامية كالأشعرية والمعتزلة. كما يُذكر الصوفية والفلاسفة خاصة الإلهيين الإسلاميين منهم. كما تُذكر المذاهب الفقهية كالشفعوية والمعتزلة[1]. ومن الوافد اليوناني يُذكر أرسطو وأفلاطون، والشرقي الصين [2].

ب ـ **«التوبة» لابن عساكر الدمشقي (571هـ)**[3]: وهو أول مقام تعتمد فقط على الأدلة النقلية، الحديث ثم الشعر دون القرآن أو أعلام الصوفية[4]. ولا يذكر إلا سعيد بن المسيب محدّثاً وليس صوفياً، وشارحاً لغوياً لمعنى «آداب» الذي يذنب ثم يتوب [5].

حـ ـ **«مشرب الأرواح، ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله» لروزبهان (606هـ)**[6]: وهي مقامات الطريق التي تبلغ الألف مقام ومقام أسوة بألف ليلة وليلة. وهي غير المقامات مع الأحوال في التصوف النفسي التي لا تزيد عن سبع أو تسع أو أحد عشر أو ثلاثة عشر بحد أقصى، عدد فردي لا ينقسم. وهي أقرب إلى أحوال النفس، خلجاتها وخواطرتها وانفعالاتها منها إلى المقامات الثابتة. تدل على الحركة والتغير والارتقاء. هي محطات على سلم الوصول. لذلك كان العنوان غير دقيق، «مشرب الأرواح» إلا إذا كان المقصود «مسار الروح». وقد يكون أوضح عرض للطريق الروحي في هذا الوقت المبكر قبل التحول إلى الطريقة العملية في المرحلة الطرقية [7].

وهي ذات بنية محكمة عشرون باباً. وفي كل باب خمسون فصلاً باستثناء الباب الأخير واحد وخمسون. وهو تأليف تم بناء على توجيه من الخضر في لحظة كشفية. وأنواع السالكين عشرون[8]. وهي قسمة تفصيلية تحتاج إلى إعادة

(1) الصوفية، الأشعرية (3)، المعتزلة، الشفعوية، الحنفية، الفلاسفة (2).

(2) ميزان العمل ص7/ 28.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (2) ص47-53.

(4) الأحاديث (14)، الأشعار (1).

(5) التوبة ص53.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(7) «ويعادله في التصوف المسيحي كتاب القديس بونافنتورا» طريق الروح إلى الله. Itenerarium Mentis in Deum.

(8) وهم: المجذوبون، السالكون، السابقون، الصديقون، المحبون، المشتاقون، العاشقون، =

تصنيف منذ أولهم المجذوبون وآخرهم الأقطاب. فهناك تشابه بين المحبين والمشتاقين والعاشقين. وهناك تشابه آخر بين السالكين والسابقين والواصلين. وهناك تشابه ثالث بين النقباء والنجباء والخلفاء والبدلاء والأقطاب. وهناك تشابه رابع بين المجذوبين والصديقين والعارفين والشاهدين والمقربين طبقاً لمراحل الطريق، البداية والوسط والنهاية. البنية محكمة، والقسمة الرئيسية والفرعية رياضية، لذلك لا تخلو من رتابة.

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. فلكل مقام دليل نقلي من القرآن أو الحديث أو قول العارف «والله أعلم». وبعض المقامات لها عناوين من الآيات. ويندر وجود مقام بلا دليل نقلي. وإذا خلا المقام من الآية والحديث فإنه لا يخلو من قول العارف. وتتكرر بعض الآيات أو الأحاديث. ويبدو من عناوين المقامات والأدلة النقلية عليها أن الموضوع كله أقرب إلى التفسير الموضوعي للقرآن أي تجميع بعض الآيات والأحاديث حول موضوع واحد هو المقام. وتشير المقامات كلها إلى خلجات النفس وخواطرها وما يرد عليها وأحوالها كما هو الحال في الانفعالات الإنسانية. هي أقرب إلى أحوال الذات منها إلى الجماعات السياسية. وقد تستخدم آية واحدة عنواناً لمقام أو لمقامين[2]. ومن الصوفية يتقدم الواسطي ثم ذو النون والنبي الخضر ثم البسطامي والجنيد ثم سهل التستري والنهرجوري ويحيى بن معاذ ومحمد الكتاني والحلاج[3].

د ـ رسائل ابن عربي (638هـ):

1 ـ **«تحفة السفرة إلى حضرة البررة»**[4]: وفي المرحلة الأخيرة يتحول التصوف النظري إلى تصوف عملي بوصف الطريق ثم تحديد الطريقة وأخيراً آداب الشيخ والمريد. ويمثل «تحفة السفرة» تحول المقامات والأحوال وهي لب الطريق

= العارفون، الشاهدون، المقربون، الموحدون، الواصلون، النقباء، الأصفياء، الأولياء، أهل الأسرار من النجباء، المصطفون، الخلفاء، البدلاء، الأقطاب.

(1) الآيات (1120)، الأحاديث (480)، الأشعار (4).

(2) مشرب الأرواح ص253/ 316.

(3) الواسطي (5)، ذو النون، الخضر (3)، النهرورجي، أحمد الكتاني، سهل، يحيى بن معاذ، الحلاج (1).

(4) دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).

الصوفي النظري إلى تصوف عملي كما يوحي العنوان، السفر إلى الحضرة. ويتكون من عشرة أبواب تيمناً بالعشرة المبشرين بالجنة. الستة الأولى في المقامات مثل التوبة، والمحبة، وما يتعلق بها من شوق وعشق وبالأخلاق مثل الإخلاص والاعتقاد. والأربعة الأخيرة وصف الطريق مثل الرياضات والأطوار وآداب الخلوة، وصفة المريد. وينتهي ببيان المعرفة والمقام والحال. فالعمل يأتي قبل النظر. والنظر حصيلة للعمل. أكبرها صفة المريد ثم كيفية الرياضات ثم الخلوة وآدابها مع المعرفة والمقام والحال[1].

وأهم الألفاظ المذكورة، القلب ثم الروح ثم النفس ثم المحبة مما يدل على الأساس الوجداني للطريق، ثم التجلي والعقل أي التصوف النظري، ثم الحجاب والجمال والفناء، ثم باقي المقامات والأحوال وعلامات الطريق[2]. ويعتمد الكتاب على الآيات والأحاديث والأشعار[3]. كما يحيل إلى عديد من الصوفية السابقين يتقدمهم الحلاج والجنيد ثم البسطامي والسلمي ورابعة والحسن البصري ويحيى بن معاذ والأنطاكي وأبو عثمان المكي[4].

2 ـ **«شجون المسجون وفنون المفتون»**[5]: وهو عنوان أدبي يوحي بالشطحات والجنون. وهو في فلسفة العمل أو في الأخلاق العملية. قسمته ثلاثية محكمة: العمل، والعامل، والمعمول. أكبرها العامل، وأصغرها المعمول[6]. وهو مثل

(1) صفة المريد (25)، كيفية الرياضات (14)، الخلوة وآدابها، المعرفة والمقام والحال (8)، التوبة، الإخلاص، المحبة، العشق (6)، الاعتقاد، الشوق (4).

(2) القلب (23)، الروح (19)، التجلي، العقل (10)، الحجاب (7)، الجمال، الشهوة، الفناء (6) الإخلاص، المكاشفة، الخلوة، المال، الإيمان، التوبة، الحلال، الكشف (5)، البقاء، التوحيد، حق اليقين، عين اليقين، الشهود، الغيب، المجاهدة، الواقعة (4)، الرياضة، العشق، العيان، القبض، الواحدية، الوصول، اليقين (3)، الإنابة، البسط، التزكية، التمكن، الجبروت، الحضرة، الحضور، الخاطر، عالم الملكوت، العزلة، علم اليقين، غبن، الفيض، المثال، الهمة، الوحدة، الذوق (2)، وأربعون مصطلحاً، كل منها مرة واحدة.

(3) الآيات (52)، الأحاديث (33)، الأشعار (5)، القدسية (2).

(4) الحلاج، الجنيد (2)، السلمي، الحسن البصري، رابعة العدوية، يحيى بن معاذ، الأنطاكي، البسطامي، أبو عثمان (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004ص 49-128.

(6) العمل (26)، العامل (33)، المعمول (2).

«تهذيب الأخلاق»، لمسكويه. هو في التصوف الخلقي وليس في التصوف النفسي أو النظري. يغلب عليه الأسلوب الأدبي. وهو تأليف رصين بعيداً عن عبقرية اللغة. تكثر فيه الأدلة النقلية. والقرآن أكثر من الشعر، والشعر أكثر من الحديث[1]. تظهر فيه أخلاق ذي النون، وإخوان الصفا[2]. ويستعمل ملخص مظفر بن سنان للرد على الفلاسفة[3]. وسبب التأليف هو محاولة فهم الكتاب ومعانيه دون تقليد. واعتماداً عليه وحده. ثم طلب ملك الوقت منه علماً وسجنه عاماً فكتب هذه الرسالة دون ترتيب بل مجرد جمع حتى يستفيد كل قارئ منه كما يشاء[4]. فهل هو سجن بدني أم سجن روحي؟ وهي وصايا عملية للقارئ. يتقطع الخطاب بألفاظ لإبراز معانيه مثل: «مثال»، «وصية»، «نبأ»، «بيان»، «تحقيق»... إلخ[5].

(1) الآيات (97)، الأشعار (94)، الأحاديث (3).

(2) شجون المسجون ص80/ 83.

(3) السابق ص62-63.

(4) «ثم بعد ذلك شفاني الله تعالى من ذلك المرض. فعدت إلى ما اعتقد أنه نهاية الفرصة، وهو الاجتهاد في فهم معاني كتاب الله، من غير عدول إلى تقليد أو ميل عنه إلى شيء سواه. فلما كمل ما ظفرت به منه وفهمته عنه طلبني ملك الوقت ببأس شديد على خيل البريد من مسيرة خمسة عشر يوماً، وطلب مني علماً لا قبل لي به. ثم سجنني عاماً بسببه. فجمعت لنفسي تذكرة بما وصل إليّ، وفتح عليّ وسميتها: «شجون المسجون، وفنون المفتون».. لم أقيد الترتيب فيها على وفق الواجب بل جمعتها جمع الحاطب ليكون كل فصل خاتماً بنفسه. يستفيد الناظر له بحسب نظره وحدسه وجعلتها ثلاثة أبواب لأنها زبدة، ما فهمته من الكتاب، الباب الأول في العمل، والباب الثاني في العامل، والباب الثالث في المعمول به. وكل باب فيه مما قبله. وبذلك جهدي في كشف ما عندي نصيحة لمن يراه»، السابق ص52.

(5) مثال (9)، وصية (7)، بيان، (6)، نبأ، تعريف (5)،تحقيق، زيادة (4)، علاج، مضارع، فعلية (3)، خاتمة، وهج، فصل، أصل، نفس، معراج، تحذير، إيضاح، موعظة، تحذير، إعلام، (2)،حماية، معين، إخبار، متيقظ،حجة، حديث، تقوية، تعليق، عاشق، حال، منصح، تلخيص، تخليصي، تخصيصي، رسول، تعليق، إيجاز، دعوي، عجيب، فكر، موت، حكاية، تشبيه،معرفة، شكر، نظر، تدريج، تفهم، إنجاز، رجعة، خيال، سلامة ممانعة، تجريد، بداية، سير، وصول، رجل، عبد، عبودية، إظهار، ميل، مطمئنة، سؤال، جواب، نهي، تكملة، صلة أمر، موعظة، تتمة، تغريب، صحة، نظر، زهد، شيطان، حق، إلحاق، تهذيب، كشف، كمال، تلاح، جهل، تنبيه، رضا، ذوق، نظرة، تجريد، إشارة، إطلاع، عقل، ضلال، فكر، تنزيه، حال، إصحاح، ميل.

وقد يكون اللفظ لفظين مثل «تجربة وعلم»... إالخ...[1]. وقد يكون عبارة كاملة[2].

3 ـ **«النور الأسنى بمناجاة الله بأسمائه الحسنى»**[3]: وهو تحويل الأسماء الإلهية إلى موضوع للمناجاة يسبقها حرف النداء ويتحول الاسم إلى رجاء «يا رحمن» ارحم، «يا سلام سلم»، «يا غفار اْغفر»، و«يا وهاب هب»، «يا زراق أرزق»، «يا فتاح أفتح..» بدلاً من تمثلها في الواقع كما هو الحال في تعريف التصوف، التخلي عن الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية. وتنتهي ببعض الحكم[4]. وهي قضايا قصيرة مركزة للإيحاء بالعمل المباشر.

4 ـ **تهذيب الأخلاق**[5]: وهو نفس اسم كتاب مسكويه الشهير في التصوف الخلقي مع تبويب جيد تظهر فيه القسمة الأفلاطونية للنفس إلى شهوانية وغضبية وناطقة. كما تنقسم الأخلاق إلى مذمومة وممدوحة، كما هو الحال في الرذائل والفضائل الصوفية. ثم تأتي الأخلاق العملية وطريقة ارتياضها للتعود عليها. وتنتهي الرسالة في «أوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق وطريقته التي بها يصل إلى التمام»[6]. وتعتمد على التنظير العقلي الخالص دون قرآن أو حديث أو شرع أو أقوال صوفية. فهل هي إبداع خالص أم نقل عن القدماء، صوفية وفلاسفة، دون الإشارة إليهم؟

(1) مثل: شرعية: شريعة بحكمة، تجربة وعلم، بيان واف، حالة للنفس، هداية وكشف، ترهيب وترغيب، إغاثة وعلاج، تعريف وتوقيف، تنبيه ووصية، معراج وغاية، موعظة ووصية، محدود وغير محدود، موعظة في وقفة، عمل بحذر، عذر وتفهيم، كشف وإرشاد.

(2) مثل:تفضيل التفضيل، وتحصيل التنصيل، دقيقة فرقان في حقيقة إنسان. إرادة عندية في حكمة فردية، وصية مخلص ونصيحة تتخلق، كلام في النفس وفيما هو من جملة الحكمة في إيجادها، نقل من الروحية الأنف، إيضاح شريعة بحكمة رقيقة، موعظة لهم وذكرى، كشف ردى وسبيل هدى، لمحة الجنان من ملمة الجنان، يا عجيب ووعظ قريب غاية في الباب لمن عنده علم الكتاب، برهان على ما تقدم، وجود وإشارة وغاية، تفهيم وإيضاح وتفهم، زيادة فيما أشتبه من الألفاظ.

(3) المختار من رسائل ابن عربي (6)، دار الكتب العلمية ص182–189.

(4) اثنان وثلاثون كلمة ص188–189.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 ص133–172.

(6) السابق ص163–172.

5 ـ «**منهج البيان لأهل الرضوان**»[1]: وهو الطريق إلى الله الذي يبدأ بخطوتين: الأولى ترك الدنيا ظاهراً وباطناً بخلو اليد عن الآمال والقلب عن الأماني والاقتصار على الضروري. والثاني قصر الأمل وحصر الحياة على النفس. وتعتمد على تحليل التجارب الإنسانية دون أدلة نقلية من قرآن أو حديث أو شعر أو أقوال صوفية.

6 ـ **رسائل المحبة**[2]: وهو المقام الأثير عند الصوفية. وله أربعة ألقاب: الحب، والود، والعشق، والهوى. وتعتمد على القرآن والشعر دون الحديث وأقوال الصوفية[3].

7 ـ «**الأشعار عن نتاج الأسفار**»[4]: وهو مثل «الأسفار الأربعة» لصدر الدين الشيرازي، ثلاثة فقط منها[5]. من الخلق إلى الحق، ومن الحق إلى الحق، ومن الحق إلى الخلق، دون من الخلق إلى الخلق، وهو الأهم في وجود الإنسان في العالم الأفقي وليس العالم الرأسي تنزيلاً أو تأويلاً أو العالم المفارق المتعالي الذي لا يُعرف إلا قياساً للغائب على الشاهد. التنزيل والتأويل لهما غاية وهدف. أما السفر الثالث فهو النية والحيرة.

وللأسفار أسماء تفصيلية[6]. والمسافرون من الله ثلاثة: مطرود كإبليس،

---

(1) رسائل حـ6 (14) ص221-222.

(2) رسائل حـ6 (12) ص201-203.

(3) الآيات (3)، الأشعار (3).

(4) رسائل (1) حـ2 (24).

(5) «أما بعد فإن الأسفار ثلاثة لا رابع لها. أثبتها الحق عز وجل. وهي سفر من عنده، وسفر إليه، وسفر فيه. وهذا السفر فيه هو سفر النية والحيرة، فمن سافر من عنده فربحه ما وجد. وذلك هو ربحه. ومن سفر فيه لم يربح سوى نفسه. والسفران الأولان لهما غاية يصلون إليها ويحطون عن رحالهم. وسفر النية لا غاية له. والطريق الذي يمشي فيه المسافرون طريقان: طريق في البر وطريق في البحر»، السابق ص3.

(6) هي ستة عشر سفراً هي 1- سفر رباني من العماء إلى عرش الاستواء الذي تسلمه الاسم الرحمن. 2 سفر الخلق والأمر وهو سفر الإبداع. 3-سفر القرآن العزيز. 4- سفر الرؤية.... الله والاعتبار من. 5- سفر الابتلاء وهو سفر الهبوط. 6- سفر إدريس وهو سفر العز مكانا ومكانة. 7- سفر النجاة وهو سفر نوح. 8- سفر الهداية وهو سفر إبراهيم. 9- سفر الإقبال وعدم الالتفات وهو سفر لوط إلى إبراهيم. 10- سفر =

وغير مطرود كالعاصي، واجتباء واصطفاء مثل المرسلين. والمسافرون إليه ثلاثة، مسافر مشرك، ومسافر منزه، ومسافر معصوم. والمسافرون فيه اثنان، الأول بالمفعول والأفكار مثل الفلاسفة، والثاني قادتهم الأسفار إلى ما هم فيه مثل الرسل والأنبياء، والأولياء والصوفية. فالأسفار هي الحركة. والمسار تطور كما هو الحال في فلسفة التاريخ.

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث. ويستعمل القرآن أحياناً على نحو حر[1]. ومن الصوفية يذكر أبو العباس الشيخ ثم أبو مدين، ثم البسطامي، ثم التستري، ثم الجنيد، والحسن البصري، غيرهم[2]. ومن الصحابة يذكر الحسن والصديق وعمر[3]. ومن الأنبياء موسى وآدم ولوط[4]. ومن الفرق يذكر الفلاسفة ثم الصوفية والمعتزلة والأشاعرة[5].

8 ـ **«منزل المنازل الفهوانية»**[6]: وهو كتاب في المراتب والمستويات والدرجات. يحكمها كلها العدد تسعة عشر للذات وموضوعها وللمقام وأهله، وللأصول وأصحابها. بينها تطابق وسجع وجناس. وقد يطول اسم المنزل ويتوالى التطابق أكثر من مرة[7]. ولا يعرف معني الفهوانية، تماماً. وهو مصطلح للصوفية

= المكر والابتلاء في ذكر يعقوب ويوسف. 11- سفر الميقات الإلهي لموسى. 12- سفر الرضا. 13- سفر الغضب والرجوع. 14- سفر السعي على العائلة. 15- سفر الخوف. 16- سفر الحذر.

(1) الآيات (104)، الأشعار (22)، الأحاديث (4).

(2) أبو العباس الشيخ (5)، أبو مدين (2)، أبو يزيد، سهل بن عبد الله، الجنيد، الحسن البصري، أبو العباس العريني، الهونجي، فرقد السنجي، عبد الله المروزي (1).

(3) الحسن (4)، الصديق (2)، عمر (1).

(4) نوح، موسى (5)، آدم، الخليل (4)، لوط، السامري، هارون، إدريس (3)، إبراهيم، يوسف، محمد (1). ومن الشخصيات التوراتية لوط وحواء (1).

(5) الفلاسفة (2)، الصوفية، المعتزلة، الأشاعرة (1).

(6) رسائل ابن عربي حـ1 (6)، ص161-189. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(7) 1- منازل الثناء والمدح لأرباب الكشوفات والفتح. 2- منازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز. 3- منازل الدعاء والنداء لأهل الإشارة والإقصاء. 4- منازل الأفعال لأهل الأحوال والوصال. 5- منازل الابتداء لأهل الخواطر والإيماء. 6- منازل التنزيه لأولى الاستنباطات والتوحيد. 7- منازل التقريب للمتأله الغريب. 8- منازل التوقع لأصحاب السبحات والتبرقع. 9- منازل البركات لأهل الحركات. 10- منازل الأقسام للمدبرين =

منذ ابن عربي. ويعني خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال. ثم يتلوها تسعة عشر منزلاً للذات وصفاتها[1]. وتسمي هذه المنازل عند صوفية آخرين «المواقف» أو «البشائر» أو «الموارد». وقد ينقسم كل منزل إلى أقسام مثل قسمة منزل الرموز إلى خمسة أقسام. كل منها يشتمل على عدة منازل بحيث يصعب استيعاب المئات منها، والتعرف على درجاتها. ويعتمد على الشعر والقرآن دون الحديث النبوي أو القدسي[2]. ومن الصوفية يذكر الحلاج وحده، ومن أزواج الرسول عائشة، ومن الأنبياء إبراهيم. ومن المؤلفات الأخرى يحال إلى «أسرار الصلاة من التنزيلات الموصلية». وتعطى إجازة نسخ الكتاب وروايته في النهاية.

هـ ـ «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» لعز الدين المقدسي (678هـ)[3]: وبالرغم مما يوحي العنوان أنه في التأويل إلا أنه في الحقيقة في الطريق، المقامات والأحوال، قبل أن يتحول إلى طريقة وعهود بين الشيخ والمريد. ويتكون من أربعة وعشرين فصلاً غير مرقمة تدور حول ستة موضوعات رئيسية. الأول الطريق بدايته ونهايته ومنازله ودرجات القرب من الله، والمجاهدة، والتكوين والتمكين،

= عوالم الأجسام. 11- منازل الدهر لمن اغترف من النهر. 12- منازل الآنية لأرباب المشاهد الفانية. 13- منازل لام الألف لأهل السر الذي لا ينكشف إلا بعد قيام الألف من رقدتها وحل اللام من عقدتها. 14- منازل التقرير لعلماء الأكسير. 15- منازل خباء الكون للمستورين خلف حجاب الصون. 16-منازل الألفة لأصحاب الأمان والفرقة. 17- منازل الوعيد للقائمين بالعرش المجيد. 18- منازل الاستخبار للغارقين بالأسرار. 19- منازل الأمر للمتحققين بحدائق السر، السابق ص161-162.

(1) 1- فالممتدحون بأوصافهم زاهون. 2- والرامزون من الاعتراض فائزون. 3- والمتألهون بأوصاف الربوبية متخلقون تائهون. 4- والواصلون على العين حاصلون. 5- والمسيرون عند التبليغ حائرون. 6- والمستنبطون مصيبون وغالطون. 7- والغرباء المقربون عند صولة الكون منكسرون. 8- والمتبرقعون من سطوة السبحات خائفون. 9- والمتحركون بغيرهم مرزوقون. 10- والمدبرون بالفكر سالكون. 11- والممكنون بوضع الحدود مكلفون. 12- والمشاهدون إذا سألتهم حاجمون. 13- والكاتمون مجهولون فهم سالمون. 14- والعالمون على الأشياء والمعلومات حاكمون. 15- والمستورون عند الحقيقة منتظرون. 16- والآمنون في مواطن الدنيا مخدوعون. 17- والقائمون عند الله قاعدون. 18- والملهمون في الأكوار محكمون. 19- والمحققون بالثلاثة الأحوال ظاهرون، السابق ص162-163.

(2) الأشعار (20)، الآيات (8).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت.

والطريق من المبدأ إلى المعاد[1]. والثاني في المقامات مثل المحبة والأحوال مثل أحوال الرسول وما ينزل عليه من الواردات وأحوال القوم في الأسفار[2]. والثالث معرفة النفس كمقدمة لمعرفة الرب، وتشبيه مملكة النفس بالمدينة، والروح والقلب[3]. والرابع المعرفة، معرفة الله بالله، وما يجب معرفة الله به وعلامات العارف[4]. والخامس السماع وهو الطريق إلى المعرفة، ومن حضر من السلف، مفهومه وأقسامه، وحكم الضرب بالدف والرقص والغناء وأحوال أهل السماع[5]. والسادس كرامات الأولياء والتصوف الصحيح بعد أن بدأ بالانحراف والتحول إلى الشعوذة والخرافة[6]. تحول الفقر إلى مراءاة باللباس، وحلق الرؤوس وترقيع اللبوس. تحولت العبادة إلى حمل السجادة، والزهادة إلى التخشين الوسادة، والمديح إلى حمل المسبحة، ولبس الطاقية والتحامل على العكاز. . .الخ[7]. ويعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار[8]. وتتكرر الأحاديث. وتظهر الأحاديث القدسية بما فيها من خيال وإخراج مسرحي وفن قصصي. ويظهر الرسول في المنام ويحادث الأولياء. وتنقل عنه الأحاديث[9]. ويحال إلى الصوفية السابقين يتقدمهم الشبلي، ثم أبو طالب المكي، وأبو عثمان المغربي، ثم البسطامي،

(1) بدايات الطريق، المجاهدة، منازل الطريق، درجات القرب من الله، التلوين والتمكين، الطريق من المبدأ إلى المعاد، حل الرموز ص69-87/ 107/ 111/ 119-123/ 145-151.

(2) أحوال المحب، تبادل الحب بين المحب والمحبوب، حقيقة المحبة، أحوال النبي وما كان ينزل عليه من الواردات، أحوال القوم في الأسفار، السابق ص87-111/ 151-155.

(3) معرفة النفس وما يلزم منها من معرفة الرب، مملكة النفس كالمدينة، قوت القلوب والأرواح، السابق ص123-31/ 181/ 185.

(4) فيما يجب من معرفة الله، بالله عرفنا الله، علامات العارف، السابق ص131-145.

(5) السماع فيجب السماع من السلف، مفهوم السماع وأقسامه، حكم الضرب بالدف والرقص والغناء، أحوال أهل السماع، السابق ص155-181.

(6) كرامات الأولياء، التصوف الصحيح، السابق ص193-201.

(7) «وأما من ظهر من جهال الطريق، ويبرز بالعدول عن التحقيق، وتقشفوا تقشف أهل التجريد والتمزيق حتى أوقعوا عقول العامة في الحرج والضيق وهووا وإياهم بأهوائهم في مكان سحيق فأولئك هم والله الأسوؤون حالاً، الأخسرون أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»، السابق ص193.

(8) الآيات (106)، الأحاديث (43)، القدسية (7)، الأشعار (27).

(9) حل الرموز ص12.

والمحاسبي، والسري السقطي، وذو النون، ومعروف الكرخي، ويحيى بن معاذ، وغيرهم مثل قضيب البان، وعبد الكريم بن عبد الواحد، كما يحال إلى «إحياء علوم الدين»[1]. ويظهر التوافق بين الفقهاء الصوفية بالإحالة إلى أحمد بن حنبل ثم الشافعي[2]. كما تبدو الإسرائيليات. وتبرز المحسنات البديعية كالسجع، والتكلف في الأسلوب وكأنه من الشطحات كنوع أدبي.

و ـ **«عنوان التوفيق في آداب الطريق» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)**[3]: السلوك هو الطريق، آدابه المستقلة عن آداب الشيخ والمريد. هي آداب الذات مع نفسها. وهو خطاب موجه إلى القارئ لإرشاده وتوجيهه. يعتمد على القرآن والحديث والشعر، والأولوية للشعر ثم للحديث[4]. ولا يحال إلى أحد من الصوفية لأنها إرشادات للمريدين[5]. ولا يوجد موضوع نظري محدد. إنما هي تنبيهات على أن اللذة في صحبة الطريق، وهي صحبة الفقراء في صمت. ويصل الأمر إلى اتهام الذات بالفقر والعجز والذل والعبودية، ومطالبتها بالتواضع والانكسار والانخفاض والاعتراف بالذنب وطلب المعذرة والاستغفار.

ز ـ **«في تقسيم السلاك إلى الله أربعة أقسام» للكاشاني (730هـ)**[6]: وهي رسالة قصيرة في الطريق. فطالبو السلوك إلى الله أربعة: الراسخون في العالم، أصحاب الفطر الطبيعية، الجامعون بين الاثنين، والخالون منهما، والنفحات الإلهية فائضة على الجميع. وتختلف النفوس التي هي في الأصل نفس واحدة في استعداداتها في المواهب والمكاسب والرياضات والمجاهدات، والظاهر والباطن. وتعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[7]. وتعوض

(1) الشبلي (3)، أبو طالب المكي، أبو عثمان المغربي، البسطامي (2)، المحاسبي، السري السقطي، ذو النون، معروف الكرخي، يحيى بن معاذ، قضيب البان، عبد الكريم بن عبد الواحد، القشيري، رابعة، الدينوري... إحياء علوم الدين.

(2) أحمد بن حنبل (3)، الشافعي (2).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1424هـ (1)، ص9-57.

(4) الأشعار (22)، الأحاديث (7)، الآيات (2).

(5) لا توجد إلا إشارة إلى واقعة زيارة السلطان لقبر أبي يزيد البسطامي، عنوان التوفيق ص52.

(6) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ، (17)، ص177-179.

(7) الآيات (2).

عن ذلك بالتنظير العقلي والقسمة[1].

ح ـ رسائل زروق الفاسي (899هـ):

1 ـ **«كتاب الإعانة»**[2]: وتعني الإعانة هنا المساعدة على سلوك الطريق. ووضع قواعد للتصوف أشبه بعلم القواعد الفقهية الملحق بعلم أصول الفقه. والعنوان الطويل هو «إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين» يبين الهدف من الكتاب وهو مساعدة سالك الطريق[3]. يستعمل لفظ التمكين قبل استعمال المعاصرين له في علم الاجتماع لوصف الدور المتزايد للمرأة في الأسرة والمجتمع[4]. وبقدر ما يقوم على الأدلة النقلية الأحاديث والآيات والأشعار فإنه يعتمد على القسمة العقلية المتعددة والتي يصعب معها وضعها في فصول أو أبواب مرقمة كالشجرة المتفرعة من الجذع إلى الفروع أو العنقود المتنوع من العنقود الكبير إلى العناقيد الصغيرة[5]. ولا يذكر لفظ «فصل» إلا مرة واحدة وكأنه الكتاب كله بالرغم من تقسيماته فصل واحد[6]. وتحتاج إلى رسم بياني للكشف عن القسمة التي هي بنية الموضوع وهو الطريق. وينقسم إلى ثلاثة مواقف: الأول التوبة، والثاني الاستقامة، والثالث التحقيق. الأول للماضي، والثاني للحاضر، والثالث للمستقبل. الأول التخلي، والثاني التحلي، والثالث التجلي. وأكبرها الموقف الأول وأصغرها الثالث.

وينقسم الموقف الأول إلى ثلاثة أقطاب: تحقيق النية، ورد المقام، واجتناب المحارم. أكبرها الثالث وأصغرها الأول[7]. ثم ينقسم القطب الأول تحقيق النية إلى دواعي الثبات ودواعي الرجوع. ودواعي الثبات هي: الفرار من كل ذنب، اتهام النفس بالنزوع، إشعال النفس بما يقابله. وتنقسم دواعي الرجوع إلى: الغفلة

(1) حل الرموز ص69–70/ 72/ 137.
(2) الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1979م– 1399هـ.
(3) السابق ص40.
(4) التمكين Empowerment.
(5) الأحاديث (36)، الآيات (22)، الأشعار (3).
(6) الموقف الأول (38)، الثاني (17)، الثالث (6).
(7) القطب الأول (21)، الثاني (14)، الثالث (3).

عن الندم، معاودة طرق محل الذنب، الثقة بالنفس في عزمها على التوبة. ثم ينقسم القطب الثاني وهو رد المظالم إلى ثلاثة معالم: الأول سيئات مجردة، والثاني استدراك الحقوق، والثالث مظالم العباد[1]. ثم ينقسم القطب الثالث، اجتناب المحارم إلى أربعة أركان: العالم الباعث عليها، ووجوه العمل بالتقوى، وأحوال التقوى، ومداخل العلل[2].

---

(1) ففي السيئات المجردة علامة صدق التوبة ثلاث: حلاوة الترك، ونسيان الخلق، والعمل بأسباب الثبات. وعلامة بقائها في النفس ثلاث: الاستئناس بذكر الذنب، منافرة النفس في مقاماته، والتشوق لمن بُلي به. وميراث الترك ثلاثة: لذة العبادة، وتحقيق الإرادة، ووضع النجاة. وميراث المعصية ثلاثة: الذلة في النفس، ظهور الكشف، وبخس الحظ. والمعلم الثاني استدراك الحقوق ثلاثة أيضاً: محصورة وغير محصورة، ومشكوكة. وميراث العمل ثلاثة: تسهيل الاستقامة، إفراد القلب، الوقوف في محل الصدق. وميراث الإهمال الثلاثة الميل إلى الرخص، التشدد في الإقامة، والإكثار والاستعجال. والمعلم الثالث، مظالم العباد ثلاثة: الظلم في النفس، والظلم في المال، والظلم في المرض. ومصادره ثلاثة: إلحاق الضرر، والمعرة، والنقص، وميراث رد المظالم ثلاثة: تنوير القلب، وتحقيق القصد، ووجود العز. وميراث التمسك بالمظالم ثلاثة: تمكن الظلمة، زيارة المرأة، نقص التوبة. ودواعي التمسك بالمظالم ثلاثة: الكبر والبخل، التوهم. ودواعي التحامل على ردها ثلاثة: احتقار النفس، والصلة بالله، وانتعاش الهمة.

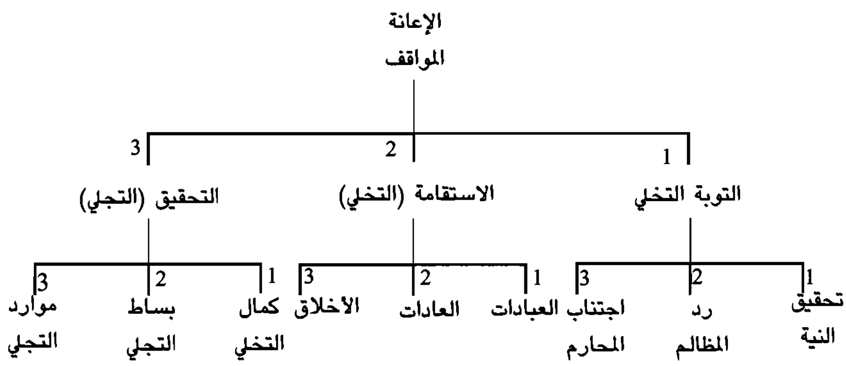
(2) والركن الأول العلم الباعث عليها أربعة أنواع: العلم بفضلها، وذم نقيضها، والعلم بتفاصيلها، والعلم بمواقفها. والعلم بتفاصيلها ثلاثة أصول: تمكين الحقيقة، والالتفات للذنوب، والالتفات لمطلق التحصيل. والعلم بمواقفها أربعة أطراف: موضع التقوى من العبادات، وموضعها من العادات، والأخلاق والنصيحة، وتعرف المجهولات. وموقع التقوى من العبادات ثلاثة أوجه: الخطأ في الفعل، وفي المعاني، وفي الحكم. والموقع من العادات ثلاثة مواقع: الأخذ والترك، والتناول، والتقلب. والناس في ذلك ثلاثة: عال الهمة، وصاحب الرفعة، ومتهور. ولعالي الهمة ثلاثة عوارض: الطمع، والبخل، والكبر. ولصاحب الرفعة ثلاثة أصول: قلة المبالاة، والاستظهار، والاصطلاح للمخالفات. وللمتهور ثلاث آفات: التجسس، والاسترشاد مع الطبيعة، والتعزز والاستبداد. وتعرف المجهولات بثلاثة أوجه: معرفة الوجوه المحمودة، وكيفية العمل، ومقاصد أمور الخلل. والخطأ في الحكم ثلاثة: بدعة صريحة، وبدعة إضافية، وبدعة خلافية. وفي البدع الخلافية الناس ثلاثة: عالم، ومقتد، وعامي. والمنبهات ثلاثة: تسلط الخلق، وامتداد النفس، والمحنة بالذنوب. والذنوب ثلاثة، مفكرات، ومذكرات، وعقوبات. والركن الثاني، وجوه العمل بالتقوى ثلاثة تكمن العلم بفائدتها وضع عوارض الذنب، والاحتياط منه. والركن الثالث أحوال التقوى ثلاثة: إرسال اللسان بالغيبة، وتولف القلب بالخلائق، وعدم التوقف في التناول. والركن الرابع، مداخل العدل ثلاثة: غلبة الشهوة، والهوى، =

والموقف الثاني، الاستقامة، ينقسم إلى ثلاثة بسط «العبادات، والعادات، والأخلاق والمعاملات»[1]. والموقف الثالث، التحقق، له ثلاث مقدمات: كمال التخلي، وبساط التحلي، وموارد التجلي[2].

ويعتمد كتاب «الإعانة» على الأحاديث ثم الآيات ثم الأشعار[3]. وهذا يدل على الخروج من الفروع أكثر من الأصول. كما يعتمد على الصوفية السابقين،

= والغفلة. أما وضع العلم نفسه فأربعة أوجه: بصيرة نافذ، وشيخ صالح، وأخ صالح ورجوع إلى الحق.

(1) وفي العادات الناس ثلاثة: ترك الدناءات تضرراً، ومراعاة الخلق، وعدم مراعاته. وعدم المراعاة ثلاثة: اتفاق الظاهر والباطن، ومراعاة الظاهر للباطن، ومخالفة الظاهر للباطن. وفي الأخلاق أصول المحامد ثلاثة: طرح النفس، وسلامة الصدر، واحتقار الدنيا. وفي المعاملات ثلاثة مراصد: معاملة النفس، والخلق، والحق. ومعاملة النفس ثلاث: وسمها بالتقوى، وتحقيقها بالاستقامة، وتحقيقها بالمعرفة. ودفع الضرر من ثلاثة أوجه: حصر كل من كل، وحصر النوع المأخوذ فيه، وحصر الوجه المأخوذ به. ومعاملة الخلق ثلاثة: الغربة فيهم، وحسابهم موتي، والرحمة لهم. ومعاملة الحق ثلاثة: امتثال أمره، والتحفظ في الامتثال، وحفظ الحرمة.



(2) وكمال التخلي ثلاثة أشياء: تحقيق التقوى بالورع، وكمال الاستقامة بالإتباع، ونفي الشواغل. وبساط التخلي ثلاثة أمور: إضعاف قوى النفس، وتقوية الدواعي بالذكر، وانتهاج الحقيقة. وموارد التجلي ثلاثة أقسام: ظهور الفاقة، ووجوه الإطلاق، وإعطاء كل حقيقة حكمها. وذلك يتطلب ثلاث ضروريات: وجود المربي، والأخ المعين، وتفقد الحال. كتاب الإعانة ص83-104.

(3) الأحاديث (37)، الآيات (23)، الأشعار (3).

يتقدمهم الجنيد ثم المحاسبي والسلمي ثم الشبلي والغزالي، والجيلاني والجريري والشاذلي وغيرهم[1]. ويحيل إلى مصادر مدونة. كما يقتبس من النصوص المتأخرة بعلامة «أهـ.»[2]. ويبدو على الكتاب طابع التجميع. بل إنه يبدأ بتقسيم القلب طبقاً للطب. فلا نفس بلا بدن. وحياة البدن بالإقلال من الطعام[3]. وتستعمل عدة ألفاظ للتنبيه على مقاطع الكتاب مثل: تنبيه، تقسيم، رجوع، فصل، خاتمة، نكتة، فائدة، تكملة. وتتعدد أقسامه إلى مواقف وأقطاب وأطراف وأركان وبسط وضروب ومراصد، وتراكيب، ومقدمات وخواتيم[4]. ويتم ذلك كله في إطار من نسبية المعرفة في تعبير «الله أعلم» ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. ويتوجه الخطاب للقارئ بلفظ «فافهم» وندائه بالأخ[5].

والتصوف يخترق المذاهب الفقهية الأربعة. فالجنيد ثوري، والمحاسبي شافعي، والشبلي مالكي، والحريري حنفي، والجيلاني حنبلي، وابن عربي صاحب التأويل ظاهري[6]. والفرق بين الفقهاء والصوفية أن الأصولي الفقيه يسقط الحرج، والصوفي يؤثر الكمال. الأول يأخذ بالأوقع، والثاني يتحرى الأحسن. وكلاهما صواب[7]. ويأخذ الصوفية بمذهب السلف في الاعتقادات، نفي التشبيه وإثبات التنزيه دون تأويل أو أباطيل. ويقولون بقول مالك الشهير في الاستواء[8].

2 ـ **«قواعد التصوف»**[9]: وهو مثل قواعد العقائد في علم الكلام المتأخر عندما يضع كم قاعدة على المؤمن أن يؤمن بها ثمان وأربعين تزيد حتى اثنين

---

(1) الجنيد (3)، المحاسبي، السلمي، الشاذلي، مالك (2)، الغزالي، الشبلي، الجيلاني، الجريري، يوسف بن الحسين ابن الحجاج، الشاطبي، البرزلي، مالك (1)

(2) الإعانة ص86.

(3) السابق ص38.

(4) السابق ص40-45.

(5) السابق ص45/ 66.

(6) السابق ص69.

(7) السابق ص67-69.

(8) «فالصوفي لا يفارق السلف في معتقده، ولا يفارق الفقهاء في معتمده لأن العقائد رأس ماله، والأحكام أساس أعماله، فالمخاطرة بهما ضرر، والعمل بغير المذهبين المذكورين فيهما غرر»، السابق ص68.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ ص195-202.

وخمسين في الله وفي الرسول طبقاً لأحكام العقل الثلاثة الواجب والممكن والمستحيل»[1]. وتضم مائتين وخمس وعشرين قاعدة بلا عناوين. تبدأ بقواعد نظرية خالصة أدخل منها في نظرية العلم والمنطق عند الأصوليين، أصول الدين وأصول الفقه. تحتاج إلى إعادة تصنيف في مجموعات أقل. فيصعب على السالك أن يتبع هذه المئات من القواعد[2]. القواعد تعريفات وموضوعات ووصايا. وليست كلها في صيغة الأوامر والنواهي الفقهية والمواعظ والوصايا الخلقية. وهي على درجة عالية من التنظير والتجريد. تبدأ بالمنطق، تعريفاته وحدوده تصوراته وتصديقاته، ومستقاه من علم أصول الدين بشقيه، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. وتغلب عليه مصطلحات علم أصول الفقه مثل الأصل والفرع، والعموم والخصوص، والإحكام والتشابه. والسؤال هو: إذا كانت قواعد التصوف، نصائح عملية للمتعلمين فلماذا هذا المدخل النظري العملي المنطقي؟ قد يدل ذلك على أن التصوف العملي لم يخل من تأسيس نظري. ويتجلى التحليل النظري في القسمة وهي إحدى طرق التعريف[3]. ويفضل المؤلف الطريقة الشاذلية[4].

وتعتمد على القرآن، والحديث أكثر[5]. وتتوالى الآيات أحياناً في دفعات متتالية[6]. ويطبق النص مع التجربة الصوفية، وهو دليل على الصدق أفضل من السند[7]. كما تعتمد على خمس وثلاثين قولاً من مائة وخمس وثلاثين علماً من أعلام الصوفية والفقهاء والصحابة. يتقدمهم الجنيد ثم الشاذلي ثم الجيلاني والمحاسبي ثم أبو بكر. ومن الأنبياء يظهر موسى، ومن رموز الصوفية المتخيلين الخضر. يتلوه سفيان الثوري وابن عربي والشبلي والداراني وأبو العباس المرسي

(1) من العقيدة إلى الثورة حـ1، المقدمات النظرية، ص195-203.

(2) مثل الحدود والتعريفات للعلم، تعريف التصوف، الذات والصفات، الأصل والفرع، العلم والعمل، الطريق والطريقة، العبادة، السماع، المعجزات والكرامات، الفضائل والرذائل، المواعظ والوصايا، محاسبة النفس، . . . الخ.

(3) القسمة، قواعد التصوف ص30/ 34/ 45/ 50/ 54-56/ 60-61/ 84-85/ 90-91/ 31-32.

(4) السابق ص58.

(5) الأحاديث (99)، الآيات (62).

(6) قواعد التصوف ص104.

(7) السابق ص60.

وابن سبعين والسهروردي والتستري والغزالي، ثم ابن عطاء الله وابن الفارض والبوني، ثم القشيري والخراز وأبو نعيم الاصفهاني وابن الجلاء والحسن البصري والحلاج والخواص وسمنون والسلمي وسهيل والكرخي. ومن الفقهاء مالك بعد الجنيد، ثم الشافعي، ثم ابن الجوزي، ثم أبو بكر بن العربي، ثم أبو حنيفة وابن حزم وابن فورك وابن حنبل وغيرهم، ثم الطرطوشي[1]. ومن الصحابة يتقدم عمر ثم علي ثم ابن عباس ثم أبو هريرة. كما يعتمد على كتاب المؤلف الآخر «عدة المريد الصادق»[2]. ويأخذ منه عدة اقتباسات تنتهي بلفظ «انتهى»[3]. ويعتمد أحياناً على بعض الإسرائيليات[4]. ويخاطب القارئ على نحو مباشر لدعوته وتجنيده[5]. وتنتهي بعض الفقرات بلازمة «والله أعلم» تأكيداً على نسبية المعرفة[6].

وبالكتاب نزعة إصلاحية ضد مدعي التصوف وإسقاط التدبير والكرامات[7]. فقد كُتب أثناء سقوط الأندلس. وتوفي المؤلف عامين بعده[8].

---

(1) الجنيد (14)، مالك (10)، عمر بن الخطاب (9)، الشافعي، ابن أبي جمرة (6)، الشاذلي، الحاتمي، الخضر، الجيلاني، المحاسبي (5)، أبو بكر، الحضرمي، ابن العريف، سفيان الثوري، ابن عربي، الشبلي، علي بن أبي طالب (4)، أبو سليمان الداراني، أبو العباس المرسي، أبو عبد الله القوري، ابن الحاج، ابن سبعين، ابن سيرين، ابن عباس، ابن المسيب، السهروردي، التستري، عثمان، الغزالي، النووي (3)، أبو مدين، أبو هريرة، أبو يعلى، ابن عطاء الله، ابن الفارض، البوني، الطرطوشي، القشيري. . .الخ (2). أبو بكر بن العربي، أبو حنيفة، الخراز، أبو نعيم الاصفهاني، ابن الجلاء، ابن حزم، ابن عباد، ابن فورك، ابن حنبل، الحسن البصري، الحلاج، الخواص، سمنون، السلمي، سهيل، معاذ، معروف، الثوري، الهروي. . .الخ (1).

(2) قواعد التصوف ص14.

(3) السابق ص3.

(4) السابق ص135.

(5) بلفظ «فأفهم»، السابق ص25/ 31.

(6) السابق ص 25.

(7) السابق ص126-128.

(8) كان العصر عصر اضطرابات في أواخر الدولة المرينية. احتلت البرتغال ثغورها عام 818هـ. والقصر الكبير عام 863، وطنجة عام 869، وأصيلة في 876. وطرد الأسبان أهل الأندلس من غرناطة وشردوهم ونكلوا بهم حتى أسقطوها في 897هـ. وأدّعى السياف النبوة ونزول الوحي عليه»، السابق ص6

لذلك يجمع بين التصوف والفقه[1]. فالكتاب نوع من الفقه الصوفي أو التصوف الفقهي. يتعامل مع المذاهب الفقهية قدر التعامل مع الطرق الصوفية[2]. يحارب أهل البدع والأهواء. وينقد تعدد الطرق وتنافرها. فكل شيخ طريقة. البعض يعتمد على الأدلة النقلية وحدها في حين يعتمد البعض الآخر على التأويل الباطني[3].

ط ـ «رسالة الإخوان إلى سائر البلدان» لابن ميمون الغمري (917هـ)[4]: وهي رسالة في الطريق، طريق السلوك إلى الله. تبدأ بنظرية الذات والصفات والأفعال إلى الله. وهي غاية الطريق ومنتهاه بالرغم من صياغته النظرية التي لا تفيد في الطريق العملي. ثم تبدأ الأحوال، وتفصيل المقامات ابتداء من التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة ونهاية بالأبدال والأقطاب. ولكل مقام ثلاث مستويات عامة وخاصة وخاصة الخاصة. فالعلم طبقاً لمستويات فهم العالم. وسبب تأليف الرسالة هو إجابة على سؤال عن كيفية الدخول في الطريق وآداب السلوك[5]. وكانت الإجابة بعد الاستخارة وليس بقرار شخصي. وتبرز علاقة التصوف بالأشعرية. والرسالة موجهة إلى القارئ، وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. ويحال إلى بعض المتكلمين مثل النسفي والأشعري، وبعض الفرق مثل المعتزلة والأشاعرة والخوارج، والزيدية والروافض والحنفية. كما يذكر بعض الصحابة مثل علي. ومن الأنبياء يحال إلى موسى وداوود ومحمد والخضر[7]. ويحُال إلى «منهاج السالكين». وتظهر بعض مصطلحات العلم الحديث مثل المغناطيسية[8].

---

(1) «فالقصد بهذا المختصر وفصوله تمهيد لقواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة» السابق ص21.

(2) السابق ص118-119.

(3) السابق ص5.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2003 (2)، ص7-53.

(5) «فقد سألني بعض الإخوان في الله، المريدين لله، أن أرسم رسالة إلى الإخوان في سائر البلدان، أذكر فيها كيفية الدخول في باب هذا الطريق، وآداب السلوك من أهل هذا الفريق. . .»، السابق ص7.

(6) الآيات (49)، الأحاديث (12)، الأشعار (6).

(7) موسى، داود (3)، محمد، الخضر (1).

(8) السابق ص32.

ي ـ «رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن» لابن ميمون الفُجاري (917هـ)[1]: وهي رسالة في الطريق. وهو سبب تأليفها[2]. تضم سبعة فصول، عناوينها آيات قرآنية[3]. كل فصل أصل. الأصل الأول عن الذكر الفرق بين الذكر والعلم، والظاهر والباطن والفقه والفقر، وعلى وجه الاقتصار. لا فرق بين علم المؤلف وحياته الشخصية وتجاربه ورحلاته. والثاني موضوع الذات والصفات والأفعال. وهو موضوع نظري خالص في علم الكلام المتأخر طبقاً لأحكام العقل الثلاثة. ليس له علاقة مباشرة بأحوال الطريقة[4]. والثالث عبادة الإنس والجن، ظاهراً وباطناً، والحديث عن الجن قياساً للغائب على الشاهد. والرابع العبادة والإخلاص. والخامس النفس الأمارة بالسوء. والسادس عداوة الشيطان وكأنه موضوع معروف. والسابع غرور الدنيا. والآية بديل عن التصور أو الموضوع مما يدل على عجز في الوعي النظري. ويستعمل القرآن والحديث والشعر وبعض الأمثال العامية[5]. وتكثر أسماء المشايخ إلى حد لا يمكن حصرها. إذ تتوالى المشايخ كما يتوالى الرواة والرسول صدى لأحوال العصر والزمان، سيادة فقه اللسان على فقه القلوب[6].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003 (1)، ص29-133.

(2) «سنح في سري أن أكتب رسالة على ما اقتضى سلوك الطريقة المحمدية الممدة من أسرار العلوم اللدنية حسبما منّ به عليّ على يد أستاذي الشيخ العارف بالله أبي العباس أحمد بن محمد الدباسي الأفريقي. . .»، السابق ص31.

(3) الفصل الأول ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. الفصل الثاني ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. الفصل الثالث ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. الفصل الرابع ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. الفصل الخامس ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾. الفصل السادس ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾. الفصل السابع ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾. السابق ص33.

(4) من العقيدة إلى الثورة حـ1، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص 195-203.

(5) الآيات (465)، الأحاديث (73)، القدسية (5)، الأشعار (1)، المثل العامي (1). والمثل العامي مثل «يوم الامتحان يكرم المرأ أو يهان»، رسالة الإخوان ص105.

(6) «فأما المنتسبون إلى الفقه، وأعني بالفقه المصطلح عليه في هذا الزمان وهو فقه اللسان. وأما فقه القلب الذي هو الفقه الحقيقي فهو معدوم في زماننا هذا بفقد حامله»، السابق ص93.

ك ـ رسائل أحمد المستغانمي (1353هـ):

1 ـ «الله القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد»[1]: وهي مشكلة جواز ذكر الله بالاسم المفرد مثل «الله»، «الله» دون وضعه في جملة مفيدة، مبتدأ أو خبراً، مفعولاً أو فاعلاً، موضوعاً أو محمولاً. فالاسم المفرد دال بذاته، موضوع بلا محمول. وهذا هو سبب التأليف[2]. لذلك جاء المدخل لغوياً[3]. فالمنادى من أقسام الكلام. قد يظهر فيه حرف النداء وقد لا يظهر إلا بالصوت. وكانت تلك طريقة العرب في نداء الرب. ولما كان الموضوع سجالياً فقد ظهر أسلوب القول «فإن يقل... قلت»، والترجيح بين المذاهب دون الاستبعاد والإقصاء لأحدهما على الإطلاق. لذلك يجمع بين الأدلة النقلية، الحديث والقرآن والشعر، والأدلة العقلية[4]. كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية اقتباساً منهم بعلامة «انتهى»[5]. والأهم هو الإضافات التي تمت على النص الأول والتي تبلغ الضعف من علماء القرويين (حوالي أربع عشرة إضافة). وهي عادة غير متبعة في التأليف إلا بدافع احترام الزملاء وتقدير تعليقاتهم، تجعل التأليف يبدو مصطنعاً. يقوم على النقل من القدماء والمحدثين وليس على التجربة الذاتية[6]. وتقوم الرسالة على التفرقة بين العلم المنقول والعلم الكشفي العياني[7]. كما يحال إلى

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (2) ص87-122.

(2) «رأيتكم فيها موغر الصدر على إخوانكم العلويين...لا لذنب ارتكبوه سوى أنهم مولعون بإجراء الاسم المفرد على ألسنتهم وهو قولهم «الله». فظهر لكم أن ذلك مما يستحق عليه العتاب أو نقول العقاب لأنكم قلتم أنهم يلهجون بذكر ذلك الاسم بمناسبة أو بغير مناسبة سواء عليهم في الأزمة أو غيرها من الأماكن التي لا تليق للذكر حتى أن أحدهم إذا طرق الباب يقول «الله»، وإذا ناداه إنسان يقول «الله»، وإذا قام يقول «الله»، وإذا جلس يقول «الله». ترون هذا الاسم لا يصلح أن يكون ذاكراً. لا هو من أقسام الكلام المفيد جرياً منكم على ما اشترطه النحويون من لزوم التركيب في تعريفهم الكلام المفيد..»، السابق ص88.

(3) السابق ص90.

(4) الأحاديث (26)، الآيات (23)، الأشعار (13).

(5) الغزالي (4)، السبكي (2)، ابن فورك، القشيري، الرازي (1)، انتهى (3).

(6) الله القول المعتمد ص100-122.

(7) مازلت اسمع عن إحسانكم خبرا ... الفضل يسنده عنكم ويرفعه
حتى التقينا فشاهدت الذي سمعت ... أذني وأضعاف ما قد كنت أسمعه
السابق ص105.

بعض المصادر مثل «الإحياء» و«مشكاة الأنوار» للغزالي[1]. ومقدمها هو العبد الفقير[2].

2 ـ «إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين»[3]: وهو ملحق برسالة «القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول» لنفس المؤلف الموقن بالوعد، راجي التنجيز، المفتقر إلى الله. فقد جرت العادة زيادة إضافات لأصحاب الطرق من الأوراد والأحزاب والمناجاة والمدائح كتطبيقات للرسائل النظرية[4]. وهو ورد الطريقة الشاذلية العلوية والتي يكون بها الخلاص. وتبدأ بالتعريف بالطريقة العلوية مع المغالاة الشديدة المعروفة في شعر المديح[5]. والإثبات والإنكار للطريقة لا يأتي عن طريق الخبر بل عن طريق التجربة[6]. ثم يثني بنتائج الطريقة وهو إسقاط التدبير والرضا بالقضاء والقدر. ويكون المريد مع الشيخ مثل الجثة في يد المغسل[7]. لا اعتراض بل تسليم مطلق، ثم يُذكر الورد

فإذا لم تر الهلال فسلِّم ... لأناس رأوه بالأبصار

السابق ص107.

(1) أيضا شرح الأجهوري على خليل، السابق ص95.

(2) السابق ص67.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (4)، ص157-183.

(4) «هذا وقد فكرت وأنا لدى الطبع، ورأيت للمناسبة وتعميم الفائدة والنفع أن نلحق بهذا الكتاب المشار إليه مناجاة المؤلف رضوان الله عليه وكذا ذكر الورد العام في الطريقة الشاذلية العلوية والتنبيه لذكرها الخاص، وما يكون به إن شاء الله الخلاص. ولكن وددت أن نأتي قبل ذلك بنبذة تكون إن شاء الله كافلة ببيان فضائل هذه الطريقة وما لها من الخيرات...»، السابق ص157.

(5) مثل:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمن فكفِّرِ

السابق ص167.

(6) ومن شاء فلينكر ... ومن رام فليختبر

السابق ص69.

(7) وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا ... إلى شيخ حتى في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع مراده ... ودع كل ما من قبل كنت تصانع

وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإن الاعتراض تنازع

السابق ص172.

العام والورد الخاص وذكر علم القوم وهو جزء من علم الكلام أي من صلب العقيدة(1). وهو علم كلام صوفي، علم الأسرار الذي لا يباح به وإلا أريق الدم(2). وفي النهاية يأتي سند الطريق وهي روايات الصوفية عن بعضهم البعض أسوة بعلم الحديث. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث(3).

ل ـ **«الأصول العلوانية في الآداب والأخلاق الصوفية» لأحمد الخلوتي (1017هـ)**(4): وهي أشبه بقواعد العقائد في علم التوحيد المتأخر. تهدف إلى «النصح لعباد الله والدين النصيحة من الفقير الحقير أحمد العلواني خادم الطريقة العلوانية التي ما في وقتنا هذا أحد يعرفها»(5). تضع واحداً وثلاثين أصلاً(6). وتتراوح بين العبادات والأخلاق، وتعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر(7). ولا يذكر أحداً إلا أحمد بن حنبل. يكفي الحس الأخلاقي البسيط.

م ـ **«السير والسلوك إلى ملك الملوك» لقاسم بن صلاح الدين الخاني الحنفي الحنبلي (1109هـ)**(8): وموضوعه الطريق كما يدل على ذلك العنوان، السير إلى ملك الملوك، ابتداء من النفس، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل. وهو تأليف جيد يتضمن عشرة أبواب. الأول في ذم الدنيا. والثاني في الحث على

---

(1) أيها المقتدي لتطلب علما ... كل علم عبد لعلم الكلام
السابق ص177.

(2) يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثن
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا
السابق ص77.

(3) الآيات (40)، الأشعار (12)، الأحاديث (9).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (3)، ص261-282.

(5) السابق ص259.

(6) تبدأ بالشهادة ثم الصلاة ثم التوبة ثم الاستغفار ثم التفكر والاعتبار ثم منع الخواطر من القلب ثم ذكر الموت ثم ذكر الملكية ثم ذكر القيامة، والقبر، والبعث، الصلاة، والفقر، وعدم صحبة أهل التخليط والنصح للمسلمين، وغض الطرف عن مساوئ الناس، وترك المدح، والذم، والمسامحة، والخوف المخلص للغرور، وعدم الاستدانة إلا عند الضرورة، وعدم السؤال، ومحاسبة النفس، وذكر الله، وعدم الحديث إلا بخير، وصلاة الليل، والشفقة، والنوافل، والحب، والمراقبة، عدم صحبة صاحب المصلحة..

(7) الآيات (47)، الأحاديث (23)، القدسية (1)، الأشعار (1).

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م- 1423هـ.

الطريق. والثالث في الحجب التي بين العبد والرب. والسبعة الأخيرة في أنواع النفس: الأمارة، اللوامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية، المرضية، الكاملة. أكبرها النفس اللوامة. والخاتمة في صفات المرشد وأوضاعه وأحواله أي في آداب الشيخ والمريد. ويلخص الباب في أوله. لإبراز موضوعه[1]. والمقدمة عرض لأهم مصطلحات الصوفية[2]. والمؤلف عارف بالله، حنفي حنبلي، جمعاً بين مذهبين فقهيين. يخاطب القارئ، ويرشده إلى الترقي في المقامات والأحوال[3]. يعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر[4]. وتكثر الأحاديث وكأن الكتاب في علم الحديث. ومن الصوفية يتقدم ابن الفارض ثم الغزالي وابن عطاء الله. ومن الأنبياء عيسى[5]. ومن الفقهاء أحمد. ومن الصحابة أبو بكر. ومن المصادر يحال إلى «حكم» ابن عطاء الله[6].

ن ـ «الحكم المهدوية الملتقطة من درر الإمدادات النبوية» للرواس (1287هـ)[7]: الحكم شكل أدبي مثل القصة الرمزية والسيرة الذاتية والنظم والنثر

---

(1) السابق ص29.

(2) «في تعريف ما يحتاج إلى ذكره في هذه الرسالة من اصطلاحات أهل التحقيق. وهي حوالي اثنان وستون مصطلحاً بما في ذلك ثنائيات الأحوال مثل القبض والبسط. والهيبة والأنس. يتكرر بعضها مثل النفس والتجلي وهي: التصوف، الشريعة، الطريقة، الطب الروحاني، المرشد المسلك، المراقبة، المشاهدة، الشهود، التجلي، تجلي الأسماء، تجلي الصفات، تجلي الأفعال، الشوق، المحبة، الحال، علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين، الشطح، السر، الملكوت، المرتبة الأحدية، العماء، الطبيعة، العبودية، الطمس، الغناء، البقاء، الهوية السارية في جميع الموجودات، الفهوانية، القبض، والبسط، الهيبة والأنس، الغضب، الحقد، الحسد، الكبر، العجب، الغرور، الرياء، الجاه، الخمول، الإخلاص، كيمياء السعادة، كيمياء العوام، كيمياء الخواص، الحُجب، الجمع، جمع الجمع، الفرق الأول، الفرق الثاني، التجريد، الكون، الجرس، الطوالع، الطهارة، الهمة، التقوى، الظل، النفس الشهوانية، النفس الناطقة، السابق ص31-64.

(3) السابق ص149-150.

(4) الأحاديث (139)، القدسية (2)، الآيات (58)، الأشعار (11).

(5) الصوفية: ابن الفارض (سلطان العاشقين)، الغزالي، ابن عطاء الله (2)، معاذ، الجنيد، بشر الحارث، الواسطي، الخدري، السنوسي، أبو العباس الجزائري، أحمد، أبو بكر (1)، عيسى (2)، محمد (1).

(6) الحكم (2).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (1) ص7-51.

الفني، والورد، والحزب، والمناجاة، والصلاة، والرسالة. وهي موجودة عند الفرس[1]. ومن حيث المضمون علامات الطريق مثل الذكر والبقاء مع الله، والزهد والدعاء ومداراة اليأس،وحسن التدبير وبعض التحذيرات من سوء الرفقة والحسد. وتظهر بعض هموم التجديد والإصلاح نظراً لأحوال العصر، وسيادة أهل الباطل، وإهمال رجال الحق، وضرورة ظهور على رأس كل مائة سنة من يجدد الدين[2]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية[3]. وهي أقرب إلى الإمدادات النبوية منها إلى النقل عن آخرين أو الإبداع الذاتي وكما يوحي بذلك العنوان. والسند الغالب «وقال لي حبيبي في حضرة شهود»[4]. وتظهر بعض المسائل النظرية مثل التوحيد. ويأخذ الرسول لقب سيد البشر[5]. ولا تخلو عن عرض نظري خالص[6]. مثال ذلك إرشادات إلى علم الحروف[7]. ومن الصوفية يظهر الإمام الغوث الأكبر السيد أحمد الرفاعي الحسيني وأبو الدرداء وأكثم الصيفي[8].

س ـ رسائل الجنيدي. (القرن الثالث عشر):

1 ـ «السير والسلوك إلى الله تعالى»[9]: وهو طريق نفسي ابتداء من ذم الدنيا ولذاتها حتى النفس الكاملة. وهي عشرة أبواب. الثلاثة الأول في ذم الدنيا، والحث على سلوك الطريق، وبيان الحجب بين الإنسان والله. والسبعة الأخيرة في أنواع النفوس، الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة. ولكل نفس مقام، مقام الاعتماد للنفس الأمارة، ومقام الأنوار للنفس اللوامة، ومقام الأسرار للنفس الملهمة، ومقام الكمال للنفس المطمئنة، ومقام

(1) السابق ص43.
(2) السابق ص 29-31.
(3) الآيات (47)، الأحاديث (41)، الأشعار (21).
(4) السابق ص 9/ 12/ 15-16/ 23.
(5) السابق ص9.
(6) السابق ص 21.
(7) السابق ص46.
(8) السابق ص 18.
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (2)، ص55-183.

الوصال للنفس الراضية، ومقام تجليات الأفعال للنفس الراضية، ومقام تجليات الصفات والأسماء للنفس المرضية. ويعلن عن البرنامج من البداية[1]. وتضم المقدمة شرح لأهم ألفاظ الصوفية مثل التجلي، تجلي الصفات، الشوق، المحبة، الحال، عين اليقين، حق اليقين، الملكوت، السر، المرتبة الأحدية، الشطح، العماء، الطبيعة، العبودية، الطمس، الفناء، البقاء، الفهوانية، القبض والبسط، الخوف والرجاء، الهيبة، والأنس، الغضب، الحقد، الحسد، النفس الناطقة. وتصنف الأدعية أبجديا[2]. وتكثر الأدلة النقلية خاصة الحديث والقرآن والشعر[3]. ومن الصوفية يذكر الغزالي ثم إبراهيم بن أدهم، وابن الفارض، وإبراهيم الدسوقي، وابن عطاء الله، والبوني. ومن الفرق القدرية[4]. والخطاب موجه إلى القارئ بفعل «واعلم». والرسالة منقولة من رسالة «السير والسلوك إلى ملك الملوك».

2 ـ **«الصدق والتحقيق لمن أراد أن يسير بسير أهل الطريق»**[5]: وهو نص واحد بلا أقسام إلى أبواب أو فصول عن الطريق. يعتمد على النقول الأحادية والآيات والأشعار وأقوال الصوفية[6]. ومنهم يذكر الجنيد وابن الفارض والشعراني[7]. ويقتبس من أقوال القدماء بعلامة «انتهى». وهي أشبه بعلم الحديث مجرد رصد أحاديث في مواضيع معينة. والغاية من التأليف بيان فضل الصلوات وفضل الاستغفار والذكر والمداومة على الأوراد[8]. ومع ذلك تعتمد الرسالة على القسمة العقلية وبعض التحليل العقلي. ومؤلفه أفقر العباد إلى الله المتطفل على

(1) السابق ص 56-58.

(2) الأحاديث (146)، الآيات (88)، الأشعار (15).

(3) السير والسلوك ص132-183.

(4) الغزالي (2)، إبراهيم بن ادهم، ابن الفارض، ابن عطاء الله، البوني (1)، القدرية (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (1) ص9-52.

(6) الأحاديث (113)، الآيات (70)، الأشعار (4).

(7) الجنيد، ابن الفارض، الشعراني، الشاذلي، إبراهيم التيمي، القابوني، ابن عربي.

(8) «ونذكر هنا لمن يريد طريق القوم ويسير بسير أهلها كلاماً في فضل صلوات التهجد وفي فضل قيام الأسحار والوقوف في تلك الأوقات بين يدي الملك الجبار وآيات كثيرة وأحاديث شهيرة. وتذكر المسبعات المروية عن الخضر عليه السلام، وما يترتب على قراءتها من الخير والثواب، وكيفية الاستغفار وفضله وما يترتب عليها من الثواب، =

أبواب الذل والافتقار[1]. والخطاب موجه إلى القراء. ويُحال إلى بعض المصادر[2]. وتكثر المنقولات والاقتباسات وعلامة «انتهى»[3].

3 ـ **«أصول الطريق»**[4]: وهو نص مجمل لا ينقسم إلى أبواب أو فصول للعبد الفقير الحقير الجنيدي موضوع الطريق كعلامة بين الشيخ والمريد والمريدين مع بعضهم البعض[5]. تعتمد على الأدلة النقلية القرآن والحديث والشعر[6]. كما تعتمد على أقل قدر من أقوال الصوفية[7]. والاعتماد الأكبر على القسمة العقلية. فالطريق اعتماد على ابن عربي خمسة أشياء أولها التقوى[8]. ويكون من ذلك بخمسة أشياء أولها علو الهمة[9]. وأصول المعاملات خمسة أولها طلب العلم[10]. وأصول ما تداوى به علل الخمسة أيضاً أولها تخفيف المعدة من الطعام[11]. ثم تأتي آداب الشيخ مع المريد، والمريد مع الشيخ[12].

= وكيفية اجتماع الإخوان في الذكر ومداومتهم على الأوراد وما يترتب عليها من الثواب. ونبين علم ما يجب عليهم في طريق القوم. . .»، الصدق والتحقيق ص9.

(1) الصدق والتحقيق ص38.

(2) السابق ص9.

(3) مثل: «الدلالة على الله» للشعراني.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (2)، ص187-198.

(5) «هذه نبذة شريفة، وتحقيقات متبعة، مشتملة على أصول الطريق وشروطها، وعلى أصول ما تداوى به علل النفس وعلى شروط الشيخ الذي يلقي إليه المريد نفسه وآداب المريد مع الشيخ وآداب فوائد بعضهم مع بعض. . .»، السابق ص187.

(6) الآيات (8)، الأحاديث (7)، الأشعار (6).

(7) الغزالي، الدردير، ابن عربي (1).

(8) هي: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء»، السابق ص189.

(9) «وهي علو الهمة وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ الفرقة وتعظيم النعمة»، السابق ص190.

(10) «وهي: طلب العلم، وصحة المشايخ والإخوان، وترك الرخص، والتأويلات، وضبط الأوقات بالأوراد، واتهام النفس للخروج عن الهوى والسلامة»، السابق ص190.

(11) «وهي: تخفيف المعدة من الطعام والشراب، والالتجاء إلى الله، ودوام الاستغفار، وصحبة من يدل على الله، والحركة حسب الثواب من الله»، السابق ص 190-191.

(12) السابق ص192-197.

ع - **«معارج المقربين» لمحمد ماضي أبو العزايم**[1]: وهو طبقاً للعنوان في «الطريق» بالرغم من أن مادته جامعة لموضوعات صوفية أخرى متناثرة في إطار تناثر البنية وهي العلم، والفكر، والإيمان، والمقامات والأحوال، والفقه، والكلام، والحكمة، والأخلاق، بلا نظام أو ترتيب، وبلا أبواب أو فصول. أكبرها الطريق وأصغرها الحكم[2]. العلم هو العلم الشرعي الصوفي الذي يجمع بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والحقيقة عبر الطريقة، بين علم اليقين وعين اليقين. والتفكير في آيات الله وظواهر الكون تؤدي إلى المعرفة بالكائنات ثم إلى العلم. والكتاب بلا مقدمة توضح الهدف منه وسبب التأليف لأنه مجرد تجميع بلا هدف، ويخلو من أي بعد اجتماعي أو سياسي وهو في خضم «أزمات العصر». ألف عام 1330هـ 1911م أي بعد حادثة دنشواي بخمس سنوات، مجرد كلام تقليدي منقول دون الإحالة إلى أصحابه مثل الأدلة على وجود الله دون ذكر ابن رشد. ودون أي تسلسل منطقي. هو العبد المنكسر القلب المسكين الذليل الحقير، صاحب مشروع. يحيل إلى مؤلفاته السابقة[3]. لكل منها قصد، علوم اليقين، أو علوم النفس أو الاصطلاحات وتزكية النفس وألقابه تعظيمية[4]. ويخاطب القارئ كصاحب دعوى[5].

وفي الإيمان تدخل بعض المقامات والأحوال مثل التوكل والصبر والرضا والخوف والرجاء مع بعض الفضائل مثل الأخلاق. والطريق مشروط بالتخلي عن الرذائل مثل التنافس. فالطريق له أصلان: صفاء جوهر النفس، والاستقامة. وتلك مهمة المرشد ونوابه والمريدين وآداب الشيخ والمريد والسماع والذكر والمراقبة.

---

(1) السابق، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة 1984.

(2) الطريق (97)، الفقه (75)، العلم والتفكير (54)، الأخلاق (45)، الإيمان (33)، الكلام (19)، الحكمة (13).

(3) «وإني أنا العبد المنكسر القلب، المسكين الذليل الحقير. . .» معارج المقربين ص4. «لك الحمد يا من وسعت رحمتك كل شيء، ولك الشكر والثناء يا واسع المغفرة وقابل التوب. ولك المجد والكبرياء والعزة، يا من أكملت النعمة على خلقك ببيعتك رسلك. . لك الثناء الحسن الجميل كما أثنيت على نفسك فإنه لا يقدر قدرك إلا أنت. . .الخ»، السابق ص3.

(4) مثل أصول الأصول، السابق ص6-8/ 138/ 267.

(5) مثل الإمام السعيد.

كل ذلك مع التمسك بأركان الإسلام الخمسة وإتباع طريقة السلف في العقيدة. والصوفية فرقة كلامية وطريقة صوفية في آن واحد. أما فقه المعاملات فيقوم على رعاية الحقوق والتي تقوم على أخلاق الطاعة والتوسط، ويقدم المؤلف كعادة القدماء أسمى آيات الذل في نفس الوقت الذي تتم فيه مناجاة الرب[1].

تغلب عليه الأدلة النقلية على نحو تقليدي، القرآن فالحديث فالشعر[2]. وتتوالى الآيات أحياناً الواحدة تلو الأخر في زخات[3]. والأحاديث أيضاً تأتي في دفقات[4]. وقد حذفت الأسانيد من الأحاديث لألفة المتون أو التهرب من صحة الأحاديث وضعفها[5]. وبلغت كثرتها بحيث أصبح الكتاب مثل المؤلفات المتأخرة مجرد جمع للآيات والأحاديث والأشعار والأمثال في الموضوع. وهو أشبه بالتعليم المدرسي السطحي الساذج. يخلو من العمق. وتنطبق الآيات والأحاديث على الصوفية كنوع من تحقيق المناط[6]. ولا يرتبط بتاريخ التصوف. ولا تذكر أسماء كبار الصوفية بل فقط بعض المحدثين. ويذكر مصادفة بعض أوائل الصوفية الأخلاقيين مثل الترمذي، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار، والفضيل بن عياض، وابن عيينة، وسعيد بن المسيب[7]. ومع ذلك يمتلأ الكتاب بالقسمة للموضوعات المنقولة من القدماء دون تبرير عقلي، مجرد رصد وبنفس طريقة توالي الآيات والأحاديث ودون أي فكر استدلالي أو كشف لبنية الموضوع[8].

ق ـ **«الطريق إلى الله» للمزيدي**[9]: والاسم دال على الموضوع. والطريق بداية ووسط ونهاية. البداية في التوبة والاستغفار،والوسط في الدليل والراد، والنهاية في الجنة. والخطاب موجه إلى القارئ، نداء إلى سلوك الطريق. ويعتمد

(1) السابق ص28/ 78/ 157.
(2) الآيات (329)، الأحاديث (160)، الأشعار (19)، القدسية (2).
(3) معارج المقربين ص11-12/ 286/ 287.
(4) السابق ص13-26.
(5) السابق ص9.
(6) السابق ص266-267.
(7) السابق ص214-215.
(8) مثل مصادر المعرفة (الأخبار، والعمل، والاقتداء بالإمام المرشد)، السابق ص31.
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (4)، ص161-166.

على القرآن والحديث والشعر[1]. ولا يذكر من الأعلام إلا ابن القيم.

ص ـ «الرسائل المضيئة لكشف ظلمة السير إلى الحقيقة» لمحمد التجاني[2]:
وهي رسالة في الطريق إلى الله، تحتوي على مواعظ. وهي عشرون رسالة تدخل أيضاً في الأشكال الأدبية. تدور كلها حول الطريق إلى الله ابتداء من طاعة الرسول ودعوته إلى العمل والخشوع وطريق الإحسان، ثم الخوف والرجاء، ثم الموت خير موعظ، ثم الولاية والعداوة والخلاص، ثم الاستغفار والزهد والتوحيد، ثم الصلاة والمحبة والحق المكتوم[3]. كل رسالة وحدة بذاتها بتبدأ بالبسملة، والحمدلة. وتتعرض لمقام أو حال، ومؤاخاة ونكاح الجن[4]. والخطاب موجه إلى القارئ مثل خطب الجمعة، مملوءة بالمواعظ والنصائح إلى «أخي وأختي» دون تمييز بين رجال ونساء[5].

تعتمد على الحديث والقرآن والشعر[6]. والأولوية للحديث، ويبدو وكأنه كتاب في الحديث بما في ذلك روايات الرسول عن معجزاته وكراماته[7]. ويعتمد على عديد من أقوال الصوفية والفقهاء وروايات المحدثين[8]. من الصوفية في مقدمتهم ابن عربي. ومن الفقهاء أحمد. ومن المتكلمين الجويني. ومن المفسرين

---

(1) الآيات (27)، الأحاديث (6)، الأشعار (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(3) وهي على النحو الآتي: 1- دعوة إلى العمل. 2- طاعة الرسول. 3- الخشوع وطريق الإحسان. 4- الخوف من الله طريق الاستقامة. 5- الخوف والرجاء. 6- الموت خير موعظ. 7-القهر والخلاص. 8- أولياء الله. 9- أولياء الشيطان. 10-أعداء ابن آدم من الشيطان إلى القرين. 11- كيف النجاة. 12- التوبة. 13- الاستغفار. 14- لا إله إلا الله. 15- الذكر. 16- التوحيد. 17- الصلاة كالرسول. 18- محبة الرسول. 19- محبة آل البيت. 20- الحق المكتوم الذي لابد من ظهوره.

(4) السابق ص49.

(5) السابق ص62.

(6) السابق ص152.

(7) الأحاديث (230)، الآيات (124)، الأشعار (8).

(8) ابن عربي، الغزالي (2)، الحسن البصري، رابعة العدوية، القاضي عياض، الشاذلي، الرازي، الديلمي،زروق، مالك بن دينار، الشبلي، ذو النون، الفضيل بن عياض، يحيى ابن معاذ (1)، ومن الفقهاء أحمد (5)، أبو الدرداء (3)، الشافعي (2)، مالك، أبو حنيفة. =

الزمخشري. ومن الأنبياء عيسى. ويعتمد على بعض المصادر القديمة[1]. وتؤخذ منها الاقتباسات مع علامة «أهـ». وهو موجه أيضاً للزمن، أحداث العصر. فلكل زمن مساوئه وحسناته. وأفضل العصور الزمان الأول طبقاً للتصور المنهار للتاريخ. وقد وقع البلاء بعد عصر الرسول مباشرة، زمن الفتنة الكبرى. ومازال يقع في كل عصر[2].

ف ـ «قبسات الأنوار في شرح طريق الصوفية الأخيار، أذواق نخبة من فقراء الشيخ ابن عجيبة الأغر» لعبد السلام العمراني الخالدي[3]: وهي في الطريق «طريق العارفين إلى الله ونهج الصوفية بين الرسالة والنظم». فمعظمها قصائد. يبدأ بالتوحيد الخاص، غاية الصوفيين. والبداية من الحضور مع الأخوة، ومدح، أهل الله وقراءة الورد والآداب مع الشيخ، وتمجيد الرسول. والتشوف إلى الحضرة المقدسة، والتضرع إلى الله. وتعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن والحديث[4]. والأشعار قصائد طوال. ولا يذكر من الصوفية إلا ذو النون.

2 ـ الطريقة

وتضم كتابات عن طريقة صوفية معينة كالرفاعية أو الشاذلية أو النقشبندية من كل جوانبها، شيوخها ومريدوها وأساليبها أو عن مشايخ طريقة بعينها. فالمشايخ هم عمد الطريقة ووسيلة بقائها في التاريخ، شيخا عن شيخ، تمهيداً وتواصلاً

= ومن المتكلمين إمام الحرمين، ومن المفسرين الزمخشري وابن كثير والشعراوي، ومن الأنبياء عيسى (5)، موسى والخضر وإبراهيم داود.

(1) «إن كل زمن له مساوئه وحسناته، وله عيوبه ومميزاته، وله إيجابياته وسلبياته، ولكن إذا رجعنا إلى الوراء نجد أن أفضل العصور والأزمنة هي عصر النبي ثم الذي يليه ثم الذي يليه من الأعلى إلى الأدنى»، الرسائل المضيئة ص. . .83. «فإن كل هذه الفتن حدثت في عصر ليس ببعيد من زمن المصطفى. وكان كل زمن بعد زمنه يشكو من كثرة البلاء والمعاناة. وكتب السيرة وأخبار أزمنة التابعين مليئة بمثل هذه الويلات. فما بالنا نحن بزمننا»، السابق ص84.

(2) مثل: الفوز والنجاة (3)، «دلائل النبوة» للبيهقي، «أسباب التنزيل» للواحدي، «مكاشفة القلوب» للغزالي، «ميزان الرحمة»، «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» للعز بن عبد السلام، «آداب الذكر» وغيرهم من المحدثين.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (4)، ص263-316.

(4) الأشعار (33)، الآيات (12)، الأحاديث (2)، القدسية (1).

وسنداً أو الأوراد والأحزاب والدعوات والصلوات التي تقال في كل طريقة. وتتداخل هذه العناصر الثلاثة دون حد فاصل بينها. والغالب هي الأوراد والأحزاب التي تميز كل طريقة.

أ ـ **«الوظيفة الشاذلية» لابن مشيش (622هـ)**[1]: تبناها أبو الحسن الشاذلي وجعلها من صلواته. ثم مزجها الدرقادي بفتوحاته الربانية بحيث يصعب التمييز بين المتن والصياغة الجديدة. وهي مجموعة من الوجدانيات والانفعالات. وهو معنى لفظ الوظيفة. وهي فقيرة فكرياً. تعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية هي تجربة ذاتية خالصة[2].

ب ـ **«الحزب الكبير» للشاذلي (656 هـ)**[3]: والحزب هو ما تقرأه الطريقة وتُمرن عليه المريدين. يبدأ بمدح الله والرضا بقضائه، والاعتراف بسلطانه وجبروته وإرادته وقضائه وقدره، والاعتراف بالعجز الإنساني، ثم استدعاء رحمته لتلبية الحاجات. ويتخلل ذلك تكرار أسمائه وصفاته مثل «يا الله»، «يا رحمان»، «يا قيوم»[4]. يعتمد على القرآن وحده دفقة واحدة في البداية أو النهاية دون أحاديث أو أشعار أو أقوال صوفية[5].

جـ ـ **«المفاخر العلية في المآثر الشاذلية» لأحمد الشاذلي**[6]: كتاب في الطريقة الشاذلية أو في المناقب والكرامات لمشايخها. وهو تأليف جيد محكم. يتضمن خمسة أبواب. الأول في وصف الشيخ نثراً ونظماً، صفة نسباً ومولداً وأسفاراً. والثاني مناقبه وكراماته مع تعريف القطب. والثالث وفاته واستخلافه للمرسي. والرابع طريقته وكلامه وكلام أصحابه. وهو أكبر الأبواب وأهمها لبيان ما يخص الشاذلية كطريقة. ويتكون من اثنين وسبعين فصلاً في موضوعات تفصيلية

(1) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.
(2) السابق ص3-4.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م -1423هـ (1) ص25-32.
(4) مثل «يا شديد البطش، يا جبار، يا قهار، يا حكيم»، السابق ص27، «أغثنا، أغثنا، أغثنا، يا رب يا كريم، وارحمنا يا رحيم»، السابق ص31.
(5) الآيات (7).
(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ.

تشمل أوصاف الطريقة وخصائصها[1]. والخامس في الأحزاب والأوراد والدعوات والأذكار[2]. والخاتمة عن الدائرة والخاتم والحرز والسيف. وكلها أسماء لمسمى واحد. وضبط أسمائها لمعرفة كيفية نطقها. العدو هو الشيطان كرد فعل على العجز في الفعل، والعقل لصالح الخيال[3]. والمؤلف هو العارف بالله العبد الفقير. وتوضع قسمته موضوع في المقدمة.

ويقوم التأليف على التجميع والحكايات كما يحدث في الأحزاب السياسية والفرق الرياضية والنعرات القبلية وجماعات المصالح. ومعها بعض الرسوم التوضيحية العددية الرمزية المتقابلة مع اللفظية أو بالدوائر والمربعات الهندسية[4]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[5]. ومن الصوفية يتقدم الشاذلي بطبيعة الحال ثم خليفته أبو العباس المرسي، ثم نموذجه ابن عطاء الله السكندري. ثم مروجه الحديث أبو العزايم ماضي[6]. ومعظم الصوفية من سلسلة الشاذلي، وتؤخذ اقتباسات عديدة بعلامة «انتهى». وتوجد كثير من الأسماء التركية فقد ازدهر

---

(1) وتشمل موضوعات العزلة وجهاد العدو. والخواطر والتوبة والاستغفار والذكر والمراقبة. ومن الأحوال القبض والبسط والفقد والوجد. ومن آداب الشيخ والمريد الاقتداء وآداب المجالسة والسؤال. ومن المقامات المحبة. ومن الأعمال الاستخارة والنية. ومن القراءات الأوراد والأحزاب. ومن العبادات الزهد والطاعة والإرادة والتدبير، وجهاد النفس. ومن الفضائل العزة والتواضع والتقوى، الإخلاص. ومن الرذائل الذنب الشر، والمعصية والظلم والدين والمصائب والعقوبات. ومن العلم الإيمان والإسلام والمعرفة والبصيرة والحقائق والعقل والتلقين والسند والخواطر والشريعة والحقيقة الطريقة وما يظهر في النوم واليقظة. ومن التوحيد العبودية. ومن الرياضة السماع الصحبة والبعد عن الدنيا والوصية.

(2) وهي تسعة عشر حزباً: الكبير، والآيات، والفتح المشهور، المعروف بالبركات، والنور، واللطيف، والطمس، والنصر، والبر، والكفاية، والشكوى، والفلاح، والدائرة، والتوصل.

(3) المفاخر العلية ص55-56.

(4) السابق ص145/ 185/ 195/ 218-219.

(5) الآيات (483)، الأحاديث (27)، القدسية (1)، الأشعار (28)

(6) الشاذلي، أبو العزايم ماضي (7)، المرسي (4)، ابن عطاء الله (3)، أبومدين، الشعراني (2)، الجيلاني، الشاطبي، علي وفا، إبراهيم المواهبي، البسطامي، زروق، الشاشي، الجنيد، السري السقطي، معروف الكرخي، داوود الطائي، حبيب العجمي، ابن سيرين.

التصوف المتأخر في تركيا. وله مصادره المعلنة أو الفعلية[1].

د ـ **حزب الأحدية لابن عربي (638هـ)**[2]: ويعني الحزب الورد للقراءة وليس الحزب السياسي. ويعتمد على القرآن وحده دون حديث أو شعر أو ذكر لصوفي. وتتوالى الآيات دفعة واحدة في أول الرسالة لافتتاح الحزب وفي نهايتها لختمها. وهي الأحزاب التي تكاثرت في التصوف العملي.

هـ ـ **«تحفة الإخوان في خصائص الفتيان» للكاشاني (730هـ)**[3]: وهي رسالة في فرقة صوفية معينة هم أهل الفتوة، بيان حقيقتها، منبعها ومظهرها، مبادئها ومبانيها، آفاتها وقوادحها. والفرق بين الفتى والمتفتي والمدَّعي، وطريق اكتساب الفتوة، وبيان مآخذها وابتداء طريقها، وخصائص أرباب الفتوة وسيرهم وطريقتهم[4]. ويتخلل ذلك بعض الفضائل الصوفية مثل السخاء والتواضع والمن والصدق والهداية والنصيحة والوفاء وبعض مقاماتهم مثل التوبة[5]. الفتوة في فصول ستة. والفضائل والمقامات في أبواب ثمانية. ولهم مقامات كثيرة والأولى الإيجاز[6]. واللفظ قرآني. يوصف به إبراهيم. ونبوي يوصف به علي. ويوصف به ابن البلد، ويربط بالشهامة والشعر. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[7]. ولا يُعتمد على أقوال الصوفية. ولا يذكر أحد من أعلامهم قدماء ومحدثين. ويذكر الإنجيل والملك دقيانوس[8].

و ـ **«الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» لليافعي (768هـ)**[9]: وموضوعه الأوراد والأذكار

(1) المعلنة مثل «درة الأسرار» للصباغ، «لطائف المنن» لابن عطاء الله. والفعلية مثل: «طبقات الصوفية» للمناوي.

(2) رسائل حـ6 (10) ص179-181.

(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (1) ص11-52

(4) السابق ص13-19/ 39-52.

(5) السابق ص19-39.

(6) «وحكايتهم في الأنبياء أكثر من أن تُحصى. فالأولى بالإيجاز أن تدرج وتطوى»، السابق ص23.

(7) الآيات (78)، الأحاديث (28)، الأشعار (16).

(8) تحفة الإخوان ص14.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1424هـ.

التي تقرؤ في الطريقة. والأوراد هنا بالمعنى الواسع الذي يضم الأذكار والوعظ والمدح وبيان الفضل للذكر والتلاوة والتسبيح والحمد والشكر لله، والصلاة على النبي، والدعاء والاستغفار والترغيب والترهيب في عشرة فصول. أكبرها الثاني في الوعظ ومدح الصالحين ورياضاتهم وأقوالهم ومعاملاتهم وفضائلهم وكراماتهم(1). ويُعلن عن بنية الموضوع في البداية، وكلها صياغات تجمع بين التصوف والآداب، بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية. تقال في كل حركة والتفاتة حتى يصبح السلوك الإنساني في الحياة اليومية مغلفا بالأدعية الدينية التي قد تمنعه أحياناً من رؤية العالم ومن الثقة بالنفس ومن السلوك التلقائي الطبيعي.

ويعتمد على علم الحديث أساساً لدرجة أن يدخل الكتاب أيضاً في علم الحديث. والحديث هو وحدة التحليل في الباب الخامس في فضائل التسبيح ونحو من الأذكار و«في الباب العاشر» في أحاديث الترغيب والترهيب(2). الصوفية محدثون وفقهاء، والفقهاء المحدثون صوفية. والصحابة معهم حيثما كانوا صوفية أو محدثين أو فقهاء. ويشرح الحديث لغوياً لأنه المصدر الأول للورد(3). ومع الأحاديث والمرويات تدخل الحكايات. ويجمعها الخيال الشعبي. ويُرى الرسول في المنام(4). لذلك تعتمد على الحديث قبل الشعر والقرآن(5). ومع ذلك لا يخلو النص من بعض إعمال العقل عن طريق القسمة العقلية(6). ومن الصوفية يذكر إبراهيم بن أدهم والجنيد ثم التستري والغزالي، ثم الخدري ثم ذو النون، ثم أبو علي الدقاق، ثم إبراهيم الخواص والسري السقطي، ثم الشاذلي والفضيل بن

(1) السابق ص46-167.

(2) السابق ص194-211 (39 حديثا)/ 126-286 (73حديثا).

(3) السابق ص261/ 263/ 265/ 267/ 271/ 275.

(4) السابق ص238.

(5) الأحاديث (341)، الأشعار (196)، الآيات (146).

(6) إبراهيم بن أدهم، الجنيد (21)، التستري، الغزالي (13)، أبو سعيد الخدري (11)، ذو النون (10)، أبو علي الدقاق (9)، إبراهيم الخواص، السري السقطي (8)، الشاذلي، سعدي، الفضيل بن عياض، البسطامي (7)، الشبلي يحيى بن معاذ، الحيري (6)، أبو الدرداء، الخراز، مالك بن دينار (5)، أبو بكر الكتاني، النخشبي، سمنون، الشاذلي، القشيري، الجريري (4)، الحسن البصري، سليمان الداراني (3)، أويس القرني، تميم الداري، وداود الطائي، الجيلاني، ابن عربي، الواسطي (2)، السهروردي، الروزباري (1).

عياض والبسطامي، ثم الشبلي ويحيى بن معاذ، ثم الخراز ومالك بن دينار، ثم النخشبي وسمنون والشاذلي والقشيري، ثم الحسن البصري والداراني، ثم أويس القرني وتميم الدارني وداود الطائي والجيلاني وابن عربي، ثم السهروردي، والروزباري[1]. وواضح تواري التصوف الفلسفي وتقدم التصوف الخلقي والنفسي.

كان الغرض من هذه الأدعية المتلاحقة تحرير الوجدان الإنساني من عبادة للأصنام والتذكير بالله في كل لحظة كقوة بديلة. ثم أصبحت وسيلة للحصول على النصر السريع، ولو عن طريق الوهم. حين الإحساس بالعجز وعدم الحيلة. والقرآن يفعل السحر في مثل هذه اللحظات. لذلك كثرت الأحجية والوصفات السحرية وليس العمل.

ز ـ **«المكتوبات الربانية» للنقشبندي (1034هـ)**[2]: وهي رسائل إلى بعض المشايخ لأحد مشايخ الطريقة النقشبندية. مجموعها خمسمائة وثلاثة وأربعون رسالة. وهي علامة على التحول من التصوف النظري إلى التصور العملي، ومن الطريق إلى الطريقة. ومعظمها رسائل قصيرة[3]. تخشي من طول الشرح[4]. وبعضها ردود على رسائل. وقد عم التصوف مصر وتركيا وأواسط آسيا خاصة المغرب الأقصى، حيث سادت النقشبندية والشاذلية والقادرية والمولوية. وتكثر ألقاب المؤلف. فهو إمام رباني، وغوث صمداني، وقطب سبحاني، وعارف رحماني... إلخ[5]. وتكشف عن أحوال العصر، وأحوال الطرقية، وعلاقة الشيخ بالمريد، والمسلمين بغير المسلمين في عصر انهيار الحضارة الإسلامية وصعود الحضارة الأوربية.

---

(1) الإرشاد والتطريز ص267.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1424هـ (ثلاثة مجلدات).

(3) تدرج الرسائل من حيث عدد الصفحات كالآتي: رسالة واحدة (29)، رسالة واحدة (27)، رسالة واحدة (22)، رسالتان (19)، رسالة واحدة (15)، خمس رسائل (14)، رسالة واحدة (12)، ثلاث رسائل (10)، رسالة واحدة (9)، ست رسائل (8)، عشر رسائل (7)، ثلاث عشرة رسالة (6)، عشر رسائل (5)، ثلاث وأربعون رسالة (3). والباقي موزع بين صفحتين وصفحة واحدة.

(4) المكتوبات حـ1/ 20/ 88.

(5) «للإمام الرباني، والغوث الصمداني، والقطب السبحاني، والعارف الرحماني، نقطة دائرة =

وتدور المكتوبات حول عشرات الموضوعات، في مقدمتها الطريقة والشريعة والحقيقة. الشريعة بداية والحقيقة نهاية[1]. ثم تأتي موضوعات الفقه والشريعة، ثم التصوف الخلقي، ويجمل المؤلف بعضها في مقدمة كتابه[2]. ثم تأتي موضوعات التوحيد والمعرفة. وأخيراً تأتي آداب الشيخ والمريد. والرسائل ذات طابع إصلاحي. تدخل في معارك الدفاع عن الصوفية وتنقد المزيفين منهم وعلماء السوء[3]. وتعتمد على الأشعار أولاً ثم القرآن ثانياً ثم الأحاديث ثالثاً[4]. ويدخل

= الإرشاد، رحلة الأبدال والأوتاد، قدوة الكملاء والأوفراد، واقف الأسرار الإلهية، كاشف دقائق المتشابهات القرآنية، برهان من الولاية الخاصة المحمدية، سمي سيد المرسلين وأفضل البرية، بالاسم الذي بشر به المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام والتحية، سيدنا وسندنا ومولانا ووسيلتنا إلى الله القديم الكريم الأحد الأبدي، الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد السرهندي محتداً، الفاروقي نسباً، النقشبندي مشرباً، الحنفي مذهباً، الشهير عند الأقاصي والأداني، بمجدد الألف الثاني، قدس الله سره، وروّح روحه، ونوّر ضريحه، وأفاض علينا من بركاته، وجعل لنا نصيباً وافراً من جميع مقاماته بحرمة أشرف العباد وآله الأمجاد»، السابق ص5

(1) الطريقة والشريعة والحقيقة (54)، الروح والنفس والقلب (36)، متابعة الرسول والاقتداء بسيد البشر (33)، الأحوال والتوحيد (30)، قضاء الحوائج وحقوق الفقراء (24)، المحبة والشوق (18)، الأولياء، الإنسان، الوقت (15)، ذم الدنيا، الشيخ والمريد، التعزية، الإسلام والكفر (12)، الجذب، التواضع الولاية، الكمال، العبادة (9)، المقامات، الترقيات، رمضان، الظاهر والباطن، علماء السوء، تصحيح العقائد، الأسرار، الذكر، علو الهمة، السير والسلوك، الأعمال الصالحة (6). الفرائض، القرب والبعد، الفناء والبقاء، الخواجة، النصيحة، التمكين، شكر المنعم، الواجب، الجواهر الخمسة، تعظيم العلماء، السفهاء، الرفق، العالم، الانقطاع، الصلاة، خدمة الوالدين، الورع والتقوى، الحضور، الغرور، الذل، والانكسار، المريض، العافية، الآفاق، تاريخ الأديان، اللذة والألم، الفرقة الناجية، الخاصة والعامة، ضد الرأي، ضد السبب الواحد، الشباب، التسبيب، غلبة الكفار، ضعف الإسلام.

(2) «بعضها في ذم الدنيا الدنية، وبعضها في الحث والتحريض على ما ينفع في الآخرة ودرجاتها العلية، وبعضها في النصائح والمواعظ البهية وللقبول حرية، وبعضها في الترغيب في ترويج أحكام الشريعة المصطفوية، وأكثرها في بيان أسرار الشريعة المحمدية، وتحقيق حقائقها، وحل رموز الطريقة النقشبندية الأحمدية، وكشف وقائعها، مقتبسة من أنوار منابعه السنة السنية مقتطفة من أشجار اقتفاء السيرة المصطفوية وملتقطة من موائد فوائد التأدب بالآداب النبوية...»، السابق ص6.

(3) المكتوبات حـ1/ 233/ 282/ 412-415.

(4) الأشعار (630)، الآيات (189)، الأحاديث (66).

القرآن الحر ضمن الأسلوب. ولا تظهر بعض الأمثال التي تحولت في الثقافة الشعبية داخل سلطة النص[1]. وتتكرر بعض الأشعار إما البيت كله أو شطر منه. وتتكرر بعض الآيات كلازمة في أول المكتوب أو وسطه أو نهايته[2]. وبعض الأشعار بالفارسية مع ترجمتها العربية أو بدونها[3]. ويظهر أكثر من تسعمائة علم من أعلام الصوفية. فكل كتاب موجه إلى علم. معظمهم من الهند أو فارس كما توحي بذلك بعض أسماء الأعلام[4]. ويتقدمها النقشبندي، والنقشبندية، والإشارة إلى الأول باسم شيخه المعظم أو المكرم أو المحترم. كما يذكر بعض مشاهير الصوفية مثل النابلسي وآخرين في مقامات مثل الكرخي وأبي سعيد الخراز، وآخرين في مقام تحتاني مثل السمناني ونجم الدين الكبرى[5]. ومع ذلك ظلت بعض بقايا القسمة العقلية[6]. كما يظهر أسلوب الحجاج العقلي «فإن قيل....»[7].

وأسلوب الرسائل أسلوب مميز في البداية بالدعوة والحمد. يبدأ البعض فيها بلازمات معروفة منذ رسائل «إخوان الصفا» «أكرمكم الله»، «أسعدكم الله»[8]. وتبدأ بلازمات أخرى عن ضرورة المعرفة مثل «ومما ينبغي أن يعلم»[9]. وبعض الرسائل يبدأ بلفظ «عريضة» أي عرض قضية[10]. فهي رسائل موضوعية وليست شخصية. ويحضر صاحب الرسالة نفسه ويسمي نفسه أصغر الخدام، أقل العبيد، وأصغر الخدمة...الخ[11]. وبرز الموضوع بين الحين والآخر بلفظ «والحاصل»،

---

(1) وذلك مثل «كل أناء بما فيه ينضح»، المكتوبات جـ1/ 139.

(2) وذلك مثل ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾، في نهاية كثير من المكتوبات، السابق جـ1/ 145.

(3) السابق جـ1/ 72/ 77/ 85.

(4) مثل: اللاهوري، خان خانان، خليم خان، خواجه خان، خواجة عمك، قليج الله بن خليج، خليج خان، اسكندر خان، المرزا على خان، المرزا فتح الله، لا لابك، الدهلوي، الملا، مظفر، الكشميري، السرهندي، الروسي، الكابلي، السمرقندي، البدخشي...الخ.

(5) المكتوبات جـ1/ 16-17.

(6) السابق جـ1/ 28-30/ 39-40.

(7) السابق جـ1/ 330/ 335/ 388/ 417-418/ 420.

(8) السابق جـ1/ 140-141.

(9) السابق جـ1/ 71/ 119.

(10) السابق جـ1/ 15/ 19/ 24/ 34/ 39/ 65-66.

(11) أقل العبيد، السابق جـ125/ 28/ 39/ 47-48/ 50/ 59، أصغر الخدمة ص58/ 65/ 66، =

غاية ما في الباب[1]. وهو مملوء بالمحسنات البديعية خاصة السجع. فالمكتوب نوع أدبي متأخر. ويخاطب القراء «أولادي الكرام»، أيها المخدوم»[2].

ح ـ «العهود الوافية الجلية في كيفية صفة الطريقة الإسماعيلية» لإسماعيل بن عبد الله (1239هـ)[3]: وبالرغم من أن العنوان يشير إلى أن موضوعه هو العهود بين الشيخ والمريد إلا أنه بعض الطريقة «الإسماعيلية السودانية»، الطريقة الختمية للسيد الميرغني من بين عدة طرق أخرى كالنقشبندية والجنيدية والشاذلية والقادرية. وتنتسب إلى علي بن أبي طالب[4]. وتعتمد على التجارب الصوفية أكثر من اعتمادها على النصوص، بالرغم من استنادها إلى بعض الآيات في الأوراد والأختام والأدعية والمناجاة والتوسلات[5]. تجمع بين التجارب النفسية، العزلة عن العالم، من أجل خلق عالم أفضل، والتجارب البطولية من أجل السيطرة على العالم حتى عن طريق الوهم أو الخيال، والتجارب الجمالية، جمال الروح الممثل في فنون الشعر والسماع. ويضم ذلك إلى النوافل والذكر القلبي. ولا تذكر أقوال للصوفية السابقين أو نظريات من التصوف الفلسفي. بل تتجه العهود إلى الممارسات العملية.

ط ـ «الأنوار الأقدسية في الأوراد القدسية» أوراد وحصون وأحزاب وصلوات لأحمد بن إدريس الحسيني (1253هـ)[6]: وهي ما يقرأ أفراداً أو جماعات داخل الطريقة كنوع من التمرينات القولية للرقي الروحي. وهي أشكال أدبية متداخلة، الورد والحزب، الصلاة والحصن. الابتهال والمناجاة. صاحبها العارف بالله تعالى مولانا القطب أي أنه شيخ الطريقة الواصل. «الأوراد لها خاتمة» مستقلة، للوقوف

= أصغر الخدام ص24، أيها المخدوم ص216، الحاضر الغائب، الواجد الفاقد، المقبل المعرض ص53.

(1) السابق حـ1 ص28/ 417.

(2) السابق حـ1/ 474/ 391/ 459/ 476/ 488.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) العهود الوافية ص9.

(5) الآيات (10)، الأشعار (2)، الأحاديث (3).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ.

بين يدي الله والاستسلام له[1]. ولها «تهليل» وهو إعلان الشهادتين[2]. ولها «صلاة عظيمة» وهو إثبات لوجود الله وخلود النفس[3]. ولها «استغفار كبير» وهو طلب المغفرة من المعاصي المقدرة لنيل الرضى[4].

وأما «**الحصون المنيعة النبوية**» فهو تقديم أمام يدي الله، كل خاطرات النفس، البسملة والحمدلة والحوقلة. كل منها ثلاث مرات للتكرار مثل إيقاع الموسيقى ولازمة الغناء والشهادتين وإعلان الربوبية والقدسية والربانية والألوهية لله كما تقول الجماعات الإسلامية المعاصرة في «الحاكمية»، والاستعاذة من الشيطان والاستجارة به. وتعتمد على القرآن وحده دون الحديث فهو أقرب إلى القلب والمباشرة والوجدان من الحديث، مثل الشعر[5]. وتتكرر بعض السور القصار مثل سورة الصمد.

ويستأنف «**ورد النور الأعظم والكنز المطلسم**» نفس المدخل في إعلام الحضور الإلهي الشامل، وطلب الصلاة على محمد والعبودية للربوبية والوصول إلى مقام الاستيلاء الجامع عن طريق الآيات القرآنية التي تعلن الربوبية وإثبات توحيد الذات[6]. ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية. فلا وقت للتأمل والجدل والاستدلال في التجربة المباشرة[7].

ويستمر «**ورد التجلي الأكبر**» في تأكيد نفس الموقف بآيات أخرى بعضها مكرر مثل «آية الكرسي» بالإضافة إلى بعض الأحاديث القصار، وشاهد شعري واحد[8]. ويتجه الورد كله نحو الذات الإلهية. وهو نوع من التصوف النظري بلا استدلال عقلي مثل موسى أمام النار. كل شيء تجل لله بما في ذلك الشريعة التي هي تجل للحقيقة عبر الطريقة. الغيب حضور، والكبرياء تواضع. هو تجل في

(1) السابق ص5.
(2) السابق ص5.
(3) السابق ص6.
(4) السابق ص7.
(5) الآيات (9).
(6) السابق ص21-45.
(7) الآيات (19).
(8) الآيات (20)، الأحاديث (4)، الأشعار (1).

مقام الإحسان وفي حال المحبة والشوق كما عبر عن ذلك الشعراء في التجربة الشعرية. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، وسبحان من له الدوام[1].

و«**الصلوات الإدريسية**» هي أربع عشرة صلاة قصيرة تعبر عن الذات أكثر مما تصف الموضوع، لا فرق بين الذات الأحمدية والحقيقة المحمدية كما هو الحال في «الإنسان الكامل»[2]. لا تتميز صلاة عن أخرى بل تتشابه الصلوات جميعاً في المديح. تخلو من الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية. فالوجد وجود لا يحتاج إلى دليل. هي ذات متضخمة اتحدت مع موضوعها فابتلعته، بحيث لم يعد هناك تميز بين الذات والموضوع، بين الشاهد والمشهود، وهو أحد مصادر سيادة الخطاب الإنشائي على الخبر في الخطاب العربي الإسلامي المعاصر.

ي ـ رسائل أبي الهدى الصيادي (1328هـ):

1 ـ «الطريقة الرفاعية»[3]: وهو نص واحد بلا أبواب أو فصول «للعبد الضعيف اللائذ بأعتاب الجناب النبوي الشريف، أحقر الورى»[4]. يصف الطريقة الرفاعية في ثمان وعشرين سمة لا يختلف عليها أحد. ولا تختلف من طريقة إلى طريقة إلا في الولاء لمؤسسها وقبولها عقائد الصوفية وشطحاتها النظرية والعملية[5]. ويعتمد الوصف على القرآن والحديث والشعر[6]. كما تذكر أقوال أعلام الصوفية القدماء والمحدثين وعلى رأسهم أحمد الرفاعي والحسن البصري ثم الرواس ثم الجيلاني والسيوطي ثم النابلسي ثم الشعراني والغزالي والنفري والجيلي

(1) السابق ص46-78.
(2) السابق ص79-94.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (1)، ص7-78.
(4) السابق ص7.
(5) وهي: أحكام التوحيد، الكتاب، الإيمان، القلب واللسان، المحبة، حب الرسول، تعظيم أصحابه، توقير الأولياء، إنكار الوحدة المطلقة والحلول والشطحات، الاتفاق مع أحد الأئمة الأربعة، رفض التوسط بالأرواح، الإيمان بالقدر، التفكر في صنعة الله، ذكر الله بالجهر والأدب، المبايعة، حفظ النعمة، قراءة القرآن، الاجتماع على الذكر، اتخاذ حرفة، ترك ما لا يعني، الشريعة، تعظيم الأنبياء، مراعاة الآداب، المحاضرة مع الأرواح، أخذ وثيقة السند، تعظيم مؤسس الطريقة وإجلاله.
(6) الآيات (60)، الأحاديث (23)، القدسية (1)، الأشعار (11).

وغبرهم[1]. ومن الفقهاء أحمد ثم البيهقي والشافعي وابن القيم. ومن المذاهب والفرق، المذاهب الأربعة والرفاعية. ويحال إلى بعض المصادر المدونة للرفاعي وغيره[2].

2 ـ **«القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية»**[3]: وهي أيضاً في الطريقة الرفاعية وقواعدها وهي تسع[4]. وهي تمثل عقداً بين المريد وشيخ الطريق، عقد الانضمام إلى جماعة لا هي سرية مثل إخوان الصفا، وجماعات التشنيع، ولا هي علنية مثل جماعات أهل السنة وهيئات السلطة القائمة. هي بيعة وعهد، خلوة وذكر، زي وصحبة، طاعة والتزام، خرقة ووراثة عن النبي. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. ومعظم القرآن سوراً قصاراً بأكملها[6]. والشعر قصيدة واحدة طويلة[7]. ومن الصوفية يذكر بطبيعة الحال أحمد الرفاعي وآل الرفاعي والرفاعية ثم الحسن البصري والجنيد وداود الطائي والسري السقطي ومعروف الكرخي والروزباري. ومن الفقهاء السيوطي. ويُفضل نسب الرفاعي عوداً إلى أنساب الجاهلية والأشراف[8]. والدعوة إلى الله مثل الدعوة إلى الشيخ مثل الدعوة إلى السلطان «اللهم انصر سلطاننا»[9].

---

(1) أحمد الرفاعي (8)، الحسن البصري (5)، الرواس (4)، الجيلاني، السيوطي (3)، ابن حجر، النابلسي (2)، الشنطوني، الشعراني، الغزالي، سعيد بن المسيب، النفري، الكرخي، الجيلي (1).

(2) مثل «البرهان المؤيد» للرفاعي، «طي السجل»، «لهجة الأسرار».

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (2) ص81-108.

(4) وهي: البيعة وتلقين الذكر، سلوك الطريقة، الخلوة الأسبوعية، الزي واللباس، الورد والذكر، الخوارق، أدب المرشد والمريد، الأدب مع مؤسس الطريقة. لبس الخرقة وسندها.

(5) الآيات (27)، الأحاديث (3)، الأشعار (1).

(6) السابق ص92-94.

(7) السابق ص94-97.

(8) السابق ص 104-106.

(9) «اللهم انصر سلطاننا أمير المؤمنين، خادم شريعة سيد المرسلين، وأيد به حكمة الحق والدين، واحفظ به ثغور بلاد المسلمين، اللهم انصره وانصر عساكره، واجعل على أعدائنا وأعدائه من السوء دائرة، اللهم من أرادنا أو أراد ديننا أو أراد بلادنا بسوء فاجعل دائرة السوء عليه. اللهم ارم نحره في كيده، وكيده في نحره حتى يذبح نفسه بيديه. اللهم اكفنا والمسلمين السوء بما شئت وكيف شئت. إنك على ما تشاء قدير...» السابق ص99.

3 ـ **«الرقائق الرواسية»**[1]: وهي مجموعة من الأقوال للرفاعي في موضوعات متناثرة ومسجوعة[2]. وتعني الرقيقة القول المأثور الأخلاقي العملي دون الشطحات. وهي نوع أدبي جديد[3]. يجمع بين النثر الفني والموضوعات الصوفية. منها ما يدور حول نظرية المعرفة، مثل العلم والعقل والرأي والرزانة والأدب. ومنها ما يدور حول الطبيعة مثل الكون. ومنها ما يدور حول الشبهة في القصائد، والبدأ والإعادة والقدرة والنعمة والقدر والجلال. ومنها ما يتعلق بالقرآن والنص والنبوة والسنة واتفاقها مع الأخلاق، ودور الرسول كمرشد وسفير. ومنها ما يتناول بعض الموضوعات الغيبية مثل جبريل. وتظهر بعض الموضوعات الصوفية مثل العشق والمحبة. كما تظهر بعض موضوعات الطريق مثل التقشف والورد والصديق والفاجر. وتبدو بعض عبارات الإصلاح ضد المتقشفة والمتصوفة والمتفيقهة دفاعا عن الصوفية. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر كما تعتمد على أقوال الرواة، وبعض المصادر المدونة[4]. ولا يذكر إلا الرفاعي شيخ الطريقة. ويقرن به عديد من ألقاب التعظيم والتفخيم والإجلال لدرجة التأليه[5].

4 ـ **«الفجر المنير في بعض أقوال الرفاعي الكبير»**[6]: من حيث الشكل الأدبي هي مجموعة من الوصايا لولده وللفقراء وللمشايخ[7]. وفي نفس الوقت هي ذكر لمناقب شيخ الطريقة أحمد الرفاعي. مرضه وموته ووصيته إلى أهله[8]. وهي ثالثاً أجوبة على أسئلة علماء بغداد، حين سئل عن السماع[9]. وهي رابعاً أقوال

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(2) وعددها ثلاث وثلاثون.

(3) الآيات (22)، الأحاديث (12)، الأشعار (7).

(4) مثل «زبدة الحقائق» للهمذاني، الرقائق الرواسية ص97.

(5) «شيخي وعمي وقرة عيني وتاج رأسي أبي المعالي والبراهين غوث أعاظم الواصلية شمس العرفان، فرد الزمان، قطب الوقت، والأوان سيد أهل هذا الشأن، علامة العصر، فهامة الدهر، الشامخ المجد، المتين الأساس، غريب الغرباء، مولاي وملجئي...»، السابق ص87. «شيخ الأمة الغوث الأكبر والكبريت الأحمر والقمر الفاطمي الأزهر»، السابق ص103

(6) دار الكتب العلمية،بيروت 2005م -1426هـ (3)، ص93-158.

(7) السابق ص108-121/ 134-136/ 144/ 149.

(8) السابق ص93-97.

(9) السابق ص121-130/ 149/ 152.

في شأن المشايخ والأولياء العارفين الواصلين[1]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويُحال إلى بعض الصوفية مثل الشعراني والجيلي وكثيرون غيرهم[3].

ك ـ «تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية» لمحمد أمين النقشبندي (1332هـ)[4]: وهو كتاب في الوعي التاريخي الخاص بمشايخ الطريقة. يذكر أولاً أسماء واحد وثلاثين شيخاً. لهم ألقابهم مثل «سيدنا»، أو «الشيخ»، أو «سيدنا الشيخ»، أو «سيدنا الدرويش»، أو «سيدنا ومولانا»، أو «مولانا ومشيخنا». وكلها ألقاب التعظيم والتفخيم والإجلال للمشايخ مما يتنافى مع الاعتراض والنقد وتجاوز القدماء. وتتضمن حكايات المشايخ مناقبهم وكراماتهم. ويقوم التاريخ على قراءة الحاضر في الماضي. فمن مشايخ النقشبندية الرسول وأبو بكر وسلمان الفارسي وجعفر الصادق والبسطامي. ثم تأتي سبعة فصول في النهاية في التصوف، والتوبة والذكر وأنواعه، وعدم الاعتراض على الجذبة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. ويحال إلى عديد من الصوفية قدماء ومحدثين وإلى الطرق الصوفية[6]. يأتي في المقدمة الجنيد ثم ابن عربي ثم غيرهم مثل الحسن البصري والبسطامي. كما يذكر عدد من الفقهاء والطرق الصوفية. وتكثر أسماء الفرس والترك أي العجم غير العرب[7]. ومع ذلك تظهر بعض التحليلات النظرية الخالصة مثل شروط التوبة[8].

ل ـ «الورد الشريف» للحسني (1345هـ)[9]: وهو ورد للقراءة صباحاً ومساء

---

(1) السابق ص149.

(2) الآيات (41)، الأحاديث (22)، الأشعار (6).

(3) الشعراني (2)، الجيلي (1).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ.

(5) الأحاديث (101)، الآيات (80)، القدسية (4)، الأشعار (16).

(6) الشيخ الأكبر ابن عربي (3)، الجنيد (2)، شقيق البلخي، القشيري، ابن أبي الخير، سهيل، الحسن البصري، الشاذلي. ومن الفقهاء الشافعي، الجويني، وابن الجوزي، ومن الطرق الصوفية النقشبندية (3)، السهروردية، القادرية (2)، الكبروية الجشتية (1).

(7) مثل خوردم، كلال، الخرقاني، الغامدي، الفجرواني، الزيوكري، الانجير فقنوس، الجرضي، الخواجكي، الأمكنكي، جان جاتان.

(8) تهذيب المواهب ص153.

(9) السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (5)، ص153-156.

مرة على الأقل كل يوم دون خروج عليه. ويتكون من قراءة الفاتحة والتعوذ بالله من الشيطان (مائة مرة)، والصلاة والسلام على الرسول (خمسين مرة)، والدعوة له[1]. (اثنا عشرة مرة)، والتشهد (أحد عشر مرة)، ويا ودود، ويا لطيف، والتشهد كل منها (مائة مرة)، والله (111مرة)....الخ. فالأوراد تفعل بذاتها، وتؤثر بسحر كلماتها.

م ـ «الدرر المرضية في كيفية سلوك الطريقة الرفاعية» للبطاوي[2]: وهو كتاب في الطريقة الرفاعية، كما يدل العنوان. جمعه صاحبه وليس ألفه من مصادر سابقة. يعتمد على الفقه والحديث[3]. قلد «الحكم» كشكل أدبي مثل جوامع الكلم. تجمع بين الطريقة وآداب الشيخ والمريد. ولا يوجد سبب خاص للتأليف. يتضمن خمسة أبواب. الأول في ترجمة صاحب الطريق أحمد الرفاعي. وهي أقرب إلى وصف الطريق منه إلى تاريخ حياة مؤسس الطريقة. تتعرض لآداب المريد، ومقامات النفوس السبعة، وكيفية تلاوة الأسماء. والثاني المبايعة وأصول الخلافة وهي مرتبة الدرويش. والثالث مقتطفات من أقوال القطب الكبير وهو أكبر الأبواب[4]. والورد بعد كل صلاة. وفي الخاتمة نبذة من جوامع الكلم وشرط لبس شرف الصالحين، وعبد القادر الجيلي هو النموذج، والرابع فضل الذكر والذاكر، والتحذير من ترك الذكر واختبار الذاكرين. والخامس في التوحيد والمعرفة وبيان معاني التدبير والإيمان، وحديث الفاتحة في «الفتوحات» وعظماء القدر والمقام عند الرفاعيين، وأخيراً أحوال أدعية التصوف في كل مصر[5]. معظمها

(1) مثل «ادركنا يا رسول الله. اجبر كسرنا يا حبيب الله. خذ بأيدينا يا أكرم الخلق على الله».

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ.

(3) السابق ص99-203.

(4) ويشمل آداب الذكر والرابطة الأحمدية، ومراسم الطريقة، أقسام السلاح والنار والآفات. السيف والدبوس والشيش والصاج واللث (الدف والسحق) والنار والحبة والحنش والعقرب والسم والماء والتدفيف. وهناك أقسام أخرى لمن انفلتت دابته، والبركة في الطعام، وإيقاف الفرس.

(5) «أرى من الفقراء في هذا الزمان أناساً قد ادّعوا المشيخة وظنوا أنهم من الذين حازوا الولاية الكبرى، وهم كالأنعام بل هم أضل حيث صار ممن تشبه بالقوم... أذن له شيخه أم لم يأذن له. صار يستفتح الذكر ويلقي العهد ويجمع بالقوم من أهل الصنائع والحرف وأكثر وقده تاركين الصلاة من العوام الزنادقة. وهو مع هذا يدعي أنه قائم في الخلق مكان =

حكايات كرامات وخوارق ووصفات شعبية للدواء[1]. ويتوجه الخطاب إلى القارئ.

يعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. كما يعتمد على كثير من المقتبسات بطبيعة الحال من صاحب الحكم، أبي عطاء الله، ثم أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة، ثم الشعراني والخواص والبسطامي وإبراهيم بن أدهم، ثم الجنيد وسهيل وابن عربي وغيرهم[3]. ومن الفقهاء أحمد ثم الشافعي[4]. ومن الفرق الرفاعية ثم الصوفية[5]. ومن المصادر المذكورة «الفتوحات» و«الأحياء»[6]. وأخرى من المصادر المعلنة[7].

3 ـ الشيخ والمريد:

وهو الباب الأخير في التصوف كطريق أي في الوعي الذاتي ويتضمن وصف العلاقات الاجتماعية بين الصوفية أي التجربة المشتركة الداخلية. وتتضمن آداب الشيخ والمريد، ووصايا الشيخ للمريد.

أ ـ آداب الشيخ والمريد:

1 ـ «الأدب في الدين» (الغزالي 505هـ)[8]: وهو في الآداب العامة في

= نبيهم. وكفى بذلك جهلاً وكفراً وسوء أدب. وأين المقام من المقام، وأين الملائكة من الشياطين؟ ولعمري الكامل في هذا الزمان من جهل وصف الإسلام، بل هو الضال المضل على الدوام ما لم يتفقه في الدين ثم في أصول السالكين. وإني أرى الآن في هذا الزمان من تصدر للمشيخة وهو أجهل من حمار توما..»، السابق ص132

(1) السابق ص70/ 76.

(2) الآيات (93)، الأحاديث (92)، القدسية (3)، الأشعار (10).

(3) صاحب الحكم (21)، أحمد الرفاعي (10)، الغزالي (5)، علي الخواص، الشعراني، البسطامي، إبراهيم بن أدهم (3)، الجنيد، ابن عربي، الشاذلي، سهيل (2)، السبكي، ابن عطاء الله، الترمذي، محمد بن سيرين، القشيري، أبو مدين، بشر الحارث، الفضيل ابن عياض، مالك بن دينار (1).

(4) أحمد (3)، الشافعي (1).

(5) الرفاعية (الرفاعيون) (7)، الصوفية (2).

(6) الفتوحات (2)، الإحياء.

(7) مثل «بهجة الأسرار»، و «أم البراهين».

(8) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م- 1427هـ (5) ص89-119.

العبادات والعاملات. لا يعتمد على قرآن أو حديث أو شعر أو إسرائيليات بل على البداهة الخلقية والإحساس الفطري الطبيعي. ولا يذكر اسم علم واحد باستثناء لفظ «الحكماء» في الآداب الجامعة[1]. وبعض الآداب تقوم على الخوف والارتعاش والوجل من الله والتوكل عليه وتقييد الجوارح واليأس مما في أيدي الخلائق[2]. والأولى آداب الطمأنينة والثقة بالنفس. والبعض الآخر آداب اعتزال الناس والأولى مشاركتهم[3]. أما الخسوف والاستسقاء ودوران الأفلاك وسقوط الأمطار فإنها ظواهر طبيعية وليست أفعالاً إنسانية لها آداب[4]. والبعض في أدب السيد مع عبده والعبد مع سيده وقد انتهى نظام العبودية إلى نظام المساواة بين البشر الأحرار[5]. أما آداب السلطان مع الرعية وآداب الرعية مع السلطان فيحكمها الدستور[6]. وتدور الآداب بالإضافة إلى بعض الآداب الجامعة حول عدة محاور حول الله في أدب المؤمنين بين يدي الله باعتباره الآخر المطلق[7].

---

(1) الأدب في الدين ص134.

(2) السابق ص107-109.

(3) السابق ص114.

(4) السابق ص23.

(5) السابق ص132-133.

(6) السابق ص133.

(7) ومجموعها ستة وسبعون آداباً. منها آداب العلم، العالم والمتعلم، ومعلم الصبيان، والمقرئ والقارئ، والمحدّث وطالب الحديث والكاتب والواعظ والمستمع. وآداب القاضي والشاهد. ومنها آداب المناسك واعتزال الناس والصوفي والشريف وهي الآداب الصوفية. وهي جزء من الآداب العامة. ومنها آداب فقهية شرعية مثل آداب النوم والتهجد، والخلاء والحمام، والوضوء، ودخول المسجد، والاعتكاف، والأذان، والإمام والصلاة، والقراءة والدعاء والجمعة والخطيب، والعيد والمريض والمعزي والمشي مع الجنازة، والصيام، والحج والإحرام، ودخول مكة والمدينة، وآداب الأكل والشرب. ومنها آداب اجتماعية اقتصادية مثل آداب المتصوف والسائل والغني والفقير والمهدي واصطناع المعروف والتاجر والصيرفي والصائغ. ومنها آداب الطريق مثل الصحبة والاستئذان والمعاشرة، وآداب الإخوان والجار وآداب العلاقات الاجتماعية. ومنها آداب الأسرة، الزواج، والخطبة، والجماع، والزوج مع زوجه، والولد مع والديه، والأولاد مع الوالد. ومنها آداب لذات، الرجل مع نفسه، والمرأة مع نفسها، فالإنسان ذات قبل أن يكون آخر، ومنها آداب الجهاد والأسير، آداب النصر والهزيمة.

2 ـ «رسالة في أدب العلم» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)[1]: وهو نص مجمل أقرب إلى أدب «العمل» منه إلى أدب «العلم»، فالعلم عملي، التصوف نموذجاً. الخطاب مجرد أوامر وإرشادات ونصائح موجه إلى القارئ. ويخلو من الأبواب والفصول إلا من عنوانين فرعيين اشراقيين على طريقة صدر الدين الشيرازي[2]. على المريد التزامات عشرة[3]. وفي الخطاب القرآني للرسول عدة فوائد منها مجاملة النبي، والبداية بالآخر بعد أمر النفس، والصبر على التكاليف. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[4]. ولا يذكر من الصوفية إلا الحلاج وشيخ يسأل عن شيخه[5].

3 ـ «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لابن جماعة (733هـ)[6]: وهو كتاب من أحد الشافعية في آداب الشيخ والمريد على نحو تفصيلي لدرجة كيفية جلوس العالم على الكرسي[7]. ويتكون من خمسة أبواب، الأول في فضل العلم والعلماء. والثاني في أدب العالم في نفسه أي تربية الذات. والثالث في آداب المتعلم أي المريد، وهو أطول الأبواب لأنه الأكثر حاجة إلى تعليم. والرابع في الآداب مع الكتب وكيفية التعامل معها، فالكتاب أداة العلم. والخامس في آداب سكن المدارس[8]. وينقسم الباب الثاني إلى فصول، والفصول إلى أنواع. وينقسم الرابع والخامس إلى أنواع فقط دون فصول. وهو كتاب تربوي تأديبي للطرقية، العالم والمتعلم، والآلة بينهما، والكتاب والمدرسة. والغاية من

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (2)، ص45-61.

(2) هما «بيان واعتبار واستشراق أنوار»، تنبيه وأعلام لأمور ينبغي للمتسببين أن يلزموها»، السابق ص48-49.

(3) هي: ربط الحزم، والوضوء، ووداع الأهل في الله حين الخروج، والبسملة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السكينة والوقار، وذكر الله في السوق، وعدم الانشغال بالبيع والشراء، وترك الحلف والإطراء لسلفه، وعدم الغيبة باللسان.

(4) الآيات (31)، الأحاديث (21).

(5) هما أبو الحسن يسأل عن شيخه عبد السلام، آداب العلم ص57.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ.

(7) السابق، ص39.

(8) الباب الأول (8)، الثاني (36)، الثالث (80)، الرابع (22)، الخامس (36).

التأليف احتياج الطلبة[1]. يكشف عن الصلة بين العلم والأخلاق. فالعلم ليس فقط معلومات محصلة، بل أيضاً سلوك العلماء وتهذيب النفس. وإنما يضيع العلم بضياع العلماء. ويعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر[2]. وتتوالى الآيات والأحاديث في دفعات متتالية[3]. وتقل الأدلة النقلية في آخر الكتاب اعتماداً على الملاحظات التجريبية[4]. ويعتمد على بعض أقوال العلماء بالإضافة إلى بعض المصادر الشفاهية. والعلماء محدثون وزهاد وفقهاء، وصوفية. كما يعتمد على بعض القصص مثل إلهام الحيوانات[5]. ويعتمد الأسلوب على السجع من أجل التأثير على الطلاب ومساعدتهم على حفظه[6].

4 ـ «البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية» لمحمد النقشبندي (1279هـ)[7]: وهو في «آداب الشيخ والمريد» خاصة والطريقة عامة. ويتضمن كتابين متساويين تقريباً. الأول «كتاب الآداب» وهو الأصغر. والثاني «كتاب الأذكار»، وهو الأكبر[8]. يتضمن الأول ثلاثة أبواب في آداب المريد مع الشيخ، ومع أخوته وآداب الشيخ. والثاني يتضمن عشرة فصول. خمسة منها في آداب الشيخ والمريد[9]. وباقي الفصول في الأذكار، آيات تخصيص القلب بالإيمان والإنابة والخشية والذكر والتقوى والسلامة. وأهمها وأطولها الثالث في

---

(1) «دعاني ما رأيت من احتياج الطلبة إليه. وعسر تكرار توقفهم عليه إما لحياء فيمنعهم الحضور أو لجفاء فيورثهم النفور إلى جمع هذا المختصر مذكراً للعالم ما جعل إليه ومنبهاً للطالب على ما يتعين عليه وما يشتركان فيه من الأدب وما ينبغي سلوكه من مصاحبة الكتب ثم أدب من سكن المدارس منهياً أو طالباً لأنها مساكن طلبة العلم في هذه الأزمنة غالباً، تذكرة السامع والمتكلم ص15.

(2) الأحاديث (33)، الآيات (27)، الأشعار (16).

(3) تذكرة السامع والمتكلم ص17/ 20/ 24.

(4) السابق ص90-208.

(5) السابق ص 15-16.

(6) السابق ص19.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م -1424هـ.

(8) السابق ص63-80.

(9) أخذ الشيخ العهد علي المريد، أو الشروع في ذلك، ووقوع تفرقة أو وسوسة أو قبض المريد أثناء الذكر أو الأحوال العجيبة والخوارق الغريبة، وطريقة التصوف في باطن المريد.

طرق الوصول إلى الله والفناء فيه عند النقشبندية. وهي أربعة: الأولى صحبة الشيخ الحقيقي الكامل، وهي الأقوى. والثانية الرابطة. والثالثة الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار. وأول الذكر لفظ الجلالة مع حضور القلب، وثانيه فعلا النفي والإثبات في الشهادة «لا إله إلا الله». والرابعة التوجه والمراقبة[1]. هذا بالإضافة إلى تكميل الصلوات والوظائف التي أمر بها الشيخ، والآداب الظاهرة مع الحق، وأخيراً حالا الفناء والبقاء. أما الخاتمة، ففي مناقب الشيخ ومن تولوا المشيخة من بعده[2]. ولكل ألقابه. فالمؤسس هو «حضرة مولانا.. قدس سره». والثاني سيدنا الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ..، قدس سره، والثالث حضرة مولانا.. المجددي العثماني قدس سره». وسبب التأليف هو سؤال عن الطريقة وكيفية الوصول إلى الذروة العليا[3]. وكانت الإجابة بعد الاستخارة من الله والإجازة من سلسلة مشايخ الطريقة. والتآليف كثيرة، يتفق كل منها مع عصره. فالتاريخ يفرض نفسه على التأليف[4]. كل جيل يقرأ الجيل السابق حتى يستمر التواصل في الفهم طبقاً للغة كل عصر. وإذا كانت لغة التأليف هي الفارسية فيما وراء النهر فإن لها مصطلحاتها العربية[5]. ولا يوجد سبب خاص للتأليف أو منهج جديد إلا النقل عن المشايخ وليس إبداع المريدين. وتذكر صور الإجازات المقابلة

---

(1) المؤسس هو بهاء الدين محمد شاه نقشبند، والثاني أحمد الفاروقي الحنفي السرهندي. والثالث أبو البهاء ضياء الدين خالد النقشبندي.

(2) الطريقة العلية ص68.

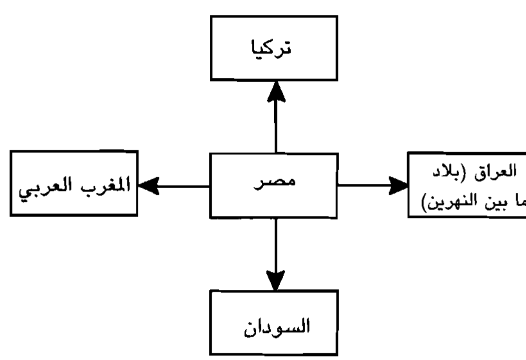
(3) «فقد سألني بعض الأحبة... أن أكتب لهم شيئاً من آداب السلوك في طريقة سادتنا النقشبندية، فأجبتهم إلى سؤالهم وإن لم أكن أهلاً لذلك اعتماداً على فضل الكريم المالك؟ وما أجبتهم إلا بعد الاستخارة الشرعية النبوية والاستجازة من روحانية سادة السلسلة العلية النقشبندية...»، السابق ص7.

(4) «اعلم أيها الغالب أن كتب الطريقة كثيرة، واضحة شهيرة ولكن لابد كما قال بعضهم لكل عصر من مترجم يترجم كلام أهل العصر الذي قبله حتى يفهمه أهل العصر الذي بعده...»، الطريقة العليا ص7.

(5) يضرب المثل بإحدى عشر مصطلحاً. وقوف زماني، وقوف عددي، وقوف قلبي، هو شيء دردم هوش (العقل، الظرف، النفس)، نظر برقدم (النظر إلى القدم)، سفردر وطن (السفر إلى الوطن)، خلوة دار انجمن (خلوة جمعية الناس)، يا دكرد (النفس والإثبات) بازكشت (الرجوع)، تكاد داشت (الحفظ)، ياد دشت (حفظ القلب)، السابق ص 80-86.

لأسانيد الروايات. وواضح أن مناطق الزخم الصوفي في مصر في الوسط القاهرة أو الإسكندرية ملتقى المغاربة والمصريين، أو في الغرب في المغرب العربي خاصة المغرب الأقصى، وفي الشرق في العراق وبلاد ما وراء النهر، وفي الشمال في تركيا خاصة في عصر الطرقية، وفي الجنوب في السودان وأفريقيا[1].

ويعتمد على القرآن والسنة والشعر[2]. ومع الأدلة النقلية يظهر أحياناً التحليل العقلي الخالص. كما تؤخذ عدة اقتباسات من أقوال الصوفية ووضع علامة «انتهى»[3]. ويحال إلى كثير من الصوفية قدماء ومحدثين يتقدمهم البسطامي وابن عربي والشعراني وعلى الخواص، ثم الجنيد والشاذلي، ثم الحلاج وذو النون والغزالي. والسهروردي وغيرهم[4]. ومن الفقهاء ابن الهمام وابن الشبلي وابن حجر وزكريا الأنصاري وغيرهم. ومعظمهم من الحنفية، جمعاً بين العقل الفقهي والطريقة الصوفية[5]. فقد استطاع التصوف أن يخترق الفقه، وأن يوحد بين المذاهب. كان لكل صوفي مذهب فقهي بطريقة صوفية[6]. وتذكر الطرق الصوفية

(1)


(2) الآيات (53)، الأحاديث (16)، القدسية (1)، الأشعار (29).

(3) انتهى (10).

(4) البسطامي، ابن عربي، الشعراني، علي الخواص (5)، الجنيد، الشاذلي (3)، أبو علي الدقاق، الغزالي، السهروردي، ذو النون، الحلاج (2)، الرومي، ابن الفارض، الكرخي، الجيلي، الهروي، الداراني، الكتاني، الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، القشيري، حافظ، السري السقطي، القاضي عياض، الشبلي، الخراز، ابن عطاء الله. . .الخ (1).

(5) ابن الهمام، ابن الشبلي، الشرنبلالي، الرملي، الحموي، زكريا الأنصاري، ابن حجر (1).

(6) ومن الحنفية: ابن الهمام، ابن الشبلي، الشربنلالي، الرملي، الحموي.ومن الشافعية: العز بن عبد السلام، الغزالي، السبكي، السيوطي، زكريا الأنصاري، ابن حجر. ومن =

كحقائق نظرية، وحوادث تاريخية مثل أعلام المشايخ. وفي كليهما تكثر حكايات المناقب والكرامات[1]. وهناك بعض المصادر المعلنة وأخرى مستعملة[2]. وتحال إلى الإسرائيليات مرة واحدة[3].

5 ـ «نعت البدايات وتوصيف النهايات» لابن مامين (أُلف عام 1300هـ)[4]:
وهو أيضاً في آداب الشيخ والمريد من خلال وصف بداية الطريق ونهايته. للبدايات نعت، وللنهايات وصف. والنعت والوصف شبيهان. لذلك انقسم الكتاب إلى كتابين: الأول «نعت البدايات وما يصلح لأهلها إلى النهايات للمريد». والثاني «توصيف النهايات وما يصلح لأهلها إلى الممات للشيخ»[5]. والثاني ثلاثة أضعاف الأول تقريبا[6]. وينقسم كل كتاب إلى أربعة أبواب في بنية ثلاثية: آداب المريد مع شيخه ومع ربه ومع أخواته ثم مجموعة من الأقوال والأفعال للانتفاع بها. ويضم الثاني آداب الشيخ مع ربه ومع تلاميذه ومع الخلق أجمع. ثم تُنكر مجموعة من الأقوال والأفعال للانتفاع بها. وهي بنية محكمة على عكس الأعمال الصوفية المتأخرة بعد تناثر البينة أو غيابها كلية. ونظراً لأهميتها فإنها توضع في البداية في مقدمة الكتاب بعد العنوان[7]. وسبب التأليف هو الحاجة إلى وضع تصنيف فيه، يبين وصف المريد وشيخه المربي، وما يجب على كل منهما فيما يليه». وهو أيضاً رد فعل على ما آل إليه التصوف في هذا العصر المتأخر من وهن الهمم وكثرة الادعاء[8].

= المالكية الشاذلي، المرسي ابن عطاء الله، ابن أبي حجرة، اللقاني، زروق. ومن الحنابلة. عبد القادر الجيلي، الهروي، الفتوح غيرهم. السابق ص10.

(1) من الطرق: الملامية القلندرية، الحيدرية، الحريرية، الأحمدية، الدسوقية، الرفاعية، المسلمية، البسطامية. . .الخ.

(2) المعلنة مثل: «الرسالة الملكية» للبرقاق، «الحديقة الندية»، «مشارق الأنوار القدسية»، ومن المستعملة «الإحياء».

(3) الطريقة العلية ص45.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت.

(5) الأول (58)، الثاني (169).

(6) نعت البدايات ص5-6.

(7) السابق ص5.

(8) «وقد وضع القوم فيه كتبا جليلة، وافية بشروطه، حسنة جليلة، لكن قصر عنها وعن =

ونموذج علاقة الشيخ بالمريد هي علاقة الرسول بأصحابه. لذلك كثر الحديث عن الرسول، وكثر الاستشهاد بالأحاديث حتى أصبح الكتاب أقرب إلى علم الحديث أو إلى تشخيصه في علم السيرة، وتحويل أدعية إلى أوراد في المناسبات[1]. وأحياناً يبدو وكأنه مؤلف في علم التفسير المتأخر وتحويل الآيات إلى أحجية للشفاء كما هو سائد في الدين الشعبي[2]. وتضاف إليها رسوم توضيحية بالحروف في المربعات للشفاء وجلب الحظ والسعد. فالشفاء بالحروف بعد أن كان بالطب النبوي، وكما هو الحال عند ابن عربي في كتاب «الحروف» في «الفتوحات»[3]. لكل حرف دلالته وأثره. ويتم شرح أسماء الله الحسنى كقواعد للسلوك[4]. وللسور كرامات. ولكل سورة كرامتها[5]. وقد يكون لذلك كله أصول في بعض الأحاديث.

وتتنوع الأوراد طبقاً للطريقة الصوفية. فلكل طريقة أورادها طبقاً لطرقها في الذكر وأساليبها في الرياضة والمجاهدة[6]. وتتنوع الطرق والأوراد بين المشرق والمغرب.

ويعتمد على كثير من الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر[7]. ويسبق الشعر الحديث. وتتكرر الآيات والأحاديث في زخات متتالية[8]. والخاتمة كلها شعرية. كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية دون أحد بعينه وكثرة ذكره والاعتماد عليه. ومنهم اللغويون والنحاة والفقهاء والرواة والشعراء

= شروطها أهل هذا الزمن، وتعذر عليهم معرفتها لكون تحريك علو هممهم سكن. وذلك وقع فيه لأجل موالفتهم للمألوفات الداعية للوهن وعدم مجاهدتهم لأنفسهم لينقل عنهم ما فيهم منها عدن. ومع ذلك كثر فيهم للبدايات والنهايات المدعون الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم»، السابق ص5.

(1) «وهي أول السنة وآخرها، ويوم عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، وأدعية كل يوم من أيام الأسبوع»، السابق ص165-172.

(2) السابق، ص199.

(3) السابق ص177-186/ 182/ 184/ 189/ 202.

(4) السابق ص157-165.

(5) السابق ص191-229.

(6) السابق ص173-174، مثل القادرية والتيجانية.

(7) الآيات (264)، الأشعار (286)، الأحاديث (282)، القدسية (2).

(8) نعت البدايات ص41/ 59-62/ 128-129/ 148-158/ 246-269.

والقادة[1]. ويأتي في مقدمتهم الغزالي ثم الرازي (الفخر)، والشعراني، ثم الحسن البصري والجنيد،وابن عربي والقشيري، والسهروردي (العارف)...الخ[2]. وتُذكر بعض المصادر المدونة مثل «مفاتيح الغيب» للرازي، و«تفسير القرطبي» و«آداب المريدين» للسهروردي (أبو النجيب)، و«القاموس» للجوهري. وهناك مصادر مدونة أخرى مثل «النفحات الشاذلية في شرح البوصيرية» لحسن العدوي. كما يستشهد المؤلف بكثير من الروايات الشفاهية التي سمعها. ويعتمد خاصة على علم التفسير والحديث. ومن الفقهاء ابن الصلاح وتاج الدين السبكي. ومن النحويين الخليل بن أحمد، ومن اللغويين الجوهري، والزجاج. ومن الشعراء كعب بن زهير، ولكل منهم لقب. فالجنيد سيد الطائفة، وابن عربي الشيخ الأكبر، والسهروردي العارف. وتظهر الإسرائيليات في قصص الأنبياء وأقوال عيسى[3]. وتبدو أحياناً بقايا القسمة العقلية للحصر[4]. ويتوجه الكتاب إلى القارئ بعدة لازمات طويلة مثل «اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لما فيه الرضى» أو قصيرة مثل «اعلم»، أو «اعلموا»[5]. وتتخلل الفقرات بعض ألفاظ التنبيه للتركيز مثل «فائدة»، «حكاية»...الخ[6].

ب ـ آداب الشيخ

1 ـ «داعيا لفلاح إلى سبيل النجاح» لمحمد المرصفي (966هـ)[7]: وهو نص مجمل بلا أبواب وفصول في آداب الشيخ. ومنها يُعرف الطريق الصوفي بمراحله الثلاث: الخلقي والنفسي والفلسفي، ثم التحول إلى العملي في الطريق والطرقية. فمن التصوف الخلقي التجلي عن مساوئ الصفات والتحلي بمحاسنها، وهذا هو

---

(1) الغزالي (3)، الرازي، الشعراني (2)، علي الخواص، القشيري، القلشاني، قس بن ساعدة، سفيان بن عيينة، عبد الواحد بن يزيد، السهروردي (العارف).

(2) نعت البدايات ص118.

(3) السابق ص54/ 115/ 191.

(4) السابق ص17-18/ 54/ 56/ 68/ 130/ 153-154/ 172-173/ 234-235.

(5) السابق ص155.

(6) فائدة، فائدتان، حكاية، حكاية مضحكة، السابق ص30/ 79/ 81/ 199/ 203/ 99/ 71.

(7) دار الكتب العلمية،بيروت 2005م -1426هـ (2)، ص87-140.

سبب التأليف[1]. ومن النفسي التحول من الظاهر إلى الباطن، والترقي في الأحوال السيئة، والتجرد الحقيقي من أجل الكمال وأنواع الخواطر. ومن المقامات والأحوال الفقر والزهد. ومن التصوف الفلسفي مراتب التوحيد. ومن الطريق الذكر والوصل والوصال والوصول والاتصال. ومن الكرامات الكثير[2]. وعلامات الأولياء أكثر عند الموت والخروج من الدنيا[3]. وكلها تفصيلات في السلوك الإنساني في نقل الفوارق الفردية بين الناس. ويعتمد على الأحاديث ثم القرآن ثم الشعر[4]. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية القدماء مثل الجنيد والتستري ثم الكيلاني واليافعي والسهروردي وغيرهم[5].

2 ـ «الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية» لمحمد بن أحمد البوزيدي المستغانمي (1229هـ)[6]: وهي في موضوع آداب التعامل مع الشيخ. ينقسم إلى تسعة فصول بلا عناوين، وفصلين بعنوانين[7]. وكل الآداب نواهي تبدأ بلفظ «عدم»[8]. وكلها آداب تجعل الشيخ محط التقديس والإجلال والتعظيم والهيبة[9].

---

(1) «فقد سألتني أيها السائل.. عن الزهد وتجريد الظاهر بخشونة العيش والثياب هل هو ركن يعتمد عليه في طريق الصوفية؟ فقد رأيت من تناهى فيه إلى كشف العورة والرأس...الخ. وما هو الشيخ المربي والمريد المهذب والمزكي وأدبه؟ وما سلسلة طريق الجنيد والشاذلية؟ وهل لك بالطريقين وصلة أو بأحدهما أم لا؟ وما هو التصوف؟ وما هو الصوفي؟ وما الفرق بين التصوف والفقر؟ والزهد والصوفي والمتصوف والمتشبه...؟» السابق ص87.

(2) مثل: انغلاق البحر وجفافه، انقلاب الأعيان، العلم بالحوادث، قبل وقوعها والاطلاع على ضمائر الناس، كلام الحيوان والجماد، إبراء العليل، طاعة الأشياء، السابق ص26-135.

(3) السابق ص135-140.

(4) الأحاديث (52)، الآيات (28)، الأشعار (8).

(5) الجنيد (4)، التستري (3)، اليافعي، الكيلاني، السهروردي (2)، الداراني، الدقاق، بشر الحارث، السري السقطي، النووي، رويم، الروزباري، الشبلي، الحلاج، ذو النون، السراج، البسطامي، شعوانة...الخ.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (1) ص9-154.

(7) «فصل في أدب السائر في سيره إلى حضرة ربه»، «فصل في أدب الفقر الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ أن يذكر»، السابق ص95-99.

(8) الفقرات التي تبدأ بلفظ «عدم» خمسون فقرة.

(9) مثل: عدم الإكثار من الجلوس معه أو الضحك أو الكلام أو النظر إليه أو إقرار بعض المسائل العلمية في حضرته، والجلوس أمامه جلسة العوام، والمشي معه على =

وهذا هو سبب التأليف[1]. يخاطب المؤلف القارئ وهو المريد، كلها تقريباً ما ينبغيات وتحذيرات[2]. ويظهر أسلوب القول «فإن قيل..قلت» للرد على المعارضين. ويحال إلى بعض المصادر مثل «الحكم» بصرف النظر عن صاحبها. ويظهر نقد العصر مما يدل على أن التصوف رد فعل عليه[3]. وتبدأ بعض الفقرات بنداء «اللهم» كالمناجاة[4]. وتستعمل بعض الأمثال العامية للتقريب إلى الأذهان وإقناع المريدين. فالتصوف للعامة وليس للخاصة، جزء من الثقافة الشعبية[5]. يعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. والاقتباسات من الصوفية قليلة تبرز بعلامة «انتهى»، وتظهر بعض الإسرائيليات[7]. والاعتماد الأكثر على التجارب الشخصية. ولا يخلو أحياناً من الاستطراد[8]. ومع ذلك تظهر القسمة العقلية كحد أدنى من التحليل العقلي[9].

3 ـ «وظيفة الإمام الأوحد الهمام الولي الصالح أبي العباس سيدنا أحمد

= التساوي، والجلوس بوصفه والأكل والنوم معه، ومناداته، والجلوس أمام منزله، والدخول إلى منزله بغير إذنه، وتقريب العيال من عياله إلا بعض التبرك، لبس فضلته، لبس الجديد دون إذنه، شكوى الحوائج، الإسراع في الرد على مشورته، إظهار العلم، الالتفاف إلى غيره، المطالبة بالكرامات، ضرورة إذن الشيخ، الظن به، كتمان محبته، نقل الكلام بين الناس، أخذ مكانه في الحلقة، بسط سجادته في غيبته، الاستعلاء عليه، الجلوس معه على نجاسة، المشاركة في الرأي معه، الكلام في وجوده، الاستعلاء عليه، التفخيم في حضرته، مجاورته إلا للخدمة، التجارة معه، تزوج مطلقته أو أرملته وكأنه رسول.

(1) «لما كانت الطرق إلى الله تعالى، وخصوصاً طريقنا هذه، لا تسلك إلا بالآداب وإلا زلت قدم السالك وأسرع إليه العطب لكونها صعبة المرام، عظيمة النفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال، ومن كل صادق صديق، رأيت أن أثبت نبذه من الآداب، منّ علينا بها الكريم الوهاب..» السابق ص9.

(2) السابق ص37-38.

(3) «هذا هو العالم، ووجوده في هذا الزمان قليل»، السابق ص46.

(4) السابق ص28/ 37/ 152/ 154.

(5) السابق ص45/ 61/ 122.

(6) الآيات (129)، الأحاديث (38)، القدسية (4)، الأشعار (6).

(7) الآداب المرضية ص53.

(8) السابق ص85/ 88/ 122/ 125/ 126/ 147/ 151.

(9) السابق ص32/ 55/ 66-67/ 70/ 74-75/ 77/ 77/ 92-93/ 95/ 100/ 103-104/ 123-124/ 127/ 139.

الحبيب»[1]: وواضح أن مدح الشيخ مثل مدح الرسول. فكلاهما إمام أوحد، وولي صالح، سيد وحبيب. وكلها دعوات وابتهالات واستغفار وحمدلات وبسملات وصلوات وتشهدات. في كل حركة دعاء. ويتكرر كل دعاء وتسبيح عدة مرات، طبقاً لأسرار الأعداد الثلاثة أو السبعة أو العشرة. ويصعب التفرقة بين الحديث النبوي وأدعية الولي بعد أن استقل الحديث عن السند والراوي وأصبح من جوامع الكلم. لذلك يصعب التعرف على الأحاديث لأنها بلا أسانيد ولا مصادر ولا أفعال القول ودرجاته المختلفة[2]. ولا توُجد أشعار، فالدعوات أشعار مفقودة. لا يوجد إلا القرآن[3]. وتذكر بعض أعلام الصوفية مثل أبي طالب المكي، والترمذي، والكرخي، وزروق، والشاذلي[4].

4 ـ «فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب» للرواس(1287هـ)[5]: وهو عن بيعة الشيخ في الحضرة بيعات متتالية[6]. ليس لها موضوع محدد. إنما هي أقرب إلى النثر الفني. الكتاب كله إلهام[7]. وهو موجه إلى القارئ. وتضاف إليه وصايا من الخلفاء والصحابة. ويبرز حب العرب[8]. ويتأول الحروف[9]. ولا ينقسم إلى أبواب أو فصول بالرغم من وجود عناوين فرعية كثيرة عن الطريقة الرفاعية والشريعة والحقيقة ومكارم الأخلاق. وهناك عناوين أخرى مثل العناوين الإشراقية لصدر الدين[10]. ويعتمد على القرآن

---

(1) مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1425هـ (4)، ص131-146.

(2) من النص إلى الواقع حـ2 بنية النص، الباب الأول: الوعي التاريخي ص99-243.

(3) الآيات (50).

(4) أبو طالب المكي (2)، الترمذي، الكرخي، زروق، الشاذلي (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(6) وهي 110 بيعة.

(7) فصل الخطاب ص152.

(8) السابق ص182-183.

(9) السابق ص196.

(10) مثل: أسمى مرتبة وأشرف مأدبة، أعظم وصية دينية، توجه لأشرف هيئة سياسية، حجج واهية، ومغالطات يدحضها العارف بصريح الآيات، بيان وإيضاح بأخبار سحاح، ما أعظمه من عهد وما أصدقه من وعد، مكارم الأخلاق ليهنا المتخلق، وليشكر الله المحقق، زبدة السلوك وأدب الملوك، أيها المسترشد إليك صفات المرشد، أكبر منه الالتحاق بأهل السنة، بعض صفات أهل الحسد الانتقاد والنفاق والنكد..الخ.

والحديث والشعر[1]. كل بيعة لها شاهد من آية أو حديث أو من كليهما معاً. وبعض البيعات دون شواهد. وهو في النهاية كتاب سجالي. ينعت حال التصوف لدى المشيخة في كل الأفكار العربية والبلاد الإسلامية. وأحياناً يتم التنبيه على ما لا يلتفت إليه[2]. وتذكر مناقب الشيخ إذ يصعب التمييز بين الطريق والطريقة وآداب الشيخ والمريد. ويُحال إلى «طوالع البدور ومطالع السرور»، و«معراج السالكين»[3]. ومن الأعلام يحال إلى أحمد الرفاعي الكبير ثم سراج الدين الرفاعي ثم المهدي بن علي الرفاعي، وسراج الدين الرفاعي، وسفيان الثوري، والشبلي[4].

5 ـ «البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية» للكوثري (1371هـ)[5]: وهي رصد لمشايخ الطريقة بطريقة الأسانيد في علم الحديث. لذلك غلبت عليه الأعلام وقلت الشواهد النقلية والأدلة العقلية[6]. وغابت المتون لصالح الأسانيد. وهي روايات عن طريق المشايخ والمريدين وليس عن طريق علم الحديث وإن كانت من آثاره. وقد تدخل أيضاً في الوعي التاريخي نظراً لأنها أقرب إلى كتب التراجم المتقدمة أو المتأخرة. وكلها مشايخ وليس بالضرورة أصحاب تآليف. وتبدأ سيرة كل شيخ بمولده ومكان ولادته ووفاته، ومكانها وزمانها، ثم مشايخه وتلاميذه، وأقاربه وأسرته ومؤلفاته والطريقة الصوفية التي ينتسب إليها مثل الخلوتية وما يتفرع عنها من طرق أخرى، وهي أقرب إلى روح البحث التاريخي الحديث القائم على الرصد والتسجيل في دراسة لموضوع أقرب منها إلى موضوع دراسة، كاشفة لأوضاع أكثر منها أوضاع كشف. يغلب عليها طابع السذاجة والرصد المدرسي. وتظهر من خلالها آداب المريدين مع المشايخ. وهم أربعة عشر شيخاً. تعتمد على المصادر وتذكرها لمزيد من المعلومات.

---

(1) الآيات (70)، الأحاديث (64)، الأشعار (16).

(2) وهي ثلاثة وثلاثون تحذيراً، فصل الخطاب ص227-240.

(3) السابق ص165.

(4) أحمد الرفاعي (7)، سراج الدين الرفاعي (2)، محمد أبو الهدى الرفاعي، المهدي بن علي الرفاعي، الشبلي، سفيان الثوري (1).

(5) دار الكتب العلمية،بيروت 2004 (1)، ص21-34.

(6) الأشعار (1).

جـ ـ آداب المريد

1 ـ **«آداب المريدين» لمحمد البكري (563هـ)**[1]: وهو مقسم إلى حوالي ثمانية وعشرين فصلاً بلا عناوين مع مقدمة عن «مذهب الصوفية في الاعتقاد» في علم الكلام الصوفي لإثبات سلامة عقائد الصوفية، كما تصدر كتب ابن عربي بوثيقة عن اعتقاداته وفروع الدين وأحكامه وأحكام المذاهب[2]. وتتنوع موضوعات الفصول وتتجزأ موضوعاتها ثم تبدأ موضوعات التصوف الخلقي مثل الفقر أو على وجه العموم في الأخلاق الصوفية وآداب التصوف، ومعرفة أخلاق النفس، وآدابهم في اللباس والطعام والنوم والسماع والتزويج والمرض والموت ووقت البلاء والرخص. وتبدو موضوعات التصوف النفسي في الطريق من الإنسان إلى الله ومعاملات القلوب ومقامات السالكين وآدابهم والطريق والصحبة والأسفار ومصاحبة الجنس البشري أي الإنس في مقابل الجن. وتبدو موضوعات التصوف الفلسفي في فضل العلم وتأويل الشطحات. ويعتمد على الحديث قبل القرآن والشعر[3]. معظمها معروفة ومكررة. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين وعلى رأسهم الجنيد ثم البسطامي، ورويم، وغيرهم[4]. كما يذكر الحكماء. وهو تأليف رصين وواضح. يخلو من المغالاة. الصوفية هم الكاملون، الفرق الناجية. والتأليف المبكر أفضل من المتأخر لأن له قضية، وضع اتجاه، وليس مجرد تجميع من السابقين كما هو الحال في التأليف المتأخر.

2 ـ **«أُنس الوحيد ونزهة المريد» لأبي مدين (594)**[5]: هي قطعة واحدة بلا أبواب أو فصول من أجل أنس الوحيد ونزهة المريد. تشمل على حوالي مائة ست وسبعين حكمة شرطية مكونة من فعل الشرط وجواب الشرط حول مسائل نظرية كالحق والنفس والقلب والبصيرة والمعرفة ومحاسبة النفس وسلامة القلب. أو مسائل عملية كالعبودية والرزق، ورفض الدنيا. أو مسائل نفسية مثل الصبر

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (1)، ص7-84.
(2) مذهب الصوفية في أصل الاعتقاد، السابق ص9-12.
(3) الأحاديث (157)، الآيات (99)، القدسية (1)، الأشعار (16).
(4) الجنيد (6)، البسطامي، رويم (2)، جعفر الصادق، الحيري، الجريري، الحسن البصري، الشبلي، الدينوري، محمد الديلمي، ذو النون، النصر أباذي، الروزباري. . .الخ (1).
(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م -1424هـ (2)، ص71-90.

والتسليم والفقر والزهد والصدق والتوكل والمحبة والورع والخوف والمدينة الفاضلة في الخيال[1]. وأحياناً تنقلب الحكم إلى دعوات مسبوقة بنداء «اللهم»[2]. وتظهر بعض الحكايات بين الحكم وكذلك الأجوبة على بعض الأسئلة[3]. والخاتمة ملحق برثائية المؤلف الناظم.

3 ـ «ترتيب السلوك» لابن عطاء الله السكندري (709هـ)[4]: وهو نص مجمل لا قسمة فيه باستثناء قسمة صورية إلى ثمانية فصول. الخامس منها له عنوان «فصل لأهل النهاية»[5]. ويدور مجمل النص على شروط المريد أكثر من شروط الشيخ، وعلى واجبات الضعيف وليس على حقوقه، وعلى حقوق الشيء، وليس على واجباته كما هو الحال في الصلة بين الحقوق والواجبات بين القوي والضعيف. فمن شروط المريد الطاعة، والذكر باللسان والقلب والجوارح، وعدم الشك مع أن الشك أول النظر، ومعرفة الخواطر، ولا يعتمد على دليل نقلي واحد. ولا يذكر من الصوفية إلا اثنان[6].

4 ـ «لوائح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية» للشعراني (930هـ)[7]: القواعد هي علاقة الشيخ بالمريد، وعلاقة المريد بالمريد، وربما علاقة الشيخ بالشيخ. وينقسم إلى ثلاثة أبواب. الأول آداب المريد مع نفسه، والثاني مع شيخه، والثالث مع إخوانه. أكبرها الثاني وأصغرها الثالث[8]. وتختلط الموضوعات الثلاثة عبر الأبواب الثلاثة[9]. وتتخلل هذه الآداب بعض

(1) السابق ص74.

(2) السابق ص80.

(3) السابق ص86.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (1) ص21.

(5) السابق ص25.

(6) هما أبو الفوارس وأبو الحسن (الغماري)، السابق ص29.

(7) دار الفكر، بيروت (د.ت).

(8) الباب الأول (64)، الثاني (88)، الثالث (25).

(9) وتشمل آداب المريد مع نفسه الحذر من النفس، والتوبة الصادقة، ومعالجة النفس، وجلاء القلب بذكر الله، وتربية النفس، والتجرد، وشرف الهمة، وطلب العلم، والتخلص من آفات القلوب، والدعاء قبل الصبح، وعدم الذكر بعد المشاهدة، وتنويع الأوراد، وتجنب الظاهر، وإيثار الآخرين، والصدق، والحذر من الأعداء، واطمئنان القلب بذكر الله، =

الموضوعات التقليدية مثل التصوف والفقه. فالصوفي فقيه، والفقه في الدين مفتاح الطريق، والأخذ بالأحوط، والصلة بين الشريعة والحقيقة، وهلاك الولائم، والخير في الإتباع، والشر في الابتداع، ولطائف الحب، وصفات المحبين، ولغة العاشقين[1].

ويعتمد الكتاب على الآيات والأحاديث والأشعار[2]. ومن الأحاديث ما تم حدوثها عند رؤية الرسول في المنام. وتتكرر الأدلة النقلية[3]. ويغيب التحليل العقلي باستثناء القسمة العقلية للموضوعات[4]. وتكثر أسماء الصوفية جمعاً بين القدماء والمحدثين وبين الفقهاء والصوفية[5]. وتذكر المصادر المدونة للشعراني مثل «العهود المحمدية» و«المنن والأخلاق»، و«الطبقات الكبرى» و«كشف

= ونظافة الظاهر والباطن، وعدم الاعتراض، والعبادة حتى الفتح، وشرط المريد الصادق، ومراحل المريد، والتخلي عن أمراض النفس، ومقامات المريد، وطريقه ووحدانيته وأوراده ومراحله وأساسه، والوصول إلى حضرة الحق وعلامات خلاصه. والثاني علاقته بالشيخ وكيفية اختياره، وهل يختار أكثر من شيخ في حياته أو بعد وفاته، وملازمته، وامتحانه، وانقطاعه عنه، والعهد للنساء، واستئذان الشيخ لسلوك الطريق، وعدم سؤال الشيخ عن السبب، وعدم الاعتراض عليه، وحياة الأولياء في القبور، أو نقض العهد. الثالث آداب المريد مع إخوانه وكيفية دعوة الناس وكيفية الحفاظ بمحبة الأخوان، ومتى يحين التصدي للإرشاد، والنهي عن مجالس الغافلين.

(1) لوائح الأنوار ص31-35/ 91-92.

(2) الآيات (40)، الأحاديث (26)، الأشعار (26).

(3) لوائح الأنوار ص87.

(4) السابق ص16-19/ 169/ 172.

(5) على المرصفي (42)، ابن عربي (25)، علي الخواص (21)، علي بن وفا (17)، القشيري (16)، إبراهيم الدسوقي (14)، الشبلي، المرسي أبو العباس (11)، الجنيد (10)، الحسن البصري (9)، يوسف العجمي، محمد الشناوي، أحمد الرفاعي (7)، الشاذلي، أبو مدين المغربي، أفضل الدين (6)، أحمد بن حنبل (5)، إبراهيم المتبولي، السري السقطي، السهروردي، ذو النون، محمد الغمري (4)، محمد الحنفي الشاذلي، أبو علي الدقاق، ابن الفارض، الرازي، زكريا الأنصاري (3)، شقيق البلخي، أبو المواهب الشاذلي، التستري، إبراهيم بن أدهم، سليمان الداراني، إبراهيم الخواص، معروف الكرخي، نجم الدين البكري، أبو عثمان المغربي، أبو سعيد الخراز، العز بن عبد السلام، أبو السعود الجارحي، الخوانجي، أحمد الزاهد، عبد العزيز الديريني، الشافعي، علي السروي، الغزالي (2)، وحوالي تسعين صوفياً، ذكر كل منهم عبد القادر الجيلي، أبو الحجاج الأقصري، أحمد الحواري، الصعلوكي، أبو جعفر الخالدي، أحمد الأبيوردي، =

الغمة»[1]. وتشمل المقدمة «جملة من عقائد القوم وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة»[2]. كما تضم «سند التلقين الصوفي»، من جيل إلى جيل لبيان اتصال التراث الصوفي بداية بعلى بن أبي طالب حتى الشعراني[3]. وقد يكون الدافع على التأليف الدفاع عن التصوف والصوفية، ودفع الشبهات عنهم، وإثبات صحة عقائدهم، وأنهم على طريق التوحيد، ومطبقون للشريعة[4].

والسؤال هو: ما الدافع إلى كتابة تاريخ الطبقات في القرن العاشر؟ هل استكمال «حلية الأولياء» الذي توقف حتى القرن الرابع واستمرار الوعي التاريخي حتى القرن العاشر؟ أم أن القضية أعمق من ذلك، وهو نهاية التصوف، وإن النهاية كالبداية، عود على بدأ؟. وقد يكون الدافع هو حركة التدوين الثاني التي تمت إبان الحكم العثماني، عصر الموسوعات الكبرى، والشروح والملخصات، والحفاظ على التراث من الضياع بعد غزوات التتار والمغول من الشرق وقد تم التدوين أساساً في تركيا ومصر. يعتمد على النقل والتجميع دون تطوير أو إبداع، وقد يكون الدافع هو الدفاع عن شرعية التصوف اعتماداً على تاريخه بعد اتهام الفقهاء وأصحاب الطرق بالجنون والجذب والكفر والزندقة، عوداً على بدأ، بعد أن ذاع صيتهم، وانتشرت كراماتهم، وعظم أثرهم واشتدت سيطرتهم على العامة ومثلوا الدين الشعبي في مقابل الدين الرسمي[5].

= الثوري، الشريف الأحمدي، أبو العشاير، الفضيل بن عياض، المحاسبي أبو عثمان الميري، ابن فورك، الإمام الحسن..الخ.

(1) لوائح الأنوار ص4/ 14/ 17/ 216.

(2) السابق ص7.

(3) من علي بن أبي طالب إلى الحسن البصري إلى العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى السري السقطي إلى الجنيد إلى رويم إلى الشيرازي إلى النهاوندي إلى الزنجاني إلى وجيه الدين إلى السهروردي الأول ثم الثاني إلى برغوش الشيرازي إلى النطنزي إلى الشميري إلى نجم الدين إلى الاصفهاني إلى الكوارني إلى التستري إلى الزاهد إلى مدين إلى السروي إلى المرصفي إلى الشعراني، السابق ص13.

(4) وصدرته بمقدمة نافعة تزيد الناظر فيه اعتقاداً في هذه الطائفة إلى اعتقاده، ونشير من طرف خفي إلى أن الإنكار على هذه الطائفة لم يقل عليهم في كل عصر، وذلك لعلو ذوق مقامهم على غالب القول ولكنهم لكمالهم لا يتغيرون كما لا يتغير الجبل من نفخة الناموسة، لوائح الأنوار ص3.

(5) «ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير. =

5 ـ «فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة» للرواس (1287هـ)[1]: وهو نص واحد

= ولا أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دون ما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة. وكذلك لا أذكر من أحوالهم في بداياتهم إلا ما كان منشطاً للمريدين، كشدة الجوع والسهر، ومحبة الخمول، وعدم الشهرة، ونحو ذلك، أو كان يدل على تعظيم الشريعة دفعاً لمن يتوهم في القوم أنهم رفضوا شيئاً من الشريعة حين تصوفوا كما صرح به ابن الجوزي في حق الغزالي بل في حق الجنيد والشبلي. فقال في حقهم: ولعمري لقد طوى هؤلاء بساط الشريعة طياً. فياليتهم لم يتصوفوا! قلت: وكذا قال لي جماعة من أهل عصري حين اجتمعت بالفقراء واشتغلت بطريقهم»، السابق ص3.

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (3)، ص115-168.
مثل: 1- اعتقاد السلف الأشاعرة والماتريدية، التفقه في الدين، البعد عن البدع، التمسك بالسنة، السنة قبل العادة، الوقوف مع الشرع، اختيار السنة، التنزيه. 2- محبة الرسول، تعظيم النبوة، الإيمان بالأنبياء. 3-دوام الحضور ضد الغفلة، الذكر، التذكير، ترويح القلوب، الوقاية من نسيان الذكر. 4-التفكر في صنع الله، عدم القنوط، ترقب اللطف الإلهي، الحقائق لا الخوارق، التفكر، العقل. 5-صفاء النية، الصدق، الوفاء، الأمانة، محاسبة النفس، الصبر، الزهد، التواضع، السخاء، التعاون على البر والتقوى، التخلي عن الطمع، الإخلاص، التجرد، عدم الكبر، الاستغفار، الرضا، التوبة. 6- رد الأمور إلى الله، جمع الأمور على الله، الانتصار لله، وحدة القلب مع الله، التسليم لله، الخوف من الله، الولاء لله، التذلل لله، الانتصاب لله، الغيرة لله، الهجرة لله. 7- الأدب في القول والفعل، أدب النظر والسمع، الظاهر والباطن، طرح الشهرة، السكوت، عدم التلصص، ستر الكرامات، عدم التجسس، الاعتبار، رفض المظاهر، طرح المبالغات. 8- تلاوة القرآن، تعلمه وتعليمه. 9- احترام الأولياء، محبة الصالحين، عدم الاعتزاز بالمشايخ، التباعد عن أهل الجذب، الرأفة بالمجاذيب، محبة العلماء والصوفية، موالاة الفقهاء. 10- الشفقة على الخلق، مودة الإخوان، الترفع عن الأذى، لين الكلمة، البشر والبشاشة، حب الخير للإخوان، الإحسان للمسيء، الرحمة، المساواة بين الغريب والقريب، الانتصاف من النفس قبل الغير، العمل المشترك، تجنب السؤال، الموالاة للأولياء، عدم الفرقة، طاعة أولي الأمر، عدم القيل والقال، حفظ المجالس، الطهارة من اللغو، العفو، رفض الظلم، عدم الغلظة، عدم الطغيان بالمال، خوف القصاص، حرمة الحيوان، السلام على المسلمين، أحكام الطعام، ترك الخصام، عدم التشدق بالكلام، حسن الظن، محبة الأصدقاء، عدم الكذب، زيارة المقابر، حب السالكين، المزاح المتوسط، التعرف على المسلمين، كل بني آدم واحد، آدمية بني آدم، الإصلاح بين الناس، كف الأذى عن المسلمين، إماطة الأذى عن الطريق، 11-النصيحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صلاح خدمة ذوي الأمر، طاعة أولي الأمر، إجلال شيخ الطريقة، الدعاء للخليفة. 12-عدم التقيد بالطعام والشراب، عدم الانشغال بالدنيا، قهر النفس، ترك الفانيات، القناعة. 13-الالتصاق بالعالم الصالح، تعلم الدين. 14-الخشية في الصلاة. 15- العمل الصالح. 16- حفظ الحقوق، الوقوف مع الحق.

يتكون من مائة وثلاثة عشرين بنداً للطريقة أشبة بمجموعة قوانين قلبية للمريدين. تحتاج إلى إعادة تجميع في بنود أقل. تشمل كل جوانب التصوف الخلقي والنفسي والنظري والعملي. بها بعض التكرار. ولم جعل ثلاث عشرة مادة منفصلة عن الثلاثمائة الأخرى دون ما يميزها. ويبدو الاتجاه الإصلاحي في الطريقة، لبعد عن أدعياء التصوف[1]، ورفض الإيمان بالسحر وضرب الرمل والكهانة وعدم الالتفات إلى الكرامة وعوالم الجن[2]. والتطور مع الزمن وإلا فالموت[3]، وبعض المواد الأخرى في حاجة إلى إصلاح مثل تعظيم أرض الحجاز[4]. فالمقدس ليس المكان والزمان بل المحمول عليها وهو الوحي. وكذلك الارتباط بالسلطان. والدعوة له إذا كان صالحاً. وليس ظالماً[5]. وكذلك الاستغاثة بالرسول[6].

د ـ وصايا الشيخ للمريد:

1 ـ رسائل الغزالي (505هـ):

أ ـ «المواعظ في الأحاديث القدسية»[7]: وهي ثمان وثلاثون موعظة كالتي يوجهها الشيخ إلى المريد. تعتمد على الأحاديث القدسية. ولها سلطة أكثر من الأحاديث النبوية. كما تعتمد على الدليل النقلي وحده دون أدلة عقلية. ويستعمل

---

(1) «المادة 124: التباعد عن المتصوف الذي يقول بالشطحات الفاسدة والدعاوى الزائدة، ويخوض بالشقائق ويستقطعها بالمزالف فإن مثل ذلك الرجل اندفع لمحق دينه لأجل دنياه»، فذلكة الحقيقة ص139.

(2) «المادة 189: عدم تصديق أهل حرفة الرمل والسحر والكهانة والجزم بتكذيب مواعيدهم»، السابق ص149.

(3) «المادة 240: معرفة الوقت فإن لم يتطور بطور زمنه فدمه هدر»، السابق ص156. «المادة 273: عدم الالتفات إلى الكرامة»، السابق ص361. «المادة 280: عدم الالتفات إلى انقياد عوالم الجن والإنس»، السابق ص162.

(4) «المادة 206: تعظيم أرض الحجاز وجميع أماكنها التي أعظمها الله كالكعبة المكرمة والحرم والحجر والمصلى والبشر والميزاب والأركان المباركة وجبل عرفات...»، السابق ص151.

(5) المادة 235: الدعاء لخليفة المسلمين بالخير ارتباطاً لإعلاء شوكة العصابة الإسلامية وإعزاز أمر الأمة المحمدية فإن السلطان عصام أمر الأئمة. وبه يعلو شأنها، وتستقيم أحوالها. وقد أمرنا بالدعاء للرجل الذي يوليه الله أمر المسلمين تعظيما للنبي الأمين»، السابق ص155.

(6) «المادة 311: الاستغاثة بروح رسول الله والاستعانة بها...»، السابق ص137.

(7) مجموعة رسائل (7) ص85–122.

القرآن مباشرة أو على نحو غير مباشر لتقويته بالنص الأول. وموضوعها الموت الذي يقتضي عدم الفرح، والرضا بالقضاء، وعدم الحزن على الدنيا،والتحرر منها ومن الدرهم، وأولوية الآخرة عليها، والعمل والطاعة والعبادة، وترك الحسد واجتناب الحرام وعدم لعن المخلوقين، والعجب، وضرورة التوبة والشكر وعبادة الله، والغاية من الخلق ضد العبث، والرضا والصبر، والذكر والمحبة، والإحسان للناس والكف عن الأذى، وفعل الخير.

ب ـ **«القواعد العشرة»**[1]: وهو كتاب في الأخلاق العملية، في وصايا الشيخ للمريد في قواعد عشر: النية الصادقة، العمل الخالص لله، موافقة الحق، الإتباع لا الابتداع، الهمة العلية دون تسويف، العجز والذلة إلا بقدرة الحق، الخوف والرجاء، ودوام الورد، مداومة المراجعة، العلم الظاهر وهو الفقه وتطبيق الشريعة. تجمع بين التوحيد الخلقي والفقه الأخلاقي وبعض الأحوال[2]. وتعتمد على الحديث ثم القرآن والشعر دون الإسرائيليات[3]. ولا تحيل إلى أقوال الصوفية، بل تعتمد فقط على سلطة الشيخ والمواعظ الخلقية. إنما يذكر فقط بعض الصحابة وهم الخلفاء الراشدون كالأقطاب[4].

حـ ـ **«أيها الولد»**[5]: وهي رسالة في نصائح الشيخ للمريد بالفارسية ثم ترجمت إلى العربية وبعض اللغات الأجنبية. وسبب تأليف الرسالة طلب أحد المريدين بعد تتلمذه على يد الغزالي، كتابة رسالة في تعليم المريدين وكيفية تحصيلهم[6]. وتصف الرسالة العلاقة بين الله والعارف، محبة العارف لله

(1) السابق (5) ص143-156.

(2) القواعد العشرة ص99-106.

(3) الأحاديث (11)، الآيات، الشعر (1).

(4) وهم أبو بكر، أبو حفص (عمر)، أبو عمر (عثمان)، أبو تراب (علي)، القواعد العشرة ص99.

(5) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

(6) «اعلم أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ... واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم، واستكمل من فضائل النفس، ثم إنه فكر يوماً في حال نفسه وخطر على باله فقال: إني قرأت أنواعاً من العلوم، وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها. فالآن ينبغي أن أعلم أي نوع ينفعني إذا متّ»، ويؤانسني في قبري وأيها لا ينفعني حتى أتركه...» أيها الولد ص123.

ورحمته، وشرط العمل والهمة والعبادة، وواجبات المسالك، وفوائد الطريق، والإخلاص لله والعبودية له، والحذر من التكلف ومن نفرة الخلق في مجلس الوعظ، والتوجه إلى الله بالدعاء. يعتمد على الحديث والقرآن والشعر. كما يعتمد على البعض الإسرائيليات[1]. ويحيل أقوال بعض الصوفية وحكاياتهم مثل شقيق البلخي، ثم الجنيد والحسن البصري ويحيى بن معاذ وحاتم الأصم[2].

2 ـ رسائل ابن عربي (638هـ):

أ ـ «الكنه فيما لابد للمريد منه»[3]: وهو في التصوف العملي في علاقة الشيخ بالمريد. يضم نصائح نظرية عن الاعتقاد بالتوحيد والتنزيه، وما يجوز عليه طبقا لأحكام العقل الثلاثة في التوحيد المتأخر، الواجب والممكن والمستحيل، وكذلك الإيمان بالرسل دون غيرهم أو الطعن فيهم، والاستعانة بشخص موافق ومعين وهو الشيخ المرشد لممارسة الشعائر في أوقاتها ومحاسبة النفس ومراعاة الخواطر، والحرص على الطهارة، ومكارم الأخلاق، وعدم الاقتراب من أبواب السلطان أو مصاحبة المتنافسين في الدنيا، والكرم دون البخل، وهي من آثار التصوف الخلقي. وكظم الغيظ، والإحسان والحياء والذكر والاستغفار، والتقوى في السر والعلانية، والورع والزهد، وهي مقامات التصوف النفسي وأحواله. وتعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية[4]. ويتوجه الأسلوب إلى المريد «واعلم أيها المريد وفقك الله وإيانا لطاعته» مع الدعاء كما هو الحال في رسائل إخوان الصفا.

ب ـ «رسالة نسبة الخرقة وشروطها»[5]: والخرقة هو اللباس المميز للصوفية. ظاهر يعلن عن باطن ولا يخفيه دون ادعاء الباطن بظاهر لا يعبر عنه. والخرقة أقل لباس ضروري يستر السوءة، وهو لباس التقوى. هي زينة الله في الباطن، من الصوف الخشن دلالة على الصدق والصفاء والإخلاص. وتنتهي

(1) الأحاديث (13)، الآيات (12)، الأشعار (2)، الإسرائيليات (3).
(2) شقيق البلخي (2)، الجنيد، الحسن البصري، يحيى بن معاذ، حاتم الأصم (1).
(3) رسائل ابن عربي جـ2 (5).
(4) الآيات (10)، الأحاديث (8)، القدسية (1).
(5) رسائل جـ6 (9)، ص167-173.

بعنوان «فصل بلا وصل» يذكر فيه لبس الخرقة من شيخ إلى مريد مثل الإجازة والمناولة للكتب[1].تعتمد على القرآن والحديث[2]. ولا يذكر من الصوفية إلا الشبلي.

3 ـ «رسائل الأسمر إلى مريديه» لعبد السلام بن سليم الإدريسي (981هـ)[3]:
ونادراً ما كان أسلوب الرسائل المتبادلة أو من اتجاه واحد شكلاً أدبياً في التصوف يعادل النظم والنثر. ومع ذلك وجدت رسائل الأسمر إلى مريديه، أحد عشرة رسالة مملوءة بالوصايا والتحذيرات. وهي في مجموعها رسائل قصيرة باستثناء الأخيرة[4]. وعادة ما لا يعتمد على مصادر مدونة لأنها نابعة من القلب، من القلب إلى القلب رسول. ويبدو أنها مكاتب أي رسائل مصطنعة مؤلفة من مصادر تؤخذ منها بعض الاقتباسات، ويشار إليها بعلامة «اَهـ »، والعبارات تبدأ بألفاظ مثل «إخواني»، «أوصيكم»، «واعلموا»، «فائدة». . .الخ. والرسالة الخامسة بها إحالات لبعض الصوفية[5]. وهي رسائل موجهة إلى أتباع الطريقة لتكوينهم روحياً دون أن يكون لكل رسالة موضوع محدد. وهي بأسماء المرسل إليهم. ليس لها عناوين أو موضوعات عامة أو خاصة. الرسالة الرابعة عن بعض الموضوعات النظرية في علم الكلام[6]. تخلو من الفكر، مجرد وصايا لا نفع منها، قول بلا عمل، ونصيحة بلا اتباع، إنشائية خطابية مجانية بلا ثمن، ووصايا شيخ طريقة يعمل بغير ما يقول، وأتباع أيضاً يعملون بغير ما يسمعون. بعض الأدعية تقرأ ألف مرة. ومن من الأتباع يستطيع العد بالسبحات مهما بلغ طولها وعدد حبات خرزها؟ وهي أدعية متكررة وشاملة في كل حركة والتفافة، في كل همسة ولمسة حتى غُلفت حياة الإنسان

الحاجة إلى إرجاعها إلى مصدرها الأول وهو الرسول[7]. كما تظهر بعض

---

(1) السابق ص172-173.
(2) الآيات (4)، الأحاديث (2)، القدسية (1).
(3) دار المدار الإسلامي، بيروت 2002.
(4) السابق ص283-372.
(5) مثل إبراهيم الخواص، إبراهيم بن أدهم، السري السقطي، حاتم الأصم، سليمان الداراني، عبد القادر الجيلاني، أبو الحسن الشاذلي، أحمد زروق، السابق ص149-166.
(6) السابق ص139-148.
(7) السابق ص288.

الإسرائيليات كمصادر للمعلومات عن تاريخ الأنبياء السابقين.

4 ـ «البحر المورود في المواثيق والعهود» (العهود الصغرى) للشعراني (930هـ)[1]: وهي نماذج من عهود المريدين على المشايخ، عشرة منها أقرب إلى النصائح العملية ذات التوجه الخلقي. تتوجه إلى المخاطب مباشرة «اعلم يا أخي»، «فافهم»، «فافهم وقدر». وهي عهود صغرى تفترض وجود نموذج عهود كبرى[2]. وينقسم كل عهد إلى وصايا تفصيلية. فالعهد وصية أخلاقية والتزام سلوكي، وعادة ما توضع كملحق لكتب الطبقات. وهي عهود سجالية، ضد الفقهاء الذين يكتفون بالرسوم الشرعية، دون الروابط الإنسانية، ومن يدسون على العهود ما ليس منها من أعداء الصوفية.

تعتمد على الأحاديث والآيات والأمثال والأشعار[3]. كما يحال إلى بعض أعلام الصوفية. يتقدمهم علي الخواص أستاذ الشعراني، ثم أخو الشعراني، ثم إبراهيم المتبولي، ومعظمهم من مصر. ويتداخل الفقهاء مع الصوفية مثل الشافعي، ومالك. ويظهر الصوفية المتقدمين كالجنيد، والشبلي والحسن البصري والبسطامي والتستري وذو النون وإبراهيم بن أدهم، والمتأخرون مثل ابن الفارض والسهروردي وابن عربي وعبد الحق بن سبعين، والجيلي، وأحمد البدوي[4]. ويظهر الأنبياء كأم يوسف، والصحابة كأبي بكر. وتبدو مصر هي الأوفر حظاً من ظهور المشايخ ثم الحجاز[5]. ويعتمد على مصادر مدونة للشعراني ولابن عربي والقشيري وابن

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م- 1424هـ.

(2) البحر المورود ص35-36.

(3) الآيات (90) الأحاديث (94)، الأمثال (17)، الأشعار (7).

(4) علي الخواص (31)، أفضل الدين بن أحمد الشعراني (24)، إبراهيم التبولي (12)، الشاذلي (6)، الشافعي، عبد القادر الجيلاني، ابن عربي، (5)، أحمد البدوي، أبو بكر الصديق، أبو زيد الهلال، عبد القادر الدشطوطي، عمر بن الفارض، محمد الشناوي، محمد بن عنان (4)، الجنيد، حاتم طي، البسطامي (3)، إبراهيم الدسوقي، أنس بن مالك، الحسن البصري، التستري، عصفور المجذوب، ذو النون (2)، إبراهيم بن أدهم، الحلاج، ابن سبعين، السهروردي، السبكي، عبد الرحيم القناوي، الشعراني، الغزالي، القشيري، مالك بن أنس (1).

(5) مصر (24)، الحجاز (6)، جامع الأزهر ـ العجم، الروم، الشام، مكة (3)، جامع الحاكم (1).

أبي شجاع[1]. ويتم الاقتباس منها وفي نهايتها علامة «انتهى»[2]. وتظهر فيها بعض الإسرائيليات. وأهم مصطلحاتها أصحاب النوبة[3]. وتدور بعض نصائحها على لسان الحيوان وفي المقدمة الكلب ثم الحمار ثم الغنم ثم الدجاجة ثم الدر والناموسة [4].

وتضم العهود المائة واحد وخمسون عدة موضوعات متناثرة في حاجة إلى تجميع في موضوعات أقل. وبالرغم من قصرها إلا أن بعضها خضع لقسمة عقلية تكشف بنيته[5]. منها موضوعات التصوف الخلقي، رذائل للنص عنها[6]. وتغيب موضوعات التصوف النفسي، فقد خرج التصوف من الداخل إلى الخارج، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح، ومن عالم الخيال إلى عالم الواقع. ومنها موضوعات التصوف

---

(1) الشعراني الجواهر والدرر، وصايا العارفين (2)، الرسالة القدسية، فرائد العقائد، كشف الغمة (1)، الرسالة القشيرية الفتوحات والمشاهدة ونسب الخرق لابن عربي مختصر ابن أبي شباع.

(2) البحر المورود ص149/ 161/ 38.

(3) أصحاب النوبة (6)، الحملة، الدرجة، المساميح الهدية (؟؟). الزيارة، النفاق، الذكر المحمود (3)، الأذى، أهل الكشف، البدعة، البغض، حضرة الحق، الدعاء، الصوفية، الطعام، قضاء الحوائج، المحاورة، العلوم، الناظر، المولد، النصح، النوم (2)، وحوالي مائة وأربعين موضوعاً تذكر كل منها لمرة واحد.

(4) الكلب (10)، الحمار (8)، الغنم (4)، الدجاجة، الدر، الناموسة (3) البقر، الديك، السمك، الناقة، النملة (2) وحوالي تسعة عشر حيواناً يذكر كل منها مرة واحدة.

(5) البحر المورود، ص165/ 183-185.

(6) مثل: المنافسة في الدنيا، تناول ما به شبهة حرام وهي المساميح، الحزن على فوات شيء منها، حب الذهب، الاهتمام بأمور الدنيا أو الاستكثار منها، قبول شيء وآخر أحوج إليه، تصغير قرص الخبز، العودة إلى محبة الدنيا، تناول طعام الناس، الغرور، وقلة الاستغفار والندم، عدم التصدق بالقليل الدائم، والعطاء انتظار مكافأة، خفية مع نجوى، أخذ رهن على سلعة، الاحتفاظ بدينار أو درهم ليلة واحدة، السعي إلى الموائد والموالد، عدم الرضا بالرزق، عدم إكرام الضيف، البعد عن الرحمة، تعاطي أسباب الدنيا، التبرئ من الكمالات، استحقاق المال والثياب، الزهد في الدنيا لنعيم الترك، قبول الهدية والصدقة وعدم توزيعها على الفقراء، التوسع على النفس والعيال، الشح، الإكثار من الطعام والشراب، طلب الثواب من الأعمال، ادعاء الكمال في الإيمان والدين، التقدم على قوم يكرهون ذلك، الغيبة أو إساءة الظن بأحد، مرض النفس، مخالفة النفس في كل خاطر والتخلي عن أخلاق العظمة والكبرياء، معاملة الوجود كله بسوء الأدب مع كل فرد.

الفلسفي[1]. ومنها موضوعات التصوف العملي[2]. ومنها موضوعات الآداب الاجتماعية وهي الأكثر[3]. ومنها موضوعات اقتصادية[4]. ومنها موضوعات

(1) مثل: الرجوع إلى الله في كل شيء، وعموم رحمة الله على خلقه، وعدم الدعاء على أحد، وشكره على نعمه، والاعتراف بحدود الله أو الإعلان عنها، وحفظ أمانة الله، والإخلاص في التوحيد بالأفعال والأقوال، وقبول الضيق استحقاقاً، والاعتراف بذمم الله، والتوسط بين الطمع والرحمة الإلهية، واعتبار حقوق الله لا تنتهي، وعدم شكاية ظالم إلى الله بمجرد الشكوى، وعدم الخوض في ذاته، والنصيحة لله وللأئمة وللعامة، وتعظيم الذاكرين لله، وعدم الأمان لمكر الله، واختياره، وشكره وعدم سؤال التفضيل، وعدم الغرور بنعم الله، وذكره، وإخلاص الصحبة له، وطلب الحوائج منه، وتعلق القلب به، وسؤاله، وتوزيعه منه، وتحبيب العباد له. وقبول المقدر وحسن الظن بالله.

(2) مثل: علاقة الشيخ بالمريد والطرقية، العزلة والصحبة والدعوة إلى الإخوان، عدم التعصب لشيخ دون شيخ، عدم ترك الحرفة بعد الكشف، المناصحة دون كشف العيوب، متابعة الإخوان الأحياء والأموات، عدم مجالس المجاذيب، استشارة الإخوان، تجنب مجالس القيل والقال، الابتعاد عن صحبة الأشرار، عدم التمايز عن العلماء والفقراء، مصاحبة الفقراء قربة الله التسامح مع الأذى والرفق بالمعسر وبالمدين، مشاورة الفقراء دون تزيين الكلام، عدم التعرض للذكر وفي البلد أعلم به، عدم أخذ العهد على من هو أكبر سناً، الاقتراب من الإخوان بقدر قربهم، عدم الصخب في وجه الآدمي، عدم سماع الأولياء مباشرة، عدم النظر إلى زينة الدنيا، عدم تأديب أحد بقطع رزقه، عدم إسقاط النفس على التلميذ، عدم الاحتجاج بالإرادة على الشريعة، عدم الموعظة قبل التربية، عدم منع التلاميذ زيارة الاقتران، ألا يسقط التلميذ نفسه على شيخه، الكشف عن الأدعياء الذين ليس فيهم رائحة الطريقة، البداية بالدستور قبل الوعظ، الهروب من طريق الناموس وصاحب الأسرار، عدم المعاناة من الخلوة، منع محاكاة المريدين للمشايخ، عدم اعتقاد التلاميذ أن المشايخ أعرق أهل زمانهم، عدم التكدر عند مغادرة واحد الصحبة، وعدم الالتزام، بورد معين أو نذر نذر، الدعاء عند الخروج إلى مكان بعيد، تحمل الكلف عن الأصحاب، الحديث بحب الحاضرين، عدم المغالاة في محبة المقبلين، محبة الفقراء، عدم الغضب حين مخالفة الأوامر، إيثار الفقراء بالخرقة إجابة للدعوة.

(3) مثل: عدم التبسط مع من هو أدنى، في حين التزام الأدب مع أصحاب النوبة وهم الأولياء والمجاذيب، الأدب مع ذوي البيوت، عدم مجالسة الكبار، عدم إكراه أحد من المسلمين. زيارة المرضى إذا كان فيها تخفيف المرض، عدم الزيارة بصبحة العيال، زيارة الإخوان ولو عراة، احترام الآخرين، لبس الثياب الحسنة عند مقابلة العلماء والأكابر، عدم التكلف لضيف، إكرام الناس حسب تفهم في الكون، مخالطة الفقراء والسالكين والمرضى.

(4) مثل: منع التجار من الوثوب على السلع دفع المعسر المال للموسر، عدم قبول دعوة العلماء والتجار، والاجتماع بوعاظ الرزق في الزمان، والرزق موضوع اقتصادي وليس وعظي.

إنسانية[1]. ومنها موضوعات الفقه[2]. ومنها بعض الموضوعات السياسية[3]. وهناك

(1) مثل: الرفق بالحيوان، ومنها قضاء حاجات الناس، بالقلب حتى مع الإحساس بالضيق، الانشغال بما ينفع الناس، مساعدة أصحاب التوبة، مشاركة أصحاب الهموم في بلاياهم، الاستغاثة عند حدوثها، وإكرام الناس طبقاً لتواضعهم. ورفض المدح، فالمدح هو الذبح بل ممارسة النقد الذاتي، وفي نفس الوقت عدم التوسط لأحد للحصول على وظيفة، التسامح مع الناس درء الحدود بالشبهات، عدم إيذاء أحد أي النوم معه تحت لحاف واحد، عدم الاعتراض على قيام أحد بأمور نفسه.

(2) مثل: عدم الزواج أو الحج إلا بعد الكفاية، عدم إخراج ريح في المسجد، التوضؤ في المكاره، عدم النوم على وتر، رعاية الواجبات قبل الحقوق، عدم قبول الحرام، الأمر بالمعروف الدائم، تعظيم المساجد، عدم ضرب الزوجة بالنهار وجماعها بالليل، الذهاب إلى صلاة الصبح والعشاء بسراج، الاغتسال كل يوم جمعة، الإسراع بتزويج البكر، الشهادة على الزواج ومستحقات الزوجة، تكليف الزوج ما لا يطاق، الأمر بالمعروف، تعليم العيال الآداب الشرعية والعرفية، عدم التردد في إزالة المنكر، عدم النظر إلى العورات، تجنب الشبهات والحرمات، المبادرة إلى صلاة الجماعة والنوافل، عدم المشي إلى المسجد بناسومة وحلفاية (الخف)، الجلوس في المسجد بحياء، جعل الصلاة على الجنازة بعد العلم بمغفرة الله، الإتيان بالرفض أحياناً، إظهار الضعف، الوقوف ضد البدع، عدم الاعتراض على الأولياء الذين يعمرون المساجد، السعي في فكاك الرقبة عن النار، البداية بالدعاء، عدم نصيحة أحد من المعاندين، عدم الإنكار على أحد من الفقراء، الجهر بالأعمال الصالحة، الإقبال على الآخرة بعد سن الأربعين، النية الصالحة شرط المنقبة والكرامة، الحذر من المحسن قبل الحذر من المسيئ فقد يظهر المحسن غير ما يبطن.

(3) مثل: التصدق قبل الذهاب إلى الوالي بتهمة وكأن الصوفية تكفي في الدفاع عن النفس، تعاظيم ولاة الأمور من القضاء والوزراء وشتان ما بين السلطتين القضائية والتنفيذية، عدم مكاتبة الأولياء بنقصان شيء من مال السلطان وهو ضد اللامركزية، عدم الاعتراض على تولية قاض مع أن في ذلك نصح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، عدم السعي لأحد في توليته الحسبة حتى لا ينال حظوة لديه، عدم القرب من الأمراء والأكابر إلا لضرورة حرصاً على صفاء الضمير، عدم التكدر من الولاة والحكام حين رد الشفاعة لأن الخطأ في طلبها أولاً، الكبر بالإخوان عند مقابلة أحد من الأمراء لتأكيد روح الجماعة، عدم زيادة الحال حين الدخول على ولي أو أمير، عدم الاستخفاف بالفتن، عدم الدعاء على الظلمة، ليس انتظاراً للعدل بل لأن الدعاء لا يسترد الحق، الامتناع عن جر قافية الظالم، ربما بداية بالحسنى والقانون والصبر عليه، نصرة المظلوم عند الحاكم استقواء به. ومنها الدوران مع أهل الزمان ومسايرتهم دون معارضة. وملازمة البيوت في وقت الفتن، تنبيه التجار على أحوال الزمان، إعطاء أجر الفقراء، عدم الإكثار من النوم. منها موضوع جديد وهو علاقة المفاصلة مع الطوائف الأخرى، النصارى واليهود والمجوس، عدم التداوي عند أطبائهم، وفي نفس الوقت عدم إيذاء أهل الذمة أو العدوان على الطوائف أو بغض أحد =

موضوعات في العلم و المعرفة[1].

5 ـ «نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد» (اليواقيت الحسان في تصريف معاني الإنسان) للعمراني الجمل (1193هـ)[2]: وهو كما يبدو من العنوان نصائح للمريد مع أنه في مضمونه مجموعة من الموضوعات الأخلاقية والنفسية والفلسفية، وعلاقة الشيخ بالمريد أو أحدها. وله عنوان آخر «اليواقيت الحسان في تصريف معاني الإنسان». فالإنسان أحد الموضوعات المتناثرة داخل ثمانمائة وتسعين موضوعاً. يختص بأربعة وثلاثين منها فقط. وقد يكون العنوانان مجرد سجع وإيقاع وموسيقى دون دلالة أعمق من حيث المعنى والقصد. ويخلو الكتاب من آية قسمة إلى أبواب وفصول، بل مجرد فقرات قصيرة، تسبقها أيضاً، وبعدها «اعلم» في الغالب. وموضوعات الفقرات من المحقق وليست من المؤلف، صاحبها من الطريقة الشاذلية. يشبه «المكتوبات الصوفية» للنقشبندي». ويعتمد على الآيات ثم الأشعار ثم الأحاديث[3]. وتتكرر بعض الآيات والأحاديث. كما يعتمد

= من الأنصار، الاعتذار للمؤمنين، الصلح بين الأخوة في حالة الغضب، العفو والصفح عن جميع الأمة، الرفق بالسيئين منهم، المساواة بين المسلمين في التوقير والحرمة.

(1) مثل: عدم السؤال عن تفسير آية أو حديث حتى لا يتم الانشغال بالأمور النظرية والابتعاد عن التأويل والمجادلة للأفضل، عدم إفشاء الأسرار، سماع كلام العلماء بصرف النظر عن عملهم، عدم الدخول في التشابه، عدم قراءة حديث قبل تقديم صدقة، عدم التعبير عن الكشف، عدم مطالعة كتب ابن عربي والتوهان في الأمور النظرية، القيام لحملة القرآن والعلم، عدم استعمال أسماء السهروردي والبوني، أي الإشراق والخرافة، عدم الرد على الفرق الإسلامية أو التكدر من ردودها، عدم ازدراء العلماء، عدم الحجر على العامة، الالتزام بمذهب معين، ترك الفقهاء التنبيه على البدع، عدم الخوض في أحوال أهل البرزخ ومعاصي الأنبياء أو في علم الكلام، تدبر معاني القرآن، احترام الفقراء والعلماء عدم إقامة موازين العقول والنقول على أرباب الأحوال. الأخلاق (138)، النفس والمعرفة (80)، الله (72)، الظاهر والباطن (70)، المقامات والأحوال (64)، الطريق (49)، الحقيقة والطريقة والشريعة (47)، الوجود (45)، الفقر والجوع (43)، المعرفة بالله، الخلق (40)، الإنسان، الشيخ والمريد (34)، العبودية (20)، التجريد، العامة والخاصة (19)، الجمال والجلال (18)، العلم والعمل (16)، الخير والشر، والخصوصية (15)، الولي (14)، الملك (12)، القول والعمل (10)، الصمت والكلام (9)، الموت والحياة (8)، تعلم الحكمة (6)، الجذب (4)، الفن (3)، الخمر (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ.

(3) الآيات (237)، الأشعار (110)، الأحاديث (38)، القدسية (4).

على أقوال الصوفية السابقين، وفي مقدمتهم سيدي العربي (أحمد بن عبد الله)، ثم صاحب الحكم ابن عطاء، ثم الشاذلي والشاذلية، ثم التستري ثم ابن الفارض ثم البسطامي. . .الخ[1]. ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «لطائف المنن» لابن عطاء[2]. وبالرغم من كثرة الأدلة النقلية إلا أنه كثيراً ما يعتمد على القسمة العقلية للموضوع لاكتشاف بنيته[3]. ويُبرز المؤلف الموضوع بلفظ «حاصله». ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم» و«يا ولدي». ويعبر كالعادة عن نسبية المعرفة بتعبير «الله أعلم»[4].

6 ـ **«النصيحة القدسية» لأبي الهدي الصيادي (1328هـ)**[5]: وهي كشكل أدبي نوع من النصائح، كمضمون توجيهات الشيخ للمريد، وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية[6].

7 ـ **«حكم هواتف المريد في إرشاد أهل البداية وأهل السلوك من العبيد» (مفتاح الورود في نيل أوطار المقصود) للوزاني**[7]: وهي نصائح أخلاقية عملية للمريد وهو في سلوكه في بادية الروح. والمريدون عبيد حتى يتحرروا بعد سلوك الطريق. وهي قطعة واحدة بلا فصول أو أبواب أو مقاطع. نزلت على المؤلف إلهاماً. وهو أفقر الورى وأقل العبيد[8]. وهي حوالي خمسمائة حكمة مثل حكم ابن عطاء في عبارات قصيرة. ولها اسم ثاني هو «مفتاح الورود في نيل أوطار المقصود»[9]. وهي بين التصوف الخلقي والنثر الفني، بين التجربة الصوفية

---

(1) سيدي العربي أحمد بن عبد الله (16)، صاحب الحكم (13)، الشاذلي والشاذلية (7)، التستري، أحمد اليماني (4)، عبد الرحمن المجذوب، ابن الفارض (3)، البسطامي، زروق، يوسف الفارسي، أحمد الفضيل، أبو المواهب، قاسم الخصاصي (1).

(2) لطائف المنن (4).

(3) نصيحة المريد ص17/ 19/ 20/ 24/ 57/ 67/ 129/ 196/ 211/ 219/ 222-223/ 227/ 236/ 289/ 236/ 275/ 288.

(4) السابق ص317/ 322/ 324.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ (4)، ص161-170.

(6) الآيات (8)، الأحاديث (4)، الأشعار (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 ص51-79.

(8) السابق ص51.

(9) «لما توالت على قلبي تنوعات أسرار الحكم، وأملاها الوارد عليّ في صورة قوالب =

والتجربة الأدبية. هي مجرد أحكام قاطعة وأوامر ناهية، وإلزامات من الشيخ إلى المريد بالترهيب والترغيب، بالإرهاب والتمني. تقطع بعبارتي «ما نصه» أو «من ذلك» لأن الوصايا تأتيه إلهاماً من السماء. والمؤلف مجرد ناقل أو راو لها. ولا تعتمد إلا على حديث قدسي واحد دون القرآن أو حديث نبوي أو قول صوفي[1].

8 ـ **«الإجازة الأيوبية في ذكر مشيخة العلم والأسانيد إلى الطرق الصوفية» للحسني (1345هـ)**[2]: وهي رسالة في طرق أسانيد الصوفية عن طريق إجازات المشايخ للمريدين، وهو ما يسمى في علم أصول الفقه «النقل الكتابي» في مقابل النقل «الشفاهي»[3]. وكان التأليف استجابة لطلب أحد المشايخ لأن العلم هو أحد وسائل نقله. وهو ما يعادل الرواية في علم الحديث. والمؤلف هو الكسير البائس الحقير الذي استصغر نفسه للاستجابة إلى هذا الطلب من مولاه[4]. وهو خال من الجرح والتعديل. يغلب عليه مدح المشايخ وتقريظهم. وهم خمسة وعشرون شيخاً أقرب إلى الوعي التاريخي الخاص بالطبيعة وليس إلى الوعي التاريخي العام عند الصوفية[5]. وترسم صورة الشيخ وكيفية التعلم منه، مواهبه واسم الطريقة التي ينتسب إليها، شيوخه وتلاميذه، مآثره وفضائله. يخلو من الفكر[6]. وينتهي بذكر أسانيد كل طريقة وفروعها. وهي ست عشرة طريقة[7]. ولا تعتمد على قرآن أو حديث أو شعر أو مصادر صوفية.

= التسجيع والرجز والنظم، فما وسعني إلا كتب ذلك بعد رجائي في الله أن يلهمني رشد الصواب في جميع ما هناك. ثم سطرت ذلك وأحصيت عدده فوجدته خمسمائة حكمة وتزيد على ذلك بنحو العشرة أو ثلاث وعشرين أو تنقص عن تلك العدة بنزر يسير»، السابق ص51.

(1) السابق ص66.

(2) السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م -1426هـ. اسم المؤلف الكامل وألقابه: أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني (1) ص15-52.

(3) من النص إلى الواقع حـ2ص 167-190.

(4) «التمس مني، وأنا الكسير البائس الحقير. . .أن أقيد له جماعة من الأعيان ممن انتفعت بهم في هذا الشأن، طريقة وحقيقة، وبعض أسانيدي في الطريقة، وأن أجيزه فيما عنهم أو عن غيرهم أخذته، وفيما صنفته أو قيدته، إجازة تامة، مطلقة تامة. . .» السفر الصوفي ص15.

(5) انظر: الباب الأول: الوعي التاريخي.

(6) الإجازة الأيوبية ص15-37.

(7) هي: القادرية، الشاذلية، الخلوتية، السهروردية، النقشبندية، السعدية، الباعلوية، =

4 ـ المجتمع المثالي

أ ـ رسائل ابن عربي (638):

1 ـ «كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»[1]: في الظاهر الكتاب في الفلسفة السياسية، وفي الباطن في السياسة الروحية ابتداء من سياسة البدن. فالإنسان عالم صغير كما أن العالم إنسان كبير كما هو الحال عند إخوان الصفا[2]. البدن صورة صغيرة للمجتمع والدولة وللعالم والكون والوجود مثل الفارابي في «آراء أهل المدينة الفاضلة»، وكما هو الحال في الطب عند الحكماء. والعنوان دال بذاته. هي رؤية إلهية للتجمع الإنساني ابتداء من البدن والمجتمع والدولة كما هو الحال في قسمة المدينة الفاضلة، طبقاً لنظرية الفيض، الله والعقل والنفس والمجتمع[3]. والتدبيرات جمع أي عدة تدبيرات وليس تدبيراً واحداً. في حين أن الملكة مفرد أي الدولة التي يعيش فيها الإنسان. ويبدو أن المصطلح سياسي بدليل وضع لفظ «الإصلاح» في العنوان[4]. ولكنه في الظاهر في السياسة وفي الباطن في الدين. في الظاهر في الدنيا، وفي الباطن في الآخرة[5]. وقد يكون المقصود السياسة، واستعمال التصوف كآلية للدفاع في وقت كان يحكم الأندلس فيه ملوك الطوائف، وتتساقط مدنها واحدة تلو الأخرى. ويدل على ذلك قسمة الملوك إلى أربعة: سخي على نفسه ورعيته، ولئيم على نفسه وعلى رعيته، وسخي على نفسه ولئيم على رعيته، ولئيم على نفسه سخي على رعيته[6]. ويعقد باباً عن السفراء والرسل المتوجهين إلى الثائرين بمدينة البدن وربما بالدولة[7]. وتأتي الثورة من أهواء

= الرفاعية، الريسونية، الكرزازية، التجانية، المحمدية الكتانية، الأحمدية الكتانية، السنوسية، الرشيدية، الميرغانية الختمية، طريقة الشيخ عبد المالك العلوي الضرير، السابق ص 38–52.

(1) رسائل حـ2 (9)، ص291–406.وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(2) السابق ص297/ 301.

(3) وهو مثل «جمهورية أفلاطون»، و «مدينة الله» عند القديس أوغسطين.

(4) «فهذا الكتاب ينتفع به خادم الملوك في خدمته، وصاحب طريق الآخرة في نفسه. وكل يُحشر على نيته وقصده»، التدبيرات الإلهية ص311.

(5) ويستعمل ابن عربي لفظه «المفيض»، السابق ص315.

(6) السابق ص339.

(7) السابق ص370–371.

النفس أو من المعارضة السياسية. وقد يكون التفكير في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم وسياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء رسالة إلى حكام الطوائف[1]. وأحياناً يظهر هوى التشيع في عدم استقلال العقل بالإصلاح دون الإمام[2]. وتظهر مصطلحات التصوف مثل الفراسة، الاستدلال بعلامات الجسم على صفات النفس[3]. وهو مثل كلام المتصوفة مبني على الاستعارات والمجاز. فقد جار القرآن على لغة العرب ومع ذلك الإنكار عليه شديد.

وهو كتاب حسن التأليف، مترابط وشامل. ينقسم إلى واحد وعشرين باباً. ثلاثة في وجود الخليفة أي الرأس. واثنان في وجود الإمام، واثنان في العدل والوزارة أي نيابة الرئاسة. واثنان في الفراسة، ومعرفة الكاتب أي في نظرية المعرفة. وثلاثة في العاملين وأصحاب الجبايات والخراج، والسفراء والرسل إلى الثائرين بمدينة البدن، وهي الحواس. وثلاثة في سياسة القواد، والحروب والتغلب على الأعداء. واثنان في الغذاء الروحي وخواص الأسرار المودعة في الإنسان. وخمسة في الصراع بين العقل والهوى، وإفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب، والحجب المانعة من إدراك القلب الملكوت، واللوح المحفوظ، والزفرات والوجبات والتحرك عند السماء، وأخيراً الوصية للمريد السالك. وهو على فصول فرعية كخاتمة للكتاب، وتوضع خطة الكتاب منذ البداية[4]. ويعقد لها فصلاً خاصاً[5]. وتظهر بعض ألفاظ القسمة مثل: اعتراض، تنبيه، تذكرة، سياسة، تتميم لمزيد من إبراز الموضوعات الفرعية. وتقع حوارات خيالية بين الأشياء. ويخاطب القارئ. وهو موجه إلى الخاصة والعامة.

الإنسان هو بوأرة الكون. وأول الخلق. أودعت فيه الأسرار وهو من حملة

---

(1) السابق ص 372-376.

(2) «فإذا أراد العقل معرفة شيء في تدبير الملك وإصلاحه افتقر ذلك إلى مشاهدة الإمام. فعند المشاهدة يلوح له المراد فيه. فيقوم له التجلي منزلة الخطاب»، السابق ص346/ 372-376.

(3) السابق ص348-358.

(4) السابق ص337.

(5) «وهو يشتمل على مقدمة وتمهيد وواحد وعشرين باباً من دقائق التوحيد في تدبير الملك الذي لا يبيد على التدبير الحكمي والنظام الإلهي»، ص293 فصل في فهرسة الأبواب ص307-309.

الثمرات. ينمو كنموها[1]. وفي العالم ملائكة كما أن في الإنسان طهارة. الإنسان مكلف مسخر مثل العالم. ويضاهي الإنسان الله[2]. وتقابل حضرته الحضرة الإلهية في تطابق ثلاثي بين الله والعالم والإنسان[3].

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر والحديث وباقي الكتب المقدسة مثل التوراة[4]. كما يذكر بعض الصوفية مثل الغزالي ثم أبا مدين ثم البسطامي وآخرين في عصره[5]. ومن الصحابة عثمان. ومن القادة الأنبياء ذو القرنين. ومن النصارى كعب الأحبار. ومن الملائكة إسرافيل. ويظهر الحكيم والمعلم الأول دون تعيين أرسطو أو غيره. ومن الفرق يظهر الحكماء ثم المتصوفة والصوفية والتصوف. ويبدو الارتباط بالغزالي و الفلاسفة[6]. ويحال إلى بعض المؤلفات السابقة مثل «مطالع الأنوار الإلهية» و «إنشاء الجداول»[7]. وتبدو بعض الفقرات تنظيراً علمياً خالصاً دون حاجة إلى أدلة نقلية[8].

---

(1) في العالم ماء مالح وعذب وزعاف. وكذلك في الإنسان. المالح في عينيه. والزعاف في منخريه، والمر في أذنيه، والعذب في فمه. في العالم تراب وماء وهواء ونار وفي الإنسان كذلك. وفي الإنسان أربع قوى: جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة. وهي في العالم كذلك، سباع وشياطين وبهائم في الإنسان الافتراس والقهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والطعام والشراب والنكاح والتسامح.

(2) «الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه، وسخر ذلك القصد إنساناً. تصوره وشق سمعه وبصره وأحكم ترتيب وجود كل شيء في العالم الأكبر فيه. والإنسان عالم أصغر «التدبيرات الإلهية»، ص291/ 295، «فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة» ص293. «إن الإنسان من جملة الثمرات، ينمو كنموها» ص295.

(3) الباب السابع عشر، في خواص الأسرار المودعة في الإنسان. وكيف ينيب في أن يكون السالك في أحواله. وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان وحضرة الباري تعالى»، السابق ص308.

(4) الآيات (190)، الأحاديث (26)، القدسية (5)، الأشعار (10)، التوراة (2).

(5) الغزالي، الحكيم، (3)، أبو مدين (2)، البسطامي، الشريف الرضي، ابن برجان، عبدالملك بن حبيب، عثمان، كعب الأحبار، ومن الوافد المعلم الأول، ذو القرنين (1).

(6) الحكماء (4)، المتصوفة، التصوف (2)، الصوفية (1).

(7) التدبيرات الإلهية ص313-314/ 386.

(8) السابق ص400-406.

2 ـ **«المنزل القطب ومقاله وحاله»**[1]: وموضوعه القطب. وهو رئيس الصوفية كجماعة وقطب الكون كمحور. وله منزل كما أن للبدل والوتد والإمام منازل. وهو ما يتضح من العناوين الفرعية مثل «منزل القطب ومقامه وحاله»، «منزل الإمام الأكمل»، «منزل الإمام الروحاني». وللحروف أيضاً منازل مثل «حم عسق مناجاة هذا المنزل». وهناك عناوين جانبية أخرى مثل «محاضرة قطبية». فالقطب معرفة ووجود. وهناك «فصل بلا عنوان». والملائكة أيضاً جواهر وليست وظائف.وعلوم القطب كشفية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ومن الصوفية يحال إلى البسطامي ثم إلى ذي النون ثم إلى يوسف بن الحسين[3]. ومن الصحابة الحسن والحسين. والأكثر ذكراً هم الأنبياء والملائكة، أسماء وصفات مما يدل على منزلة قرب القطب منهم[4]. ومن صفات الفرق «يهودي»، «نصراني»[5]. ويحال إلى مؤلفات ابن عربي الأخرى مما يدل على وحدة المشروع[6]. والأسلوب مخاطبة القارئ «اعلموا وفقكم الله» مثل إخوان الصفا.

3 ـ **«حلية الأبدال»**[7]: ويوحي الكتاب بأنه في البدل وهو البديل عن القطب. وهو في الحقيقة في الشعر والطريق، في القيام وليس في الوصول. وسبب التأليف سؤال عن زيارة عبد الله بن العباس عم الرسول وما ينتفع به في الطريق إلى الآخرة[8]. وهو مقسم إلى فصول. بعضها له عناوين مثل الجوع،

---

(1) رسائل (1) حـ2 (19) ص1-18.

(2) الآيات (17)، القرآن الحر (1)، الحديث (6)، الشعر (2).

(3) أبو يزيد (7)، ذو النون (3)، الشيخ بومدين، عبد الوهاب، يوسف بن الحسين (1) ومن الصحابة الصديق (3)، الحسن، الحسين (؟؟).

(4) محمد (3)، محمدي (3)، إبراهيم (2)، إبراهيميون، إبراهيمية (1)، إسحق، إسماعيل، لوط، عيسويون، موسويون (2)، يوسفيون، نوحيون، آدمية (1)، ومن صفات الملائكة، ميكائيلية، إسرافيلية، جبريلية، رضوانية، مالكية (1).

(5) يهودي، نصراني (1)،

(6) مثل «مبايعة القطب في حضرة القرب»، «مفتاح أقفال إلهام التوحيد»، «عنقاء مغرب».

(7) رسائل (1) حـ2 (26)، ص1-10.

(8) «أما بعد، فإني استخرت الله تعالى ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمنزل المية بالطائف في زيارتنا عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان سبب استخارتي سؤال صاحبي أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني رحمة الله، وأبي عبد الله =

والسحر. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. ويذكر من الصوفية أبو طالب المكي في «قوت القلوب».

4 ـ **«القطب والنقباء»**[2]: وهو في موضوع المدينة الفاضلة أو الجغرافيا الروحية عند الصوفية، مدينة الأقطاب والأبدال والنقباء والأوتاد. وهو مقسم إلى أبواب بلا ترقيم[3]. الأول منها في الإشارة إليهم. والثاني في أسماء النقباء في عهد الرسول. فهم ليسوا من صنع الخيال بل لهم وجودهم التاريخي. وقطب والنقباء هو الأول من اثني عشر نقيباً. والأقطاب هم مدار أفلاك العالم. ولما كان للفلك قطبان كذلك لمدار العالم قطبان، روحاني جنوبي دائم الوجود وهو الله، وجسماني شمالي يفنى بفناء مدته ويحل محله آخر. ولا يوجد في زمان واحد قطبان. وقد يكون له خليفتان. ولهم رؤساء آخرين كالسدنة. وهم كُثر في الزمان. ولكل قطب إمامان: ربابي وملكي، وأوتاد أربعة، وأمناء سبعة[4]. والقطب ينظر إلى الكل وينظر الكل إليه، هو مرآة الحق، ومتنزل الأمر. يفضل الأقطاب بعضهم على بعض، وإن جمعهم مقام القطبية والرسالة. وهم من ولد آدم حتى محمد. والنقيب السابع حواء[5].

5 ـ **رسالة الاستعداد الكلي، كتاب الخلوة**[6]: وهما عنوانان عام وخاص،

= محمد بن خالد الصوفي التلمساني، وفقني الله أن أقيد لهما في هذه الأيام، الزيارة ما ينتفعون بها في طريق الآخرة. فاستخرت الله في ذلك. وقيدت لهما هذه الكراسة التي سميتها «حلية الأبدال»، السابق ص1.

(1) الآيات (3)، الشعر (2)، الحديث (1).

(2) رسائل حـ2 (1)، ص25-60.

(3) أربعة عشر باباً وفصلاً.

(4) «القطب الروحاني الدائم هو العقل الأول والقطب الجسماني هو النفس.والإمامان قوتان لهما العلامة والفعالة. والأوتاد الأربعة للمشرق والمغرب، والاستواء والحميص، والطبيعة دون النفس، والأركان دون الفلك، والأخلاط التي يظهر بها البدن. والسبعة هي الكواكب السبعة للأقاليم السبعة. كل بدل يحفظ إقليماً بحكم الأمانة. والأوتاد يحفظون الجهات. والإمامان يحفظان عالم الأمر وعالم الخلق، والغيب والشهادة والملك والملكوت»، السابق ص25-27.

(5) السابق ص49-50.

(6) رسائل حـ6 (8)، ص153-161.

رئيسي وفرعي. والخلوة لها معنيان معنى شرعي، خلوة الرجل بالمرأة، ومعنى صوفي الخلوة مع الله والعزلة عن الناس. الأولى لها حكم شرعي بالإباحة، والثانية الخلوة الصمدانية أبدية. وتتخللها عناوين فرعية في أبواب لإبراز موضوعات النص[1]. وتقرأ فيها الأوراد والأدعية وبعض عباراتها غير مفهومة[2].وهي إجابة على سؤال[3]. وتعتمد على القرآن والحديث[4]. ويذكر من الصوفية التستري وحده. كما يذكر ابن صياد من أهل يهودي أو دجال تحدث مع النبي ودعاه إلى الإسلام. وتحيل إلى «رسالة الأنوار». ويعتمد على القرآن والحديث، دون الشعر وأقوال الصوفية[5]. ومن الأنبياء يذكر آدم ومحمد وإبراهيم[6]. ومن الملائكة إسرافيل وجبرائيل وميكائيل ورضوان ومالك[7]. كما يذكر الحكيم على الإطلاق، ومن الصحابة عبد الله بن عمر.

ب ـ **«أشرف الخطاب لأشرف الأقطاب» للرواس (1287هـ)**[8]: وهي عبارة عن ست محاضرات أتت إلهاماً من القطب، الغوث الأكبر أحمد الرفاعي[9]. ليس لها موضوع خاص في مجملها أو محاضرة، مجرد إنشاء بلا أدلة نقلية، أو عقلية أو استشهاد بأقوال صوفية قدماء أو محدثين أو معاصرين.

---

(1) مثل «باب ما ينبغي أن يكون صاحب الخلوة، باب ذكر الخلوة المطلقة. خلوة الهدهد، خلوة الصمدانية، خلوة العزيز».

(2) مثل: تهلطف، سلبطيع، اسماطون، أطون، نهكس، يوفس، الخلوة ص160.

(3) «سألت عن الخلوة المطلقة ولم تسأل عن الخلوة المقيدة. وأنا أجبتك إلى ما سألت، وأريد من الخلوة المقيدة ما تيسر فإنها كثيرة».

(4) الآيات (3)، الأحاديث (3).

(5) الآيات (27)، الحديث (4).

(6) آدم، محمد (3)، إبراهيم (2).

(7) إسرافيل، جبرائيل، ميكائيل، رضوان، مالك (2).

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م -1427هـ (4) ص173-179.

(9) «فقد ورد عليّ وارد إلهام وأنا في أم عبيدة، حضرت المداد السعيدة فحاضرت روح سيدي ومولاي القطب الغوث الأكبر، والقمر المنير الأزهر، علم الله المنثور، بحر العناية المسجور، شيخ الأحقاب والعصور، الهزبر الغيور، حجة الله على أوليائه المتمكنين، الممتاز على كبار صدور الحضرات بلثم يد جده سيد المرسلين، عليه الصلاة والسلام في كل حين. ألا وهو الإمام المندوب في جهات الدواعي أبو العلمين مولانا السيد محيي الدين أحمد الرفاعي»، السباق ص173.

حـ ـ «تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس» للمصري (1127هـ)[1]: وهو كتاب في الترابط الاجتماعي والتعاون بين الأفراد بناء على حسن الظن وإن لم يكن في آداب الشيخ والمريد. ينقسم إلى فصلين فقط. الأول «حسن الظن»، والثاني «سوء الظن». والأول سبعة أضعاف الثاني[2]. فحسن الظن بين الناس هو القادر على بناء الثقة. وهو موضوع لا يخص الصوفية وحدهم بل يخص كل الناس في علاقاتهم الاجتماعية. فكل الناس صوفية، فقهاء أو متكلمين أو فلاسفة خواص أو عوام، من أنصار الظاهر أو الباطن. يشير إليه النابلسي في «سماع الآلات»، يتحول التصوف إلى أخلاق، والتصوف النظري إلى علاقات بين الناس. تقوم على الثقة المتبادلة وافتراض حسن النية على عكس التصوف النظري في فارس والهند ونظريات الوحدة والاتحاد والحلول. وتظهر موضوعات التصوف النظري من بعيد مثل الحقيقة المحمدية، والآيات والأحاديث التي تعتمد عليها[3]. وتكاد تختفي المقامات والأحوال[4]. وسبب التأليف هو سؤال بعض الإخوة جمع شيء من كلام القوم في الأمور التي تسبق إلى الذهن بسوء الظن[5]. وتبدو فيه علاقة الصوفية بالسلاطين. وكثير من التحليلات بها تطويل، وتبعد عن الموضوع. ويخاطب القارئ.

ويعتمد على عديد من الآيات والأحاديث والأشعار[6]. وتتوالى الآيات في زخات متتالية[7]. ويظهر الرسول في المنام. كما يعتمد على عديد من أقوال الصوفية واجترار الذاكرة التاريخية مخزونها التاريخي. تكثر أسماء الصوفية المصريين المتأخرين أصحاب الكرامات يتقدمهم شيخه علي الخواص ثم ابن عربي، ثم الشاذلي ثم الجنيد والبسطامي، والشافعي ومالك، لا فرق بين الفقهاء

---

(1) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006م -1426هـ.

(2) الأول (120)، الثاني (18).

(3) الآيات مثل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾. والأحاديث مثل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «خلقت وآدم بين الماء والطين»، «أنا أول شافع وأول شفيع». تحفة الأكياس ص23.

(4) السابق ص126.

(5) السابق ص27.

(6) الآيات (54)، الأحاديث (23)، الأشعار (21).

(7) تحفة الأكياس ص118–119/ 55.

والصوفية، والأحمدية والبرهانية، والرفاعية والقادرية والمطاوعة، لا فرق بين الصوفية والطرق الصوفية، بين التصوف النظري والتصوف العملي. وتتزايد ألقاب مشايخ الطرق مثل الشيخ، الزاهد، المجذوب، سيدي....الخ. وللكل لقب السيد بما في ذلك الأنبياء وأصحاب الكرامات وآدم وداود والسيدة حواء. وتستعان ببعض ألقاب الشيعة مثل المعصوم الأكبر[1]. وكلهم على مذهب أهل السنة والجماعة كرد فعل على التكفير وتهمة الإلحاد. ويحال إلى بعض الأعمال مثل «شرح ترجمان الأشواق». كما يعتمد على بعض الاقتباسات بعلامة «أهـ »[2]. فالكتاب تجميع من أقوال الصوفية وحكاياتهم وكراماتهم بما فيها من تشويق مثل إكثار القطب الجماع[3]. ويتفق الصوفية والفقهاء على الموضوع. وتظهر بعض الإسرائيليات[4].

(1) علي الخواص (16)، ابن عربي (10)، أفضل الدين الأزهري (9)، الشافعي (8)، الشاذلي (6)، الشيخ مدين (5)، علي المرصفي، عبد القادر الجيلي (4)، عبد العزيز الديريني، أحمد البدوي، إبراهيم المتبولي، يوسف الكردي (3)، الجنيد، البسطامي، أحمد الزاهد، الإمام زين العابدين، الغزالي، سفيان الثوري، القادرية، محمد بن هارون، عمر المجذوب، محمد المغربي، الدشطوطي، التستري، الحسن البصري علي ابن أبي طالب، زكريا الأنصاري (2)، وحوالي ستين علما ذكر كل منهم مرة واحدة، منهم: الشبلي، القشيري، ابن الفارض، ابن عيينة، الشعراني، الحجاج الأقصري، الشعراني، بشر الحافي، جعفر الصادق، صاحب الحكم، ...الخ.

(2) تحفة الأكياس ص102-106/ 111/ 121.

(3) القطب يكثر الجماع، السابق ص43-44.

(4) السابق ص99.

الباب الرابع

الوعي العلمي

أولاً: مقاييس التصنيف

يتم تصنيف العلوم طبقاً للموضوع: علوم شرعية وعلوم غير شرعية أو طبقاً للمنهج: علوم نقلية وعلوم عقلية، علوم عقلية وعلوم قلبية أو طبقاً للتاريخ، علوم السلف وعلوم الخلف، أو طبقاً للعقائد، علوم الدنيا وعلوم الآخرة. وقد يجمع التصنيف بين الموضوع والمنهج في قسمة العلوم إلى علم العقل وعلم الأحوال وعلم الأسرار، علم الظاهر وعلم الباطن، علم التنزيل وعلم التأويل. وبالرغم من كل هذه التقسيمات الثنائية أو الثلاثية للعلوم إلا أنها تنتهي كلها إلى أن العلم علم واحد، وهو العلم الإلهي. ويقال العلم والمعرفة على التبادل ولكن الغالب هو العلم فقسمة المعرفة إلى نقلية وعقلية هي نفسها قسمة العلم.

وتسير هذه التصنيفات الثنائية طبقاً لنسق واحد. وفي الحقيقة هي قسمة واحدة متكررة في أشكال متعددة. فعلوم الشرع والنقل والعقل والظاهر والتنزيل والسلف والدنيا علم واحد. والعلوم غير الشرعية هي علوم القلب والتجربة والباطن والتأويل وعلوم الخلف وعلوم الآخرة وعلم الأحوال والأسرار. وفي النهاية هذه الثنائيات هي الظاهر. وباطنها وحدانية العلم الذي لا تمييز فيه بين شرع ولا شرع. بين نقل وقلب، عقل وتجربة، ظاهر وباطن، تنزيل وتأويل، سلف وخلف، دنيا وآخرة، أحوال وأسرار.

1 ـ العلوم شرعية أو غير شرعية

وتنقسم العلوم إلى شرعية أو غير شرعية[1] الشرعية من الأنبياء والدين لا

(1) الإحياء جـ1/ 23.

تستند إلى العقل مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة. والعلوم غير الشرعية تنقسم إلى محمود ومذموم ومباح. المحمود مرتبط بمصالح الدنيا كالطب والحساب. والمذموم كالسحر والطلسمات والشعوذة والتلبيسات. والمباح كالشعر والتاريخ دون إسفاف.

وقد يتداخل الكم مع الكيف في تحديد المحمود والمذموم. وبالتالي يكون العلم ثلاثة أقسام: الأول مذموم قليله وكثيره وهو ما لا نفع فيه. والثاني محمود قليله وكثيره مثل العلم بالله، صفاته وأفعاله، ومثل العلم بالكتاب والسنة. والثالث يُحمد الكفاية، ويذم الفضل[1].

ويذم العلم لأسباب ثلاثة: أن يؤدي إلى ضرر لصاحبه أو لغيره مثل علم السحر والطلسمات وهو مذكور في القرآن، وأن يكون مضراً بصاحبه في الغالب كعلم النجوم الحسابي أو أحكام النجوم التي يستدل بها على الحوادث والأسباب مثل طب الأبدان. وهو مضر بالخلق، تخمين خالص، لا فائدة منه[2].

وينقسم المحمود إلى فرض كفاية وفرض عين أي فضيلة. فرض الكفاية هو الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه كالطب للأبدان والحساب للصناعات، والفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة[3].

والعلوم الشرعية محمودة كلها. ولها أصول وفروع ومقدمات ومتممات. والأصول أربعة: الكتاب والسنة والإجماع وآثار الصحابة دون القياس. والفرع ما فهم من هذه الأصول بموجب معانيها وليس ألفاظها. منها ما يتعلق بمصالح الدنيا وهو الفقه، ومنها ما يتعلق بأمور الآخرة مثل كتاب «الإحياء». والمقدمات هي علوم الآلات والوسائل كاللغة والنحو والكتابة والخط. والمتممات مثل ما يتعلق باللفظ في علوم القرآن وهي القراءات، وإلى ما يتعلق بالمعنى مثل التفسير واعتماده على نقل اللغة، وإلى ما يتعلق بالأحكام مثل الناسخ والمنسوخ والعام

(1) «بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة»، السابق جـ1/ 45-48.
(2) «فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها...»، السابق جـ1/ 35-48.
(3) السابق جـ1/ 23-25.

والخاص والنص والظاهر، وهو علم أصول الفقه. والمتممات في الأخبار والآثار مثل العلم بالرجال والجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث لضبط الرواية.

والعلم المحمود هو الكلام عند المتكلمين فهو علم التوحيد. وعند الفقهاء هو الفقه لمعرفة العبادات والحلال والحرام في المعاملات. وعند المفسرين والمحدثين هو علم الكتاب والسنة أساس العلوم كلها مثل حديث أركان الإسلام الخمسة[1] وعند الصوفية هو علم التصوف، علم المقامات والأحوال. هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس. هو علم الباطن. هو علم المعاملة التي كلف بها العاقل. وهي ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك. الاعتقاد مثل الشهادتين تقليداً عند العامة، وبرهاناً عند الخاصة.

والفقه أشرف من الطب لأنه علم شرعي مستفادة من النبوة في حين أن الطب علم إنساني خالص. هو علم للجميع في حين أن الطب علم للمرضي وحدهم. وهو مجاور لعلم الآخرة لأن أعمال الجوارح لصيقة بأعمال القلوب[2] والفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء. فالعلم علمان: علم الأمراء وعلم المتقين. علم الأمراء هو علم القضاء. وعلم المتقين هو علم اليقين والمعرفة[3] ولا يفتي إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. الأمير هو الإمام العالم. والمأمور هو صاحب منصب الفتيا. والمتكلف هو العالم بالقصص وعبر التاريخ. يمثل الأمير الوعي العلمي السياسي، والمفتي الوعي العلمي الاجتماعي، والقاضي الوعي العلمي التاريخي[4] وأحياناً يتفق الفقهاء والصوفية في تصنيف العلم. فالعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان كما قال الشافعي. علم الأديان علم الحقائق والمعارف. وعلم الأبدان علم السياسات والرياضيات والمجاهدات[5].

والعلم علمان: علم الأمراء وعلم المتقين. الأول علم القضايا، والثاني علم

---

(1) «في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة»، السابق جا/ 20-35.

(2) السابق جا/ 26.

(3) قوت القلوب جا/ 278.

(4) حديث «لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير ومأمور أو متكلف»، السابق جا/ 268.

(5) طبقات الصوفية ص480.

اليقين والمعرفة. والقضاء ثلاثة: قاضي يقضي بالحق وهو يعلم، فهو في الجنة. وآخر يقضي بالجور وهو يعلم، فهو في النار. وقاضي يقضي بالجور وهو لا يعلم، فهو أيضاً في النار. وماذا عن القاضي الذي يقضي بالحق وهو لا يعلم؟

ويمكن إدخال علوم التصوف ضمن منظومة العلوم الشرعية. والنظرة الكلية للعلوم أو بما يسمي «تقسيم» العلوم أو «إحصاء» العلوم أو «تصنيف» العلوم هي القادرة على تحديد ميدان كل علم وغايته. فعلوم الشريعة أربعة أقسام:

أ ـ علم الرواية والآثار والأخبار، ينقله الثقات عن الثقات. مثل علم الحديث.

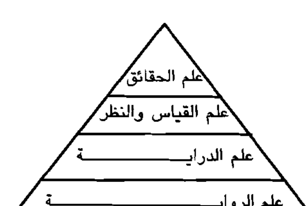
ب ـ علم الدراية، وهو علم الفقه والأحكام المتداول بين العلماء والفقهاء والذي يعتمد على الاستنباط وإعمال العقل والمصلحة.

جـ ـ علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين، وهو علم الجدل لإثبات الحجة على أهل البدع والضلالة لنصرة الدين مثل علم الكلام.

د ـ علم الحقائق والمنازلات، علم المعاملة والمجاهدات، والإخلاص في الطاعات والتوجه إلى الله من جميع الجهات والانقطاع إليه في جميع الأوقات، وصحة المقصود والإرادات، وتصفية السرائر من الآفات، وإدانة النفوس بالمخالفات، والصدق في الأحوال والمقامات وحسن الأدب في السر والعلانية، والإعراض عن الدنيا، والوصول إلى الكرامات والاكتفاء بخلق السماوات. وهو أعلى مراتب العلوم. وكل علم مسؤول عن أخطائه يصححه أهله[1].

---

(1) «باب في تفسير العلوم، وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة»، اللمع ص455-458/ 476-477.



2 ـ العلوم نقلية أو قلبية

العلوم نوعان: نقلية من ميت عن ميت، وقلبية من الحي الذي لا يموت. الأولى المعارف النقلية كالقرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه. والثانية المعارف الذوقية كالتصوف[1]. الأولى ينقلها الناس والثانية ينهل منها الصوفية[2] وقد خصت الأمة بثلاثة علوم: الإسناد، حفظ الكتاب، وعلم الإيمان، وثباته في القلوب[3] العلمان الأولان نقليان. والثالث علم قلبي. وفي تصنيف آخر خصت الأمة الإسلامية بأربعة علوم: الإسناد، وحفظ الكتاب، وشيوع العلم عند كل الناس وليست عند طبقة معينة مثل الأحبار والقسيسين، وثبات الإيمان في القلوب ضد الشك والظن. يحسن العلم بالرواية لمن يطلب. أما طلب العلم للتزين به عند الخلق فإنه يبعد عن الرسول[4] والعالم الذي يكون علمه من الله، يأخذ عنه ما يشاء كيف يشاء بلا تحفظ ولا كتب[5] ويُرخص في النقل بالمعنى واستعمال المرسل والمقطوع لأنها ليست باطلة يقيناً وغير مخالفة للكتاب، وحسن الظن أحد مراتب اليقين، والأخذ بالضعيف دون الرأي والقياس[6].

ولا تأتي المعرفة من العلم المدون بل بالتجربة مثل الشك. فإذا ابتدأ الإنسان بالشك ثم كتب الحديث فتر. وإذا ابتدأ بكتب الحديث ثم تنسك نفذ[7] لا يستمد العلم من بطون الكتب ولا من أقوال المتقدمين بل من الأحوال النفسية. فالعلم حالة شعورية[8] ليس العلم بكثرة الرواية. إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدي بالسنن وإن كان قليل العلم[9] فالعلم ليس نقلاً بل ممارسة.

---

(1) «مساكين أخذوا ميّتاً عن ميّت وأخذت علماً من الحي الذي لا يموت»، شطحات ص100.

(2) «الناس يقولون به، وأنا أقول منه»، السابق ص100/ 104.

(3) قوت القلوب جا/ 279-280.

(4) «إنما حسن طلب العلم وإخبار الرسول لمن يطلب المخبر به أو المخبر عنه. فأما طلبه ليزين نفسه عند الخلق فإنه يزداد بعدا من الله ورسوله»، السابق ص150.

(5) السابق ص155.

(6) «تفضيل الأخبار وبيان طريق الإرشاد وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية»، السابق ص359-364.

(7) طبقات الصوفية ص55.

(8) التستري ص135/ 166.

(9) طبقات الصوفية ص285.

كانت المعرفة في القلوب ثم صارت في الكتب[1] وليس الخبر كالمعاينة[2].

ما كتب صحيح إلى صحيح، وما لقي صحيح صحيحاً، وما افترقا في الحقيقة[3] فالتدوين تدوين قلبي. المعرفة غايتها الاتحاد. ومن عمل بعلم الرواية وُرّث علم الدراية ثم علم الرعاية ثم هدي إلى سبيل الحق[4] فالعلم طريق من الرواية إلى الدراية إلى الحق.

المعرفة مقامان: معرفة سمع ومعرفة عيان. الأولى تصديق من الإيمان، والثانية مشاهدة عين اليقين. وأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين. وهو علم المقربين. وأدناها علم التسليم والقبول دون إنكار أو شك. وهو لعموم المؤمنين. علم الإيمان والتصديق لأهل اليمين. وما بينهما مقامات[5] واليقين ثلاث مقامات: يقين معاينة مطابق للخبر، وهو علم الصديقين والشهداء، ويقين تصديق واستسلام للخبر، وهو يقين المؤمنين الأبرار، ويقين ظن يقوي بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء وهو يقين المتكلمين. والفلسفة ليست علماً. وهي أربعة أجزاء. الأول الهندسة والحساب مباحان. والثاني المنطق وهو داخل في علم الكلام. والثالث الإلهيات، وهي في النهاية رأي قوم مثل الاعتزال يخطئ ويصيب. والرابع الطبيعيات وأكثر الخطأ فيها وهي أقل فضلاً من الطب[6].

والعلم الشفاهي غير المدون هو العلم القلبي غير المكتوب، «عن ربي عن قلبي» وليس «من ميت عن ميت». الأول علم الأحياء، والثاني علم الأموات[7] وتبدأ بعض المواقف بقرآن غير مباشر مثل ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿إنما أمرنا لشيء﴾. ثم يتحول التنزيل إلى

(1) السابق ص503.

(2) قوت القلوب جا/ 238.

(3) السابق ص317.

(4) السابق ص421.

(5) «فضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم، وكشف طرق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة»، السابق جا/ 267-277.

(6) السابق ص29-30.

(7) «وقال لي: هذه عبارتي وأنت تكتب، فكيف وأنت لا تكتب؟»، المواقف ص70.

تأويل، والنص إلى تجربة حية، والعلم المدون عن طريق اللغة إلى العلم المباشر عن طريق القلب[1] العلم المباشر رؤية، والعلم المدون مكتوب. و«كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة»[2] العلم كشف، والعبارة حجاب. العلم تجلٍّ والعبارة ستر. لذلك كان الصمت أولي من الكلام. ويعرف الحال من المستند. وإذا كان المستند ذكري رد إلى الله[3] والعلم مباشر بين العالم والعلوم ليس علماً باللوح والقلم[4] العلم حدسي، رؤية مباشرة، لا يستطيعها الفهم. يلوح في الضمير وأدق من الفهم[5] وعندما يتكشف الحق، لا حاجة إلى دليل نقلي وبرهان عقلي. يغني عن دليل القوم والحدوث ودليل الصنعة والصانع. فالحديث لا يثبت القديم. وهو نفس النقد الذي وجهه ابن رشد فيما بعد لأدلة وجود الله عند الأشاعرة. الدليل من الله وإلى الله ولله. هو دليل التفرد، دليل وجود من يحبه[6].

العلم المكتوب يولد السقم والضني والملل. لا يهيم في الفؤاد. في حين أن العلم الحي نتيجة للبكاء الدائم الذي تجري به السفن كما هو الحال عند الحسن

(1) السابق ص111-113.
(2) السابق ص115.
(3) السابق ص116.
(4) فخذ حديثي، حسبي، أنت تعلمه ... لا اللوح يعلمه حقا ولا القلم
الديوان ص320.
(5) أشار لحظي بعين علم ... بخالص من خفيٍّ فهم
ولائم لاح في ضميري ... أدق من فهم وهم وهمي
السابق ص320.
(6) لم يبق بيني وبين الحق تبياني ... ولا دليل بآيات وبرهان
لا يعرف الحق إلا من يعرّفه ... لا يعرف القدمي من المحدث الفاني
لا يستدل على الباري بصنعته ... رأيتم حدثا ينبي عن أزمان؟
كان الدليل له منه إليه به ... من شاهد الحق في تنزيل فرقان
كان الدليل له منه وبه وله ... حقا وجدنا به علما بتبيان
هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي ... هذا توحد توحيدي وإيماني
هذي عبارة أهل الانفراد به ... ذوي المعارف في سرٍّ إعلان
هذا وجود وجود الواحدين له ... بني التجانس أصحابي وخلاني
السابق ص323-324.

البصري الذي كان يترك بركة من دموع بعد السجود في الصلاة. هو نتيجة للتهجد وسهر الليالي[1] والرسائل المتبادلة بين العبد والرب ليست رسائل مدونة بل رسائل روحية. والحب المتبادل بين الحبيبين لا يحتاج إلى خطاب بل هو حب روحي. وإذا أرسل الله القرآن كتاباً فإن رده يكون بالروح[2].

علم الصوفية يوجب إنكار كل علم مرسوم. وهو كل علم معلول. وما بان شيء فيمتحي. ليس علماً مدوناً. وإن كشف فإنه يتحول إلى مدون ولا يكون علماً. كان العلم في الصدور فأصبح في كتاب مطمور[3] العلم يورث الخوف، والوجل، والسكينة والطمأنينة على قدر أحوال الناس ومقاماتهم. وتصح الأحوال إذا كانت عن نتائج العلوم[4] فالعلم شعوري بين السلب كالخوف والوجل والإيجاب مثل السكينة والطمأنينة. وما فائدة علم لا يتخارج، ولا يتحول إلى معلوم يستفيد منه الناس؟ «أعوذ بالله من علم لا ينفع».

وبالرغم من تأكيد التصوف النفسي على العلم والمعرفة إلا أن الأحوال النفسية تجب العلم[5] العلم تجربة ذاتية ونظر خاص ومشاركة الآخرين فيها[6] وحجة القائل تقنع إن كان ما يؤيدها في التحقيق. والسماع لا يفهم إلا إذا كان

(1) إن كتابي يا أنا ... من فرط سقم وضني
وعن فؤادي هائم ... وعن سقام وعني
وعن بكاء دائم ... جري فأجري لفنا
وعن جفون أرقت ... فما تذوق الوسنا
السابق ص331.

(2) كتبتُ ولم أكتب إليك وإنما ... كتبتُ إلى روحي بغير كتاب
وذلك أن الروح لا فرق بينها ... وبين محبيها بفصل خطاب
وكل كتاب صادر منك وارد ... إليك بلا رد الجواب جوابي
الديوان، ص291.

(3) طبقات الصوفية ص490.

(4) السابق ص496.

(5) لا يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه
الإشارات ص223.

(6) «هذا ما أفضى إليه نظري. ووقف عليه بصري. واحتوي نحوه وردي وصدري. وطاح في عرضه خطري وغرري بعد الاستخارة المقدمة والاستشارة المتممة وبعد توجه القلب لصفاء الضمير... فإن سرك أن تبرز بهذه الخلعة، وتتملص من ضرورة الخدعة، وتفوز =

هناك ما يؤيده من وجد السامع[1] فالتجربة المشتركة هي عنصر التفاهم بين القائل والسامع. لا يعرف النار إلا القدّاح، والحزن إلا النوّاح[2].

ونموذج التدوين هو علم الحديث الذي يعتمد في صدقه على السند. يعطي الحلاج سنداً آخر من الطبيعة. فالطبيعة هي التي تحدّث. والصوفي يسمع صوت الطبيعة ويتلقي علومه منها. فلا السند ولا المتن صحيحان تاريخياً ولكنهما دالان روحياً[3] وقد يروي الحديث عن الشأن والقلب بعد السند وقبل المتن. ويعطي سبعة وعشرين حديثاً جديداً في السند والمتن. وقد تتفاوت سلسلة الرواة من اثنين إلى سبعة[4] وقد يصل إلى الله وقد لا يصل. يكفي الملأ الأعلى أو الطبيعة أو القلب أي السماء والأرض والنفس وما بينهما. وقد يكون الحديث مركباً من سندين أو ثلاث يبدأ كل منها بلفظ «حدثنا»[5] وقد يرد حديثان بإسناد واحد[6] ولا فرق بين ظواهر الطبيعة وعوالم الملأ الأعلى وعالم النفس والقلب والجوارح ومعاني النص الديني، القرآن والحديث. فالواقع والعقل والوحي شيء واحد. ولا يوجد تطابق ضرورة بين الظواهر على مستوياتها الثلاثة. إذ كلها تخضع لتأويلات متعددة. لذلك كثر الشراح بين الحقيقة والمجاز.

وقد يكون السند من الأفراد مباشرة مثل الحسن أو رمزاً مثل ساعة الساعات وهو آدم مع قوي النفس مثل الإرادة، إرادة الصفات القائمة بالذات القديمة، مع بعض الصفات الأخلاقية مثل الإحسان، إحسان القدرة أو المعرفة[7] وقد تكون سلسلة الرواة من نظرية المعرفة، من الإيمان المعروف إلى اليقين الموجود عن

= بضرائب المتعة بعد المتعة فافعل. فإن الحظ في ذلك كله لك، والربح في يدك، والغبطة مكتنفة نظرتيك مشتملة عليك»، السابق ص336-337.

(1) «القول حجة على القائل متي لم يؤيدها بما يحققه. والسماع وبال على السامع متي لم يؤكده بما يشهد الوجد به»، السابق ص363.

(2) والنار يعرفه من كان قداحا والشكل يعرفه من كان نوّاحا
السابق ص409.

(3) الحلاج: الأعمال الكاملة، الروايات أو الأحاديث ص269-275.

(4) «قال: الشأن والقلب مما خالا»، السابق ص272.

(5) «حدثنا بالرؤيا الصادقة عن الملك الحكيم»، السابق ص269.

(6) السابق ص270.

(7) «حدثنا ساعة الساعات، عن الحسن، عن الإحسان، عن الإرادة، عن الله»، السابق ص272.

العلم القديم[1] ومن الفهم المبين عن القرآن المجيد عن محمد عن جبريل عن الله[2] وقد يكون السند من الاسم العزيز عن الروح القديم عن المعنى المحيط عن الله[3] وتدخل الفطرة الساطعة كأحد وسائل المعرفة مع المعرفة الأصلية والكلمة العليا وصنع المجيد[4] ويدخل الحق الأعلى، والجليل الوحيد، والحدان، الركن والمقام، كوسائل علوية للمعرفة[5] وقد يدخل القدم والغيب ضمن وسائل المعرفة مثل روح الحياة ونور السمع والبصر[6] وقد تدخل السماء والأرض مع الفطرة والقدرة والجلال[7].

وقد تتدخل الملائكة في نظرية العلم مثل «الملك الحكيم» كناية عن جبريل أو «الكروب الكبير» كناية عن إسرافيل مع الرؤية الصادقة، واللوح المحفوظ، والعلم. ومن ثم تكون الرواية على مرحلتين، راو وهو «الرؤيا الصادقة» عن راو آخر «الكروب الكبير»[8] عن الطور عن ياقوت النور وهي الشمس عن صاحب الميزان وهو إسرافيل. وقد وقع التجلي في الطور، مع نور الشمس مع نور الوحي[9] وقد يرمز إلى قوي النفس بالملائكة أو الملوك. فالمملوك البصير هو العقل الناطق أو النفس المطمئنة أو الخيال المبصر. والملك هو ملك الإلهام أو كشف الغيب. والملك الشاخص هو الروح المقدسة المراقبة لمشاهدة الغيب.

---

(1) «حدثنا عن الإيمان بالمعروف عن اليقين الموجود عن العلم القديم»، السابق ص269.

(2) «حدثنا الفهم المبين، عن القرآن المجيد، عن محمد، عن جبريل، عن الله»، السابق ص270.

(3) «حدثنا الاسم العزيز عن الروح القديم عن المعنى المحيط عن الله تعالى»، السابق ص271.

(4) «حدثتنا الفطرة الساطعة. قالت حدثتني المعرفة الأصلية عن الكلمة العليا وصنع المجيد»، السابق ص274.

(5) «حدثنا العيان اليقين. قال: حدثنا الحق الأعلى عن الجليل الوحيد عن الحدين: الركن والمقام»، السابق ص274.

(6) «حدثني روح الحياة ونور السمع والبصر قال: حدثنا القدم. قال: حدثني الغيب عن الاسم المبين عن الله»، السابق ص274.

(7) «حدثنا السماء والأرض. قالا: حدثتنا الفطرة عن القدرة عن الجلال القريب عن الله»، السابق ص274.

(8) «حدثنا بالرؤيا الصادقة عن الملك الحكيم. قال: حدثنا الكروب الكبير عن اللوح المحفوظ عن العلم»، السابق ص269.

(9) «حدثنا الطور، عن ياقوت النور، عن صاحب الميزان» السابق ص271.

والمالك المتدبر هو العقل الكلي أو الروح الكلية[1].

وقد تكون حلقات السنة معرفية أخلاقية نصية مثل الميثاق، والبرهان، ومجمع القرآن. والميثاق ينزل على قلب العارف[2] وقد يكون السند من أبعاد الوجود الإنساني مثل البلاء والنعمة، والقضاء والقدر المتصل بالركن والعرش[3].

وقد تتداخل العوالم العلوية في نظرية المعرفة مثل سدرة المنتهي مع العقل الوجيه والحياة الدائمة والروح المكنون. العقل هو العقل الفعال عند الفلاسفة. وكلها ألفاظ معرفية لها دلالات علوية عرشية[4] وقد تتداخل العوالم العلوية مع وسائل المعرفة مثل الحكمة والكلمة. قوس الله المشرقة بالأنوار عن المشارق، والبروج عن القطب، وصاحب هبابة المراح عن المدبرات[5] وقد يكون السند كله من الملأ الأعلى مثل بيت الله، وقوس الله، بيت الله الوسيع. وبيت الله هو الكعبة أو كناية عن القلب. وقوس الله قوس قزح، قوس الحق أو قوس القدر والقضاء أو قوس العلم أو قوس الأزل والأبد[6] ورجب اسم الشهر واسم الله ولسان شهادة الخير من الغيب، والعزة ملك العزة. وخادم البيت المعمور عيسى أو جبريل وصاحب الستر الأقصي عزرائيل وميكائيل والسفير الأعلى إسرافيل[7].

وقد يبدأ السند من علم المعادن مثل الياقوت الأحمر، والضياء المخمر، والصورة الكائنة، والشأن المشهود ثم يرجع إلى الله[8] وقد تكون كناية عن الطبيعة

(1) «حدثنا المملوك البصير عن الملك عن الملك الشاخص عن المالك المتدبر عن الحي السميع البصير»، السابق ص271-272.
(2) «حدثنا الميثاق، عن البرهان، عن جمع القرآن»، السابق ص270.
(3) «حدثنا البلاء والنعمة عن القضاء والقدر عن الركن عن صاحب الركن واليمين»، السابق ص271.
(4) «حدثنا العقل الوجيه عن سدرة المنتهي عن الحياة الدائمة عن الروح المكنون»، السابق ص269.
(5) «حدثنا قوس الله المشرقة بالأنوار عن المشارق عن البروج عن القطب عن صاحب هبابة المراح عن المدبرات عن الحكمة عن الكلمة المتصلة الكبري»، السابق ص273.
(6) «حدثنا بيت الله تعالى، عن قوس الله، عن بيت الله الوسيع»، السابق ص270.
(7) «حدثنا رجب. قال: حدثتنا العزة عن صاحب الحجاب عن خادم البيت المعمور قال: حدثنا صاحب ستر الأقصي عن السفير الأعلي»، السابق ص272.
(8) «حدثنا رجب. قال: حدثتنا العزة عن صاحب الحجاب عن خادم البيت المعمور قال: حدثنا صاحب ستر الأقصي عن السفير الأعلي»، السابق ص272.

فالياقوت الأحمر قرص الشمس أو عن القلب. والضياء المخمر ضياء الكرسي أو العرش. والصورة الكائنة آدم أو الروح أو العقل أو القضاء والقدر. والشأن المشهود مراد الحق من الخلق أو لوح العلم أو خبر الحق أو عالم الأمر[1] وقد يكون السند من مظاهر الطبيعة وحدها: عن خضرة النبات وألوان الأنوار عن حياة القوم. وقد تكون خضرة النبات كناية عن رياض القلب وأنوار الغيب والتجلي. وحياة القدم هي حياة النبات[2] وقد تكون مظاهر الطبيعة كلها من «الآثار العلوية» بتعبير الفلاسفة أي الظواهر الجغرافية، الظل والنور. إذ يتحدث الخلق أي الكون عن الظل الممدود عن شاهد المعظم وهي الشمس عن النور الفريد وهو الرسول[3] وترمز كل ظاهرة من الأنوار لعالم روحاني في فريح الجنوب منها الأفق العلوي إلى بحر الغيب في السماء السابق. وميم الخازن عين ملك المحيط الذي يهب الفيض. وعقاد المن هو عاقد فقار السموات والأرض أو عقد ذنب أو برج العقرب أو حلقات ذوائب المالك أو أكتاف إسرافيل[4] وقد يتداخل الملك اللطيف مع مظاهر الطبيعة مثل السحاب المتراكم، والبرق الخاطف، والرعد المقدس، والقوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر، والملك. اللطيف هو الذي بيده خزائن المطر. وقد تكون هذه الظواهر الجغرافية ملائكة. وقد يكون ذلك كله كناية عن عالم القلب[5] وقد تتداخل مظاهر الطبيعة بين الأرض والسماء، الأرض مثل السجنج وهي صحراء المشرق أو أرض عرفات أو أرض مكة أو الوادي المقدس أو كناية عن القلب أو الصدر، والقدس وعدن المعبود. وقد تكون الكعبة أو زوار قوائم العرش والسماء مثل الفردوس الأعلى، والقبة الأزلية فوق العرش[6].

(1) «حدثنا الياقوت الأحمر عن الضياء المخمر، عن الصورة الكائنة، عن الشأن المشهود، عن الحق جل جلاله»، السابق ص270.

(2) «حدثتنا خضرة النبات وألوان الأنوار عن حياة القدم»، السابق ص271.

(3) «حدثنا الخلق عن الظل الممدود عن شاهد المعظم عن النور الفريد»، السابق ص271.

(4) «حدثنا ريح الجنوب عن ميم الخازن عن عقاد المن عن جبل البروق عن بحر من البحر الشعاعي»، السابق ص272.

(5) «حدثنا السحاب المتراكم، عن البرق الخاطف، عن الرعد المقدس، عن الملك اللطيف، عن القوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر»، السابق ص270.

(6) «حدثنا السجنج، عن الفجر، عن القدس، عن الفردوس الأعلي، عن عدن المعبود، عن قبة الأزلية»، السابق ص269.

وقد تتداخل جميع أنواع الرواة مثل الهلال اليماني، وهو قمر يظهر في الآخرة أو الكعبة أو الحكمة اليمانية أو أويس القرني أو النور بين عيني جبريل، عن الطائر الميمون هدهد سليمان، وحيدرة الملك أسد الملك أو العرش أو الثريا، عن نشر التشوب وهو نشور القدم، عن النور الثابت وهو نور الإيمان، عن لسان الغيب اللطيف وهو الإلهام أو حكمة القلب[1].

وقد يكون الرواة من الزمان والبروج مع تحديد السنوات. فالميزان هو برج الميزان عام 270. والعصر لسان الدهر أو الغيب[2] وقد يتداخل الزمان مثل الجمعة مع الأشخاص مثل آدم مع رواد الكعبة وشهود الحق[3] وقد يتداخل الزمان كتاريخ، العصر الماضي مع الأمر والمالك[4].

وينقسم المتن إلى نوعين: مباشر وهو القول عن الله عز وجل، وغير مباشر أقرب إلى الخبر أو رواية الفعل. وهو نوع من الوضع بالمعنى، «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» وليس فقط نقلا بالمعنى.

ويتضمن المتن الموضوعات الصوفية المعروفة دون ما حاجة إلى تغيير السند مثل التعارض بين الشريعة والحقيقة، الظاهر والباطن، الدنيا والآخرة والمحبة. وكلها متون عرفانية لا شأن لها بالحياة العملية، وهي الغاية من الحديث كمصدر ثان للوحي.

3 ـ العلوم عقلية أو تجريبية

يطلب العلم بثلاثة مناهج: طريق الاستدلال والاعتبار، وطريق البحث والنظر، وهو جزء من المنهج الأول، وطريق التوقيف والأثر وهو العلم النقلي الذي يعتمد على الرواية. وهي القسمة السابقة للعلوم بين العلوم العقلية والعلوم

(1) «حدثنا الهلال اليماني، عن الطائر الميمون وحيدرة الملك، ونشر التشوب وصورة الجود، عن النور الثابت، عن الوجود، عن لسان الغيب اللطيف»، السابق ص273.

(2) «حدثنا عن الميزان سنة مائتين وسبعين. قال حدثنا العصر الخاطب سنة سبعاً من المبعث عن الولي القريب»، السابق ص273.

(3) «حدثتنا الصورة الحسنة عن الجمعة القائمة عن شاهد الكعبة»، السابق ص273.

(4) «حدثنا العصر الماضي عن الأمر المبين عن المالك الكبير»، السابق ص274.

النقلية. كما يتبع العلم طرقاً أخرى مثل: طريقة الجدل التي استعملها المتكلمون، وطريق تحليل العلل الذي استعمله الأصوليون، وطريق الذوق والكشف والإلهام وهو طريق الصوفية، طريق الحدس. لذلك تنقسم العلوم إلى عقلية وقلبية، برهانية وكشفية، نظرية وذوقية. وتعتمد هذه القسمة الثانية على منهجين سابقين: منهج الوقوف والتسليم وهو أشبه بتوقيف الحكم انتظاراً لمنهج أفضل. ومنهج إعلان العجز والتقصير وترك ذلك لتقدم المعارف، انتظاراً للفرج الرباني[1].

واستقراء كرام الأصول يؤدي إلى مكارم الأخلاق مثل إحسان المحسن والتجاوز عن المسيء، والعفو عن الزلة، وإقالة العثرة، وقبول المعذرة، والصفح عن الجاني، ومثل هذا من مكارم الأخلاق[2] والحكم غير التجربة. والوصف غير المغازلة[3] وهي نفس قسمة العلم إلى علمين: علم العلماء والعلم التجريبي. الأول يقوم على النظر. والثاني على الذوق. الأول مكتسب والثاني مطبوع. الأول خارجي، والثاني داخلي[4] فالعلم مخاطبة بالقلب ثم مشافهة باللسان[5] وقلوب العارفين تري ما لا يراه الناظرون. وتناجي الألسنة بأسرار تغيب عن الكرام الكاتبين وهم ملائكة. يورث الشراب علوم الغيب وتتجاوز علوم القدماء. وعليها شواهد ضد كل منكر. هو علم الخاصة الذين أخلصوا في السر حتى وصلوا إليه[6].

(1) قوت القلوب جـ1/ 264/ 299.

(2) الفتوحات «في معرفة الاستقراء وصحته من سقمه»، جـ1/ 284-285.

له حكم ولا يعطيك علما ... فصورته كمنزلة الظلال
فلا تحكم بالاستقراء قطعا ... فما عين الغزالة كالغزال
وإن ظهرت بالاستقرا علوم ... فما حكم التضمر كالهزال

السابق ص284.

(3) طبقات الصوفية ص399.

(4) للعلم أهل وللإيمان ترتيب ... وللعلوم وأهليها تجاريب
والعلم علمان، مطبوع ومكتسب ... والبحر بحران مركوب ومرهوب

الحلاج: الديوان ص 291-292.

(5) خاطبني الحق من جناني ... فكان علمي على لساني

السابق ص329.

(6) قلوب العارفين لها عيون ... تري ما لا يراه الناظرونا
وألسنة بأسرار تناجي ... تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمينا

وبدلاً من قسمة العلم أو المعرفة تقسم المشاهدة. فالمشاهدة مقامان: مشاهدة الاستدلال، ومشاهدة الدليل. مشاهدة الاستدلال قبل المعرفة من الخبر أي السمع ومشاهدة الدليل بعد المعرفة أي العيان. أولي العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين. وهو علم المقربين. وأدناها علم التسليم والقبول دون إنكار أو شك وهو لعموم المؤمنين. علم الإيمان والتصديق لأهل اليمين وما بينهما مقامات[1] لا يأتي علم الإيمان واليقين نتيجة الذهن وثمرة العقل بل عن طريق المشاهدة والتحقيق وإلا وقع في الشرك والنفاق. وعلم التوحيد والصفات لا خلاف عليه. والخلاف فيه بدعة لا تغتفر على عكس أخطاء علوم الظاهر[2] وهو على عكس العلماء ورثة الأنبياء[3].

وقد تنقسم المعرفة إلى كسبية وإلهامية. إذ تأتي المعرفة من مصدرين من عين الجود، ومن بذل المجهود. الأولى إلهام، والثانية اكتساب. وهو نفس التمييز بين الحال والمقام[4] والعلم علمان: ما جاء من فوق إلهاماً من غير تعلم، وما

وترتع في رياض القدس طورا ... وتشرب من بحار العارفينا
فأورثنا الشراب علوم غيب ... تشف عن علوم الأقدمينا
شواهدها عليها ناطقات ... تبطل كل دعوى المدعينا
عباد أخلصوا في السر حتى ... دنوا منه وصاروا واصلينا

السابق ص330-331.

(1) قوت القلوب جا/ 282.

(2) «الغالون هم الشاطحون لأنهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فأسقطوا الحكم. والمبطلون هم المدعون المبتدعون لأنهم حاولوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأي والهوى. والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل»، السابق جا/ 356.

(3) «فالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء هم الورعون في دين الله، الزاهدون في فضول الدنيا، الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا علم الرأي والهوى، الصامتون عن الشبهات والآراء. لا يختلف هذا إلى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله برأي قائل، ولا بقول مبطل جاهل» السابق ص358.

(4) «ما قالوا في المعرفة وصفة العارف، وحقيقة ذلك ببيانها»، اللمع ص56-60، «ثنائية المعرفة في رأي أبي سعيد الخراز»، السابق ص56. «في صفة العارف وما قالوا فيه»، السابق ص61-62. «قول القائل بم عرفت الله، والفرق بين المؤمن والعارف»، السابق ص63-64.

جاء من تحت مثل علم الكلام. الأول إيمان، والثاني زندقة[1] الإلهام علم يغدق في القلب بلا تعلم أو كسب مثل بوادي وخواطر النفس عند الصوفية، والحدس عند الفلاسفة. ويتطلب الاهتمام الذي يتحول إلى هم وحصر، وعياً يقظاً قادراً على الاستقبال[2] وهو إبداعي في صياغاته وأشكاله الأدبية. الروح إلهام، وأشكال التعبير عنها إبداع[3].

ومع ذلك قد تنهار بعض العلوم. فهناك أربعة علوم: الديانة، والطب، والنجوم، والكيمياء. ولكل منها آفة. آفة الديانة الكلام في القدر. وآفة الطب التجربة. وآفة النجوم الحكم. وآفة الكيمياء التعرض والإظهار على النفس[4] وآفة الفلك علم أحكام النجوم. وآفة الكيمياء السحر وكشف بواطن الأمور.

وقد بدلت ألفاظ خمسة من العلوم وتغير قصدها مثل الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة. تخصص الفقه بالفروع الغريبة في الفتاوى وتفصيلاتها. وكان يطلق العلم على الله وأفعاله وآياته. ثم تحول إلى جدال مع الخصوم في مسائل خلافية. تحول علم التوحيد إلى صناعة الكلام والجدل مع الخصوم. وتحول الذكر والتذكير إلى «ما نرى الوعاظ في هذا الزمان». وهو القصص والأشعار والشطح والطامات والقصص، وليس التذكير بالموت والآخرة وعيوب النفس

(1) «تفضيل علم الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه»، السابق جا/ 353-359.

(2) «في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس»، الفتوحات جا/ 285-287.

لا تحكمن بإلهام تجده فقد تجده في غير ما يرضاه واهبه
فاحذره إن له في كل طائفة حكما إذا جهلت فينا مكاسبه
لا تطلبن من الإلهام صورته فإن وسواس إبليس يصاحبه

السابق ص285.

(3) «في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين ومعرفة علم إلهي خاصة على القلب تفرق خواطر وتشتتها»، السابق ص288-292.

إذا أعطاك الإلهام علما تحققه فأنت به سعيد
فحقق والتمس علما وحيدا كعلمك إنك الخلق الجديد

السابق ص288.

(4) التستري ص187.

وآفات الأعمال. وشطحات الصوفية دعوات عريضة في العشق الإلهي حتى ادعاء الاتحاد وارتفاع الحجاب والوصول إلى الرؤية والمشاهدة والمشافهة كما حدث للحلاج والبسطامي. وهي أيضاً كلمات غير مفهومة يدل ظاهرها على غير باطنها. وأطلق لفظ الحكيم على الطبيب والشاعر والمنجم[1].

وظهر علم الخلاف وأقبل الناس عليه لتشعب المسائل بعد عصر النبوة والخلافة الأولي، واحتياج الناس إلى الفقهاء والمتكلمين لاستنباط الأحكام والدفاع عن العقيدة[2] وتشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف مجرد تلبيس، دافعه الخصومة وليس مصالح الأمة. اشتغل الأوائل بالعلم لأنه من فروض الكفايات وليس الأعيان. ولا يوجد فرض كفاية أهم من المناظرة. ويفتي الناظر برأيه لا بمذهب فقهي معين وإلا كان تحزباً. ولا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع. وتكون المناظرة في الخلوة وليس في المحافل وأمام الأكابر والسلاطين، بغياً للشهرة والحظوة. ويُطلب الحق بصرف النظر عن مظهره هو أو غيره من الخصوم. ويجوز الانتقال من نظر إلى نظر، ومن دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال والرجوع إلى الحق. وأخيراً يناظر من هو أهل المناظرة من العلماء الفحول لإظهار الحق وليس للعراك مع الصغار والانتصار عليهم[3] تهدف المناظرة إلى إفحام الخصوم وإظهار الفضل والشرف والبراعة والبطولة بقصد المباهاة والمماراة واستحسان الناس واستمالتهم. تقوم على العجب والكبر من ناحية وعلى الحسد والمراءاة من ناحية أخرى، تزكية النفس والتقليل من الآخر. يتتبع الناظر عورات الخصوم ليشهر به، ويشخص الموضوع. كما يقوم على الاستكبار والعناد والغضب والبغضاء وحب المال والجاه[4] والحذر من المراء في القرآن. والمراء هو الجدل.

---

(1) «بيان ما يدل من ألفاظ العلوم»، الإحياء جـ1/ 38-45.

(2) «في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها»، السابق جـ1/ 48-54.

(3) «ألا يناظر إلا في مسألة واقعة وقريبة الوقوع غالباً فإن الصحابة ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض. ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوي بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر. وربما يتركون ما يكثر وقوعه، ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات»، السابق ص50.

(4) «بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق»، الأحياء جـ1/ 51-54.

والحذر أيضاً من الجدال في الدين، والكلام في التحديد أي في المنطق وقضايا الحد والتعريف[1] فالعقل والمحاجة والتصورات ليست طريقاً. والجدل ليس علماً. والكلام الناشئ عنه ليس علماً لأنه يقوم على الخصومة[2].

ولا ينظر إلى صحة العقائد من جهة علم الكلام. يكفي إيمان العوام وسلامة الفطرة، والبعد عن الخصومات، ومعرفة الحق دون تأويل يخطئ ويصيب، ويناقض ظاهر الشرع. العلم عن طريق التواتر والقطع على المعلوم[3] يكفي القرآن كدليل وصحة الألفاظ كبرهان. وهو نفس موقف الغزالي في «إلجام العوام عن علم الكلام» و«المضنون به على غير أهله». تكفي الشريعة لسلوك الناس. وهو طريق الأنبياء. وهي غير عقيدة أهل الكشف والوجود. ليس أمام العوام إلا التقليد[4] وقد اجتمع أربعة من العلماء، مغربي لديه العلم بالحامل القائم، ومشرقي لديه علم بالحامل المحمول اللازم، وشامي لديه علم الإبداع والتركيب، ويمني لديه علم التلخيص والترتيب. وهي الاتجاهات الأربعة مما يوحي بتعددية المنظور في العلم[5].

واعتقاد أهل الاختصاص بالنظر والكشف. ولا يفترق كثيراً عن علم الكلام الأشعري فيما يتعلق بنظرية المعرفة، وحدود العقل، واستحالة معرفة المطلق

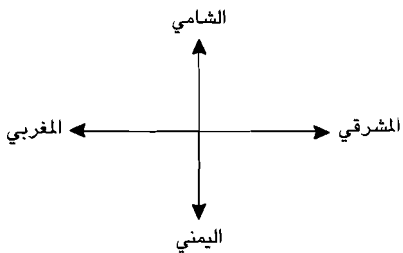
(1) المحاسبي: رسالة المسترشدين، ص77-79.

(2) «عند أحمد بن حنبل أهل الكلام زنادقة، وعند أبي يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق»، قوت القلوب ج1/ 282.

(3) الفتوحات ج1/ 34-35.

(4) «فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة»، السابق ص38. وقد كتب فيها ابن عربي «رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم».

(5) السابق 38-41.



بالمقيد فيما يتعلق بالموجود أو فيما يتعلق بالذات الإلهية أو الصفات أو الأفعال[1] هناك حكم إرادي وليس اختياري. ومع ذلك لا يوجب جبريل اختياراً ولا قضاءً وقدراً بل كسباً وفعلاً حراً.

وتقوم المعرفة الكلامية على قياس الغائب على الشاهد. فمعرفة الشاهد أولاً ثم الغائب ثانياً. ثم بعد معرفة الغائب قد لا يُلتفت إلى الشاهد. والتذبذب بين الاثنين يفقدهما معاً[2] والتوحيد القلبي أفضل من التوحيد في علم الكلام. الأول يقوم على الذوق، والثاني على الحجاج والمناظرة والمهاترة مع الخصوم. تنشأ المهاترة من التنافس من أجل الغلبة. والمقصود من المذاكرة طلب الفائدة. والمناظرة متوسطة بين المهاترة والمذاكرة[3] زلت أقدام المتكلمين، ونظروا في الآية بعقولهم، وهي لا تفهم إلا بالوجدان[4] يتردد العقل ويحتار لاكتشاف سر الحياة. في حين أن لغة الشكر قادرة على إبرازها[5] يستمع بها إلى هاتف الحقائق، والتحرر من عيوب العبودية.

4 ـ علوم الظاهر وعلوم الباطن

وتقوم قسمة العلوم إلى علوم الظاهر وعلوم الباطن على قسمة أخرى بين الشريعة والحقيقة، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين علوم الدنيا وعلوم

---

(1) الفتوحات جا/ 41-47.

(2) «من عرف في الشاهد لم يخل بالغائب. ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد. ومن تذبذب بينهما فهو الساقط الهابط»، التوحيدي: الإشارات الإلهية ص375.

(3) «عدِّ بنا إلى متن التوحيد وإلى عمق المعرفة وإلى عقبان الوجد وإلى آخر مدى التوكل وإلى العلل العارضة في هذه الأحوال وإلى الواضحات الواردة بالأشكال وإلى المشكلات الصادرة بالداء العضال. فإن الخوض في هذه الأشياء أنفع من المهاترة فيما كنا فيه لأن الكلام مع الخصم من المهاترة والمناظرة والمذاكرة. فأما المهاترة فباب ينشا من التنافس وإيثار الغلبة. وأما المذاكرة فالمقصود بها طلب الفائدة كالرأي المعروض على العقول المختلفة إلى أن يقع الاختيار عليه بعد الاتفاق. وأما المناظرة فمتوسطة بين المهاترة والمذاكرة قد تفضي إلى المنافسة وقد توجد بها الفائدة»، السابق ص108.

(4) «هنا زلقت أقدام المتكلمين، وانتكست أعلام المتحذلقين... ونظروا في الآية مستهزئين. وركنوا إلى عقولهم مفتخرين متعززين فنكصوا على أعقابهم خائبين خاسرين»، السابق ص112.

(5) «ارجع إلى لغات المطالبة بالشكر على إبراز جملة محشوة بالحياة. ثم انظر إلى حيرة =

الآخرة. علم الظاهر هو علم الراغبين في الدنيا والملابسين للأمراء[1] وأجمل حالات المؤمنين الظاهر. وهو ما تقتضيه الشريعة[2] العلم ظاهر، والحقيقة باطن. ومن نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم وهرب إلى الله. ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم[3].

وعلم الباطن له فضل على علم الظاهر[4] هو علم القلوب لا الألسنة. لا تصدر عن الأعمال بل مقامات اليقين وصفات المتقين. وهو علم الخشوع والزهد الذي يخشاه الشيطان. والإخلاص أول حال العلم بالله بالعلم الباطن. ولا نهاية لمقامات العارفين ودرجات الصديقين. قد يؤدي علم الباطن إلى الزندقة أي خلط الأمر والنهي بمواجيد الأسرار كما يفعل أهل الأغاليط الذين هلكوا وأهلكوا. فعلم الباطن ذو حدين. لا يقوي عليه كل الناس. من أفشى سره اعتبره الناس زنديقا[5].

وعلماء الباطن أفضل من علماء الظاهر. ومع ذلك يجتمع الفريقان على أن طلب الآخرة خير من طلب الدنيا[6] كلا العلمان ضروري. وتظهر أول درجات الطهارات في الباطن والظاهر وليس في الظاهر وحده الذي قد لا ينم عن الباطن، ولا في الباطن وحده لأنه يظل مستوراً. ومن لم يوازن ظاهره باطنه، وعقله قربه من الله فإن حلمه يكون مثل حلم البهائم! ومن لم يقم باطنه ظاهره صار باطنه منكوساً، أسيراً قلبه بيد العدو. وقامت جوارحه في المعصية. وصارت نفسه مالكة له، تستعبده وتستخدمه، يضرب الشرق والغرب ويخدم نفسه[7] فالباطن أصل

= العقل في سر هذه الحياة... فالتفت إلى هاتف الحقائق... فبهذا ونظائره تشرف على عيوب العبودية»، السابق ص334.

(1) قوت القلوب جـ1/ 321.

(2) التستري ص281-283.

(3) «من نظر إلى الناس بالعلم مقتهم. ومن نظر إلى الناس بالحقيقة رحمهم»، شطحات الصوفية ص105/ 108-109.

(4) فضل علم الباطن على الظاهر، قوت القلوب جـ1/ 283-284.

(5) التستري ص381.

(6) السابق ص293-295.

(7) السابق ص264.

الظاهر. الباطن جوهر والظاهر عرض وإلا تم أسر الإنسان بيد العدو، وفقد السيطرة على أعمال الجوارح وفقد الاتزان في العالم، ولم يركز إلا على نفسه وأهوائه. عبادة الله بالشرائع في الظاهر، ورؤيته في الباطن. علماء الظاهر زينة الأرض والملك. وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت. علماء الظاهر أهل الخير واللسان، وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان. اللسان معقل الخبر، والقلب موضع النظر. علم الظاهر حكم، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف على الحاكم[1].

والباطن أساس الظاهر والظاهر يقوم على أساس الباطن. وانتكاس الباطن انتكاس للقلب فيصبح أسيراً بيد العدو، وانجرفت جوارحه إلى المعصية، وتملكه النفس وتستعبده. وهذا ما حدث لليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركين. يضربون الشرق بالغرب ويخدمون أنفسهم. من لم يكن له في حركاته وسكونه إمام في الظاهر يقتدي به ورجع إلى باطنه قطع به. فالباطن وحده لا يكفي. فعل الظاهر شكر للباطن كما أن الدنيا شكر للآخرة. الباطن باطن بالفطنة الأصلية. وهو موضع الفكرة، موافق للسنة وإلا كان باطلاً[2] وأفضل نعمة هو الإسلام في ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ثم الختم أي البقاء عليه وعدم التحول عنه ثم القرآن بما فيه من فرائض وسنن وأحكام وحلال وحرام. وهذا هو الظاهر، ثم نعم الله على المؤمنين بفتح قلوبهم ومعاينة الغيب بلا حد ولا نهاية. وهذا هو الباطن[3].

وقد تتحول ثنائية الظاهر والباطن إلى ثنائية السر والعلانية فاستقبال وجه السر هو اليقين، واستقبال وجه الظاهر مع الباطن مشاهدة، وقيامه عليه رضا مع الاقتداء بالنبي. فما زالت الأخلاق الصوفية متمسكة بالسنة. والذكر هو القوة في السر، والسنة في العلانية[4] وفضل السر على العلانية لضعف في اليقين. فإذا كمل استوت الحالتان، الخلاء والملاء[5] ومن لم يوازن سره لا تصلح علانيته[6] فالبداية

(1) قوت القلوب جـ1/ 321.
(2) التستري ص278/ 282.
(3) السابق ص298.
(4) السابق ص281-283.
(5) السابق ص287.
(6) السابق ص292.

بالباطن قبل الظاهر. وكل من هم بشيء في سره ظهره في علانيته إلا أن يدركه العون الخارجي فيبقى في السر. فالسر بطبيعته حركة نحو العلن لأن الطبيعة هو اتفاق السر مع العلن. ولا يبقي السر سراً إلا بإرادة خارجية. الدنيا عند العدو، والسر عند الحبيب. فالحبيب لا يفشي سراً في حين أن العدو يظهر الدنيا[1] واستقبال وجه السر باليقين، واستقبال وجه الظاهر بالقبلة[2] فاليقين باطن، والقبلة ظاهر.

والظاهر والباطن ثنائية مثل الأحوال ولكنها في المعرفة وليست في الوجود. ويعادل في الوجود والغياب والحضور[3] ومن يعرف الباطن لا يلوم أحداً. فحج الناس البيت ظاهر أم حج الباطن فإلى سكن الروح. الأول يهدي الأضاحي والثاني يعطي المهجة والدم. الأول طواف بالبيت، والثاني طواف بالله[4] والظاهر والباطن يتجلى في كل شيء[5] الظاهر اللفظ، والباطن التأويل. الظاهر صورة القصة، والباطن عظتها[6] الظاهر السماع، والباطن الفهم. لباس الظاهر لا يغير حكم الباطن[7] وعدم الإعجاب بالظاهر لأن الباطن قد خرب[8] يلجأ الصوفي إلى الباطن دون الظاهر. فالعلم والزهد والتقوى، لكل منها ظاهر وباطن[9] ويرزق العبد

---

(1) السابق ص198.

(2) السابق ص364.

(3) فكيف، والكيف معروف بظاهره فالغيب باطنه للذات بالذات
الديوان، ص295.

(4) يا لائمي في هواه كم تلوم فلو عرفت منه الذي عُنّيت لم تلم
للناس حج ولي حج إلى سكني تهدى الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي
تطوف بالبيت قوم لا بجارحة بالله طافوا فأغناهم عن الحرم
السابق، ص322.

(5) وظاهرا باطنا تجلي لكل شيء بكل شيء
السابق، ص335.

(6) عوارف المعارف جـ1/ 254-255/ 262.

(7) أبو العباس الدينوري، طبقات الصوفية ص477.

(8) السابق ص515.

(9) «يا شبيبة العلم اطلب في العلم العلم. فغير ما أنت فيه من العلم علم. ويا شبيبة الزهد، اطلب في الزهد الزهد. فغير ما أنت فيه من الزهد زهد. ويا شبيبة التقوى: اطلب في التقوى التقوى. فغير ما أنت فيه من التقوى تقوى»، شطحات ص71.

الحلاوة ليفرح بها فتمنعه من حقائق القرب[1] وفرق بين الدار وصاحب الدار. على باب الدار صوت وصياح واضطراب خوفاً من صاحب الدار وشوقاً إليه. وداخل الدار هيبة ووقار وسكون وتعظيم وأدب وتأدب[2] ويؤيد ذلك الحديث[3].

والتأويل للآيات التي تسمح بذلك. وهي الآيات التي تثير الخيال والصور المجازية مثل ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ * وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾. هو الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وهو الباطن لا كما بطنت البواطن[4] تعني الأول من يكشف عن أحوال الدنيا للابتعاد. الثاني والآخر أحوال الآخرة لعدم الشك فيها، والظاهر على قلوب الأولياء لمعرفته، والباطن على قلوب الأعداء لإنكاره[5] وقد تدل الآيات على أن الشطحات نابعة من القرآن بتأويل بعض الآيات لإعطائها غطاء شرعيا[6] مثل ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى * وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.

التأويل حجاب لا ينظر إليه الله مع أنه كشف الأعماق، ومقت لا يعطف الله عليه مع أنه ضرورة لتجاوز التجسيم والتشبيه[7] التأويل أداة إنسانية للمعرفة في حالة غياب العلم اللدني والكشف الرباني. القرآن يبني، والأذكار تغرس[8] البناء على السطح والغرس في العمق. ويبدأ التأويل بالتلاوة وفهم المعنى بالصوت والتأثر بموسيقى القرآن من أجل حفظه بالنهار بل لفهمه بتلاوة الليل. وليست فقط

(1) «يُرزق العبد الحلاوة. فلفرحه بها يمنعه من حقائق القرب»، السابق ص102.

(2) «على الباب صوت وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه. وفي الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار»، السابق ص130.

(3) حديث «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم»، «العلم علمان: علم ظاهر وهو حجة لله على خلقه، وعلم باطن وهو العلم النافع»، السابق ص112.

(4) المواقف ص179.

(5) شطحات ص110.

(6) عبد الغني النابلسي: في حكم شطح الولي، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص191-199.

(7) «إذا جاءك التأويل فقد جاءك حجابي الذي لا أنظر إليه ونعتي الذي لا أعطف عليه»، المواقف ص149.

(8) السابق ص183.

المغفرة هي الهدف بل المعرفة من أجل العمل[1].

وفرق بين التفسير والتأويل. التفسير علم نزول الآية، شأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها. وهو ليس للناس كافة إلا بالاعتماد على السماع والأثر. أما التأويل فصرف الآية إلى معنى محتمل يوافق الكتاب والسنة. ويختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ودرجة القرب. التأويل سباق لأصحاب الهمم وكأنه يسمع الآية من المتكلم نفسه[2].

ما أظهر الله شيئاً إلا ستره. وما ستر شيئاً إلا أظهره حتى لا يستوي علمان ولا معرفتان ولا قدرتان. فازدواجية الظاهر والباطن رؤية إلهية قبل أن تكون رؤية إنسانية. والوجود أيضاً متشابه. والقرآن أحد التجليات الإلهية والوجودية[3] لذلك أتي القرآن متشابهاً. فإذا أضاء على السرائر بإشراقه أزال من البشرية رعونتها[4] وعلم الله يشمل الظاهر والباطن، والعلن والسر فهو الذي أودع في الأشياء أوصافها[5] والعلوم في الله لا تتناهى[6] وكلام الخالق أزلي لا يفنى بفناء الأقلام والمداد. ويذكر منه للناس ما يفيدهم من معاني العبودية، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد على قدر عقولهم. أما الباطن والكمال فللأنبياء والأصفياء والأولياء[7] وبلغة مجردة مقياس العدم في الوجود، في معنى وجوده. وليس مقياس الوجود في العدم[8].

5 ـ علوم التنزيل وعلوم التأويل

علوم التنزيل هي علوم الفقه والشريعة والكتاب والسنة وأسباب النزول

(1) «تلاوة النهار باب إلى الحفظ. والحفظ باب إلى تلاوة الليل. وتلاوة الليل باب إلى الفهم. والفهم باب إلى المغفرة»، السابق ص194.
(2) عوارف العارف، جا/ 255-258.
(3) أبو العباس القاسم السياري، طبقات الصوفية ص447.
(4) أبو بكر محمد بن داود الدقي، السابق ص449.
(5) إنه يعلم الجهر من القول، ويعلم ما تكتمون، التفسير ص130-131.
(6) السابق ص144.
(7) قل لو كان البحر مدادا، التفسير ص127-128.
(8) كما هو الحال عند بعض فلاسفة الوجود مثل هيدجر وسارتر.

والقياس من أجل استنباط الأحكام الشرعية. وعلوم التأويل هي علوم التصوف التي تذهب إلى بواطن الأحكام ومصادرها الأولى. لذلك نشأ صراع بين أهل التنزيل وهم الفقهاء وأهل التأويل وهم الصوفية. ويمكن معرفة الوحي بالتنزيل كما يفعل الفقهاء أو بالتأويل كما يفعل الصوفية، بالظاهر أو الباطن، بالنص أو بالدليل، بالوضوح أو الخفاء[1] وكل مناهج التأويل ضعيفة حتى المجازية منها. إنما الأقوى هو نزول الآية على القلب فتنبثق معانيها فيه كما يحدث للعارفين والمريدين[2] العبادة باللغة، والإشارة بالقلب[3].

والعلم ثلاثة: علم القرآن، وعلم السنن والبيان، وعلم حقائق الإيمان أي القرآن والسنة وما يستنبط منهما من حقائق الإيمان. فالتصوف إسلامي وليس أجنبياً، من الموروث وليس من الوافد. ويمكن جمعهما في علمين فقط: التنزيل والتأويل. والعلماء ثلاثة: أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية. كل منهم يجمع بين العلم والعمل. لم يكن في هذا الوقت المبكر قد نشأ الصراع بين الفقهاء والصوفية، بين التنزيل والتأويل. وقد أتقن علماء الحديث في ضبط رواياتهم على ما هو معروف في علم الحديث[4] في حين اقتصر أهل الحديث على الحفظ بالذاكرة تفوق عليهم طبقة الفقهاء لما لديهم من قدرة على الفهم والاستنباط[5] والصوفية أصحاب علم ومذهب وطريق وذوو منزلة رفيعة من أولي العلم القائمين بالقسط[6] يخرجون من الكتاب والسنة، ويقتدون بالرسول كأسوة حسنة، ويقتفون آثار الصحابة التابعين. وكما أن طبقة الفقهاء لما لديهم من قدرة على الفهم

(1) «يدعوك الله إلى حظك، تارة بظاهر تنزيله، وتارة بباطن تأويله، وتارة على لسان رسوله، وتارة بخافي دليله، وتارة بواضح سبيله...»، الإشارات ص32-33.

(2) «وهذا تميز بلفظ مستعار ومجاز مستعمل وقول ضعيف. وإلا فالآية ظاهرة بسلطانها، عالية ببرهانها، راجعة إلى روح اليقين من العارفين وسلامة التسليم من المريدين»، السابق ص127.

(3) السابق ص141-142.

(4) «في نعت طبقات أصحاب الحديث، ورسمهم في النقل، ومعرفة الحديث، وتخصيصهم بعلمه»، اللمع ص24-25.

(5) «ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم»، السابق ص26-27.

(6) «البيان عن علم التصوف، ومذهب الصوفية، ومنزلتهم من أول العلم القائمين بالقسط»، السابق ص21-23.

والاستنباط أعلى مرتبة من طبقة المحدثين. فإن طبقة الصوفية أعلى منزلة من الفقهاء لما لديهم من جمع بين العلم والعمل، وما خصوا به من الفضائل وحسن الشمائل. لا يأخذون بالرخص أو يحومون حول الشبهات بل يتمسكون بالأولى والعزائم[1].

وقد خص الصوفية بمعانيهم وآدابهم وأحوالهم وعلومهم التي تفردوا بها عن المحدثين والفقهاء[2] وذلك مثل القناعة، والفقر والجوع، والتواضع، والشفقة، والإيثار، وحسن الظن، والإخلاص والمسارعة في الخير، والتوجه إلى الله، والعكوف على بلائه، والرضا بقضائه، والصبر على المجاهدة، ومخالفة الهوى وحظوظ النفس، ومراعاة الأسرار، واختيار الموت على الحياة. التصوف إذن هو ممارسة مجموعة من الفضائل. وقد خص الصوفية بالمقامات والأحوال، بالتوبة والورع والتوكل والرضا، والصبر، والخشية والخوف والخضوع والمحبة، والرجاء، والشوق والشهادة، والإنابة، والطمأنينة، واليقين، ومعرفة النفس، والعوارض والعوائق والعلائق والحجب[3].

وينكر التصوف على أهل الظاهر أنهم لم يعرفوا من الكتاب إلا ظاهره، ولا من الحديث إلا الأحكام للاحتجاج على المخالفين وطلباً للجاه والرياسة[4] الشريعة رواية ودراية. ظاهرها بالرواية، وباطنها بالدراية[5] ويزعم بعض المتفقهة أن الصوفية جهلة وليس للتصوف مصدر من الكتاب أو السنة[6] ولا يوجد شاهد من كتاب أو سنة على ذلك. ويعترض الصوفية على هؤلاء وبيان أهمية الفقه في

(1) «ذكر الصوفية وطبقاتهم، وما ترسموا به من العلم والعمل، وما خصوا به من الفضائل وحسن الشمائل»، اللمع ص28.

(2) «ذكر تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسموا لها من الآداب والأحوال والعلوم التي تفردوا بها من جملة العلماء»، السابق ص29-30.

(3) «تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معان أخر من العلم»، السابق ص31-33.

(4) «والناس في زماننا هذا إلى مثل ذلك أميل لأنه أقرب إلى طلب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا»، اللمع ص33.

(5) «إثبات علم الباطن، والبيان عن صحة ذلك بالحجة»، السابق ص43-44.

(6) «الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة، وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر»، اللمع ص34-35.

الدين. إنما يحتاج الفقه أن يجتمع بالزهد، ويكون الفقيه الزاهد هو الجامع بين الفقيه والصوفي، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين أحكام الظاهر وأحكام الباطن. الفقه له نهاية، والتصوف لا نهاية له[1] لكل علم أهله دون أن ينكر فريق علم الفريق الآخر. والكل إلى رسول الله منتسب. فلا تضارب بين العلوم بل توزيع الاختصاصات بينها[2].

وبالإضافة إلى التفاسير الكبرى مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري، و«لطائف الإشارات» للقشيري، و«تفسير ابن عربي» هناك بعض الملاحظات الجزئية على تفسير الصوفية في أقوالهم مع بعض التطبيقات العملية لتفسير بعض الآيات المتناثرة لاستخراج بعض الموضوعات الصوفية منها خاصة المقامات والأحوال. فبالنسبة لمنهج التفسير يمكن قراءة القرآن بثلاث نيات: بدون الله أو للختم أو لاستخراج العلم[3] بدون الله ميزته أنها قراءة إنسانية اجتماعية طبيعية خالصة وليست قراءة عقائدية دينية غيبية. والختم قد يكون حفظاً دون فهم كما يفعل الصبية أو الكبار قارؤوا القرآن على المقابر. واستخراج العلم هو الأفضل، ليس العلم الطبيعي بل العلم الإنساني.

ولا يقرأ القرآن بعد قيام الليل. إنما يقام الليل إلى الله أولاً وليس إلى ورد معلوم أو جزء مفهوم. ويقف العبد أمام الله وجها لوجه، ويتحادثان ويتفاهمان. فالصوفي يعود إلى المصدر الأول دون وساطة القرآن. وينصرف أهل الورد وأهل الجزء ويبقي أهل القيام[4] وصفوة القرآن موضع الأسامي. فالقرآن له قلب وهي

(1) «ذكر اعتراض الصوفية على المتفقهة، وبيان الفقه في الدين ووجه ذلك بالحجة»، السابق ص38-39.

(2) «ذكر التخصيص في علوم الدين، وتخصيص كل علم بأهله، والرد على من أنكر علما برأيه، ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه»، السابق ص38-39.

(3) التستري ص154.

(4) «يا عبد تريد قيام الليل، وتريد توقر أجزاء القرآن. هناك لا تقوم. إنما يقوم الليل من قام إليَّ لا إلى ورد معلوم ولا إلى جزء مفهوم. هنالك أتلقاه بوجهي فيقف بقيوميته. لا يريد لي ولا يريد مني. فإن شئت أن أحادثه حادثته. وإن شئت أن أفهمه أفهمته. انصرف أهل الورد حين بلغوه. وانصرف أهل الجزء من القرآن حين درسوه. ولم ينصرف أهلي فكيف ينصرفون؟»، المخاطبات ص267.

الأسماء. الأسماء تجليات للذات في صفات ومصدر الأفعال في نظرية الذات والصفات والأفعال. ولا يوجد صوفي إلا وعبر عن تجاربه الإنسانية من خلال شرح الأسماء مثل القشيري والغزالي[1].

ليس التفسير علماً نظرياً فحسب بل هو أيضاً علم عملي. فالقرآن هو المطهر عن دنس الأكوان. هو أحسن الأسرار. وله الشرف على سائر الكلام[2] وتعليم الرحمن القرآن يعني تعليم الأرواح شفاهاً ومخاطبة في الأنفس وبطريق الوسائط[3] فالقرآن عالم شعوري وليس عالماً تصورياً. وقد تكون الاستعاذة من الشيطان لا قيمة لها لأنه لا يستطيع زحزحة كلام الحق[4] فالأمر نفسي وليس موضوعياً. ولكل حرف تفسير في البسملة. باسم الله الهبة، والرحمن العون والنصرة، والرحيم المحبة والمودة. وهي معاني متميزة لا تفوت على العارف. هي علوم الوجود لا علوم الوجود[5].

والتفسير الجزئي نتيجة للاستفسار عن معنى بعض الآيات المتناثرة التي تثير بعض التشابه أو التي تحتاج إلى تأويل لبعض السور الرمزية[6] ومع ذلك يمكن تجميعه في عدة موضوعات مثل التفسير الموضوعي للقرآن في التصوف الخلقي والتصوف النفسي والتصوف النظري. فمن التصوف الخلقي مثل تفسير ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ويعني خاصة ثمن الشراء ثم تعميمه إلى المعرفة ومشاهدة الله بثمن الكونين[7] فالتفسير هو تعميم الخاص إلى العام. وتتحول آية ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ إلى تجربة صوفية، قلة المتاع في الدنيا وعظمة الحصيلة في الآخرة. وتحويل اتجاه الآية إلى أعلى مثل العمل الصالح ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

(1) التستري ص288.
(2) والقرآن المجيد، شيء عجيب، الحلاج: التفسير، ص146.
(3) الرحمن علّم القرآن، السابق ص148.
(4) طبقات الصوفية، ص492.
(5) إذا ما وجود الناس فات علومهم فعلمي لوجدي صاحب وقرين
السابق، ص269.
(6) التستري ص175.
(7) السابق ص380-381.

صَٰلِحًا﴾[1] وقد يكون التفسير للتعيين، تعيين بركات السماء والأرض بخير الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وسلوك الطريق في آية ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾[2] ويُستشهد على الصدق بآية ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾. وقد يتطلب الصدق إعلان عدم المعرفة بالجواب ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[3] والإيمان هو المعرفة، وإحباط العمل عدم قبول الخدمة في آية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[4] والتقوى تؤدي إلى الإيمان والإخلاص بنص آية ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾. ولباس التقوى لأهل الحصور ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. والتقوى هو معنى الحد في آية ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[5] وقد لا يحتاج استعمال الآية إلى تأويل كالخشوع في الصلاة في آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[6] وعلامة العارف فساد الملوك في القري ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا * وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً * وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[7].

ومن التصوف النفسي تظهر بعض المقامات والأحوال على العموم أو على الخصوص مثل بكاء الفرح في آية ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾. وبكاء الأسف من آية ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾[8] والإشارة إلى الطريق في آية ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[9] وحالة الجمع في قول إبراهيم ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾، وحالة الفرق في ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[10] وتدبر القراءة في آية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

(1) السابق ص397/ 400.
(2) السابق ص412.
(3) أبو بكر بن أبي سعدان، طبقات الصوفية ص421.
(4) جعفر بن محمد، السابق ص439.
(5) السابق ص481.
(6) السابق ص514.
(7) شطحات الصوفية ص165.
(8) بندار بن الحسين الشيرازي، طبقات الصوفية ص468-469.
(9) أبو بكر الطمستاني، السابق ص473.
(10) أبو العباس الدينوري، السابق ص477.

ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] والتوكل استسلام لله بدليل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾. وهو فريضة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. والحركة من أجل الكسب مباح ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾. والحب بلوى من المحبوب للحبيب بدليل ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. فالمحبوب هو الذي يبدأ[2] والصوفي لا يكتفي بالشراب ويطلب المزيد ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[3].

ومن التصوف النظري نسبة تحقق العبودية ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. والنسبة إلى آدم تدخل في مقات الظلم والجهل ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4] والحق ثقيل على القلب ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[5] والله يظهر الغائب، ويغيب الظاهر بدليل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[6] والعزة لله وللإنسان ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[7] والجمع بين إرادتين في ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. والله هو الذي يحمل الصوفي المسافر ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[8] ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالملك، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقرار على النفس بما لها[9] ولا يفهم الله إلا بالله. فالله هو الموضوع والمنهج[10].

وفي الأخرويات، حسية الجنة استمرار لحسية الدنيا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾[11] ومن أراد الآخرة دعاه الله إلى قربه ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا

(1) أبو عثمان المغربي، السابق ص481.
(2) السابق ص466.
(3) شطحات الصوفية ص173.
(4) طبقات الصوفية ص486-487.
(5) السابق ص468-469.
(6) السابق ص445-446.
(7) السابق ص490-491.
(8) السابق ص517.
(9) ﴿إِنَّا لِلَّهِ * وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، السابق ص73.
(10) «اللهم افهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك»، السابق ص209/ 225.
(11) أبو الحسن الحصري، طبقات الصوفية ص490-491.

﴿سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[1] وأحياناً يكون حساب الثواب كما ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وأحياناً أخرى كيفاً[2] وفي بداية الخلق آدم له صفتان: آدم الذي غوى ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾، وآدم المصطفى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾[3].

ويخضع تأويل الحديث مثل تأويل القرآن لنفس المنطق مع تأويل لبعض الألفاظ مثل تأويل لفظ «الأبله» في حديث «أكثر أهل الجنة البُله» بأن في دنياه هو الفقيه في دينه[4] وتأييد للاعتراف بالإحسان حديث «جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها»[5] والصوفي شاهد الله في الأرض «أنتم شهداء الله في الأرض». وشرط الصوفي ألا يعلم الآخرون عنه أنه كذلك، وألا يطلع على سره أحد من الخلق[6] وحديث الله كالثلج في الصيف. وجوده غريب وبقاؤه أغرب[7].

ويفوق الصوفية أهل الكتاب في التأويل. فعندما سأله الراهب عن العدد الاثني عشر، والرهبان هم أهل التأويل، أجاب بأن الواحد هو الله، والاثنان الليل والنهار، والثلاث الطلاق ثلاث مرات، والأربع الكتب المقدسة، التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والخمس الصلوات، والست الأيام، والسبع السماوات، والثمان حملة العرش، والتسع مدة الحمل، والعشر الكرام البررة، والحادي عشر إخوة يوسف، والثاني عشر السنة[8].

حامل القرآن لا يحتاج إلى شيء من الخلق بما في ذلك الخلفاء والسلاطين، بل الخلق في حاجة إليه. وقد يعني العلم والقدرة على التصرف والحكمة. أما إن كان يعني الحصول على قدرات خارقة للعادة سحرية تجعله قادراً على كل شيء

---

(1) أبو عبد الله الروزباري، السابق ص499.
(2) أبو عبد الله الدينوري، السابق ص517.
(3) السابق ص489.
(4) طبقات الصوفية ص481-482.
(5) السابق ص506.
(6) «ما هذه السعاية التي سعيت بي إلى خلق الله؟ أتريد أن يفشو سري مع الله خلق الله»، شطحات ص137.
(7) السابق ص181.
(8) السابق، شطحات ص220.

فيكون أقرب إلى التصور الشعبي للتابو[1] والتباعد عن القراء مستحب لأنهم إن أحبوا أحدا مدحوه بما ليس فيه. وإن أبغضوه شهدوا عليه وقبلت شهادتهم[2] فهم مداحو السلطان، وسوطه على الناس. والشاطر السخي أفضل من القارئ اللئيم لأن السخاء فضيلة، واللؤم رذيلة. وللقرآن مفتاح يختلف من صوفي إلى آخر، آية أو لفظ أو حدس أو توجه. وقد يظل الصوفي عشرين عاماً حتى يعثر عليه[3] ويفهم من القرآن أحياناً التهديد بلطف للمعارض مثل آية ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. وهو ليس تهديداً بل إعلان ختم النبوة واكتمال الوحي، وأن المراحل السابقة كلها تصب في المرحلة الأخيرة كما هو الحال في اللاهوت المسيحي عندما تصب رسالات أنبياء إسرائيل السابقين في شخص عيسى نبياً و«إلهاً»[4].

وبعد قراء القرآن قد يحار العقل في آية. أما حفاظه فكيف يهنأ لهم البال وينامون ملء الجفون ويشتغلون بأمور الدنيا وهم لا يفهمونه. فإذا فهموا وعرفوا حقه وتمتعوا وناجوا به لما ناموا فرحاً بما رزقوا ووفقوا[5] القرآن فهمه وليس تلاوته. وهو أيضاً دافع على السلوك الفاضل. فإذا دنا القارئ من معصية يتحدث القرآن في جوفه ويسأله لماذا حمله؟[6].

وقد يستغلق كلام صوفي على صوفي آخر نظراً لاختلاف درجاتهما في المعرفة ولتباينهما في الحالات النفسية[7] يتكلم صوفي من بحر صفاء الأحوال. ويتكلم آخر من صفاء المنة. الأول مزج، والثاني صرف. الأول بينية بين الأنا والأنت، والثاني هوية بين الأنا والأنا أو الأنت والأنت[8].

---

(1) الفضيل بن عياض، طبقات الصوفية ص10/ 11.

(2) بشر الحافي، السابق ص44.

(3) هي آية ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾، وما عند الله خير وأبقى، عند شقيق البلخي، السابق ص64.

(4) أبو سليمان الداراني، السابق ص80.

(5) أحمد بن أبي الحواري، طبقات الصوفية ص102.

(6) عبد الله بن خبيق الانطاكي، طبقات الصوفية ص143.

(7) «انكص على عقبك في كلامك قليلا حتى أعرف ما تقوله»، شطحات ص73.

(8) «نعم القوم، تكلموا من بحر صفاء الأحوال. وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة. فتكلموا ممزوجا وأتكلم صرفا. كم بين من يقول: أنا وأنت وبين من يقول: أنت أنت»، السابق ص103.

6 ـ علوم السلف وعلوم الخلف

وتصنف العلوم طبقاً لمسار التاريخ من الماضي إلى الحاضر، ومن السلف إلى الخلف. فالعلوم تسعة، أربعة صحيحة من السلف، وخمسة محدثة من الخلف. والسلف خير من الخلف، ولا تجديد في العلوم. الأربعة القديمة: علم الإيمان، وعلم القرآن، وعلم السنن والآثار، وعلم الفتاوى والأحكام. والإيمان ليس علماً. والقرآن والحديث علمان نقليان. والآثار علم يخضع للروايات مثل الحديث. وعلم الفتاوى والأحكام علم الفقه وهو علم نقلي. والخمسة المحدثة: النحو، والعروض، والمقاييس، والجدل في الفقه، وعلم المعقول بالنظر، وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات إليه، وتعليل الضعفاء، وتضعيف النقلة للآثار. وقد نشأ كل علم طبقا لمقتضيات العصر، النحو لوضع قواعد للكلام، والعروض لوضع بحور للشعر، والمقاييس لوضع قواعد للتفكير، والجدل لوضع مناهج لإفحام الخصوم، والمعقول للرد على الفرق غير الإسلامية، وعلم العلل لاستنباط الأحكام وهو علم أصول الفقه، وتضعيف النقل هو علم النقد التاريخي، وعلم القصص بدايات علم التاريخ[1].

وفي قسمة أخرى ينقسم الكلام إلى سبعة أقسام، العلم واحد منها. فالعلم جزء من الكلام. وباقي الستة لغو. والعلم السابع هو القرآن والسنة، ما دل عليهما أو استنبط منهما أو ما وجد اسمه ومعناه من قول وفعل. والتأويل المتفق مع الإجماع داخل في الاستنباط من الكتاب. القرآن هو العلم الأول والأخير. وأصبح المتكلم هو نموذج العالم، كلام البدع وعلم المنافقين، المعروف منكر والمنكر معروف[2] ومن البدع البيع والشراء على الطريق، وكثرة المساجد في مكان واحد، وملؤها بالنقوش والتزويق في السقوف والأبواب، والمحامل والقباب، وعلم الحروف، والتضييق والتوسيع على الناس مثل القبض والبسط. وتنتشر العلوم من المنافقين والمبتدعة أو المشركين لأنها نتيجة الذهن وثمرة العقل. أما علم الإيمان واليقين فلا يأتي إلا عن مشاهدة ومكاشفة. وعلم التوحيد والصفات مباين لسائر العلوم. الاختلاف في ظاهر العلوم رحمة، وفي علم التوحيد ضلال وبدعة. الخطأ في

(1) «تفصيل العلوم، معروفها وقديمها، ومحدثها ومنكرها»، قوت القلوب جا/ 339-352.

(2) حديث «إن الله تعالى يبغض الثرثارين والمتشدقين».

الظاهر مغفور، وفي التوحيد كفر. والمغالون هم الشاطحون. جاوزوا العلم ومحوا الرسم، وأسقطوا الحكم. والمبطلون هم المدعون المبتدعون. جادلوا بالباطل لدحض الحق. وافتروا بالدعوى، وابتدعوا بالرأي والهوى. والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المغترون بظاهر العقل. أهل العلم بالله يردون علوم العقول إلى علم اليقين، وعلم الرأي إلى علم السنة. ويثبتون الآثار، ويؤيدون نقله بالأخبار.

العلم ما كان عليه السلف الصالح المقتفي آثارهم، والخلف التابع المقتدي بهديهم، الصحابة وأهل السكينة والرضا، والتابعون لهم بإحسان من أهل الزهد. العلماء ورثة الأنبياء هم الورعون في الدين، الزاهدون في الدنيا، الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا علم الرأي والهوى، الصامتون عن الشبهات والآراء. وهم الأبدال في أطراف الأرض، المستترون عن أعين الجمهور. لا يطيقون النظر إلى علماء الزمان ولا الاستماع إلى كلامهم[1] العلم عند أهل السلف علم الحال وهو علم الخبر. فالسؤال عن الخبر سؤال عن الحال[2] ثم ابتدعت علوم عند السلف مثل علم الكلام والجدل، وعلوم المقاييس والنظر، والاستدلال على الحديث بأدلة الرأي والمعقول، وإيثار علم العقل والرأي والقياس على ظواهر القرآن والأخبار وإظهار الإشارات بالمواجيد من غير علومها ولا تفصيلها[3] في حين أظهر القدماء علوم المواجيد وأخفوا الإشارة بالوجد لإظهار ما ينفع وإخفاء ما يضر. كانوا يسكتون عما خالف الكتاب والسنة مثل الكلام في التوحيد بما يخالف الشرع مثل الشطحات. وكذلك الكلام في الدين بالوساوس والخطرات دون مواجيدها، ووضع السجع في الدعاء، وإدخال القصص، وأخذ القرآن بالإرادة، وضرب الآيات بعضها ببعض، والتلحين في القراءة، وعدم فهم التلاوة، وتلحين الأذان، والتشديد في أشياء كان السلف يسهل فيها، والتدقيق في القياس والنظر والنحو، والتسهيل في المكاسب، وبيع المصحف أو شراؤه، ودخول النساء الحمام من غير ضرورة[4].

---

(1) «تفضيل علم الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه»، قوت القلوب جـ1/ 353-359.

(2) «كشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة»، السابق جـ1/ 267-274.

(3) «وصف العلم وطريقة السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام»، السابق ص297-331.

(4) «ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف»، السابق ص331-338.

7 ـ علوم الدنيا وعلوم الآخرة

هناك فرق بين العلم بالله، والعلم بأمر الله. الأول العلم بالحقيقة والثاني العلم بالشريعة. وهي نفس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا. وكم من عالم فاجر، وعابد جاهل، مما يستدعي اتقاء الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين.

وقد تبدو القسمة ثلاثية إضافة التقوى والخوف في أخلاق العالم. حينئذ يكون العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله وهو العالم الكامل. وعالم بالله وهو التقي الخائف، وعالم بأمر الله دون الله وهو العالم الفاجر. الأول عالم بالله، والثاني عالم لله، والثالث عالم بحكم الله. الأول هو العارف الموقن. والثاني هو العالم بالإخلاص والأحوال والمعاملات. والثالث العالم بتفصيل الحلال والحرام. الأول العالم بالله لا بأمره ولا بأيامه وهم المؤمنون. والثاني العالم بأمر الله لا بأيامه وهم المفتون في الحلال والحرام. والثالث العالم بالله وبأيامه وهم الصديقون. ويكون طلاب العلم ثلاثة. الأول للعمل به. والثاني ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط. والثالث ليعرف التأويل ويجعل الحرام حلالاً. وفي قسمة أخرى طلاب العلم ثلاثة، علم الورع مخافة الاشتباه وهو الزاهد التقي، وعلم الاختلاف والأقاويل فيسقط الواجبات، ويتوسع ويترخص. والثالث يسأل عن شيء فيقال لا يجوز فيبحث عن حيلة حتى يجوز بناء على الاختلاف والشبهة. وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة عليه: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق. وقد تكون القسمة رباعية بين العلماء والخائفين والمحبين والمؤثرين لله. الناس موتى إلا العلماء، والعلماء نيام إلا الخائفين، والخائفون منقطعون إلا المحبين، والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون لله[1].

وعلوم الدنيا أساس علوم الدين. ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا[2] وعندما

---

(1) «الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، وذم علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا»، السابق جـ1/ 285-296.

(2) «إن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا. ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا. فإن الدنيا مزرعة للآخرة. وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا. وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعتهم»، الإحياء جـ1/ 19-20.

تعرض للعالم مشكلات في الدين يحتاج إلى العارف عند حدوث شبهات في الصدر. فعالم الآخرة هو عالم الدين.

وتنقسم أعمال الدنيا إلى ثلاثة أقسام. الأول أصول وهي أربعة، الزراعة للمطعم، والحياكة للملبس، والبناء للمسكن، والسياسة للاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة. والثاني فروع هذه الأصول لخدمتها مثل الحدادة للزراعة، والحلاجة والغزل للحياكة. والثالث المتمم للأصول والفروع مثل الطحن والخبز للزراعة، والقصاصة والخياطة للحياكة[1] وأشرفها السياسة لإرشاد الخلق. ويعرف شرف الصناعات بثلاثة أمور، بالغريزة وسيلة المعرفة مثل فضل العلوم العقلية على اللغوية. فالحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل المشرق من السمع. وبالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصباغة وبملاحظة المحل كفضل الصباغة على الدباغة.

وعلوم الآخرة أربعة مراتب: الأولى السياسة العليا للأنبياء وحكمهم على الظاهر والباطن للخاصة والعامة. والثانية للخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الظاهر للخاصة والعامة. والثالثة للعلماء وحكمهم على الباطن وحده للخاصة دون العامة. والرابعة للوعاظ وحكمهم على بواطن العوام. وتدرك العلوم الدنية، فقه الآخرة بكمال العقل وصفاء الزكاء. والعقل أشرف ما في الإنسان، وعموم نفعه، وشرق المحل وهو قلب البشر ونفوسهم. وعلوم الآخرة تنقسم أيضاً إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، الأول علم العمل، والثاني علم النظر. ثم ينقسم علم المعاملة إلى علم ظاهر يتعلق بأعمال الجوارح، وعلم باطن يتعلق بأعمال القلوب. وأعمال الجوارح إما عادة وإما عبادة. وعلم القلوب ينقسم إلى مذموم ومحمود.

وللعالم خمس علامات من علماء الآخرة: الخشية، والخضوع، والتواضع، وحسن الخلق، والزهد. ويقتضي التفقه في الدين النذارة والحذر لأنه يقيس الغائب على الشاهد. وعلم الآخرة من الذكر. وهو علم المشاهدة. والمشاهدة صفة عين

(1) وذلك مثل بدن الإنسان الأصول كالقلب والكبد والدماغ وفروع خاصة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة، ومكملة ومزينة لها كالأظافر والأصابع والحاجبين.

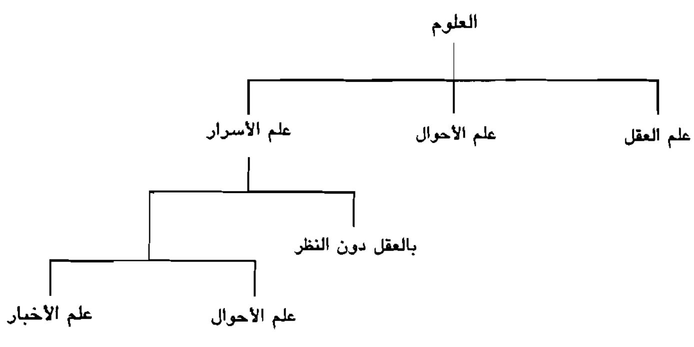
اليقين. وإذا هرب العالم من الناس يؤتى إليه. وإذا طلب العالم الناس يُفر منه[1].

8 ـ علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار

وتنقسم العلوم إلى ثلاثة: علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار. يحصل علم العقل ضرورة بعد النظر في الدليل والعثور على وجه الدليل وشبهه في عالم الفكر. ومن النظر صحيح وفاسد. ويحصل علم الأحوال بالذوق. لا يحده عاقل ولا يُعرف بدليل بل بالتجربة وحدها والذوق. وهو متوسط بين علم العقل وعلم الأسرار وإن كان أقرب إلى علم الأسرار وإلى علم العقل الضروري عند من شاهده، وأبعد عن علم العقل النظري.

أما علم الأسرار فإنه فوق العقل، من نفث الروح القدس في الروع. يختص به النبي والولي. وينقسم بدوره إلى علمين: الأول يحصل بالعقل دون النظر لمجرد مرتبته. والثاني ينقسم إلى قسمين. الأول علم الأحوال ولكنه أشرف. والثاني علم الأخبار ويحتمل صدق وكذب. وصدقه من صدق المخبر وعصمته مثل الأخبار الواردة عن الأنبياء عن القيامة والجنة والحوض ووجود الله ولا شيء معه. وهو أشرف العلوم لأنه حاوٍ لجميع العلوم[2] لا يرفضه الذكي. يكفيه احتماله وجوازه. صدقه في نفسه بالرغم من صدق قائله. ينفع قبوله، ويضر نفيه. لا يبطل أركان الشريعة أو أصلاً من أصولها. ينال بالشهادة والإلهام. لا يطعن فيه متكلم أو فيلسوف أو فقيه لأنه يعتمد أيضاً على إدراك العقل الحدسي دون

(1) السابق جـ1/ 10-11/ 21.
(2) الفتوحات جـ1/ 31-33.



النظري. قد يصعب على الفهم من أجل العبارة. لذلك تستعمل الأمثلة والمخاطبات الشعرية للتعبير عنه[1].

والطريق إلى علم الأسرار للخاصة وليس للعامة على أربع شعب: بواعث ودواع وأخلاق وحقائق. وعليهم ثلاثة حقوق: حق الله وهو عبادته، وحق النفس وهو سلوك طريق سعادتها، وحق الخلق وهو كف الأذى عنهم. والدواعي خمسة: الهاجس وهو الخاطر، والإرادة، والعزم، والهمة والنية. والبواعث عليها ثلاثة، رغبة ورهبة وتعظيم. والرغبة اثنان، مجاورة ومعاينة. والرهبة من العذاب ومن الحجاب. والأخلاق ثلاثة أنواع: متعد، وغير متعد، ومشترك. والمتعد لجلب منفعة أو لدفع مضرة. والحقائق أربعة، الذات والصفات والأفعال والمفعولات وهي الأكوان. وهي على ثلاث مراتب، علوية وهي المعقولات وسفلية وهي المحسوسات وبرزخية وهي المخبلات. الذاتية من غير تشبيه ولا تكييف ولا عبارة ولا إشارة، والصفاتية هي الأسماء والصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة، والكونية معرفة الأرواح والبسائط والأجسام والاتصال والانفصال، والفعلية كن فيكون والقدرة. وكلها الأحوال والمقامات. فالمقام صفة للبقاء فيها مثل التوبة. والحال صفة للبقاء في وقت دون وقت كالمحو والغيبة والرضا أو تكون مشروطة مثل الصبر مع البلاء والشكر مع النعمة[2].

وقد يتناول بعض مسائل هذا العلم المتكلم أو الفيلسوف أو صاحب النظر ولكنه لا يصبح بذلك صوفياً. فإن الفيلسوف يتناول الموضوع بالعقل الخالص بصرف النظر عن الدين على عكس الصوفي. ولا يعني ذلك أن ما يقوله الفيلسوف باطلاً بل هو مثل المتكلم والفقيه مادام علمه قد بسطته العبارة وحسن التعبير عنه. أما علم الأسرار فإنه عويص على الأفهام، سمج العبارة، لا تدركه العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تتهيأ للنظر والبحث. أما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار وعلم

(1) وهو علم الخضر مع موسى. وفيه قال الرضى من حفدة علي:

يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

السابق جا/ 32.

(2) السابق جا/ 33-34.

العقول. يتناوله أصحاب التجارب. هو إلى علم الأسرار أقرب وإلى علم العقول أبعد. لا تتوصل إليه العقول إلا عن طريق الأخبار. وهو أقرب إلى العلم العقلي الضروري أي إلى أوائل العقول وبداهاته. وهو ضروري عند أصحاب الأذواق[1].

ثانياً: علوم الوقت

1 ـ مفردات العلم

تعني مفردات العلم محاولات تعريفه عن طريق ذكر الألفاظ المشابهة أو القرينة به مثل المعرفة واليقين والحال والإيمان والدليل وغيرها من المفردات المتعلقة بالعلم أو وسائل التعبير عنه بالحروف والأسماء والإشارة وسائر مفردات اللغة[2] وإذا تكلم الإنسان عُرف. وإذا تكلم المنافق عُرف. الكلام كاشف. وهو هيبة الإنسان[3] المعرفة إشارة ورمز تكون عليها الواردات متصلة والأحوال متشابهة[4] العلم لغة. واللغة حروف وأسماء وأفعال. وبذهاب الأسماء تذهب المعاني. وإذا ذهبت المعاني انكشفت. فاللغة حجاب. كل شيء شجر. واللغة مثل الشجر، جذور وجذوع وفروع وأوراق وثمار[5] اللغة وسيلة للتعبير. الباطل يستعير الألسنة، والحق لا يستعيرها من غيره[6].

وما يخص نظرية العلم في علم الكلام الأشعري الصوفي هو أن العلم ليس تصورا للمعلوم ولا معناه بل هو تخيله إن أمكن[7] العلم لا يتغير بتغير العلوم. ولا يتغير المعلوم بتغير العلم. وإحاطة العلم بالعلوم يقتضي تناهيه. ولا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم ولأمثاله. العلم والعالم والمعلوم

(1) السابق جا/ 32-33.
(2) النفري: المواقف ص66-67/ 70.
(3) التستري ص218-219.
(4) «إن ورد عليك بعض إشارة ورمز فلولا أن تكون الواردات متصلة والأحوال متشابهة مشتركة في المنزلة لما تقابلت الواردات، ولا تساوت الحالات، ولا عللت الخافيات»، أخبار الحلاج ص53.
(5) النفري: المواقف ص92.
(6) السابق ص96.
(7) الفتوحات جا/ 42-47.

شيء واحد[1] ولا يوجد شيء من العلم التصوري مكتسب بالنظر الفكري. والأشياء كلها مجتمعة في المعرفة وليست في العقل. والمعرفة كلها مجتمعة في العقل وليست في العلم. والعلم كله مجتمع في العقل وليس في السنة. والسنة كلها مجتمعة في العمل غير مجتمعة في الإخلاص. والعمل كله مجتمع في الإخلاص غير مجتمع في الحلم[2] المعرفة كالريح، والعقل كالفتيلة. تهب المعرفة على العقل كما تهب الريح على الفتيلة. والعلم كالنار والمريد كالزند. وتنير النار على قدر الزند[3] والعالم لا يفرض على الأشياء نسقاً بل يدرك نسق الأشياء[4] والعين تشير إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء. وهي تغني عن البحث والطلب. وعين الجمع اسم من أسماء التوحيد[5] وهو لفظ مشابه يدل على عضو العين وعلى منبع الماء وعلى مصدر المعرفة.

والعلم أقل من المعرفة. العلم باب والمعرفة أبواب. وأحياناً تعني المعرفة المعلومات المنقولة المحفوظة. وفي هذه الحالة تكون أقل من العلم المباشر. ويكون العلم أعمق من المعرفة[6] والعلم وجد وليس مجرد معرفة. هنا يكون العلم أعلى من المعرفة. والعلم طلب المعرفة. وهنا تكون المعرفة أعلى من العلم[7] وقد لا يكون العبد عارفاً إلا إذا كان عالماً بالله. ولا يكون عالماً إلا إذا كان رحمة للخلق. السماء رحمة للأرض. وبطن الأرض رحمة لظهرها. والآخرة رحمة للدنيا. والعلماء رحمة للجهال. والكبار رحمة للصغار، والنبي رحمة للخلق. والله رحيم بالخلق. أصل المعرفة الخلقة[8] والعالم بحاله أفضل من العارف بحاله لأنه يعرف الشكر. والعارف يعبد في الحال، والعابد يعبد بالحال. ولا يصح إعلام

(1) العلم والمعلوم والعالم ثلاثة حكمهم واحد السابق ص91-92.
(2) التستري ص139.
(3) السابق ص377.
(4) السابق ص237. وهو ما قاله برجسون فيما بعد
(5) اللمع ص450.
(6) النفري: المواقف ص96.
(7) النفري: المخاطبات ص212. قوت القلوب جا/ 262.
(8) التستري ص153/ 299-300.

الحال أو المعرفة مع العاصي لأن الحال إيجابي، والمعصية سلب[1] بدء الأشياء المعرفة، وآخرها العلم. وبدء الشيء العلم وآخره المعرفة. وآخر باب من العلم أول باب من المعرفة. وأول باب من المعرفة السكون إلى الله. وكمال الذكر هو العلم بالمشاهدة. المعرفة أقرب إلى الإدراك الحسي، والعلم تحويل هذه المعرفة الحسية إلى معرفة عقلية أي إلى علم. وفي نفس الوقت بداية الشيء العلم به وآخره المعرفة بالمعنى الباطني أي العلم بحقيقته. فالمعرفة الحسية سابقة على العلم، والمعرفة الحدسية تالية له. والعلم اللدني هو المشاهدة التي تأتي بعد الذكر[2].

ويستحق العبد أن يسمى عارفاً بالله بأول درجة من درجات المعرفة إذا وقف بعمله على همومه فيعرف كل هم بالقلب. والعلم أدنى درجات الذكر. وكماله الحكمة[3] من عرف الله في الدنيا فإنه بلاء وغم إلى الأبد[4] مع أن المعرفة والسعادة شيء واحد عن الصوفية خاصة الغزالي. المعرفة توقظ الوعي وتعطي الإحساس بالواجب، وتبعث على الأمل.

ويفسح التصوف مجالاً لنفسه في حد العلم كما فعل المحاسبي في «كتاب العلم»[5] يعتمد على حجج نقلية أقل وتحليل عقلي وأخلاقي أكثر، وعود إلى تصنيف العلوم[6] فالعلم علمان: الأول، علم الفقه، وهو علم الحلال والحرام، علم أحكام الدنيا، وهو علم الظاهر فإن طال فلخصومات الناس. والدنيا مؤسسة على العدل والخصومات قائمة على الشهوات والأهواء ترد إلى الأصول. وهو فرض عين. علم الفقه الذي بدأ منه التصوف وانتهى إليه. هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق، علم المعاملات الخاصة والعامة، علم أصول الأمر والنهي. هو علم طلب المشكلات والشبهات أي علم الواقع. وهو العلم النافع[7] وإدراك العلم

---

(1) السابق ص336-337/ 90، شطحات الصوفية ص124.
(2) السابق ص319.
(3) السابق ص67/ 69.
(4) السابق ص323.
(5) المحاسبي: كتاب العلم ص81-99.
(6) الآيات (3)، الأحاديث (1).
(7) وهو معنى حديث «أعوذ بالله من علم لا ينفع»، قوت القلوب جا/ 266.

لا يتم بالفقه[1] والبدعة بين الفقه والتصوف. لا يثبت حساب للمبتدع لأنه لا سنة له. وأشنع بدعة الوقوف على طلب العلم، والتفاضل عما لا يُعلم كما قال سقراط «ما ظل الإنسان عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل»[2] وصاحب البدعة لا تقبل توبته لأنها انحراف عن الطريق. ومع ذلك ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

والثاني علم أحكام الآخرة، وهو علم الباطن، علم العبادة الباطنة، الورع والتقوى والزهد والصبر وسلامة الصدر وسخاوة النفس وحسن الطاعة والصدق والإخلاص. وكلها حلال في مقابل الحرام وهي أهواء النفس[4] وهو علم ضروري، فرض كفاية. وهذه هي أصول الدين. فالعقائد أخلاق، التحلي بالأخلاق السنية والتخلي عن الأخلاق الدنية وهو أحد تعريفات التصوف. تمثلها الرسول ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. وأكرم الناس عند الله أتقاهم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾. وأشر شيء هو أشر العلماء. هم علماء المساكين.

والعلماء ثلاثة: عالم في القلب، وعالم في السمع، وعالم في التعلم من أعلى إلى أدنى. الأول صاحب العلم المباشر، والثاني صاحب العلم المنقول، والثالث صاحب العلم المحصل. والقراء ثلاثة: قارئ عرف الكل، وقارئ عرف النصف، وقارئ عرف الدرس. الأول صاحب العلم الكلي، والثاني العلم الجزئي، والثالث المحصل. الكل الظاهر والباطن، والجزء الظاهر، والدرس التلاوة[5] وقد أعطي الرسول ثلاثة علوم: علم يقيني، وربما علم ظني، وعلم سري لا يظهر[6] علمه يقيناً الشريعة التي يعرفها العامة، وعلمه ظناً الطريقة التي يعرفها الخاصة، وعلمه السري هو الحقيقة.

---

(1) النفري: المخاطبات ص221.
(2) السابق ص67.
(3) السابق ص278.
(4) مثل الغل والحقد والحسد والغش وحب المنزلة وحب الثناء، والكبر والغضب والحمية والأنفة وحب الرياسة والعداوة والطمع والفخر والخيلاء والفضول والمداهنة والعجب والتملق والضعف، المحاسبي: كتاب العلم ص84-85.
(5) النفري: المواقف ص99.
(6) التستري ص340.

التصوف هو العلم الأول، علم الإيمان السابق على علم القرآن. فالإيمان يسبق القراءة والفهم. ومن اشتغل بطلب العلم وقراءة القرآن لم يصبه المرة البتة أي حزن أو سوء الحظ أو ابتلاء. فالعلم هو العلم الإيماني. العلم حلم، صديق المؤمن. العمل دليله. والرفق أخوه. والبر والده. والصدق أمير جنده[1] ليس العلم مجرد معرفة خالصة بل هو موقف أخلاقي يرتبط بالحلم والرفق والبر والصدق. العلم هو الأصل. وهو الشهادتان[2] أصل العلم قول لا إله إلا الله والخوف واجتناب النواهي، ورجاء أداء الفرائض، والحب والشوق، والاقتداء بالسنة[3] المعرفة معرفة الإيمان. والعقل عقل الإيمان. واليقين يقين الإيمان. والروح روح الإيمان. والحياة حياة الإيمان. وهذه هي الحياة وإلا فالموت. واضح أن الإيمان هو المصدر الأول للمعرفة. واليقين والروح والحياة أقرب إلى المسيحية منها إلى الإسلام[4].

وهو علم الباطن وفرائض القلوب[5] والخضر نموذجه. وهو أعلم أهل الأرض من ولد آدم[6] ومن لم يبلغ علمه هذا القدر فإنه ميت. يخرج منه حيّ يظهر حاجته وفقره وسره. يدبر أمره، ويتولى أموره. فالعلم متواصل بين الأحياء والأموات، وبين الأموات والأحياء[7] دعوى العلم حجاب. وكمال العبد سكونه إلى جهله. وعلى قدر سكونه لا يحجب عن ربه. ليس العلم ادعاء وإلا كان حجاباً. ولا يسعى في طلبه وإلا كان جهلاً. العلم كشف لحجاب[8] العلم كشف وبهوت عندما تشتد الرؤية وتنبهر بها العين. والحجب خمسة: حجاب أعيان، وحجاب علوم، وحجاب حروف، وحجاب أسماء، وحجاب جهل. والبهوت من

(1) السابق ص94.
(2) السابق ص90.
(3) السابق ص201.
(4) السابق ص323.
(5) وهو معنى حديث «وعلم باطن في القلب، وهو العلم النافع»، قوت القلوب جـ1/ 163.
(6) «إبليس أعلم منه وأعرف. يحذر الملائكة منه. والملائكة، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت (عزرائيل)، أعلم منه. جبريل حسن الخلق، كيس فطن. وميكائيل رحيم، وملك الموت أفظعهم وأغلظهم وأقساهم». التستري ص304-305
(7) السابق ص152.
(8) السابق ص325.

صفات الجبروت لأنه يأخذ بالعين، ويطغى الموضوع على البصر[1] العلم هو الحياة والحياة هي العلم. وكلاهما صفتان لله مع القدرة في الثلاثي الأول[2] ودون العلم هو الموت. العلم حياة. والسكون روح. واليقين نفس وهو عين الشيء. فالمعرفة والوجود شيء واحد[3] العلم حركة حتى يأتي اليقين. فيتحول إلى سكون. والعمل حركة حتى الإخلاص فيصير طمأنينة. فالحركة نقص. والسكون كمال[4] الناس موتى إلا العلماء. والعلماء موتى إلا الخائفين. والخائفون مقطوعون إلا الراجين. والراجون لا يصلون إلا المحبين. والمحبون هم الذين يؤثرون الله على كل شيء. وفي تسلسل آخر: الناس موتى إلا العلماء. والعلماء سكارى إلا العاملين. والعاملون مخدوعون إلا المخلصين. والمخلصون وجلون حتى يعرفوا خاتمتهم[5] الدنيا جهل وموات إلا العلم. والعلم حجة على الخلق إلا إذا عمل به. والأعمال هباء إلا الإخلاص فيها. والإخلاص لا يعرفه إلا الله. وما على الإنسان إلا الحذر من الموت. فالأعمال بخواتيمها[6] والسؤال: كيف يقيم الإنسان حياته على ما لا يعرف؟

العلم حال من مقام همومية[7] وطلب العلم على قد الحال. وطلب الحال على قد اليوم. وطلب علم اليوم على قد الأنفاس والهموم. وطلب الهموم على قد الخاطرات، وطلب الخاطرات على قد الخروج منها[8] فالعلم علم شعوري، علم هموم الحياة اليومية في المنزل أو في العمل طبقاً لضرورة الحياة العملية. العلم يفرضه العمل. بل هو علم العمل. العلم هو العلم بالحال في اليوم ومن اليوم. هو العلم في اللحظة[9] هو علم النفس. ومن النفس الهمة، ومن

(1) «موقف الكشف والبهوت»، النفري: المواقف ص169-172.
(2) من العقيدة إلى الثورة جـ2/ التوحيد، ص418-423.
(3) التستري ص335.
(4) وهو أحد اختيارات التراث القديم في حين اختار الغرب الحركة على السكون. وهو أحد أسباب تخلف المسلمين وتقدم الغرب. السابق ص256.
(5) السابق ص98.
(6) السابق ص187.
(7) السابق ص311.
(8) قوت القلوب جـ1/ 262.
(9) التستري ص286. وهو معنى العلم عند برجسون وهوسرل.

الهمة الخاطرة، ومن الخاطرة الحركة[1] والغضب الذي يهيجه العلم رحمة. فالعلم ليس نظرياً بل وجدانياً، ليس مجرد معرفة بل سلوك[2] وغضب الأنبياء والعلماء حكم لأنهم لا يصدرون عن الهوى[3] ويختلف العلماء في الذات ومقاماتهم. ويتكلمون على قدر معاملاتهم.

وهو علم أخلاقي، علم الإخلاص أي الصدق مع النفس، ومعرفة آفات النفس ومكايد العدو، إبليس أي الصراع بين الخير والشر. خير العبادات، الإخلاص. ويقتضي التمييز بين المداراة والمداهنة. المداراة كل ما يدل على الدنيا. والمداهنة السكوت على أمر الدين. فلا ينخدع العلماء بثلاثة أشياء بعد معرفتها: معرفة العدو، ومعرفة الدنيا، ومعرفة النفس[4] ويُرمز إلى العلم بحركة البدن. فجلوس المتعلم الجثي على الركب. وجلوس العالم الانتصاب. وجلوس المحب، الفخذ على الفخذ. الانحناء للمتعلم، والوقوف للعالم، والملامسة للمحب[5] وتتجلى الأخلاق في سلوك العلماء. وفي علم العالمين أثبت الله أسماءهم عنده في العلماء، راضيين عنه، قانعين به عمن سواه، حامدين له على ما ابتلاهم، ومستغفرينه من كل أفعالهم، طالبين السلامة والعفو، خائفين عدل الله، وراجين فضله. ليس العالم فقط هو حامل العلم بل من له سلوك العلماء من الفضيلة والتقوى. أما أنهم معروفون سلفاً نظراً لعلم الله المسبق بكل شيء فذاك خارج عن نطاق العلم وأدخل في العقائد. والغوص في العلم قد يؤدي إلى الهلاك في الطريق إلا علم الرضا وبنية الإخلاص[6].

والعلوم روحية وكونية أو بتعبير المعاصرين إنسانية وطبيعية. العلوم الروحية مثل علم عيسى وهو علم الحروف والنفخ[7] والعلوم الطبيعية أي الكونية

---

(1) السابق ص266. الفصل الحادي والثلاثين: «كتاب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء»، قوت القلوب جا/ 262-364. العلم وتفصيله وأوصاف العلماء ص262-267.

(2) السابق ص234.

(3) السابق ص286.

(4) السابق ص152.

(5) السابق ص224.

(6) السابق ص162.

(7) «في العلم العيسوي ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما»، الفتوحات جا/ 167-169.

ثلاثة[1]: علم التوالد والتناسل ويكشف عن العلم الإلهي. وعلم التوالج والالتحام والنكاح الحسي والمعنوي. وهناك علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية[2] وهي منازل معرفية[3] ولكل منزل أربعة أصناف[4] أما منزل الرموز فإنه يحتوي على منازل أخري[5] والعلوم الكونية مصدر للمعرفة[6] وهي عاشقة لعلوم التوحيد[7] وتختص الأقطاب بأربعة علوم[8] والأقطاب الرموز علوم مثل علم سر الأزل، وعلم الأولياء[9] وبعضه في جداول أبجدية على أربعة أعمدة وسبعة

(1) «في معرفة ثلاثة علوم كونية، وتوالج بعضها في بعض»، السابق ص170-171.

(2) «في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية»، السابق ص170-180.

(3) «وهي ستة عشر منزلاً: منازل الثناء والمدح لأرباب الكشوفات والفتح. ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز. ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبعد. ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتصال. ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء. ومنازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط. ومنازل التقريب للغرباء المتألهين. ومنازل التوقع لأصحاب البراقع من أجل السبحات. ومنازل البركات لأهل الحركات. ومنازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيين. ومنازل الدهر لأهل الذوق. ومنازل الإنية لأهل المشاهدة بالأبصار. ومنازل اللام والألف للالتفات الحاصل بالتخلق بالأخلاق الإلهية ولأهل السر الذي لا ينكشف. ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعية والروحانية. ومنازل فناء الأكوان للضغائن المخدرات. ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغرف. ومنازل الوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الأمجد. ومنازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار. ومنازل الأمر للمتحققين بحقائق سرهم فيهم»، السابق ص172.

(4) وهي: منازل الدلالات، منازل الحدود، منازل الخواص، منازل الأسرار. السابق ص173.

(5) وهي: الوحدانية، والعقل الأول، والعرش الأعظم، والقلوب والحجاب، والاستواء، والبرازخ الإلهية، والفقد والوجدان والقهر والخسف، والأرض الواسعة، والآيات الغربية، والاستعداد والزينة، والذكر والسلب، والدعاء، والابتداء، والأفعال، والتنزيه، والتقريب، والتوقع، والبركات، والأقسام والإيلاء، والإنية، والدهور، ولام ألف والتقرير، والمشاهدة، والألفة والتقرير، والاستخبار، والوعيد، والأمر. السابق ص173-180.

(6) «في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تتضمنه من العجائب، ومن حصلها من العالم، ومراتب أقطابهم، وأسرار الاشتراك بين شريعتين والقلوب المتعشقة بعالم الأنفاس وبالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها»، الفتوحات جا/ 182-185.

(7) وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
السابق ص184.

(8) «في معرفة وتد مخصوص معمر، وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم، وسر المنزل والمنازل ومن دخله من العالم»، السابق ص185-188.

(9) «في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق»، السابق ص188-191.

مراتب[1] والعالم النوراني أعلى منزلة[2] العلم القليل لمن حصله من الصالحين[3] وهي علوم تستقل العلوم بإدراكها. ويتأرجح الموقف بين المعرفة والوجود، بين العلم والكون مثل «أنت معنى الكون». فالعلم قصد. والنظر اتجاه. والرؤية علاقة متبادلة بين الرائي والمرئي[4].

ولكل شيء ثمرة. وثمرة العلم والمعرفة التقرب إلى الله[5] وثمرة العلم الروحي هو التوجه إلى الخالق لا إلى المخلوق، إلى ما وراء الطبيعة وليس إلى الطبيعة بمصطلحات الفلاسفة[6] والله لا يُدرك مباشرة إلا من خلال الطبيعة والأدلة على وجوده. وهو علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد.

والله لا يُري من وراء الأضداء رؤية واحدة[7] ومن عرف الله فلا عيش له إلا في معرفته. ومن رآه فلا قوة له إلا في رؤيته. إذا عرفه خف مكره. ولا يعرفه إلا المصطفون لعلمه[8] العلم علم الإيمان. وهو علم التوحيد كفرض[9] ولا يقال للعالم إنه لم يعلم ويفهم بالله لأن العالم لا يخرج بالله إلا بما فهم. فعلم الله علم عقلي وواقعي. ليس عصياً على الفهم أو التجربة. من طلب العلم لله أو للآخرة فهو على سبيل النجاة. فالعلم وسيلة للنجاة[10] وطلاب العلم ثلاثة: الأول أخذ الأصل والفرع من السر فهلك، والثاني أخذ الأصل والفرع من غيره فسلم. والثالث أخذ الأصل وثبت الفرع فصار عيشه متصلا مع الآخرة[11].

---

(1) «في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منزل العالم النوراني»، السابق ص191.

(2) «في معرفة علم منزل محاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه»، السابق ص233-237.

(3) «في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين»، السابق ص253-254.

(4) النفري: المواقف ص69-70.

(5) «لكل شيء ثمرة. وثمرة العلم والمعرفة التقرب إلى الله»، السابق ص169/ 181.

(6) «إن ثمرة العلم الروحي هو أن تصرف وجهك عن المخلوق كما توجهه إلى الخالق وحده لأن المعرفة هي معرفة الله»، رابعة ص151-152.

(7) النفري: المواقف، موقف الرفق ص103-104.

(8) السابق ص149.

(9) قوت القلوب جا/ 263-264.

(10) التستري ص343.

(11) السابق ص213.

ويتضمن علم العباد ثلاثة أمور: العلم بالجهل، والعلم بالوسوسة، والعلم بالنسيان. لذلك نشأ الاختلاف في العلم. وهو ليس ضد العلم. وليس بأمر إلهي[(1)] وطلب العلم يدعو إلى سماع الاختلاف وتمسك العالم بما له وتركه ما ليس له. وهو موقف مسبق. فالعالم ليس له شيء وليس ضد شيء بل يسمع ويحلل ويقارن ويفضل. وإذا جوز العلماء الاختلاف فإنهم علماء سوء. وهو مثل موقف إخوان الصفا من اختلافات المتكلمين. وينتهي العالم بفقد الورع والخشوع. وتزين له الدنيا فيرغب فيه وتغريه. ويطلبها سمعة ورياء دون رعاية لدين[(2)] إنما ينشأ الخلاف في العلم من درجة يقظة وعي العلماء. ليس هناك أفضل من الورع في العلم. والورع ترك ما لا بأس فيه إلى ما فيه بأس أي إنه معاناة ومقاومة.

وللعالم علامات مثل عدم الجزع من شدائد الدنيا، والصبر على مرارتها، وعدم الفرح برخائها ولا بغنائها أو الحزن على ما فات منها، وبنصح الخلق لوجه الله[(3)] العالم هو المقاوم الملتزم، النقي الطاهر. ليس صعباً على العلماء من التمييز بين المداراة والمداهنة وبين الظن واليقين. فالعلم يقوم على التمييز بين المختلطات، وأحكام المتشابهات بلغة الأصوليين. ولا يجوز تقليد العالم من سبقه من العلماء حتى يعلم حالهم من فعلهم هل يلزمه أم لا. فالعالم حالة شعورية ووضع اجتماعي. وكلاهما متغير[(4)] والعلماء نوعان: عالم يحمله علمه وهو معصوم، وعالم يحمله علمه، يبحث عن الحيل والرخص والمكر والخديعة[(5)] وإذا أخذ من كل عالم زلته فمتي يصل إلى الله؟ قد يكون للمشتغل بالعلم هفوات في الدنيا حتى يعود إلى العلم من جديد[(6)].

العالم لا يفرّط. فالعلم اعتدال، موقف والتزام[(7)] والعالم الذي يتكلم بين

---

(1) السابق ص190.

(2) «فأي عالم أفتاه بذلك، ورخص له واحتال له بحيله حتى يجوز له في وجه من الوجوه فهؤلاء وأشباههم هلاك الأولين والآخرين على أيديهم وهم علماء السوء»، السابق ص191.

(3) السابق ص187.

(4) السابق ص331.

(5) السابق ص279.

(6) السابق ص290.

(7) السابق ص351/ 203.

الخلق تكون الخلائق عنده سواء. ولا ينشغل بها وإلا مُحِيَ العلم من قلبه[1] هذا الحياد في العالم قد يفقد العالم حركته واتجاهه فيه. فهموم العلم تجمع بين هموم الدنيا وهموم الآخرة، هموم العلم والوطن. والعلم صمود ومقاومة[2] وسمي العالم عالماً لأن أفعاله كلها تنسب إلى الحول والقوة لا إلى التدبير. فالعالم صاحب علمه. وعلمه حال وقوة. وكل عالم آمر بالمعروف وناه عن المنكر. فعلمه متصل بالعرش[3] دور العالم إذن النقد الاجتماعي. العلم نقد وشك ومراجعة. ومن لا يرى الكل تلبيساً كان المكر منه قريباً[4].

2 ـ العلم والجهل

العلم ضد الجهل. ولا يزال العبد عالماً مادام جاهلاً. فإذا ظن أنه علم فقد جهل كما قال سقراط قديماً مما يبين توارد الخواطر بين الواصلين في مختلف الحضارات[5] ودعوى العلم جهل[6] وفاز العلماء بجهل الجهال ولم يعبأوا بجهلهم. وتعليم النفس سابق على تعليم الآخر. وفاقد الشيء لا يعطيه. والعلم يصرفه الجهل كما يصرف النهار الليل. الجهل حجاب والعلم كشف. وما اصطحب جاهلان وسلم بعضهما من بعض. ولا اصطحب عالم جاهلاً إلا سلم الجاهل بالعالم[7] العلم سلام، والجهل حرب. وعن طريق التصوير الفني العلم هو الجنة والجهل النار[8] وقد يصير العلم مشوباً بالنار عندما يتحول إلى جهل[9]

---

(1) السابق ص362.

(2) «يا عبد أنا الصمد. فلا تتحلل صفة العلم صفة الصمود»، النفري: المخاطبات ص167.

(3) التستري ص169-170.

(4) الحلاج: الولاية ص239.

(5) «لا يزال العبد عارفاً مادام جاهلاً فإذا زال عن جهله زالت معرفته»، شطحات ص152. «المعرفة في ذات الحق جهل. والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير سرك في الإشارة»، السابق ص126.

(6) أخبار الحلاج ص22، الولاية ص238.

(7) التستري ص369.

(8) «موقف الليل»، النفري: المواقف ص167-168.

(9) رابعة العدوية ص159.

ولا دليل أنجع من العلم[1] العلم دليل العلم. العلم حرز والجهل غرور[2] العلم تبصر واستبصار والجهل غرور وقطع. وخطأ العالم أضر من عمي الجاهل[3] فالعلم يتبعه الناس ويتحقق في العمل. ومن خاف دلالة علمه كثر جهله[4] العلم يورث اليقين، والثقة بالنفس. ويفوز العلماء بجهل الجاهل ولا يعاقبون. فالعلم جهد قدر الطاقة. يمنع الجهل بالله إيثار الله على النفس[5] وثلاثة أشياء تذهب بقلب العبد وعقله: الجهل، والمعصية، والنسوان[6] فالجهل في حد ذاته رذيلة بتعبير سقراط. والمعصية خرق للشريعة. والنسوان اتباع بلا حدود للشهوة. وفي مقابل ذلك ثلاثة أشياء مضادة تثبت قلب الإنسان: العلم والطاعة والذكر.

ومعنى تجويع النفس وتعريتها في الحديث الشهير هو التجرد من الجهل والتجلد في طلب العلم[7] الجاهل ميت، والناس نيام، والعاصي سكران، والمعسر هالك. فالعلم حياة، والحياة يقظة، والواجب وعي، والمراجع ناج. وإذا كان الموت بالأمس والنزع اليوم، وعدم الميلاد الغد فالهلاك في استرجاع الماضي وذكر الآتي. والنجاة في التنفس وهو العلم. الجهل موت[8] ويُرجى أن يمن الله عليهم. فالعلم فضل ومنة[9] والجهل هو الفقر الذي استعاذ منه النبي. الجهل فقر العقل[10].

وعلامة الجهل الغضب بلا سبب، والكلام غير النافع، والعطية في غير محلها، وإفشاء السر، والثقة بكل الناس، وعدم التمييز بين الصديق والعدو[11]

(1) رسالة المسترشدين ص161-162.
(2) طبقات الصوفية ص214-215.
(3) السابق ص214-215.
(4) السابق ص161.
(5) التستري ص86.
(6) السابق ص153-154.
(7) السابق ص201-202.
(8) السابق ص204.
(9) السابق ص251.
(10) السابق ص322.
(11) محمد بن الفضل البلخي، طبقات الصوفية ص215.

والمعرفة اعتراف بالجهل. وهو أيضاً ما نصت عليه آية ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] ومن أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله. فالجهل ليس فقط نقص المعرفة بل السلوك الجاهل[2] وهو مثل الأبله في دنياه الفقيه في دينه[3] ولا يضر الأحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب لأنه لا يقوم على علم[4].

والجهل مثل الموت عامان في الدنيا إلا العلم. والعلم حجة على الخلق حتى دون العمل به. والعمل هباء إلا الإخلاص فيه. ويكون صاحبه على حذر حتى الموت، ولا يعلمه إلا الله. الجهل موت في الدنيا، ونار في الآخرة. فالهوى والإرادة وسوء النية والشهوة طرق إلى النار. الشهوة ذهاب للعقل والعلم والبيان. ومما يذهب العقل والقلب الجهل والمعصية والنسيان. ويُرد العقل بالعلم والطاعة والذكر. الجاهل ميت، والعاصي جيفة، والمصر على المعصية دود. الخلق أحياء ثم ماتوا بجهلهم. والجهل طبع الإنسان لأن الإنسان على الطبيعة يعمل أكثر مما ينظر. والنسيان طبع الجدل لأن الجدل ليس علماً بل صراعاً وقتياً مع الخصوم ينتهي بانتهاء المعركة، والمعصية طبع النسيان لأن الفعل ابن وقته.

والطريق إلى الخلاص العلم بدل الجهل، والطاعة بدل المعصية، والذكر بدل النسيان. والذكر مع العمل يؤدي إلى التواصل، والذكر مع الطاعة يؤدي إلى الشكر، والشكر يؤدي إلى المزيد من الشكر. والجهل يتضمن ثلاثة أمور: أعمال البر بالمخالفة، والإصرار على شيء متشابه، وأمل شيء لا وسع فيه. والجاهل يؤدي إلى الجاهل إلى الهلاك كما قال المسيح «الأعمي لا يقود أعمي»[5].

الجهل أن يكون الإنسان أمام نفسه دون اقتداء بإمام[6] وهو ما يجعل العلم مرتبطا بشيخ وكأن النفس لا تعرف بنفسها شيئاً كما قال سقراط «اعرف نفسك

(1) أبو سعيد بن الأعرابي، السابق ص428.
(2) أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، السابق ص457.
(3) أبو عثمان المغربي، السابق ص481.
(4) علي بن سهل الأصبهاني، السابق ص235.
(5) التستري ص222-223.
(6) السابق ص223-252.

بنفسك». الجهل هو الدنيا. والغاية النفس. وغاية النفس البعد. ومن ارتبط العلم بالآخرة، والغاية أبعد من النفس، القرب. الجهل أساس الكفر. وهو أول ابتلاء للإنسان. فالإيمان علم. وعقاب الجهل ظلمة الهواء وهو التحير، وظلمة السماء وهو ترك الاقتداء، وسخط الرب وهو التحير في الاقتداء. وكمال العبد سكونه إلى جهله. وعلى قدر السكون لا يحجب عن الله. فهل السكون أولى من الحركة، والجهل أولى من العلم كطريق إلى المعرفة الكشفية؟

الجهل نسيان وبالتالي المعرفة تذكر[1] ولا يكون الخطأ والنسيان إلا من المتقين. مع أن الخطأ والنسيان بشريان، وأعم من النواهي والأوامر[2] خلق الله الأجساد جاهلة ناسية. وقد لا يتلاقيان حتى تكون الأرواح واحدة والدين والسر واحد والزهد والورع واحد[3] الجسم سبب الكثرة والروح سبب الوحدة.

3 ـ العلم واليقين

ولا يوجد لفظ «العلم» ضمن ألفاظ الصوفية كلفظ مفرد قبل الحديث عن علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين[4] ولا يحدد العلم باليقين بل يحدد اليقين بالعلم. فالعلم لا يكون إلا يقيناً. واليقين هو ما لا يدخل الشك فيه. وهو ضد المكر والاستدراج. ولا يطلق على الله لأنه ليس اسماً توقيفياً مع أن الله هو الحق، والحق مقولة معرفية. ويمكن للأسماء أن تكون اصطلاحاً واشتقاقاً مثل «المؤمّن» و«المطْعِم» في ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾. وعلم المعرفة واليقين له فضله على سائر العلوم[5] فليس العلم بكثرة الرواية ولكن بالخشية. وحظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا. وحظهم من الرضا على قدر عيشهم منه. علم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين مع كل قوة من موقن حسن الإسلام. مقامه وحاله وقربه مع الله. العلم والإيمان قرينان لا

---

(1) السابق ص294.

(2) السابق ص215-216.

(3) وهو ما قاله أفلاطون من قبل.

(4) الرسالة ص44.

(5) «فضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم، وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة»، قوت القلوب جـ1/ 267-277.

يفترقان. واليقين ثمرة التوحيد. فمن صفا في التوحيد صفا في اليقين[1] اليقين عبد المولى والمولى عالم بحاله. وأدنى يقين ثقة العبد بالله.

اليقين نور في القلب تُشاهد به أمور الآخرة، ويخرق بقوته كل حجاب للمشاهدة[2] هو حدس داخلي يساعد الحواس الخارجية على الإدراك. اليقين نور يستضيء به العبد في أحوال فيوصله إلى درجات المتقين[3] والحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات واليقين خطرات. الحضور كشف ومواجهة للحقيقة واليقين صدقها. الحضور عين اليقين، واليقين حق اليقين[4] اليقين هو المشاهدة أي الجمع بين العلم والتحقق[5] هو مشاهدة الإيمان بالغيب[6] ويشمل علم الحال. وهو أعلى من علم المقام.

اليقين النظر بعين القلب إلى ما عند الله مما وعده وادخره[7] هو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات وكأنه يوجد يقين ذاتي بلا أسرار أو مغيبات. وأنفع اليقين ما عظم الحق في العينين وصغر ما دونه[8] اليقين ترك الشكوى عندما يضاد المراد مع أنه إذا بطلت الشكوى توقف البحث عن اليقين[9] فالشكوى أشبه بالشك الذي يؤدي إلى اليقين عند القدماء والمحدثين. وإذا كان المراد لم يتحقق فلماذا ترك الشكوى وعدم الاعتراض؟[10] وإذا كان الطريق واضحاً والحق لائحاً والداعي مسموعاً فلِمَ الحيرة والعمى؟ وهل في الدنيا وضوح بهذا المعنى؟ أليست الحيرة والتردد والشك طريقا إلى اليقين كما عبر عن ذلك الفلاسفة؟[11].

---

(1) طبقات الصوفية ص300.
(2) أحمد بن عاصم الأنطاكي، السابق ص139.
(3) يوسف بن الحسين الرازي، السابق ص188.
(4) علي بن سهل الأصبهاني، السابق ص234.
(5) رويم بن أحمد البغدادي، السابق ص183.
(6) السابق ص380.
(7) أبو بكر بن يزدانيار، السابق ص409.
(8) أبو علي الرذباري، السابق ص359.
(9) أبو سعيد بن الأعرابي، السابق ص429.
(10) أبو عبد الله محمد بن خفيف، السابق ص465.
(11) أحمد بن خضرويه، طبقات الصوفية ص105.

الظن واليقين نقيضان مثل الكلام والصدق، والعبادة بالجوارح والورع[1] فلا يترك اليقين للظن[2] ومن ظن حُرم اليقين في حين أن الظن أي الشك طريق اليقين[3]. واليقين لا يأتي إلا بعد الظن. ويستطيع العالم الفقيه التمييز بين الظن واليقين[4] وهي تجربة الشك والإيمان ولكنها إلى الإيمان أقرب مثل عمر الخيام. غيب الحديث خاف. والرمز متخاف. والثقة في التصريح. فغاية الإيمان اليقين. وغاية اليقين ما يجده الإنسان في قلبه ويمسه بروحه. ويهيم عليه بفؤاده. وتسلو به نفسه[5]والظن من النفوس الكاذبة والأماني الخاتلة والوساوس الحاجبة لأنهم شاهدوا النفوس من الحظوظ[6] والظن مثل الوهم لا يقود إلى المعرفة[7] ويعتذر الصوفي عن جهله وشكه وظنه[8] وحسن الظن هو تنزيه المولي عن الهَم[9] وموقف الرفق هو موقف اليقين النظري وليس حسن المعاملة في السلوك وهو حسن الظن. اليقين يحمي من الاضطراب، ويهدي إلى الحق. في حين أن حسن الظن يؤدي إلى التصديق[10].

والوقوف على حق اليقين وهو القرآن، ثم إعطاء علم اليقين ثم مشاهدة عين اليقين يؤدي إلى سلامة الصدر. وعلامة ذلك الرضا بالقضاء والقدر والهيبة والمحبة، والحفظ والوكالة من غير تهمة اعتراض وكأن الاعتراض تهمة[11].

---

(1) التستري ص140.

(2) طبقات الصوفية ص188.

(3) التستري ص210.

(4) التستري ص83.

(5) «غيب هذا الحديث خاف. والرمز عنده متخاف. وإنما ندندن حول هذه المغافي... فثق بهذا الذي كتبنا عند ثقة توخي على ما صرحنا به. فإن غاية الإيمان اليقين. وغاية اليقين ما تحمده بقلبك وتمسه بروحك، وتهيمن عليه بفؤادك، وتسلو به نفسك وحسك»، الإشارات ص332.

(6) ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾، التفسير ص153.

(7) بالظن والوهم نحو الحق مطلبهم — نحو الهواء يناجون السماوات
الحلاج: الديوان ص295.

(8) إن اعتذاري إليك جهل — وعظم شك وفرط عيٍّ
السابق ص335.

(9) التستري ص210.

(10) النفري: المواقف، موقف الرفق ص103-104.

(11) اللمع ص797.

وهو لفظ قرآني[1] له ثلاث معاني: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين. والكشف لا يزيد من علم اليقين. وباستكمال حق اليقين يصير البلاء نعمة، والرخاء مصيبة. واليقين هو المكاشفة. وهي على ثلاثة أوجه: مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد، ومكاشفة الآيات بإظهار قدرة الأنبياء بالمعجزات وللأولياء بالكرامات.

واليقين حال رفيع. وأصله على ثلاثة أحوال:

الأول للأصاغر وهم المريدون من العام. ولهم أول مراتب اليقين، الثقة بما في يد الله واليأس مما في يد الخلق. هو ارتفاع الشك. وإذا وجد العبد الرضا بما قسمه الله تكامل اليقين. هو تحقيق القلب بالمعنى الذي هو به.

والثاني للأواسط وهم الخصوص وهو زوال المعارضات على دوام الأوقات. وإذا تحقق العبد باليقين ترحّل من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطناً. واليقين هو المشاهدة.

والثالث للأكابر وهم خصوص الخصوص وهو تحقيق الإثبات لله بكل صفاته. وهو دوام انتصاب القلوب لله بما أورده عليها من اليقين والإلهام. ولا يحدث إلا بعد قطع كل العلاقات والأسباب. وهو أخر الأحوال وأصلها وباطنها. نهايته التصديق بالغيب وإزالة كل شك وريب، والاستبشار وحلاوة المناجاة، وصفاء النظر ومشاهدة القلوب بحقائق اليقين، وإزالة العلل. اليقين بالمعنى يؤدي إلى مشاهدة الأحوال. وإذا انكشفت حقائق المعنى خرج من أشجان الخلق، وخاطب بالتقريب، وهو الكشف عن الصدّيقية.

وصحة اليقين أول شعب الإخلاص وله ثلاث علامات: سكون القلب إلى الثقة بالله، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سابق العلم[2] ولليقين أول وآخر. أوله الطمأنينة، وآخره إفراد الله بالكفاية.

لذلك اليقين على ثلاث درجات من أدناها إلى أعلاها، من علم اليقين إلى

(1) السابق ص 102-104.

(2) السابق ص175-176.

عين اليقين إلى حق اليقين[1] علم اليقين يقوم على البرهان مثل العلوم العقلية أو النظرية: الكلام والفلسفة والأصول. وعين اليقين يقوم على البيان والقدرة على التعبير مثل فنون الأدب ومنها التجارب الشعرية. وحق اليقين يقوم على العيان والمشاهدة والحضور والرؤية المباشرة مثل علوم التصوف. علم اليقين لأصحاب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف.

اليقين على ثلاثة مقامات: الأول المعاينة المطابقة للخبر وهو مقام الصدّيقين والمقربين والشهداء. والثاني التصديق والاستسلام المطابق للخبر أيضاً وهو مقام المؤمنين. يضعف ويقوى مثل الإيمان. يزيد وينقص طبقاً للأسباب والعادة والحجب والمكاشفة، والوسائط والمباشرة. يأنسون بالخلق. ويتلونون بالخلاف. وهو لعموم المؤمنين، لأصحاب اليمين. والثالث يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء. يقوى ويضعف بالأدلة. وهو يقين المتكلمين وأهل الرأي وعلوم العقل والقياس والنظر. هو علم التوحيد والمعرفة على قدر اليقين، واليقين على قدر الصفاء والإيمان، والصفاء والإيمان على قدر المعاملة والرعاية. والظل الذي توارى إليه موسى هو ما خصه الله به من علم اليقين[2] علم اليقين ما يأتي بالدليل. وعين اليقين علم لا نزاع ولا اضطراب فيه. وحق اليقين لا حركة ولا سكون فيها[3] علم اليقين يدل على الأفعال. فإذا فعلها وأخلص فيها وظهرت له البيّنات صار حق اليقين[4].

---

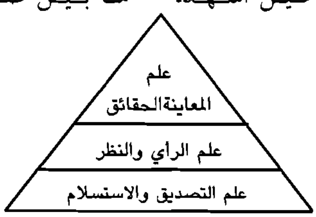
(1) الرسالة ص44.

(2) ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾، الحلاج: التفسير ص137.

(3) ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، السابق ص56.

(4) طبقات الصوفية ص483.

العلم بالله ديني إذ أدين به والجهل بالعين إيماني وتوحيدي
في كل مجلى أراه حين أشهده ما بين صورة تنزيه وتحديد



الفتوحات جـ1/ 751.

4 ـ الإدراك والفراسة

و«الفراسة» من أكبر موضوعات المعرفة الصوفية[1] وهي مذكورة في القرآن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. والتوسم هو الفراسة. وكذلك حديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فهي خصوصية أهل الإيمان. ولا يُكتفي بإعطاء تعريفات للفراسة بل تروي حكايات عنها. المتوسم هو العارف ما في بواطن القلوب بالاستدلال بالعلامات وهي دعوة ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أي علماء حكماء ومتخلقين بأخلاق الحق[2] ولا يصح الإدراك الحسي إلا برؤية الاتجاهات الستة[3] فهو إدراك للشيء في المكان، إدراك خارجي. وهو محدود بالرؤية والمنظور والحس بداية العلم التجريبي. موقف الإدراك هو رؤية العلم وطريقه. فالعلم طرقات تؤدي إلى حقائق العلم. حقائق العلم غرائمه، وغرائمه مبلغه، ومبلغه مطلعه، ومطلعه حده، وحده موقفه[4] والعلم بالسمع والرؤية والصحبة. والحس من صفة النفس. ولا يدرك فقد المحسوس الناعس حتى عند غلبة الوجد[5] أما الفراسة فهي أيضاً إدراك حسي لما وراء الحس. هو خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده ويستولي عليه. وتكون حسب قوة الإيمان. هو نور الحق دون سهو أو غفلة[6] هو حكم الحق على لسان الإنسان. هي سواطع أنوار تلمع في القلب وتمكن من معرفة سرائر الغيوب لمشاهدتها والتعبير عنها بضمير الحق[7] وهي أقرب إلى الكرامة النظرية في مقابل الكرامة العملية. الفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب، ومن مقامات الإيمان. هي رؤية الغيب دون خفاء شيء منه[8] وهو ما سماه القرآن الاستنباط ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. هي روح تنقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق عن مشاهدة ومعاينة

(1) الرسالة ص105-110، اللمع ص198.
(2) السابق ص106.
(3) التستري ص153.
(4) النفري: المواقف، موقف الإدراك ص203-205.
(5) اللمع ص424.
(6) الرسالة ص105.
(7) السابق ص105.
(8) السابق ص106.

وليس عن ظن وحسبان. الفراسة ظن وفق الصواب. يخطئ ويصيب. فإذا تحقق في الفراسة تحقق في حكمها لأنها تحكم بنور الله لا بالنفس[1] وإذا استولى الحق على سر ملكه الإنسان فيعاينه ويخبر عنه. الفراسة نظر أحد في عين آخر. وهي معرفة حقيقة. هي القدرة على معرفة الأسرار إذا تملكت أحداً[2] وصاحب الفراسة يصيب في نظرته في أول مقصد ولا يعتمد على تأويل أو ظن أو حسبان كما هو الحال عند المنجمين. المتفرس هو المصيب بأول مرماه[3] هي خاطر بلا معارض وإلا تحول إلى خاطر وحديث نفسي[4] ليست ادعاء للذات ولكن اتقاء لفراسة الغير. تحيي الموتى، وتوقظ الضمير. وهو معنى آية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[5].

والأخلاق شرط الفراسة مثل غض البصر عن المحارم، وإمساك النفس عن الشهوات وتعمير الباطن بدوام المراقبة والظاهر باتباع السنة وتعود على الحلال. وهو معنى آية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[6] الفراسة تأدب بأدب الله. وأدب الله تحمل الكل، الصغير والكبير. وهذا يتم لسعة عليه ومراجعة الكلام على الكتاب والسنة. ولا تصح لمدع[7] وصفة أهل الله المعرفة والعلم والسماع والذكر والنظر والكلام وكلها مظاهر للحياة. فالفراسة عكس الادعاء كما أن الصدق عكس الكذب. في حين أن الفراسة في علم النفس هي القدرة على معرفة الظواهر اللامرئية من القرائن الحسية.

5 ـ المعرفة الكشفية.

وإذا كان العلم خيراً من المال وكان يحرس العالم فإن العالم يحرس المال. فإنه أيضاً نور يقذفه الله تعالى في القلب. وهو المعرفة الكشفية. وإذا كان العلم

(1) طبقات الصوفية ص174.
(2) الحلاج: الولاية ص242.
(3) الرسالة ص107.
(4) أبو جعفر الحداد، السابق ص107.
(5) أبو حفص النيسابوري، السابق ص107.
(6) أبو الحسن النوري، الرسالة ص106-107.
(7) التستري ص153/ 218/ 338.

استبياناً للمشكلات في الدين فإن المعرفة بيان شبهات حاكت في الصدور. العلم عقلي والمعرفة قلبية[1] والعارف بحاله أفضل من العالم بحاله. فالعلم عقلي والمعرفة شعورية. والمعرفة التي لا يعترف بها أحد مخيفة. وإنكار المعرفة التي لا يعمل بها المفكر أيضاً مخيفة. والإنكار صفة المعرفة وحليفتها. الجهل صورتها. وغيابها عن الأفهام آيتها.

والمعرفة تناقض بين الذات والموضوع. إذ كيف تعرف الذات موضوع المعرفة بلا أين ولا متي، بلا مكان ولا زمان ولا جهة ولا بداية ولا نهاية؟ هل بين الذات والموضوع اتصال أم انفصال؟ لا تصح المعرفة إلا لمحدود ومعدود ومجهود ومكدود[2] المعرفة للما وراء، لما وراء الوراء، وما وراء المدي، وما وراء الهمة، وما وراء الأسرار، وما وراء الأخبار، وما وراء الإدراك[3] وهناك ادعاءات عدة لإمكانية المعرفة تستلزم المعرفة الكشفية وتبررها. ويسوقها ابن تيمية لنقد المنطق الأرسطي ولتبرير الوحي وهي: أولاً، إمكانية المعرفة بالفقد والوجد. وهما حالتان نفسيان من الأحوال. فكيف يعرف المفقود الموجود؟ وكيف يعرف الحادث القديم؟ ثانياً، إمكانية المعرفة بعد الجهل. والجهل حجاب، والمعرفة كشف حجاب. ثالثاً، إمكانية المعرفة بالاسم لأن الاسم لا يفارق المسمى. فهل يمكن الوصول من الاسم إلى المسمى، ومن اللغة إلى الوجود، ومن الصوت أو الحرف إلى الشيء والعالم؟ رابعاً، إمكانية المعرفة بالمعروف نفسه، وهو تحصيل حاصل. فكيف يمكن المعرفة بالمعروف وهو غير معروف بعد؟ خامساً، إمكانية المعرفة والاستدلال عليه بالخلق والصنع كما قال المتكلمون والحكماء. وهو اكتفاء بالصنعة دون الصانع. وكيف يدل الأقل على الأكثر، والكم على الكيف، والمرئي على اللامرئي؟ سادساً، ويمكن معرفته بالعجز عن معرفته كما قيل «العجز عن إدراك الإدراك إدراك». وكيف يدرك العاجز وهو منقطع عن المعروف ولا اتصال بين العارف والمعروف؟ سابعاً، ويمكن معرفته على التبادل. فالمعرفة قصد متبادل بين الذات العارف وموضوع المعرفة. «كما عرفني عرفته». وإذا كان

---

(1) وهو ما يسمى في نظرية المعرفة في الغرب ما وراء المنطق Meta-logic أو ما وراء العلم Meta-science. بستان المعرفة، أعمال ص213.

(2) قوت القلوب جا/ 297.

(3) انظر أيضا: التراث والتجديد، ص126-137.

المعلوم مفارقاً للذات فكيف يعرف؟ ثامناً، يمكن معرفته كما وصف نفسه. وهو اقتناع بالخبر دون الأثر، وبالرواية دون الدراسة. وهو إقرار باستحالة المعرفة لأن المعروف هو الذي عرّف نفسه بنفسه. تاسعاً، يمكن معرفته بالحد المنطقي، الجنس والفصل. والمعرف لا يُحد ولا يتحيز ولا يتبعض، لا جنس ولا فصل له[1] عاشراً، ولا يمكن معرفته على الحقيقة لأن وجود العارف أقل من وجود المعروف وهو ادعاء[2].

والمعرفة ليست فقط تصوراً بل تصديقاً. ولا يعني التصديق الحكم بل إيجاد البرهان اليقيني على صدق المعرفة. الخلق كلهم يدعون المعرفة دون صدقها على عكس الأنبياء والأولياء[3] وصدق المعرفة هو علم العلم. ولا يُعرف الشيء إلا بضده. فلا يُعرف الإخلاص إلا بالرياء[4] وإذا عرف العبد العدو عرف ربه. فالمعرفة بالضد، ومعرفة الشيطان شرط لمعرفة الله. ومعرفة الشر مقدمة لمعرفة الخير[5].

والمعرفة فكر أي إنها معرفة حياة. وشجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة[6] ولا حياة إلا لأهل المعرفة وهم الخلق. وهم متحركون في أسبابهم. يربون على الأرض. فالحياة حركة. والمعرفة حركة «صوفية»[7] والعارفون بين ذائق وشائق ووامق. فالمنة شاقتهم. والشوق ذوّقهم. من ذاق في شوق فردي سكن وتمكن. ومن ذاق من غير ريٍّ أورث الانزعاج والهيمان[8] والعطش على درجات: عطش البراري، وعطش شط النيل. فالعارف لا يرتوي[9].

حقيقة المعرفة الخروج من المعارف، قراءة ما بين السطور، استنباط العلم

(1) الحلاج: بستان المعرفة، أعمال ص213-214.
(2) السابق ص225.
(3) أبو محمد عبد الله الرازي: طبقات الصوفية ص452-453.
(4) أبو عثمان المغربي، السابق ص480.
(5) التستري ص261.
(6) طبقات الصوفية ص241.
(7) السابق ص449-450.
(8) السابق ص430، التستري ص286.
(9) طبقات الصوفية ص389.

من المعلومات، ألا يخطر بالقلب ما دونه. المعرفة هي المعرفة الجوهرية[1]. تحدث المعرفة إذا بدا الشاهد، وفنت الشواهد، وذهبت الحواس، واضمحل الإحساس. فالمعرفة هي المعرفة الباطنية. البداية المعرفة، والنهاية التوحيد. وقد سمي الشاهد شاهداً لأن الشاهد الحق شاهد في الضمير، مطلع على الأسرار، وشاهد لجماله في خلقه وعباده. ويشهد الصوفي بقطع منزل المريدين وهموم العارفين.

المعرفة إحضار السر بصنوف الفكر في مراعاة مواجيد الأذكار على حسب توالي إعلام الكشوف. فالمعرفة شعورية وهي معرفة الحال في الوقت[2] هي رؤية الأشياء، واستهلاك الكل في الأجزاء. فالمعرفة طبيعية ورؤية الكل في الأجزاء وليست معرفة صورية نظرية مجردة. المعرفة وصفية. من عرف ما وصفه وصف ما عرفه. ثم تسلب المعرفة لذة المعرفة لأنها تصبح هماً[3].

ولا تتم المعرفة مع الشهوة. ولا يعرف نفسه من تصحبه شهوته[4] لذلك الزهد شرط. هم العارف ما يأمل، وهم الزاهد ما يأكل. هم العارف ما يأكل. وهم الزاهد ألا يأكل[5] العارف صافي الباطن مختلط الظاهر في حين أن الزاهد صافي الظاهر مختلط الباطن. فالعارف أعلى من الزاهد. العارفون غرباء في الآخرة، والزاهدون غرباء في الدنيا[6] ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه. والمحبة طريقها. وأمل العارف في الدنيا الإيمان وفي الآخرة العفو. وأمل الزاهد في الدنيا الآيات، وفي الآخرة الكرامات. العلم يورث المخافة، والمعرفة تورث الإنابة، والزهد يورث الراحة[7] حقيقة المعرفة محبة لله بالقلب، وذكره باللسان، وقطع الهمة من كل شيء سواه. وهذا تعريف للمعرفة بالمعروف

---

(1) السابق ص444.

(2) التستري ص294.

(3) الولاية ص245-246.

(4) البسطامي، طبقات الصوفية ص70/ 72/ 74.

(5) «طوبى لمن كان همه واحداً، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه. فمن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء شغله عنه»، شطحات الصوفية ص175.

(6) يحيى بن معاذ، السابق ص112.

(7) طبقات الصوفية ص51/ 53. اللمع ص301.

وليس تعريف المعرفة في ذاتها. ومن علامة المعرفة المحبة لأن من عرف أحب ومن أحب عرف[1] شرط المعرفة استحضار الله في القلب من أجل يقظة الضمير واستيعاب الكل.

تتم المعرفة بتضييع ما للعارف والوقوف مع ما لله. ولماذا لا تكون المعرفة من ذاتها وليس من خارجها، بالوقوف مع الذات وليس ضدها؟ وعلامة العارف ألا يفتر عن ذكر الله، ولا يمل من أداء حقه، ولا يستأنس بغيره. ويُعرف الله بالله، ويعرف ما دون الله بنور الله[2] فما دور المعرفة المستقلة إذن؟ المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة شرك في الإشارة. وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه. فذات الله خارج المعرفة. ومعرفة المعرفة حيرة. والله ليس في مكان حتى يشار إليه. ومن ثم يستحيل معرفة الله أو العلم به أو الإشارة إليه. والمعرفة في ذات الحق جهل خوفاً من الوقوع في التشبيه. والعلم في حقيقته. المعرفة جناية لوجود الظاهر والباطن. والإشارة من المشير شرك لأنه يتضمن الاثنينية[3] من التمس الحق بنور الإيمان كمن يطلب الشمس بنور الكواكب. فالحق أسطع من الإيمان به[4] ليس على العارف أشد من الحجاب عن الله ولو طرفة عين. فالمعرفة مشاهدة وكشف. المعرفة تهتك الحجب بين الإنسان والله والدنيا هي التي تحجب. العلم كشف والدنيا حجاب. المعرفة سراج والعقل فتيل. والعلم نار والمزيد زيت. وعلى قدر الزيادة تكون النار. وهو التشبيه القرآني، السراج المضيء الذي لم تمسسه نار. تتولد الشكوى وضيق الصدر من قلة المعرفة بالله. ومن أراد أن يعرف حل محلٍّ نفسه ومتابعتها للحق أو مخالفتها له فلينظر مما يماليه في مراد له. فإن كان مثله فإنه متابع للحق. وهي التجربة المشتركة بين الذوات. وما يحبب الخلوة للعارفين ويحميهم من الغفلة وثبة الأكياس عن فخ الدنيا. مع أن العلم يأتي من التجارب الحية في الحياة اليومية.

والدعاء الأثير بصفاء المعرفة وتصحيح المعاملة على السنة بين الإنسان والله

---

(1) اللمع ص57.

(2) أحمد بن حضرويه، السابق ص105.

(3) شطحات الصوفية ص170.

(4) السابق ص59-60، الولاية ص236.

وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به، ومن كل من يقرب إليه من العوافي في الدارين. والمعرفة في الدنيا مع اليقين والتوكل. المعرفة نور واليقين هداية، والتوكل سر أطلع الله الأنبياء والصديقين على اليسير منه. والمعرفة تؤدي إلى المحبة بالضرورة. فالأخلاق شرط المعرفة وسابقة عليها. الأخلاق مقدمة والمعرفة نتيجة. العارف لا يكدره شيء، ويصفو له كل شيء[1] والمعرفة نتيجة صفاء القلب. لا يفرح بشيء، ولا يخاف من شيء. وعلامة العارف أن يكون طعامه واحد، وبيته حيثما أدرك، وشغله بربه[2] شرط المعرفة النفس العارية والبطن الجائع[3] وأيضا عدم الفتور عن ذكره ولا الملل من حقه ولا الاستئناس بغيره. وأدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه[4] وثواب العارف من ربه هو[5].

والمعصومون يعيشون في رحمة العلم، والمطيعون في رحمة القرب. فالعلم عصمة، والقرب طاعة. والعصمة والطاعة ليستا صفتين بشريتين. العلم خطأ وصواب، والطاعة يتجاذبها الهوى. ومن عرف الله نال معرفته. ومن نال معرفة جوز أمره على كل شيء دونه. فالمعرفة عمل. وكل شيء جائز دون الله. ومعرفة قيام الله تذهب النوم. فالعمل سابق للمعرفة وتال لها في آن واحد[6] وعند أهل المعرفة للدين رأسمال: خمسة في الظاهر وهي: صدق اللسان، وسخاوة الملك، وتواضع الأبدان، وكف الأذى واحتماله. وخمسة في الباطن: حب وجود السيد، وخوف الفراق، ورجاء الوصول، والندم على ما فعله، والحياء من الرب[7] لا فرق إذن بين الأخلاق والمعرفة. الأخلاق مقدمة للمعرفة ونتيجة لها في آن واحد.

ولا تأتي المعرفة من الدنيا بدائها ودوائها ولا يُرجع إليها[8] إنما العبادة تؤدي

---

(1) شطحات ص118. «من عرف الله فإنه يزهد في كل ما يشغله»، السابق ص226، اللمع ص56-58.

(2) السابق ص165/ 170. «رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك»، السابق ص172.

(3) شطحات الصوفية ص144/ 153/ 210.

(4) السابق ص165.

(5) السابق ص165. «ثواب العارف من ربه وكمال العارف احتراقه فيه»، السابق ص172.

(6) التستري ص261-262، «محال أن تعرفه ثم لا تحبه»، شطحات الصوفية ص156.

(7) عوارف العارف ج3/ 8-9.

(8) التستري ص256.

إلى معرفة الله والجهل بالله يمنع من معرفته. العبادة شرط المعرفة، والمعرفة شرط العبادة. وثلاثة أشياء تستحكم بها مقام العبودية لله: الفهم والزهد والفراسة. وهي العلم والطاعة والإخلاص. وضدها الجهل والمعصية والرياء[1] وهناك فرق بين العابد والعارف. العابد يعبد بالحال، والعارف يعبده في الحال. فحال العابد خارجي مثل أوقات الشعائر في حين أن حال العارف داخلي، حال النفس[2] العبادة ظاهر، والمعرفة باطن.

والعارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب. وشرط القرب عدم الانشغال عن الله حتى بحلاوة القرب[3] العارف لا يلزم حالة واحدة. إنما يلزم ربه في الحالات كلها. وما يرفع العبد العلم والأدب والأمانة والعفة. فالعلم هو العلم الأخلاقي[4] والأخلاق شرط المعرفة. والاستقامة ركيزة الأخلاق وأحسن معرفة هي أحسن أخلاق. ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوقه وإيثاره على النفس فيما دخل تحت القدرة. فالمعرفة حقوق، ليس فقط حقوق الله بل أيضاً حقوق الإنسان[5] ولا توجد درجة أعلى من العارف إلا وجود المعروف. فهو قادر على معرفة كل شيء. وقد تختلف المعارف إلا في تجريد التوحيد. وأدنى واجب للعارف أن يهب للمعروف ما قد ملّكه[6] وليس للعارف نعمة لأنه في كل نعمة[7].

وإذا عرف الإنسان نفسه عرف ربه، فالله حال في النفس ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾. وإذا عرف الإنسان عقله، عرف ما بينه وبين الله. فالله قصد للعقل. وإذا عرف العلم عرف كيفية الوصول إلى الرب، فالعلم طريق إلى الله. عظمة أهل المعرفة بالله النظر في عظمته وملكه وطلب مرضاته أو في زاده أو في انتظار القدوم إليه. فالمعرفة به وبرضاه وبرزقه مع الانتظار للذهاب إليه. دور الإنسان إذن

---

(1) السابق ص68.
(2) شطحات الصوفية ص102/ 106/ 144. «اطّلع الله على قلوب أوليائه. فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة»، السابق ص172/ 207.
(3) شطحات الصوفية ص135.
(4) ذو النون، طبقات الصوفية ص26.
(5) اللمع ص301.
(6) طبقات الصوفية ص69.
(7) السابق ص90.

سلبي خالص. والعالم غائب عنه. والفعل لا وجود له. ومعرفة الله إحدى ضرورات ثلاث مع ضرورة الخلق وضرورة الحال أي الافتقار إليه. وهي ضرورات خارج حرية الإنسان. والأصل في المعرفة معرفة الربوبية ثم القول ثم العلم ثم اليقين ثم اليمين ثم الإيمان ثم الإسلام ثم الشهادة ثم الحكم والحاكم هو الله. فالله بداية المعرفة ونهايتها[1].

والمعرفة على ثلاثة أنواع: معرفة إقرار، ومعرفة حقيقة، ومعرفة مشاهدة. ينتج عنها أشكال التعبير بالعبارة والكلام والإشارة[2] ومعرفة الرسول درجة من درجاتها، ولو اقترب منها الصوفي لاحترق. وهي بداية ظهور الحقيقة المحمدية[3] والمعرفة على ثلاث درجات: طلب الله من الغفلة، والهرب من الله للعجز عنه، والوقف دون طلب أو هرب[4] المعرفة مطالعة القلوب لإفراده على لطائف تعريفه[5] من عرف الله ذهب من قلبه النوم. فالمعرفة يقظة دائمة. ولا يعرف إلا إذا كانت هيبته في القلب. ولا يذكر إلا إذا شعر بالطامة[6] والقلب المتخلي عن سوى الله يرى الغيب والأسرار. ليس للعارف حاجة ولا اختيار فقيامه بموجده[7].

ومقتضي العقل أن يعلم العارف أن الله غني عن عمله[8] وأكمل العقلاء من يقر بالعجز عن معرفته. فكيف إذن حضوره في كل شيء وهو مجهول؟[9] ويعرف الرب بذكره وقول لا إله إلا الله مع الثبات[10] وقد يكون العالم محجوباً من الله إن

(1) السابق ص201.

(2) اللمع ص64.

(3) «غصت في بحر المعارف حتى بلغت بحر محمد... فرأيت بيني وبينه ألف مقام. واقتربت من واحد فاحترقت»، شطحات الصوفية ص86/ 152.

(4) «أهل المعرفة مع الله على ثلاثة مقامات: فقوم طلبوا الله من حيث الغفلة عنه. وقوم هربوا من الله من حيث العجز عنه. وقوم أوقفهم فيما لا طلب معه ولا هرب لهم عنه»، السابق ص134-135/ 137/ 102-103.

(5) هذا هو رأي الجنيد، اللمع ص57.

(6) السابق ص61.

(7) السابق ص61.

(8) السابق ص135.

(9) طبقات الصوفية ص58/ 60.

(10) السابق ص145.

لم يعلم أن ما لديه من العلم هو مجرد سطر من اللوح المحفوظ[1] والعارف لا يسأل. ومن لا يعرف لا يعرف قول العارف[2] فالمعرفة شرط المعرفة، المعرفة الأولية شرط المعرفة الثانية، المعرفة البديهية أو الحدسية شرط المعرفة الإلهية. ولا يزال العارف يعرف، والمعارف تعرف حتى يهلك العارف في المعارف فيتكلم عن العارف ويبقي بلا معارف[3] ولو أن مئات الألوف من الملائكة بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل في قلب العارف ما أحس بهم العارف. وإن أحس بهم فليس بعارف لأن المعرفة لاشعورية[4] إذا رأى أحد العارف هابه، وإذا فارقه هابه. وإذا رأى الصادق الزاهد هابه. وإذا فارقه هان عليه أمره[5].

وعلامة العارف خمسة أشياء: القيام على باب الرب، الإقبال إليه، الأنس به، عدم الانشغال إلا به، والفرار من الخلق إلى الخالق، ومن الأسباب إلى وليها[6] وفي صنعة العارف، غيبوبة الخلق منه. وسعة مقام العارف وأدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق وجنس الربوبية. للخلق أحوال. ولا حال للعارف لحجب رسومه. فلا يشاهد في اليقظة والنوم إلا الله[7] وإذا التفت العارف إلى الخلق بغير إذن الخالق فإنه لم يعرف[8] العالم يلاحظ نفسه، والعارف يلاحظ ربه. ومن علامة المعرفة أن يصبح العارف في قبضة الله، تجري عليه تصاريف القدرة وكأن ثمن المعرفة فقدان الحرية[9] المعرفة هي الدافع على الإنابة. والعارف سره مع الله[10].

---

(1) السابق ص155/ 163.

(2) «لو عرفت ما كنت تسألني عنه. ومن لم يعرف الله فلا يعرف قول العارف. ومن عرف الله يستغن عن السؤال»، شطحات ص125.

(3) السابق ص146.

(4) «لو أن مائة ألف ملك كلهم بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل في قلب العارف وفي كل زاوية من زوايا قلبه ما حس به العارف ولا شعر. ولا علم أنهم في كون الله موجودون. وإن حس بهم فليس بعارف»، السابق ص150/ 166.

(5) السابق ص172.

(6) شطحات الصوفية ص166/ 172/ 206-207.

(7) السابق ص168/ 261/ 226.

(8) اللمع ص58/ 61.

(9) الحلاج: التفسير ص142.

(10) اللمع ص57.

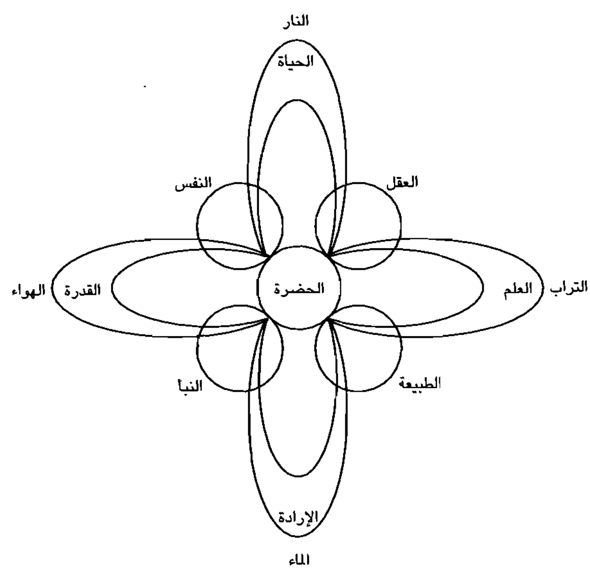
العارف مع الناس وليس معهم، داخل معهم وبائن منهم[1] معرفته من الله ومن الناس، من الوحي ومن الحياة اليومية، من السماء ومن الأرض، من أعلى ومن أدني، من المثال ومن الواقع. العارف هو العليم بأسرار المنازل، بالله وبالكون، بالحق وبالخلق[2].

6 ـ المعرفة المباشرة

وتقابل درجات اليقين الثلاثة درجات الوصول إليها وهي: المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة. المحاضرة في البداية تقابل علم اليقين، والمكاشفة في الوسط تقابل عين اليقين، والمشاهدة في النهاية تقابل حق اليقين. المحاضرة

(1) السابق ص58.

(2) «إن في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه، وما السر الذي يتجلى له حتى يدعون إلى ذلك»، الفتوحات جـ1/ 255-261.



السابق ص260.

حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان على ما وراء الستر. والحضور استيلاء سلطان الذكر. والمكاشفة حضور بنعت البيان دون ما حاجة إلى دليل أو طلب سبيل. لا تخلو من دواعي الريب. ولا محجوب فيه من نعت الغيب. والمشاهدة حضور الحق دون تهمة وكشف الستر وإشراق شمس الشهود. صاحب المحاضرة مشروط بآياته. وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة ملقي بذاته. صاحب المحاضرة يهديه عقله، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته. يبدأ اليقين بالمكاشفة ثم المعاينة ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، والمشاهدة وهي الطمأنينة إلى الإيمان[1] فالمشاهدة توالي أنوار التجلي على القلب دون ستر أو انقطاع كاتصال البروق. ولا تصح إذا ما بقي عرق قائم[2] ولا تقتضي المباينة بين الشاهد والمشهود. المحاضرة ابتداء المكاشفة، والمكاشفة بداية المشاهدة. وقد تضم المعاينة إلى المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة. فالعلم هو المعاينة. ومن لم يعتبر بالمعاينة لا يتعظ بالموعظة ويستغني عنها[3] المعاينة هي التجربة الذاتية. المحاضرة حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان وهو مازال وراء الستر أو باستيلاء سلطان الذكر. المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمراعاة للأبصار[4] فهذه أربع درجات للمعرفة: مشاهدة القلب، ومكاشفة السر. الأول ذات، والثاني موضوع. والمعاينة للبصيرة والمرآة للبصر. الأولى للعين الباطنة، والثانية للعين الظاهرة[5].

الكشف ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للإنسان رؤية العين. كشف العيون بالإبصار. وكشف القلوب بالاتصال[6] والمكاشفة حضور بالعيان دون ما حاجة إلى دليل[7] العلوم بالوسائط، والحقائق بالمكاشفة[8] واليقين مع الكشف[9] والكشف

(1) التستري ص258-259.
(2) الرسالة ص40.
(3) يحيى بن معاذ، طبقات الصوفية ص113.
(4) الرسالة ص40.
(5) السابق ص331.
(6) اللمع ص422، طبقات الصوفية ص476.
(7) الرسالة ص40.
(8) السابق ص430.
(9) النفري: موقف رؤيته، المواقف ص162-163.

شهادة. وهذا موقف حق المعرفة[1] المكاشفة أمانة الفهم وتحقيق زيادة الحال وتحقيق الإشارة[2] المكاشفة متعلقة بالمعاني، والمشاهدة متعلقة بالذوات. المشاهدة للمسمى والمكاشفة لحكم الأسماء. المكاشفة أتم من المشاهدة إلا لو صحت مشاهدة ذات الحق. فإن لم تكن فهي المكاشفة. المكاشفة تلطيف الكثيف، والمشاهدة تكثيف اللطيف. الشاهد ما يشهد بما غاب ويحضره في القلب. هو في الضمير والسر. أحلام الغيب لا تشاهد في الدنيا ولكن تشاهد فضائح الدعوى في عالم الشاهد. وعالم الغائب مجهولة أحكامه[3] والمشهود ما يشهده الشاهد. وهما لفظان قرآنيان ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[4] وشاهد الغيب هو شاهد الذمة. وشاهد اللبس هو شاهد النزع. وشاهد العلم هو شاهد العمل. وشاهد النوم هو شاهد اليقظة[5] المشاهدة إطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب[6] ولا يجوز الاستدلال بالشاهد على الغائب لأنه لا يُعتد بصفات من يشاهد ولا يعاين. وهو ذو مثل على صفة من لا يشاهد في الدنيا ولا يعاين ولا مثل له ولا نظير[7] و«الشاهد» ما يكون حاضراً في القلب وما يغلب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائباً عنه. هو الاستيلاء على القلب حتى يُشاهد. وقد يكون المشاهد العلم أو الوجد كل ما يحضر في القلب شاهد. والسؤال هو من يشاهد الشاهد الحق أم يشاهد الحق الشاهد؟[8] وفي كلتا الحالتين الشاهد والشهادة من نفس الاشتقاق أي الفناء عن البشرية أو البقاء فيها. ولا تتضمن المشاهدة التفرقة بل المشاركة. المشاهدة حضور الحق. ولا تصبح لو بقي للإنسان عرق قائم. المعرفة ظهور الحقائق، وتلاقي الشواهد، وصرف النظر عن

(1) موقف حق المعرفة، السابق ص163-164.

(2) الفتوحات جـ2/ 496-498.

(3) طبقات الصوفية ص369.

(4) مثل:

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

اللمع ص415.

(5) المواقف ص121-122.

(6) طبقات الصوفية ص465.

(7) السابق ص315.

(8) الرسالة ص44.

موضوع محدد[1] المعرفة كلية وليست جزئية، نازلة وليست صاعدة، استنباطية وليست استقرائية. الواقع مثير وحامل لها، وليس مبدعها وخالقها. المشاهدة أن تتوالى أنوار التجلي على القلب دون ستر أو انقطاع وهي طبع وخلقة وهبة[2] المشاهدة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك[3]كما يستعمل فعل «شهد» ومشتقاته مثل «أشهد» ويعني «أري»، «أتحقق»[4] لذلك خصص موقف للبصيرة[5] فالعلم معلوم ومعيون أي أنه موضوع المعرفة والرؤية بالعين. وعلم المشاهدة لا ينير فقط بل يحرق[6] مشاهدة الأرواح تحقيق. ومشاهد القلوب تعريف. فالروح تشاهد، والقلب يعرف[7].

المشاهدة لفظ قرآني[8] الشاهد الرب، والمشهود الكون. ومن شاهد الله بقلبه لم يشاهد سواه. والمشاهدة ما لا فات القلوب من الغيب بالغيب دون عيان أو وجد. هو وصل بين رؤية القلب ورؤية العيان لأن رؤية القلوب عند كشف اليقين زيادة توهم. المشاهدة هي المحاضرة والمناداة. هي زوائد اليقين سطعت بكواشف الحضور غير خارجة من تغطية القلب. هو حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين وحقائقها.

وهي على ثلاثة أحوال:

الأول عند الأصاغر المريدين، هي مشاهدة الأشياء بعين العبر ومعاينتها بأهل الفكر.

والثاني عند الأواسط هو ألا يبقي في سر المشاهد غير الله.

والثالث عند القلة، مشاهدة الله في قلوب العارفين مشاهدة تثبيت في كل

---

(1) السابق ص40.

(2) طبقات الصوفية ص409.

(3) الفتوحات ج2/ 494-496.

(4) وهذا أوضح في اللغات الأجنبية في فعل Witness الذي يعني أرى، أشهد. المواقف ص66.

(5) «البصيرة»، المواقف ص119-120.

(6) أبو عبد الله الصبيحي، السابق ص331.

(7) طبقات الصوفية ص380.

(8) اللمع ص100-101.

شيء، ظاهراً وباطناً، أولاً وآخراً. وهي حال رفيع من لوائح زيادات اليقين.

وتعني المشاهدة المداناة والقرب. والمكاشفة والمشاهدة والمحاضرة بمعنى واحد. أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف الحضور، والتماس القلب دوام المحاضرة[1].

ويشاهد الإنسان بمشاهدة الحق إياه وليس بمشاهدته له. فالمشاهدة نور في القلب قبل أن تكون رؤية لموضوع[2] القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر ضعفت[3] الأبصار قوية والبصائر ضعيفة[4] فظلم الأطماع تمنع من أنوار المشاهدات[5] المشاهدة ابتلاء الخلائق بالدعاوى العريضة في الغيب. إذا أظلتهم هيبة المشهد انعقدت الألسنة وانقمعوا وصاروا لا شيء. ولو صدقوا في دعواهم لبرزوا حين المشاهدة، ولرأوا كما فعل الرسول حين طلب الشفاعة. لم ترعه هيبة الموقف لما كان لديه من قدم الصدق[6] وعلى قدر الابتلاء تكون المشاهدة. وعلى قدر المشاهدة يكون الابتلاء. وعلى قدر المعرفة بالابتلاء تكون العصمة. وعلى قدر إظهار الفاقة والفقر إلى الله يُعرف الضر والنفع، ويزداد العلم فهماً وبصراً. ما التذ عاقل بمشاهدة لأن مشاهدة الحق خفاء ليس فيه لذة ولا التذاذ، ولا حظ ولا احتظاظ. وإن لم يكن بالفناء لذة ولا التذاذ، لا حظ ولا احتظاظ.

من عمل على رؤية الجزاء كانت أعماله وثوابه بالعدد الإحصاء. ومن عمل على المشاهدة أذهلته عن التعداد والعدد، وكان أجره بلا عدد[7] ولذة الثواب في الآخرة على قدر لذة التعبد في الدنيا. وقياساً على ذلك يقال عن الرؤية.

والعلماء متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء في ثلاث طبقات: من

---

(1) السابق ص412.

(2) أبو بكر الواسطي، طبقات الصوفية ص302.

(3) إبراهيم القصار، السابق ص320.

(4) ينوي العتاب له من قبل رؤيته ... فإن رآه فدمع العين مسكوب
لا يستطيع كلاما حين يبصره ... كلّ اللسان، وفي الأحشاء تلهيب
السابق ص91-92.

(5) السابق ص444-445.

(6) أبو على الروزباري، السابق ص358.

(7) السابق ص486.

الأشياء إلى الله، ومن الله إلى الأشياء، ومن الأشياء إلى الأشياء. بقيت من الله إلى الله وتكتمل بذلك الأسفار الأربعة كما حددها صدر الدين الشيرازي[1] وكيف تشهده الأشياء وهي تغني بذواتها عن ذواتها فيه؟ وكيف تغيب عنه وبه ظهرت وبصفاته؟ لا يشهده شيء ولا يغيب عنه شيء. تلك وحدة الذات والموضوع. اشرأبت القلوب لمشاهدة ذات الحق فألقيت لها الأسامي. واستترت الذات إلى وقت التجلي. فالأسماء واسطة الذات وإشارة عليها. لذلك أظهرها الحق وأبداها للخلق ليسكن بها شق المحبين. وتأنس بها قلوب العارفين[2] من أعرض عن مشاهدة الله شغله الله بطاعته وخدمته. فالعبادة أقل من المشاهدة. ولو بدا له نجم الاحتراق لغيَّبه عن وساوس الاختراق[3] ولا يغيب أهل المشاهدة عن الله قياماً وقعوداً، ولا نوماً ولا انتباهاً. ولهم أحوال تسطع عليها أنوار القرب. لا يتفرغون إلى الخلق وما هم فيه. وتلك أسوأ أحوال الدهشة، دهشة وحيرة، غياباً بأسرارهم، وحضورا بأبدانهم[4]

والمشاهدة قادرة على قهر الشيطان. كما قهره الأنبياء والصدّيقون. والإنسان بين نسبتين: نسبة إلى الحق للدخول في مقدمات الكشف والبراهين والعظمة، وهي نسبة تحقق العبودية، ونسبة إلى آدم للدخول في مقامات الظلم والجهل. وكما أن شرط العلم العمل، وشرط الورع الإخلاص، فإن شرط الإخلاص المشاهدة المتبادلة بين العبد والرب، والصحبة المتبادلة. ولا راحة حتى يُري الله في القلب ويقيم عليه. فالرؤية إذن قلبية وليست موضوعية، داخلية وليست خارجية.

ولا يستطيع الإنسان أن يعلم أكثر مما في الدنيا إلا في الآخرة عن طريق

(1) أبو العباس الدينوري، السابق ص476.

الطبقة	الغاية
الله	الأشياء
الأشياء	الله
الأشياء	الأشياء

(2) السابق ص359-360.

(3) السابق ص384.

(4) السابق ص405.

المشاهدة والمشافهة. ويرى العبد ربه ويكلمه بإيمانه وتسليمه له وترك جميع أحواله واختياره له، وترك كل ما في الدنيا[1].

ويلتزم الإنسان بعدم الشبع أو الملل عن العلم وبأن الله يشاهد كل شيء، فالحاجة إليه والموت على بابه. ويبعد عن المشاهدة الطمع في الخلق والدوران عليهم بالذم أو المدح. وأفضل علم هو علم العبد بأن الله شاهده. وأفضل شرف النظرة إلى الله، والاستماع منه، والكلام معه. والناس في علاقتهم بالله يعلمون أن الله شاهدهم وهو معهم في عبوديتهم أو الاستعانة به، والصبر على ذلك. وهو خير الدنيا والآخرة، وخير السر والعلانية. وإذا منَّ الله على العبد بالإيمان وثبت في قلبه، منَّ عليه باليمنة فشهد قلبه الأسماء. فالأسماء موضوع للمشاهدة وليس للفهم. وهي أيضاً مرئية وليست فقط مسموعة. وهنا يتحقق الإسلام ثم الوصول إلى السلام ثم دار الكفاية والولاية. والعلم بأن الله شاهد العبد مشروط بطعام إلى الصرف، ولباس إلى المزبلة، ومال للميراث، وأحباب للتراب. وشهادة الله للعبد تعني أنه مطلع على أحواله، قادر على قربه، رحيم رؤوف به. وهو شرط القرب من الله والخوف منه والإيثار له والفقر إليه. فالمشاهدة متبادلة. يشاهد العبد الرب كما يشاهد الرب العبد. ويفرح العبد بمشاهدة الرب له. فيعرف مقامه من الإيمان والقرب. ويستمع إليه، ويذكره باللسان. ويطلب مرضاته وطاعته ليرحمه. ويقوم بكل أعمال البر[2].

من رأى شهد أن الشيء لله ولم يرتبط به. ومن لم ير الله لم ير الشيء ولم يشهد له. وليس كل من رأى الله شهد من رأى. الشهادة أن تعرف. وقد يرى أحد ولا يعرف. ومن أحبه الله أشهده. فإذا شهد به أحبه[3] ومن كان يعبد الله كأنه يراه فإن الله يراه وإلا كان غافلاً. وقوم ينظرون إلى الله بكرة وعشية. وبقدر طاعتهم وعلمهم لا يحجبون عنه في كل الأوقات. فالرؤية ذاتية، متوقفة على قدر الوعي الذاتي وليست إدراكاً حسياً لموضوع خارجي[4].

(1) التستري ص245-246.
(2) السابق ص246-247.
(3) النفري: المواقف ص129-130.
(4) التستري ص255.

المعرفة لله بكمال الربوبية، وللنفس بالعبودية. الله أول كل شيء. وبه يقوم كل شيء. وإليه يصير كل شيء. وعليه رزق كل شيء. الربوبية والعبودية لفظان متضايفان لإحساس الإنسان بأنه عبد فيكون له رب. الرب هو الأول والقائم والنهاية والرازق مثل صفات السيد[1].

7 ـ المعرفة الوجدانية

وتشمل المعرفة الوجدانية الخاطر والهاجس والوارد واللطيفة واللوائح والطوالع واللوامع والهوامع والطوارق والهجوم والبداوي واللواحظ والزوائد وأخيراً القوادح والعوارض والوساوس. وكلها خلجات النفس وهواجس الشعور، بلغة البروق واللمحات الخاطفة. وقد تفرد الصوفية بتحليلها، مفرداً أم جمعاً. منها الإيجابي ومنه السلبي.

و«الخاطر» هو ما يرد على الضمائر بصرف النظر عن مصدره الملك أو الشيطان، الله أو النفس. إذا كان من الملك يكون إلهاماً أو علماً. وإن كان من الشيطان يكون وسواساً. وإن كان من الله فهو خاطر. الخواطر إذن أربعة: خواطر النفس، وخواطر الحق، وخواطر الملك، وخواطر الشيطان. خواطر النفس تقل بالصعود إلى الحق، ويشعر بها القلب. وخواطر الحق من فوق القلب. وخواطر الملك من يمين القلب، وخواطر الشيطان من يسار القلب. بنور التوحيد يُقبل الخاطر من الله. وبنور المعرفة يُقبل الخاطر من الملك. وبنور الإيمان ينهى النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو. وبتعبير آخر: الخواطر أربعة: رباني وملكي ونفسي وشيطاني. والشيطاني قسمان: معنوي وحسي. والحسي قسمان: إنسي وجني[2] فالخاطر يشهد له ظاهر. إن كان من الشيطان فإنه يدفع إلى العاصي. وإن كان من النفس يدفع إلى الشهوات أو الأهواء. ويمنع أكل الحرام من التمييز بين الإلهام والوسواس[3] وإن سكوت النفس عن الهواجس بصدق المجاهدة نطق القلب. النفس لا تصدق، والقلب لا يكذب[4] والفرق بين هواجس

(1) طبقات الصوفية ص382.

(2) الفتوحات: «في معرفة الخواطر الشيطانية»، جا/ 281-284.

(3) الرسالة ص43-44.

(4) أبو على الدقاق، السابق ص43.

النفس ووساوس الشيطان هو إلحاح النفس على الطلب في حين أن الشيطان لا يلح بل يلجأ إلى وسوسة أخرى لأن الكل لديه سواء[1] والإلهام من الملك قد يوافق صاحبه وقد يخالفه. أما الخاطر من الله فإنه يوافقه. وقد يأتي خاطران من الحق، يكون الأول أقوى من الثاني لأنه الأسبق. وقد يكون الثاني أقوى من الأول لأنه تال له[2] وقد تكون الخواطر ستة .هناك خاطران: خاطر النفس وخاطر العدو لدى كل الناس. وهما مذمومان. يأتيان مع الهوى دون العلم. وخاطر الروح وخاطر الملك أيضاً لدى كل الناس. وهما خاطران محمودان لا يردان إلا بحق وما دل عليه العلم والعقل. والعقل خاطر خامس بين الخير والشر. متوسط بين الخواطر الأربعة. والخاطر السادس خاطر اليقين. وهو روح الإيمان ومزيد العلم. يرد من خاطر الحق وخاطر العقل. وهو خاطر عند الموقنين وحدهم، وهم الشهداء والصديقون[3] وهو استفتاء القلب ولو أفتي الناس.

وتوزن الخواطر بميزان الشرع نفلاً أو فرضاً، محرماً أو مكروهاً. فإذا تساوى الخاطران يؤخذ أقربهما إلى مخالفة الهوى. والتمسك بالشرع يساعد على التمييز بين الخواطر. وسبب اشتباه الخواطر أربعة: ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بحزم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس. وترد الآفات على النفس إما بجهل أو غفلة أو طلب فضول[4].

والخواطر مقامات. وقد يعني المقام الدرجة أي المعنى العام وليس المعنى الخاص. الدرجة على الطريق الصوفي. فأول مقامات القلوب الخواطر وهي من الله. إما أن تُسقط في جهنم أو تُنزل في الجنة[5] والخاطر أول الفعل ومفتتحه. فالخواطر أفعال، والأفعال خواطر. وإذا اجتمعت في القلب ثلاث معان لم تفارقه خواطر اليقين: الإيمان والعلم والعقل[6] ومن خواطر اليقين ما يرد بشيء لا تظهر

(1) الجنيد، السابق ص43.

(2) الأول أقوى عند الجنيد، والثاني أقوى عند ابن عطاء، السابق ص44.

(3) قوت القلوب جـ1/ 234، عوارف العارف جـ4/ 278-281.

(4) «معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها»، عوارف المعارف جـ4/ 252-281.

(5) التستري ص288.

(6) قوت القلوب جـ1/ 234-236/ 252.

دلالته لخفائه أنه لا يُعلم إلا بعلم باطني، فهم التنزيل وتعليم التأويل[1].

وتنقسم الخواطر بالنسبة إلى الخير والشر عدة أقسام. ما وقع في القلب من عمل الخير إلهام، ومن عمل الشر وسواس، ومن المخاوف حساس، والأمل في الخير نية، وتدبير المباحات أمنية وأمل، وذكر الآخرة والوعد والوعيد تذكر وتفكير، ومعاينة الغيب مشاهدة، وحديث النفس هم، وخواطر العادات والشهوات لمم[2] وترتيب الخواطر ثلاثة معفوة، وثلاثة مطالب، الهمة وهي وسوسة النفس بالشيء ثم يقوي فتصير نية ثم عقداً ثم عزماً ثم طلباً وسعياً.

وبالنسبة للأنبياء العلم من الله، من التعليم وليس من العمل، من إلهامات الله. وقد كان للرسول علم من الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل[3] وكلم الله موسى تكليماً وكلم الأنبياء وحياً. وهو ما يستقر في القلب مباشرة[4] والعارف يستدل بالله على الله ويقع الإلهام على القلب حتى ولو كان السير إليه وهماً في طريق الغيب[5] والكشف لا يوصف باللسان ولا يُدرك بالعقل[6] الخطرة للأنبياء، والوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان[7].

الخاطر تحريك السر لا بداية له. وإذا خطر بالقلب لا يثبت ويزول بخاطر آخر على عكس الواقع الذي يثبت ولا يزول بواقع آخر. الواقع هو الثابت والخاطر هو المتغير. والخاطر الصحيح أوله. وقد يعني الخاطر ما لا يكون للإنسان فيه نسبة في ظهوره في الأسرار. وقد يكون القهر الذي يستوعب الأسرار[8] إذا وصل

(1) السابق ص241.

(2) السابق ص257-258.

(3) شطحات ص113-114.

(4) «بك أدل عليك. ومنك أصل إليك. ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب. وما أحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب. اللهم ما أحسن ما لا يمكن للخلق كشفه، ولا بالألسنة وصفه، من حيث لا تدركه العقول»، السابق ص141.

(5) «أعرف الذي علمني ربي عز وجل» السابق ص219.

(6) «ذلك في غامض علم الله فإن ذلك لا يظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب»، السابق ص222.

(7) طبقات الصوفية ص445.

(8) اللمع ص418-419.

الإنسان إلى مقام المعرفة حدثت له الخواطر. ولا يخطر له إلا الحق. وخاطر الحق لا يعارضه شيء لأنه إدراك حدسي[1] ومقام الخطرات بعيد عن مقام الوطنات لأن الخواطر تلمع ثم تختفي. والوطنات تبدو وتثبت ثم تتحقق. وتتولد الدواعي من الخواطر. إذ يظن المدعي أن ما لاح ثبت. ولا دعوى لصاحب الوطنات[2].

والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة دون تعمد. وقد يكون وارداً من الحق أو من العلم. الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تتعلق بنوع الخطاب، والواردات تتعلق بمعناه سروراً أو حزناً، بسطاً أو قبضاً[3] تختص الخواطر بنوع خطاب أو مطالبة. وتكون الواردات تارة خواطر وتارة وارد سرور أو وارد حزن أو وارد قبض أو وارد بسط. الوارد ما يرد على القلوب بعد البادي فيستغرقها. البادي فعل والوارد ليس فعلاً[4] وإذا ورد الوارد قد يصادف شكلاً ليمازجه أو موافقة فيساكنها[5] فهل الوارد من الخارج أم من الداخل، من الأعلى أم من الأعمق؟

و«اللطائف» هبات في الخاطر من القادر. وهي مثل لفظ «الإشارات». الإشارات من أدنى إلى أعلى كالعلامة، واللطائف من أعلى إلى أدنى كالهبات. لذلك وضع القشيري عنواناً لتفسيره «لطائف الإشارات»[6] اللطيفة إشارة تلوح في الفهم، وتلمع في الذهن، ولا تسعها العبارة لدقة معناها[7] للطيفة معنيان. الأول حقيقة الإنسان أي البدن والثاني كل إشارة دقيقة تلوح في الفهم لا تسعها العبارة. وهي من علوم الذوق والحال. تعلم مباشرة دون رواية أو حد. ولها معنى ثالث أوسع يشمل اللطيف كاسم إلهي. هو ما يحصل عليه العبد من دون أن يشعر[8].

(1) الحلاج: الولاية ص232.
(2) طبقات الصوفية ص278.
(3) الرسالة ص44، عوارف المعارف جـ4/ 272.
(4) اللمع ص418.
(5) طبقات الصوفية ص375.
(6) في لج بحر الفكر تجري به لطائف من قدرة القادر
الحلاج: الديوان ص303.
(7) اللمع ص448.
(8) الفتوحات جـ2/ 503-505.

وتأتي الألفاظ متقاربة في المعاني مثل اللوائح والطوالع واللوامع والهوامع والطوارق. ترتبط ببدايات المعرفة. وهي على الترقي من الأولى إلى الثانية إلى الثالثة مثل درجات اليقين أو درجات الحضور[1] اللوائح تحضر وتختفي في لحظة. ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو، والانتقال من حال إلى حال، كالإشارات للسير أو للتوقف. والطوالع تحضر وتختفي عدة لحظات. فهي أبقى وأدوم وأقوى. هي أنوار التوحيد تطلع إلى قلوب أهل المعرفة[2] واللوامع هي التي تبقى وتدوم. فالفرق بينها في الوقت والقوة. هي مثل اللوائح إلا أنها كالبرق في قلوب الأولياء بلا توهم[3] والطوارق ما يطرق قلوب أهل الحقائق عن طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم. وتأتي بعد الطوالع[4]. والمعارف لوائح وهوامع. يضيع فيها العارف إن لم تكن له خبرة بها من مثيل[5] اللوائح ما يلوح إلى الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال. هو ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بجارحة من الأنوار الذاتية والسبحات الوجهية والأسماء الإلهية[6].

وقد تكون ألفاظ المعرفة ثنائية كالأحوال. وذلك مثل البواده والهجوم. البواده من البداء وهو ما يفاجئ القلب من الغيب على سبيل الوله فرحاً أو ترحاً. والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت دون تصنع أو تكلف. ويختلفان حسب قوة الوارد وضعفه. قد تغير البواده الصوفي وتصرفه الهواجم. وقد يستطيع السيطرة عليها فيصبحون سادة الوقت[7] البادي هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيث حال العبد. بادي الحق يبيد ما سواه[8] والبادي بلا بادي هو ما يبدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال وصفاء الأذكار. وهو لفظ قرآني ﴿إِنَّهُۥ

(1) الرسالة ص40-41.

(2) اللمع ص422.

(3) السابق ص412.

(4) السابق ص422.

(5) «لا تغتروا باللوائح فإنها تلوح من متاهات يضيع فيها من لا سابقة له»، شطحات الصوفية ص103.

(6) الفتوحات ج2/ 498-499.

(7) الرسالة ص41.

(8) اللمع ص418.

﴿هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾. يتحول معناه من خلق الكون والبعث إلى البداية في القلب. فالعالم ينشأ في القلب في لحظة الوعي به[1] والهجوم والغلبة لهما معنى متقارب. إلا أن الهجوم فعل صاحب الغلبات عند قوة الرغبة[2].

واللحظ هو ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمن به في الغيوب[3].

والزوائد مجرد لفظ لم يستمر كمصطلح صوفي. ويعني زيادات الإيمان بالغيب واليقين فزاد الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات. وتسطيع كواشف الحضور تغطية القلوب لما وارته الغيوب[4].

والقادح مثل الخاطر إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة والقادح لأهل الغفلة.

والعارض ما يعرض للقلوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوي. فهو أحد وسائل المقاومة[5].

والوسوسة تؤدي إلى الحيرة. وهي غير الإلهام إلا عند أكل الحرام. فالإلهام يؤدي إلى زيادة فهم وبيان[6].

8 ـ الحكمة النظرية

والحكمة النظرية قاسم مشترك بين الفلسفة والتصوف فيما يعرف باسم حكمة الإشراق سواء عند ابن سينا أو السهروردي. وهي الغالبة على التصوف النظري. الحكمة هي النطق بالحق[7] وهي أعظم حق من حقوق الله. ولا يطالب الله بها إلا عندما لا توضع في حقها. فلماذا يكون من طالبه بحقها خصيما؟ علامتها

(1) السابق ص439.
(2) السابق ص417.
(3) اللمع ص418. وهو مثل النظرة Régard عند سارتر، وقلب النظرة Blickwendung عند هوسرل.
(4) السابق ص415.
(5) اللمع ص419.
(6) طبقات الصوفية ص350، عوارف المعارف جـ4/ 270.
(7) أبو عثمان المغربي، السابق ص483.

معرفة أقدار الناس وعدم بخس الناس أشياءهم[1] فالحكمة ليست متعالية ولا متدانية. الحكماء ورثة الأنبياء. والحكمة وراثة النبوة. وتعني إحكام الأمور. وأول علاماتها طول الصمت، والكلام على قدر الحاجة دون ثرثرة[2] والثرثرة مظهر من مظاهر العدم، الظاهر الذي ليس وراءه باطن مما يورث في النفس الغثيان. ويستمع إلى الحكمة العاقل أو العامل. يتعجب العاقل ويشتهي ما يسمع. ويتقلب العامل وكأن في قلبه حية تتلوى[3] وإذا سمع الإنسان الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب. وإن لم يعمل بها فهو منافق[4] فالحكمة نظرية وعملية.

والفطنة من الحكمة، والأدب من الفطنة، وعلاقة الأعلى بالأدنى، علاقة العام بالخاص. الفطنة من التوفيق. وهي أهم من الفقه. ومعرفة الغيوب أعلى درجاتها في حين أن الفطنة ذكاء عملي في الدنيا، في عالم الشهادة ولا شأن لها بعالم الغيب[5]

والفكر قيام الأشياء بالحق. هو الفكر في الوجود. الفكر وقوف القلب عما عرف. والتفكر جولان القلب، مجموعة من الأفكار المتتالية. الفكر لحظة واحدة، والتفكير عملية مستمرة[6] وهو ما وضح فيه الإيمان واستوفته العقول. الإيمان أولاً، والعقل ثانياً[7] وهو ما ملأ القلوب من حال تعظيم الله أي الفكر الوجداني.

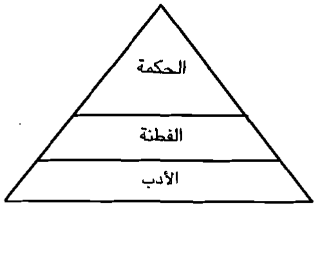
(1) شاه الكرماني، السابق ص193، من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية، حصار الزمن ج3 علوم ص697-715.

(2) أبو بكر الوراق، طبقات الصوفية ص226.

(3) محمد بن علي الترمذي، السابق ص218.

(4) أبو علي بن الكاتب، السابق ص387.

(5) التستري ص347.



(6) اللمع، ص302-303.

(7) وهو شعار أنسيلم في العصر الوسيط الأوروبي.

وهو صحة الاعتبار أي الاستدلال العقلي. والاعتبار استدلال الشيء على الشيء أي فكر الفكر. ونظر النظر. الاعتبار ما نفذ في الغيب ولم يمنعه مانع. والخلود والانفراد يفتحان القلب على العلم مع الله بالنظر والتفكر[1] ومن صح تفكره صدق نطقه وخلص عمله[2] فهناك علاقة بين الفكر واللغة والعمل.

والفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله وعلامته تتولد منها المعرفة، وفكرة في آلاء الله ونعمائه تتولد منها المحبة، وفكرة في وعد الله وثوابه تتولد منها الرغبة في الطاعة والموافقة، وفكرة في وعيد الله وعقابه تتولد منها الرهبة من المخالفة[3] وفكرة في جفاء النفس في جنب إحسان الله إليها يتولد منها الحياء من الله. فالفكرة حالة شعورية.

وطلب النظر إلى شيء حجاب عنه لأن المسافة مازالت بعيدة بين الطالب والمطلوب. وطلب الاستماع من الشيء حجاب والنظر والاستماع وسوسة للقرب بين الطالب والمطلوب. فالحواس لا تقدر على كشف الحجاب. العين والأذن، البصر والسمع مجرد وسوسة إنما هو العلم القادر على ذلك[4] هو العلم والعمل حتى يتجلي الشيء. فالنظر طبقاً لإرادة الناظر. وطلب النظر والاستماع يرد إلى الفترة والشهوات والدنيا. ويتم التخلص من ذلك بالسخاء والشجاعة والصدق. ثم يحدث السكون إلى الله وقلة الغذاء والهرب إليه من الخلق[5] لاينبغي التفكر أو النظر أو النطق أو التدبر أو الحركة بالأعضاء إلا بأمر المولي. وهو سلب مطلق للذات، لقواها المعرفية والحركية[6] حسن النظر للنفس في عاقبة الشيء[7] فالإدراك للمصير. والنظر إلى النفس مرة مرة يغني عن النظر إلى الكون. كل منهما يحيل إلى الآخر. بل إن البداية بالنظر إلى العالم لجمع المادة ثم النظر إلى النفس لتحليلها وإيحاء دلالتها. النظر إلى الخارج قبل النظر إلى الداخل ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ

(1) التستري ص300.
(2) أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، طبقات الصوفية ص457.
(3) أبو بكر بن حامد الترمذي، السابق ص281-282.
(4) التستري ص330.
(5) السابق ص233.
(6) السابق ص283.
(7) السابق ص270.

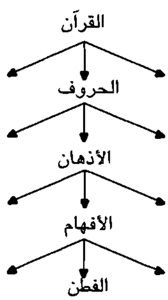
أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1].

ويصح الفهم من أربعة مواضع، في ركعتي الفجر والوتر وعند الأكل وعند الغضب[2] الفجر والصلاة صحيحان أما الأكل والغضب ففيهما شك. ويُعطى المؤمنون بالقدر فهم القرآن بكل حرف ذهن، وبكل ذهن ألف فهم، وكل فهم ألف فطنة، إذ تتعدد الأذهان، وتتعدد الأفهام، وتتعدد الفطن، وتتعدد معاني الحروف. فلا يوجد معنى واحد للحرف، ولا ذهن واحد، ولا فهم واحد، ولا عمق واحد. لذلك تتعدد المعاني إلى ما لا نهاية، ألفاً في ألف في ألف في ألف أربع مرات[3] والفهم على قدر العلم، والعلم على قدر العقل، والعقل على قدر الإيمان[4] وجعل الله القلم في الفهم، واللوح في الحفظ. وقد رفع الحجاب عمن عرف وفهم. ويتم الانتقال من الشيء إلى الدلالة. والله هو الذي يُفهم الإنسان عن نفسه لأن الإنسان لا يفهم الله إلا به[5] فما قيمة الفهم الإنساني إذن إذا كان عاجزاً عن الفهم بذاته؟ والتدبر في الخلق عبرة. والتدبر في النفس موعظة. والتدبر في القرآن حقيقة ومكاشفة. والتدبر في العالم أو في النفس أو في القرآن.

9 ـ الحق والباطل.

والحق والباطل أو الصواب والخطأ، هي إحدى الثنائيات الصوفية الشهيرة

(1) طبقات الصوفية ص358.
(2) التستري ص209.
(3) السابق ص263.



(4) السابق ص305.
(5) البسطامي، طبقات الصوفية ص72.

مثل: العلم والمعرفة، الظاهر والباطن، النقلي والعقلي، العقلي والتجريبي، النظري والتجريبي، الظن واليقين، الخاصة والعامة، التنزيل والتأويل، السلف والخلف، الدنيا والآخرة، الإنساني والإلهي. . .الخ. وفي كل ثنائية يمكن الجمع بينهما إلا ثنائية الحق والباطل. وإذا كان حق يشاركه باطل فقد خرج عن قسمة الحق إلى قسمة الباطل. فالحق غيور لا يقبل أن يدخل في قسمة مع شيء غيره. ومن وقف بهمته على شيء ينوي الحق فإنه الحق لأنه لا يرضى معه بشريك. الحق واحد والباحث عنه واحد. ومن علت همته على الأكوان وصل إلى مكوِّنها. ومن غيرة الحق أنه لا يجعل لشيء غيره طريقاً، ولا يدفع أحداً إلى اليأس من الوصول إليه. ويترك الناس حيارى وفي ظنون. فمن ظن أنه وصل إليه ابتعد منه وانفصل عنه. ومن ظن أنه ابتعد عنه منّاه للوصول إليه. لا مهرب عنه، ولا بد منه. وإذا كان الحق واحداً فطالبه وحداني الذات[1] فالوحدانية صفة مشتركة بين الذات الإلهية والذات الإنسانية. وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق لأن الحق دليل على كل شيء. ولا يكون شيء دونه دليلاً عليه[2] الإعراض عن الحق هو السخط. وعلامة الركون إلى الباطل التقرب من المبطلين[3] والادعاء خلو عن الحقائق. ولا يتحقق شيء لما نُطق به ادعاء[4].

مطالبة الحق إذا بدا قهر وجذب إلى ما أراد بصولته. الحق هو الذي يفرض نفسه على الذات. وجذبة الحق تربو على أعمال التقليد. والإغاثة ثقل مطالبة الحق على القلب فرضاً للأوامر. وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق[5] وقلوب أهل الحق حاضرة. وأسماعهم مفتوحة. فالحق يدرك من خلال الحواس. ويقوم الحق بالحق إذا بلغ الميقات حينه. واستوفي الحق مجاري أحكامه من ظاهر هيكله. أوقد سراج الإيمان القلب واكتسي ظاهر الهيكل بنور الحق وانتصر له من الظالم[6] ومن لم يترك الكل رسماً في جذب الحق لا يحصل له الكل حقيقة.

(1) أبو عبد الله بن الجلاء، السابق ص178-179.
(2) أبو بكر الكتاني، السابق ص374.
(3) شاه الكرماني، السابق ص193.
(4) أبو على الروزباري، السابق ص358.
(5) السابق ص465/ 488.
(6) السابق ص482-483.

وهو الحق. الحق هو الكل غير المرتبط بالحدود والرسوم أو البينونة، قائم بذاته، قديم لا يلحق به شيء من الحوادث[1].

ما أبرم الحق للخلق إلا اسماً أو رسماً. وما تكلم به إلا كل من لم يحقق[2] فالحق ليس للكلام بل للتحقيق. وهو أمر عظيم يطلبه الخلق. يطرح الدنيا والآخرة[3] إذا بدا الخلق فلا التفات إلى جنة ونار أو التفكير فيهما. من وافق الحق في لحظة أو خطرة لا يقع بعد ذلك في مخالفة. فالحق يعصم. وهي موافقة الأثر الحسن والأمر الأحسن[4] الحق إذ لاحظ عبداً يبره غيّبه عن كل مكروه في وقته. وإذا لاحظه بسخطه أظهر عليه من الوحشة ما يهرب منه كل أحد[5] فالحق منطق العلاقات بين الذوات، منطق العداوة والصداقة. هو الحق الاجتماعي وليس الحق النظري. ومن قلّت آفاته اتصلت بالحق أوقاته[6] فالحق يجمع بين الحقيقة والأخلاق.

ما نطق أحد عن الحق إلا كان محجوباً. فالحق كشف. وأعظم حجاب بين الإنسان والحق الاشتغال بتدبير النفس، والاعتماد على آخرين عاجزين مثل الذات[7] ولماذا يكون الانشغال بتدبير النفس حجاباً عن الحق، وإثبات الذات الحقيقة الفلسفية الوجودية الأولى عند كثير من الفلاسفة قدماء ومحدثين من الموروث والوافد؟ ولماذا عجز الذات وقواها لا ينتهي؟

والحقيقة غير الحق. الحقيقة للشيء والحق هو الكل. ومن ادعي شيئاً من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين[8] الحقيقة كلها علم. والعلم كله حقيقة، لا فرق بين الذات والموضوع[9] الحقيقة هم. يسقط هم البحث ويبدأ هم التبعة.

---

(1) السابق ص469-470/ 488/ 491.

(2) السابق ص474.

(3) أبو الحسن الصيرفي، السابق ص504.

(4) أبو القاسم النصرأباذي، السابق ص485-486.

(5) السابق ص445.

(6) أبو عبد الله الروزباري، السابق ص499.

(7) أبو محمد الراسبي، السابق ص513.

(8) السابق ص490.

(9) السابق ص394.

ينتهي هم النظر ويبدأ هم العمل. والحق واحد لا يُجمع. والحقائق جمع حقيقة. إذا تجلت حقائق الحق لسر أزالت الظنون والأماني لأن الحق إذا استولى على سر قهره. ولا يبقى للغير معه للغير أثر[1] وإذا بدت الحقائق سقطت آثار الفهوم والعلوم، وبقي الرسم الجاري لمحل الأمر، وسقطت منها حقائقها[2].

الحقيقة ثلاث: حقيقة مع العلم، وحقيقة معها العلم، وحقيقة تشطح عن العلم. وأتم الحقائق ما قارن العلم. الحقيقة كلها علم، والعلم كله حقيقة.

وتأبى الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات. فالحقيقة رؤية واضحة مباشرة لا لبس فيها. الحقائق المختزنة إذا بدت حجبت الحقائق المستترة.

الألسنة ثلاثة: لسان علم بالوسائط، ولسان حقيقة الوصول إلى الأسرار بلا وسائط، ولسان حق ليس له طريق. وحقيقة الوصول ذهاب العقول. وكل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر.

والتحقيق تكلف العبد لاستدعاء الحقيقة جهده وطاقته. والتحقق مثل التحقيق، التعلم والتعليم. والحقيقة مفرد والحقائق جمع. وتعني وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به وإلا بطل الإيمان[3] والحقوق أي الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات والعبادات. والحقوق لا تجتمع مع الحظوظ لأنهما ضدان[4] وأهل الحقائق أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى. وما حصل عليه أهل الحقائق في حقائقهم أن الله غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك. فمن أراد موجودا فهو مقرور. الموجود معرفة حال وكشف علم بلا حال.

الحق هو الله. والعبد موقوف مع الحق بالحق للحق أي مع الله بالله لله. وهو دوران العبد وتغليقه ثلاث مرات بالله فلم يعد يبق منه شيء ظاهر[5] وهو

(1) السابق ص377.

(2) السابق ص422.

(3) اللمع ص213.

(4) الجنيد، السابق ص413.

(5) أبو سعيد الخراز، الجنيد، اللمع ص411.

نفس معنى منه وبه وله. ويتحقق العبد بالعبودية إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه وتبرأ من حوله وقوته، وعلم أن الكل له وبه.

وعلامة الحقيقة البلوى أو رفع البلوى. وليست الحقيقة في الله فقط بل هي أيضاً في الإنسان وحقيقة الإنسانية ألا يتأذي أحد من إنسان. فحقيقة الاسم في نفسه، الاستئناس مع كل شيء[1].

وفي الصباح يستذكر الإنسان آفات الليل لتأدية حق الله ونصيحة النفس كما يؤدي الإنسان حق الناس إذا دخل بيتا أو خرج منه. والله شاهد، يغفر الذنب بالاستعانة به فذاك خير الدنيا والآخرة، والسر والعلانية. وما من نفس يتنفس العبد إلا إذا كان عارفا بالله مصلحاً الفساد بنفسه قبل أن يسأل الله الصحة. الله هو الذي يهب السعادة والشقاء. فمن علامات السعادة النظر في الشيء قبل الدخول فيه والاستعانة بالله عليه والصبر إلى الممات. ومن علامة الشقاء سرعة الدخول في شيء قبل استكمال علمه بالادعاء فيه أو الجزع منه[2] الهوى يحجب الإنسان عن الله والنفس عن هواها. فإذا ما تخلصت النفس منه وصلت إلى الله. والركون إلى الله يكشف الحجاب مع الصبر والسكون إليه والركون عليه حتى يأتي الفرج من عنده وهو إلى أبلاه[3] ومن كان شغله مع الله ذهبت منه الشهوات. نظر التوحيد الشعور نحو غاية واحدة. وهو تصور ثنائي متعارض للروح والمادة بقدر ما ينعزل الإنسان عن المادة يصل إلى الروح، التصور المانوي القديم. وفي تصور آخر لا يُعرف الروح إلا في المادة، ولا الخير إلا في الشر، ولا الطاعة إلا في المعصية، لا فرق بين أبي نواس وعمر الخيام. ومعاينة الله استغناء به عن كل ما سواه[4] وتتجلى الأخلاق الإلهية في الجنة والنفس والخشوع. وهي من أساميه[5] فالجنة ثواب، والنفس موطن التجلي، والخشوع علامة الطاعة.

يسأل الرب عن حق نفسه وحق عقله وحق العلم الذي بينه وبين العبد. وأيهما

---

(1) السابق ص286.
(2) التستري ص155.
(3) السابق ص172.
(4) السابق ص291.
(5) السابق ص343.

أولي بالسؤال حق العبد أم حق الرب؟[1] وللعبد حقوق على الرب، الأمن من الخوف، والأمل بالرجاء، والتقرب بالحسنات، والقبول بالتوكل عليه[2].

وبالرغم من ندرة لفظ الحقوق في التراث، وشيوعه في الفكر المعاصر، الحقوق والواجبات، حقوق الإنسان، حقوق الشعوب إلا أنه يظهر أحياناً في التصوف. وهي على سبعة مراتب: المؤمنون والمؤمنات المجهولون الذين لم يرهم ولم يسمعهم أحد، والمؤمنون بالسمع دون الرؤية، المؤمنون في الرؤية دون المشافهة، والمؤمنون في الرؤية والمشافهة، والمؤمنون في الرؤية والمشافهة والمحبة، والمؤمنون غير المعروفين الذين يحبون في الله. لا تُعرف حقوق الناس. غنما تركوا الدخول في التبعات، وأقاموا أنفسهم على الضرورة لئلا يلزمهم حق. لا تعرف حقوق الناس لأنهم لا يعرفون واجباتهم[3] وجعلوا أنفسهم على الطبيعة تهربا من الواجبات. فكل حق يقابله واجب، وكل واجب يقابله حق.

وتبدو ثنائية الصواب والخطأ، وهي ثنائية معرفة وليست وجودية ملحقة بالحق والباطل كثنائية وجودية. وإذا كان الحق والباطل مطلقان فالصواب والخطأ نسبيان. فالصواب كل نطق عن إذن[4] وهو لدى الأنبياء وحدهم. وماذا عن الصواب كجهد للإنسان؟ وإذا كان الصواب التوحيد فقط، وكان التوحيد كل شيء فأين الخطأ؟ ويبدو أن التصوف قد ضحي بالنسبي في سبيل المطلق.

10 ـ علوم الخاصة.

والطريق إلى هذا العلم هو طريق الخاصة من المؤمنين الطالبين طبقا للتفرقة التقليدية الثنائية بين الخاصة والعامة أو الثلاثي: الخاصة، والعامة، وخاصة الخاصة. فكل شيء له مستويات أو درجات أو مراتب: النجاة والحقوق والدواعي والبواعث والرغبة والرهبة، الحقائق والأخلاق والمعرفة. فالنجاة على أربع شعب: بواعث، ودواعٍ، وأخلاق، وحقائق. دفعت إليها ثلاثة حقوق: حق الله، وحق

---

(1) السابق ص80-81.
(2) السابق ص225.
(3) السابق ص372.
(4) اللمع ص303.

النفس، وحق الخلق. حق الله عبادته، وحق الخلق كف الأذى عن الناس باستثناء إقامة الحدود، وحق النفس سلوك طريق السعادة. فإن أبت فلجهل أو لسوء طبع. والجهل ضد الدين. وسوء الطبع ضد المروءة. والدواعي خمسة: الهاجس السببي وهو نفر الخاطر، ثم الإرادة ثم العزم ثم الهمة ثم النية. والبواعث على هذه الدواعي ثلاثة: رغبة أو رهبة أو تعظيم. والرغبة رغبتان: رغبة في المجاورة ورغبة في المعاينة. رغبة فيما عنده ورغبة فيه. والرهبة رهبتان، رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب. والتعظيم قد يكون على الأفراد بلا مستويات. التعظيم لله وحده. وقد يكون على الجمع، فالتعظيم لله والرسول والأنبياء والملائكة وأولياء الله الصالحين.

والأخلاق أنواع: خلق متعد، وخلق غير متعد، وخلق مشترك. والمتعدي قسمان، متعد بمنفعة كالجود والفتوة، ومتعد يدفع مضرة كالعفو والصفح. وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل. والمشترك كالصبر على الأذي من الخلق.

والحقائق أربعة. الأولى للذات المقدسة. والثانية الصفات المنزهة. والثالثة الأفعال مثل كان وأخواتها. والرابعة المفعولات وهي الأكوان والمكونات. وهي على ثلاث مراتب علوية كالمعقولات، وسفلية كالمحسوسات، وبرزخية كالمخيلات[1] وفي قسمة أخرى الحقائق أيضاً أربعة: الحقائق الذاتية، مشاهدة الحق من غير تشبيه ولا تكييف، لا تسعه العبارة ولا تومئ إليه إشارة، والحقائق الصفاتية، مشاهدة الحق عالماً قادراً مريداً حياً من الصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة، والحقائق الكونية، مشاهدة الحق لمعرفة الأرواح والبسائط والمركبات والأجسام والانفصال والاتصال، والحقائق الفعلية، مشاهدة الحق لمعرفة كن وتعلقها بالقدرة خارج إرادة العبد.

والمعرفة على ثلاث درجات: معرفة العوام وهي معرفة العبودية والربوبية والطاعة والمعصية والعدو والنفس. ومعرفة الخواص، معرفة الإجلال والعظمة، والإحسان والمنة، والتوفيق. ومعرفة خواص الخواص، معرفة الأنس والمناجاة، واللطف والتلطف والقلب والسر[2] ومقامات المعرفة ثلاثة: الأول ضرورة، وهي

---

(1) الفتوحات جا/ 33-34.

(2) التستري ص67.

المعرفة النقلية أو الفطرية، معرفة الروح. وهي حجة الله على الخلق. وهي أقرب إلى معرفة العوام. والثاني ما يقع فيه سهو المخلوقين في إقرارهم بالتوحيد. وهي معرفة العلماء التي تحتمل الخطأ والصواب. والثالث معرفة الخواص وهي هبة من الله لأحبائه[1] العوام تصف الله. والخواص لا تنطق. جدل الباطل والحق لا يجتمعان بل يضرب أحدهما الآخر[2] الحدَث هو ما لم يكن فكان. وهي آية تحدث في العالم لتنبيه الخاصة لعدم ذكرها[3].

والناس على ثلاث منازل: الأولياء وباطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وسرهم وعلانيتهم واحد، والجهال وعلانيتهم تخالف أسرارهم ولا ينصفون من أنفسهم بل من غيرهم[4].

ويقوم علم أهل الله على معرفة سبعة مسائل: أسماء الله، التجليات، خطاب الحق بلسان الشرع، كمال الوجود ونقصه، الإنسان من جهة حقائقه، الكشف الخيالي، العلل والأدوية. يجمع بين المعارف الإلهية والإنسانية والشرعية والكونية والغيبية والأخروية[5] ويضم كتاب المعارف موضوعات المعرفة أكثر مما يضم وسائل المعرفة[6].

(1) «واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد»، شطحات الصوفية ص169/ 206/ 224.

(2) «وهذا لسان العوام. وأما لسان الخواص فلا نطق له. والحق حق والعبد باطل»، السابق ص33

(3) اللمع ص448.

(4) أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية ص460.

الطبقة	الحالة
الأولياء	الباطن أفضل من الظاهر
العلماء	الباطن يساوي الظاهر
الجهال	اختلاف الباطن مع الظاهر

(5) الفتوحات جـ1/ 34.

(6) وذلك مثل الروح، ومراتب الحروف والحركات، وتنزيه الحق، وسبب بدء العالم ومراتب الأسماء الحسنى، وأسرار باسم الله الرحمن الرحيم، والفاتحة، وبدء الخلق الروحاني، والجسوم الإنسانية، والأرض والأرواح النارية، ودورة الملك والآباء العلوية، والأمهات السفلية، ودورة فلك محمد، وحملة العرش، وأسرار الأنبياء، والأنفاس وأقطابها =

وقد يدخل الملائكة والجن مع الإنس في التصنيف. فالملائكة اختارت العصمة، والجن الكفاية، واختار بنو آدم الحيلة. أي الذكاء والجهد والمناورة. والعصمة والكفاية أقرب إلى الجبر منها إلى الاختيار[1].

ثالثاً: علوم التصوف

1 ــ اللفظ والمعنى

وبالرغم من شيوع اشتقاق الاسم في الدراسات الثانوية والكتب الجامعية حتى أصبح معروفاً عند جمهور الطلاب إلا أنه مازال وارداً في المؤلفات القديمة. فقد اشتق اسم الصوفية من لبس الصوف[2] وقد فعل ذلك الأنبياء من قبل. وهو حكم على الظاهر[3] ولا فرق بين التصوف بألف لام التعريف وتصوف بدونهما. فالمعنيان متقاربان.

وربما يكون قد اشتق من الصفاء. وكان في الأصل صفوي. والصفاء هو القيام لله في كل وقت بشرط الوفاء[4] الصفاء من كدر الأغيار والخروج من مراتب الأشرار. ويعني الصفاء أنه إذا تحقق العبد بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة، وقارن أحكام الشرعية[5] الصوفي هو الخارج من

= المحققين، والمنازل السفلية، والأقطاب المصونين، والأوتاد والفتوة والبهاليل، والزمان والعالم والقيامة، والبعث والحشر والجنة والنار، السابق جـ1/ 92-322.

(1) أبو عبد الله محمد بن خفيف، طبقات الصوفية ص464.

النوع	الاختيار
الملائكة	العصمة
الجن	الكفاية
البشر	الحيلة

(2) «الكشف عن اسم الصوفية، ولِمَ سموا بهذا الاسم، ولِمَ نسبوا إلى هذه اللبسة»، اللمع ص40-41.

(3) «ذكر تسميتهم بهذا الاسم» عوارف المعارف جـ1/ 331-345.

(4) هو تعريف أبي الحسن القناد، اللمع ص46/ 296.

(5) السابق ص47، طبقات الصوفية ص428.

النعوت والرسوم وألزم نفسه باسم الصوفي لتصفيته من ممازجة الأكوان كلها بمصفاة من صافاه في الأزل. الصوفي من صُفي من كل درن فلم يبق فيه وسخ المخالفات[1] وربما لا يكون الاشتقاق لفظياً بل معنوياً. فقد سمي الصوفية بهذا الاسم لاشتمالهم على الخلق بظاهر العابدين، والانقطاع عن الحق بمراتب الموحدين. وسموا كذلك لبقية عليهم من نفوسهم، ولتنسمهم بروح الكفاية، وتظاهرهم بوصف الإنابة.

التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولي من السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، وإتباع الرسول في الشريعة[2]. وهل الموافقة مع البشرية عيب؟ ولماذا مفارقة الأخلاق الطبيعية؟ أليست الأخلاق الإسلامية أخلاق الفطرة؟ ولماذا إخماد الصفات البشرية وليس إيقاظها؟ ولماذا مجانبة دواعي النفسانية وليس إثبات الشعور؟ ولماذا منازلة الصفات الروحانية وليس تأكيدها وتحقيقها؟[3]

وبهذا المعنى، الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوي عنده الذهب والمدر. وهو دائم التصفية، يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس. .ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه[4].

وربما اشتق الاسم من أهل الصفة. والصوفية من بقاياهم[5] والاشتقاق صفوي وليس صوفياً. وبصرف النظر عن اشتقاق اللفظ، ويسمون في خراسان «سَكفتية» أي سكان المغارات. وفي الشام «جوعية». ويسمون أبراراً ومقربين وصابرين وصادقين وذاكرين ومحبين. وهي ألفاظ مرسلة تشير إلى بعض أوصاف الصوفية، فضائلهم ومقاماتهم.

---

(1) السابق ص275.
(2) السابق ص464.
(3) لذلك كتب أحد الفلاسفة المعاصرين «إنساني، إنساني جداً».
(4) عوارف المعارف جا/ 327-328.
(5) اللمع ص47، عوارف العارف جا/ 337-242.

وسمي الصوفية بهذا الاسم لاستتارهم عن الخلق بلوائح الوجد وانكشافها بشمائل القصد[1].

ومن حيث المعنى الصوفية هم أهل الصفوة. أي المصطفون في الفهم والإتباع لكتاب الله والموافقون له[2]. وهو لفظ قرآني. والاصطفاء للأنبياء والصديقين. وقد خص به موسى للتوحيد. الاصطفاء هو الاجتباء في سابق العلم[3]. وتتخصص الدعوة للمصطفين وطبقا لتفاوت المستمعين ودرجاتهم في قبول الخطاب بين الإقرار، والإقرار والإتباع، والإقرار والإتباع والتحقيق. هم العلماء الذين يخشون الله، الراسخون في العلم. وهم الذين يثوّرون القرآن[4]. هم الذين يلقي إليهم السمع ويتدبرونه عند التلاوة وفهم الخطاب بما يخاطب به المتلقي. وهم أرباب القلوب في فهم القرآن. وهم السابقون والمقربون والأبرار لطرقهم في الفهم والاستنباط. وهذا لا يعني التراخي في فهم القرآن بل التشديد فيه دون التخلي عن الفهم الإشاري للحروف والأسماء، وعلى قدر حضور الصوفي ودرجة قربه من الله. وهناك مقياس للاستنباط وصواب وخطأ في الفهم الإشاري للقرآن. خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف نظراً لتعدد الفهم الإشاري طبقاً لأعماق الشعور. ويؤكد الصوفية ذلك درءا لاتهام الفقهاء لهم بسوء التأويل. الصوفي من اختاره الله لنفسه فاصطفاه، وعن نفسه براه. ولم يرد إلى تعمل وتكلف بدعوي. التصوف قدر إلهي وليس اختياراً إنسانياً. وهم الذين يقتدون بالرسول في الفهم والموافقة[5]. والرسول هو القدوة في الأخلاق والأفعال والأحوال التي اختارها الله له. وقد رخص الرسول للأمة ووسع عليهم فيما أباحه الله في حالات خاصة وعامة في الاقتداء به. وأهل الصفوة يأخذون بالعزائم. ويتبع مشايخ الصوفية الرسول ضد من يزعم خروجهم على السنة.

---

(1) أبو حمزة الخراساني، طبقات الصوفية ص317.

(2) أهل الصفوة في الفهم والإتباع لكتاب الله عز وجل، اللمع ص105-129.

(3) واصطنعتك لنفسي، ولتصنع على عيني، واجتبيناهم وهديناهم، والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، السابق ص474.

(4) وذلك طبقاً لحديث «من أراد العلم فليثوّر القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»، السابق ص105.

(5) كتاب الأسوة والاقتداء بالرسول، السابق ص130-146.

ويستنبط أهل الصفوة من القرآن والحديث فهماً صحيحاً لهما طبقاً لتفرقة الرسول بين الظاهر والباطن. وقد يقع الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم. واختلاف أهل الباطن مثل اختلاف أهل الظاهر. ويستنبط أهل الصفوة تخصيص النبي وشرفه وفضله على إخوانه من الكتاب عن طريق الفهم[1]. وكما يتبع أهل الصفوة الرسول يتبعون أيضاً صحابة الرسول وأهل الصفة[2]. وقد كان الاسم معروفاً منذ عهد الرسول وفي صحبته مثل العباد والزهاد والفقراء والراضين والمخبئين والبكائين. وكانوا يقيمون في آخر المسجد. ولم ينهرهم الرسول بعد إقامة الدولة وبناء المجتمع، ولكن نهرهم عمر. فمن يطعمهم أعبد منهم. وكان الصوفي يطوف بالكعبة قبل الإسلام[3].

لا يهم إذن الأصل الاشتقاقي للفظ «التصوف» بالرغم من صعوبته. فالحقل الدلالي واحد، الصفاء أو الصفوة أو الصفة أو الصف أو الصوف أي هيئة أو سلوك معين يدل على الانعزال عن العالم والتوجه نحو النفس، من الخارج إلى الداخل أو من الدنيا إلى الآخرة[4]. وربما سموا صوفية لبقية بقت في نفوسهم وإلا استحالت التسمية[5].

والصوفي لا يمكن تعريفه وكأنه مصطلح علمي، ولكنه هو الفقير المجرد من الأسباب. وهو مع الله بلا مكان، ويعلم كل مكان. فالصوفي بالموقف والسلوك وليس بالاشتقاق أو التعريف[6]. وكل التعريفات اجتهادات يختلف عليها الصوفية أنفسهم. يقبلون بعضها ويرفضون البعض الآخر[7]. وقد يكون أحد أسباب كتابة

(1) كتاب المستنبطات، السابق ص147-165.

(2) كتاب الصحابة، السابق ص166-193.

(3) ذكره الحسن البصري وأبو سفيان الثوري مشيراً إلى أبي هاشم الصوفي. «الرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم، وهو اسم محدث»، السابق ص42-43.

(4) القشيرية ص126.

(5) الشبلي، السابق ص127.

(6) ابن الجلاء، السابق ص128.

(7) اعترض أبو القاسم القشيري على تعريف الحصري الصوفي بأنه «لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده» وأوله بمعنى أنه إذا فنيت آفاته لا تعود إليه. وإذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق. فالحادثات لا تؤثر فيه. السابق ص128.

ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم حل ما فيها من إشكالات في تعريفها[1].

الصوفي هو المقرب. وهو ليس مذكوراً في القرآن. بل تُرك ووضع اسم «المقرب» بدلاً عنه. ولا يستعمل هذا الاسم في المغرب وتركستان وما وراء النهر لأنهم لا يتزينون بزي الصوفية «ولا مشاحة في الألفاظ». وكل مشايخ الصوفية المذكورين في كتب الطبقات من المقربين. وعلومهم علوم أحوال المقربين الأبرار. هم الصوفية دون التزيي بزي أو اشتباه. فالتصوف سلوك وليس شكلاً[2].

وقد يكون الاشتقاق صوتياً وليس حرفياً. فصوفي على وزن «عوفي» أي عافاه الله، و«كوفي» أي كافأه الله، و«جوزي» أي جازاه الله. ففعل الله ظاهر في كل الأحوال.

2 ـ تعريف التصوف

وتتراوح المعاني المختلفة للفظ طبقاً لمراحل التصوف، المرحلة الخلقية والمرحلة النفسية والمرحلة الفلسفية. فلا يوجد معنى شامل لكل المراحل إلا المعنى الاشتقاقي. فالتصوف تجربة ذاتية وممارسة عملية وليس تصوراً ذهنياً يمكن تحديده منطقياً في قضية.

أ ـ التصوف الخلقي. ويعني «الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني»[3]. وهو مطلب يقتضي قسمة الإنسان قسمين. قبيح وحسن، شر وخير، أدني وأعلي، وإدانة الأول والبعد عنه، ومدح الثاني والقرب منه. وهي نظرة مانوية للحياة تنكر الإنسان الوجودي بلحمه وعظمه ووضعه بين الحيوان والملاك بالتعبيرات الشعبية. كان التصوف في بدايته تصوفاً خلقياً. كان في هذه المرحلة «أخلاقاً كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام»[4]. وهو معنى قول الرسول «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». سُمي خُلقه عظيما

---

(1) هذا هو ما يدل عليه باب «في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها»، السابق ص31.

(2) عوارف المعارف جـ1/ 238-239.

(3) اللمع ص45، الرسالة ص226، طبقات الصوفية ص436.

(4) اللمع ص45.

لاجتماع مكارم الأخلاق فيه[1]. ليس التصوف رسوماً ولا عكوفاً ولكنه أخلاق[2]. التصوف خلق. فمن زاد في الخلق زاد في الصفاء[3]. هو طريق لا يصلح إلا لقوم كنس الله بأرواحهم المزابل. فهو ليس فقط السلوك الأخلاقي بل إشباع الأخلاق من أرواحهم لتنظيف بيئتهم[4].

ولا يؤخذ التصوف من القيل والقال لكن من الجوع أي من التجربة وترك الدنيا، والتخلي عن المألوف والمستحسن. التصوف صفاء المعاملة مع الله، والعزوف عن الدنيا. التصوف ترك كل حظ للنفس من الدنيا[5]. وهو ألا يملك الإنسان شيئاً ولا يملكه شيء[6]. وإذا امتلك شيئاً فإنه لا يملكه شيء. علاقته بالملكية علاقة حرة. ليس عبداً لما يملك بل هو حر فيما يملك[7]. الصوفي يمتلك الأشياء اقتداراً[8]. لذلك لا يتعب الصوفي طلب، ولا يزعجه سبب لأنه تخلي عن العلائق[9]. التصوف كف فارغ وقلب طيب، زهد في الدنيا ورغبة في الآخرة[10]. هو رؤية الكون بعين النقص، وغض الطرف عن كل ناقص لمشاهدة المنزه عن كل نقص[11] ومن عظم خلق الصوفي صغر الأكوان في عينيه بمشاهدة مكوّنها[12].

وعلامة الصوفي الصادق الفقر بعد الغني، والذل بعد العز، والخفاء بعد الشهرة. وهو ما قاله المسيح ناصحاً الرجل الغني لشرط الدخول إلى ملكوت

---

(1) عوارف المعارف جـ2/ 365.
(2) طبقات الصوفية ص278.
(3) القشيرية ص127.
(4) السابق ص128.
(5) طبقات الصوفية ص166-167.
(6) اللمع ص45.
(7) القشيرية ص127.
(8) طبقات الصوفية ص480.
(9) اللمع ص45-46.
(10) يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم.
(11) سري وسرك لم يعلم به أحد إلا الجليل ولم ينطق به نطق
طبقات الصوفية ص352.
(12) عوارف المعارف جـ2/ 365.

السماوات بأن يترك كل شيء ويتبعه. علامة الصوفي التحول الجذري في رؤية الحياة من الكل إلى لاشيء، ومن الإيجاب إلى السلب، ومن الإثبات إلى النفي.

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغيِّر الله من حال إلى حال

فلم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه. ولا يستطيع أن يخدم سيدين في نفس الوقت، المال والله كما قال السيد المسيح. ملكوت الصوفي ليس من هذا العالم مثل ملكوت بوذا. وعلامة الصوفي الكاذب الغني بعد الفقر، والعز بعد الذل، والشهرة بعد الخفاء، والتحول من الآخرة إلى الدنيا. التصوف فقر وذل وخفاء، عزلة وتواضع وكمون[1]. هو التحول عن العالم والقوة والشهرة. التصوف هو «التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار». فهو إذن عدم الحراك الاجتماعي، أن يظل الفقير فقيراً وعدم تغيير أسبابه. وفي نفس الوقت هو بذل وإيثار مع أن الفقير لا يملك شيئاً يبذله. والأخطر ترك التعرض والاختيار أي إيثار اللافعل على الفعل، والسلب على الإيجاب، والتنازل عن الحرية والاختيار[2]. التصوف هو الفقر، والصوفي هو الفقير. فيُحد التصوف بأحد مقاماته دون أخذ بالأسباب ثم بعد ذلك يأتي العلم[3]. الفقر بداية التصوف. والفقير ليس له حاجة عند الله. هو الذي لا يملك ولا يُملك. هو الاحتراز من الغني حتى لا يفسد. الفقر ماهية التصوف. ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف. الفقر هو أن لا يستغني الإنسان بشيء دون الحق. هو السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود[4]. والتصوف جامع للفقر والزهد وهما مقامان. وأحيانا يكون التصوف فوق الزهد وفوق الفقر. هو نهاية الفقر مع شرفه.

وقد ارتبط الجمال بالأخلاق. فالحسن الأخلاقي هو أيضاً الحسن الجمالي والقبح الأخلاقي هو أيضاً القبح الجمالي. فالصوفي يدرك القبيح ولا يعظم الحسن مع أن إدراك النقص يكون إدراكاً سلبياً للكمال. فالغياب حضور. وأقبح من كل

(1) القشيرية ص127.
(2) السابق ص127.
(3) اللمع ص46.
(4) «في ماهية التصوف»، عوارف المعارف جا/ 317-331.

قبيح صوفي شحيح. فالصوفي كريم مثل الله[1].

وتستعمل عديد من التشبيهات لتعريف التصوف لأنه تجربة وليس تصوراً، مشاهدة عيانية وليس مقولة ذهنية. الصوفي كالأرض يطرح فيها كل قبيح ولا تنتج إلا كل مليح، إتباع السيئة بالحسنة، ودفع الشر بالخير. وهي إحدى وصايا المسيح في «الموعظة على الجبل». التصوف أرض يطؤها البر والفاجر. ويتوقف الأمر على كيفية إخصابها. التصوف كالسحاب يظل كل شيء، كريم لا حدود لعطائه. التصوف كالقطر يسقي كل شيء، عطاء مستمر وليس ثواباً وعقاباً مقنناً[2].

وللمتصوفة آدابهم[3]. مما يجعل التصوف في البداية تصوفاً أخلاقياً لهم آدابهم في الوضوء والطهارات، وفي الصلاة وفي الزكوات والصدقات، وفي الصوم، وفي الحج، تجعل أحكام الشريعة أحكاما إنسانية أخلاقية عامة. وللفقراء آداب وأحكام في الحضر والسفر، وفي الصحبة، وفي مجاراة العلم، وفي الطعام والاجتماعات والضيافات، وفي السماع والوجود، وفي اللباس، وفي الأسفار، وفي بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب، وفيما فتح الله عليهم من الدنيا، وفي الاشتغال بالمكاسب والتصرف في الأسباب، وفي الأخذ والعطاء والرفق بالفقراء، وفي المتأهلين ومن له ولد، وفي الجلوس والمجالسة، وفي الجوع، وفي زيارة المرضي، وفي صحبة المشايخ وعطفهم عليهم، وفي ذكر المريدين والمبتدئين، ومن يتفرد ويختار الخلوة، وفي الصداقة والمودة، وعند الموت. فالتصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب[4]. هو آداب كل وقت. ولكل حال ومقام أدب.

وحتى يتبدد وهم أن التصوف ضد الشريعة كان من تعريفات الصوفية أنهم العلماء بالله وأحكامه، العاملون بعلمه، المتحققون بما استعملهم فيه، الواجدون بما تحققوا بما وجدوا حتى لا يفتي كل واحد بما وجد[5]. أصل التصوف ملازمة

(1) حمدون القصار، القشيرية ص127.
(2) الجنيد، السابق ص127.
(3) كتاب آداب المتصوفة ص194-282.
(4) القشيرية ص127.
(5) اللمع ص47.

الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات. وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء وبتأثيره في الانتهاء[1]. التصوف نوعان: صحيح وفاسد. الصحيح هو الشريعة والسلوك القويم. والفاسد هو البدعة والابتداع والرخصة. وأوائل بركة الدخول في التصوف تصديق الصادقين في الإخبار من أنفسهم عن مشاعرهم[2]. وهو ما يتنافي مع التحقق من الرواية، وافتراض صدق الراوي بلا برهان. وهو بداية التبعية والتقليد والعودة من علوم الدراية إلى علوم الرواية.

التصوف الخلق مع الخلق، والصدق مع الحق[3]. فأخلاق الذات تؤدي إلى توحيد الذات. والتصوف هو إثبات الذات والعكوف عليها[4]. وهو معنى إثبات الذات عند إقبال. ولا يعني إثبات الذات الغرور والترفع وطلب الكثير والعجب بالنفس[5]. الصوفي متفرد عن الخلق[6].

ب ـ **التصوف النفسي**. وهو المعنى الذي يبدأ من النفس لسلوك الطريق بداية بالوقت أي باللحظة، لحظة التوبة. واختيار التحول هو أن يكون الإنسان في كل وقت بما هو أولي به في الوقت[7]. التصوف علم لبواطن القلوب. فمن اعتني بظاهره فإن باطنه خراب. هو استرسال النفس مع الله على ما يريد، وتسليم الانقياد له. هو تخل عن الذاتية والمسؤولية الفردية، وثقة زائدة بالآخر. ومن لم ينظر في التصوف فهو غبي لأن التصوف هو عالم الشعور. هو ترك الفضول أي

(1) طبقات الصوفية ص488.

(2) السابق ص511.

(3) عوارف المعارف جـ2/ 365.

(4) الصوفية هم «القائمون بعقولهم على همومهم، والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بيدهم عن شر نفوسهم»، اللمع ص45.

(5) «للقبيح عندهم وجوه من المعاذير، وليس للكثير عندهم موقع فيرفعوك به فتعجب بنفسك»، السابق ص46.

(6) «تراني عيون الغيب أني مثلهم. ولو رأوني كيف صفتي في الغيب كانوا دهشاً»، شطحات الصوفية ص101.

(7) اللمع ص45، القشيرية ص127، طبقات الصوفية ص421-422.

شحذ الطاقة نحو غاية واحدة وعدم التشتت[1]. هو القوامية لله على النفس، وأن يكون الصوفي مع الله علاقة وتخل عن السببية[2]. الصوفي من سمع السماع وأنكر الأسباب. فمتي نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده[3].

التصوف هو «الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق»[4]. فالحقائق النازلة تستدعي ترك الحقائق الصاعدة. وهل العلاقة بين الحقائق الإلهية والحقائق علاقة تضاد وتناقض «إما . . . أو» أو علاقة تقابل وتماثل؟ ومن الذي سيدافع عما في أيدي الخلائق أو يحقق فيه العدل بين الناس؟

الصوفية قوم أعطوا حتى بسطوا، ومنعوا حتى فقدوا ثم نودي عليهم من أسرار قريبة بالبكاء عليهم[5]. وهي حالات القبض والبسط، والفقد والوجد، والحزن والبكاء، وتحويل تقلبات العالم الخارجي في الزيادة والنقصان إلى حالات شعورية. ولو خير الصوفي بين حالين لاختار الأحسن والأعلى. وهي أيضاً مقامات. فالتصوف نشر مقام واتصال بدوام[6]. التصوف إنامة على باب الحبيب وإن طرد عنه. والصوفي في مقام المحبة. وهو الحب المطلق من طرف واحد. وهو وصف القرب بعد كدورة البعد بناء على حالتي القرب والبعد[7]. الصوفي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء. وصل إلى حالة روحية تمحو إحساسات المنفعة والضرر، واللذة والألم[8]. فالطريق الصوفي بداية التصوف النفسي. وهو يدل على الطابع النفسي الدفاعي للتصوف.

والتصوف يؤخذ عنوة وليس صلحاً عن طريق الرياضة والمجاهدة. وهم جماعة مغلقة لا يدخل عليهم غريب[9]. وهو أيضاً «ذكر مع اجتماع، ووجد مع

(1) السابق ص127، طبقات الصوفية ص428.
(2) اللمع ص46، القشيرية ص127.
(3) طبقات الصوفية ص421-422.
(4) معروف الكرخي، اللمع ص46، القشيرية ص127.
(5) السابق ص127.
(6) اللمع ص45.
(7) القشيرية ص127.
(8) السابق ص127.
(9) السابق ص127.

استماع، وعمل مع إتباع». يشير إلى بداية الطريق الصوفي بالذكر الجماعي والسماع والعمل بالقدوة الصالحة[1]. فهو حلقة لأهله، مجتمع مغلق «أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم»[2]. وتتعدد الطرق الصوفية. ويختلف المشايخ فيما بينهم. فمازال الصوفية بخير ما تنافروا. فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم[3]. خلاف الصوفية رحمة بينهم مثل خلاف الأئمة، مما يشير إلى أهمية التعددية والطرقية[4]. ومن صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك. ولماذا لا يصاحب الإنسان فريقاً بنفس وقلب والتزام ليحقق قصداً مشتركاً؟

هو مجرد طريق إليه طريق التوكل والزهد، والشكر والصبر. والرضا والورع والقرب والبعد من المقامات والأحوال. وهناك ألفاظ أخرى لم تتحول إلى مصطلحات مثل الحجا والنهي، والرقدة والهبة، والبلاغة والعي، والتخنيق والتنفيس، والتكدير والتخليص[5]. والغالب على الكل الثنائيات المتعارضة. الأهبة هي العزيمة، ولكن بقي لفظ العزيمة وسقط لفظ الأهبة[6]. التصوف إخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح أحوال الباطن. هو الصبر تحت الأمر والنهي دون اعتراض وتحويل الوحي إلى قهر بدلاً من حرية اختيار وإلى فرض بدلاً من طبيعة[7]. طريق التصوف الخلقي، والتصوف النفسي، الرياضات والمجاهدات، أشياء يشعر بها الإنسان بنفسه ويحصل عليها بجهده ويحمد الله عليها[8]. الصوفي

---

(1) الجنيد، السابق ص127.

(2) السابق 127.

(3) السابق ص127.

(4) طبقات الصوفية ص181-182.

(5) السابق ص515-517.

(6) «أتدري ما الأهبة؟ هي أن تجدد العزيمة في نفسك من قاذورات هذه الدنيا، ثم تصل العزيمة بالصريمة في الصبر على واردات البلوي. ثم تطهر بباطنك نفسك، ثم تستتر بباطنك لظاهرك، ثم تعتمد إلى الحق معتقدا، وتثابر على العمل معتمدا»، السابق ص245.

(7) السابق ص454.

(8) «قد سمعت فنوناً من القول في المعرفة والتوحيد، والتوكل والزهد، والعبادة والوجد، والشكر والصبر، والوسوسة والخطرة، والدعاء والمناجاة، والتفويض والتقييض، والرضا والسخط، والورع والتقي، والحجا والنهي، والرقدة والهبة، والمراد والمريد، والصلاح والفساد، والسر والجهر، والقرب والبعد، والانبساط والانقباض، والإقدام والإحجام، =

هو من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن. فالتصوف طلب الكمال والرقي[(1)]. هو «إسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة» أي التحول في القصد من العلن إلى السر، ومن العالم إلى الله، ومن الدنيا إلى الآخرة كشرط لسلوك الطريق[(2)]. وحتى الكلاب لا تنظر إلى أرواح من لم يسلك الطريق[(3)]. والصوفي يكون مع الواردات لا مع الأوراد. فالأوراد والأذكار والرياضات والمجاهدات في البداية حتى ترد اللوامع والهوامع على النفس[(4)]. الصوفي المصطلم بما لاح من الحق، من علوم الذوق[(5)]. والتصوف نور شعشاني رمقته الأبصار فلاحظها[(6)]. هو استقامة الأحوال مع الحق[(7)].

جـ ـ التصوف الفلسفي: والتصوف أيضاً قول في المعرفة والتوحيد. أرفع العلوم في التصوف علم الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف عن الاختلاف. التصوف الفناء عن الذات والبقاء بالله «أن يميتك الحق عنك، ويحييك بك»[(8)]. والموت عن الذات فناؤها، والإحياء بالله بقاؤها بقواها الذاتية. ثمن التصوف الفناء فيه ثم البقاء فيه إلى الأبد لأن الفناء عن الحس بقاء بمشاهدة المطلوب إلى الأبد. يعني الفناء في التصوف الإخلاص له، والبقاء للمشاهدة، رؤية الذات في الموضوع، والموضوع في الذات[(9)]. الصوفي «من يرى دمه هدراً وملكه مباحاً»[(10)]. فهو شهيد العشق الإلهي، يفعل الله فيه ما يشاء بعد أن يتخلى عن إرادته وحرية اختياره ويسقط تدبيره. «الصوفية أطفال في حجر الحق». وهو ما

= والبلاغة والعي، والرياء والإخلاص، والتحقيق والتلبيس، والتخنيق والتنفيس، والتكدير والتلخيص»، التوحيدي: الإشارات الإلهية ص227.

(1) القشيرية ص127.

(2) السابق ص128.

(3) السابق ص128.

(4) السابق ص128.

(5) السابق ص128.

(6) طبقات الصوفية ص357، الرسالة ص128.

(7) طبقات الصوفية ص511.

(8) الجنيد، القشيرية ص126.

(9) طبقات الصوفية ص412.

(10) التستري، القشيرية ص127.

يعني إسقاط التدبير[1]. التصوف ترك التكليف وبذل الروح.

التصوف جلوس مع الله بلا علاقة أي بالاندماج المطلق فيه[2]. والصوفي هو المشير عن الله، والدليل عليه[3]. هو نعت يقيم الإنسان فيه ونعت للحق حقيقة[4]. هو واسطة بين العبد والرب ليس بشخصه بل لصفاته[5]. هو شفيع بيد الخلق. وأحيانا أخرى يرفض الصوفي أن يكون واسطة بين الخالق والمخلوق حتى لا ينشغل بالمخلوق عن الخالق كما يفعل الغافل[6]. الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق[7]. التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً. ولا يكون له قبول عند الخلق. ويكون مرجعه في كل الأحوال إلى الله. الصوفي هو ما سماه الحكماء المتوحد. والطريق الصوفي هو «تدبير المتوحد». وتعني ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ إبعاده عن كل غير. وهي أنانية لا تجوز على الله. وماذا يبقى منه في العالم؟ ومن الذي سيعمره ويستخلف فيه؟ وإذا كان الصوفي لن يراه فلماذا التقريب إلى هذا الحد وعدم بلوغ المنتهي؟ الصوفية أثرة الله في خلقه، يظهرها أو يخفيها[8].

الصوفي وحداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل هو أحداً، ذاتية فريدة. فالأنا تساوي الأنا قبل الأنا تختلف عن الآخر. فقانون الهوية سابق على قانون الاختلاف[9]. المتناهي في حاله يتوقي كل شيء، ويدخل في كل شيء، ويأخذ من كل شيء، ولا يسترقه شيء، ولا يؤخذ منه شيء[10]. وإذا كان «التصوف

(1) طبقات الصوفية ص158.

(2) الشبلي، السابق ص127.

(3) أبو منصور، السابق ص127.

(4) شطحات الصوفية ص167.

(5) «ليس بي يتمسحون لكن يتمسحون بحلية حلانيها ربي فكيف أمنعهم من ذلك وذلك لغيري؟ شطحات الصوفية ص99. «وقع في خاطري أن استقبلك وأتشفع إلى ربي بك»، السابق ص206.

(6) «إلهي، الخلق لك، وأنت مالكهم، مالي والتكلف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة»، السابق ص146.

(7) الشبلي، القشيرية ص127.

(8) اللمع ص46.

(9) الحلاج، القشيرية ص127.

(10) طبقات الصوفية ص436.

عصمة عن رؤية الكون»[1]. فمن الذي سيمكث فيه ويعمره ويصبح خليفة الله في أرضه؟ وإذا كان التصوف انقياداً للحق فمن الذي سيدحض الباطل؟ هي علاقة مباشرة مع الله، أن يكون الإنسان مع الله بلا علاقة، استرسال النفس مع الله على ما يريد[2]. التصوف هو إيثار الله على كل شيء وإيثار الله له على كل شيء[3]. فهو وحدانية مطلقة بين الطالب والمطلوب، والراغب والمرغوب. الصوفي لا تقله أرض ولا تظله سماء فالله يرعاه. ولأنه أصبح مثلاً أعلى في كل مكان، تحول من الشخص إلى الكون، ومن الجزء إلى الكل[4].

التصوف «حال تضمحل فيه معالم الإنسانية» وهي حالة الفناء. فمن الذي يبقى؟[5]. هو يرقة محرقة حتى ولو حرق نفسه. التصوف الإعراض عن الاعتراض[6]. وهو ما تحاوله النظم السياسية التي تقوم على القهر والتسلط ضد المعارضة. والصوفي لا يوجد بعد عدمه، ولا يعدم بعد وجوده. فقد تحول إلى سلب مطلق بلا حركة أو انتقال من الوجود إلى العدم سلباً أو من العدم إلى الوجود إيجاباً[7]. هو السكون عند العدم والإيثار عند الوجود. يفنى عن نفسه ولا يبقى. وكيف يكون إيثاراً وهو غير موجود؟[8]. وجده وجوده، وصفاته حجابه. هو الوجود المتجلي. صفاته سلب وهو الحجاب. إن وصف جمد، وإن تخلى كشف. فهي وصف الله. فإن كل ما خطر بالبال فالله على خلافه. وإن لم يصف كشف له الحجاب ووقع في مغامرة الشطح[9]. الصوفي «مقهور بتصريف الربوبية، مستور بتصرف العبودية». فالربوبية قهر والسلطة السياسية قهر. والقهر الديني والقهر السياسي قرينان. والإنسانية مجرد ستار يخفي القهر والتسلط. ولماذا لا تكون الربوبية تحرراً بفعلى النفي والإثبات في «لا إله إلا الله»، وتكون الإنسانية

(1) المزين، القشيرية ص127.
(2) اللمع ص45.
(3) السابق ص46.
(4) السابق ص48، القشيرية ص127.
(5) أبو يعقوب المزايلي، السابق ص128.
(6) أبو سهل الصعلوكي، السابق ص128.
(7) طبقات الصوفية ص491، القشيرية ص128.
(8) السابق ص128.
(9) طبقات الصوفية ص491.

حقيقة رافضة لستار العبودية؟ والصوفي لا يتغير. فإن تغير لا يتكدر[1]. الصوفي في حالة من السكون الدائم أشبه بالنرفانا الهندية، ولا يتأثر بالتغير، لا سلباً ولا إيجاباً. لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سلب. ومع ذلك التصوف اضطراب. فإذا وقع سكون فلا تصوف. فالروح مجذوبة إلى الحضرة الإلهية. التصوف حركة وحياة وقلق. السكون في الفلسفة وفي العقائد .وليس في التصوف الذي يبحث عن معنى الحياة، والأصول التي تحقق مصالح الناس المتغيرة. الصوفي لا ينزعج في انزعاجه. ولا يقرر في إقراره. الصوفي في حركة مستمرة لا يسكن له قرار[2].

التصوف صفة الحق يلبسها العبد[3]. ومع أن التصوف هو الإشكال والتلبيس والكتمان إلا أنه مذهب كله جد، ولا يخلط بشيء من الهزل مثل الخزعبلات أو ادعاء الجنون باسم الولاية[4]. الصوفي لا يطلب صفة تعينه إذا ضعف بل يطلب الولاية الروحية[5]. التصوف طرح النفس في العبودية ومن الصعب التمييز بين العبودية لله والعبودية لغيره طالما أن العبودية هي البنية النفسية للإنسان. وتعليق القلب بالربوبية هو إخراج الذات عن ذاتها، وتعليق وجودها على غيرها. واستعمال كل خلق سني هو العودة بالتصوف إلى المرحلة الخلقية، والنظر إلى الله بالكلية بداية لوحدة الشهود.

وقد يكون تعريف التصوف شاملاً الخلقي والنفسي والفلسفي في آن واحد، تصفية القلب من الأكدار وهو التعريف العملي، والخروج من رق الصفات الإنسانية وهو التعريف بالحقيقة، والتحلي بالصفات الإلهية وهو التعريف بالحق[6]. أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة. فالإبداع جماع العلم والعمل.

---

(1) السابق ص128.

(2) السابق ص489.

(3) شطحات الصوفية ص110.

(4) «طرح النفس في العبودية، وتعليق القلب بالربوبية، واستعمال كل خلق سني، والنظر إلى الله بالكلية» السابق ص138.

(5) السابق ص184.

(6) «بشرط العلم، وهو تصفية القلوب من الأكدار، واستعمال الخُلق مع الخليقة، وإتباع الرسول في الشريعة. وجواب بلسان الحقيقة وهو عدم الأملاك، والخروج من رق الصفات والاستغناء بخالق السماوات. وجواب بلسان الحق، أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم، وصفاهم من صفاتهم»، اللمع ص48.

3 ـ من هم الصوفية؟

وقد نشأ التصوف نشأة داخلية محضة من القرآن والحديث في ظروف نقيضة لما تدعو إليه النصوص. فنشأ التصوف كرد فعل عليها[1]. الفضيلة في مقابل الرذيلة، والنفس في مقابل البدن، والآخرة بدلاً من الدنيا، والله بديلاً عن العالم. فللصوفية فضائل كبري. فهم أحق الخلق بحقائق التقوى، وأحوج العباد إلى الزهد، وأعلم الناس بالعمل والخواطر وعلم الباطن والإخلاص والوقت والحال والحلال والفقه والأمر والنهي والتوحيد. ثم يكرمون بخوارق العادات. هم أعلم الناس بالنفس وأهوائها، والمقامات والأحوال والمحاسبة والمراقبة والإنابة[2]. هم الذين أحيوا السنة وصفوا أنفسهم من مغانم الدنيا. سلكوا طريق المشايخ والمريدين. وهو ليس طريق المجاذيب ولا المجتهدين. الأول تنكشف له الحقائق ولا يجتهد فيها. والثاني يجتهد في الحقائق دون أن تنكشف له[3].

والمتشبه بالصوفي له معنيان. إيجابي بالمحبة، وسلبي بالادعاء. فالإنسان مع من أحب وهو المعنى الإيجابي للمتشبه بالصوفية من أجل سلوك طريقهم. أوله إيمان ثم علم ثم ذوق. والمتشبه في أحد مراحل الطريق. المتشبه صاحب إيمان، والمتصوف صاحب علم. وهو الفرق أيضاً بين الصوفي والمتصوف، بين العالم والمتعلم، بين الفيلسوف والمتفلسف. الصوفي في مقام المتفردين، والمتصوف في مقام السائرين. الصوفي في مقام الروح، صاحب مشاهدة. والمتصوف في مقاومة القلب صاحب مراقبة، والمتشبه في مقاومة النفس وصاحب مجاهدة ومحاسبة. تلوين الصوفي بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه. والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سالك[4].

والصوفي إن نطق ينطق عن الحقائق. وإن سكت تكلمت عنه الجوارح بقطع العلائق. فالتعبير بالقول والفعل[5]. والتصوف خلو الأسرار مما عنه بد، وتعلقها

(1) «في ذكر منشأ علوم الصوفية»، عوارف المعارف جا/ 221-239.

(2) «بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها»، السابق ص263-302.

(3) «شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم»، السابق ص302-317.

(4) «ذكر المتصوف والمتشبه به»، السابق ص345-359.

(5) ذو النون، طبقات الصوفية ص19.

بما ليس منه بد[1]. ويلزم الصوفي حفظ السر وأداء الفرض وصيانة الفقر، ثلاث متطلبات تجمع بين الشريعة والأخلاق والباطن[2]. والقعود مع كل طبقات الناس أسلم من القعود مع الصوفية. فإن الخلق قعدوا على الرسوم، والصوفية قعدوا على الحقائق. طلب الخلق ظواهر الشرع، وطالب الصوفية أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق. فمن قعد معهم، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه. عظمت فيهم البلية. واستحكمت عليهم الفتنة، فاستصغروا كل مقام، وعزب عنهم التدبير والنظام. يبذل الصوفية الروح. ومن أراد الدخول معهم فليفعل فعلهم. التصوف هو التبري عمن دونه، والتخلي عمن سواه[3].

حال الصوفي أن دينه هواه، وهمته شقاه، ليس بصالح تقي ولا عارف تقي[4]. ما فطنت إلا هذه الطائفة واحترقت بما فطنت[5]. الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن[6]. ولماذا لا تتخارج الحرية من الداخل إلى الخارج؟ الصوفي من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفاً، وعلت همته عن الآخرة، وسخت نفسه بالكل طلباً وشوقاً إلى من له الكل[7]. الصوفي هو من يشق طريقه بعيداً عن الدنيا والآخرة، طريق النفس والقصد والغاية. هم الرزق قائم في قلب كل صوفي. ولزوم العمل أقرب إلى الله. وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يظل قوياً عند زوال الدنيا، والثقة بما في يد الله أكثر من الثقة بما في يده[8]. فالصوفي أقرب إلى البطل منه إلى الشخص العادي. هم أصحاب الأخلاق المرضية[9]. والصوفية يحسنون الاستماع للوحي دون الوسواس من النفس الأمارة بالسوء والحظوظ العاجلة وأهواء الدنيا من أجل تصفية النفس وطاعتها والاستجابة لأربعة مطالب:

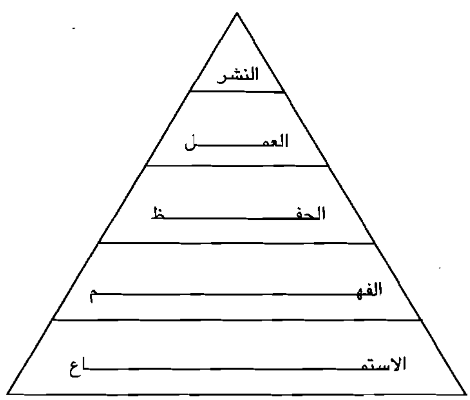
(1) أبو العباس بن مسروق الطوسي، السابق ص239.
(2) التستري، السابق ص208.
(3) علي بن سهل الأصبهاني، السابق ص235.
(4) رويم بن أحمد البغدادي، السابق ص184.
(5) أبو عبد الله المغربي، السابق ص245.
(6) أبو بكر الكتاني، السابق ص375.
(7) أبو بكر الكتاني، السابق ص377.
(8) أبو الحسين بن بنان، السابق ص389.
(9) مظفر القرميسيني، السابق ص396.

التوحيد، والتحقيق، والتسليم، والتقريب. فالاستجابة على قدر السماع من حيث الفهم. والفهم على قدر المعرفة والعلم بمقاصد المتكلم. ووجوه الفهم لا نهاية لها مثل وجوه الكلام. فأول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر، خمس درجات[1].

علامة الصوفي أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولي به من غيره، معصوماً عن المذمومات[2]. هو المتوحد الذي يحشد طاقاته نحو غاية واحدة. وبهذا المعنى لا ينشغل بما يبدد طاقاته إلا في لحظات الضعف البشري والثقل الوجودي. الصوفي بربه والزاهد بنفسه[3]. مع أن الصوفي أيضاً قد يكون بنفسه والزاهد بربه. فالزهد أحد مقامات التصوف[4]. التصوف ينفي عن صاحبه البخل كما تنفي كتب الحديث عن صاحبها الجهل. فإذا اجتمعا في شخص واحد فهو النبيل. فالنبل يجمع بين العلم والكرم[5].

الصوفية متفقون في الوحدانية في الجملة قولاً، متفرقون في الوصول إليها معاينة ومنازلة[6]. وكل واحد استحق اسم ما ظهر عليه من حاله الذي هو به

(1) عوارف المعارف جا/ 239-263.



(2) أبو بكر محمد بن داود الدقي، طبقات الصوفية ص448.
(3) السابق ص495.
(4) السابق ص500.
(5) السابق ص503.
(6) بندار بن الحسين الشيرازي، طبقات الصوفية ص467/ 469.

موصوف بعد اتفاقهم في الوجدانية قولا مثل: مجتهد، زاهد، عابد، خائف، راج، غني، فقير، مريد، مراد، صابر، راض، متوكل، محب، مستهتر، مستأنس، مشتاق، واله، هائم، واحد، فان، باق ...الخ. وقد تجتمع الأحوال في واحدة ويسمي بما عليه الجميع[1].

الصوفية هم أهل السنة والجماعة. هم الفرقة الناجية. فعقود القلب من السنة المجتمع عليها. والمتكلمون: المعتزلة والمرجئة والحرورية والخوارج هم الفرق الضالة الهالكة. وهم الذين ابتدعوا قضية خلق القرآن والتحكيم بوضع المصاحف على السيوف، والصلة بين الإيمان والعمل. وكلها نبعت بالعراق. ومنه طلع قرن الشيطان، وظهرت فيه الفتن. وفي العراق أيضاً ظهر التصوف في البصرة عند رابعة والحسن، وفي بغداد عند الحلاج[2]. والمغالون مجاوزون للسنة والآثار. والمبطلون مدعون بالرأي والقياس. والجاهلون الشاطحون من المتصوفة الضلال.

4 ـ الأولياء والفتيان والملامتية والشطار والظرفاء والبهاليل

النبوة للأنبياء، والولاية للأولياء. الأنبياء للمشاهدة، والأولياء للمجاورة، والصالحون للملازمة، والعوام للمجاهدة[3]. أرواح الأنبياء في حالة الكشف والمشاهدة. وأرواح الصديقين في القربة والاطلاع[4]. ويسمع الصوفي صوت الله الداخلي، هاتفاً باطنياً، إلهاماً لا وحياً مباشرة ودون واسطة. من كان لله مطيعاً كان الله له ولياً يثق بالله ويحكم عليه ولاستجاب لسؤاله حتى لو كان زوال الدنيا[5]. فالله يأخذ الصوفي ولياً. والصوفي يأخذ الله ولياً. فالولاية متبادلة.

اطلع الله على قلب أوليائه. فمن لم يصلح منهم للمعرفة شغله بالعبادة[6]. فالعبادة أقل من الولاية. ومن صفات الأولياء، الثقة بالله في كل شيء، الغني به

(1) أبو بكر الطومستاني، السابق ص474.
(2) قوت القلوب جـ2/ 259-260/ 262-273.
(3) طبقات الصوفية ص269.
(4) السابق 318.
(5) ذو النون، السابق ص19.
(6) البسطامي، السابق ص71.

عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء[1]. والسؤال: ألا توجد مرجعية أخرى يمكن استعمالها كمقياس للصدق؟

بُسط بساط المجد للأولياء ليأنسوا به وليرفع عنهم حشمة بديهية المشاهدة. وبساط الهيبة بسط للأعداء ليستوحشوا منه قبائح أفعالهم. فلا يشاهدوا ما يستروحون منه إليه في المشهد الأعلى[2]. الولي من يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه[3]. وإذا زاد الله في الولي ثلاثة زاد منه ثلاثة. إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

أبى المليك إلا اختيار الأولياء ومتعرضاً لهم بأعدائه. ويختبر في قربه بعدوه لمعرفة صبرهم عليه. فإن صبروا على بلوي الأعداء جلّلهم بالعلم، وحباهم بالوصل، وأسكنهم في جواره، ونعّمهم بمشاهدته، ولذذهم بذكره، وأوصلهم بمعرفتهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم، ونجاة لعباده ورحمة لهم في أرضه، وجعل محبتهم في قلوبهم، وأنسهم في رؤيتهم، وحلاوة في قلوبهم[4]. ولا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله. ولا يقدر الولي إلا الولي. في حين ينكر الولاية الجهال في قلوبهم لضيق الصدور من الصادر، وبعد العلوم عن موارد القدرة. والاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله[5].

والولي لا يسمي نفسه ولياً ولا يشير إلى سمة يتبسم بها لأن من شروطه عدم تعرف الآخرين عليه. الولي لا يفشي سره مباشرة أو على نحو غير مباشر كأن يظهر فقره وزهده. وأفضل عمل رعاية السر، وعدم الالتفات إلى شيء سوى الله[6]. وهو في ستر حاله أبداً. والكون كله ناطق من ولايته. والمدعي ناطق به. والكون كله ينكر عليه[7]. الولاية كالنبوة بها صدق وادعاء. الأولياء أسرار نعم الله. والأصفياء رهائن كرمه. والأحباء عبيد منته. فهم عبيد محبته لا يُعتقون،

(1) أحمد بن خضرويه، السابق ص103/ 106.
(2) أحمد بن أبي الورد، السابق ص250-251.
(3) محمد بن أبي الورد، السابق ص250.
(4) أبو عثمان المغربي، السابق ص480-481.
(5) السابق ص282.
(6) السابق ص103/ 106.
(7) السابق ص318.

ورهان كريم لا يفكون وأسرار نعم لا يطلقون. فالولي عبد وأسير ورهين[1]. الولاية فضل. وكما أن لأهل الفضل فضل لم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم فكذلك لأهل الولاية ولاية لم يروها. فإذا رأوها فلا ولاية لهم[2]. فالفضل والولاية من الأسرار، من عالم اللاشعور.

وعلامة الأولياء أن تكون همومهم لله، وشغلهم فيه ومزارهم إليه[3]. وعلامتهم أيضاً خوف الانقطاع عنه لشدة في قلوبهم من الإيثار له والشوق إليه[4]. وعلامة الولاية ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة[5]. والحرص على استمرار الولاية غرور. فلم يحرص الأنبياء على استمرار النبوة.

من نظر إلى ولي فقبله وأكرمه أكرمه الله على رؤوس الأشهاد[6]. فالولي لله. ومن والاه فقد والي الله. وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله مما يحبون. محبة أولياء الله دليل على محبة الله. والله لا يحتاج إلى واسطة في محبته. وقد عجل الله لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه. وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم وأجزل نصيبهم من كل شيء، أبدانهم من الجنانيين وأرواحهم من الربانيين. فالأولياء أصحاب مصلحة مزدوجة في الدنيا والآخرة، في البدن والنفس. ولهم لسانان، واحد يعرفون به الصنائع الإلهية، وواحد في الظاهر يعرفون به علم المخلوقين. لسان الظاهر يكلم الأجساد ولسان الباطن يناجي الأرواح[7]. ويُعرف الأولياء في الخلق بلطف لسانهم، وحسن الأخلاق، وبشاشة الوجوه، وسخاء الأنفس، وقلة الاعتراض، وقبول الأعذار، والشفقة على الخلائق، برهم وفاجرهم[8].

وكما يظهر للأنبياء معجزات وآيات، للأولياء كتمان كرامات حتى لا يفتن

(1) السابق ص110.
(2) شاه الكرماني، السابق ص193.
(3) السابق ص90.
(4) السابق ص418.
(5) السابق ص254.
(6) الجنيد، السابق ص162.
(7) أبو سعيد الخراز، السابق ص229.
(8) السابق ص415.

الناس بها[1]. الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات. والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق. فالكرامات والدرجات عندهم وحشة[2]. الأنبياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة[3]. الولي من أيد بالكرامات وغُيّب عنها. فالكرامة علامة الولاية[4]. ومن عامل الله على رؤية ما سبق منه إليه مشى على الماء أو في الهواء فليس بشيء من الله بعجيب. ومن تأدب بآداب الصالحين يصلح لبساط الكرامة، وبآداب الأولياء يصلح لبساط القربة، وبآداب الصديقين يصلح لبساط المشاهدة، وبآداب الأنبياء يصلح لبساط الأنس والانبساط[5] تظهر الكرامات على من عامل الله على رؤية السبق[6]. من أظهر كراماته فهو مدع ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولي. فالكرامة تظهر طبيعية لا صنعة. آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يُسخط العوام عن مجاري المقدور. مع أن العوام تعشق كرامات الأولياء لأنها من صنع خيالهم. وتتعدد مستويات الكرامة. فالطيران في الهواء أفضل من المشي على الماء[7]. وقد أعار الله بعض أخلاق أوليائه إلى أعدائه ليستعطف بهم على أوليائه، وكأن الله يلجأ إلى التحايل ويعير الصفات من شخص إلى آخر وكأن الصفات غير ذاتية[8].

ومع الولاية هناك الفتوة. فالفتى معنى آخر للصوفي، والفتيان للصوفية، والفتوة للتصوف. ليست الفتوة فقط إسقاط الرؤية وترك النسبة ولكنها أداء

(1) أبو عمرو الدمشقي، السابق ص277.
(2) التستري ص213.
(3) السابق ص321.
(4) السابق ص121.
(5) السابق ص270.

الأنبياء	الأنس
الصديقون	المشاهدة
الأولياء	القربة
الصالحون	الكرامة

(6) أبو الحسين بن بنان، السابق ص390.
(7) السابق ص351.
(8) أبو سعيد بن الأعرابي، السابق ص429.

الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. وهي زيادة على آدم وذريته. تؤخذ من الاستعمال والمعاملة وليس من النطق. وتعرف بالممارسة وليس بالتعريف. ومن علامة الفتى أن يري الفتيان ولا يستحي منهم في شمائله وأفعاله. الفتوة أن تنصف ولا تنتصف[1].

الفتوة عذر الإخوان في الزلات وعدم معاملتهم بما يوجب الاعتذار[2]. الفتوة إذن هي الشهامة. هي احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين. تقوم على إنكار الذات والتضحية بالنفس في سبيل الآخر[3]. من النفاق لبس لباس الفتيان دون حمل أثقال الفتوة. الفتوة رؤية أعذار الخلق وتقصير الذات، وتمامهم ونقصانها والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو عدم الانشغال بالخلق عن الله[4]. الفتوة رؤية فضل الناس بنقصان الذات[5]. هي سمة التواضع، وعدم رؤية الإنسان زيادة فضل له على غيره. هي فضيلة دون رؤية النفس فيها. الفتي من لا خصم له ولا يكون هو خصماً لأحد. بل الخصومة لله على النفس. الفتوة كف الأذي وبذل الندي والمسالمة لدرجة عدم منافرة الفقير ومعارضة الغني وهما ضروريان للتغير الاجتماعي. الفتى من كسر الصنم مثل إبراهيم، وتكسير الأصنام رمز للقضاء على الضلال الديني والانحطاط الخلقي والفساد الاجتماعي. كما أن الفتوة عدم الهروب من المسائل وعدم الاحتجاب من القاصدين[6].

وهي الستر على عيوب الأصدقاء حماية لهم من شماتة الأعداء. وهي من طباع الأحرار. واللؤم من شيم الأنذال[7]. الفتوة واللؤم نقيضان مثل الشهامة والخسة، البطولة والجبن. التصوف هو الحرية والفتوة، وترك التكلف في السخاء، والتظرف في الأخلاق، والعودة إلى الطبيعة. الفتوة حفظ السر مع الله على

---

(1) أبو حفص النيسابوري، السابق ص117-118.
(2) رويم بن أحمد البغدادي، السابق ص183.
(3) السابق ص436.
(4) أبو عبد الله السجزي، السابق ص255.
(5) أبو عبد الله المغري، السابق ص511.
(6) القشيرية ص103-105.
(7) شاه الكرماني، طبقات الصوفية ص193.

الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخُلُق[1]. الفتوة هي حسن العلاقة مع الله والبشر على مستوى الأخلاق. هي الإيمان بالله بلا واسطة. أصل الفتوة الحفاظ، والشكر، والصبر، والرضا[2]. وبعضها أخلاق وبعضها مقامات. الفتوة ما عليه الأنصار، الفتوة العملية، إيثار الآخر على النفس[3]. هي الإيثار مع العطاء، والشكر مع المنع، إظهار النعمة وأسرار المحنة. الفتوة حسن المراعاة، ودوام المراقبة، واتحاد الظاهر والباطن. والفتى من يخالف هواه، ومن يترك ما يهوى لما يخشى[4]. الفتوة حسن الخلق وبذل المعارف لمن تبغضه، وبذل المال لمن تكرهه، وحسن الصحبة مع من ينفر القلب معه. هي حالة العطاء المستمر، ومقابلة الإساءة بالإحسان، الإقبال على الناس دون مقابل. تتضمن الفتوة المروءة والشهامة وربما البطولة. الفتوة إتباع السنة والتقاليد وعدم الخروج عن المعروف.

وللفتوة علامات ثلاث: وفاء دون حلف، ومدح بلا مقابل، وعطاء بلا سؤال[5]. وهي وفاء دون حفاظ. فالفتوة عدم الادخار وعدم الاعتذار أي مناقضة بالبخل والتنصل. وتتحدد الفتوة سلباً كما تتحدد إيجاباً. فليس من الفتوة الربح على الصديق لأن ذلك ضد المروءة، وصب النساء الماء على أيدي الرجال لأن ذلك ضد الشهامة. واستخدام الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة لأن ذلك ضد الأريحية. الفتوة دعوة عشرة وعدم التغير إذا حضر واحد أو أحد عشر. والفتى من لا يميز عند من يأكل عنده بين ولي أو كافر. ويستوي عنده المقيم والطارئ. الفتوة ترك التمييز بين الناس وتفضيل أحد على آخر. ليست فقط أخلاقاً فردية بل هي أيضاً عادات اجتماعية وخصائص للشعوب مثل اشتهار الشام بالفتوة، والعراق باللسان، وخراسان بالصدق[6].

والملامتية من نفس روح الفتوة. فالملامتي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً.

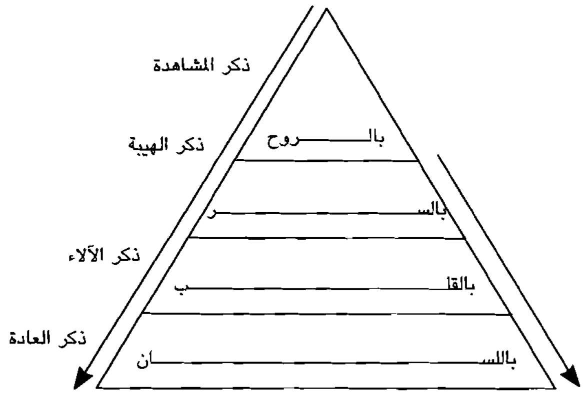
(1) محمد بن الفضل، السابق ص216.
(2) أبو الحسين الوراق النيسابوري، السابق ص301.
(3) عوارف المعارف جـ3/ 36.
(4) أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية ص461.
(5) معروف الكرخي، السابق ص89.
(6) القشيرية ص104-105.

ويخفي حاله على وجهين لتحقيق الإخلاص والصدق ولستر الحال عن غيره. يرى كتم الأحوال والأعمال. ويستوحش من ظهورها. ولا يكون لأهل الملامة دعوى على أحد وليس لديه ما يدعيه[1]. الملامتي يخرج الخلق من عمله وحاله. وإن أثبت نفسه فهو مخلص. والصوفي أيضاً أخرج نفسه من عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص. وشتان بين المخلص والخالص والمخلص. والفرق في رؤية الإخلاص. الملامتي يتمسك بالإخلاص ويعظم موقعه لديه. والصدق أصل والإخلاص فرع. الملامتي مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه. وهو الفرق بين الملامتي والصوفي. يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي. الملامة خوف القدرية ورجاء المرجئة[2].

عند الملامتية الذكر على أربعة أقسام: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالسر، وذكر بالروح. ذكر الروح يشمل السر والقلب واللسان وهو ذكر المشاهدة. وذكر السر يشمل ذكر القلب واللسان وهو ذكر الهيبة. وذكر القلب يشمل ذكر اللسان وهو ذكر الآلاء. وذكر اللسان بمفرده هو ذكر العادة[3].

وكما يوجد الفتوة والملامتية يوجد أيضاً الشطار. فالشاطر من شطرت نفسه

(1) طبقات الصوفية ص456.
(2) السابق ص129.
(3) «ذكر الملامتي وشرح حاله»، عوارف المعارف جـ1/ 359-373.



عن الباطل[1]. والظرفاء مع أهل الفتوة وأهل الملامة. الظريف هو الخفيف على ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله من غير تكلف[2]. والصوفية هم أيضاً البهاليل[3]. والبهلول أشبه بجحا، ظاهره غير باطنه. ظاهره البلاهة، وباطنه الحكمة. ظاهره الجنون، وباطنه العقل[4]. وكلهم «أولاد البلد» و«الجدعان».

5 ـ الحروف والأسماء

اللسان ليس هو العضو الذي في الفم أو اللغة بل هو البيان عن علم الحقائق. علم البلاء لسان. وعلم بلاء البلاء سنان. لسان العلم ما تأدى إلينا بواسطة. ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطة. ولسان الحق لا يأتي إلا بالكشف[5]. اللغة حرف واسم ولفظ ومنها تتكون العبارة. وكلها أفعال. الحرف فعل. والاسم فعل، واللفظ فعل. والحروف ليست مسموعة أو مكتوبة فقط في تكوين الألفاظ بل هي حركات وسكنات في العالم. تكوّن الأسماء الحسنى. فهي أكثر من حروف صوتية أو خطية[6]. ولكل حرف حد في التلاوة. ولا يجاوز المسموع في التفسير المنقول[7]. هي حروف المعجم لأن لها معنى في المعاجم[8]. وهي في حاجة

---

(1) طبقات الصوفية ص182.

(2) السابق ص460.

(3) «في البهاليل وأئمتهم في البهللة»، الفتوحات جا/ 247-250.

وكن كالبهاليل في حالهم مع الوقت يجرون كالعاقل

السابق ص247.

(4) وهو معنى آية ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، وحديثي «زملوني، زملوني»، «دثروني، دثروني».

(5) اللمع ص430.

(6) «في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم ومالها من الأسماء الحسنى ومعرفة الكلمات، ومعرفة العلم والعالم والمعلوم»، الفتوحات جا/ 51-92.

(7) عوارف المعارف جا/ 355.

(8) «في معرفة الحروف ومراتبها والحركات وهي الحروف الصغار وما لها من الأسماء الإلهية»، الفتوحات جا/ 51-84.

إن الحروف أئمة الألفاظ شهدت بذلك ألسن الحفاظ

السابق ص51.

إلى ترجمة لتعدد الألسنة[1]. الحروف لغات وتصريف وتفرقة وتأليف، موصول ومقطوع ومبهم ومعجم وأشكال وهيئات[2]. الحروف من حيث الشكل منكوسة وأفقية ومستقيمة أي رأسية والغرض من ذلك إظهار «لمع ولوائح وإشارات من أسرار الوجود»[3]. والوجود في الذات[4].

الحرف نطق، والهم صمت[5]. والله قريب من الحرف إن نطق، وبعيد عنه إن صمت[6]. فالله رب الحروف والمحروف فليس لها منه مجال. وهو مرقب الحرف والحروف فليس لها عن فعله مدار. وللحرف حكم أودعه الله. وللمحروف حكم وصفه الله. ويكون التأويل هو التطابق بين الحكم المودع مع الحكم الموضع، والرجوع إلى الله لتنفيذ ما حكم[7]. وسواء ثبت الحرف أو عارضه فلا الإنسان من الله ولا الله من الإنسان[8]. فالتأويل مازال درجة من درجات القرب دون الوصول. والخروج من بين الحروف ينجي من السحر. ثم يسقط الحرف، وتهدم الدنيا والآخرة، ويحترق الكون كله، ويبقي الرب بمفرده. فاللغة مرتبطة بالتخاطب في الدنيا.

والحرف يسري في الحرف في النطق كالنغم. ويقود الحرف الحسن إلى الجنة والسيئ إلى النار[9]. فالحرم هو المقام يوم القيامة. وكلاهما من اشتقاق واحد. ومع ذلك لا يستطيع الحرف التعبير عن المحامد ولا الثبوت في

(1) النفري: المواقف ص147-148.
(2) النفري: المخاطبات ص241.
(3) الفتوحات جـ1/ 57.
(4) يا طالب لوجود الحق يدركه   ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم
السابق ص62.
(5) المخاطبات ص212/ 214.
(6) السابق ص230.
(7) «يا عبد، للحرف حكم أنا مودعه، وللمحروف حكم أنا واضعه. فلا تذهب بالحكم المودع عن الحكم الموضع. فإليه يرجع ما أودع وبه ينفذ ما حكم. يا عبد لا تذهب بالحكم الموضوع عن الواضع فيه يجري ما وضع وإن شاء وقفه»، السابق ص230-231.
(8) «يا عبد ثبت لك الحرف ما أنت مني ولا أنا منك. عارضك الحرف ما أنت في ولا أنا منك... يا عبد فقهتك فتأولت ما أنت في ولا أنا منك...»، السابق ص228.
(9) وذلك مثل جريان الموجة فوق الموجة في الأغاني العاطفية.

المقام[1]. الحرف هوة عميقة يقع فيها من يلتفت إليه أو إلى ما فيه ولا ييأس من الله حتى ولو كانت الحروف سيئة. وأعظم الحروف ما أعطى علماً أو لم يعط. فالعلم مباشر أو غير مباشر. جاهز أو يُعدّ، بالفعل أم بالقوة، ظاهر أم كامن. وإذا ما وصل الصوفي إلى الله في نهاية الطريق يجعل الحرف وراءه. فالحرف حجاب مانع من المعرفة المباشرة. بل إن معنى الحرف حرف لأنه قرين. والسوي حرف لأنه مغاير. وهو موضع شك حتى ولو كان به الكيف. الحرف حجاب، والحجاب حرف. وأصحاب الحروف محجوبون عن الكشوف.

ويقف الحرف أمام الكون، والعقل أمام الحرف، والمعرفة أمام العقل، والإخلاص أمام المعرفة[2]. الحرف لا يلج الجهل ولا يستطيعه. وهو دليل على العلم. والعلم وراء الحروف. والحضرة تحرق الحروف. والحرف لا يلج الحضرة. وأهل الحضرة يعبرون الحروف ولا يقفون عليها. بل ينفونها بما في ذلك من نفي الخواطر. والخارجون عن أنفسهم خارجون عن الحروف[3]. الحرف يسري حيث القصد. القصد جيم جنة أو جحيم. أهل الحرف الظاهر أهل النار، وأهل الحرف الباطن أهل الجنة. الحرف نار الله وقدره وحتم أمره وخزانه سره. ولا دخل للعبد في قوة النار وإلا أكله نور الحرف. والحرف فج إبليس، محفوف بالمخاطر[4]. ومقام العبد من وراء الحرف. ولا يدخل العبد إلى الحرف إلا ونظر الله في قلبه ونوره على وجهه واسمه على اللسان[5].

أربعة حروف يهيم بها القلب. وتتلاشى بها هموم الفكر: الألف لألفة الخلائق، واللام للملامة، ثم لام أخرى تأكيداً على المعنى، ثم الهاء للهيام. وهي الحروف التي تكوّن «الله»[6] الألف أول حرف في «الله». والهاء الهوية، والعين العالم. فلكل حرف مخرجه الصوفي الدال عليه. وتشير الحروف إلى عوالم الشهادة

(1) المواقف ص146-147.
(2) الإخلاص المعرفة العقل الحرف الكون، السابق ص177.
(3) «موقف المحضر والحرف»، السابق ص176-183.
(4) السابق ص202.
(5) النفري: المخاطبات ص271.
(6) أحرف أربع بها هام قلبي وتلاشت بها هموم وفكري
ألف تألف الخلائق بالصفـ ح ولام على الملامة تجري

والملكوت، والغيب والملكوت، والشهادة والجبروت، والغيب والجبروت، والملك والجبروت، والملك والشهادة، والشهادة والقهر(1). والواو وصال، والدال دلال، والحاء حياء، والطاء طهارة، والواو الوفاء، والصاد صفاء، واللام دهاء لمدار العمر، والخاء خفاء، والشين إشارة. وهنا الحرفان يدلان معا(2).

والحروف ليست فقط حروف اللغة بالنطق أو بالكتابة بل هي الوجود(3) والوجود هو عالم العناصر الأربعة: الهواء والماء والنار والتراب(4) والحروف على علاقة بالأفلاك. وهي على أربع مراتب(5). وكل حرف له مرتبته في العناصر الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة(6).

ومن تكلم بالحروف فهو معلول. ومن كان كلامه بالمثقاب فهو مضطر. فالحروف مازالت في إطار عالم الخلق(7). والكلام نظر واستدلال وليس مشاهدة.

ثم لام زيادة في المعاني ... ثم هاء بها أهيم وأدري
الديوان ص307.

(1) الفتوحات جـ1/ 65-84.

(2) بواو الوصال، ودال الدلال ... وحاء الحياء، وطاء الطهاره
وواو الوفاء، وصاد الصفاء ... ولام وهاء لعمر مداره
على سر مكنون وجد الفؤاد ... وخاء الخفاء، وشين الإشاره
الديوان ص308.

(3) فكل بكل، جميع الجميع ... من الكل بالكل حرف نهاره
السابق ص323-324.

(4) هو الطين والنار والنور إذ ما ... يعود الجواب بعقب العباره
السابق ص308.
فاجمع الأجزاء جمعا ... من جسوم نيرات
من هواء ثم نار ... ثم من ماء فرات
السابق ص294.

(5) حروف مرتبتها سبعة أفلاك وهي الألف والزاي واللام. وحروف مرتبتها ثمانية أفلاك وهي النون والصاد والضاد. وحروف مرتبتها تسعة أفلاك وهي العين والغين والسين والشين. وحروف مرتبتها عشرة أفلاك وهي باقي حروف المعجم وهي ثمانية عشر، الفتوحات جـ1/ 52.

(6) الألف طبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة، السابق ص52.

(7) الولاية ص230.

الحرف حرف الله، والعلم علمه. والإنسان عبد الله لا عبد الحرف ولا عبد العلم. والوقوف بين يدي الله وليس بين الحروف والعلوم. الحروف والعلوم نفسها تقوم بين يدي الله مثل الإنسان. هي خزائن الله، من دخلها حمل أمانته. إن حملها لله لا لنفسه كرامة. وإن حملها لله ولنفسه مطالبة. وإن حملها لنفسه وليس لله يبرئ الله من ذمته. تشهد الحروف على صنعة الله. هي مطايا لرؤية وجه الله[1]. الحرف والمحروف دهليز إلى العلم، والعلم دهليز إلى الاسم، والاسم دهليز على المسمى. الاسم والعلم والحرف حجب وأبواب، ستر وكشف. والكل يؤدي إلى النور[2]. إذا جاءت ترجمة الله ينقطع بها العبد عن ملكه وملكوته. فإذا بدت ينقطع عنها إلى أن تصير التراجم والحروف آلة للمعرفة، ومركبا للنطق[3]. الحرف بداية ونهاية[4]. الحروف كلها مرضي إلا الألف لاستقامتها، والأخرى مائلة. والميل مرض[5].

لذلك كانت الحروف موضوعا للتأويل. لها ظاهر وباطن وهو موضوع كتاب «الطواسين» أي حرفي الطاء والسين. فالسين في ياسين وموسى أنوار الحقيقة. وأقرب إلى الله من حروف «يا» و «مو»[6]. وطلب التوحيد من حرفي اللام ألف وإلا كان كفراً. والتعرف على الهوية من خط الاستواء حيرة. وهنا يتوحد الفكر بالحرف بالرياضة بالطبيعة[7]. وعين التوحيد في السر، والسر بين الخاطرين، والخاطران بين الفكرتين، والفكرة أسرع من الرؤية[8]. الحرف إحدى طرق

(1) النفري: المواقف ص202.

(2) المخاطبات ص231-232.

(3) السابق ص237.

(4) النفري: المواقف ص255.

(5) السابق ص269.

(6) أخبار ص29.

(7) «من طلب التوحيد في غير لام ألف فقد تعرض للخوضان في الكفر. ومن تعرف هو الهوية في غير خط الاستواء فقد جاس خلال الحيرة المذمومة التي لا استراحة بعدها»، السابق ص30، الولاية ص236.

(8) «عين التوحيد مودعة في السر. والسر مودع بين الخاطرين. والخاطران مودعان بين الفكرتين. والفكر أسرع من لواحظ العيون».

الوصول إلى الله[1]. وهناك ثلاثة حروف دون إعجام. وباقي الحروف رموز غامضة لا تفك[2] وعبادة الله ستة أحرف، بينها حرفان أعجميان. وهما أصل الإنسان، وآخر للإيمان. وتقوم الحروف مقام بعضها البعض[3] الحروف تقديس وإفراد وتركيب[4]. والأعداد مثل الحروف سر من أسرار الله في الوجود. يتصرف الإنسان بين أربع حقائق: ذاتية وربانية وشيطانية وملكية. وهذه الحروف والألفاظ من غير تأويل ولا صرف. والمتأولة أهل فكر ونظر[5].

والحروف في أوائل السور لها دلالات. الألف المألوف، واللام الآلاء، والميم الملك، والصاد الصادقون[6]. والقرآن به علم كل شيء، وعلم كل شيء في الأحرف التي في أوائل السور، وعلم الأحرف في اللام ألف، وعلم اللام ألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية في الأزل، وعلم الأزل في المشيئة، وعلم المشيئة في غيب الهو، وغيب الهو في التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فالحرف في البداية يحيل إلى الألوهية في النهاية. وتتعدد تأويلات الحروف حسب الحالات. إذ يمكن القول أيضاً أن الألف للأزل واللام

(1) «من طلب الله عن الميم والعين وجده. ومن طلبه بين الألف والنون في حرف الإضافة فقده. فإنه تقدس عن مشكلات الظنون وتعالى عن الخواطر ذوات الفنون»، السابق ص40، السابق ص231.

(2)
ثلاثة أحرف لا عجم فيها ... ومعجومان وانقطع الكلام
فمعجوم يشاكل واجديه ... ومتروك يصدقه الأنام
وباقي الحرف مرموز معمّى ... فلا سفر هناك ولا مقام

أخبار ص34.

(3)
يا غافلا لجهالة عن شاني ... هلا عرفت حقيقتي وبياني
أعبادتي لله ستة أحرف ... من بينها حرفان معجومان
حرفان أصلي، وآخر شكله ... في العجم منسوب إلى إيماني
فإذا بدا رأس الحروف أمامها ... حرف يقوم مقام حرف ثاني

السابق ص34.

(4) الإمامان الواو والياء المعتلتان، حرفا المد واللين. والأوتاد الألف والواو والياء والنون وهي علامات الإعراب. والأبدال سبعة بإضافة تاء الضمير وكافه وهائه.

(5) «في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف للصغار»، الفتوحات جا/ 84-91.

(6) ألمص، أخبار ص116-117 .الر، تلك آيات الكتاب الحكيم، السابق ص121 .فاعلم أنه لا إله إلا هو، السابق ص144.

للأبد، والميم ما بينهما، والصاد الاتصال والانفصال. وهي ألفاظ تجري أيضاً حسب العبارات، والحق يتجاوزها[1].

ولله الأسماء والأوصاف بعد الحروف أودعها. وكلها في ترتيب القيومية[2]. الأسماء نور الحروف. والمسمى نور الأسماء[3]. لكل اسم مسماه ولكل مسمى نوره. الحقيقة تحد الأسماء والأسماء قيومية[4]. وهو لفظ قرآني كثير الذكر. ويطلب العبد من قلبه محو أثر الأسماء فيه باسم الله حتى تثبت سلطته ويفنى معناه[5]. تُعرف الأسماء والحروف والإنسان في بشريته و«الخيل يأكل العقل». وإذا كان الحذر من خيل العقل فالأولى الحذر من خيل القلب[6]. والعبد عند الله أعظم حرمة من اسمه[7]. فالمسمى أعظم من الاسم ولماذا تقديس الأسماء؟ الاسم حروف لاستدلال المسمَّى بالتسمية على إثبات المسمى. فإذا سقطت الحروف فإن المعنى لا ينفصل عن المسمى[8]. تاهت الخليقة في العلم، وتاه العلم في الاسم، وتاه الاسم في الذات. فالاسم حلقة متوسطة بين الكون والعلم من ناحية والذات من ناحية أخرى. والاسم رسم ووسم. والرسم ما رسم به ظاهر الخلق، برسم العلم ورسم الخلق فيمتحى بإظهار الحق. أما الوسم فهو ما وسم الله به المخلوقين في سابق علمه بما شاء كيف شاء فلا يتغير عن ذلك أبداً. الوسم أقرب إلى الطبيعة والخلقة داخل الشيء وليس خارجه. فإذا كان الرسم هو

---

(1) «في القرآن علم كل شيء. وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور. وعلم الأحرف في لام ألف. وعلم لام ألف في الألف. وعلم الألف في النقطة. وعلم النقطة في المعرفة الأصلية. وعلم المعرفة الأصلية في الأزل. وعلم الأزل في المشيئة. وعلم المشيئة في غيب الهو. وعلم غيب الهو لا يعلمه إلا هو». أخبار ص51. الولاية ص231.

(2) «يا عبد العلم والمعلوم في الاسم، والحاكم والمحكوم في العلم، والحرف والمحروف في الحكم، والظاهر والباطن في الحرف. ولكل حكمة إتقان. وإتقانها حصرها على ترتيب القيومية بها»، المخاطبات ص231.

(3) السابق ص234.

(4) السابق ص241.

(5) السابق ص258.

(6) السابق ص270.

(7) السابق ص247.

(8) اللمع ص426.

الظاهر فالوسم هو الباطن[1].

والأسماء ألفاظ وقد يكون اللفظ الصوفي مركباً بالإضافة مثل صاحب قلب. ويعني ليس له عبارة ولسان وفصاحة وبيان. علم باطني دون تعبير[2]. ومن الألفاظ تنشأ المصطلحات. فللصوفية طرقهم في التعبير في المسائل واختلاف الأجوبة[3]. العلم كله نصفان: سؤال وجواب. ولهم مسائل خاصة لم يتكلم فيها إلا هم. وهي كثيرة لا تحصي إنما يُذكر منها البعض فقط[4]. ولهم أشكال كتاباتهم والصدور والأشعار والدعوات والرسائل[5]. يصدرون الكتب والرسائل. ولهم أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم. ولهم دعواتهم يدعون بها المشايخ المتقدمين من أهل الصفوة. ولهم وصاياهم لبعضهم البعض. وتحديد الألفاظ وتعريفاتها يطول. وما ذكره الصوفية بعض منها[6].

وكما ظهرت موضوعات التصوف في المسائل والأجوبة عليها كذلك تظهر في الألفاظ الجارية على لسان الصوفية مثل المقامات والأحوال[7]. بعضها ثنائي على التقابل[8]. وبعضها أسماء مشتقة ثلاثي الإيقاع[9]. وبعضها ثنائي أو ثلاثي

(1) السابق ص427/ 441.

(2) السابق ص435.

(3) كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة، السابق ص283-304.

(4) مثل الجمع والفرق، والفناء والبقاء، والحقائق، والصدق، والإخلاص، والذكر، والفناء، والفقر، والروح، والإشارة، ومسائل أخرى مثل الظرف والمروءة، والرزق، والفراسة، والتمني، وسر النفس، والفرق بين الحب والود، والبكاء، والشاهد، وصفاء المعاملة والعبادة، والكرامة، والفكر، والاعتبار، والتقية والسر، والصواب...الخ، السابق ص452.

(5) «كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل»، السابق ص305-337.

(6) «والكلام في هذا طويل. وفيما ذكرناه كفاية»، السابق ص286. «فهذا ما حضرني في الوقت من مسائلهم. ومسائل هؤلاء أكثر من أن يتهيأ ذكرها»، السابق ص304.

(7) المقامات والأحوال. المقامات مثل: الشكر، والأحوال مثل: القبض والبسط، والغيبة والحضور، الصحو والسكر، الفناء والبقاء، الوجد والفقد، الجمع والفرق.

(8) كتاب البيان عن المشكلات، السابق ص409-452. باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية، السابق ص409-410. باب بيان هذه الألفاظ، السابق ص411-452.

(9) الأسماء المشتقة ثلاثية الإيقاع: الحق بالحق للحق، منه به له، الحال والمقام والمكان، الدهشة والحيرة والتحير، الحق والحقوق والتحقيق، التحقق والحقيقة والحقائق، =

بالصوت[1]. وقد يكون لفظاً واحداً[2]. وبعضها يشير إلى المعرفة والبعض الآخر إلى الأخلاق، والبعض الثالث إلى الميتافيزيقا الخالصة. والبعض تحول إلى جمل مفيدة[3]. وهي الألفاظ التي تدور في فضاء الفناء والتي يمكن تحويلها وقلبها إلى فضاء البقاء.

وبعد الحروف والأسماء والألفاظ تأتي العبارة. وهي مجموعة من الحروف. ليس لها سلطة أي «حكومة». إذ تعرف السلطة بلا عبارة. ويمكن المعرفة بلا عبارة بل عن طريق الحجر والمدر أي العودة إلى الطبيعة أصل الحروف كما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية. السكون إلى العبارة نوم. والنوم موت. والأفكار في الحروف، والخواطر في الأفكار. وفكر الله الخالص من وراء الحروف والأفكار. واسمه من وراء الذكر[4]. وجواز الحروف توقف في الرؤية. وبعد الوصول إلى الله تترك العبارة وراء الظهر، والمعنى وراء العبارة، والوجود وراء المعنى[5].

6 ـ الصمت والإشارة

التصوف لغة، صريحة أو ضمنية، حقيقة أم مجاز، عبارة أم إشارة. ومن لم

= الاسم والرسم والوسم، الوصل والأصل والفصل، الطمس والرمس والومس، التجلي والتخلي والتحلي، الأزل والأبد والأمد، الوجد والتواجد والتساكن.

(1) تقابل الأصوات مثل: اللوائح واللوامع، الزوائد والفوائد، الشاهد والمشهود، والنفس والحس، التجريد والتغريد، الروح والتروح، المحو والمحق، الكون والبون، الوطر والوطن، الشرود والقصود، الريْن والغين، المريد والمراد.

(2) اللفظ الواحد مثل الهجوم، الغلبات، المبتدئ، الطوالع، الطوارق، الكشف، المشاهدة، الإشارة، الإيماء، الرمز، الصفاء، المعدوم، الشطح، الصول، الذهاب، توحيد العامة، توحيد الخاصة، وهم، سر، المحادثة، المناجاة، المسامرة، رؤية القلوب، الدعوي، الاختيار، البلاء، اللسان، السر، العقد، الهم، اللحظ، الأثر، السبب، النسبة، التلوين، التلف، اللجأ، الانزعاج، الذوق...الخ.

(3) الجمل المفيدة مثل: أنا بلا أنا، نحن بلا نحن، أنت أنت، أنا أنا، أنت أنا، أنا أنت، هو بلا هو، نحن مسيّرون..

(4) النفري: المواقف ص151-153.

(5) «إذا جئتني فألق العبارة وراء ظهرك، وألق المعنى وراء العبارة، وألق الوجد وراء المعنى»، المواقف ص154.

يقف على إشارات الصوفية لم ترشده عباراتهم. ولو صمت المشاهد لصمتت العبارة وإلا لحزب السر وهلك[1]. ولو علم الناطق آفة النطق لصمت عمر نوح. ولو علم الصامت آفة الصمت لنطق ضعفي عمر نوح. هناك إذن جدل بين الصمت والكلام. إذا أعجب الكلام فالصمت. وإذا أعجب الصمت فالكلام[2]. وتعلم الصمت مثل تعلم الكلام. وإذا كان الكلام يهدي فإن الصمت يقي[3]. الصمت هو علم لا أدري في مقابل الكتاب الناطق والسنة القائمة. فالتوقف عن الحكم علم[4]. ولا يعني الصمت السكوت عن الحق. فالساكت عن الحق شيطان أخرس. والخلوة شرط الصمت. والصمت شرط التوبة[5]. ويقترن الصمت بالخلوة وترك الشهوات وسهر الليل سنتين ثم يعرض الحال على الله والاستعانة به. الصمت يُعرّف الحال. والخلوة تقطع الآفات. وترك الشهوات يقطع عن الدنيا. والخلوة تمنع من الاشتغال بالناس. وسهر الليل يميت الجهل ويحيي العلم. وهذا هو الطريق إلى البديل والصديق وإلى العلم النافع[6]. والصمت يطيل العمر مثل التوبة والأدب والخلوة.

ويتطلب الالتزام بالأمر والنهي الالتزام بالصمت والخلوة، وترك الشهوات، وسهر الليل[7]. يعرف الحال بالصمت، وتنقطع الآفات بالخلوة والانشغال بالناس في أمور الدين والدنيا. وإدراك الجهل والوصول إلى العلم بسهر الليالي. ومن قام بذلك صار بديلاً من البدلاء وصديقاً مع الصديقين.

والصمت عند الصوفية رد فعل على الكلام عند المتكلمين، ومن المغالاة في الجدل إلى المغالاة في الصمت. ترك الصوفية الكلام بعلم. والكلام فقط للضرورة من أجل تجنب آفات الكلام فيرفع الحجاب.

والصمت هو المقام السابع في مقامات السالكين. وهي حكمة تقتضي انقطاع

(1) الحلاج: الولاية ص239.
(2) القشيرية ص58-59.
(3) السابق ص59.
(4) «بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلوم»، قوت القلوب جـ1/ 277-282.
(5) القشيرية ص58-59.
(6) التستري، ص163-164.
(7) السابق ص232-233.

الوسواس وموت الطبيعة عن الفضولات. فعمارة القلب نعمة، وعمارة اللسان فتنة. «الصمت حلم وقليل فاعله». والصمت والإنصات متقاربان[1]. وغياب الصمت يُوقع في الفضول حتى مع الصمت. وهو حب الاستطلاع والرغبة في الكلام. الصمت سلامة، وهو الأصل. وعليه ندامة إذا ورد منه زجر[2]. وقد ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكر. واللسان أحق من إطالة سجنه. لكل شيء بابان وللسان أربعة، الشفتان والأسنان. خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول. الصمت لسان الحلم، ومن آداب الحضرة[3].

الكلام لا يكون إلا فيما يعني المتكلم. فإذا نطق فيما لا يعنيه خرج عن حد الصمت. ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. الكلام مع الناس قليل، ومع الله كثير لعل القلب يراه. صون النفس بامتلاك اللسان، وعفة اللسان صمته. واللسان مثل السبع يعتدي دون وثاق. الصمت سكوت، والسكوت في وقته صفة الرجل. كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال[4]. ومن لم يستعن بالسكوت وقع في اللغو. وفرق بين سكوت صوناً عن الكذب والغيبة وسكوت لاستيلاء سلطان الهيبة[5] ولسان الجاهل مفتاح حتفه. والسكوت قسمان: سكوت بالفم واللسان، وسكوت بالقلب والضمير. فالمتوكل يسكت قلبه عن السعي وراء الرزق. ليس الصمت خاصية للسان لكنه خاصية للقلب والجوارح. صمت العوام باللسان، وصمت الخواص بالقلوب، وصمت المحبين عن خواطر الأسرار. إذا سكت المحب هلك. وإذا سكت العارف ملك. اللسان لا يسمع إلا من القلب. والقلب لا يتكلم إلا من اللسان. ولو سكت اللسان لما نجا من كلام القلب. وقد يكون سبب السكوت حيرة البديهة. فإذا ورد كشف بغتة خرست العبارات.

---

(1) روزبهان: طهارة القلوب ص31.

(2) القشيرية ص57-58.

(3) السابق ص57.

(4) السابق ص57-59.

(5) رأيت الكلام يزين الفتى ... للصَمتُ خير لمن قد صمت
فكم من حروف تجر الحتوف ... ومن ناطق ود أن لو سكت
السابق ص59.

وهناك ما يقال وما لا يقال[1]. ما يُعرف يقال، وما يشاهد لا يقال. الأول يمكن النطق به، والثاني يستحيل النطق به. الأول مجال الكلام، والثاني مجال الصمت. ما يقال حروف، وما لا يقال إشارات. ما يقال مقولات وما لا يقال كشوف. والمواجيد بالمقولات شطحات يُحكم عليها بالكفر. والحرف عاجز عن الإخبار عن الله أو تعريفه. الحرف من مخلوقاته. فكيف يعبر المخلوق عن الخالق؟ ما يقال كتابة وحساب، وما لا يقال لا يكتب ولا يحسب. وقد كان الرسول أميا لا يقرأ ولا يكتب وكان يتلقى الوحي سماعاً.

الله هو الناطق وليس هو النطق[2]. وهي نفس ثنائية الظاهر والباطن، التجلي والستر، الكشف والحجب. وتجمع النطقية في حرف، وتجمع الصمتية على هم. ويقيل الحرف والهم على الله[3]. وإذا وصل العبد لله فإنه لا ينطق[4]. وقد تكون المعرفة بلا نطق. الصمت يحكم. والنطق يدعو[5]. ويصبح الله كل شيء. صامت في الصامت وناطق في الناطق[6]. الصامت والناطق مقولتان في الفكر الشيعي. وهي البيئة الرئيسية التي خرج منها كبار الصوفية.

ومع الصمت والنطق هناك السر والخفاء. وهما لفظان قرآنيان. السر خفاء بين العدم والوجود. هو ما غيبه الحق ولم يشرف عليه الخلق. وسر الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة، وسر الحق ما لا يطلع عليه إلا الحق. وسر السر ما لا يحس به إلا السر[7]. السر ما لا يحس به هاجس النفس فقد غيّبه الحق. والسر سران: سر للحق بلا واسطة، وسر للخلق بواسطة. السر من السر للسر، حق لا يظهر إلا بحق. وما ظهر بحق ليس سراً[8]. وقلوب الرجال قبور الأسرار. ولا توجد الأسرار إلا في صدور الأحرار. فهي دلالة على يقظة الضمير. ولا يمكن

---

(1) «موقف ما لا ينقال»، المواقف ص122-123.
(2) المخاطبات ص206.
(3) السابق ص212.
(4) السابق ص239.
(5) المواقف ص130-131.
(6) المخاطبات ص247.
(7) ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾، اللمع ص430.
(8) السابق ص300/ 303-304.

الإطلاع عليه بالقوة، بالقهر أو التعذيب لأنه يعادل الضمير والوجود الإنساني في ذاته[1]. وصمت السر هو ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل. فالعمل تجل. وتعذب الأسرار قبل الزلل بعد النية على العمل.

الأسرار بكر لا يفتضها وهم واهم ولا فهم فاهم لأنها أقرب إلى حديث النفس. ومع ذلك السر هو ما خفي ظاهره وبدا معناه. والطور هو طيران السر إلينا وإليه[2]. وقد يكون للسر معنى عضوي. فهو لطيفة مودعة كالأرواح. وهو محل للمشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة، والقلوب محل للمعارف. السر ألطف من الروح. والروح أشرف من القلب. السر لا إشراف عليه. والأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال. ولا يطلع على سر السر إلا الحق. السر مصون ومكتوب بين الإنسان والله. ولو عرف السر الزر لخلع الزر[3].

والإشارة هو ما يخفى على المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. والإيماء إشارة بحركة جارحة مثل التمثيل الصامت[4]. وتؤذن ببعد الغير أو حضوره[5]. فلان صاحب إشارة أي إن كلامه مشتمل على اللطائف والإشارات وعلم المعارف. الإشارة كالكناية، والكناية كالإشارة. ولا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم. الإشارة دالة ومؤشر. فالإشارة إلى العمل طريق الورع، والإشارة إلى العلم طريق العبادة، والإشارة إلى الأمن في الرزق طريق الزهد، والإشارة إلى الآيات طريق الأبدال، والإشارة إلى الآلاء طريق العارفين. ليس المقصود بالإشارة الحركة بالإصبع أو التوجه نحو المكان. فلا يشار إلى الحق وإلا ردت. لا يشار إلى الحق إلا بالحق. وأبعدهم عن الله من يكثر الإشارة إليه. وعند أصحاب التوحيد الإشارة شرك. وقد تكون كفراً إذا كانت الإشارة إليه بعلم. فالإشارة لا تكون إلا على معلوم. ومن أشار إليه بمعرفته فقد الحد لأن الإشارة بالمعرفة لا تقع إلا على محدود. ويشير المريد إلى الله فيجد الله مع الإشارة ثم بإسقاط الإشارة. الإشارة

---

(1) الولاية ص252.
(2) هذا هو تفسير الحلاج لآية والطور، التفسير ص147.
(3) القشيرية ص45.
(4) اللمع ص414/ 436-438.
(5) السابق ص294-296.

تتطلب البعد والله قريب. ويمكن فهم المطلوب بغير الإشارة[1]. والإشارات الإلهية متبادلة بين الصادر والوارد كما هو الحال في البريد[2]

كلام الأنبياء نبأ عن حضور. وكلام الصديقين إشارات من مشاهدات[3]. وإذا كانت الإشارة قبل السماع كانت من فوق. القليل منها يشفي. وإن كانت بعد السماع كانت من تحت، والقليل منها يهلك[4]. السماع بالتصريح جفاء. والسماع بالإشارة تكلف. وألطف الأسماع ما يشكل إلا على مستمعه. وهذا هو الاشتباه. العبارة يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها الشيوخ[5]. الإشارة إبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه. وفي الحقيقة الإشارة تصحبها العلل، والعلل بعيدة عن الحقائق[6]. فالإشارة لغة الوجد وإن كانت قائمة على العلل. والعلل نفسها بعيدة عن الحقائق. العلل في الشريعة وليست في الحقيقة.

قد تكون الإشارة حروفاً أو عبارة تفهم بالأنس ويكتب بها كتاب منه عنه إليه يترجم عن الأستار[7] والعلم الإشاري تعبير باللسان مشيراً إلى الحق. لا يخفي سرا[8] استعمل الصوفية لغة الإشارة للدلالة على الباطن من الظاهر[9] بل أصبحت

---

(1) «في معرفة الإشارات»، الفتوحات جا/ 278-281.

(2) فمن إلهي إشارات وإن كثرت ... في الخلق ما بين إيراد وإصدار
الديوان ص301.

(3) الجنيد، طبقات الصوفية ص162.

(4) عمرو بن عثمان المكي، السابق ص205.

(5) أبو عبد الله الصبيحي، السابق ص329.

(6) أبو علي الروزباري، السابق ص356.

(7) كتبت إليه بفهم الإشارة ... وفي الأنس فتشت نطق العبارة
كتابا له منه عنه إليه ... يترجم عن غيب علم الستارة
السابق ص308.

(8) بيان بيان الحق أنت بيانه ... وكل بيان أنت منه لسانه
أشرت إلى الحق بحق وكل من ... أشار إلى الحق فأنت أمانه
تشير بحق الحق، والحق ناطق ... وكل لسان قد أتاك أوانه
إذا كان نعت الحق للحق بينا ... فما باله في الناس يخفي مكانه
السابق ص333-334.

(9) تاه الخلائق في عمياء مظلمة ... قصدا ولم يعرفوا غير الإشارات
السابق ص259.

الإشارات نوعاً أدبياً عند أبي حيان في «الإشارات الإلهية» وعند القشيري في «لطائف الإشارات». يستعمل الصوفية بعض الإشارات الرمزية التي يفهمها المتحاوران. التصوف إشارة فإذا صار عبارة اختفى. ويرد لفظ «الرمز» مع «الإشارات» و«اللطائف». الإشارة رمز بسيط. والرمز إشارة مركبة. الرمز أفضل من التسمية للإجابة على سؤال لا إجابة عليه[1]. وهو أكثر قدرة على التعبير من الحد والرسم[2] والحديث عن علوم المكاشفة بالرمز والإيماء على السبيل التمثل والإجمال لتصور أفهام الخلق من الاحتمال. الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله. والرموز في مكاتبات المشايخ لا في مؤلفاتهم[3].

والشطح كلام يترجمه اللسان عن وجد فياض مما يوحي بأن صاحبه مستلب مأخوذ. ويمنع الشطح من التمييز بين الأشياء والمخاطر وبالتالي حدوث الأمن التام. وقد تعوذ البعض من شطح اللسان[4] وتدخل في صياغة الشطحات خاصة الحكايات الرمزية بعض الآيات القرآنية المتشابهة الخاضعة للتأويل، والأحاديث القدسية التي هي أقرب إلى الإشراقيات الصوفية والإيغال في الغيبيات منها إلى الأحاديث النبوية الأقرب إلى التفصيلات العملية والسلوك الإنساني[5].

والصول هو الاستطالة باللسان من المريدين والمتوسطين على أبناء جنسهم بأحوالهم. وهو مذموم على عكس الشطح الذي لا يمس ولا يسيء إلى أحد. أما الصادقون فإنهم يصولون بالله لقلة المساكنة إلى ما سوي الله[6].

---

(1) طبقات الصوفية ص296.

(2) الإحياء جـ1/ 11.

إلى الذي سئلت عنه — رمزت رمزا ولم أسم
حتى إذا أخبر كل حد — في خلوات الدنو أهمي
نظرت إذ ذاك في سجال — فما تجاوز حدي ورسمي

الحلاج: الديوان ص321.

(3) اللمع ص414.

(4) السابق ص422-423.

(5) شطحات الصوفية ص97/ 109-110/ 135/ 140/ 150/ 142-143/ 154.

(6) وهذا معنى دعاء الرسول «اللهم بك أصول وبك أجول»، اللمع ص423.

7 ـ العلم والعمل

العالم هو الذي يعمل بعلمه[1]. ومن دلائل المعرفة العمل بالعلم والخوف على العمل. فالعلم مؤشر على المعرفة ويتحول إلى عمل. العمل هو المقصد النهائي للعلم. وأول العمل العلم به فصار علم العمل فرضاً من حيث تضمن العمل[2]. العلم إمام العمل. والعناية إمام العلم[3]. ولن يعمل بالعلم إلا ما شاء الله مع أنه قرار فردي يقوم على مدى الالتزام. العلم بدون عمل أسوأ حالاً إذ يصبح العلم «مأكله لحم أو طلب رياسة أو متاع الدنيا أو رياء وسمعة»[4]. العلوم كلها دنيا وآخرة للعمل بها. والعمل هباء بدون إخلاص[5]. وأنجى طريق للعبد العمل بالعلم[6]. والحذر من التزين بالعلم أو العجب بالعمل. العلم يزيد خشية، والعمل بصيرة. والعلم يورث العمل. في الماضي كان من يترك عشر العلم يهلك. واليوم من يعمل بعشر العلم ينجو. ليس العمل هو المقصود بل الكشف. فمن نظر إلى العمل حجب عمن يُعمل له. ومن نظر إلى من يُعمل له حجب عن رؤية العمل[7]. فالعمل له غاية، ولكن السؤال أين؟ في الرأسي أم في الأفقي؟ في الله أم في العالم؟ في الأعلى أم في الأمام؟

من عمل بما علم علمه الله بغير تعلم. فالعمل يفيض على العلم وبالممارسة تُعرف عيوب النظر. فبين العلم والعمل تصحيح متبادل[8]. وبإجابة العلم والعمل يزاد في العقل. فالعقل نظري وعملي معاً[9]. العالم يعمل بعلمه. والعاقل يفسر العلم والعمل[10]. وعمل النوافل أفضل من العلم بها لأن العلم مقدمة للعمل[11].

(1) التستري ص75، طبقات الصوفية ص452-453.
(2) قوت القلوب جا/ 265.
(3) طبقات الصوفية ص139.
(4) التستري ص93.
(5) التستري ص101.
(6) رسالة المسترشدين ص130.
(7) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾، التفسير ص127.
(8) التستري ص203-204.
(9) السابق ص255.
(10) السابق ص169-171.
(11) السابق ص 291.

ومن لم يقدس علمه لم يقدس فعله. ومن لم يقدس فعله لم يقدس بدنه. ومن لم يقدس بدنه لم يقدس قلبه ثم لم يقدس نيته فالأمور كلها بالنية[1]. فإذا تقدس ذلك كله اتصل بمولاه. فالعلم والعمل قطبان للبدن ومركزه القلب. والكل طريق إلى الله[2].

والأعمال على قدر مقامات الأسرار[3]. واستمرار العلم هو سبب استمرار الفعل. ومن لم يقف علمه لم يقف فعله[4]. وشكر العلم العمل به. وشكر العمل مزيد من العلم[5]. والعلم استثناء الدنيا من الجهل والموات. وهو حجة على الخلق إلا العمل به فهو حجة لهم. والأعمال كلها ضائعة دون الإخلاص، والإخلاص لا يعرفه إلا الله. والأمور بخواتيمها. ومن علامات آخر الزمان انفصام العمل عن العلم، والصبر عن العمل، والتهافت على الدنيا وادعاء العبادات. ولماذا لا يؤدي العمل إلى الوصول إلى المأمول اعتماداً على حديث واحد «لن ينجو أحد منكم بعمله بل بفضل الله» ومئات الآيات والأحاديث تشير إلى قانون الاستحقاق؟

وأحياناً يستبدل بالعلم النظر ويظل العمل. فالنظر دون العمل يقضي على الدين. ومن ينظر دون أن يعمل فلا دين له[6]. والعمل خير من النظر، وفعل الشيء خير من النظر، وفعل الشيء خير من تأمله. والاتفاق مع الصفة خير من وصفها[7]. والعمل خير من الجدل. والتصوف أفضل من الكلام[8]. العمل يفتح باب الخير ويغلق باب الكسل والتقصير هو فوت العمل[9]. والعمل وكأن لا يوجد في الأرض غير العامل ولا في السماء أحد إلا الله فالعمل دليل الوحدانية.

(1) طبقات الصوفية ص254.
(2) التستري ص378-379.
(3) السابق ص70.
(4) السابق ص162.
(5) السابق ص164.
(6) السابق ص157.
(7) السري السقطي، السابق ص53.
(8) معروف الكرخي، السابق ص87/ 90.
(9) حاتم الأصم، السابق ص96.

وأحياناً أخرى يستبدل بالعلم المعرفة. العلم دليل على الله والمعرفة دالة عليه. والحكمة رحمة منه. بالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة المعروفات. العلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف. المعرفة بتعريف الحق والعلم بتعريف الخلق. ثم تنشأ الفوائد بعد ذلك. فالعلم في الحالتين هو العلم النافع. للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة، وأنباء عجيبة. يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية. والمعرفة ليست فقط نظرية بل هي أيضاً عملية، لا فرق بين العقل النظري والعقل العملي[1].

وأحياناً يستبدل بالعلم الإيمان في الثنائية التقليدية بين الإيمان والعمل كما هو الحال في علم أصول الدين[2]. وللمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وسمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر[3]. وهل المؤمن لا يعمل شيئاً فإذا دخل عليه شيء طيب أثر به غيره؟ وهل إيثار الآخر بعمل خارجي أفضل من العمل الذاتي؟[4]. والإيمان فطنات، يسكن ولا يخرج. واليقين خطرات[5]. فالإيمان عالم داخلي.

والعمل في الإيمان على درجات من الداخل إلى الخارج، من الشعور إلى العالم. أولاها اليقظة. فالمؤمن لا يسهو حتى يغفل. فإذا تفكر حسن واستغفر[6]. فالمؤمن هو الشعور اليقظ وليس النائم، المنتبه وليس الغافل. وثانياً التصديق بالقلب بما أعلمه الحق من الغيوب. ومطالبة الإيمان ما حدا عليه من صحة التصديق بالوعد والوعيد[7]. وثالثها العزة. فما استقام إيمان حتى يصبر إلى الذل مثل ما يصبر علي العز[8]. الصبر على العز سعي له. وتصبر على الذل تخلص منه. فمقياس الإيمان استحقاقه. ورابعها العلم. فالإيمان مقرون بالقرآن وهو علم[9]. الإيمان أحد أنماط

---

(1) «أوحيت إلى التقوى اثبتي وثبتي. وأوصيت إلى المعصية تزلزلي وزلزلي»، المواقف ص96.
(2) من العقيدة إلى الثورة، جـ4، الإيمان والعمل ـ الإمامة.
(3) طبقات الصوفية ص227.
(4) التستري ص90.
(5) السابق ص311.
(6) أبو بكر محمد بن داود الدقي، طبقات الصوفية ص449.
(7) أبو عبد الله محمد بن الخفيف، السابق ص465.
(8) أبو العباس القاسم السياري، السابق ص445.
(9) قوت القلوب جـ1/ 278.

العلم. وعلم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين مع كل مؤمن حسن الإسلام. وهو مقامه من الله. فالعلم بالله والإيمان قرينان. الإيمان مدد العلم وبصره. والعلم قوة الإيمان ولسانه. وخامسها الأخلاق. فليس الغش في الإيمان ولا من خصال المؤمنين[1]. لا يوزن الخلق بميزان النفس بل بميزان المؤمنين لمعرفة فضلهم وإفلاس الذات. ولماذا يكون القياس على الذات إفلاس؟ شرح صدور المتقين وكشف بصائر المهتدين بنور حقائق الإيمان[2]. إذا كان السلم محبوباً إلى الخلق فإن المؤمن غني عن الخلق[3]. البر الإيمان، والتقوي الإخلاص، والإثم الكفر، والعدوان المعاصي[4]. وما يذهب الإيمان والعمل من القلب القصائد أي الشعر، والشراب أي الخمر، والغناء أي الموسيقى والطرب مع أنها أقرب الأشياء إلى التصوف[5].

وأحياناً يضاف إلى ثنائية الإيمان والعمل القول في ثلاثية الإيمان والقول والعمل. فالإيمان قول وعمل. الإيمان طاقة داخلية تتخارج في القول والعمل، في اللسان وفي اليد[6]. مطابقة الظاهر والفعل ضرورة. وهي مطابقة الداخل والخارج، القول والفعل، النظر والعمل[7] ويسلم اللسان من الكذب إذا كان أصله صحيحا[8]. الكذب هو القول الفارغ من أي مضمون، قول اللسان ولا يقابله تصديق بالفكر أو بالوجدان أو بالعمل[9]. والقول والعمل واجهتان لشيء واحد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[10].

(1) التستري ص97-98.
(2) طبقات الصوفية ص324.
(3) السابق ص352.
(4) التستري ص97-98.
(5) التستري ص221.
(6) السابق ص180/ 342.
(7) وسمتك سمت ورع ودين وفعلك فعل متبع هواه
الحلاج: الديوان ص287.
(8) التستري ص379.
(9) رسالة المسترشدين ص136-137.
(10) «اللهم اجعل قولنا موصولاً بالعمل، وعملنا محققاً للأمل»، الإشارات ص361.

فضل القول على العمل منقصة، وفضل العقل على القول مكرمة[1]. فالعمل له الأولوية على القول. وصدق القول وصدق العمل ضمن أربعة خلال ومعها صدق المودة وصدق الأمانة[2]. وكلها فضيلة الصدق. يتوقف القول الخالص على العمل، والعمل على الآجل، والآجل على الطمأنينة، والطمأنينة على الدوام[3]. العلم ينزل والعمل يصعد[4]. والعمل سابق على القول، والسلوك شرط المعرفة.

والتوفيق البداية بالعمل[5]. أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، والأعمال تعبير عن المقاصد وليست رياء للناس كما حذر المسيح. فالرياء في الأعمال بصرف النظر عن مبارزة لمن هو أقرب إلى حبل الوريد[6]. الأعمال بالنيات. والبداية بفحص النية وهي الإرادة الخيرة[7]. والنية أفضل من العمل، والعمل أفضل من القول[8]. واستقامة الطاعة للنية[9]. ومن سعادة المرء حسن النية[10]. والحذر من الرياء ومدح الجاهل أو قبل مدح النفس. الناس نوعان عالم بعمل يعلمه، وساذج بنية[11]. فالعلم أساس العمل والنية وسط بينهما، علم شعوري وعمل في حالة الإمكان. والإخلاص أربعين يوماً بالنية وحفظ الجوارح ولا يطعم إلا الحلال. ويكون الطعام واللباس لله بالنية. والنية هي التفكر[12]. وهي النية العقلية أو القيد. والنية هي الإخلاص. وهو معنى حديث «إنما الأعمال بالنيات»[13]. نية الإرادة غير نية الفعل. الإرادة عام والفعل خاص. وكما يثبت

(1) أبو على الروزباري، طبقات الصوفية ص357.
(2) أبو على الثقفي، السابق ص363.
(3) المواقف ص183.
(4) «إن لم يصعد عملك من الباب الذي نزل منه علمك لم يصل إليّ»، السابق ص190.
(5) أبو بكر الكتاني، طبقات الصوفية ص374.
(6) أبو سعيد بن الأعرابي، السابق ص428.
(7) المواقف ص45.
(8) السابق ص103.
(9) السابق ص104.
(10) السابق ص166.
(11) التستري ص376/ 383.
(12) السابق ص272.
(13) السابق ص294.

حكم الظاهر بالفعل يثبت حكم السر بالنية[1]. وإن لم يصل العلماء بعلمهم وصلوا بنياتهم[2]. ولكل عمل نية ومن ثم لا يحجب صاحبه عن الله. ودون نية لا يُعرف الحكم. وضياع النية يؤدي إلى الحيرة[3]. فالنية قصد، والقصد اتجاه.

والنية هي إرادة الإنسان أن يعمل بمعنى من المعاني. فالإرادة نية والنية إرادة وتطلق على الأشياء أيضاً تشخيصاً مثل ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[4] فإن لم تحضر النية فإن ذلك يعني إما عدم توافر الباعث على الفعل أو أن يكون الفعل قد تم عن طبيعية لا إرادة[5] فإذا ما قام الإنسان بعمل لغير وجه الله ثم يندم فإن العمل يستمر بالنية الجديدة[6] وتجزئ النية عند بدء العمل وأثناءه[7] وأثناء العمل قد يزيد النشاط ويتسع الأفق، وتظهر أبعاد جديدة غير النية الأولي[8] ويجب على المريد أن يلزم نفسه حين العمل سراً وعلانية لوجه الله وحده[9] ويسر العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فراغه منه وبعد قراءته[10]

وقد يؤتى العمل سراً خوفاً من العدو أو من الشهرة. «واستعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان». والإنفاق بحيث لا تعلم اليد اليسرى ما تنفقه اليد اليمني. وقد يتساوى السر والعلانية مع أفضلية السر[11] ويجوز ترك العمل خوفاً من الرياء قبل العمل وأثناء العمل[12]

(1) السابق ص304/ 338-339.

(2) السابق ص335.

(3) السابق ص339.

(4) «باب وصف النية ما هي؟»، السابق ص286-288.

(5) «باب معنى قوله لا تحضر النية في العمل»، السابق ص289-293.

(6) «باب من يدخل في العمل لا يريد الله بذلك ثم يندم كيف يكون عمله بعد الندامة»، السابق ص294-297.

(7) «ما يجري من النية عند ابتداء العمل، والنية في العمل»، السابق ص280-283.

(8) «باب العبد يدخل العمل يريد الله عز وجل وحده ثم يجد من نفسه نشاطا للزيادة وما يجزيه من النية في ذلك»، السابق ص284-285.

(9) «باب ما يجب أن يلزمه المريد نفسه عند عمل السر والعلانية»، السابق ص266-267.

(10) «باب سرور العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فراغه منه وبعد فراغه»، السابق ص268-274.

(11) «باب عمل السر والضعف من إظهار العمل خوف العدو وحذر الشهرة»، السابق ص308-312.

(12) «باب هل يجوز ترك العمل من أجل الرياء؟»، السابق ص313-318.

ويمكن ترك بعض النوافل إشفاقاً على الناس من تكليف ما لا يطاق[1] وقد يظهر العمل للاقتداء به. فالعمل مستمر في التاريخ. «من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه فيها»[2] وقد يحث الإنسان الآخرين على عمله للإقتداء به. فالمبادرة قد تأتي من العامل أو من المقلّد[3] ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

والدعاء أقرب إلى القول والإيمان منه إلى العمل والفعل وطاعة الرب ودعاؤه مستجاب للاضطرار عن طريق فعل خارجي[4]. الدعاء ترك فعلي للذنوب وليس مجرد التمني بالقول[5]. والاستعاذة بالله منه من النبي أو من اقتفى أثره. دون فعل مجرد خوف وتمنٍّ للنجاة[6]. الدعاء هو فعل سلبي، استجداء وتحقق. لا يرد الله الدعاء من الصديقين، مؤمنين أو كافرين. فالدعاء من الكافر ضرورة. والمؤمن يدعو بحكم الإيمان. الدعاء فعل قلبي، بداية تحقق الفعل بالنية. وبهذا المعنى الدعاء مستجاب فهو قضاء للحاجات دون أن يدري الإنسان حسنة كتبت له أم عقوبة صرفت عنه[7]. وهو ما سماه إقبال «فلسفة السؤال» أي الشحاذة من الله. ليس الدعاء بالقول بل بالفعل. ونتائج الأفعال مقصودة وعن روية. الدعاء بهذا المعنى مستجاب في أربعة أوقات نهاراً وليلاً، حين الضرورة، وبالاسم الأعظم وساعة الظلم، وفي سبيل الإخوة والأبوة[8]. فالدعاء أول درجة من درجات تحقق الفعل. إن الدعاء بالمعنى الشعبي مجرد قول دون فعل، يطعن في قانون الاستحقاق، الدعاء بدخول الجنة، والخروج من النار. والنصيب يرجع إلى الفضل. والدعاء بلا فعل واستحقاق تخل عن الحرية والمسؤولية. وكيف يحب

(1) «باب في الرجل يدع بعض النوافل إشفاقاً على الناس أن يعصوا الله عز وجل فيه»، السابق ص298-299.

(2) «باب إظهار العمل ليقتدي به»، السابق ص300.

(3) «باب العبد يحدث إخوانه ببعض ما يقوي عليه من العمل ليحضهم على ذلك»، السابق ص303-307.

(4) «من أنا، يرحمك الله. أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطر»، رابعة ص125/ 132/ 137.

(5) بشر الحافي، طبقات الصوفية ص43.

(6) محفوظ بن محمود النيسابوري، السابق ص274.

(7) التستري ص67.

(8) السابق ص154.

الله الإقرار بالذنب وهو الفاعل لكل شيء؟[1]. وكيف يُعرف اتفاق الدعاء «الكد» كي تسرع الإجابة حتى إذا كانت اللغة والوجود متوازيين؟[2]. وأفضل دعاء وأسرعه للإجابة وجدان قلوب الصديقين. الدعاء أفضل من العلم لأنه مع الفقر والفاقة يجمع بين القول والعمل. والدعاء المستجاب لا حيلة للعقل ولا للعلم فيه يكفيه الإيمان والعمل. هو هبة من الله. ومادام الدعاء كوسيلة لجلب المنافع غير مضمون فالأولى الأخذ بالأسباب[3]. وإذا كانت المقدمة التوحيد فإن الدعاء هو التبري من كل ما سوي الله أي الاستسلام كلية للغير[4]. الدعاء إذن دعوة للتخلي عن الأسباب. والفعل في العالم يقتضي الأخذ بالأسباب. والأمر بالدعاء والتضرع حتى لا يُسئل إلا الله. والأفضل الأمر بالفعل والكد والسعي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾. فالدعاء جامع بين الإيمان والعمل. ولا ينجع السهم من الرامي كما ينجع الدعاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[5]. والاضطرار يؤدي إلى الفرج القريب بطبيعة الأشياء. فلا يوجد اضطرار دائم ولا فرج دائم. الدعاء التصديق بالقلب الذي يخلق موضوعه. وما من أحد كانت له حاجة إلى الله أعيا أهل السماوات والأرض قضاؤها فدعا الله إلى الليل إلا قضيت. وهو إحساس بالأمل بعد اليأس وبالوجود بعد العدم، وبالحياة بعد الموت[6].

وإذا كانت الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحها الدعاء والتضرع فلم يبق للعامل شيء[7]. العمل الذي يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف. فالعمل يبدأ بالسلب. والعمل لا يحتاج إلى عصمة. وهو أشرف عمل

(1) السابق ص200.

(2) «يا مولاي! مولاي! كل نصيب جعلته للجنة فسهله لي ويسره لي. واجعل لي فيه الصلاح. وكل نصيب جعلته للنار فلا تسهله لي. واصرفه عني بحولك وقوتك. إنك على كل شيء قدير»، السابق ص180.

(3) السابق ص220.

(4) السابق ص291.

(5) السابق ص305-306.

(6) السابق ص339.

(7) التستري، طبقات الصوفية ص211.

لأنه ممارسة للحرية. ولا علم أشرف من علم آدم إلى تعلم الأسماء ولم يمنعه ذلك من العصيان وجريان القضاء والقدر عليه. ولا عبادة أفضل من عبادة إبليس لأنه لم ينج من المسبوق عليه[1].

واللعن دعاء سلبي، تمني الضر للآخرين، وليس تمني الخير للنفس. إلا أن لعن الرسول إبليس إلى الأبد كما لعنه الله، وعلى الكفار إلى التوبة فتتحول إلى رحمة، وعلى المسلمين رحمة إذا تابوا[2]. وليس من شيمة الرسول اللعنة على أحد بل الرحمة بالناس. وبسبب إبليس أتت النبوة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾.

وإذا كان العلم ثلاثة: علم بالله وعلم من الله وعلم مع الله فهو علم التوحيد وعلم الشريعة وعلم التصوف. العلم بالله معرفة صفاته وأحواله، قوانين الطبيعة وأحواله ظواهرها. والعلم من الله علم الظاهر والباطن، والحلال والحرام، والأمر والنهي في الأحكام. وهو علم الوحي، التنزيل والتأويل، الشريعة والحقيقة. والعلم مع الله علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق وهي علوم التصوف[3].

وعلم العقائد نفسه علم عملي سواء في العقليات، الذات والصفات والأفعال أو في السمعيات: النبوة والمعاد والإيمان والعمل والإمامة[4]. لذلك يتم التصديق من خمسة أمور: إعلام الحال، وحفظ الإيمان، وحذر العدو، وإيثار الرب، والإخلاص. باب العلم المشيئة، وباب القدرة الإرادة. فالعلم النظري علم عملي[5]. لذلك ارتبط العلم والقدرة ليس فقط في صفات الله بل أيضاً في سلوك الإنسان. فالعلم سر، والقدرة علانية. العلم باطن، والقدرة ظاهر. العلم نظر، والقدرة عمل. والعلم بلا عمل مثل العملة الورقية بلا قيمة في ذاتها، ومثل الدراهم والدنانير يتركها وراءه العالم فيعذب بها يوم القيامة. والعلم من أثر بعد

---

(1) خير النساج، السابق ص324.
(2) التستري ص189.
(3) طبقات الصوفية ص214-215.
(4) من العقيدة إلى الثورة، جـ2 التوحيد، جـ2 العدل، جـ3 جـ4 النبوة والمعاد، جـ5 الإيمان والعمل والإمامة.
(5) التستري ص202.

موت صاحبه وليس من ترك وراءه المال في الخزائن. العلم والقدرة والنجوم ليس لها إقرار أي نهاية. فالعلم لا نهاية له. والقدرة غير محدودة. والنجوم سائر تأثيرها في الكون. وعبادة الله تظهر القدرة في أقل من أربعين يوما[1].

وأنفع العلم الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وهو علم الشريعة بعد العلم بالذات والصفات والأفعال والأسماء، عوداً بالتصوف إلى علم الأصول[2]. العلم هو العلم الفقهي. فالعقيدة والشريعة هما النظر والعمل، التصور والنظام، الأصول والفروع. وقد بنى أهل المعرفة بالله أصول الأحوال على شاهد العلم، وتفقهوا في الفروع. إذا كان العمل فضيلة فيما يهم، فإن ترك العمل فيما لا يهم فضيلة لأن الدخول فيما لا يعني يؤدي إلى النسيان. والحد الأدنى له الندامة يوم القيامة والجهل بالحال[3]. والكلام فيما يعني رذيلة تجب عتق مائة رقبة والتصدق بمائة درهم، وتقضي على الشكر. وهو الدخول فيما لا قصد فيه[4]. والوصول بالعلم وبالنية وبالإرادة. القيام بآداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول. فالعلم آداب. وأهم من العلم سلوك العلماء[5]. ولا ينقص ظاهر الأدب ظاهر العلم[6]. يؤخذ الأدب من العلم، والأنس من الخلوة، والحياء من شعاب النفس، والاعتبار من التفكر، والحكمة من الخوف[7]. العلم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي العلم الفقهي، العمل. وهو متصل بالعرش. ومن صحب العلم يشاهد الأمر والنهي ضرورة[8]. فالعلم هو التكليف أي الأمر الشرعي. ومطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله. وطالب الحق باستعماله[9]. حقيقة الإرادة استدامة الكد وترك الراحة[10]. والدنيا عمل جاد

(1) السابق ص307.
(2) طبقات الصوفية ص301.
(3) التستري ص221.
(4) السابق ص344.
(5) السابق ص411.
(6) رسالة المسترشدين ص133.
(7) السابق ص154.
(8) طبقات الصوفية ص474.
(9) السابق ص465.
(10) أبو عبد الله محمد بن خفيف، السابق ص465.

تتطلب الإقلال من الضحك وتجنب المزاح[1]. وهناك عبارات توحي بالتوجهات الإيجابية وإن لم تصبح مصطلحات مثل «الفناء في العمل»[2]. وهناك موقف خاص للأعمال[3]. فصفه الله العمل في (كن) وكذلك صفة الإنسان. والعمل دون النظر إليه. وعمل الليل عماد عمل النهار. والوقوف بين يدي الله ليس طلباً منه أو هرباً إليه بل لرفع الحجاب. والعمل عملان راتب وزائر، الأول لا يتسع العلم والعمل إلا به. والثاني لا يتسع العلم إلا به. ميزان العلم النية، وميزان العمل الإخلاص.

ويعلم الإنسان أنه على السنة والجماعة إن عرف من نفسه عشر خصال: التمسك بالجماعة، واحترام الصحابة، وعدم الخروج على الأمة بالسيف، وعدم التكذيب بالقدر، وعدم الشك في الإيمان أو المماراة في الدين، وعدم ترك الصلاة على أهل القبلة، وعدم ترك المسح على الخفين، والتمسك بالجماعة خلف الوالي وإن جار وإن عدل[4]. وتتفاوت الخصال في الأهمية مثل مساواة مسح الخفين بالعلاقة مع الحاكم الظالم. بعضها تقليدي مثل التمسك بالجماعة واحترام الصحابة. وبعضها مذهبي مثل الإيمان بالقدر وعدم الشك في الإيمان، والمماراة في الدين وهو الأشعرية. والبعض الآخر استسلام للأمر الواقع، وهو التمسك بالجماعة خلف الوالي وإن جار، مع أن التصوف مقاومة سلبية، وتغيير المنكر بالقلب وهو أضعف الإيمان. «ولا دليل إلا النبي» تجاوز للقرآن كهداية وتجاهل للإجماع كمرشد وإلى الاجتهاد كدليل. الاشتغال بطلب العلم وقراءة القرآن ينتهي إلى المسرّة وهو لفظ الإنجيل[5]. وأصول ذلك كله وفروعه في السنة. ومن ثم لزم الاقتداء بها[6]. وقد يمتد الاقتداء بالرسول إلى الصديق والفاروق[7]. والاقتداء

(1) التستري ص132.

(2) «وقت نعمة الدوام في الجزاء بأيام الفناء في العمل»، المواقف ص82. «العلم يدعو إلى العمل. والعمل يذكّر برب العلم. فمن علم ولم يعمل فارقه العلم. ومن علم وعمل لزمه العلم»، السابق ص149. «اعلم واجتهد، واعمل واجتهد، واجتهد واجتهد»، السابق ص155.

(3) «موقف الأعمال»، السابق ص87-90.

(4) التستري ص94.

(5) السابق ص106.

(6) السابق ص96-97.

(7) السابق ص201.

بالسنة قبل أن يأتي وقت يلوم الناس الرسول وينفرون منه ويهينوه ويذلونه أي نهاية الاقتداء بالنموذج والتأسي بالمثل الأعلى[1]. والعلم هو العلم الأخلاقي. يتضمن الورع والنصيحة والحلم. والورع ترك الحلال مخافة أن يجر إلى حرام. وهو نوع من الحساسية الزائدة والتوجس خيفة من النفس ومن العالم. والناس على البراءة الأصلية. والفطرة خيِّرة، والطبيعة تميل نحو الخير. والأخلاق عمل بالشرائع ما يوافق السنة، يزيد وينقص[2]. أول الإيمان منوط بآخره. عقد الإيمان «لا إله إلا الله». الإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص[3]. والإيمان بالفرائض، وفرض علمها فرض، والعمل بها فرض والإخلاص فيها فرض. فالفعل من أول صور وجوده وهي النية حتى آخر صور تحققه في العالم فرض[4]. والعلم الأكبر الهيبة والحياة. وهما شرط الخيرات. فالعلم هو العلم الأخلاقي[5]. وإذا كانت الأخلاق حداً لا يمكن عبوره تصبح غاية ذاتها. ومع ذلك يعبرها الصوفي لأن من تزين بعمله كانت حسناته سيئات[6]. وإذا ترك الصوفي العمل رجع إليه. فإذا تركه العمل فلا يرجع إليه. الحالة الأولى أخلاق، والحالة الثانية نفس. فالعمل وسيلة للمعرفة وأعمال الجوارح مقدمة لأعمال القلوب[7]. وأنفع الأعمال ما سلم من آفاتها، وكانت مقبولة من صاحبها أي الصدق مع النفس وحسن النية والرضا عن الذات[8]. والإخلاص في العمل أشد في العمل لأنه عمل مزدوج يعجز عنه الرجال[9].

لا يضيء بنور العلم إلا الأتقياء. ومن ذاق حلاوة العلم لا يعبر عنه[10].

---

(1) السابق ص259-260.
(2) التستري ص192.
(3) أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية ص461.
(4) السابق ص304
(5) السابق ص269.
(6) ذو النون، طبقات الصوفية ص23.
(7) أبو حفص النيسابوري، السابق ص118.
(8) أحمد بن عاصم الأنطاكي، السابق ص138-139.
(9) عبد الله بن حبيق الأنطاكي، السابق ص145.
(10) السابق ص214-215.

ولا تثبت الحكمة بقلب يحب الدنيا[1]. ولا يعطى العلم من كان للدنيا لديه قدر وقيمة[2]. والعمل بالحق يزيد نور البصيرة[3]. والحذر من الدين لله بالعقل، والعمل بالهوي، وترك الحق، وتبوء الباطل، وتمنى المغفرة مع نسيان التوبة. ولا علم وعمل إلا إذا ثبتا باليقين والصدق والورع والإشفاق والخشية[4]. وحماية القلب من سوء الظن بحسن التأويل[5]. ويُحذر من التوسع في المنطق حتى ولو كان الإنسان بليغا.

ثم تأتي علوم التصوف. فبين الإنسان والله سر. يفزع الإنسان، ويلجأ إليه، ويطلب العفو منه، وهو أسير بين يدي العدو، مفتون بالدنيا. والاشتغال عن الله طرفة عين يُذهب العلم. فالعلم مرتبط بيقظة الوعي بالداخل أكثر من الخارج، بالوعي أكثر من الإحساس[6]. الأعمال هي: الاستغناء بالله، والإخلاص، والرجوع إلى طاعة الله. العلم إما يدل على الهداية وهو اليقين أو على التوكل أو على الإخلاص. فالعلم نظري وعملي[7]. ولا يصح الحال إلا في أصل الدخول على الله وإتباع السنة. الصلاح للخلق. والظاهر الاقتداء بالسنة والباطن النية والإخلاص. العلم هو علم الحال في الحركة والسكون بين العالم والله. العلم شعوري، علاقة الشعور بالآخر المطلق[8]. وأقرب حالات أصل المعرفة ذكر قيام الله. العلم قطع عن الجهل وليس قطعاً عن الله. والله في العلم يعني البحث المستمر أي تقدم العلم[9]. الصوفية وحدهم من بين البرية هم السابقون السابقون، المقربون بالعطيات، والمرتفعون في المقامات. عرفوا الله حق معرفته. وعبدوه أخلص عبادة. وآووا إليه بالشوق والمحبة[10]. والاقتداء بالنبي يجعل الصوفي إماما

(1) السابق ص160.
(2) السابق ص212.
(3) التستري ص58.
(4) طبقات الصوفية ص166.
(5) رسالة المسترشدين ص89.
(6) التستري ص255.
(7) السابق ص303.
(8) السابق ص270.
(9) طبقات الصوفية ص474.
(10) السابق ص247.

لمن بعده[1]. والأنبياء معصومون، وطاعتهم بعون الله[2]. العلم إذن علمان: قيام العبد بقيامه مع الله، وعلم الله في العبد وهو مغيّب عن العباد إلا أصحاب الكشف كالنبي أو الولي[3]. العلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزون بها إلا بإذن[4]. ومن تولاه رعاية الحق أحل ممن تؤديه سياسة العلم. فلماذا تكون رعاية الحق مضادة لسياسة العلم؟ لا يعرف الإنسان إلا العلم. وهو القاسم المشترك بين الناس[5].

والتصوف أعلى مراتب العلم وهي سبعة: المخالفة للنفس، والمكابدة، والطهارة، والسهولة والمسارعة، ودرجة الحلول ثم مرتبة المذاق. وكلها نوع من الرياضة والمجاهدة. فحكم العلم سماعه من الله وهم العلماء الأقوياء أي العلم المباشر من الله بالسماع والمشافهة أو النظر أو الصحبة. العلم هو الفهم. فلا يخرج علم من الله إلا وهو مفهوم. والعالم عالم لأن أفعاله ترد إلى الحول والقوة لا إلى التدبير. فالعلم لدني. والقوة ثلاثة أنواع. الأولى يثبت بها العمل والروح، وتؤدي بها الفرائض. والثانية تقع بها المعصية أو الطاعة والأفعال المكتسبة. والثالثة تقع بها المعاصي فقط واكتساب الأفعال بالأهواء والشهوات فتستحق العقوبات. والعلماء هم الذين فتحت قلوبهم. وهم على درجات في الغرف منه[6].

وتقيد الجوارح بأحكام العلم، ومراعاة الهم بمعرفة قرب الله وخشيته[7]. العلم ورع وأمر ونهي وسنة وآداب وترغيب وترهيب ونية[8]. يمنع العلم الدخول في الدنيا بالجهل، ونسيان المعاد[9]. والعمل بالحق، وبالله الثقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[10]. ونصيحة الصوفي الالتزام بمواهب العلم واحترام

---

(1) التستري ص70.
(2) السابق ص201.
(3) طبقات الصوفية ص477.
(4) السابق ص283.
(5) السابق ص411.
(6) التستري ص148.
(7) المسترشدين ص86-88.
(8) السابق ص197-198.
(9) السابق ص108.
(10) السابق ص165.

جميع المسلمين، وعدم تضييع الأيام. أما النصيحة بعدم التصدر والخمول بين الناس فكلما زاد الاشتغال بهم قل حظ إتباع أوامر الله. مطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله وطالب الحق باستعماله[1].

العلم أفضل مجاهدة. ولولا اختلاف العلماء لبقي العلم نهاية المطاف. واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد بشرط أن يكون صوفياً. والتصوف نفسه عليه خلاف. هو أحد المقاربات للتوحيد ولكنه ليس الوحيد. فهناك التوحيد كما يتصوره المتكلمون (الذات والصفات والأفعال) والفلاسفة (واجب الوجود) والأصوليون (الشارع). والعبرة بالأوتار، والمعتبر بالأثقال. الوتر سماع، والمثقال رؤية. الأول تجربة شخصية، والثاني مقياس موضوعي. والعلماء يصحب بعضهم بعضا بعيدا عن الجهال[2]. وهي نخبوية وعزلة يُستحق عليها أهل الملامة واللوم.

العلم كلمتان عدم التكلف بما كفي، وعدم ضياع ما استكفي[3]. فالتكلف تعالم والبعد عن التكلف في الدين حتى ولو كان الإنسان عالماً. ومنها عدم الإكثار من الأيْمان في الصدق. العلم حياة القلب من الجهل، ونور العين من الظلمة[4]. هو العلم الشعوري المباشر. العلم يغفر العيوب. وإذا احتاج أحد إلى علم فلا ينظر إلى عيوب. حتى لا يحرم من علمه[5]. العلم لآداب الظاهر، والورع لآداب الباطن. والأهم عدم الانشغال عن الله أو الإعراض عنه[6]. والأقوال الأفعال قرينان[7]. تمثلها الرسول بدلاً من الجدل والبلبلة عند المتكلمين. وحجة الأقوال لا تقرب، وحجة الأفعال تأتي بالحب[8].

ويقل التركيز على العمل في «الولاية» على عكس الشطحات. ومن يرد عليه

---

(1) طبقات الصوفية ص456.

(2) حمدون القصار، السابق ص127.

(3) أبو إسحق إبراهيم الخواص، السابق ص285.

(4) أبو على الثقفي، السابق ص364.

(5) عبد الله بن محمد بن منازل، السابق ص369.

(6) إبراهيم بن شيبان القرميسيني، السابق ص404.

(7) السابق ص120-122.

(8) «حكم الأقوال والأفعال حكم الجدال والبلبال. وحكم الجدال والبلبال حكم المحال والزلزال»، السابق ص120-121.

عمله له لباس السواد. فالعمل المردود أسود، والعمل المقبول أبيض[1]. العمل مجرد وسيلة للقرب وليس غاية في ذاته[2]. وأحياناً تكون المبادرة من الإنسان. يدل على الحجاب ويمد الله له نار الوصول، إذا صحب الله وصل. وإذا سأل أجيب، وإذا اختار سقطت المؤاخذة. وإذا كفي عينيه كفاه الله قلبه. وإذا كفاه النوم كفاه الله اليقظة. وإذا كفى شهوته كفاه الله حاجته[3].

وأهل المعرفة لا يتركون العبادات أي الحركات من باب البر والتقوى. ولا يسقطون الأعمال. فقد أخذوا الأعمال عن الله ورجعوا إليه فيها. ولو بقيت المعارف ألف عام لا تنقص أعمال البر ذرة إلا إذا حيل بينهم وبينها. بل إن المعرفة تجعل العبادة أوكد، والحال أقوى. ومع ذلك لم يسلم الجنيد من اتهامه بالكفر. أما ابن سينا فإنه يعتبر العبادة وسيلة إلى الوصول والمعرفة. فبعد تحقيق الغاية ينتهي دور الوسيلة.

العارف لم يأسره لحظه ولا لفظه. في حين أن الجنيد أسره لفظه في الشطحات، ولحظه في الوجد[4]. والغفلة عن الله أشد من دخول النار[5]. شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم[6]. العلم بالله أهم من عبادته[7]. فالعلم عبادة. المعاملة استعمال الأولى فالأولي من العلم[8].

أيام العمر معدودة كما تردد الأغاني الشعبية. إذا ذهب يوم ذهب بعض العمر أي الوجود الإنساني. من هنا أتت ضرورة العمل[9]. والصوفي قطعة شمع

(1) الولاية ص260.

(2) «يا عبد، لا تكن بالأعمال فتقف بك، ولا بالأحوال فتحول بك. يا عبد، كيف تكون بالعمل تعمل، ويكون قلبك عندي لا في العمل؟»، المخاطبات ص235.

(3) السابق ص251.

(4) الجنيد، طبقات الصوفية ص158-159.

(5) التستري، السابق ص207.

(6) أبو محمد الجريري، السابق ص263.

(7) أبو بكر الكتاني، السابق ص376.

(8) أبو سعيد بن الأعرابي، السابق ص428.

(9) «إنما أنت أيام معدودة. فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل»، رابعة ص127/ 137/ 175.

وإبرة وشعرة. يشتعل كالشمعة ليضيء للناس. ويتجرد ثم يعمل. فيصير نحيلاً كالشعرة[1]. والعمل هو ما لا يظهر، ولو ظهر لا يُعد عملاً[2]. والفعل ممتد في الزمان، إصلاح ما بقي في المستقبل لمحو ما مضي. فإيجاب المستقبل يمحو سلب الماضي[3]. ولا يغتم الإنسان إلا من شيء يضر في الغد[4]. ولا يفرح إلا من شيء يسره في الغد. وكيف يحدث ذلك وأفعال الغد ممكنة وليست ضرورية؟ وأفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات. والموافقات مع من، الله أم البشر؟ وماذا عن المخالفات؟ مع الله عتاباً ومع البشر معارضة؟[5]. أفضل أعمال العبيد حفظ الأوقات، وعدم التقصير في أمر أو التجاوز عن حد[6]. والعمل هو الذي يُجازي بالإحسان[7]. والمطلوب هو النجاة من العالم ومخاطره[8]، وعدم الاغترار بالدنيا وبريقها[9]. والتأني أفضل من العجلة، والتعجل في فعل الخير، وترك مواطن الاشتباه[10].

8 ـ نقد العصر

ويغلب نقد العصر على مقدمة المؤلفات. فهو أحد بواعث التأليف. وتكثر الإشارة في الأعمال الصوفية إلى «هذا الزمان» مما يساعد على رؤية ظروف العصر والبيئة الاجتماعية التي ظهر التصوف فيها كرد فعل عليها. تحزن على أحوال الناس، وتبدل الزمان، وتغير الأحوال وضياع الحق، وغياب الصدق وذهاب الإيمان وسيادة البدع. فالتصوف مرتبط أشد الارتباط بظروف العصر ولكن كرد

---

(1) «يا حسن! اشتعل كالشمع، وأضئ للناس. وابدأ بأن تكون متجرداً ثم اعمل. فإن فعلت هذين صر نحيلاً كالشعرة إذا أردت ألا يذهب جهدك سدى»، السابق ص150.

(2) «ما ظهر من عملي فلا أعده شيئاً»، السابق ص165.

(3) أحمد بن عاصم الأنطاكي، طبقات الصوفية ص140.

(4) عبد الله بن حبيق الأنطاكي، السابق ص145.

(5) أبو عبد الله المغربي، السابق ص243.

(6) مظفر القرميسيني، السابق ص398.

(7) السابق ص73.

(8) السابق ص104-105.

(9) السابق ص131.

(10) السابق ص135.

فعل عليه[1]. لم يخل عصر من عيوب نقدها الصوفية مثل تبعية العلم للهوي والتحول من تبعية الهوى للعلم إلى تبعية العلم للهوى[2]. ويذهب الإسلام بالعلم بلا عمل، والعمل بلا علم، وعدم تعلم ما لا يُعلم، ومنع الناس من العلم. فالعلم له الأولوية في العمل والتعلم ونشر العلم[3]. ويأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيها لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق. وهو زمان ضياع الإيمان، وانتشار النفاق، وتوقف الصدق على النفاق[4]. ومن مظاهر أزمة العصر ترك الكليات، والانشغال بالجزئيات حتى حرّموا كل شيء دون استعمال الكراهة. وحلّلوا كل شيء دون استعمال الندب. ووقع السلوك الإنساني بين حدي الحلال والحرام الضرورين دون أفعال الحرية المتوسطة[5]. ومن علامات آخر الزمان تكون

(1) «وفي زماننا هذا...»، قوت القلوب جـ1/ 297، «في مثل زماننا هذا»، السابق جـ2/ 34. «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع. وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتبيّن لوضوح الحقَ في القرن الأول ولدخول الشبهات في زماننا هذا فصار الحق غامضاً»، السابق ص283. «وهذان طريقان قد درسا وقد عفا أثرهما في وقتنا هذا، لا يسلكه إلا من عرفه، الفرد بعد الفرد، والسابلة من الفرار على طرقات التصنع والتزين»، السابق ص391. وقال الثوري «هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الجاهل فكيف بالمشهورين؟ وهذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد. كلما عرف في موضع تحول إلى غيره»، السابق ص425. «هذا يقوله في سنة عشرين ومائتين والحلال والنساء أحمد عاقبة فكيف بوقتنا هذا؟ فالأفضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة...»، السابق ص490. «وكان النساء قديماً غيرهن الآن»، السابق ص506. «وليجتنب الصنائع المحدثة من غير المعروفة والمعايش المبتدعة في زماننا هذا فإن ذلك بدعة مكروهة إذ لم يكن فيما مضي من السلف»، السابق ص539.

(2) مثل قول بن مسعود «أنتم اليوم في زمان الهوي فيه تابع للعلم. وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى»، الإحياء جـ1/ 86. «ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم، تلعبون بهم لعباً، وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم. إن استغفروا لم يغفر لهم. ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات. فجاء قوم بعد القرن الأول خبت فيهم الأهواء، وزين لهم البدع، فاستحلوها واتخذوا ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها. فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاؤوا»، السابق ص87.

(3) طبقات الصوفية ص214.

(4) السابق ص365. وهو نفس ما تتحسر عليه المواويل الشعبية على ذهاب النبيل والكريم وحضور الخسيس.

(5) وهو معنى قول أحمد «تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب. ما أقل العلم فيهم»، الإحياء جـ1/ 86. وقول مالك «لم تكن الناس فيما مضي يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس =

العلانية أعداء السريرة، وينتهي الباطن ويسود الظاهر، والتحول من المضمون إلى الشكل، ومن الجوهر إلى العرض[1].

وضاع من هذا العصر علماء الآخرة وكثر علماء الدنيا[2]. غاب علماء المصالح العامة وحضر فقهاء الحيض والنفاس. ذهب فقهاء الأمة وحضر فقهاء السلطان. المتقري هو الصوفي المزيف. المتكلف بنفسه، المظهر لزهده مع كمون رغبته وتربيته لبشريته. اسمه مضمر في فعله لرؤية نفسه ودعواه[3]. لا يطيق سماع القراء ومشاهدة تعظيم طاعتهم لأنهم حولوا القراءة إلى حرف بلا معنى[4]. المتقري هو الفقيه الذي يقرأ القرآن ولا يفهم معناه الباطن. فالمقصود من التنزيل التأويل، ومن القراءة التلبية[5]. والمتقريء لا يدرك إلا الظاهر. والصوفي يتخفي أمامه في أفعاله. المتقريء لا يصبر تحت شجرة التمر. ولو صبر لأكل التمر

= اليوم. ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب»، السابق ص86.

(1) «في آخر الزمان أقوام يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة»، الفضيل بن عياض، السابق ص10. «ابتلينا بزمان وليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة»، أبو بكر الواسطي، السابق ص303. «ذهبت حقائق الأشياء، وبقيت أسماؤها. فالأشياء موجودة، والحقائق مفقودة. والدعاوى في السرائر مكنونة، والألسنة بها فصيحة. الأمور عن حقوقها مصروفة. وعن قريب تفقد هذه الألسنة وهذه الدعاوي. فلا وجد لسان ناطق، ولا مدع مطلب»، السابق ص350.

(2) «علماء الدين هم ورثة الأنبياء. وقد شغر منهم الزمان. ولم يبق إلا المترسمون. وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان. وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً. وقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام»، الإحياء جـ1/ 9.

(3) طبقات الصوفية ص468.

(4) السابق ص352. «كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد مضغه القرآن. وأدركت القراء الذين هم القراء. فأما اليوم فليسوا بقراء ولكنهم خراء»، حلية الأولياء جـ3/ 246.

(5) «يا متقرئ، انظر إن أعطاك كل ما أعطى الأنبياء فقل أريدك ولا أريد غيرك»، شطحات ص99.

وأصبح مع المتزهدين المقربين[1]. ويظن المتقرئ أن من يمدح الله يمدح نفسه. وينصح البسطامي المتقريء بأن يُري كما هو أو يكون كما يُري[2]. والمتقرئ يخرق نفسه ولا يدري. ولا يفهم الكرامة ويحسبها ادعاء.

نقد الصوفية ليس إنكاراً لهم بل غيرة عليهم لأنهم أفشوا أسرار الحق وأبدوها إلى غير أهلها. فهم السادة، يتقرب بمحبتهم إلى الله تعالى[3]. وهؤلاء أصحاب الشطحات. وإسقاط الأعمال أمر عظيم عند الصوفية، وكذلك القول بالحلول مثل قول النصارى والحلاج. ومن الناس من ينتمي إلى الصوفية وليس منهم. مثال ذلك القلندرية وهي الملامتية مع أنها عند إقبال نموذج الفقير. فإذا كان الملامتي حالاً شريفاً ومقاماً عزيزاً وتمسكاً بالسنن والآثار وتحققاً بالإخلاص والصدق فإن القلندرية هم أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى ضربوا العادات، وطرحوا التقييد بآداب المجالسات والمخالطات، وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت عباداتهم ومباحاتهم ورخصهم دون غرائمهم. لا يدخرون ولا يستكثرون. بل يتقشفون ويتزهدون ويتعبدون. يعمل الملامتي في كتم العبادات ويعمل القلندري في تخريب العادات. يتمسك الملامتي بكل أبواب البر والخير ولكن يخفي الأعمال والأهوال، ويأخذ موقف العوام في هيئته وملبسه وحركاته وأموره ستر الحال. والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بحال. تكفيه طيبة القلوب. والصوفي يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات، والأحوال بالعلم. يقيم الخلق مقامه، ويقيم الحق مقامهم. يستر ما يستر، ويظهر ما يظهر. يأتي الأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص. وقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا ألبسة الصوفية لينتسبوا إليهم وما هم منهم بل في غرور وغلط يتسترون بلباس الصوفية وينتهجون منهج الإباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله. فهل هذا هو عين الإلحاد والزندقة بطرحه العبودية؟[4].

---

(1) السابق ص119.

(2) «يا متقريء أرِ كما أنت أو كن كما ترِي»، السابق ص120-121.

(3) طبقات الصوفية ص408.

(4) «ذكر من انتمي إلى الصوفية وليس منهم»، عوارف المعارف جـ2/ 2-13.

9 ـ هل للصوفية أخطاء؟

وفي نفس الوقت الذي يدافع فيه الصوفية المؤرخون عن التصوف، وانتسابهم إلى القرآن والحديث واقتداؤهم بالرسول والصحابة والتابعين وأهل الصفة والمصطفين إلا أنهم يذكرون أيضاً أغلاطهم التي حملت الفقهاء إلى العداء لهم[1]. وهم على أية حال مكفرون سواء شطحوا أم لم يشطحوا.

ويجمع الصوفية على ثلاثة أشياء هي مقياس الصوفي الحقيقي الصادق من الصوفي المدّعي المتظاهر: اجتناب جميع المحارم كبيرها وصغيرها، أداء جميع الفرائض، عسيرها ويسيرها، وترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا ما أقام أود المؤمن[2].

إذن يمكن إصلاح التصوف وإعادة بنائه لإزالة الأخطاء المتراكمة عليهم من الطرق الصوفية وسوء الفهم، والمغالاة، وأحادية الطرف، والهروب من الواقع، والاتجاه إلى أعلى دون الأمام، وإنقاذ النفس دون العالم. وهي أخطاء عديدة يكفي البعض منها[3].

وفرق الصوفية الذين غلطوا ثلاثة طبقات لثلاثة أسباب[4]:

أ ـ الغلط في الأصول بسبب قلة الإحكام لأصول الشريعة، وضعف الصدق والإخلاص وقلة المعرفة. فقد حرموا الوصول لتضييع الأصول.

ب ـ الغلط في الفروع وهي الآداب والأخلاق والمقامات والأحوال والأفعال والأقوال لقلة المعرفة بالأصول، وإتباع حظوظ النفس وأمزجة الطباع.

جـ ـ الزلة والهفوة دون العلة والجفوة. فإذا تبين لهم ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور.

---

(1) اللمع ص516-555.

(2) وهو معنى حديث «أربعة في الدنيا وليست هي من الدنيا: كسرة تسد بها جوعتك، وثواب تواري عورتك، وبيت تسكن فيها، وزوجة صالحة تسكن إليها» السابق ص516-517.

(3) «وقد اختصرت ذلك لكراهية التطويل. وفيما ذكرت كفاية وبُلغة لمن عقل من المسترشدين والراغبين في هذا العلم»، السابق ص555.

(4) باب في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم في الغلط، السابق ص518-519.

هناك أغلاط في الأصول مثل الغلط في الحرية والعبودية. فالعبد يطلب أجر خدمته، والحر لا يطلب. وغلط من ظن أن الحرية أفضل من العبودية طبقاً للمعنى التداولي في أفضلية الحرية على العبودية. فالإنسان عبد أمام الله. فإذا وصل إليه صار حراً فسقطت عنه العبودية(1). وعبودية العبد هي حرية القلب. وقد أطلق الله نفسه على خلقه عباده(2). وملائكته ورسله عباده وأطلق الرسول على نفسه اسم العبد(3). ومع ذلك فالمعنى التداولي للعبد الآن معنى سلبي. وتقوم الثورات من أجل الحرية. وتندلع المظاهرات منادية بالحرية بصرف النظر عن من هو السيد، العبد عبد لمن؟ وفي الثقافة الشعبية لا فرق بين صورة الله وصورة «سي السيد».

والغلط في التوسع والتضييق في الدنيا وترك الاكتساب(4). لا تكون السعة إلا للأنبياء والصديقين لأنهم ينفقون على الأغيار. ويأخذون الأسباب بالحقوق لا بالحظوظ أو من توهم أنه في حال فهو خاطيء. وغلط من ظن التقلل بالتقشف وليس الدون وأكل القليل وحرم المباحات(5). وطبقة أخرى تأخذ القوت بالكسب(6). وهذا ليس غلطاً. والتوكل هو العزيمة، والكسب رخصة. وليس للإنسان إلا كسبه. ولا يشغله عن الصلاة. إنما الخطأ فيمن طعن على المكتسبين وقعدوا معتمدين على الأحوال(7). وقوة الإيمان هي قوة الإرادة.

---

(1) باب ذكر من غلط في الأصول وأداء ذلك في الضلالة ونبتدئ بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية، السابق ص531-532.

(2) وعباد الرحمن، نبئ عبادي، والملائكة عباد مكرمون، واذكر عبادنا، واذكر عبدنا، نعم العبد.

(3) «أفلا أكون عبدا شكورا»، «خيرت بين أن أكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً فأشار إليّ جبريل عليه السلام تواضع فقلت بل نبياً عبداً».

(4) «باب في ذكر من غلط في التوسع، وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل، ومن غلط في الاكتساب وترك الأسباب»، السابق ص523-524.

(5) «وطبقة أخرى تعلقوا بالتقشف والتقلل واعتادوا الدون من اللباس والقليل من القوت. وظنوا أن كل من رفق بنفسه أو تناول شيئاً من المباحات أو أكل شيئاً من الطيبات أن ذلك علة وسقوط من المنزلة. وكل حال غير الحال الذي هم عليه عندهم زلة. وقد غلطوا في ذلك»، السابق ص523.

(6) «أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده».

(7) «وطبقة أخرى طعنوا على المكتسبين، وجلسوا معتمدين على حالهم، متشرفين إلى من يفتقدهم. وعندهم أن هذا هو الحال. وقد غلطوا في ذلك لأن الجلوس عن المكاسب =

وغلطت فرقة في الإباحة والحظر، وجعلوا الأشياء في الأصل على الإباحة. وقد وقع الحظر للتعدي. وهو مبدأ أصولي، وأقرب إلى الطبيعة والفطرة[1]. أما جعل الأشياء في الأصل على الحظر حتى تتم إباحتها بالأمر فهو أقرب إلى النظرة المسيحية بسبب الخطيئة الداخلة في نسيج الكون. وليس أحد ملزماً بالشرائع السابقة[2]. ولا يتساوى الأصلان. والخير أرجح من الشر، والحلال أرجح من الحرام.

ومن الخطأ ترك الطعام وإيثار العزلة والانفراد[3]. فإذلال النفس ضد إثباتها. دخول كهوف الجبال واعتزال الناس ليس طريقاً لإصلاح العالم. وفعل ذلك اختيار شخصي وليس سلوكاً للناس جميعاً. وتكلف آخرون لبس الصوف والمرقعات المعمولة والمصبوغات وتعلموا الإشارات وظنوا أنهم من الواصلين. وهذه حالات خاصة طبقاً لقوة الدافع على العلم دون تكلف. وقوم جبّوا أنفسهم لقطع الشهوات. وهو غلط لأن قطع الآلة لا يقضي على الشهوة. وقوم هاموا على وجوههم في البراري والبوادي بلا زاد ولا ماء متوهمين أن ذلك حقيقة التوكل. وهو خطأ لأنه ضد آداب السلوك. وقوم تكلفوا الإشارات وحفظوا الحكايات وظنوا أنهم أصحاب الأحوال. وقوم عمدوا إلى الأوراد والبكاء والخشية وظنوا أن هذا هو الحال المقصود. وهي أشياء لا تأتي في البداية بل وفي النهاية. والبدعة انحراف عن الحق. ومن طبع على البدعة متي يشيع فيه الحق؟[4]. وظن قوم أن التصوف هو السماع والرقص والدعوات والإرفاق وأشعار الغزل. وهو خطأ لأن كل قلب ملوث بحب الدنيا فكل ما يأتي به من مظاهر الوجد تكلف. ومنهم من غلط في الفقر والغنى وتفضيل الغنى، الغنى بالله نعم وليس الغنى بأعراض الدنيا[5]. والفقر إلى

= ينبغي أن يكون من قوة اليقين والصبر. فمن ضعف يقينه وغلب عليه طبعه وطمعه يُؤمر بالدخول في الطلب، والطلب مباح»، السابق ص524.

(1) «باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والرد عليهم»، السابق ص538-540.

(2) «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات. وحرام الله حِمَى. فمن حامَ حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

(3) «باب في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك»، السابق ص527-530.

(4) «طبقات الصوفية »ص59.

(5) «باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدهم إلى الضلالة. ونبتدئ في ذكر الطائفات =

الله مقرون به الصبر والشكر والرضا والتفويض والسكون والطمأنينة. وتوهمت فرقة وجعلت الفرقة غير المقرون بهذه المقامات والأحوال أفضل من الغنى. والنفس محتاجة، وليس من صفات البشر الطمأنينة والسكون. والفقر مكروه ولا يلائم الطبع. والغنى من الحقوق[1]. الفقر في ذاته محمود ولكن صحبته علة، والعلة مذمومة. والغنى بالدنيا في ذاته مذموم إلا إذا صاحبه البر. والفقر والغنى حالان للصبور. ومع ذلك فالطبيعة تكره الفقر أكثر مما تكره الغنى. فهما لا يستويان. وليس المقصود الفقر وحده بل آداب الفقر. وغلط قوم في الفقر. لم يكن لهم زهد. وكانت لهم رغبة وهمم وزينة. فقبلوا العطاء لنفوسهم. وزعموا أنه اختبار. فخالفوا السلف في التمييز بين الابتلاء والاختبار[2].

وظن قوم في الصفاء والطهارة دائمتان وتامتان. وهو خطأ لأن الإنسان لا يصفو تماماً على الدوام. هو حال يأتي ويذهب. والطهارة لقلب العبد من الحسد والشرك. أما الطهارة من جميع صفات الخلق على الدوام فخارج عن نطاق البشرية[3]. وغلط آخرون في عين الجمع لأنهم لم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله إليهم. ولم يصفوا أنفسهم بالحركة احترازاً ألا يكون شيء مع الله. ففرضوا الجبر على حركاتهم، وأسقطوا الملامة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود. والبعض جعل نفسه معذوراً. وهو خطأ ناشئ عن إضافة الفرع إلى الأصل أو إضافة الأصل إلى الفرع. هو خطأ بين الحقوق والحظوظ، وبين الحق والباطل، وبين الأمر والنهي[4].

وقد غلط أهل العراق في الإخلاص. فأخطاء الصوفية تتعدد بتعدد الأقطار. فقد زعم بعضهم أن الإخلاص لا يتم إلا إذا خرج عن رؤية الخلق، ولا يوافقهم في جميع أعمالهم حقاً أو باطلاً. وقد ضل هؤلاء لأن جماعة من أهل الفهم

= الذين غلطوا في الفقر والغنى»، اللمع ص520-522.

(1) «وخلقت النفس محتاجة. وليس من صفات البشرية الطمأنينة والسكون عند عدم القوام والقري. والفقر تكرهه النفس، ولا يلائمه الطبع والهوى لأنه من الحقوق. والغني تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوي لأنه من الحظوظ»، السابق ص520.

(2) قوت القلوب ج2/ 411.

(3) «ذكر من غلط في الصفاء والطهارة»، اللمع ص547.

(4) «ذكر من غلط في عين الجمع»، السابق ص549-550.

والمعرفة رأوا أن الإخلاص لا يصفو لهم حتى لا يبقى عند العبد بقية من رؤية الخلق. وظنوا أنه يصح لهم الدعوى والتقليد والتكلف قبل السلوك في الطريق والتأدب بآدابه فجاوزوا الحدود وغلبتهم النفس والأهواء(1).

ومن الخطأ فتور الإرادة والنكوص عن المجاهدة والسكون إلى الراحة(2). وهذا خطأ في العبادات ورياضات النفوس والمكابدات، ورجوع إلى القهقرى. والفتور مؤقت وليس دائماً. وما وقع فيه البعض هو الكسل والتواني والأماني الكاذبة. السفر مصدر للعلم ولقاء المشايخ تعليم. ومن الخطأ إنفاق الأموال والأملاك وكأن المراد هو الإنفاق في حد ذاته. وهو خطأ لأن المقصود ليس السخاوة أو السماحة. وانبسط آخرون في المباحات ولم يراعوا الأوقات. وهو خطأ لضياع الوقت. وما فات لا يدرك. وغلط قوم في الأنس والبسط وترك الخشية(3). فقد توهموا أن بينهم وبين الله حال من القرب والدنو. فلم يلتفتوا إلى الآداب المرعية بدعوي دفع الكلفة بين المحبين.

وغلط من ظن أن الرؤية بالقلوب(4). فقد ادعى بعض أهل الشام ذلك في الدنيا. الرؤية بالعيان في الآخرة. ولا تعني رؤية القلب أكثر من التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة اليقين(5). والرؤية لا تتطلب موضوعاً مرئياً. الرؤية لصورة خيالية.

وغلط قوم في تصور الروح على أنه نور من نور الله، حياة من حياة الله مخلوقة، وأن روح القدس من ذات الله، وأرواح العامة مخلوقة وأرواح الخاصة ليست مخلوقة، وأن الأرواح قدسية لا تموت ولا تعذب ولا تبلى، وأنها تتناسخ من جسم إلى جسم، وأن للكافر روح واحد، وللمؤمن ثلاثة أرواح، وللأنبياء والصديقين خمسة أرواح، وأنها خلقت من النور، وأنها روحانية خلقت من

(1) «باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص»، السابق ص533-534.
(2) «باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات، وغلطوا في المجاهدات، وسكنوا إلى الراحات»، السابق ص525-526.
(3) «ذكر من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية»، السابق ص551.
(4) «باب ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب»، السابق ص544-549.
(5) مثل آية ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، وحديث «عبد نوّر الله قلبه» و«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

الملكوت. وهي روحان: روح لاهوتي، وروح ناسوتي[1]. والروح من أمر الله[2]. والحقيقة أن الأرواح كلها مخلوقة. وهي أمر من أمر الله. ليس بينها وبين الله سبب ولا نسبة، غير أنها من ملكه وطوعه وفي قبضته، غير متناسخة. تموت كما يموت البدن، وتنعم كما ينعم، وتعذب كما يعذب. وتحشر في البدن الذي تخرج منه. خلق الله روح آدم من الملكوت وجسمه من التراب. وكلها ظنون.

وزعمت طائفة أنها ترى أنواراً. ويصف قلبه بأنه به أنوار. وهي الأنوار التي وصف الله بها نفسه، أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة. وهي غير مخلوقة، والحقيقة أن الأنوار كلها مخلوقة، نور العرش، ونور الشمس، ونور القمر والكواكب. ونور الله لا يدرك وغير محدود ولا يحيط به علم الخلق[3].

وغلط آخرون عندما فضلوا الولاية على النبوة في قصة موسى والخضر. فقد كان الخضر أعمق فهماً من موسى. وقد خص الله كل نبي بميزة، آدم بسجود الملائكة، ونوح بالسفينة، وصالح بالناقة، وإبراهيم بالنار التي لا تحرق، وموسى بالعصا، وعيسى بإحياء الموتى، ومحمد بانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه. وخص غير الأنبياء بكرامات، مريم بهز جذع النخل ليسقط عليها الرطب الجني. وآصف بن برخيا كان عنده علم الكتاب حتى أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه. كما خص الهدهد بمعرفة المياه[4]. وقد خص البشر أيضاً بصفات مميزة. زيد بالفرض، وأُبي بالقراءة، ومعاذ بمعرفة الحلال والحرام[5]. فالكرامة جزء من أربعين جزءاً من النبوة. وللأنبياء معرفة بواسطة، وللأولياء بلا واسطة. وللأنبياء الرسالة والنبوة وليس للأولياء. الولاية جزء من النبوة ولا يكون الجزء أفضل من الكل.

والحلولية خطأ. ومع ذلك فهو خطأ في الفهم قبل الخطأ في الاتهام. ويكون الحلول في المستحسنات أو في المستحسنات وغير المستحسنات أو على

(1) «باب في ذكر من غلط في الروح»، السابق ص554-555.
(2) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.
(3) «باب ذكر من غلط في الأنوار»، السابق ص548.
(4) «باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية»، السابق ص535-537.
(5) «أفرضكم زيد، وأقرؤكم أُبي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»، السابق ص536.

الدوام أو وقتاً دون وقت. الحلول نتيجة للقرب، وإحساس بالشعور[1].

وغلط قوم في فناء البشرية بناء على سماع قول المتحققين بالفناء. فظنوا أنه فناء البشرية. فتركوا الطعام والشراب وظنوا أنهم تحققوا بالإلهية. وهناك فرق بين البشرية وأخلاق البشرية. فالبشرية لا تزول عن البشر. في حين تتبدل أخلاق البشرية. يعني الفناء عند أصحابه رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد مثل فناء الجهل بالعلم، وفناء الغفلة بالذكر[2]. ويمكن نفي فناء البشرية بتحليل وجودي واجتماعي وسياسي وتاريخي أعمق. وغلط قوم من البغداديين عندما أعلنوا أنهم فنوا عن أوصافهم، ودخلوا في أوصاف الحق كما تقول النصارى في المسيح. في حين أن أحد معاني التصوف إسقاط الصفات الإنسانية والتحلي بالصفات الإلهية[3]. وغلط قوم من أهل العراق في ادعاء فقد الحس في حالة الوجد. فلا يحسون بشيء[4]. مع أن فقد الحس لا يُعلم إلا بالحس. فالكائن الحي لا يفقد حواسه بل يغيب منها في المواجيد الحادة والأفكار القوية. وما دام الإنسان روحاً كائناً حياً فإنه لا يزول عنه الحس إنه الحس مقرون بالحياة والروح.

10 ـ انهيار التصوف

ليس التصوف علماً فحسب بل فلسفة في التاريخ تقوم على تصور منهار للعالم كما هو الحال في علم الكلام الأشعري وتفضيل المفضول على الأفضل، وتناقص الطبقات فضلاً. وهو ما يتفق مع عديد من الأحاديث حول خير القرون، وتحول النبوة بعد أن كانت خلافة إلى ملك عضوض[5]. التاريخ منهار، من السلف إلى الخلف، ومن النبوة إلى الملك العضوض، ومن الخلافة إلى الإمامة. تناقص العلم. وتحول من الباطن إلى الظاهر، ومن الغاية إلى الوسيلة، ومن

(1) «باب في ذكر خطأ الحلولية»، السابق ص541-543.

(2) «في ذكر من غلط في فناء البشرية»، السابق ص543.

(3) «في ذكر من غلط في فنائهم عن أوصافهم»، السابق ص552.

(4) «في ذكر من غلط في فقد المحسوس»، السابق ص553.

(5) ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف، قوت القلوب جـ1/ 331-338.

القضية إلى الحرفة، ومن الرسالة إلى المهنة[1]. وانهيار التاريخ قدر محتوم «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضوض»، «خير القرون قرني ثم الذي يلونه» إلى آخر أحاديث فتنة آخر الزمان. وقد أطلع الله النبي على مصير الأمة. ومستقبلها في «الإغاثة» وعلى ما انتهى إليه من خلاف. فيستغفر الله لأمته في قلبه[2]. يأتي زمان يضل فيه الناس عن الدين، ويضيع منهم اليقين، وتسلب العقول[3]. لذلك كانوا يسألون عن حال بعضهم البعض. ضاع اليقين لكثرة الخصومات. وسيأتي زمان قوم يتعلمون القرآن قبل الإيمان[4]. لذلك كان كلام السلف أنفع من كلام الخلف لأن السلف تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن في حين أن الخلف تكلموا لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق[5]. ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال. فالتصوف حركة نهوض للتاريخ المنهار من جديد[6]. هو إنقاذ المثال من الضياع مثل العالم الذي يعمل بعلمه والعارف الذي ينطق عن حقيقة[7].

ومثل كل ظاهرة حية قام التصوف وبلغ الذروة وانهار. ودخل فيه من ليس منه. وتحول إلى مجرد شعوذة ولبس ممزقة. وأصبح خاوياً، جهلاً بلا علم[8]

---

(1) «كان الرجل من أهل العلم، يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها. واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً ولها طلباً. وكان الرجل ينفق ماله على علمه. واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً. وكان يُرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره. واليوم يُرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر»، ذو النون، طبقات الصوفية ص25.

(2) السابق ص393.

(3) «يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه. يصبح الرجل على دين ويمسي على دين. يضل أمره على غير يقين. وتسلب عقول أكثر أهل ذلك الزمان. وأول ما يرفع عنهم الخشوع ثم الإجابة ثم الورع، وربما الألفة».

(4) قوت القلوب جا/ 263.

(5) «يأتي على الناس زمان لا تضر فيه عين حكيم، ويأتي عليهم زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس»، بشر الحافي، طبقات الصوفية ص42.

(6) حمدون القصار، السابق ص125/ 127.

(7) أبو الحسن النوري «أعز الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته»، السابق ص169.

(8) يقول الفناد:

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف خرقة =

ولبس الخرقة لم يكن في زمن الرسول[1]. أصبح التصوف اسماً ولا حقيقة بعد أن كان حقيقة ولا اسماً. فقد خضع التصوف لظاهرة القيام، والسقوط، والازدهار، والانهيار[2].

حدث التدهور من القرون الأولى واستمر في كل عصر. فحاول الصوفية النهوض من جديد. ثم انهار في المرحلة الرابعة وتحول إلى طرقية وأشكال ورسوم كان قد رفضها التصوف من قبل[3] «كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم تبق إلا حسرات»[4] لذلك تكثر العبارات التي تنعي التصوف وتأسف على انهياره[5].

= صار التصوف صيحة وتواجدا ومطبّقة
مضت العلوم فلا علوم ولا قلوب مشرقة
كذبتْك نفسك ليس ذا سنن الطريق المخلقة
حتى تكون بعين من عنه العيون المحدقة
تجري عليك حروفه وهموم سرك مطرقة

اللمع ص47.

(1) طبقات الصوفية ص459-460.

(2) «ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمان رسول الله...»، عوارف المعارف جـ2/ 48.

(3) «ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات. ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها. فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان. وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالماً. والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً. وهذا لأن العوام هم المستمعون إليه فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره... هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا. وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون. فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت... وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة...»، الإحياء جـ1/ 85.

(4) القشيرية ص127.

(5) كان السلف يكره بيع المصاحف وشراءها. كما ابتدع الخلق علوماً لم تكن عند السلف مثل علم الكلام والجدل، وعلوم المقاييس والنظر، والاستدلال على سنن الرسول بأدلة الرأي والمعقول، وإيثار علم العقل والرأي والقياس على ظواهر القرآن والإخبار، وإظهار الإشارات بالمواجيد من غير علومها وبيان تفصيلها مما يؤدي إلى حيرة السامعين =

ونظراً لأن التصوف رد فعل على الواقع وانهيار النبوة والخلافة إلى الملك العضوض فقد انتشرت أحاديث آخر الزمان المتعلقة بالخلاص على يد الصوفية. وهي نفس البيئة النفسية والاجتماعية والسياسية التي خرجت من الأحاديث عن المهدي الذي يظهر في آخر الزمان عند السنة والشيعة على حد سواء بوظيفتين مختلفتين، عند السنة كعلامة من علامات الساعة يقتل فيها المسيح الكذاب، وعند الشيعة للظهور في الدنيا وملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً[1].

ويفسد الصوفية ولا يبقي إلا القليل[2] ولا ينال أحد النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهاد لفساد أهل هذا الزمان[3] والتخلف عن إتّباع السلف لا يقدح في الخلف[4] فما زالت بركة السلف ممتدة إلى الخلف!

التصوف هو التأسيس الوجداني للعلم. يجمع أنواعاً من الإشارة وضروباً من العبارة[5] وبالتصوف جرأة على البلاغة[6] ومعنى التصوف أكبر من اسمه.

= وإضلال العاملين. ومنها الكلام في التوحيد بمخالفة الشرع، وتعارض الحقيقة والشريعة، والكلام في الدين بالوساوس والخطرات دون رد مواجيدها إلى الكتاب والسنة، ومنها السجع في الدعاء والتعزيب فيه، ومنها أخذ القرآن بالإرادة وتنازع الاثنين الآية دون خشوع ولا هيبة، ومنها التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة، ومنها التلحين في الأذان، ومنها التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم النحو والعربية ومنها تسهيل ما تسدد فيه السلف، وتشديد ما تسامحوا فيه، ومنها دخول النساء الحمام من غير ضرورة، ودخول الرجل بغير مئزر. وهي بدع علمية وعملية في آن واحد.

(1) من العقيدة إلى الثورة، جـ3 ـ النبوة ـ المعاد، ص528-551.

(2) «لم يبق في هذا الزمان لهذه الطائفة إلا رجلان: أبو علي الروزباري بمصر، وأبو بكر بن أبي سعدان بالعراق. وأبو بكر أفهمها»، طبقات الصوفية ص420. «التصوف اسم ولا حقيقة. وقد كان قبل حقيقة ولا اسم»، أبو الحسن البوشنجي، السابق ص459.

(3) السابق ص209.

(4) «وما يرى من التقصير في حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدح في أصل أمرهم وصحة طريقهم. وهذا القدر الباقي من الأثر واجتماع المتصوفة في الربط وما هيأ الله لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من آثار منح الحق في حقهم...»، عوارف المعارف جـ2/ 80.

(5) «هذا لسان التصوف. التصوف اسم يجمع أنواعاً من الإشارة وضروباً من العبارة. وجملته التذلل للحق بالتعذر على الحق»، الإشارات ص115.

(6) «وما أحوجني إلى جسارة بانبساط يرخص لي معك في التصرف. وينتج البلاغة عن طريق التصوف»، السابق ص130.

وحقيقته أشرف من رسمه[1].

الصوفية هم ملوك الدنيا والآخرة[2] هم إشكال بين من يدافع عنهم لتمسكهم بالكتاب والسنة ومن ينقدهم لانهيارهم وانحرافهم. ويكون ذلك مباشرة أو بتصوير فنّي في تخيل يوم القيامة وحوار بين آدم وأحد الصوفية. ينضم آدم إلى الصوفية ضد منتقديهم من الفقهاء. لقد قرّت عيناه بهم ثم حال قوم بينه وبينهم[3].

(1) «هذا لسان التصوف. والتصوف معناه أكبر من اسمه. وحقيقته أشرف من رسمه»، السابق ص163.

(2) «وبعد أن تخص هؤلاء فاعمم بأجمل تحية سائر ذوي الفضل من الصوفية. فإنهم ملوك الدنيا وسادة الآخرة»، السابق ص128.

(3) أبو بكر بن يزدانبار، طبقات الصوفية ص407.

فهرس الموضوعات

الباب الثاني: الوعي النظري

الباب الثالث: الوعي العملي

الباب الرابع: الوعي العلمي

يتبع الأعمال العلميّة، بالعربية:

- حوار المشرق والمغرب، (بالاشتراك)، القاهرة، 1990.
- مُقدِّمة في علم الاستغراب، القاهرة، 1991.
- هموم الفكر والوطن، (جزءان)، الإسكندرية، 1997.
- جمال الدين الأفغاني، 1998.
- الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، 1998.
- حوار الأجيال، 1998.
- من النقل إلى الإبداع، (تسعة أجزاء)، 2000 - 2002.
- فشته: فيلسوف المقاومة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003. ط2، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة، 2003.
- من النص إلى الواقع: محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه، (جزءان)، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.
- من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.
- محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.

الأعمال العلميّة، بالإنكليزية:

- الحوار الدينى والثورة، القاهرة، 1977.
- الإسلام في العصر الحديث، (جزءان)، القاهرة، 1995.

الأعمال العلميّة، بالفرنسية:

- مناهج التأويل، باريس-القاهرة، 1965.
- تأويل الظاهريات، باريس-القاهرة، 1966.
- ظاهريات التأويل، باريس-القاهرة، 1966.



من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

عمل الدكتور حسن حنفي طيلة نصف قرن من الزمان على عدة محاور أو عدة جبهات إن صح التعبير، وهي من التشعّب والضخامة والاتساع، والعمق بحيث تصبح من الاستحالة على شخص بمفرده أن يعمل في كل الاتجاهات وهي: الموقف من التراث القديم، والموقف من الواقع، والموقف من التراث الغربي.

هذا الكتاب هو المحاولة الرابعة والأخيرة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة: علم أصول الدين، وعلوم الحكمة، وعلم أصول الفقه ويبدو أن أكثر هذه العلوم اقتراباً من تحليل التجارب الشعورية، هي علوم التصوف، ثم تليها العلوم الأخرى. وهي إجمالاً تنحصر في إطار الموقف من التراث القديم.

ويُعَدّ كتاب "من الفناء إلى البقاء" أيضاً دراسة في الطريق أي في البنية وليس في التاريخ. يعرض التاريخ من خلال البنية، ولا تعرض البنية من خلال التاريخ أسوة بالمحاولات الثلاث السابقة، "من العقيدة إلى الثورة" و"من النقل إلى الإبداع" و"من النص إلى الواقع". ومع ذلك يخرج في جزءين. الأول التصوف كتاريخ وعلم. ويضم فصولاً ستة: تشكّل الوعي التاريخي، والوعي التاريخي الخالص، والوعي التاريخي الموضوعي، والوعي الموضوعي، والوعي النظري، والوعي العملي، والتصوف كعلم يضم تعريفات التصوف وتصنيفه في تقسيم العلوم وعلوم الذوق، والعلم والعمل. ويضم المراحل السابقة، ويمزجها من التاريخ إلى الموضوع.

والثاني التصوف كطريق وطريقة. ويضم الأول التصوف الخلقي. ويشمل أربعة أبواب. الشريعة إلى الأخلاق، والظاهر إلى الباطن، والأوامر والنواهي إلى الفضائل والرذائل حتى التوحيد الخلقي. والثاني التصوف النفسي الذي يضم المقامات والأحوال ووصف الطريق في الرياضة والمجاهدة ووحدة الشهود. والباب الثالث التصوف النظري الذي يضم المسائل الإلهية مثل الله والإنسان الكامل ووحدة الوجود. والباب الرابع التصوف العملي الذي يتحول فيه التصوف النظري إلى ممارسات عملية وينتقل من الطريق إلى الطريقة إلى آداب الشيخ والمريد. وبالتالي يتطابق التصوف كتاريخ مع التصوف كطريق.

هذا الكتاب عبارة عن قراءة معاصرة لكل أو أغلب ما كُتب أو حُقّق في موضوع التصوف الإسلامي، وهو موضوع صعب وشائك وخصوصاً بعد تراجع الدراسات العربية حوله.

وتأمل دار المدار الإسلامي أن يكون هذا الكتاب من ضمن مجموعة من الكتب النظرية والتي ستصدر في هذا الحقل.

ISBN 9959-29-448-7
9 789959 294487

موضوع الكتاب **علم التصوف الإسلامي**

موقعنا على الإنترنت
www.oeabooks.com